

مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية مع العرب  
(حل عربي للمسألة اليهودية)

*The future of Israel under a peaceful settlement with the Arabs  
(An Arab solution to the Jewish question)*



يوسف العاصي الطويل

مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية مع العرب  
(حل عربي للمسألة اليهودية)

*The future of Israel under a peaceful settlement  
with the Arabs  
(An Arab solution to the Jewish question)*



## جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى	:	1440هـ / 2020 م
عنوان الكتاب	:	مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية مع العرب (حل عربي للمسألة اليهودية)
تأليف	:	يوسف العاصي الطويل
عدد الصفحات	:	608 صفحة
قياس الكتاب	:	24 × 17
صف وإخراج	:	غنى الرئيس الشحيمي
الناشر	:	مكتبة حسن العصرية
العنوان	:	بيروت - لبنان
هاتف خليوي	:	009613790520
تلفاكس	:	009617921862 - 009617920452
ص.ب.	:	6501 - 14 بيروت- لبنان
الترقيم الدولي	:	؟ - ؟ - 561 - 9953 - 978

## إهداء

أهدي هذه الرسالة إلى روح والدي ووالدتي عرفاناً بفضلهما ..  
وطمعاً لهما بالرحمة والمغفرة ..  
سائلاً المولى عز وجل أن يرحمهما كما ربياني صغيراً ...

## شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إتمام هذه الدراسة، سواء بالفكرة وابداء الرأي، أو بالإخراج النهائي والطباعة، وأخص بالذكر استاذي الفاضل الدكتور محمد خالد الأزعر، على ملاحظاته القيمة، كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المرحوم الدكتور قدري حفي، والأستاذ الدكتور عبد العليم محمد والأستاذة الدكتورة حنان قنديل، على توجيهاتهم، والشكر موصول لمعهد الدراسات العربية أساتذة وإداريين على جهودهم الكبيرة في تكريس الفكر القومي العربي بين الدارسين العرب من كل الأقطار العربية.

ولا أنسى هنا شكر الصديق الدكتور محمود بركة على جهوده الكبيرة في تزويدي بالمواد الدراسية والمراجع، وقيامه بتذليل كافة الصعاب التي واجهتني حتى مناقشة الرسالة، وأيضا صديقي الدكتور عبد اللطيف أبو هاشم على جهوده في تصحيح ومراجعة الرسالة، وبالجملة أشكر كل من ساهم بخروج هذه الرسالة بهذا الشكل.

وفي النهاية كلمة شكر لا بد منها لأسرتي التي منحتني الوقت لإكمال هذه الرسالة في ظل زحمة الحياة ومشاغلتها ومشاكلها.

## ملخص

تحاول هذه الدراسة استشراف مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية، من خلال دراسة السيناريوهات المختلف لهذا المستقبل، حيث تبدأ الدراسة بالتعريف بمنهج دراسة المستقبل ثم تلقي الضوء على تجارب الاستعمار الاستيطاني في العالم قديمًا وحديثًا، وتحاول مقارنتها بالتجربة الصهيونية من أجل الوصول إلى نتائج وتعميمات لهذه المقارنة، حيث تبين لنا وجود نقاط تشابه كثيرة، ولكن هناك تفرد في بعض الأمور بين التجربة الصهيونية والتجارب الأخرى.

بعد ذلك تحاول الدراسة وضع بعض السيناريوهات لدراسة المستقبل الإسرائيلي، حيث تبدأ بدراسة الوضع الابتدائي بالتمهيد بدراسة عن الوجود اليهودي القديم في المنطقة العربية وتفاعلاته مع المنطقة، ثم بعد ذلك ندرس الواقع الإسرائيلي الحالي ومعطياته الداخلية "سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا وعلميًا، ثم الواقع الإقليمي العربي والواقع الدولي، كمحددات مهمه للمستقبل الإسرائيلي. بعد ذلك قمنا بدراسة أثر هذه المحددات على توازن القوى وانعكاس ذلك على احتمالات الحرب والسلام، حيث اتضح لنا أن توازن القوى الشاملة في اللحظة الراهنة يميل لصالح إسرائيل مقابل القوة العربية، ومن المحتمل أن يستمر هذا الخلل في توازن القوى لفترة ليست بالقصيرة نتيجة التحيز الأمريكي الذي لن يتغير، ونتيجة لقوة إسرائيل العسكرية وامتلاكها للسلاح النووي الذي سيشكل ضمانه لها من أي محاولة عربية تهدف لاستئصالها، وبالتالي فإن التسوية السلمية هي الخيار المطروح والمفضل خلال فترة الدراسة.

وبالرغم من أن هناك العديد من مشاريع التسوية السلمية التي طُرحت منذ بداية الصراع إلا أنها لم تنجح في حل لب الصراع العربي الإسرائيلي لأسباب متعددة وضحتنا الدراسة، حتى بلغنا الوضع الراهن بإنسداد طريق المفاوضات بسبب التعنت الإسرائيلي والتحيز الأمريكي والضعف العربي.

وبالرغم من أن الدراسة تناولت معظم مشاريع التسوية وناقشتها، إلا أنها ترى أن حل الدولة الواحدة هو الحل الملائم لكل الأطراف؛ لأنه يستطيع أن يُلبي طموحات الجانبين، ويخلق واقعاً جديداً يمكن أن يكون بداية لتعايش سلمي خلاق بين اليهود والعرب، حيث سيلعب اليهود العرب أو الشرقيون دورًا مركزيًا في الوصول إلى هذا الحل واندماج إسرائيل في المنطقة العربية بسبب عددهم الكبير، وأيضًا بسبب عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم القريبة من عادات وتقاليد وثقافة المنطقة، وهنا فان واجب العرب طرح حل خلاق للمسألة اليهودية يتفادي الفشل الذي ميز المشاريع السابقة، مستلهما تاريخ طويل من التعايش والقيم المشتركة .

# Abstract

This study attempts to explore the future of Israel under a peaceful settlement by studying the different scenarios for this future. The study begins by defining the methodology of studying the future and then sheds light on the experiences of settlement colonization in the world in ancient and modern times, Where we found the existence of many points of similarity, but there is a uniqueness in some things between the Zionist experience and other experiences.

After that, we study the current Israeli reality and its internal data "politically, economically, socially, militarily and scientifically, then the Arab regional reality and international reality," As important determinants of the Israeli future. After that, we studied the effect of these determinants on the balance of power and its impact on the prospects of war and peace. It turned out that the overall balance of power at the present moment tends to favor Israel in return for the Arab power, and this imbalance is likely to continue for a long period of time due to the American bias which will not change anytime soon, as a result of Israel's military strength and possession of nuclear weapons, which will be a guarantee of any Arab attempt aimed at eradicating them, therefore a peaceful settlement is the choice and preferred during the study period.

Despite the fact that there are many peace settlement projects that have been put forward since the beginning of the conflict, they have not succeeded in resolving the core of the Arab-Israeli conflict for various reasons. The current situation has reached the conclusion of the negotiations because of Israeli intransigence, American bias and Arab weakness.

Although the study dealt with most of the settlement projects and discussed them, it sees that a one-state solution is the right solution for all parties, because it can meet the aspirations of both sides and create a new reality that could be the beginning of a creative peaceful coexistence between Jews and Arabs. The arab Jews will play a central role in reaching this solution and the integration of Israel in the Arab region because of their large numbers, and also because of their similar customs, traditions and culture. Here the duty of the Arabs to put forward a creative solution to the Jewish questions avoids the failure that characterized the previous projects, Will the co-existence and common values.

## المقدمة

مستقبل إسرائيل في المنطقة سؤال كبير، طرح ولا يزال يطرح برؤى متعددة من قبل العرب واليهود وبعض المهتمين بالصراع العربي الإسرائيلي، مع فارق كبير في التحليل والأهداف والاستنتاجات.

فالعرب والمسلمون طرحوا هذا السؤال، بعد صراع طويل مع إسرائيل، لم ينجحوا خلاله من تحقيق انتصار حاسم على هذه الدولة الصغيرة، بالرغم مما يبدو من فارق في الإمكانيات بين الطرفين، فكان سؤالهم عن المستقبل الإسرائيلي - في الغالب - محاولة لتبرير هذا الواقع، إما بهدف الخروج من واقع الهزيمة والتفريق، أو بهدف طمأنة أتباعهم ورفع معنوياتهم بأن النصر آت لا محالة مهما علا القوم، وأهم ما يميز هذه الطرح صبغته العاطفية غير الواقعية المنطلقة من رؤى دينية أو قومية أو أيديولوجية يغلب عليها عدم الموضوعية، أو الوعي بما يمتلكه الطرف الآخر من إمكانيات وعوامل للبقاء ذاتية وخارجية، ولهذا جاء هذا الطرح في معظم الحالات على شكل أمانى بدون وضع تصور عملي وعلمي للإجابة عنه.

أما الجانب الإسرائيلي أو الصهيوني، فقد كان لديه الوعي الكافي بالأخطار التي تهدد وجوده ومستقبله في محيط عربي إسلامي يعاديه، فكان سؤاله على الدوام يركز على الكيفية التي يجب بها حماية وضمان مستقبله، سواء من خلال الاعتماد على تحالفات راسخة مع قوى كبرى تضمن له التفوق في كافة المجالات وامتلاك الردع والقوة الكافية لإزالة أي تهديد، أو من خلال دراسة التجارب التاريخية الشبيهة في المنطقة وسبب فشلها، ومن هنا كان تركيزه الشديد على تجربة "الحروب الصليبية" لأخذ العبر والدروس حتى لا تتكرر هذه التجربة.

ولما كان حديثنا عن مستقبل (إسرائيل) هو حديث عن مستقبلنا، فلسنا بحاجة للتأكيد على أن كل ما له صلة بتطورنا السياسي ورخائنا الاقتصادي يرتبط بشكل أو بآخر بوجود (إسرائيل) أو غيابها وبحالة الحرب أو السلام في المنطقة، ومن هنا تأتي محاولتنا لاستشراف مستقبل (إسرائيل) كجزء من عملية تخطيط مستقبلنا السياسي العربي، وخيار التسوية السلمية الذي نعتقد بأنه سيحقق الأهداف المرجوة لابد أن يكون خياراً واعياً يقوم به العرب وينفذونه كاستراتيجية مستقبلية لاحتواء إسرائيل في المنطقة والذي سيؤدي في النهاية إلى ذوبانها في المحيط الحضاري العربي.

وهذه الدراسة ستتناول مستقبل إسرائيل في المنطقة من خلال مناقشة خيارات مختلفة له مثل: (الاستئصال-المقاطعة-التذويب والاستيعاب-التسوية السلمية)، بمعنى أن الدراسة ستقوم بإلقاء الضوء على كافة هذه الخيارات موضحة إمكانية تحققها على أرض الواقع، وبعد ذلك ستتناول الدراسة التسوية السلمية والمشاريع التي طرحت منذ بداية الصراع وحتى الآن، وأسباب فشلها، وبعدها سنقوم بطرح عدة سيناريوهات لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، ومنها سيناريو التسوية السلمية، وكيف سيكون مستقبل إسرائيل في ظلها.

وبالرغم من أن الدراسة ترى ضرورة الأخذ بخيار التسوية السلمية، كخيار استراتيجي للأمة العربية، إلا أن ذلك لا يعني أننا لا نؤمن بأن مستقبل إسرائيل في المنطقة بوضعه الحالي سينتهي ولو بعد حين، ولكننا عندما اخترنا فرضية التسوية السلمية ورجحناها على فرضية الاستئصال والمقاطعة؛ فإن ذلك كان من خلال وعي وتحليل لكافة الخيارات وإيها أسلم للأمة في ظل الواقع الهزيل الذي تعيش فيه الآن، والذي لا يبدو أنه سيصل إلى مرحلة التفوق على الطرف الآخر في المدى المنظور لأسباب كثيرة تتعلق بطرفي الصراع والقوى المؤثرة فيه، يضاف إلى ذلك أن خيار الاستئصال ولو تمكنت الأمة العربية من تحقيقه فإن ثمنه سيكون ضخماً وكارثياً على المنطقة برمتها مما سيعرضها مرة أخرى للاستلاب والتخلف والضياع.

والدراسة التي بين أيدينا، هي دراسة مستقبلية تدرس مستقبل إسرائيل في القرن الحادي والعشرين، وتنطلق من إشكالية دراسية محددة، وتسعى إلى البرهنة على فرضيات رئيسة معينة، وتتخذ من منهج الاستشراف المشروط، كأحد مناهج دراسات المستقبل، منهجاً لها ولكن ضمن إطار ضوابط منهجية محددة. وللوصول إلى أهداف الدراسة سنقوم بتقسيمها إلى عدد من الفصول نبدؤها بفصل حول المنهجية المستقبلية، أهميتها وأدواتها ومناهجها، يليه فصل عن تجارب الاستعمار الاستيطاني في العالم مع مقارنة ذلك بالاستيطان الصهيوني في فلسطين، وفي الفصل الثالث سنقوم بعملية مراجعة نقدية للإطروحات والنظريات المتعلقة بالمستقبل الإسرائيلي، وفي الفصل الرابع نعرض لماضي اليهود في المنطقة العربية وعلاقتهم بفلسطين وبالشعوب العربية والإسلامية، وكيف تعاملوا مع الفكرة الصهيونية، وفي الفصلين الخامس والسادس نتنقل إلى دراسة محددات المستقبل الإسرائيلي بأبعاده الثلاث (المحلية والإقليمية والدولية)، وبناء على هذه المحددات سنطرح سيناريوهات مختلفة لمستقبل إسرائيل.

في الفصل السابع سنقوم بعرض تاريخي لمشاريع التسوية السلمية للصراع منذ بدايته وحتى الآن وأسباب فشلها، والخيارات المطروحة لحلها، وفي الفصل الثامن نعرض للخيار

المفضل لحل الصراع وهو خيار الدولة الواحدة، وبعدها سندرست أثر التسوية السلمية على مستقبل إسرائيل، وعلى اليهود الشرقيين كمتغير داخلي. وفي الفصل التاسع سنعرض تصور لحل عربي للمسألة اليهودية. سيحول إسرائيل إلى دولة مندمجة وجزء من المنطقة العربية... دولة في عاداتها وتقاليدها وتركيبها السكانية، تتبع الشرق وتتفاعل معه، وهذا سيمكن العرب من امتصاص الهجمة الصليبية الصهيونية، وحل المسألة اليهودية حلًا جذريًا ليتمكن العرب من القيام بدورهم الحضاري العالمي بعد قرون من الضياع والتهيه في صراعات فرضت عليهم.



## الفصل الأول

### المنهجية المستقبلية

قبل حلول القرن الحادي والعشرين ذهب الكثيرون إلى التأمل في معطيات أواخر القرن الماضي؛ إدراكاً منهم لاحتمال امتدادها آثارها إلى القرن الجديد، ولا سيما أن بعض معطيات الزمن الذي سيأتي لا تكون بمعزلٍ عن معطيات الزمن الذي مضى والذي يمضي. وجراء كمية ونوعية التحولات الكبرى التي يمر بها العالم نتساءل: أليست بنا حاجة إلى امتلاك قدرة المعرفة سبيلاً للتعامل مع الجديد الذي تفضي إليه هذه الحركة؟<sup>(1)</sup>.

فانتفاء فاصل زمني معين وبداية مرحلة جديدة هي مناسبة جديدة للتأمل، إلا أن هذا لا يعني أن الانتقال من قرن لآخر، أن علينا أن نتوقع تغييرات شاملة؛ فالتاريخ عملية مستمرة ومتواصلة<sup>(2)</sup>. ومن هنا تنبع الحاجة إلى امتلاك المعرفة المسبقة عما قد يقترن به المستقبل، واستشراف المستقبل هو الأداة، والمبدعين في التاريخ كانوا ابداً متطوعين إلى الأمام، كانوا رواداً مغامرين<sup>(3)</sup>، والمستقبل لن يكون بالضرورة استمراراً خطياً تراكمياً لترسيمة الماضي- الحاضر- المستقبل بقدر ما سيكون مختلفاً، ومليئاً بالفجوات والانقطاعات والمفاجآت.<sup>(4)</sup>

على أن نزوع الإنسان إلى امتلاك ناصية المستقبل والانشغال به قبل حلوله لم يرد به أن يكون مضية للوقت والجهد؛ وإنما أريد به التعبير عن إدراكنا لجدوى التحسب لما قد يقترن به

---

(1) عدي صدام حسين، مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم السياسية جامعة صدام 2002. (قمت بتنزيل الدراسة من الانترنت كملف وورد يصعب التأكد من ترقيم صفحاتها، وقد حاولت مره أخرى العثور عليها ولم أتمكن. لذا سأشير للمصدر بدون رقم الصفح ولهذا وجب التنويه)

(2) وليد خدوري، النفط العربي على مشارف القرن الجديد، في: العرب والتحديات الاقتصادية العالمية، إبراهيم سعد الدين، مؤسسة عبد الحميد شومان، 1999 ص 93.

(3) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين - بيروت 1963، ص 188.

(4) حسام السعداوي، المستقبلويات الغربية، وزيف عالميتها المزعومة، موقع التجديد العربي، 4-3-

2005http://arabrenewal.net/index.php?rd=AI&AI0=7688

الزمن الآتي من أحداث وربما مفاجآت<sup>(1)</sup>. فالدراسات المستقبلية لا تتنبأ تنبؤًا عشوائيًا، ولا تعتمد إلى التنجيم والضرب بالرمل؛ وإنما تكشف عن الثوابت والمتغيرات من خلال رؤية الحاضر وربطه بالماضي، ثم تطرح تشوف المستقبل، وفي اعتبارها أن الإنسان يختار من بين بدائل، وأن عنصر الحلم في رؤية المستقبل يتفاعل مع إرادة الفعل عند الإنسان<sup>(2)</sup>.

من هنا فدراسة المستقبل تتطلب طريقةً في المعرفة هي غير الطريقة التي تعودنا عليها، ومساحات اللايقين فيها فسيحة جدا، والمستقبل يبني على ماهو موجود في مكان الماضي وهو موجود الآن في داخل الحاضر ثم نستشرف ماهو مستقبلي. فالمستقبلات التي ننظر إليها هي حلول لمشاكل ظهرت في الماضي وواصلت في الحاضر وهي تتوسع وتتعدد أكثر في المستقبل<sup>(3)</sup>.

---

(1) مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، (مصدر سابق)

(2) أحمد صدقي الدجاني، ماذا بعد حرب رمضان؟ فلسطين والوطن العربي في عالم الغد، المقدمة، 1974م.

(3) مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين.

## المبحث الأول: الدراسات المستقبلية النشأة والتطور

الاستشراف لغة: هو أن تَضَع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشرف والعلو كأنه ينظر إليه من موضع مُرْتَفَع أكثر، لإدراكه<sup>(1)</sup>، وجاء في لسان العرب: "تشرف الشيء واستشرافه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه، ومنه قول ابن مطير: فيا عجباً للناس يستشرفونني كأن لم يروا بعدي محباً ولا قبلي. وفي حديث أبي طلحة: أنه كان حسن الرمي، فكان إذا رمى استشرافه النبي ﷺ لينظر مواقع نبله، أي يحقق نظره ويطلع عليه، والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشرف والعلو"<sup>(2)</sup>.

أما الاستشراف اصطلاحاً: فقد عرف تحت العديد من المصطلحات المرادفة: علم الاستشراف، علم المستقبل، دراسات البصيرة، التنبؤ التخطيطي، والتنبؤ الشرطي... واختلاف التسمية راجع لاختلاف المنشأ، والمدرسة الفكرية<sup>(3)</sup>، والاستشراف يتضمن التطلع والنظر والتوقع. والتشوف هو الاستجلاء من خلال التطلع والنظر الشامل. فالتشوف إذن قرين الاستشراف، وهو خطوة تالية له، والرؤية هي ذروة عملية الدراسة المستقبلية وهي النظر بالعين والقلب، والنظر بالعين والعقل وإدراك المرئي بطرق عدة هي ... الحاسة والتخيل والتفكير والعلم<sup>(4)</sup>.

ومما تقدم يمكن تعريف الاستشراف بأنه تحليل الماضي، إنارة الحاضر، ورسم المستقبل المرغوب. فتحليل الماضي يكون من خلال السلاسل الزمنية للمتغيرات الكمية، والدروس المستخلصة من الأحداث التاريخية فيما يخص المتغيرات الكيفية. وإنارة الحاضر، تتم بفهم آلية تركيب وسبر الظاهرة المدروسة والمعيشة في الحاضر. أما رسم المستقبل المرغوب، فيكون

(1) موقع الباحث العربي:.

<http://www.baheth.info/web/all.jsp?select=all&search=%D8%B4%D9%8E%D8%B1%D9%8E%D9%81>

(2) اين منظور، لسان العرب، ج9، ط1، بيروت، دارصادر، ط1، 1997م، ص171

(3) ضياء الدين زاهر، مقدمة في الدراسات المستقبلية: "مفاهيم -أساليب- تطبيقات"، مركز الكتاب للنشر - القاهرة 2004م، ص49.

(4) أحمد صدقي الدجاني، الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، فصلية المستقبلية عدد 2، المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية، بيروت، سنة 200، ص22

باتخاذ جملة القرارات الموجهة للظاهرة حاضراً، بغية الوصول إلى مستقبل مستهدف مأمول<sup>(1)</sup>، وهذا يعنى أن استشراف المستقبل هو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة. لأوضاع مجتمع ما عبر فترة مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عامًا، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع<sup>(2)</sup>.

والمستقبلية هي النظرية الموضوعية للدراسات المستقبلية، وتعرف بأنها علم "لم يخرج في بدايته عن كونه طريقاً أو أسلوباً للتنبؤ وفق تصورات وخيالات الكتاب والعلماء، غير أنه يعتمد الآن على مفهوم التحسب أو استشراف صورة ممكنة للمستقبل، وبناء نظرة تركيبية كلية جامعة تستطيع أن ترشد هذا المستقبل وتوجهه، لتكون منطلقاً لسياسات اجتماعية مستمدة من ضرورات ذلك المستقبل"<sup>(3)</sup>. وأوضح تعريف للمستقبلية هي أنها "دراسات تستهدف تحديد وتحليل وتطوير كل التطورات المستقبلية في حياة البشر في العالم أجمع بطريقة عقلانية موضوعية"<sup>(4)</sup> أما علم المستقبل فهو العلم الخاص بالتنبؤ بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل، ويستند في دراستها على الاستقراء والاستنباط، بجمع الوقائع الفردية المتعددة ليستخلص منها المبادئ العامة التي تحكمها، ويخرج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة<sup>(5)</sup>.

## نشأة علوم المستقبل

تطور مفهوم المستقبل كما تطورت النظرة إليه مع تطور الفكر البشري، من نظرة ترى المستقبل قدرًا محتومًا رسمته وخطّطت له قوى خارقة لا يمكن تجاوز تخطيطها بأي حال من

---

(1) أمين عويسي، الاستشراف الاقتصادي من الاقتصاد الإسلامي (اعجاز اقتصادي في القرآن)، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، الجزائر، ع 22، مارس 2014، ص 3

(2) إبراهيم سعد الدين وآخرون، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، سنة 1982، ص 23

(3) محمد بن أحمد حسن النعيري، أسس دراسة المستقبل في المنظور الإسلامي، دار الفكر دمشق ط1، 2009، ص 28-29.

(4) فوزي عبد القادر الفيشاوي، المستقبلية رؤية علمية للزمن الآتي، مجلة دراسات مستقبلية، مركز دراسات المستقبل جامعة أسيوط مصر، 1999، ص 11.

(5) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان- بيروت، 1977م، ص 171.

الأحوال، إلى نظرة تنطلق من مبدأ الصيرورة وقدرة الحياة على التجدد، وترى في المستقبل بعداً زمنياً يمكن التحكم في صورته، فنحن لا نستطيع التكهن بالمستقبل، لكننا نستطيع صناعته<sup>(1)</sup>، وقد أتاحت الحالة الراهنة للمعرفة الإنسانية والعلمية للإنسان قدرة هائلة لاختيار مستقبله، فليس ثمة مستقبل إلا كما نريده نحن، وكل كائن حي كما يقول سارتر يخلق مستقبله وعليه أن يتحمل المسؤولية كاملة عن هذا الخلق<sup>(2)</sup>. وقد رصد كورنيس في سبعينيات القرن الماضي تغييرين مهمين في نظرة الناس إلى المستقبل، أولهما: أن الناس أصبحوا على قناعة بإمكانية دراسة المستقبل، وأخرهما: هو الاعتراف بأن المستقبل عالم قابل للتشكيل، وليس شيئاً معداً سلفاً والبشر لا يسرون مغمّضي الأعين نحو عالم جبّري تنعدم فيه حرية الاختيار، بل إنهم شركاء فاعلون في تكوين عالم المستقبل<sup>(3)</sup>، لذا فدراسة المستقبل ليست ترفاً لأناس يهتمون بالتأمل في مصيرهم، بل مغامرة لها تكاليفها التي ترتفع إلى شرف المقصد<sup>(4)</sup>.

فالتلطف الشديد لمعرفة الإنسان لغده، تمثل ظاهرة تاريخية رافقت الوجود الإنساني في مراحل تطوره، حيث سعت فئات كثيرة من البشر على مرّ العصور إلى البحث عن طرق تُساعدنا لتنبؤ أحداث المستقبل لأغراض عديدة، وقد تطوّر ذلك التطع إلى المستقبل بأخذ منحنى علمي له، إذ قدّم الفلاسفة تصوّرات مستقبلية في بعض كتاباتهم مثل فرانسيس بيكون في كتابه "أطلنطا الجديدة"، حيث يطرح رؤية مستقبل العالم من خلال تصوّره لمجتمع جديد يعتمد على العلم<sup>(5)</sup>. وقدمت في المجال المتعلق باستكشاف حياة الأجيال المقبلة وهمومها عدّة كتابات وروايات تمثّل تصوّرات مستقبلية مثل: "حول العالم في ثمانين يوماً"، "رحلة من الأرض إلى القمر"... الخ.

وعلى صعيد العلم ثمة إجماع بين مؤرخي المستقبليات على أن هيربرت جورج ويلز أشهر كتّاب روايات الخيال العلمي هو أول من صكّ مصطلح علم المستقبل، وقدم إضافات عميقة في تأصيل الاهتمام العلمي بالدراسات المستقبلية، ودعا صراحة في محاضرة ألقاها في 26 يناير 1902

(1) جروم بندي وآخرون، مفاتيح القرن الحادي والعشرين، ترجمة: حمادي الساحل، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة-تونس 2003، ص 13

(2) انظر: جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم حنفي، مطبعة الدار المصرية-القاهرة، ط 1، 1964 م.

(3) المستقبلية، ادورد كورنيس: محمود فلاحه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص 137

(4) محمد إبراهيم منصور، الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهميتها توطئتها عربياً، ص 35

(5) ثناء العاصي، "نحو علم لدراسات المستقبل"، دار الفكر العربي، 2006، ص 118.

أمام المعهد الملكي البريطاني إلى علم المستقبل، وقام فيما بعد بتأصيل دعوته، في مؤلفاته: تكوين الإنسان 1902، واليوتوبيا الجديدة 1905، وشكل الأشياء المستقبلية 1933، وجميعها تدور حول حياة وهموم الأجيال المقبلة.<sup>(1)</sup> ودعا "كولن غيلفان" في صياغة أكثر إحكاماً إلى وجود علم للمستقبل أطلق عليه "ملنتولوجي"، وهي كلمة مشتقة من كلمة المستقبل اليونانية، في أطروحة مقدمة إلى جامعة كولومبيا عام 1920.<sup>(2)</sup>

وثمة اتفاق على أن "أوسيب فلختهايم" هو صاحب مصطلح علم المستقبل وقد ظهر المصطلح في عام 1943 مؤدّناً بميلاد علم جديد يبحث عن منطق المستقبل بالطريقة نفسها التي يبحث فيها علم التاريخ عن منطق الماضي، وقد أعاد فلختهايم في كتابه التاريخ وعلم المستقبل الذي نشر في عام 1965 استخدام هذا المصطلح، ودعا إلى تعليم هذا العلم في المدارس، ويميل فلختهايم إلى اعتبار علم المستقبل فرعاً من علم الاجتماع، وأقرب إلى علم الاجتماع التاريخي، رغم ما بينهما من اختلافات أساسية، فبينما يهتم الأخير بأحداث الماضي، يستشرف علم المستقبل أحداث الزمن القادم باحثاً في احتمالات وقوعها.

ويؤكد برتراند دي جوفنال في كتابه فن التكهّن 1967 أن الدراسة العلمية للمستقبل فن من الفنون، ولا يمكن أن تكون علماً. فالمستقبل ليس عالم اليقين بل عالم الاحتمالات، والمستقبل ليس محدداً يقيناً، فكيف يكون موضوع علم من العلوم. وفي معرض نقده لمقولة فلختهايم عن علم المستقبل في كتابه تصورات المستقبل عام 1973، يرى فريد بولاك أن المستقبل مجهول، فكيف نرسي علماً على المجهول، وتسمية علم المستقبل تسميه مبالغ فيها Toshk أن توجي بأن المستقبلية تدرك بوضوح غايتها، وقادرة على بلوغ نتائج مضمونة حقاً، وهو أمر مخالف للحقيقة.<sup>(3)</sup>

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، ونتيجة لتغيّر العالم حولنا بتسارع لم يسبق له مثيل، ظهرت بدايات دراسة المستقبل على أسس خاصة، وكانت تهدف للسيطرة على الصور الممكنة للمستقبل.<sup>(4)</sup> ومن أوّل هذه الكتابات كتابات هيرمان بعنوان "2000م"، وجورج راسل

(1) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطينها عربياً، ص 35

(2) هاني عبد المنعم، خلاف كتاب الهلال، المستقبلية والمجتمع المصري، ع 1986، 424، ص 11.

(3) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطينها عربياً، ص 36

(4) أدمير زكيتش البوسنوي، الطريق إلى اكتشاف المستقبل، مقال في مجلة (المستقبلية)، ع 1، 1429-1430، ص

بعنوان "ماذا يكون إنسان بعد ذلك؟"، وجورج سول بعنوان "صورة الغد"، وهذه الكتابات وغيرها وضعت الأرضية التمهيدية للدراسات المستقبلية على أساس الطابع العلمي<sup>(1)</sup>. وبمرور الوقت تزايد الاهتمام بهذه الدراسات، فتحوّلت من مجرد فروض واجتهادات فكرية إلى جهود علمية منظمة، حتى أنشئت من أجلها معاهد ومؤسسات علمية، وباتت الدراسات المستقبلية من الحتميات، ولا يمكن أن تستغنى عنها الدول كافة على اختلاف حظوظها من الغنى أو الفقر ومن التقدم أو التخلف<sup>(2)</sup>، ويمكن لنا أن نحدد ثلاث مراحل لعلاقة الانسان بالمستقبل:

### أولاً: المرحلة الأولى/ علاقات ذات صبغة دينية:

تدلنا المراجع التاريخية وكتب التراث والآثار على استخدام السلطة السياسية للكهان والعرافين والمنجمين لمعرفة ذلك الآتي بعد الحال، بالاعتماد على الكتب السابقة، والنجوم وسيرها، وحساب الجُمَّل، أو الرُّؤى والمنامات. وكانت هذه الظاهرة أشد ارتباطاً بالدوائر الدينية من منطلق الاعتقاد بأن رجال الدين هم الأكثر تماساً مع القوى الغيبية التي تتحكم بالأقدار، وبالتالي كانوا هم الأكثر صلاحية لأداء مهمة قراءة المستقبل ومعرفته<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: المرحلة الثانية / مرحلة التخطيط:

مع التحول في الكيفية التي بدأ الإنسان ينظر فيها للظواهر عبر استخدامه الوسائل العلمية من تجريبية وتأملية، ومع التطور الذي أفرزته الثورة الصناعية والتراجع الحاد للقوى الدينية وأنماط التفكير الغيبي، بدأ أسلوب النظر في المستقبل يعرف بعض التغيير، وانتقل التطلع لمعرفة المستقبل، من الاعتماد، على أدوات مثل السحر والتنجيم، أو الحدس والخيال، الى الاعتماد على المعرفة العلمية، التي تساعد على الاختيار الأدق سواء من بين أحسن، أو حتى أسوأ الأحسن من البدائل المحتملة<sup>(4)</sup>. وعرفت هذه المرحلة طغيان مفهومي المصلحة القومية على الفكر السياسي، وأصبح التطلع نحو المستقبل مرتبطاً بهذه المفاهيم، وبدأت محاولات التعامل مع المستقبل تعرف تطوراً وعرفت ذروتها بظهور فكرة الخطة الخمسية على يد العلماء

(1) نحو علم لدراسات المستقبل، ص 118.

(2) إبراهيم العيسوي، محاضرات في الدراسات المستقبلية، معهد التخطيط القومي- القاهرة 2002، ص 1 - 6.

(3) وليد عبد الحي، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 8- 9

(4) مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين.

السوفييت. غير أن السمة السياسية لهذه المرحلة، هي زيادة التعقيد والتخصص في المجتمع، مما جعل صانع القرار بحاجة للمتخصصين، اللذين حلوا محل الكهان وأصبحت فكرة التخطيط لمعرفة ومعالجة المستقبل تحل محل الكهانة<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: المرحلة الثالثة / المستقبل الثوري:

كان العقل البشري المفكّر حتى العهد القريب يعتمد اعتماداً أساسياً على منهجية التنبؤ العلمي، الذي يفترض أن المستقبل سيمثّل امتداداً لأحداث الماضي. ولكن نتيجة الإقرار باستحالة صدق مثل هذه التنبؤات المستقبلية، لم يلبث المخطّطون المعاصرون أن تخلوا عن فكرة التنبؤ بمعناه النبوي الضيق، وأصبح جُلُّ تركيزهم ينصبُّ على محاولة التعرّف على الاحتمالات المختلفة (البدائل) التي قد تنطوي عليها التطوّرات المستقبلية<sup>(2)</sup>. ومن هنا فإن المستقبل الثوري يعني أن صورة المجتمع الإنساني في زمن قادم قد تم تحديد ملامحها لا على أساس معطيات موجودة حالياً، وإنما على أساس حدوث طفرات تكنولوجية تؤدي إلى تغيير ملامح العلاقات الدولية تماماً، ولعل التكنولوجيا النووية خير دليل على كيفية تأثير التكنولوجيا على العلاقات الدولية<sup>(3)</sup>.

ومن العرض السابق يتضح لنا كيف تطور مفهوم المستقبل، كما تطورت النظرة إليه، مع تطور الفكر البشري، من نظرة ترى المستقبل قدراً محتوماً رسمته وخطّطت له قوى خارقة لا يمكن تجاوز تخطيطها بأي حال من الأحوال، ولا يملك الإنسان حياها خيارات تُذكر، إلى نظرة تنطلق من مبدأ الصيرورة وقدرة الحياة على التجدد، وترى في المستقبل بعداً زمنياً يمكن التحكّم في صورته، فنحن كما قال بريغوجين: "لا نستطيع التكهن بالمستقبل، لكننا نستطيع صناعته"<sup>(4)</sup>، وقد أتاح التقدم العلمي والتكنولوجي للإنسان قدرة هائلة لاختيار مستقبله الجماعي والفردى على حدّ سواء.

وانطلاقاً من المراحل السابقة، يمكن تقسيم المجتمع الدولي إلى ثلاثة أقسام زمنية، فقد أفضى انتقال الإنسانية من الحضارة الزراعية إلى الصناعية إلى المعلوماتية، إلى أن تتوزع المجتمعات إلى:

(1) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 10.

(2) مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين.

(3) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 11

(4) مفاتيح القرن الحادي والعشرين، ص 13.

أولاً: مجتمعات الماضي: وهي التي ما زال النظر فيها إلى المستقبل يتم عبر أدوات تقليدية، وتتواجد هذه المجتمعات كنظم فرعية في النظام الاجتماعي، كالعوائل المتخلفة في أغلب دول العالم الثالث، وتتسم هذه المجتمعات بغلبة الإنتاج الزراعي، وتبقى أدوات تعاملها مع المستقبل أقل جرأة بفعل عقليتها المحافظة.

ثانياً: مجتمعات الحاضر: وهي التي تنخرط في القطاعات الصناعية، ويمكن اعتبار التخطيط سمة رئيسية لهذه المجتمعات، ويمكن القول إن المجتمع الدولي الحالي ينتهي في معظمه إلى هذا النمط.

ثالثاً: مجتمعات المستقبل: وهي مجتمعات ما بعد الصناعية والتي تعمل في نطاق بناء وسائل تنتمي للمستقبل، فمثلاً هناك قطاعات تعمل في اليابان على تحضير مشروعات لبناء مدن على أعمدة فوق المحيطات، وقطاعات أخرى في بريطانيا تخطط لبناء مدينة متحركة، أو تلك التي تعد في أمريكا لتجهيز شركات نقل مدنية إلى الفضاء تستخدم محطات مبادرة الدفاع الاستراتيجي كنقاط حركة لها<sup>(1)</sup>.

## اليوتوبيا والخيال العلمي وعلم المستقبل

ظهرت اليوتوبيا في أعمال العديد من علماء الاجتماع والفلسفة بشكل عام، كان توماس مور أول من استخدم مصطلح "يوتوبيا"<sup>(2)</sup>، إلا أن الفكر اليوتوبي بطبيعته يسبق هذه التسمية بكثير (جمهورية أفلاطون، ومدينة الفارابي الفاضلة.. الخ). واليوتوبيا كصفة، توجه إلى أعمال أولئك من زاوية النقد، فيما يتعلق بالحلول التي يتصورونها، بأنها غير قابلة للتحقق. وفي عام 1999 أصدر راسل جاكوبي كتابه (نهاية اليوتوبيا). أما روايات الخيال العلمي فهي وإن كانت خيالاً إلا أنه في حالات كثيرة خيال مبني على ما توصلت إليه العلوم والتكنولوجيا فعلاً. ومن المعروف أن بعض ما ورد في أعمال كتاب روايات الخيال العلمي قد تحقق، وكثير من أعمال

(1) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 12

(2) ألف توماس مور عام 1516- هذه الكلمة بدمجها للكلمتين اليونانيتين: (ou) وتعني "لا" النافية و (topos) ومعناها "مكان" لتعني "لا مكان"، ومن هنا عنت كلمة "يوتوبيا" في معناها الأولى تخيل ووصف عالم مثالي، عالم خارج الزمان (التاريخ) والجغرافيا (المكان) المعروفين ومبني على أسس لا تنطبق على الواقع، ومن ثم أصبحت الكلمة تشير إلى كل الأعمال (مور وغيره من أعمال الكتاب) التي تطمح إلى نظام اجتماعي-سياسي مثالي غير قابل للتحقق عملياً.

المشتغلين في مجال "المستقبلات" لا تخلو من اليوتوبيا او من الخيال العلمي<sup>(1)</sup>.

## أهمية علم المستقبلات

علم المستقبلات يعد من العلوم المهمة اليوم في العالم المتقدم فمن يفكر بطريقة علمية منطقية منظمّة يستطيع التخطيط للمستقبل، فالعالم الراهن يعيش حاضراً يشهد تحولات علمية وتقنية ومؤسسية هائلة ويتطلع إلى مستقبل أغنى، ولذا من الضروري أن نفكر بصورة المستقبل من منظور علمي إحصائي، وليس في صيغة تمنيات وأحلام هوائية لا صلة لها بالواقع، فهذا العلم ليس تأصيلاً للرجم بالغيب أو استلهاماً للطالع ولا دعوة لضرب الودع أو قراءة الفنجان، وإنما هي محاولة للفت الأنظار القصيرة لتجاوز ما تحت الأقدام، لتحلّق في أفاق الغد البعيد لاستطلاع ما هو آت. كما أنه دعوة للتخطيط الجيد ليس فقط استناداً على وقائع الماضي ومعطيات الحاضر، وإنما وضع إرهابات وبشائر المستقبل كعنصر أصيل، في حساب المخططين وصناع القرار، وهو كذلك تأكيد لحتمية الحياة في المستقبل قبل أن يوجد بشرط أن يحيا من حي فيه عن بينة.

وتنبع أهمية الدراسات المستقبلية من أنها باتت من الأولويات والضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها في زمننا الحالي؛ فهي ليست مجرد "سجلات فكرية" أو "رفاهية ثقافية" أو "تسلية ذهنية"؛ وإنما هي ضرورة للتقدم. وتتطلب هذه الدراسات قدراً من الخيال والقدرة الذاتية على التصور المسبق لما هو غير موجود، ولذلك توصف دراسات المستقبل بأنها "آلية من آليات الحاضر" تساعد في فهم المستقبل من أجل أخذ الحيطة والاستعداد لما هو قادم، فالهدف الرئيس للدراسات المستقبلية لا يتعلق بعملية التنبؤ بالمستقبل كهدف محوري في حد ذاته، بل لرسم الصورة المثلى لمستقبل البلاد. ومن هنا تنبع أهمية علم المستقبلات من قدرته على تحويل الاستراتيجيات من الذاتية (تحليلات شخصية) إلى الموضوعية (قواعد مقننة). والدراسات الاستشرافية للمستقبل تساعد على منح مستقبل أفضل وذلك بفضل ما تؤمنه من منافع متعددة، من أهمها:

1- اكتشاف المشكلات قبل وقوعها والتهيؤ لمواجهتها، وقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها.

---

(1) حسام السعداوي، (المستقبلات الغربية. وزيف عالميتها المزعومة، 4-3-2005)، موقع التجديد العربي، <http://arabrenewal.net/index.php?rd=AI&AI0=7688>

- 2- استكشاف موارد الدولة وطاقاتها الكامنة، لتحويلها بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية.
- 3- تحديد الاختيارات الممكنة وترتيب عملية المفاضلة بينها.
- 4- وإذا سار الأمر على هذا النحو، فإن الدراسات المستقبلية تسهم في ترشيد عمليات التخطيط واتخاذ القرار من باين الأول: توفير قاعدة معلومات مستقبلية للمخطط وصانع القرار، حول البدائل الممكنة وتداعياتها عبر الزمن، ونتائجها عند نقطة زمنية محددة في المستقبل، والأخر: ترشيد ما يجب أن يسبق عملية اتخاذ القرارات بشأن الخطط والسياسات من خلال إجراء حوار وطني على مستوى النخب وعلى مستوى الجماهير بقصد تحديد القضايا وبيان الاختيارات الممكنة، وما ينطوي عليه كل اختيار من مزايا أو منافع ومن أعباء أو تضحيات<sup>(1)</sup>.

### الدول واهتمامها بالدراسات المستقبلية:

من أهم سمات عالم اليوم والغد تسارع معدلات التغيير، حيث أن التطورات العالمية تنتقص عملياً من قدرات الدولة الوطنية نتيجة لظاهرة العولمة، كما ظهرت منظمات أهلية متعددة للجنسيات مثل منظمات الدفاع عن البيئة، ومنظمات حقوق الإنسان... إلخ، وانفلاق أي مجتمع على نفسه أصبح مستحيلاً بل ومدمراً، ومن ثم أصبح من المتعين على الدولة القطرية حين تصوغ استراتيجية للتنمية أن تأخذ في حسابها التأثير المتبادل، والمتزايد بين الداخل والخارج<sup>(2)</sup>. ومن هنا نشأ مشروع حوار الحضارات بنزعتة المستقبلية، لبناء مستقبل أفضل للإنسانية، من أجل إيجاد مساحات مشتركة للقاء والتفاهم والتكامل بين مستقبلات المجموعات السكانية المختلفة، والعمل على التقريب بينها للخروج بمشهد "سيناريو" ينطوي على وحدة المصير الذي تواجهه البشرية.

وقد بات الاهتمام بالدراسات المستقبلية من الضرورات التي لا غنى عنها للدول والمجتمعات والمؤسسات، ولم تعد ترفاً تأخذ به تلك الدول أو تهجره، فالقرن الحادي والعشرون يحمل من عواصف التغيير ما يحمل البشرية على الاستعداد له، والأخذ بأسباب مواجهته، بجهد جماعي علمي يستشرف هذه التغيرات عبر أدوات الاستشراف المستقبلي وما تنذر به من تحديات، وما تنبئ

(1) علاء عبدالحفيظ محمد محمد، مستقبل القضية الفلسطينية.. ومتطلبات نجاح دولة فلسطينية، قضايا مستقبلية، ع7، فبراير 2008، ص2.

(2) إسماعيل صبري عبد الله، مصر 2020: دراسة مستقبلية، المنسق العام لمشروع مصر ٢٠٢٠ منتدى العالم الثالث - القاهرة.

عنه من فرص، ويشحذ الاستعداد على مواجهة القوى المضادة والعوامل غير المرغوبة والتأثير فيها والتعامل مع المتغيرات المتسارعة في كافة المجالات<sup>(1)</sup>.

وتتلور أهمية الدراسات المستقبلية في مجالات الحياة المختلفة، فيما يلي:

1- تحاول الدراسات المستقبلية أن ترسم خريطة كلية للمستقبل من خلال استقراء الاتجاهات الممتدة عبر الأجيال والاتجاهات المحتمل ظهورها في المستقبل والأحداث المفاجئة والقوى المحركة للأحداث

2- بلورة الخيارات الممكنة والمتاحة، وترشيد عمليات المفاضلة بينها، وذلك بإخضاع كل خيار منها للدراسة والفحص بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن<sup>(2)</sup> يسفر عنه من نتائج ويترتب على ذلك المساعدة على توفير قاعدة معرفية يمكن من خلالها تحديد الاختيارات المناسبة.

3- تساعد الدراسات المستقبلية على التخفيف من الأزمات عن طريق التنبؤ بها قبل وقوعها، والتهيؤ لمواجهتها، الأمر الذي يؤدي إلى السبق والمبادأة للتعامل مع المشكلات قبل أن تصير كوارث، وقد ثبت أن كثيراً من الأزمات كان يمكن بقدر قليل من التفكير والجهود الاستباقية احتواؤها ومنع حدوثها، أو على الأقل التقليل إلى أدنى حد ممكن من آثارها السلبية.

1- الدراسات المستقبلية، تؤمن سيناريوهات ابتكارية تزيد من كفاءة وفاعلية التخطيط الاستراتيجي، إن للأغراض العسكرية، أو للأغراض المدنية، وقد اتسمت الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين بازدهار التخطيط الاستراتيجي، باستخدام السيناريوهات، خاصة في الشركات العالمية الكبرى للطاقة<sup>(3)</sup>.

---

(1) هناك العديد من الدراسات العربية في مجال استشراف المستقبل مثل: استشراف المستقبل- أوراق المؤتمر العلمي التاسع لكلية الآداب والفنون، تحرير: صالح أبو أصبع، منشورات جامعة فيلادلفيا، ط 2005، ما بعد اللا منتجي، كولون ولسون: يوسف شرور، ط 6، دار الآداب، بيروت، لبنان، المدخل للدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، وليد عبدالحى، ط 1، 2002، المركز العلمي للدراسات السياسية، الأردن، المستقبلية، إدورد كورنيس: محمود فلاح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، مقدمة في الدراسات المستقبلية، ضياء الدين زاهر، ط 1، 2004م، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر: عبد المنعم حنفي، ط 1، 1964م، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، مصر، منصور، محمد إبراهيم، توطين الدراسات المستقبلية في الثقافة العربية: أهمية والصعوبات والشروط / تأليف محمد إبراهيم منصور. الإسكندرية، مصر: مكتبة الإسكندرية. وحدة الدراسات المستقبلية، 2016.

(2) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطينها عربياً، ص 40.

(3) الاستشراف المستقبلي: المشاكل والمناهج، ميشال جودي، وقيس الهمامي، الرقم 20، كراس ليبسور، باريس.

2- ان الاستشراف المستقبلي سيصبح أكثر أهمية مما هو عليه اليوم، حيث يجب أن نفكر في التأثيرات المعقدة لتحديات مستقبلية ذات طابع جماعي، من أمثلتها:

- التهديد النووي ببناء الحضارة الإنسانية ووقوع السلاح النووي في أيدي غير عاقلة أو رشيدة.
- التغيرات المناخية وما سيصاحبها من ظواهر الغرق والتصحر والجفاف وهجرات ديمغرافية وتحركات جغرافية...إلخ.
- تحديات الثورة البيولوجية ومخاطر التوظيف السياسي لخريطة الجينوم البشري من أجل التفوق العنصري لسلالات وجماعات بشرية معيّنة.
- إعادة صياغة الخرائط السياسية والجيوبوليتيكية على أسس أثنائية وعرقية وثقافية.
- انتقالات وهجرات بشرية واسعة باتجاه الشرق والشمال الشرقي.
- التغيرات الدراماتيكية في الهرم السكاني في أوروبا الغربية وتداعياته السياسية والاقتصادية<sup>(1)</sup>.
- تهديدات نقص الطاقة والمياه والغذاء.
- قبل أن ينتصف القرن سيكون بمقدور الإنسان أن يقيم أول مستوطنة بشرية في الكواكب الأخرى.
- تحديات السلطة العالمية الواحدة (حكومة عالمية، تنظيم دولي...إلخ).

3- ترشيد عمليات صنع القرار من خلال توفير مرجعيات مستقبلية لصانع القرار، واقتراح مجموعة متنوعة من الطرق الممكنة لحلّ المشكلات، وزيادة درجة حرية الاختيار وصياغة الأهداف، وابتكار الوسائل لبلوغها، وتوصيف درجة عدم اليقين المصاحبة لبعض القرارات المستقبلية، والتننبؤ بالآثار المستقبلية لها.

4- زيادة المشاركة الديمقراطية في صنع المستقبل وصياغة سيناريوهات، والتخطيط له، فالدراسات المستقبلية مجال مفتوح لتخصّصات متنوعة، وميدان لاستخدام الأساليب التشاركية وعمل الفريق والاستفادة من آراء الخبراء والمهتمين، ومن أبرز هذه الأساليب التي توسع مجال المشاركة الديمقراطية في إعداد الدراسات المستقبلية: جلسات العصف الذهني ولجنة الخبراء، ونموذج، سيغما، وورشة الاستشراف، واستبيان دلفي ودولاب المستقبلات، وغيرها من تقنيات العمل الجماعي<sup>(2)</sup>.

2007، ص 17.

(1) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطئها عربياً، ص 41.

(2) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطئها عربياً، ص 42.

## المبحث الثاني: منهجية استشراف المستقبل

المستقبل لغة: هو ما واجهك، فما تستقبله من أيام هو مستقبلك: لأنك تواجهه، ويُسمَّى كل ما يأتي من الزمان بالمستقبل<sup>(1)</sup>. وقد عرفت هذه الدراسات بعدة تعريفات تدور حول كونها محاولة للتنبؤ بما ستكون عليه حالة المجتمع الإنساني ومصير الإنسان فيه عن طريق دراسة الماضي والحاضر والظواهر والبدائل الممكنة. وعرفت بأنها: مجموعة من الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث، وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات، أو حركة مسارها<sup>(2)</sup>. وعرفت أيضاً بأنها: اجتهاد علمي منظم، يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة، والتي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع مجتمع، أو مجموعة من المجتمعات، وعبر فترة مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عامًا، وتنطلق من بعض الافتراضات حول الماضي والحاضر، ولاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع، ونوعية وحجم التغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما، حتى يتشكّل مستقبله على نحو معيّن منشود<sup>(3)</sup>.

ويجمع علماء الاستشراف من المدرسة الفرنسية على أن المدى في الدراسات الاستشرافية هو [10، 30 سنة]، فالدراسة التي مداها أقل من 10 سنوات هي أقرب للتنبؤ من الاستشراف، ولما يزيد المدى عن الـ 30 سنة، فإن المستشرَف يفقد السيطرة على متغيرات الدراسة مما يفقد الدراسة مصداقيتها؛ هذا بعكس المدرسة الأمريكية التي لا تضع حدوداً لمدى الاستشراف، فبعض الدراسات الاستشرافية قد يزيد مداها عن 70 سنة (مثل دراسة محافظ الخزانة الأمريكية "بول راين": في خطة القضاء على العجز في ميزانية الدولة في عام 2080 م)<sup>(4)</sup>.

---

(1) علي بن الحسن الهنائي، المنجد، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب 1988، ص 948.

(2) طارق عامر، الدراسات المستقبلية، دار اليازوري العلمية، 2008، ص 29، / و"من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية"، هاني بن عبد الله بن محمد الجبير؛ الناشر: مجلة البيان؛ كتاب 108 سنة النشر: 1429، ص 41.

(3) صور المستقبل العربي، ص 25.

(4) الاستشراف الاقتصادي من الاقتصاد الإسلامي (إعجاز اقتصادي في القرآن الكريم)، ص 8

## تسميات الدراسات المستقبلية

عبرت عدة كتابات عن إشكالية عدم الاتفاق على مصطلح واحد للتعبير عن الدراسات المستقبلية، من المستقبلية إلى علم المستقبل، إلى آخر ذلك من التسميات، وعزت ذلك إلى عدم الاتفاق على المصطلح الأجنبي، لاختلاف الرؤى والدلالات الكامنة خلف كل مصطلح. ولما كانت بداية هذه الدراسات غير عربية، فإنها تُرجمت بعدة ترجمات تحاول أن تأتي باللفظ المعبر عن المراد بدقة، مثل: (Futurology) وترجمتها علم المستقبل و(The Future Studying) وترجمتها: دراسة المستقبل، و(Futurism) وترجمتها المستقبلية. وقد انتقد بعض الباحثين ترجمة هذا الفن إلى الدراسات المستقبلية، وبين تعدد المصطلحات العربية الدالة على هذا المفهوم، كاستشراف المستقبل، والدراسات الارتياضية<sup>(1)</sup> وتشوف المستقبل، ورؤية المستقبل، وصنع المستقبل. ومهما يكن فإن تسمية هذا النوع من البحوث بالدراسات المستقبلية صار من أشهر الألقاب الدالة عليه، وانتشرت له عدة أسماء هي: علم المستقبل، الدراسات المستقبلية، استشراف المستقبل، المستقبلية<sup>(2)</sup>.

## أهداف الدراسات المستقبلية

إن الدراسات المستقبلية لها أهداف تحاول تحقيقها، يمكن اجمالها بالآتي:

- وضع تصوّر مستقبلي، يتعين مداه حسب المجال، ما بين (1-30 سنة)، يتم خلالها دراسة الغايات والأهداف والمصالح، ويتضمن أكبر قدر ممكن من التفاصيل وباستخدام النماذج والحسابات الرياضية.
- التعمق في التاريخ واستخلاص الدروس والعبر، ودراسة أهم التطورات الدولية والإقليمية، ذات التأثير الشامل في الدولة، وما تتيحه من فرص، وما تفرضه من قيود، استهدافاً لتحديد الصورة المستقبلية.
- الحاجة للتفكير الاستباقي واستدراك المشاكل قبل حدوثها، للحصول على المستقبل الذي نرغبه.
- تسهم في إعادة قراءة الرصيد التاريخي والحضاري قراءة جديدة، تكشف عن إمكاناته الحضارية.

(1) محمد بريش، مفهوم وموضوع مصطلح المستقبلية"، مجلة المستقبل العربي، ع 44.

(2) من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية"، ص 35.

- تلفت النظر إلى تحديات الحاضر وما به من مخاطر وتناقضات ومعوقات للفعل التنموي المتجدد.
- تثري وعي متخذ القرار بالتبعات والمترتبات على القرارات والسياسات العامة.
- تطور العمل العلمي وتزيد قدرته على المساهمة في تحديد متطلبات الحركة من أجل النهضة<sup>(1)</sup>.
- حفز الناس للتصرف بمسؤولية وبوعي في الوقت الحاضر؛ لأن أفعالهم ستشكل المستقبل المرغوب
- الإيمان بأهمية التخطيط، وافترض وجود خيارات عديدة للمستقبل (الممكن والمحتمل والمفضل).

### مبادئ الدراسات المستقبلية

هناك جملة من المبادئ والقواعد لا بُدَّ من مراعاتها؛ لتكون نتائج الدراسات المستقبلية مقبولة، أبرزها:

1. الشمول والنظرة الكلية للأمور، والنظر إلى الحوادث بصفاتها مترابطة وليست معزولة عن بعضها.
2. تفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة، والتعمُّق في فهم ما يُؤخِّد به الواقع من علاقات والرصد الجيِّد للماضي والحاضر باتجاهاته وتجاربه<sup>(2)</sup>، واستخلاص العبر منه.
3. الحيادية وعدم الانحياز والبُعد عن الهوى، والانطلاق من مسلمات وفرضيات مقبولة للجميع.
4. النظر إلى التغيير كسنة من سنن الحياة وأنها تتسارع بوتيرة عالية في الوقت الراهن.
5. التأكيد على أهمية الأفكار والقيم والرؤى الإيجابية لتشكيل مستقبل أفضل للعالم.
6. المزج بين الأساليب الكيفية والكمية في العمل المستقبلي، واستخدام النماذج الرياضية.

(1) عبد الباسط عبد المعطى، استشراف وصياغة مستقبل مصر عام ٢٠٢٥- التفكير في مستقبل مصر...تساؤلات- للحوار، مجلس الوزراء- مركز اتخاذ القرار- مركز الدراسات المستقبلية- 4-7 يونيو 2005.

(2) من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية"، ص 83.

7. عمل الفريق والإبداع الجماعي، والتعلم الذاتي، والتصحيح المتتابع للتحليلات<sup>(1)</sup>.
8. اعتماد سيناريوهات مختلفة، معدة سلفاً، لجميع الحالات الطارئة المحتملة، والتي تخزن للسماح باستخدامها من صانعي القرار، وفقاً لحجم الأزمة المستقبلية المحتملة.

## الموضوعات التي تهتم بها الدراسات المستقبلية

هناك العديد من الموضوعات التي يهتم بها المختصون بدراسات المستقبل، منها ما يتعلق بالقضايا المتعلقة بالأزمات العالمية، مثل: الانفجار السكاني العالمي، أزمة الغذاء والفقر العالميين، مصادر الطاقة، التلوث البيئي، التنمية المستدامة، التغير المناخي العالمي وغيرها من الأزمات والكوارث العالمية. ومنها ما يتعلق بالعلاقات الدولية، مثل: السلام العالمي، منظومة الأمم المتحدة وإدارة العالم، العلاقات بين الشمال والجنوب، الأزمة الاقتصادية العالمية، الاتجاهات السياسية والاقتصادية العالمية، التشرذم المجتمعي، ومنها ما يتعلق بالهيكلة المجتمعية وأثر التقنيات الجديدة فيها مثل: التقنيات المتقدمة كالحاسبات، والاتصال، والإنترنت، والجينات، واستكشاف الفضاء، واتجاهات التعليم والتعلم، وتغيير أنماط الثقافة، وهكذا فإن الدراسات المستقبلية تركز أساساً على الأوضاع المتوقعة للحياة البشرية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ولا تتناول الطبيعة إلا بقدر ما تمثل بيئة أو وسطاً يتعامل معه الإنسان ويسعى إلى التحكم فيه<sup>(2)</sup>.

## شكوك حول علوم المستقبل

ما زالت الشكوك قائمةً في مدى أخلاقية هذا العلم، ويستند هذا التشكيك إلى وظائفه الموضوعية تحت تصرف الدول والشركات الكبيرة، فقد نشأت الدراسات المستقبلية الغربية لدواعٍ استراتيجية وفي أحضان المؤسسات العسكرية والشركات المتعددة الجنسية، وارتبطت أغلب الدراسات بتلك المؤسسات والشركات بحيث ظلنا تحتكران ثلثي الدراسات المستقبلية، ويكفي أن نعلم إن أكثر من 66% من العلماء العاملين في ميدان البحث العلمي ينشطون في

---

(1) رابع عبد الناصر جندي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ع1، لسنة "2017" من مجلة العلوم السياسية والقانون. إحدى إصدارات المركز الديمقراطي العربي - جامعة باتنة الجزائر.

(2) فؤاد زكريا، العقل العربي والتوجيه المستقبلي، مجلة «الحدأة» اللبنانية الفصلية، تصدر عن دار الحياة، الاثنين، 25 مايو 2009

مجال الأسلحة، أي الميدان السلبي للحضارة"<sup>(1)</sup>. يضاف إلى ذلك أن بعض المستقبلين يقوم بتصدير الحاضر إلى المستقبل. فكما يكتب المنتصر التاريخ يبدو أن هناك نزعة معاصرة لصياغة المستقبل وتقديمه في أطروحات يزعم أنها علمية، وتحاول القفز عن مواجهة قضايا الحاضر إلى مستقبل بعيد نسبياً بقوة دافعة زائفة قوامها التفاؤل الساذج، وبالنتيجة التضليل. وهنا تستخدم الرؤى المستقبلية في الخداع وتحويل الأنظار عن التحديات الحقيقية التي تواجه البشرية، ولكن الخطورة الأكبر تكمن في توظيف الرؤى المستقبلية المشؤومة لخدمة السياسة، فكما يوظف التاريخ للسياسة يجري توظيف المستقبل لها!! وقد أكد ألفين توفلر في "خرائط المستقبل" أن الدراسات المستقبلية كانت وراءها بواعث براغماتية<sup>(2)</sup>.

وقد شهد العقد الأخير صعود طروحات "نهاية التاريخ"، و"تحول السلطة"، و "صدام الحضارات" وغيرها من الطروحات المستقبلية التي لاقت رواجاً كبيراً ولكنها سرعان ما سقطت وتم سحجها من التداول، بالرغم من شهرتها وشعبيتها. وهذا دفع بعض المختصين إلى القول بأن المستقبلية لا زالت تحبو في خطواتها الأولى المتعثرة؛ لأن أغلب الطروحات المستقبلية لم تثبت بعد جدارة أي منها في القيام بدور المرجعية النظرية الداعمة للاستراتيجيات، و واجهت الدراسات المستقبلية مجموعة من العراقيل أمام تطورها، يمكن تلخيصها في محورين:

**المحور المنهجي:** إلى جانب التعقيدات الفنية، واجهت هذه الدراسات نوعاً من الاستهجان عند إطلاق صفة العلم عليها، فمع الإقرار بأهمية البحث المستقبلي لصناعة القرار، إلا أن البعض ينكر صفة العلم على غير الموجود، فالمستقبل ليس موجوداً بعد، فكيف نبحث فيه ثم نطلق على بحثنا صفة العلم<sup>(3)</sup>.

**المحور المجتمعي:** ما زال المفهوم الدهري للزمن هو الأكثر انتشاراً في مجتمعات العالم الثالث، مما يضيف صفة قدرية على المستقبل، مما يجعل البيئة الثقافية أقل استعداداً لقبول هذه الدراسات<sup>(4)</sup>.

---

(1) عبدالرحمن الجبران، الدراسات المستقبلية والتنمية ومكافحة الفساد، صحيفة الوطن الكويتية 2014/12/1

<http://alwatan.kuwait.tt/article/details.aspx?id=403846&yearquarter=20144>

(2) ألفين توفلر، خرائط المستقبل، تر: أسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1986، ص 227.

(3) حسام السعداوي، المستقبلات الغربية وزيف عالميتها المزعومة، 2005/3/4، موقع التجديد العربي:

<http://arabrenewal.info/>

(4) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 21.

## التعقيد في الدراسات الدولية (عصر السياسة ما بعد الدولية)

أصبح حقل العلاقات الدولية مسرحاً لنقاشات وجدالات واسعة تهم تقييم الوضعية الراهنة وفهم التأثيرات المختلفة للظواهر الدولية، وشيئاً فشيئاً بدأت المدارس الفكرية الكبرى للعلاقات الدولية (الواقعية، والواقعية الجديدة، والمثالية، السلوكية) تفقد تماسكها وراحتها، فالبيئة والظروف التي أنشئت فيها هذه النماذج النظرية تغيرت بشكل جذري. ويلاحظ جيمس روزنو أننا دخلنا عصر السياسة ما بعد الدولية، والواقع العالمي أصبح ثنائي الأبعاد، ولذا فإن أن تحليل العلاقات الدولية ينبغي أن يتجاوز الارتباط التقليدي بمفاهيم: "السيادة والقوة والدولة والصراع"، من خلال دراسة تفاعل الفاعلين وحركتهم وموضعهم في هياكل السلطة على كافة المستويات، والتغير المهم والأكبر الذي طرأ على الساحة الدولية يكمن في ظاهرة التعقيد حيث يتعايش العالم الدولاتي، مع العالم المتعدد المراكز، ولهذا ينبغي إعادة النظر في تحليل تفاعل النظم الدولية<sup>(1)</sup>، كما أن العولمة أصبحت تشكل ظاهرة معقدة تتقاطع داخلها العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

وفي محاولة لتحليل العلاقات الدولية من خلال مختلف الرؤى والمناهج التي تحملها النظريات الدولية، يوضح بهجت قرني أن مسألة التعقيد بمجال دراسة العلاقات الدولية، تجعل الشروع في أبحاث تجمع بين تخصصات معرفية متعددة أمراً ضرورياً. وانطلاقاً من دراسة ماكرو تحليله يوضح الجغرافي أوليفيه دولفس أنه ينبغي اليوم فهم العالم كنظام يحمل تعقيداً عميقاً، حيث عدم إمكانية التنبؤ مرتبطة ببنية ديناميكية فوضوية، فالعالم هو مجموع الشعوب والمجتمعات الإنسانية بفضاءاتها المختلفة (ثقافية، وأيديولوجية، .. الخ)، وهو نسق مكون من عدد جداً مرتفع من الأنسقة الباطنية الجزئية، وكل منها يشكل وحدة تتفاعل مع غيرها، ومجموع الأنسقة يحمل كل منها منطقاً وطبيعة مختلفة، وبعضها يتطور بعيداً عن أي توازن، ولكل هذا فإن العالم في حالة فوضى<sup>(2)</sup>. ومن هنا لا بد من مراعاة التعقد أي تفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة، والتعمق في فهم ما يزرخ به الواقع من علاقات وتشابكات ولا يقين. وهو ما يتطلب النظر إلى الظاهرة في مجملها من خلال منهج عابر

---

(1) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 29.

(2) مستقبل العلاقات الدولية في الصراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، ص 291.

للتخصصات، حيث لا يجدي "التفكيك"، حتى لو تضمن ذلك اللجوء إلى حقول معرفية متعددة<sup>(1)</sup>.

ورغم كل هذه الصعوبات التي تواجه الدراسات المستقبلية فإنها تثبت قدرتها بشكل مستمر وتحسن من أدائها، فالنتيوات الجوية لم تبدأ يقينية، ولكنها الآن أصبحت تصل إلى درجة عالية من الدقة بفضل التطور التكنولوجي، وبالتالي فإن الدراسات المستقبلية في المجال الاجتماعي قد ترقى إلى مستوى أفضل من خلال إثراء أدواتها عبر الجهود المختلفة والمنظمة<sup>(2)</sup>، فهناك دائماً اتجاهات في الحاضر تحمل معها آثاراً مستقبلية أكثر من غيرها، والبحث فيها هو بالتحديد ما ينبغي أن يكون مهمة هذا الفرع من فروع المعرفة، وكذلك البحث في المشاهد (السيناريوهات) المحتملة في المستقبل والشروط التي يمكن أن تمهد لتكوينها، والنتائج التي قد تسفر عنها والمقارنة فيما بينها، وليس من المعقول الجزم بتحقق مشهد واحد بعينه مستقبلاً، ومن هنا يجب أن يستند مجال الدراسات المستقبلية على مفهومين أساسيين: الأول: يتعلق بالاتجاهات الجارية، والثاني: يتعلق بالمشاهد المحتملة، ويجب أن تطرح الخيارات (المشاهد المحتملة) وفق منطق المفاضلة بين المشاهد المختلفة، ثم كيفية تحقيق المشهد الأمثل والشروط اللازم توفرها لتحقيقه واستجلاء العوائق لمعالجتها. ووفق هذا المنطق تكون الإرادة عنصر حيوي، تترجم إلى سعي متواصل لتحقيق شروط المستقبل الأفضل<sup>(3)</sup>.

### حاجة الدول النامية إلى استشراف المستقبل

إن احتياج الدول النامية إلى الدراسات المستقبلية لا يقل عن احتياج الدول المتقدمة لها ويمكن للأسباب التالية:

1- طبيعة عملية التنمية ونشاط التخطيط لها: عملية التنمية ذات بعد زمني طويل، وكثيراً ما عانت الدول النامية مشكلات إهمال المدى الطويل عند التخطيط للتنمية، والتركيز على المدى الأقصر واستعجال ظهور النتائج؛ لأن التخطيط طويل المدى يستلزم تكوين قاعدة معرفية جيدة من خلال الدراسات المستقبلية.

---

(1) إشكالية التعليم في العالم العربي، والإسلام، عبد المنعم محمد حسين حسانين، دار ناشري، للنشر الإلكتروني، 2015، ص 179.

(2) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 22.

(3) المستقبلية الغربية وزيف عالميتها المزعومة، د.حسام السعداوي

2-عدم التكافؤ في هيكل القوى العالمية: أن التفاوت الصارخ في الثروة ومستوى المعيشة والنفوذ بين الدول النامية والمتقدمة، يتيح فرص واسعة أمام القوى الكبرى للتحكم في مقادير الدول النامية ومستقبلها، وبالذات الدول ذات الموقع الاستراتيجي، إذ تتطلع القوى الكبرى للاحتفاظ بهذه الدول في حظيرتها، وتسعى إلى توفيق أوضاعها بما يتلاءم مع مصالحها، بعبارة أخرى تسعى لصنع المستقبل لهذه الدول<sup>(1)</sup>.

3-الدراسات المستقبلية ضرورية للدول النامية: لما تحتاج إليه التنمية من تعبئة ذهنية ونفسية وشحن للهمم وإعادة اكتساب للثقة بالنفس، بما تنطوي عليه من إعادة بحث للماضي والحاضر، وتفهم للقوى الدافعة للتنمية، وتحديد لنقاط الاختناق والقيود على الحركة، وبيان الخيارات المتاحة. والدراسات المستقبلية وسيلة مهمة لتعبئة وتنشيط طاقات الأمة وزرع الأمل في إمكانية الخلاص من التخلف وتحفيز الفعل تجاه التنمية الشاملة<sup>(2)</sup>.

---

(1) إن المشروعات المطروحة من القوى الكبرى كمشروع الشراكة مع أوروبا، ومشروع الشرق أوسطية وغيرها، ليست سوى مشروعات لتغيير خريطة المنطقة العربية التي نعيش فيها، ومحاولات لصنع مستقبل جديد على هوى قوى أجنبية لها مآربها الخاصة، ومن هنا تظهر أهمية أن يبادر العرب باتخاذ قرارات الآن للتأثير في صورة مستقبلنا وتوجيه الوجهة التي نريدها، قبل أن يتمكن الآخرون من إعادة تشكيل مستقبلنا على هواهم، وهو ما يستوجب التسلح بدراسات مستقبلية جادة.

(2) إبراهيم العيسوي، الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020-، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

## المبحث الثالث: مناهج الدراسات المستقبلية

يُميّز الباحثون في مجال الدراسات المستقبلية بين ثلاث صور من المستقبل: مستقبل مُتَوَقَّع، ومستقبل ممكن، ومستقبل مرغوب فيه، والدراسات المستقبلية تنقسم إلى:

- دراسات استكشافية أو استطلاعية: تهدف إلى محاولة معرفة صورة المستقبل المتوقع والمستقبل الممكن، وهو يُمثِّل البدائل التي يمكن حصولها في المستقبل في حال تدخل معين.
- دراسات استهدافية أو معيارية: تهدف إلى بيان المصير الذي تأمل الأمة أن تصبح إليه بعد إحداث تغيُّرات في ظروف الواقع ومعطياته<sup>(1)</sup>. وهناك تقسيم آخر يقسمها إلى:

1- الدراسات المستقبلية التشارؤية: تركز على مشكلات العالم الراهنة، والتي لا يوجد لها حلول شافية، مثل: الأخطار النووية، والانفجار السكاني، والجوع والتلوث، والمحافظة على البيئة، وتنبأ باتجاهاتها المستقبلية.

2- الدراسات التفاضلية: تناول الصور الإيجابية والمستقبل المرغوب الذي نريد أن نشكله، وتركز على القيم الإيجابية التي نريد أن يتأسس عليها العالم في المستقبل.

### تقنيات الدراسة المستقبلية

أن التنبؤ المستقبلي لظاهرة معينة في نطاق العلاقات الدولية، يستوجب استخدام إطار نظري قد يرقى لدرجة النظرية، ثم وضع الظاهرة في إطار نموذج معين يتناسبها، وأخيراً استخدام تقنيات التحليل المستقبلي لمعالجة الظواهر الجزئية، ورسم ملامح حركاتها المستقبلية، ويمكن أن نقسم التنبؤ إلى ثلاثة أنماط: أولها: التنبؤ بالمتغيرات الخارجية بالقياس الرياضي لحجم المتغيرات التي قد تصيب النظام الذي نتنبأ به، مثل التغيير في أسعار المواد الخام، وثانها: التنبؤ بالمتغيرات الداخلية، وكيفية عمل النظام في حالة مواجهته لمتغيرات خارجية أو داخلية وأخيراً الأمثلة، وتسعى لمعرفة الحالة المثلي التي يؤدي فيها النظام عمله لتحديد أفضل الحلول<sup>(2)</sup>.

(1) أدميرزكيتش البوسنوي، الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، موقع الخطباء-

[https://khubaa.com/media\\_observer/2089321431/03/22](https://khubaa.com/media_observer/2089321431/03/22)

(2) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 90.

وهناك تقنيات عديدة تستخدم في الدراسات المستقبلية مثل: طرق السلاسل الزمنية، طرق الإسقاطات السكانية، والنماذج السببية، وتقنية الألعاب أو المباريات، والطرق التشاركية، وطرق التنبؤ من خلال التناظر والإسقاط، وطرق تتبع الظواهر وتحليل المضمون، وطرق تحليل آراء ذوي الشأن "طريقة دلفي"، والخيال العلمي، وأخيراً السيناريوهات، وتتعدد بدائل المستقبل وفقاً لتعدد الرؤى، وثقافات الباحثين والأهداف المنوط تحقيقها، والمعلومات المتاحة عن الماضي والحاضر والمستقبل، والنهج المتبع في مقارنة المستقبل، والأدوات والطرق والفنون الموظفة في مقارنة المستقبل، وأخيراً عمق الحوار حول المستقبل وتفاعلات المتحاورين حوله، ولعل من أبرز العوامل المحددة لهذا المستقبل هو الإرادة السياسية لبلوغ الأهداف والغايات الموضوعية له، وهو ما يعني عدم قصر قضية الاهتمام بالمستقبل عند مرحلة الاستهداف، بل تذليل سبل بلوغها واختيار أنسب المسارات لذلك<sup>(1)</sup>.

### منهج السيناريوهات الاستشرافية

ثمة ثلاثة مداخل (مناهج) رئيسية لمقاربة واستشراف المستقبل، أو للإعداد لمواجهة هذا المستقبل بما يحقق أهداف المجتمع، ويمكن تمثيل هذه المداخل (المناهج) في التالي:

### منهج التخطيط الاستراتيجي والتخطيط طويل الأجل

أن التخطيط هو التحكم في المستقبل أو هو تصميم المستقبل المؤمل وتطوير الخطوات الفعّالة لتحقيقه<sup>(2)</sup>. والتخطيط هو اتخاذ القرار المتكامل، فالعلاقة بين التخطيط وعلم المستقبلات تنبع من الحاجة إلى التفكير الشامل أو الكلي، ونتيجة لتعدد المشاكل وكبر المجتمعات، دخلت مسألة التفكير الاستباقية، قبل حدوث المشكلة والعمل على المستقبل الذي يريدونه. والمدخل التخطيطي في الأساس منهج استهدافي، يضع أهدافاً للمستقبل وبرنامجاً مدعوماً بحزم متسقة من السياسات الاجتماعية والاقتصادية، وموزعاً حسب الأولويات المطلقة والزمنية، ومحددًا باليات لتحقيقه ولمتابعة مدى النجاح في بلوغ الأهداف الموضوعية وتصحيح الاختلالات، ومن هنا فالمدخل التخطيطي يمثل مدخلاً متحكماً فيه بما لا يدع مجالاً للصدفة<sup>(3)</sup>.

---

(1) استشراف وصياغة مستقبل مصر عام ٢٠٢٥، ورقة أولية، سعد حافظ، ملحق (10)، مجلس الوزراء- مركز اتخاذ القرار، مركز الدراسات المستقبلية- 4-7 يونيو 2005، ص33.

(2) جيمس آر. شيرمان، التخطيط أوّل خطوات النجاح"، تر: محمد طه علي، إبراهيم بن حمد القعيد سلسلة: التطوير الإداري، ط1، 2010، دار المعرفة للتنمية البشرية. مؤسسة الريان ص13

(3) استشراف وصياغة مستقبل مصر عام 2025، ص33.

## منهج القضايا المحددة

يستند منهج القضايا المحددة إلى استنتاج أهم المسائل المعلقة في الوضع الراهن، وذات التأثير على حركة المستقبل سلبيًا أو إيجابيًا، ومن ثم فبدلاً من توزيع الجهد والطاقات والإمكانيات الفنية المحددة على مساحة واسعة من القضايا المتشابكة - ذات بعد الشمول والتكامل- يجري تركيز الجهد على عدد منتقى من المشكلات الحاكمة لحركة الحاضر في توجهه نحو المستقبل، والأكثر حرجًا في المواجهة مثل بعض القضايا الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية، وما إليها<sup>(1)</sup>.

## منهج السيناريوهات الاستشرافية

السيناريو هو أحد أهم الأساليب المستخدمة في الدراسات المستقبلية، كوسيلة للتخطيط الاستراتيجي الذي تستخدمه بعض المنظمات لإعطاء مرونة لخطط طويلة الأمد، وهو في أصله لفظة إيطالية مشتقة من كلمة (Scena) بمعنى النظر، شاع استخدامها في أوروبا في مجال الأعمال الفنية وانتقلت بعدئذ إلى باقي دول العالم، وظلت تتداول حتى ظهور علوم المستقبل في القرن العشرين، ويعتبر السيناريو من الأساليب الحديثة التي تتنوع أهميتها حيث يستخدم كأسلوب للتفكير، ويحاول تفادي المخاطر الناتجة عن التنبؤ المستقبلي، وكذلك كأسلوب لتنمية النشاط الذهني والنظري أكثر من صورة وحيدة للمستقبل.

والسيناريو هو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض، أي أنه عبارته عن موجز أو خطة لسلسلة من الأحداث والإجراءات الممكنة التنبؤ بها، أو هو قصة منهجية للبدائل المستقبلية المحتملة<sup>(2)</sup>. والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، فهذا هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي، فالسيناريوهات تصف إمكانات بديلة للمستقبل، وتقدم عرضاً للاختيارات المتاحة أمام الفعل الإنساني، مع بيان نتائجها المتوقعة بحلوها ومرها. وقد كان هيرمان هو أول ما أشار إلى استخدام السيناريو في التخطيط عندما كان في مؤسسة Rand، وقد أُستخدم مصطلح السيناريو للربط بين الدراسات الاستراتيجية والشؤون العسكرية، وفي نهاية الستينات تطور

(1) استشراف وصياغة مستقبل مصر عام 2025، ص 33

(2) إبراهيم العيسوي، السيناريوهات، أوراق مصر 2020 القاهرة، منتدى العالم الثالث، يوليو 1998

استخدام السيناريو على يد وينو، وفي نهاية السبعينات مع انتشار الصناعات النفطية تزايدت أهمية السيناريوهات في التخطيط<sup>(1)</sup>.

ويتميز نهج السيناريوهات على المناهج الأخرى في أنه يولي عملية استكشاف المستقبل واتجاهات تغيره اهتمامًا كبيرًا، مما يساعد على رسم الاستراتيجيات والخطط ذاتها، فضلاً عن أنه يخضع دراسة المستقبل لشروط وقيود التغيرات، وقد يصلح هذا النهج لاستكشاف المسارات المحتملة لحركة المستقبل وآليات وفقاً لها، وفي ضوء بدائل السيناريوهات يمكن توفير خوط الرجعة للسيناريوهات البديلة، بحيث يمكن مواجهة التغيرات غير المحتملة كالكوارث الطبيعية وتغيرات البيئة الدولية التي نزمع القيام بعملية التغيير في المستقبل في إطارها<sup>(2)</sup>.

### أهمية وضع السيناريو

1- السيناريو أحد الأساليب العلمية المدنية الحديثة المستخدمة في عملية التخطيط للمستقبل، لأنه يدرس ظاهرة التطور والنمو في الحوادث في الماضي والحاضر والمستقبل ويجنبنا المفاجآت.

2- السيناريوهات تعتبر مناسبة لاستطلاع الآفاق المستقبلية لمجتمع ما، وكذا للتأمل في واقعه، وتتيح للمجتمع أن يعرض نفسه ويتعمق في فهم تاريخه ويستخلص منه الدروس والعبر.

3- السيناريو عمل إيضاحي في المقام الأول فمن خلاله يمكن أن نميز بين ما هو موضوعي وحتمي وما هو ذاتي وإرادي في تحديد ملامح المستقبل.

4- السيناريو عمل توجيهي يرشد صانع القرار لنوع التغيير الممكن إحداثه، وهل هو جذري أو تطوري، ويجعل التنمية المستقبلية عملاً تعاونياً بحيث لا يكون السيناريو من صنع فئة معين.

5- إن الصياغة الأمينة لسيناريوهات يمكن أن تحدث، تمكنا من تحدى الخرائط الذهنية التي اعتدنا على وجودها، وتدرينا على كيفية صياغة السيناريو بتحرر من الافتراضات المسبقة، وتمكنا من ملاحظة علامات ومحطات التغير والتغيير<sup>(3)</sup>.

(1) الموسوعة الحرة (وكيبديا)، سيناريو (تخطيط)

(2) استشراف وصياغة مستقبل مصر عام 2025 ورقة أولية، ص 33

(3) حسن محمد وجيه، سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة، النهضة مصر-

## خصائص السيناريوهات الجيدة

- 1- قدرة على استكشاف الآثار المحتملة للخيارات والسياسات، لدعم اتخاذ القرار المستقبلي.
- 2- واضحة ومتميزة عن بعضها البعض، ومتناسقة لتوسيع نطاق الفرص والخيارات المتاحة.
- 3- سهلة الفهم حتى يمكن تعديلها وترتيب الأولويات وتسهيل المقارنات واستخلاص النتائج.
- 4- لا تكون خياليه، بل واقعيه وممكنة الحدوث في مسارها من الوضع الابتدائي حتى الوضع المستقبلي.
- 5- قدره على تحديد النقاط الحرجة في المسار، التي قد تؤدي إلى انحرافه عن اتجاهه المقرر.
- 6- ينبغي أن توفر مجموعة واسعة من الخيارات المستقبلية، وتحليلها من خلال تفكير متفتح، ويجب أن يكون عدد السيناريوهات من اثنين إلى أربعة، على أن يكون بينها قدر واضح من الاختلاف؛ بما يسمح بإطلاق طاقات الخيال والإبداع للمتلقي.
- 7- كتابة السيناريو تتطلب إبداع وخيال فكري عميق، يستند على منهج علمي دقيق للحصول على الحقائق.
- 8- يقوم السيناريو على تحقيق أهداف وطنية سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، وتتم صياغته بسرية كبيرة في بيانات يستخدمها المتخصصين في المجالات المختلفة المتعلقة.

## أنماط السيناريوهات

يمكن تقسيم السيناريوهات إلى أنماط مختلفة:

- 1- النمط الحدسي: هو استشراف يتسم بالذاتية، أي أنه لا يستند إلى قاعدة موضوعية من البيانات والإحصاءات بل ينبثق من رؤية شخصية تعكس ذاتية الباحث وخبراته المتراكمة، وحسه بالأشياء والأحداث. والحدس هنا ليس إلهاماً؛ وإنما تقدير يراه الباحث ملائماً لبعض الحالات المستقبلية.
- 2- النمط الاستطلاعي أو الاستكشافي: وهو ذلك الاستشراف الذي يبدأ بالوضع الراهن مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات التاريخية ذات الصلة، ثم نقوم بعد ذلك بمحاولة التعرف على البدائل المستقبلية لاختيار ما نريد أن نقوم بتفعيله وتوجيه التفاعلات نحوه. وهذا النمط يستشرف المستقبل المحتمل، أو الممكن تحقيقه، من خلال نموذج واضح للعلاقات والتشابكات.

3-النمط الاستهدافي المعياري: يبدأ الاستشراف الاستهدافي برسم صورة المستقبل المستهدف تحقيقه، ثم نقوم باتخاذ القرارات الخاصة بتنفيذ الهدف، وهذا النمط يحتاج إلى عناية كبيرة بمفاهيم وبعد الإرادة البشرية، التي تصيغ الأحداث وتدفع إلى توجيهها إلى اتجاه تندخل فيه طبقاً لإرادتنا<sup>(1)</sup>. ويستند هذا النمط إلى فكرة واحدة هي: ما هو المطلوب مستقبلاً؟ والعاملين في نطاق الدراسات السياسية والاقتصادية هم الأكثر انشغالاً بهذا النمط، أما أهم الأسس المنهجية المستخدمة في هذا النمط فهي نظريات المباراة وسبل تسوية الصراعات<sup>(2)</sup>. ويتم بناء الدراسة التنبؤية المعيارية على أساس الخطوات التالية:

• تقسيم الأهداف: يمكن وضع سلم للأهداف على أساس درجة الإمكانية لتحقيقها، فهناك أهداف ممكنة: أي تتوفر لدينا أدوات إنجازها والقدرة على التحكم في مسارها، وهناك أهداف محتملة: وهي أقل إمكانية من السابقة، وهناك أهداف مفضلة: وهي الأهداف الأفضل ولكن الأقل إمكانية قياساً لغيرها في التحقيق.

• التعرف على الظاهرة وعلى أدوات تحقق الغايات أو الأهداف، التي يمكن التلاعب بمعطيات الظاهرة ثم دفعها في مسار يحقق الهدف بواسطة ما يسمى بشجرة الترابط أو شجرة القرار<sup>(3)</sup>.

4-نمط أو نموذج الأنساق الكاملة: هذا النمط يعني التوفيق بين النمطين الرئيسيين، وهما الاستطلاع والاستهداف والجمع بين مزايا كل منهما، وهو يستلزم تجميع أكبر قدر من المعلومات وحساب ودراسة تداخل النصوص وسياقاتها ذات المستويات المتعددة<sup>(4)</sup>. ويركز هذا النمط في مجمل المتغيرات في إطار موحد، يجمع بين النمطين السابقين، في شكل تغذية عكسية، تعتمد على التفاعل المتبادل بينهما فلا يهمل الماضي الظاهر، ولا يتجاهل الأسباب الموضوعية التي سوف تفرض نفسها لتغيير مسارات المستقبل، ويجمع بين البحوث الاستطلاعية التي تستند إلى البيانات، والبحوث المعيارية التي تُؤلي أهمية خاصة للقدرة الإبداعية والاستبصار

(1) سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة، ص 133-135

(2) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 84.

(3) المصدر نفسه، ص 85.

(4) سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة، ص 133-135.

## أنواع السيناريوهات

حدد العالم "سلافتر" أربعة أنواع من السيناريوهات، هي:

- 1- السيناريو المرجعي أو سيناريو استمرار الوضع القائم.
- 2- سيناريو الانهيار: وهو يمثل عجز النسق عن الاستمرار، أو فقدان قدرته على النمو الذاتي، أو بلوغ تناقضات النظام حدًا، يفجره من داخله.
- 3- سيناريو العصر الذهبي الغابر أو السيناريو السلفي أو سيناريو الحالة المستقرة: وهو مبني على العودة إلى فترة زمنية سابقة، يفترض أنها تمثل الحياة المستقرة.
- 4- سيناريو التحول الجوهري: وهو ينطوي على حدوث نقلة نوعية في حياة المجتمع، سواء كانت اقتصادية، أو تكنولوجية أو سياسية أو اجتماعية.

أما العالم "جوديه"، فقد حدد أنواع السيناريوهات بثلاثة، هي:

- 1- سيناريو مرجعي: يعبر عن الوضع الأكثر احتمالاً لتطور الظاهرة محل البحث.
- 2- سيناريو متفائل: يعبر عن الأمل في مسار تطور الظاهرة.
- 3- سيناريو متشائم: يعبر عن النقيض للسيناريو الثاني في حالة عدم توافق الظروف، والاتجاه بالحال إلى كارثة، أو موقف صعب<sup>(1)</sup>.

## أهداف السيناريو

على الرغم من تباين الرؤى بين المشتغلين بالدراسات المستقبلية، إلا أنهم يُجمعون على أن الأهداف والفوائد التي تسعى السيناريوهات المستقبلية إلى تحقيقها، تتحدد بالآتي:

---

(1) فيما يعلق بالسيناريوهات: انظر المصادر التالية: د. خير الدين حسيب (مشرف) مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988. محمود مراد (محرر)، نحو مشروع حضاري عربي، القاهرة، وكالة الأهرام، ط1 نوفمبر 1994. د. محمود عبد الفضيل، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية، المستقبل العربي، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية العدد 179، يناير، 1994. د. محمد سعد أبو عامود، العرب ومرحلة ما بعد التسوية، مستقبل العالم الإسلامي، مالطة، مركز دراسات العالم الإسلامي العدد 15، ربيع 1995، ص 190: ص 222.

1. عرض الاحتمالات والإمكانات والخيارات البديلة التي تنطوي عليها التطورات المستقبلية.

2. عرض النتائج المترتبة على الخيارات المختلفة في السيناريو، وتركيز انتباه متخذي القرار في الفاعلين الرئيسيين واستراتيجياتهم، وفي العمليات أو العلاقات السببية والنقاط الحرجة.

3. تمكين الجماهير من التفكير في كل الأمور المتعلقة بالمستقبل ومناقشتها.

4. التوصل إلى توصيات في شأن الخيارات والقرارات، التي ينبغي اتخاذها من الآن، للوصول إلى الوضع المستقبلي المرغوب فيه، بعد فترة زمنية محددة<sup>(1)</sup>.

### بناء السيناريو المستقبلي

السيناريو المستقبلي لا يأتي من فراغ؛ ولكن يعتمد أساساً على منظومة معلومات هائلة مبرمجة ومخزنة وتجدد باستمرار طبقاً للمتغيرات في جميع النواحي<sup>(2)</sup>، وهناك ثلاث طرائق متعارف عليها لبناء السيناريوهات، هي:

1. الطريقة الحدسية (اللانظامية): قوامها الحدس، والتخيل باستخدام مجموعة الشروط الابتدائية وصولاً إلى تصور الوضع المستقبلي النهائي. وهي عملية إبداعية، ولكنها غير شائعة الاستخدام، ويفضل عليها الطرق التي تعتمد على الحسابات الرياضية والنماذج إلى جانب التصور الحدسي.

2. الطريقة النظامية (النموجية): تعتمد على الطرائق الحسابية الكمية بعامة، وعلى النماذج بخاصة، فيمكنها التعامل مع عدد كبير من المتغيرات وتنسيق سلوكها، وحساب نتائج الخيارات المختلفة. ويعيب هذه الطريقة أنها تُعدّ آلية بحتة، فلا بدّ لها من مجموعة الشروط الابتدائية للسيناريو وعوامل الحدس والتخيل إلى جانب المعلومات والوقائع النظرية حتى يستكمل بناء السيناريو "كمّاً وكيفاً".

---

(1)السيناريو غير الفني- موقع مقاتل من الصحراء.

[http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senarion2/sec02.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senarion2/sec02.doc_cvt.htm)

(2) سيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، انظر: سجل العرب"، القاهرة، 1982، ط1/ "الدراسات المستقبلية، الإشكاليات والأفاق"، عواطف عبدالرحمن، مجلة عالم الفكر، مج8، ع الرابع، 1988

3. الطريقة التفاعلية (التفاعل بين الحدسية والنمذجية): وهي تجمع بين مميزات الطريقتين السابقتين باستخدام أسلوب المحاكاة، للحصول على سيناريوهات جيدة، وهي الأكثر استخداماً الآن وتتميز بالآتي:

- أ. الجمع ما بين أساليب مختلفة، في القياس والتنبؤ والبحث المستقبلي.
- ب. خاصية التفاعل بين القائمين ببناء السيناريوهات وبين أطراف أخرى تقدم الخبرة والاستشارات.
- ج. زيادة احتمالات الإنجاز السريع لأهداف المشروع وتفادي التورط في دراسات ونقاشات طويلة.

### خطوات بناء السيناريو

إن بناء السيناريو عملية خلاقية تعتمد على توجيهات عامة، ولا يوجد نموذج ثابت يمكن أن يُحتذى به خلال عملية تحضير السيناريو، وبالتالي هناك حاجة إلى مجموعة واسعة من المعرفة والخيال وتتم عبر عدة مراحل.

1- وصف الوضع الحالي والاتجاهات العامة (الوضع الابتدائي الراهن): في هذه المرحلة تستعرض العناصر الرئيسية للوضع الحالي وتوضح نقاط القوة والضعف وتحدد الاتجاهات السائدة، والناشئة أو التغييرات التي تنبئ عن تحولات كبيرة في المستقبل، ومن ثم استخلاص المواضيع والمشكلات الرئيسية التي هي بحاجة إلى إجابة عند كتابة السيناريو، وتنقسم هذه المتغيرات إلى متغيرات داخلية تنتمي إلى النموذج نفسه، ومتغيرات خارجية تعكس البيئة التي صنع فيها ذلك النموذج.

2- فهم ديناميات النموذج، والقوى المحركة فيه: هدف هذه الخطوة هو تحديد القوى المحركة في النموذج وتحليل العلاقات بين أجزائه والاتجاهات التي تؤثر عليها، ويمكن تقسيم القوى الدافعة للنموذج إلى قوى ذات مستوى كلي مثل "القوى التكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية"، والقوى على المستوى الجزئي، ويمكن تصنيف هذه القوى وفقاً لقوة تأثيرها ودرجة عدم اليقين التي تتميز بها، ووضع قياس مثل عالية، متوسطة، منخفضة. ويمكن الاستعانة بجدول لتحديد ديناميكية النسق والقوى المحركة له.

3- تحديد الخيارات والسيناريوهات البديلة، والغرض منها حصر الخيارات الممكنة بالنسبة إلى العوامل المختلفة، في كل مجال من مجالات التأثير.

- 4- فرز السيناريوهات البديلة، واختيار عدد محدود منها، وكتابة السيناريوهات المختارة.
- 5- تحليل نتائج السيناريوهات، لاستخلاص القضايا الموضوعية التي تجعله مفضلاً على سواه. وهو السيناريو الذي سوف يشكل ملامح الخطة الطويلة المدى الواجب الالتزام بها عند وضع السيناريو المفضل وتطبيقه.
- ويلاحظ أن تلك الخطوات المتتالية يُؤخذ بها عند توافر الوقت والموارد، أما في حالة الافتقار إلى الوقت والإمكانات فيمكن اختصار الخطوات، واستخدام نتائج الخطوة الثانية أو الثالثة في بناء سيناريوهات بديلة سواء مع الاحتفاظ بالسيناريوهات الأصلية أو استبعاد بعضها<sup>(1)</sup>.

---

(1) محمد عبد المنعم الشبيبي، السياسة الخارجية المصرية تجاه أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط، المكتب العربي للمعارف- 2014- ص345

## المبحث الرابع: العالم المعاصر وعلوم المستقبل

علم المستقبل هو علم حديث يعتمد أحدث المعطيات الاقتصادية والعلوم المتطورة والتقنيات المتقدمة لتصور ما يكون عليه العالم بعد عقد وعقد، وقد كانت نشأة الدراسة المستقبلية وتطورها وتأثيرها في العالم المعاصر ظاهرة ارتبطت بالغرب الصناعي الرأسمالي<sup>(1)</sup>، حيث يعد هذا الفرع من فروع المعرفة حديث نسبياً. فمع التطور المتسارع للعلوم والتكنولوجيا والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية باتت الحاجة لمحاولة التكهّن بمستقبل النمو تزداد، لمحاولة توقع التطورات مستقبلاً، وكان من أهم الإفرازات والخبرات المكتسبة من الحرب العالمية الثانية التي استقر رأي أطرافها الكبرى على ضرورة تعرّف مستقبل الأحداث لتجنب التورط في حرب عالمية أخرى وتلافي الصراعات، والاستعداد للتصدي لأي أزمات مفاجئة أو غير متوقعة.

ويبدو أن الدراسات المستقبلية لم تكتسب معناها الاصطلاحي الذي نتداوله الآن إلا عندما أطلق أحد علماء الاجتماع الأمريكيين وهو جيلفان مصطلح ميلونتولوجي والذي يعني أحداث المستقبل وذلك عام 1907، وهو يعتبر أول باحث استخدم تعبير علم المستقبل science of the future في أطروحة تقدم بها إلى جامعة كولومبيا لنيل درجة الدكتوراه عام 1920<sup>(2)</sup>. وبعدها كان أعضاء رابطة رواية الخيال العلمي في إنجلترا قد اقترحوا وزارة للمستقبل، ورسوموا صورة لوزير المستقبل جالساً مثل العنكبوت في شبكته ويجذب نحوه المعارف ويستخرج تصوراته على وفقها، بينما ينسب إلى العالم جاستون برجر استخدام كلمة "استشراف" في سياق الدلالة عن التطلعات نحو المستقبل والتخطيط له بطريقة أو بأخرى، ولكي نتعرف على تطور هذا القطاع من المعرفة الإنسانية - سنعمل على تتبع جوانبه ومعطياته في عدد من المدارس الفكرية:

---

(1) محمد فوزي الجبر، الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، مجلة الفكر السياسي، ع7، سنة 2002، ص206.

(2) عبد الحي وليد، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العالمي للدراسات السياسية جامعة اليرموك الأردن، ص 14.

## المدرسة الأمريكية

أعطى وصول العالم الألماني أوسيب فليختهايم إلى الولايات المتحدة عام 1935 هرباً من النازيين، دفعة هامة لبلورة الدراسات المستقبلية، فكان أول من طرح مفهوم علم المستقبلية وكان يدعو لتدريس المستقبليات منذ عام 1941، وكان يعني به إسقاط التاريخ على بعد زمني لاحق.. واستخدم هذا المفهوم عنواناً لكتابه (التاريخ وعلم المستقبل) الصادر عام 1949، حيث أطلق هذا الاصطلاح على عملية التنبؤ اعتماداً على النماذج الرياضية، وقد أكد فليختهايم على أهمية التفكير والتخطيط المستقبلي<sup>(1)</sup>.

وقد ازداد اهتمام الغرب بالدراسات المستقبلية لدواعٍ استراتيجية نتيجة الصدام العسكري بين معسكري الحرب الباردة، وانطلقت في الولايات المتحدة الأمريكية عند نهاية الحرب العالمية الثانية لخدمة أغراض عسكرية قبل أن تقدم خدماتها المدنية إلى قطاعات واسعة تجارية وتعليمية وتكنولوجية، فقد بدأ توطيها تجريبياً في سلاح الجو الأمريكي عام 1944، وحققت وقتها إنجازين مهمين، أولهما: إعداد تنبؤ عن القدرات التكنولوجية ذات العلاقة بالعسكرية الأمريكية. ثانيهما: تكليف شركة دوغاس للطائرات بإنشاء مشروع راند للطائرات عام 1948، والذي تحوّل من مجرد مؤسسة لدراسة نظم الأسلحة البديلة إلى نوع من المؤسسات الفكرية أطلق عليه (Think Tanks) التي ابتدعت وسائل مبتكرة للسيطرة، على أحداث المستقبل واستشرافه، وقدمت عدداً كبيراً من كبار المستقبليين، وأسهمت في تطوير تقنيات الدراسات المستقبلية، وخاصة تقنية دلفي، وتقنية السيناريو<sup>(2)</sup>.

وشهد عام 1962 وفي أعقاب انتهاء أزمة خليج الخنازير طفرة كبيرة في علم المستقبليات، حيث أعلن روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكي وقتئذٍ أن هذه الأزمة أذنت بنهاية عصر الاستعدادات العسكرية، وبداية عهد جديد يسمى إدارة الأزمات، ما حفز للتعمق في الدراسات الاستراتيجية، حيث شكلت تلك الدراسات منظومة أطلق عليها "سيناريوهات الأحداث"، أو "سيناريوهات التخطيط المستقبلي"، لمواجهة الأزمات والسيطرة عليها. كما ارتبط علم المستقبليات بالعلوم النفسية حيث قامت المدرسة السلوكية النفسية الأمريكية بدراسة أنماط التفاعل في السلوكيات الفردية والجماعية أمام الأزمات ومحاولة التنبؤ بتلك السلوكيات

(1) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 15-16.

(2) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطيها عربياً، ص 39.

والمواقف قبل الحدوث<sup>(1)</sup>.

وقد تميز عهدها الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين بما يسمّى بحوث "المستقبلات"، المبنية على توقعات لتطورات علمية أو تكنولوجية محددة، وبرز في هذا المجال الجنرال (هـ.هـ. ارنولد) بإنشائه (مصنع الفكر) الذي ضم نخبة مختارة من الدارسين وكان الدور الأكبر لـ (ثيودور كارمان) إذا أجرى استطلاعاً عن قدرات أميركا التكنولوجية قاد إلى إنشاء مركز التنبؤ التكنولوجي بعيد المدى للجيش، ثم جاء مشروع تنبؤ القوات الجوية عام 1963، ثم كان لأعمال مؤسسة "راند" دور كبير في بناء قاعدة فلسفية للدراسات المستقبلية بالاعتماد على تقنية دلفي. بعدها نشط معهد المستقبل وكان الدور الأبرز له يتمثل بالتخلي عن الحتمية والقول بأن هناك العديد من أشكال المستقبل المحتملة، وأنشأ معهد هدرس الذي أنشأه هيرمان كاهن وتابع تقنية السيناريوهات، ومن أبرز المؤلفات التي قدمت في هذا المعهد: "المجازات والسيناريوهات والتفكير فيما لا يفكر فيه"، وفي عام 1970 صدر كتاب "صدمة المستقبل" لـ "ألفين توفلر" الذي حقق من خلاله شهره واسعاً، ثم جاء كتابه "تحول السلطة" متحدثاً عن "معنى جديد للبطالة" نشأ عن ظهور ما سماه "الاقتصاد الفائق الرمزية"، ويرى توفلر أن للمعرفة دور متقدم كركيزه للسلطة، من بين ركائزها الثلاث (العنف والثروة والمعرفة) وذلك مقارنة بالمراحل السابقة من التاريخ التي سبقت ما يصفها بـ "الموجة الثالثة"، ثم جاء فرانسيس فوكوياما فخرج على العالم بفرضيته نهاية التاريخ، وقدم صموئيل هنتنغتون أطروحته "صدام الحضارات"<sup>(2)</sup>.

## المدرسة الفرنسية

افتتح الفيلسوف الفرنسي غاستون بيرجيه عام 1957 المركز الدولي للمستقبل المنظور، وفي حينها أطلق على علم المستقبل اصطلاح علم الريادة، وأصدر مجلة بالاسم نفسه، ثم وسع تلميذه بيير ماسيه هذا المجال بتشكيله عام 1963 لجنة رسم من خلالها صورة عن مستقبل فرنسا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. وساهم باحث فرنسي آخر هو برتراندو جوفنيل في إدخال مصطلح جديد وهو مصطلح المستقبل الممكن وذلك في منتصف الستينات، حيث

(1) ما السيناريو غير الفني- موقع مقال من الصحراء

[http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senarion2/sec02.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senarion2/sec02.doc_cvt.htm)

(2) المستقبلات الغربية. وزير عالميتها المزعومة. <http://arabrenewal.net/index.php?rd=AI&AI0=7688>

ركب هذا المصطلح من كلمتي مستقبل وممكن (بالفرنسية)، وبدأ تداول مفهوم المستقبل الممكن بعد ذلك<sup>(1)</sup>.

## الاتحاد السوفيتي

كان السوفييت من أوائل الدول التي اعتمدت التخطيط كاستراتيجية للتنمية المستقبلية وفاجئوا العالم بوضعهم أول خطه خمسية في بداية العشرينات، حيث شكل إنشاء الحكومة السوفيتية في عام 1921 للجنة أوكلت لها مهمة وضع خطة حكومية لتعميم الكهرباء على معظم مناطق الاتحاد السوفيتي خلال خمس سنوات نقطة تحول في نطاق الدراسات المستقبلية، فرغم الاستهجان الذي قوبلت به هذه الفكرة من حيث صعوبة الاقتناع بإمكانية التحكم في مسار الأحداث لخمس سنوات، إلا أن النجاح في إنجاز الخطة أثار فكرة التخطيط بعيد المدى، وكيفية توقع التغيرات والبحث في ميكانزمات التكيف مع هذه التغيرات. وقد تركزت جهود الدول الاشتراكية في مجال المستقبليات على المتغيرات المادية وأثرهما على مستقبل الظاهرة الاجتماعية، ولم تعر الدراسات المستقبلية الاشتراكية الأبعاد الفردية أو الجوانب المعنوية أهمية تذكر، وقد ساهمت أكاديمية العلوم السوفيتية بفروعها المتعددة في مجال التطوير النظري للدراسات المستقبلية لا سيما في مجال ما عرف بالندوات المستقبلية التي نشطت بشكل ملحوظ منذ عام 1967 من خلال ندوة كييف ولينينغراد<sup>(2)</sup>.

## الجهود الدولية

في إطار الجهود الدولية تعددت المدارس والنماذج الفكرية للدراسات المستقبلية، مثل: نموذج نادي روما ومركزية تفكيره حول حدود النمو، ونموذج ليونتييف للاقتصاد ومحوره استراتيجية التنمية العالمية، ونموذج ساروم البريطاني لدراسة مستقبل الموارد العالمية<sup>(3)</sup>، وفي الواقع فإن ميزة هذه النماذج المدرسية لمستقبلات العالم على اختلافها أنها تتكامل وتكون مع

(1) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 20.

(2) وليد عبد الحي، الدراسات المستقبلية النشأة والتطور والأهمية، مجلة التسامح.

(3) راجع: الموقع الرسمي لمنظمة الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية (wfsf)، على الرابط <http://www.wfsf.org/>، الموقع الرسمي لنادي روما. على الرابط <http://www.clubofrome.org/>، الموقع الرسمي لمؤسسة هادسون، (Hudson Institute) عبر الرابط <http://www.hudson.org/>، الموقع الرسمي لمنظمة (iss) على الأنترنت. عبر الرابط <http://iss.org/>.

بعضها نموذجًا شاملًا لا يهمل في تحاليه وتخطيطاته معطيات التغير السياسي والاجتماعي، ثروات الطبيعة، علاقات الإنسان بالطبيعة، دور العلم والتقنية في التنمية، علاقة العالم الثالث بالأسماوية العالمية، علاقة الدولة بالمجتمع، صراعات المجتمع، دور الثقافة والفلسفة والفن والتعليم في التنمية...إلخ، كما وإنها لا تهمل الفضاء العالمي والخريطة الجغرافية للمعمورة<sup>(1)</sup>.

وقد كانت استفادة المجتمعات، ومعظمها تنتمي إلى عالم الشمال، من مخرجات دراسات المستقبل عالية، فقد ساعدت تلك المجتمعات على التعامل مع أزمته الحضارية الممتدة تعاملًا حد في الأقل من تفاقمها، لذا انتشرت فيها مؤسسات استشراف المستقبل، وعلى شتى الصُّعد انتشاراً افقياً واسعاً<sup>(2)</sup>. أما في الدول المتقدمة فقد بلغ عدد المؤسسات والجمعيات والمعاهد المتخصصة في الولايات المتحدة عام 1967 ستمائة مؤسسة<sup>(3)</sup>، فيما وصل عددها في أوروبا إلى "300" مركز خلال بدايات العقد السبعيني، ويوجد في مكتبة الكونجرس الأمريكي حتى عام 1984 أكثر من خمسة عشر ألف دراسة حول المستقبل، ومجموعة المقررات الدراسية المتخصصة في دراسة المستقبل في المدارس والجامعات الأمريكية حوالي 415 مقررًا دراسيًا<sup>(4)</sup>.

### إسرائيل والمستقبلات

لا نستغرب إذا وجدنا إسرائيل تولى الدراسات المستقبلية اهتمامًا خاصًا منذ نشأتها وحتى الآن، حيث كانت إسرائيل من أوائل الدول التي تضع خطه مستقبلية لها في فترة الستينات، ثم تبعها بعد ذلك العديد من الدراسات المستقبلية الشاملة والجزئية التي تنتجها العديد من مراكز الأبحاث في إسرائيل وخارجها، فقد انشغل أكثر من 250 من العلماء والباحثين والأكاديميين والعسكريين والاقتصاديين والسياسيين من عدة دول في إعداد مشروع خاص لدولة إسرائيل، وشمل كافة مجالات الحياة، يتمحور حول مستقبل إسرائيل من عام 2005 حتى عام 2020، ووضع هؤلاء تصورًا أو بمعنى آخر سيناريو شامل لوضع إسرائيل في المنطقة العربية يتكون من 15 بند يتوجب على أساسه أن تقوم تل أبيب بتنفيذ جميع بنوده حسب

(1) الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، ص 206.

(2) انظر: مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين.

(3) من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية"، ص 24.

(4) نحو علم لدراسات المستقبل"، ص 123.

التوقيت المحدد<sup>(1)</sup>، ويعد هذا المشروع من أضخم المشاريع المستقبلية على الاطلاق في المنطقة، وصدر في 17 مجلد سلم لرئيس الوزراء الإسرائيلي شارون ليتم العمل به.

أما بالنسبة لمراكز الأبحاث في إسرائيل فقد باتت في العقود الأخيرة، مراكز الدراسات ومجامع التفكير عناوين هامة، لا لقراءة الواقع القائم واستخلاص العبر من الماضي فقط، وإنما أيضًا لاستشراف المستقبل. وبنظرة محايدة يمكن ملاحظة الفارق الهائل بين ما تمثله مراكز الدراسات في إسرائيل وما تمثله في المنطقة العربية، ويمكن تلمس هذا الفارق أساسًا في حجم ما هو معلن من نتائج لعمل هذه المراكز، ومن المنطقي القول إن المستتر في نتائجها، لا يقل عددًا وأهمية عن المعلن منها نظرًا للعلاقة القائمة بين هذه المراكز والمؤسسات السياسية والأمنية والاقتصادية الإسرائيلية<sup>(2)</sup>.

وفي السنوات الأخيرة تزايدت في إسرائيل قيمة المنتديات البحثية السنوية التي غدت مهرجانات بحثية دولية كالتي تسمى مؤتمر قيساريا ومؤتمر هرتسليا، وتحظى هذه المنتديات ومراكز البحث الإسرائيلية بتقدير دولي يجعل من نتائجها مواد أولية في المعرفة السياسية للعالم عن منطقتنا، فكما هو معلوم أن السياسة الإسرائيلية ولا سيما الخارجية منها ترسم في دوائر الموساد بالاعتماد الكامل على مجموعة مراكز أبحاث إسرائيلية عددها يزيد عن ستين مركزًا بمختلف الاختصاصات، منها: مركز جافي التابع لجامعة تل أبيب، مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، مركز بيغن السادات التابع لجامعة بار إيلان، مركز يافا للدراسات الاستراتيجية، وهناك مراكز أبحاث متقدمة ومتخصصة أيضًا في شؤون الشرق الأوسط في كل من جامعات حيفا وبئر السبع والجامعة العبرية، وهناك مراكز للمستوطنين ومراكز قريبة من الأحزاب والتيارات السياسية.

## الإسلام والمستقبلات

صياغة أو صناعة المستقبل هي صناعة عربية إسلامية قديمة، برع فيها العرب والمسلمون واستفادوا منها في استشراف المستقبل والسيطرة على العالم وتحدي الكثير من الصعاب التي واجهته، ويعتبر القرآن الكريم النموذج الرائد في استشراف المستقبل وتوعية الإنسان بضرورة

(1) مستقبل 'إسرائيل' في 15 بندا، مجلة نتيف الإسرائيلية، تر: محمد زيادة- 18 مايو 2005م.

(2) انظر: هبة جمال الدين، دور مراكز الفكر في عملية صنع السياسة العامة: دراسة حالة إسرائيل، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة القاهرة- مصر، 2014.

التخطيط المستقبلي، وأبرز مثال على ذلك سيدنا يوسف عليه السلام الذي تنبأ بالسنوات السبع العجاف وخطط لها حتى خرجت مصر من المحنة.

وبالرغم من أن الإسلام يأمرنا بالأخذ بالأسباب والنظر في عواقب الأمور، إلا أن الملاحظ أن مسألة الغيبيات والتننبؤ بها قد أخذت الكثير من الجدل لدى المسلمين، وربما تكون قد أقعدت المسلمين عن العمل والتخطيط لمستقبلهم بسبب فهم خاطئ لبعض العقائد المتعلقة بقرب حلول الساعة، وظهور المسيح الدجال، والمهدي المنتظر، والتي تجعل كثير من المسلمين ينظرون للأحداث الحالية والمستقبلية من منظار الروايات التي تنسب لرسول الله ﷺ عن أخبار آخر الزمان، فمهما تقدم غيرنا ومهما تعرضنا للهزائم، فلا داعي للعمل والتخطيط للمستقبل؛ لأن المهدي أو المسيح المنتظر سيكفيينا شر الأعداء وسينتصر لنا، وهنا يتم تبرير الهزيمة والتخلف والعودة انتظاراً لمُد من السماء لن يأتي لمخالفته السنن الإلهية، وآليات النصر والتمكين.

فالإنسان الحي الفاعل هو ابداً في صراع داخلي تتجاوزه اهتمامات الحاضر، وآمال المستقبل، وذكريات الماضي، وهو يرقى في مراتب الكيان والحرية والانتاج كلما كان التفاعل نيراً إيجابياً مثمراً، فلا غرق في الماضي يشل النشاط والحيوية، ولا غرق في الحاضر يضيق مجال النظر، ولا غرق في المستقبل تضيع فيه الحقيقة في أعماق الأحلام العذبة الخادعة<sup>(1)</sup>. فالتغيير الذي يحدث للإنسان على مستوى الفرد- وهو مسار مستقبلي- يؤدي بالضرورة إلى تغيير على مستوى الأمة، وهذا هو معنى قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وعلى هذا فإن الإنسان صانع القرار- الحدث- في الأرض، إنما هو عنصر من عناصر الكون ولهذا تأتي أعماله وصناعاته للإحداث على حسب القوانين العامة في الكون ودرجة تأثيرها عليه أو تأثيره هو علمها<sup>(2)</sup>. فعلم المستقبل ببساطة هو رؤية شاملة للمستقبل تضع في حسابها حقائق العلوم ومعطيات التاريخ والتجارب السابقة، وتستقرئ طبائع الشعوب وحركة التجمعات الإنسانية وطبيعة النفوس البشرية، كما تعتمد إلى دراسة جوانب القوة والضعف في كل ذلك مع اعتبار قانوني القوة والانتخاب كأساس في حركة الحياة.

وهنا يثور سؤال من الأهمية بمكان ألا وهو كيف يكون استشراف المستقبل؟ وعلى أي

(1) نحن والتاريخ، ص 161.

(2) زهير الأسدي، نحو دراسات مستقبلية إسلامية، بحث في علوم المستقبل،

<http://www.15mum.net/ibda3at/p-zuhairalasady/zuhair1.htm>

أساس ينبغي أن تبنى القناعات وترسم الأهداف؟! وهل هو استشفاف غيبي تحوله وتوجهه الرؤى والمنامات؟ وهل يصلح أن تكون الأمنيات في حد ذاتها خطة للمستقبل؟ فهل يكفي أن أبغض عدواً كاليهود مثلاً وأتمنى زواله ليزول؟. بالتأكيد لا وكل ما سبق لا يصلح أن يسمى بالعلم، وإنما يصلح أن يسمى أوهاماً وخيالات، فدراسة المستقبل ليست تنبؤاً يقوم على الرجم بالغيب، وإنما هي محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها، والتعرف على مجرى الحركات التاريخية من خلال دراسة الماضي، وملاحظة سنن الكون، والانطلاق من ذلك كله إلى استشراف المستقبل وتشوفه، وصولاً إلى طرح رؤية له<sup>(1)</sup>.

ولو استعرضنا سيرة الأنبياء عليهم السلام نجد أن جميعهم كانوا يخبرون عن نبوءاتهم والحوادث المستقبلية، ويستبقون الزمان بوضعهم الخطط والبرامج التي تحصن الناس من الفتن الطاغية ليأخذ كل امرئ أهفته فيحذر لنفسه وأهله، ولأمر ما وضعت هذه العلامات في الطريق ولحكمة يعلمها الشارع سبقت هذه الأخبار للأسماع، وهي ليست في حقيقتها قصصاً للمتاع والتسلية بقدر ما هي بشارات للمؤمنين بهذا الدين مهما ملأ الجور والظلم حياة الناس، كما أن فيها أمراً عظيماً ألا وهو تحفيز همم المؤمنين للعمل والتغيير بما تحمله من التأكيد على دوران عجلة الزمان، وإمكان حرف مسار التاريخ وإعادة ترسيم حدود الجغرافيا مما يدفع أهل الهمم والمروءات من هذه الأمة إلى التصدر لهذا الدور، عسى أن يكونوا هم صناع هذه الأحداث بأن يفتح الله على أيديهم، فيجدد بهم الدين ويجعلهم أهلاً لولايته ونصرتة<sup>(2)</sup>، فالتاريخ من صنع أولئك المبدعين الذين كانوا في زمانهم متطوعين إلى الأمام، ثائرين على القيود والحدود، طامحين إلى تخطيها، عازمين على أن يجعلوا مستقبلهم خيراً من ماضيهم، وأجل وأجمل<sup>(3)</sup>. وفي ذلك محاولة الفرار من بعض أقدار الله إلى بعضها والتعجيل ببعضها الآخر، وهذا من باب منازعة القدر بالقدر لا التمرد عليه.

وقد اعترف "جيروم غلين" صاحب كتاب (العقل المستقبلي) بدور العلماء العرب في فلسفة

---

(1) أحمد صديقي الدجاني، دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، مجلة المسلم المعاصر العدد 62-يناير 1992 - لبنان، ص15

(2) خالد سعيد عبد القادر، علم المستقبليات، موقع الشيخ عبد الله حامد العلي،

[www.h-alali.org/z2\\_open.php?id=3dae3af8-e77a-1029-a62a](http://www.h-alali.org/z2_open.php?id=3dae3af8-e77a-1029-a62a)

(3) نحن والتاريخ، ص189.

الفكر المستقبلي، وأشار تحديداً إلى الكندي كما أشار آخرون إلى ابن رشد<sup>(1)</sup>، واستخدم ابن خلدون مفهوم التشوُّف المستقبلي وكان بحق الرائد الفعلي لعلم الاجتماع التاريخي وما الدراسات المستقبلية إلا امتداد لهذا العلم<sup>(2)</sup>، ولا يتجاهل مؤرخو الدراسات المستقبلية مدينة الفارابي الفاضلة، وهي اليوتوبيا الأم التي ألهمت كل أصحاب اليوتوبيات في التاريخ الوسيط، من القديس أوغستين، وتوماس مور، ودانتي أليغيري، وفرانسيس بيكون، إلى ميرسييه في مدينته الفاضلة بعنوان عام 2440.

لذا فنحن العرب والمسلمون بنا حاجة ماسة إلى نشر الانحياز للمستقبل فكراً وسلوكاً، ولا يُرد ذلك إلى التحديات الخطيرة التي تواجه الحاضر والمستقبل العربي، الأمر الذي لا يجعل المجهول أكثر من المعلوم وحسب، وإنما كذلك لأن هذه الحاجة يسندها أساس ديني، ولنتذكر مثلاً أن قوله تعالى: (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)<sup>(3)</sup> ينطوي على دالة واضحة على أن المستقبل هو من صنع الإنسان، وكذلك قوله تعالى: (فالיום ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا)<sup>(4)</sup>، يحذر من إهمال التفكير بالمستقبل، وأيضاً قوله تعالى: (وتلك الأيام نداؤها بين الناس)<sup>(5)</sup>، الذي يؤكد فكرة عدم بقاء الأمور على حالها، واتساقاً مع دعوة القرآن الكريم إلى الاهتمام بالمستقبل ورد في الحديث النبوي الشريف (أزرع لدياك كأنك تعيش أبداً؛ وأعمل لأخرتك كأنك تموت غداً) ما يفيد بالدعوة إلى ضرورة استحضار المستقبل ابتداءً من الحاضر.

## العرب والمستقبلات

كلمة المستقبل هي الكلمة الأكثر غموضاً في حياتنا العربية، إذ نادراً ما تستخدم بشكل واضح، وإذا تحدثنا عن المستقبل نقول: للمستقبل عدة تسميات فهو عند الضعيف يسمى المستحيل، وعند الجبان يسمى المجهول وعند المفكرين البواسل يسمى المثال، وكلمة المستقبل والدراسات المستقبلية جديدة في حياتنا، ولعل هذا الإهمال للمستقبل المتجذر في حياتنا

(1) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطئها عربياً، ص 49.

(2) أحمد صدقي الدجاني، رؤية عربية لعلم دراسات المستقبل، الأهرام، 19/4/1994.

(3) الزلزلة، الآيات 7.8

(4) الأعراف، الآية 71

(5) آل عمران، الآية 140

وثقافتنا هو سبب الانكسارات والهزائم المتوالية؛ لأن المستقبل لا يأتي لشخص أو لأمة ما لم يذهب ذلك الشخص وهذه الأمة إليه، والآن ونحن نحاول الحديث عن المستقبل نقول إن سؤال المستقبل مرهون إلى حد كبير بسؤال الماضي والحاضر، لأننا حين نطرح سؤالاً عن الحاضر أو عن الماضي يكون الجواب الصحيح عنهما هو هدف مستقبلي<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن العقد الأخير شهد قفزة عالمية باتجاه تعظيم "الدراسات المستقبلية" في كافة المجالات، فقد غاب العرب والمسلمون عن هذا المجال بصورة كبيرة، وتراوحت ردود فعلهم ما بين متريب مندهش معجب ورافض، هذا في حين أن الفضاء العربي كان ولازال حاضراً في فكر وسياسة الغرب، كأحد الحقول المعرفية الهامة في المستقبلات<sup>(2)</sup>. وهنا نتساءل: أين هو المجتمع الأكاديمي العربي من عملية الاستعداد لبناء المستقبل عبر الدراسة العلمية؟ للأسف الشديد لا نتردد في القول أننا متأخرون على هذا الصعيد بالمقارنة مع سوانا، وهنا نتساءل أين يكمن السبب؟ هل مثلاً في ماضوية الذهنية العربية التي تجعل الماضي مرجعيتها في الحاضر؟ أم في الانشغال بمشاكل الحاضر المعقد؟ أم في عدم التشجيع الرسمي والمجتمعي لدراسة المستقبل؟ أم في عموم تأخرنا الحضاري، أم في أسباب أخرى؟

بالتأكيد كل العوامل السابقة هي السبب، حيث تعودنا على التوجه إلى الماضي كلما حاصرنا الحاضر، فما زال الماضي يحركنا وفي كل عقد نعود من جديد لقراءة التاريخ علنا نكتشف سر تخلفنا، هذا الأمر نعيشه اليوم بشكل فاضح ففي ظل حاضر متفجر يبقى المستقبل غريباً عنا، فدخلنا القرن الحادي والعشرين، ونحن العرب مهمومين "بأمرين مرتبطين معاً، هما (واقعنا) بكافة مشاكله واخفاقاته من ناحية، وأثار المتغيرات العالمية بكافة أنواعها ومخرجاتها من ناحية أخرى"<sup>(3)</sup>. يضاف إلى ذلك إن الثقافة السائدة في مجتمعاتنا من المحيط إلى الخليج لا علاقة لها مطلقاً بالتخطيط المستقبلي، فحين نفكر بعمق في حال رب الأسرة ذي الموارد المحدودة الذي ينجب عشرة أطفال دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن الوسيلة التي سيتدبر بها احتياجاتهم المقبلة، نجد الموقف الفكري الكامن من وراء هذا التصرف هو أن المستقبل في

(1) مجموعة باحثين، العرب وتحديات المستقبل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص127.

(2) محمد فوزي الجبر، الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، مجلة الفكر السياسي، ع 7، سنة 2002، ص206.

(3) انظر: عصام رفعت، آفاق العالم العربي الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، مجلة الملف العربي الأوربي، ع87، تشرين الثاني 1999، ص9.

أساسه شيء مجهول ويسمح بجميع الاحتمالات، نحن إذن أمام المشكلة الجوهرية وهي إنعدام ثقافة ضبط الحياة وفق مخططات مدروسة تأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات المتوفرة والممكنة في كل مجال من المجالات<sup>(1)</sup>.

ويرجع د. فؤاد زكريا السبب في عدم اهتمامنا بالمستقبل والتخطيط له إلى ما يسميه "العقلية الارتجالية"، حيث يرى أن هناك ثلاثة أسباب ينبغي معالجتها وتحليلها لأنها هي التي تفرّخ الذهنية الارتجالية المعادية للتخطيط المستقبلي، أولها: سبب ديني ويتمثل في التواكلية وانتشار أفكار وذهنيات الاعتقاد في المحتوم والقدرية، حيث تلعب مجتمعة أدواراً في طمس التفكير المستقبلي، ومن هنا فإن المخرج السليم حسب د. فؤاد زكريا هو التصدي بالنقد لجميع الظواهر التي تتصل بهذا النوع من الفهم والتطبيق الخرافي والمتخلف للدين، ثم يأتي السبب الحضاري المتمثل تحديداً في علاقة الإنسان العربي بالزمن، حيث إن العلاقة بالزمن تحدد مستوى ضعف أو قوة الحضارة ففي التحليلات التي يستشهد بها د. فؤاد زكريا يستنتج بأن التاريخ الإسلامي بعد عصر الخلفاء الراشدين كان ينطوي على حتمية التقدم إلى الأسوأ كما يرى د. فهدى جدعان، أما محمود أمين العالم فيرى أن النظرة العربية الإسلامية في العصر الوسيط كان يسودها بشكل عام مفهوم للزمن يخلو من الرؤية التطورية، بل كان يغلب عليها طابع الارتداد، أما العامل الثالث: فيتمثل في أن الإنسان العربي المقهور اجتماعياً وسياسياً يولد لديه الإنكفاء إلى الذات المغلقة، وعدم الانفتاح على التجارب المعاصرة الناجحة، ويخلق لديه خوف من المستقبل ويدفع به إلى الاحتفال بالماضي للتعويض عن الحاضر القاتم والمظلم<sup>(2)</sup>.

وقد أفضى هذا الموقف العربي السلبي وشبه العام من المستقبل إلى أنماط من السلوك تجسدت في نمطين أساسيين: أولهما: هروب البعض منا إلى الماضي وإحلاله بديلاً للحاضر والمستقبل، وأن الماضي مهما كانت معطياته صار ذكرى، وذكريات الماضي تكون في العموم جميلة مقارنة بالحاضر المعقد، وجراء ذلك أضحت الماضوية التي تقترن بها ذهنية كثير منا، تجد في معظم معطيات الواقع العربي الراهن مرتعاً خصباً للتجذر والانتشار، أما ثانيهما: فهو يقترن بانصراف البعض الآخر منا إلى تأمين مستلزمات العيش في الحاضر، وبالتالي الابتعاد عن الانغماس في تلك القضايا الأساسية، التي تسهم في بناء جسور العلاقة الوطيدة مع المستقبل،

---

(1) فؤاد زكريا، العقل العربي والتوجيه المستقبلي، مجلة «الحدأة» اللبنانية الفصلية، تصدر عن دار الحياة،

الإثنين، 25 مايو 2009 - ص 24

(2) العقل العربي والتوجيه المستقبلي، ص 34

انطلاقاً من تنشئة خاطئة مفادها عدم قدرة الإنسان على التحكم بمستقبله.

## العرب وصناعة المستقبل

إن الرؤية العربية المتشائمة أو المتفائلة للمستقبل العربي لا تلغي علمياً وعملياً جدوى إعادة التأمل في مضامينها أما توكيداً أو نفيًا، كما أن تبني هذه الرؤية المتشائمة أو تلك المتفائلة فقط ينطوي على خطأ فادح، فكما أن الكوابح الداخلية والخارجية التي تعترض طريق بناء مستقبلنا العربي لا تستطيع إلغاء أراذلتنا، كذلك يفضي التنكر لأثر هذه الكوابح إلى السباحة في بحر الأحلام والأوهام وبما قد يؤدي في الأقل إلى تعطيل قدرتنا على ترجمة الأهداف الكبرى المنشودة إلى واقع ملموس، وينطوي واقعنا العربي على ما يؤكد ذلك فعلى "قدر ما كانت الآمال والتطلعات والطموحات كبيرة كانت الصدمات كبيرة في خضم الاخفاقات والنكسات والهزائم التي حاقت بالأمة، وقد خلف ذلك إحباطاً كبيراً بلغ درجة اليأس في أحيان كثيرة، وأدى إلى الاعتزال والانزواء، وفي أحيان أخرى إلى النكوص والارتداد..."<sup>(1)</sup>.

إن وعينا الذي يرى في الماضي عصرينا الذهبي وينظر إلى التاريخ كتقهقر عن ذلك الأصل، هي نظرة المجتمعات المصطدمة بالحدثة، ففحص صور المستقبل واحتمالاته يتطلب رؤية تسكن في المستقبل وليس في الماضي؛ لأن حركة المستقبلات تنطوي ضمناً على علمٍ ومعرفةٍ وأخلاقيةٍ جديدةٍ من طرازٍ مختلفٍ، تقول بأن المستقبل ليس مكاناً نذهب إليه بل مكاناً نصنعه باستمرار<sup>(2)</sup> ويُروى أن ألبرت آينشتاين برر اهتمامه بالمستقبل بكلمات قليلة موحية عندما سئل: لماذا اهتمامك بالمستقبل؟ فأجاب ببساطة لأنني ذاهب إلى هناك<sup>(3)</sup>.

ومن هنا فإن الدعوة للاهتمام بالمستقبل ما هي إلا محاولة لتصحيح الواقع المؤلم والتكفير عن التقصير في هذا المجال وعودة إلى ما دعا إليه كثيرون من المفكرين العرب في أوائل القرن العشرين، حين آمنوا أن حركة التاريخ والمجتمع تبدأ من التفكير بالمستقبل أي من ماذا نريد أن نكون؟ وليس من الماضي أي من ماذا كنا؟ أو لماذا لا نكون على نحو ما كنا عليه؟ والمستقبل عند (ساطع الحصري) في مطلع القرن العشرين كما هو عند دكتور مراد وهبة بعد منتصف

(1) انظر: أسامة عبد الرحمن، المأزق العربي الراهن هل إلى خلاص من سبيل؟، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت 1999، ص 11.

(2) محمد جمال باروت، في حركة المستقبلات الجارية، ع (1847)، السنة السادس، 20/10/2005.

(3) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهميتها وتوطيها عربياً، ص 38.

القرن العشرين هو المحرك الأساسي للتاريخ والمجتمع، مهما كان نوع الحركة ثقافية أم تربية أم اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية<sup>(1)</sup>.

من هنا فإن تحرير نوعية رؤيتنا إلى المستقبل من كوابحها المتعددة، والتفاعل معه كما لو كان حاضراً أو حياً معنا، هو الذي يفضي بنا إلى شراء الزمان، واختزال المسافة، المتسارعة بين حاضرننا المعروف ومستقبلنا المنشود، وهو الذي يؤمن كذلك دخولنا الفاعل إلى دائرة صناعة التاريخ بإرادتنا تحقيقاً لأهدافنا الكبرى، فالمجد لا يُصنع بالتمني وإنما بالتخطيط الاستراتيجي الفاعل والعمل المتجدد في أدواته ووسائله على وفق تصور واضح لنوعية مستقبلنا المنشود<sup>(2)</sup>.

لذا لا بد للعالم العربي من الدخول في هذا التحدي إذا أراد بناء مشروع الحضاري المستقبلي وإعداد عدته العقلية والعلمية والإبداعية، وفي مكتبتنا العربية جهود حثيثة لمجاراة روح العصر مع اهتمام ملفت بترجمة الإستراتيجيات وصولاً إلى الدراسات المستقبلية، ولكن بقيت تلك الجهود مهمومة بالترجمة للمستقبلات ومناقشة ما ينتجه الغير في المراكز الغربية، أما في مجال التأليف فالإسهامات العربية قليلة ومحدودة، هذا بالرغم من أن كثير من الكتب العربية اقتصرت بعناوينها كلمة المستقبل ولكنها، تحدثت "عن الماضي والحاضر أكثر مما تكلمت عن المستقبل، وليس بها أي تطبيق لمنهج علمي في البحث"<sup>(3)</sup>.

وعندما نشأ "منهج الاستشراف" في الغرب ترتب عليه عدة ردود فعل ما بين ريبة، اندهاش، إعجاب، ورفض، ويبدو هذا الأمر بديهياً، إذا ما أخذنا في الاعتبار أن هذا المنهج بشكله الحالي نشأ ونما في منبت غربي، حيث ظهرت عدة محاولات حاولت وضع رؤى لوضع الوطن العربي؛ ولكنها لم تشمل كافة مجالات معرفه بالإضافة إلى أنها لم تكن بالمستوى المطلوب علمياً، يقول الدكتور عمر عبد الرازق عبد الله: ظل علم المستقبليات والى عهد غير بعيد يتناول مجموعة من تحديات الألفية المتعلقة بجملة من المشاكل التي يعاني منها العالم بينما

(1) العرب وتحديات المستقبل، ص153.

(2) الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، ص206

(3) انظر، لطفي الخولي، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي عام 2000، منشورات عيون المقالات - الدار البيضاء، ط2 1988. وأنظر: سمير غريب، أين نحن من دراسات المستقبل؟ مجلة العربي، ع499، يونيو 2000، ص166. في جدوى دراسة المستقبل عربياً، انظر مثلاً، نوزاد الهيبي، الدراسات المستقبلية وأهميتها للأقطار العربية، مجلس الدراسات العليا، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس، العدد الرابع، 1427هـ.

معظم مفكرينا العرب أثروا هذا العلم من الناحية الفكرية والثقافية والاقتصادية والإجتماعية وغاب عنها الدراسات العلمية والتقنية<sup>(1)</sup>. ويرأي الدكتور مجدي فارح: رغم أنّ الدراسات المستقبلية حاضرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، إلا أنها ظلّت محدودة...، وركزت الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث والمعاصر على قلتها ومحدوديتها على قضايا الحداثة والعقل والتنمية والفلسفة والثورة العلمية والأنساق الاقتصادية المعرفية والحركات الاجتماعية، وقد عني بها عدد هام من المختصين وغير المختصين في جميع مجالات المعرفة والعلوم والإبداع<sup>(2)</sup>.

### ندرة عربية في المراكز المستقبلية

كم هي الدهشة التي تعترى الباحث لوفرة ما يجد من دراسات عربية وإسرائيلية عن مستقبل الدول العربية أو المنطقة العربية وكلها دراسات يستشف من ثناياها محاولة استباق الزمن لتكييف الواقع العربي بشكل أو آخر<sup>(3)</sup>، فبينما تجاوز عدد المراكز الحكومية والخاصة المهمة بالبحث والدراسات السياسية المستقبلية والإستراتيجية في الدول الأوروبية وحدها خمسة آلاف مركز، فإنه لا يوجد في الدول العربية الـ 22 سوى عدد قليل من المراكز تعني فعليا بالدراسات المستقبلية، هذا بخلاف بعض المراكز الأهلية، وما يصدر عن هذه المراكز من دراسات مستقبلية لا يحظى بالتقدير الكافي من الحكومات ويجري إهماله.

وفي الوقت الذي يشهد فيه العالم اهتماماً متزايداً بالدراسات المستقبلية، يلاحظ أن هناك ضعفاً واضحاً في الاهتمام بالدراسات المستقبلية في العالم العربي وخصوصاً من الناحية المنهجية، وهذا يفسر التباين الشديد ما بين السيناريوهات والتصورات التي طرحت في الفترة الماضية لمستقبل واحدة من أهم القضايا في التاريخ العربي المعاصر وهي قضية فلسطين بشكل عام<sup>(4)</sup>.

---

(1) عبدالله، عمر عبد الرازق. "المستقبلات وتحديات العالم العربي بين المفاهيم والممارسة": الملتقى العلمي

"الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية" 10-02-2013؛ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ص 1

(2) مجدي بن محمد الهادي فارح، الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث والمعاصر": الملتقى العلمي

"الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية"، 10-02-2013؛ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

ص 1-7

(3) الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، ص 5

(4) راجع: مستقبل القضية الفلسطينية.. ومتطلبات نجاح دولة فلسطينية، مصدر سابق

ومن خلال مراجعته لبعض الدراسات العربية المستقبلية المتوفرة والتي أنجزها عرب أو أوروبيون، نلاحظ بسهولة تعدد صور المستقبل العربي أو البدائل المستقبلية العربية، انطلاقاً من معطيات اقتصادية وسياسية وسكانية وعلمية متنوعة. ويبدو ذلك جلياً في كل الوثائق التي أنجزتها المنظمات العربية المختصة بعنوان "وثائق الاستراتيجية العربية"، حيث تحذر مختلف هذه الوثائق من المخاطر المستقبلية الكبيرة التي تجابه العرب، سلطة ومجتمعاً ونخب، والتي لا بد من التصدي لها بفلسفة سياسية واستراتيجية عملية قادرتين على التحدي والإبداع والتجاوز والاستقلال، من أجل الحفاظ على الكيان العربي، فكرياً وحضارة وتاريخاً، وتتمثل هذه المخاطر في التحدي الصهيوني والإمبريالي، وتفاقم التبعية للعالم الصناعي المتقدم، والتفاوت بين البلدان العربية في القدرة التنموية، وانكشاف الأمن الغذائي العربي<sup>(1)</sup>.

ومن الأسباب المؤكدة لأهمية توطين الدراسات المستقبلية في الوطن العربي ظهور مشاريع مستقبلية مهمة لها انعكاساتها وأثارها في الأقطار العربية، مثل مشروع القرن الأمريكي: عام 2002 الذي دعا إلى إعادة رسم الخريطة الإقليمية، وتغيير هويتها، وقيام نظام إقليمي بديل للنظام العربي، وخطة السنوات العشر لتغيير الشرق الأوسط من الداخل وتقارير مؤسسة (American Enterprise) التي وضعها مايكل لادين عن إعادة هيكلة الشرق الأوسط، فضلاً عن المشاريع المستقبلية الإسرائيلية هيريتاج إسرائيل 2020، وإسرائيل 2025، وغيرها<sup>(2)</sup>. ومن هنا فإن الدراسات المستقبلية العربية مطالبة بالاستناد إلى معرفة وثيقة بالحاضر والتاريخ العربيين. والمهمة الكبرى المطروحة على الفكر العربي المعاصر حيال المستقبل والتحديات المعاصرة تكمن فيما يمكن أن نسميه ابتداء أصالة عربية مستقبلية، أي محاولة إعادة الزخم والتماسك إلى التاريخ العربي المتصل الذي تعود جذوره إلى الثقافة العربية، ويستوعب حقائق العالم المعاصر وعناصره ويستشرف آفاق المستقبل<sup>(3)</sup>.

وفي كلمة أخيرة، فإن ثقافة الدراسات المستقبلية في العربية ستظل تراوح مكانها، إن لم نسع إلى إعادة تشكيل العقل العربي، وخلق تيار وطني وقومي يمتلك عقلاً منهجياً نقدياً متمرداً على كل أشكال التابوهات الموروثة والمصنوعة، وعبثاً نحاول وضع رؤية مستقبلية أو دراسات استشرافية، ونحن أسرى لأنواع من اليقين السلفي عوضاً من إطلاق مشروع فكري عقلائي قادر،

(1) الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، ص 8

(2) الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطينها عربياً، ص 43

(3) الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، ص 10، ص 11

بتوسيع النقاش حوله، على أن يحرك المياه الآسنة، وأن يؤسس لقيام مدرسة عربية للدراسات المستقبلية ويروج لتقنياتها، وهو مشروع بديل للسلفية المتطلعة إلى بناء مشروعها المتمثل بإعادة الماضي وإحياء دولته وفراديسه المفقودة في غير سياقها التاريخي.<sup>(1)</sup>

إن الفكر العربي المعاصر مطالب للانخراط في عملية تأسيس للمستقبل الذي يقع علينا اختياره، وليس الذي يفرضه أو يريده الغير هذا هو المطلوب، أن نرى المستقبل بعيوننا لا بعيون الآخرين وأن يسهم العرب في بناء مستقبل أفضل وأكثر عدالة للبشرية جمعاء، مستقبل يكون حقا واعد بالسلام وبكرامة الإنسان وسويا مع جهود الأمم الأخرى، وهذا يعني عدم الانغلاق على الذات من جهة، ولكنه يعني عدم الانقياد وراء الآخرين من جهة أخرى وانما يعني المشاركة الفاعلة في صنع المستقبل.<sup>(2)</sup>

---

(1) فكلا العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، ص 53

(2) المستقبلية الغربية وزيف عالميتها المزعومة <http://arabrenewal.net/index.php?rd=AI&AI0=7688>



## الفصل الثاني

### تجارب الاستعمار الاستيطاني في الإطار العالمي

مصطلح الاستعمار الاستيطاني حديث نسبياً، ويعنى باختصار جلب فئة من الناس أوروبية التركيب في الغالب على فئة أخرى من الناس تنتسب إلى ما عرف باسم العالم الثالث<sup>(1)</sup>، بهدف تسخير إمكانيات الدولة الخاضعة للاستعمار لرفع مستوى الرفاهية للدولة صاحبة النفوذ الاستعماري، وقد تلجأ الدول المستعمرة إلى توطين عدد كبير من مواطنها في الدول التي يراد استعمارها بصفة دائمة بهدف خلق مجتمع جديد في البلاد المستعمرة<sup>(2)</sup>، ويقوم هذا المصطلح على ثلاثة عناصر أساسية هي: الهجرة الاستيطانية، والسيطرة المنظمة على الأرض، وأخيراً الغزو العرني، حيث إن الهدف الأساسي للاستعمار هو أن يتحول الاستيطان من حقيقة مادية اجتماعية اقتصادية إلى حقيقة سياسية كيانية مستقلة عن الدولة الأم أو مرتبطة بها<sup>(3)</sup>.

ويعرف عبد الوهاب المسيري الاستعمار الاستيطاني بقوله: الاستعمار الاستيطاني (الإحلالي أو المبني على الأبارتهريد) هو انتقال كتلة بشرية من مكانها وزمانها إلى مكان وزمان آخر، حيث تقوم الكتلة الواحدة بإبادة السكان الأصليين أو طردهم أو استعبادهم، أو خليط من كل هذه الأمور (كما حدث في أمريكا الشمالية، وفي فلسطين)<sup>(4)</sup>، ولا يخرج الاستعمار في حقيقته عن كونه أحد مظاهر التسلط السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي أو الحضاري الذي تمارسه دولة على غيرها<sup>(5)</sup>.

ويعتبر الاستعمار الاستيطاني من أخطر وأفسى ألوان الاستعمار؛ لأن الاستعمار العادي الذي مارسه كثير من الإمبراطوريات قديماً وحديثاً يحتل الأرض لينهب خيراتها، وليجعلها قاعدة

- 
- (1) جورج جبور، وعد بلفور لم يكن منصفاً، مطابع الإدارة السياسية- دمشق، ط3، 2009، ص70
  - (2) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، طبعه خاصة، المطبعة الأكاديمية- القاهرة، طبعة خاصة، ص 571
  - (3) حمد سعيد الموعد، الأبارتيد الصهيوني، من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق 2001- ص22
  - (4) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص120
  - (5) العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، ص. 545

لأمن المركز الذي جاءت منه جيوشه، وليستغل شعوب البلاد المحتلة، أما الاستعمار الاستيطاني فإنه يستولي على الأرض من أهلها، ثم لا يكتفي باستغلال السكان، وإنما يقتلعهم من أرضهم وديارهم بالإبادة أو التهجير، فهو يحول البلاد التي يستعمرها إلى (أرض بلا شعب)؛ ليجعلها أرضاً خالصة له من دون أهلها!

وانطلق الاستعمار الاستيطاني من مقولة الرجل الأبيض المتفوق والحضارة الأوروبية المتطورة، وتخلف شعوب آسيا وإفريقيا، ووجوب تحضيرهم بنشر الحضارة الغربية والديانة المسيحية في أوساطهم، وقد اعتبر العنصريون الأوروبيون من أمثال اللورد آرثر بلفور أن الاستعمار الاستيطاني هو حق للرجل الأبيض في نقل الحضارة للشعوب المتخلفة، وذلك باحتلال بلدانهم، ولو كان ثمن ذلك القضاء على السكان الأصليين<sup>(1)</sup>. حيث أدى ذلك إلى نهب ثروات الشعوب المستعمرة، وإبادة الأمم وطمس الحضارات والفنون والديانات، ومحوها من على خريطة العالم، كما أدى إلى استعباد البشر؛ واسترقاق الأمم والشعوب في أفريقيا، ففي الفترة من 1550 حتى 1850، تم قنص نحو 8 مليون إنسان (عبد) من إفريقيا وشحنهم على السفن الأوروبية إلى العالم الجديد؛ بعد أن قضى الإستعمار على السكان الأصليين<sup>(2)</sup>.

### مقارنة بين التجارب الاستيطانية الغربية والمشروع الصهيوني

إن مقارنة المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بالتجارب الاستيطانية الأوروبية في الولايات المتحدة، كندا، أمريكا اللاتينية، جنوب إفريقيا، استراليا، الجزائر جنوب شرق آسيا، روديسيا (زيمبابوي حالياً) موزمبيق، كينيا وانغولا، تبين لنا أن القاسم المشترك الأعظم بين هذه المشاريع الاستيطانية هو أنها رافقت، أو جاءت بعد حملات استعمارية، كان هدف المستوطنين فيها دعم المستعمرين، من جهة واستغلال السكان المحليين، إلى أقصى درجة ممكنة من جهة أخرى. وفي أحيان كثيرة نجحت الهجرات الجماعية الكبيرة من المستوطنين في تحقيق السيطرة السياسية في الإقليم القريب، ومن يسكن فيه، وفي النهاية أعلنت الكيانات الاستيطانية التي شكلت ما يعرف بالأمم المتحدة قيام دولة المستوطنين سواء تم القضاء على السكان المحليين وإبادتهم، كما جرى في الولايات المتحدة، كندا واستراليا، أو اخضعوا بفعل آليات السيطرة والقهر

(1) مجدي حماد، النظام السياسي الاستيطاني في إسرائيل وجنوب أفريقيا، دار الوحدة. بيروت 1981. ص 46.  
(2) يوسف العاصي الطويل، أمريكا تاريخ من الغزو والإرهاب، مكتبة حسن العصرية، لبنان 2014، ص 30-

لدولة المستوطنين، كما جرى في جنوب أفريقيا، موزانبيق، روديسيا والكثير من دول المحيط الأطلسي والهادي<sup>(1)</sup>، وهناك شواهد على ثلاثة نماذج لتجارب حل الصراع بين السكان الأصليين والمستوطنين، وهي:

النموذج الأول: انتصار حاسم لأصحاب البلاد الأصليين وإلحاق الهزيمة بالمستوطنين، ورحيلهم.

النموذج الثاني: انتصار حاسم للمستوطنين على سكان البلاد الأصليين.

النموذج الثالث: توصل سكان البلاد الأصليين والمستوطنين إلى توافق على العيش المشترك<sup>(2)</sup>.

---

(1) الأبارتيد الصهيوني، ص 9

(2) غانية ملحيس، عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي ط1: حزيران - 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات- البيرة، 2012، ص 325

## المبحث الأول: النموذج الأول: انتصار حاسم لأصحاب البلاد الأصليين

سنعرض لمثلين لهذا الاستيطان، الأول استيطان الفرنجة في فلسطين المعروف بالمشروع الصليبي، الذي تواصل نحو مائتي عام (1095-1291)، والاستيطان الفرنسي في الجزائر الذي استمر 132 عاماً (1830-1962)، حيث سنحاول الكشف عن أوجه الشبه بين التجريبتين والتجربة الصهيونية.

### أولاً: المشابهة التاريخية بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

إن الهدف من المشابهة التاريخية بين الحركة الصليبية والحركة الصهيونية هو محاولة التنبؤ المستقبلي حول مستقبل الظاهرة الصهيونية، ولكن قد يعترض البعض على المشابهة بين الغزوتين علي أساس أن التاريخ "لا يتكرر" وأنه "لا يعيد نفسه"، ألا أن أي متأمل لكلتا الغزوتين يلحظ أن هناك أوجه تشابه كبيرة ومثيرة للدهشة بين الغزوتين، سواء في الأشخاص أو الشعارات، أو الرموز، أو السلوكيات<sup>(1)</sup>.

يقول الدكتور المسيري: "يلاحظ الدارس عمق التشابه بين المشروع الفرنجي الصليبي والمشروع الصهيوني الإسرائيلي، وهذا أمر متوقع؛ لأن كليهما جزء من المواجهة المستمرة بين التشكيلتين الحضارتين الساندتين في الغرب والشرق العربي، وقد رأى كثير من المدافعين عن المشروع الصهيوني من اليهود وغير اليهود أنه استمرار وإحياء للمشروع الصليبي"<sup>(2)</sup>، وهنا يتبادر للذهن سؤال: هل يمكن مقارنة الظاهرة الصهيونية في ضوء الحروب الدينية التي نشبت بين المسيحية والإسلام؟ وهل يمكن تصنيف الظاهرة الصهيونية بأنها تقع في دائرة الحروب التي شنها الغرب على دار الإسلام؟ والإجابة بنعم ممكنة جداً، ولنقارن بين ما جرى، حيث يمكن تلخيص جوانب التشابه بين الحملات الصليبية والمشروع الصهيوني بالآتي:

---

(1) كمال الأسطل، مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتدوين دراسة حول المشابهة التاريخية بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية، دار الموقف العربي، القاهرة، 1980-الموقع الشخصي للدكتور كامل الأسطل-<http://k-astal.com/index.php?action=detail&id=158>

(2) انظر: عبد الوهاب المسيري، (موسوعة اليهود والمهودية والصهيونية)، القاهرة: دار الشروق، 1998م- مج6/ص131-132،

1- الحركة الصليبية في جوهرها حركة استيطانية، "وهي حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب، وهي حركة كبرى نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على بلاد المسلمين، بقصد امتلاكها، وقد نبعت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر"<sup>(1)</sup> والحركة الصهيونية أيضاً هي حركة مسلحة عدوانية استيطانية غريبة المصدر فلسطينية المستقر، عنصرية غير انصهارية، اعتمدت على الدعم الغربي مالياً وعسكرياً ودعائياً واجتماعياً، والحركتان تمثلان، وجوداً أجنبياً غريباً عن المنطقة، ينتهي إلى حضارة مخالفة، وتعبيران، عن الصراع الطويل والقديم بين تلك الحضارة، والحضارات الشرقية<sup>(2)</sup>.

2- نشأت كلتا الحركتين في فترة انقسام وشرذمة الشرق، حيث جعل الانقسام والتشردم العربي- بل ومساندة بعض المسلمين للجيوش الصليبية، وميراث الحقد والشك والضغائن بين حكام المنطقة- انتصار الصليبيين أمراً منطقياً<sup>(3)</sup>، وهو ما حدث أيضاً عندما تأمر بعض العرب والمسلمين على دولة الخلافة، ومكنوا الصهاينة من الاستيلاء على فلسطين مقابل وعود بالية، بل واستمر التآمر حتى اللحظة.

3- إن تعبير كلا الحركتين عن أطماع قوى غريبة في منطقة المشرق العربي، واصطناع كيانات تابعة متنافرة بالطبيعة مع الوسط العربي المحيط بها، ينطوي على أوجه تشابه فريدة ومثيرة، فقد ضمت كلا من مملكة بيت المقدس اللاتينية وإسرائيل، مجموعات بشرية متفاوتة الثقافات والدرجات، زرعت في أرض عربية اللسان، إسلامية الثقافة، مشرقية السمات، واعتبرت كلاً منهما رأس جسر للحضارة الغربية في وجه الحضارة العربية الإسلامية، وبالتالي فإن هناك رسالة تمديدية تحملها كل منها إلى أقطار المنطقة، وهذا الاعتبار العنصري كان تسويغاً مشتركاً بين جميع المغامرات الأوروبية الاستعمارية.

---

(1) انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1/ بتصرف، ط5، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص19-22.

(2) أسامة غزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية - ط1 1987- ص 43

(3) انظر: قاسم عبده قاسم، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، القاهرة- دار الموقف العربي، 1983، ص199-200.

4- لو عدنا إلى أساس كل من الحركتين ودعاتهما يمكننا أن نرى بعض الشبه بين تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية، وبين البابا أربان الثاني مؤسس الغزوة الصليبية، كما يمكن أن نجد أوجه شبه بين المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام 1897م، وبين المؤتمر الصليبي في كليرمونت عام 1095م، كذلك يمكن ملاحظ أوجه الشبه بين الملك (بالدين الأول) أول ملك لمملكة القدس الصليبية، وبين بن جوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل، ثم ألا يمكن أن نلاحظ أوجه الشبه الكبيرة بين مغامري كل من الحركتين؟ فيمكن ملاحظة الشبه بين موسي ديان وأمير الكرك الصليبي "دينالدره شانتون" غازي القوافل الإسلامية<sup>(1)</sup>.

5- هناك تشابها في كلتا الغزوتين بوجود نداءات وشعارات مرفوعة، فنلاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين نداء البابا أربان الثاني عام 1095م حيث قال: "إن الغزوة الصليبية ترجع إلى مشيئة الله.. فردد الحاضرون صائحين: "الله يريد ذلك ... أنها مشيئة الله"، ويمكن تشبيه هذا النداء بالنداء الذي اشتقت منه جمعية بيلو الصهيونية في روسيا عام 1882م اسمها من الأحرف الأولى للنداء الآتي: "يا آل يعقوب .. تعالوا .. هيا نذهب"، كذلك فإن كلتا الغزوتين اتخذت لها شعاراً خاصاً بها: حيث اتخذت الغزوة الصليبية "الصليب" شعاراً لها، أما الغزوة الصهيونية فقد اتخذت نجمة داود شعاراً لها، ووفد الصليبيون على القدس مثلما وفدت هجرات اليهود حديثاً تحت شعار العودة إلى أرض الميعاد، ورفع الأولون الصليب، ورفع الآخرون نجمة داود، وادعى الجميع العمل بمشيئة الله وتلبية ندائه<sup>(2)</sup>.

6- كلتا الحركتين تسربلتا برداء الدين، وارتكزتا على مفهوم الخلاص، فالحركة الصليبية كانت تقاتل من أجل "خلاص البلاد المسيحية، أو ما أسماه قادة الغزوة الصليبية "خلاص" مسيحي العالم أجمع، كذلك فإن الحركة الصهيونية قاتلت من أجل إقامة وطن قومي يهودي منطلقاً من مبدأ "خلاص" اليهود المشتتين، كما أن الحركة الصليبية اعتمدت على المقولة الدينية لتثوير الغرب، من خلال خطبة بطرس الناسك، وتحريض البابا أوربان الذي زعم أن هذه الحملة هي (حجة) تهدف إلى تحرير البلاد المقدسة من برائن (الكفار، ذلك الجنس الخسيس) على أيدي (جنود المسيح) الذين يطيعون (أوامر

(1) كمال الأسطل، مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب دراسة حول المشابهة التاريخية بين الغزوة

الصليبية والغزوة الصهيونية، ص 35

(2) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 44.

الله والكنيسة المقدسة)، فزحف الغربيون نحو البلاد المقدسة تحت شعار (إرادة الله)، كما بعثت الحركة الصهيونية من ركام التاريخ تعابير تفي بالغرض مثل (أرض الميعاد، شعب الله المختار، العهد، صهيون، يهودا، السامرة، أورشليم)<sup>(1)</sup>، كما وشعر الفرنجة بأن الواجب الديني يفرض عليهم تحرير بيت المقدس وضريح المسيح من المسلمين، وشعر الصهاينة بأن الواجب الديني يفرض عليهم العودة إلى أرض الميعاد التي وعدهم الله بها، إلا أن الدافع الديني لم يكن نقياً في الحالين، حيث أن شوائب الدافع الديني في الحالين، لم تكن لتحجب الصورة الأكبر، ومؤداها أن معظم المجندين الذين قاموا بالحرب فعلاً إنما كان يحركهم الدافع الديني<sup>(2)</sup>.

7- هناك قاسمٌ مشتركٌ بين الحركتين في الصفة العنصرية؛ فالصليبيون قاموا بالترفة بين المسيحيين الغربيين الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية، والمسيحيين الشرقيين الذين يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية، هذه التفرقة نجدها أيضاً في إسرائيل، بين اليهود من أصل غربي (الشكنازيم)، واليهود من أصل شرقي (السفارديم)، ومن ناحية أخرى فإن العنصرية الصليبية كانت واضحة في تعاملها مع السكان الأصليين، حيث قامت بممارسات القتل الجماعي، وعمليات الإغناء للعرب المسلمين، وفي الجانب الصهيوني فإن العنصرية إزاء السكان تبدو واضحة في كافة المجالات، سواء بالترفة أو بممارسة القمع والمذابح.

8- كل من ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، بسبب طبيعتها الإحلالية، خلقت مشكلة لاجئين، حيث أدت الغزوة الصليبية إلى تشريد جميع من كان في المدن التي احتلوها ممن نجا من القتل. ونفس الشيء حدث بالنسبة لإسرائيل، حيث تم تشريد ما يزيد على مليون فلسطيني إلى خارج أراضهم بعد حرب 1948، ويلاحظ أن هؤلاء اللاجئين تحولوا إلى وقود، جند سكان المنطقة ضد الدولة القلعة<sup>(3)</sup>. كما اتبعت القوات الصليبية سياسة تهدف لمصادرة عقارات وممتلكات السكان المنقولة وغير المنقولة وفقاً لقانون الغزو<sup>(4)</sup>، وهذا مشابه تماماً لقانون إملاك الغائبين الذي وضعته إسرائيل للاستيلاء على ممتلكات الفلسطينيين.

---

(1) انظر: زياد العسلي، مقدمة كتاب تاريخ الحملة إلى القدس، ص 13-14.

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 104.

(3) عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 6، القاهرة: دار الشروق، 1998م، ص 132.

(4) فوشيه الشارتر، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، ط 1، دار الشروق، عمان، 1990م، ص 76.

9- رغم إقامة الأوروبيين الطويلة بين العرب والمسلمين، ورغم بعض حالات الصداقة التي قامت بين الأفراد، وبعض حالات التحالف التي نشأت بين الدول المسلمة والصلبيين، إلا أن علاقة القادمين مع سكان المنطقة ظلت هزيلة، لم يحصل اندماج كالذي حصل تاريخياً بين الفاتحين العرب وسكان بلاد الشام مثلاً في القرن السابع وما بعده، وظل الشعور بالغربة ملازماً للآتي من وراء البحار، والظاهرة نفسها تتكرر اليوم مع الصهاينة رغم كل محاولات التطبيع، فثمة سلم بارد بين مصر وإسرائيل، وبين الأردن وإسرائيل، ولا يرى فلسطينياً إسرائيلياً أو السلطة الفلسطينية، في إسرائيل والإسرائيليين إلا عنجبية بغیضة<sup>(1)</sup>.

10- تتشابه الحركة الصليبية والصهيونية من الناحية الاقتصادية، وبالذات في الاعتماد على المساعدات الخارجية، فمملكة القدس الصليبية اعتمدت بصورة أساسية على تدفق المساعدات ورؤوس الأموال بصورة مستمرة من أوروبا، والتي أخذت أشكالاً عديدة، ويشير أحد الدارسين إلى أنه كان هناك جباية فرنجية موحدة تماماً مثل الجباية اليهودية الموحدة.<sup>(2)</sup> وإسرائيل تعتمد أيضاً على المساعدات الأجنبية بكل إشكالها، فقد تمتعت الظاهرتان، الصليبية والصهيونية، بتأييد أوروبي شبه مطلق، وإذا كان التأييد الذي حظي به الصليبيون كاملاً معنوياً ومادياً وبشرياً، فإن التأييد الذي حظي به الصهاينة كان كاملاً تقريباً على الصعيدين المعنوي والمادي، أما العنصر البشري فقد كان محصوراً في معظمه في اليهود<sup>(3)</sup>.

11- يمكننا أن نشبه الحملات الصليبية التي جاءت للمنطقة في صورة هجرات كبيرة، تشبه الهجرات اليهودية إلى فلسطين، كما أن كلتا الحركتين الصليبية والصهيونية تعرضت للهجرة المعاكسة، ولنقص في القوة البشرية، وكان لنقص الهجرات وتصاعد الهجرة المعاكسة لخارجها من الأسباب القوية لانحيار مملكة بيت المقدس الصليبية، وهذه المشكلة تخشى منها إسرائيل على أساس أن ذبول الهجرة يشكل ذبولاً لإسرائيل، وبالتالي فإن توقف الهجرة يعتبر بداية النهاية لإسرائيل كما كان بالنسبة لمملكة بيت المقدس.

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 104

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص 132.

(3) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 104

12- وهناك جوانب أخرى تشابه فيها الصليبيون والإسرائيليون، منها الطابع العسكري للمجتمع، وتوظيف كافة موارد هذا المجتمع من أجل الحرب<sup>(1)</sup>، والذي يتأمل الإمارات الصليبية والقواعد والحصون التي أقاموها يمكن أن يلاحظ التشابه بينهما وبين المستعمرات الصهيونية المحصنة (الكيبوتز والموشاف).

كل هذه النقاط السابقة لا تستوعب كل مجالات المقارنة الممكنة بين الظاهرتين الصليبية والصهيونية، إلا أنها مفصحة في دلالتها على تشابه يكاد يكون تماثلاً بين الظاهرتين، لذلك لم يكن من قبيل الترف الفكري أن هيئة إسرائيلية عقدت سلسلة حلقات دراسية حول أوجه التشابه بين الظاهرتين الصليبية والصهيونية، بهدف الاستفادة من دروس الماضي للحيلولة دون أن يكون مصير الظاهرة الصهيونية مطابقاً لمصير الظاهرة الصليبية، وهنا يرى البعض أنه بالرغم من هذا التشابه إلا أن ثمة أوجهاً للاختلاف بين الظاهرتين:

1- لم يكن لدى الصليبيين شعور ارتباط بالأرض مساوٍ لشعور الارتباط بها الذي لدى الصهاينة، فقد كان لدى الصليبيين شعور بأنهم جزء من شعب له أرضه في مكان آخر، أما الصهاينة فقد تطورت أيديولوجيتهم على أساس مفارقة ذلك الشعب الآخر الذي كانوا جزءاً منه.

2- نشأت ظروف يبدو فيها الصراع العربي الإسرائيلي وكأنه صراع تناقضي إلى الحد الأقصى (إما العرب وإما الصهاينة)، ومن هنا فمن المتوقع أن تكون ضراوة الصهاينة شديدة نابعة من حالة يأس يتجاوز ذلك اليأس الذي لا بد كان نصيب الصليبيين عشية رحيلهم، ومن هنا يأتي الحديث عن الخيار النووي.

3- يمكن اختصار أوجه الاختلاف السابقة بفكرة واحدة مؤداها، استقلال هوية الصهاينة؛ لأن هويتهم في المنطقة أرسخ من استقلال هوية الصليبيين، فإذا أضفنا إلى ذلك اختلاف العصر (أي سهولة الإمداد الفوري البشري والعسكري، وثورة الاتصالات التي تؤثر في القناعات)، تبين لنا أن أوجه التشابه على كثرتها لا تستطيع حجب أوجه الاختلاف<sup>(2)</sup>.

---

(1) رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، ص 248

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 105

## سبب اهتمام العلماء الصهاينة بالحركة الصليبية

الباحثون الإسرائيليون يولون الصليبيات عناية فائقة، يرون فيها الحركة الرائدة والتجربة السالفة، يهتمون بالمشكلات التي واجهت الصليبيات، الأمن، الاستيطان، والعمائر والمستوطنات الحربية، ونقص في الطاقات البشرية، وهناك فرق عمل كاملة في الجامعات العبرية تخصصت في دراسة الحروب الصليبية، وتتابع ما يُنشر عن الصليبيات في العالم أجمع، وقد أصبحت الجامعة العبرية من أهم مراكز الأبحاث الصليبية في العالم، وفيها من الكتب ما لا يوجد في غيرها، حيث تجاوزت محتوياتها من الكتب العبرية المليون كتاب، وفيها من المخطوطات العبرية الكثير، وقد أسست فيها كليات ومراكز دراسات للبحث والتأليف، والتحقيق، والنشر في هذا المجال، بدءاً من البحث والدراسة في معجزة الإسراء والمعراج، والأحاديث التي ثبتت عن الرسول ﷺ، وفيها فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ومكانة الأرض المباركة، والبشرى بفتحها، ومستقبل تلك الأرض، ثم بفتح عمر (رضي الله عنه) لأرض فلسطين وكتابة الشروط العمرية، وما تبع ذلك من شد الرحال، وإيقاف الأوقاف، والنشاط العلمي والحضاري في القدس وما حولها، وكذلك الحروب الصليبية، وكيف حررها المسلمون، وواقع الأمة الإيماني والمعنوي في عصرنا الحالي.

والصليبيات في حد ذاتها لا تهمهم، وإنما يهتمون بها باعتبارها نقلة بين الحركة الصهيونية والمستقبل، وإسقاط للتاريخ على الواقع المستقبلي، درسوا القلاع الصليبية ونظم التحصين، حللوا رحلات الحجاج والتغير في الرؤية للأرض المقدسة، درسوا الجغرافيا التاريخية لفلسطين إبان الحروب الصليبية، وتاريخ اليهود والأحياء اليهودية والاستيطان الصليبي، والإقطاع وقوانين الإدارة والتجارة والحدود، والسقوط المفاجئ لمملكة بيت المقدس، وطردها بقايا الصليبيين غداة سقوط عكا، فهم يهدفون إلى استخراج العبر من دراسة تلك التجربة التاريخية الحية لمجتمع أجنبي حل في البلاد المقدسة واستقر فيها قرابة قرنين من الزمن<sup>(1)</sup>. فالإسرائيليون يتحسسون في الصليبيات مصير الغد...، والصليبيات والصهيونيات كأنهما فلقتان أخرجتا من بذرة واحدة، وكان النصف الأول من البذرة في القرن الحادي عشر، والنصف الآخر في القرن التاسع عشر، والمكان واحد هو فلسطين!!<sup>(2)</sup>

(1) انظر: مقدمة كتاب " فوشيه الشارترى " (تاريخ الحملة إلى القدس) ترجمة: د. زياد العسلي، ص 5.

(2) انظر: مقالة مجلة العربي محمد عيسى صالحية، مايو 2000 م، ص 115-117 بتصرف.

لقد اهتم اليهود اهتماماً كبيراً يفوق التصور بالحركة الصليبية، وذلك لما سكن في العقل الصهيوني من التشابه الصارخ بين التجريبتين، فهي النموذج التاريخي الحي الذي يمكن استقراؤه وتمحيصه للاستفادة من تجربته، ولتلافي أخطائه التي عجلت بإنهائه، لذا فقد كتب "يهوشع برافر" عميد الدراسات الصليبية، دراسات عديدة، وكان أول من نظر إلى الحركة الصليبية كحركة استيطانية كولونيالية، فكتب أبحاثاً رائدة في مشروع الدولة الجديدة، ومهد لتلاميذه سبل البحث في كيان الدولة ومؤسساتها، وطبيعة الحكم فيها، ونظامها العسكري، وتطور مفهومها الأممي، وتأثير العوامل الجغرافية كالصحراء على الاعتبارات الاستراتيجية، وطبيعة علاقة الصليبيين بالسكان المحليين، من مسلمين ومسيحيين شرقيين ويهود، وبدو، وإسماعيلية، وموارنة، بكثير من التفصيل ... ودرسوا الحياة الفكرية والعقلية في تلك الفترة والوضع السياسي والاجتماعي المعاصر في المجتمع العربي - الإسلامي، والحياة العقلية والفكرية والأدب والأشعار والأمثال الدارجة في تلك الفترة، ثم بحثوا في فكرة الجهاد وفعاليتها في تحريض المسلمين على القتال<sup>(1)</sup>.

ويستاء الصيونيون من مقارنة حركتهم بالحركة الصليبية لما تتضمنه تلك المقارنة من اعتبارهم عنصر دخيل على الشرق سيلفظهم كما لفظ الدولة الصليبية من قبل، ونعتقد أن تشريحهم للكيان الصليبي يستهدف استخلاص العبر التي تمكنهم من تجنب ذلك المصير، ونرى أنهم نجحوا بالفعل في تفادي أخطاء الصليبيين في نواحٍ أساسية عدة، كاستعمال اليهود في الزراعة، وتأسيس الجامعات، وتشجيع العلم والفكر، وتهجير السكان الأصليين، وتشجيع الهجرة اليهودية، والتميز بين الأقليات، وتعميق العلاقات الصهيونية الدولية، والتدخل بشكل فعال في شئون البلاد المجاورة، ولكنهم لم ينجحوا في نواحٍ أخرى مثل: التمسك بالعنصرية، وعدم الانصهار في الشرق والاعتماد على المساعدات الخارجية، والفشل في اجتذاب عدد أكبر من المهاجرين<sup>(2)</sup>.

إن الموقف اليهودي من الحركة الصليبية نابع من إدراكهم للحقيقة الوظيفية الحضارية

---

(1) للتعرف على جهاد المسلمين للحملات الصليبية، انظر: فايد حماد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العهد الأيوبي، ط1، القاهرة، دارالاعتصام، 1977

(2) عبد اللطيف زكي أبو هاشم، أوجه التشابه بين صليبي الأمم ويهود اليوم، فلسطين، دنيا الوطن-

2005/10/29

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2005/10/29/29608.html>

للتاريخ كعلم، فهم يدرسون تاريخ الحركة الصليبية مع التركيز على الوجود اللاتيني فوق أرض فلسطين، وطبيعة علاقاتهم بشعوب المنطقة وعوامل النجاح التي حققت لهم الانتصارات، ثم عوامل الفشل التي أدت إلى رحيلهم من المنطقة العربية ونهاية دولتهم، لقد قام الصهاينة بدراسة الوقائع والتطورات والعبءات الصلة بالحملة الصليبية ومواجهتها، ودراسة الظروف العربية التي سبقت وصادت القرنين الثاني عشر والثالث عشر، والوقوف ملياً عند معركة حطين سنة 1187، مقدماتها ومجرياتها ونتائجها والدروس المستخلصة منها<sup>(1)</sup>. وقد نبه شاكر مصطفى إلى أن اهتمامات المستشرقين اليهود منحصرة في نقطة وحيدة هي: "كيف تم طرد الصليبيين من هذه البقاع نفسها التي يحتلوها"، لهذا لا يهتمهم بحث ما قتله الغربيون بحثاً، ولكن تهمهم الرمال المتحركة تحت الغزاة في فلسطين وحولها، إنهم يدرسون معنى الجهاد وكيف استيقظ في المشرق العربي. يحللون مدى قدسية القدس وعناصرها في نفوس المسلمين، وردود فعلهم ضد الاحتلال الغريب، ويبحثون عن جذور الترابط في المنطقة من مصر إلى العراق، عن أسباب توحيدها في حطين وما بعدها، ويضيف د. مصطفى قائلاً: "لاحقت نصوص التراث التي تتداولها المجموعة الصهيونية بالدارسة، فإذا التراث الذي نتصور أنه نائم في دماننا وفي أدرجاننا هو لديهم كيان كامل على المشرحة، يستنطقونه ويحكمون علينا من خلاله، يدرسون خطب الجهاد منذ عهد الفتوح مروراً بالحمدانيين حتى العهد المملوكي، وكل الكتب التي ألفت في الجهاد أو كتبت عنه.

وأشار د. مصطفى، أيضاً إلى اهتمامات الإسرائيليين حتى بالشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية، كما يدرسون كتاب الفقه والفتاوي، ويدرسون السير الشعبية ويرونها منجم المشاعر العميقة للجموع المقاتلة، لذلك فالدراسات التي يقوم بها المستشرقون الإسرائيليون، تسعى إلى وضع اليد على التغيرات الكمية التي قادت إلى التغيرات النوعية في تاريخ المنطقة مع معركة حطين وغيرها، ووضع اليد كذلك على السياق العام الذي جاء فيه صلاح الدين الأيوبي والتراث العربي إذ يعكس بأمانة هذا المعطى، فإنه يقدم في الوقت ذاته مؤشراً على ضرورة التحسب لاحتمالات تكرار ظاهرة الانتصار العربي الساحق على الغزو الأجنبي مستقبلاً، لذلك فمعركة حطين تشكل كابوساً يجثم على الإسرائيليين<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، ص 199-20.

(2) أوجه التشابه بين صليبي الأمس ويهود اليوم

## التحذير من مصير ممالك الفرنجة

أصدر "يوري أفنيري" الكاتب والصحفي الإسرائيلي، وعضو الكنيست السابق، كتاباً في عام 1968 بعنوان: (إسرائيل بدون صهيونية) حذر الصهاينة من مصير ممالك الفرنجة التي لم يبق منها سوى بعض الخرائب، وعقد فيه مقارنة مستفيضة بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، فإسرائيل مثل ممالك الفرنجة محاصرة عسكرياً لأنها تجاهلت الوجود الفلسطيني ورفضت الاعتراف بأن أرض الميعاد يقطنها العرب منذ مئات السنين<sup>(1)</sup>. كما كتب "أفنيري" مقالاً بعنوان: (ماذا ستكون النهاية)، أشار فيه إلى أن ممالك الفرنجة احتلت رقعة من الأرض أوسع من تلك التي احتلتها الدولة الصهيونية، وأن الفرنجة كانوا قادرين على كل شيء إلا العيش في سلام؛ لأن الحلول الوسط والتعايش السلمي كانا غريبين على التكوين الأساسي للحركة ... وبدأ بعث إسلامي جديد، ولم يكن هناك ما يوقف نهاية الممالك الصليبية!<sup>(2)</sup>

أما الجنرال شلومو باوم الذي يوصف بأنه أسطورة الجيش الإسرائيلي، والذي اعتبره بن جوريون "مفخرة الدولة اليهودية، عندما سأله الكاتب الإسرائيلي حاييم هنغي عن سردافعيته الكبيرة لقتال العرب وحرمان نفسه في سبيل ذلك الراحة لعشرات السنين، فإذا بماوم يصمت هنيئة، ثم يقوم من مجلسه، ويحضر ملفاً كبيراً يأخذ بتقليب صفحاته، ثم يقدمه لهنغي، ويقول: "هل سمعت عن الحروب الصليبية؟، هل سمعت عن معركة حطين، هل سمعت عن شخص يدعى صلاح الدين؟". يقول هنغي: "عندها قلت له مستنكراً: لكن العالم العربي الآن في أقصى مستويات الضعف في كل المجالات"، فيضحك باوم ساخراً، ويقول: "لقد كانت أوضاع المسلمين قبل معركة حطين تماثل من حيث موازين القوى أوضاع العرب حالياً"، وقال باوم: "إن ما يقلقني هو قدرة صلاح الدين على بعث نهضة العرب من جديد، وتنظيم صفوف قواته، ثم يحرز انتصارات قوية وكبيرة على قوات الصليبيين، وإنني منذ عشرين عاماً وأنا أحاول رصد الأسباب التي جعلت المسلمين يحققون هذا النصر الأسطوري وفق منطق العقل والتحليل العسكري، وإن ما جعلني أتعلق بالحرب هو حرصي على أن أقوم بأي شكل من أجل عدم تهينة الظروف لمولد صلاح الدين من جديد، إنني أعيش في الحقيقة في خوف متواصل على المشروع الصهيوني المتمثل في الدولة العبرية<sup>(3)</sup>."

(1) سر كيز أبوزيد، إسرائيل تقترب من نهايتها، 2008/5: "نقلاً عن صحيفة "هاعولام هزي" 1983

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ص356- موقع صيد الفوائد [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)

(3) صالح محمد النعامي، عمر بن الخطاب يقض مضاجع الصهاينة من قبره"، نشر في 2009/10/22م،

[www.naamy.net](http://www.naamy.net)، ومواقع أخرى متعددة.

أما تيدى كوليك: فقد أقبل في السنوات الأخيرة بعدما أنهى منصبه كرئيس لبلدية (أورشليم والقدس) على دراسة تاريخ المدينة، حيث إن أكثر ما أصابه بالفرح هو نجاح المسلمين في فتح المدينة وبقية فلسطين في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وتمكن المسلمين من الحفاظ على المدينة لقرون طويلة، وتوقف كوليك ملياً عند حرص عمر بن الخطاب على القدوم شخصياً لتسلم مفاتيح القدس، معتبراً أن هذه الخطوة الذكية تجعل الأجيال المسلمة حالياً وفي المستقبل ملتزمة بالعمل على إعادة تحرير المدينة وطردهم الإسرائيليين منها، علاوة على أن خطوة عمر مثلت مصدراً لأسلمة القضية الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

### عوامل زوال الغزوة الصليبية

إن المشابهة التاريخية الفريدة موضوعياً وشكلياً، تقدم مبرراً قوياً للتساؤل حول مصير الكيان الصهيوني المعاصر، في ضوء مصير الكيان الصليبي القديم، حيث انتهت الغزوة الصليبية، عبر مراحل طويلة ومريرة من الشد والجذب بين العرب والمسلمين وبين الصليبيين، إلى اندثار الوجود الصليبي، واستئصاله نهائياً من المنطقة، ولذلك فإن أسباب هذا المصير والظروف التي أطاحت به كانت وما تزال موضع بحث الكثير من الدارسين اليهود والصهاينة، ويمكن القول أن هناك ما يشبه الاجماع على ثلاثة عوامل محددة تفسر هزيمة الصليبيين وزوال وجودهم من المنطقة، يمكن حصرها بالآتي:

أولاً: ظروف المجتمع الصليبي ودينامياته الداخلية: إن تفكك المجتمع الصليبي وجموده، ومعاناته من الانقسامات نبتت من الطابع الإقطاعي الذي حمله ذلك المجتمع معه من أوروبا، فضلاً عن الانقسامات التي شهدتها ذلك المجتمع بين الأجيال التي نفذت الحملة الصليبية، وتلك التي نشأت في المجتمع الصليبي نفسه، والانقسامات التي ظهرت \_ تحت وطأة الضغط العربي \_ بين أبناء المدن والممالك الأوروبية المختلفة الذين تكون منهم ذلك المجتمع.

ثانياً: الإطار الدولي الذي تحركت فيه الحركة الصليبية: تقطع الجسور بين المجتمع الصليبي المزروع في المشرق العربي وبين الوطن الأم، أي بلاد العالم الأوروبي وبخاصة من زاوية ضمور المدد البشري المستمر اللازم لدعمه وتقويته<sup>(2)</sup>، فالظاهرة الصليبية أخذت تذوب حين

(1) عمر بن الخطاب يقض مضاجع الصهاينة من قبره"

(2) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 218

انقطع عنها المد الأوروبي<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: الظروف العربية الإسلامية المحيطة (نمو القوة العربية الإسلامية): إن تحلل المجتمع الصليبي، وتفكك روابطه مع أوروبا، ما كان يمكن أن يؤدي إلى هزيمته وزواله من المنطقة، ألا مع تنامي القوة العربية الإسلامية المحيطة به واختلال توازن القوى بينهما لمصلحة الطرف العربي الإسلامي، ومن المهم الإشارة إلى حقيقة أن القاعدة التكنولوجية لكل من الصليبيين وجيرانهم العرب والمسلمين إنما كانت في الفترة موضع البحث عنصراً استراتيجياً محايداً، ما يعني أن التوازن بينهما كان مرتبطاً بشكل حاسم بالنواحي الاجتماعية والمعنوية، بخاصة في ما يتعلق بالقدرة على تحقيق التضامن أو الوحدة<sup>(2)</sup>.

### إسرائيل وتجربة الحروب الصليبية (حروب الفرنجة)

هناك سؤال يطرح نفسه: هل هناك بالفعل ما يضمن بقاء إسرائيل في المنطقة؟ أم أن مصيرها الآجل أو العاجل هو مصير الإمارات الصليبية؟ وقد كان المثقفون الإسرائيليون أسرع منا إلى طرح السؤال وإلى الإجابة عليه، ومع تسليمهم بوجود تشابه قوي بين إسرائيل والإمارات الصليبية، فقد أكد الجميع أن إسرائيل باقية بسبب:

1- أن التاريخ لا يعيد نفسه، وهذا صحيح إلى حد كبير، لكننا رأينا أن التاريخ يعيد نفسه أحياناً، إن لم يكن بالصورة ذاتها فبمضمونها؛ لأن التاريخ ليس تراكمًا من الحوادث العشوائية، وليس سيلاً من المصادفات، ولكنه قوانين موضوعية تترتب فيها النتائج على الأسباب، وكما فعلت هذه القوانين في الماضي، فهي تعمل في الحاضر والمستقبل.

2- بنى الإسرائيليون ثقتهم في المستقبل، على أنهم أصحاب حق في فلسطين، أما الصليبيون فهم مجرد غزاة أجنبي، غير أن هذا التمييز لا يستند لأي أساس موضوعي، فالعواطف الدينية والإغراءات التي دفعت الصليبيين لاجتياح بلاد الشام وإقامة مملكتهم، هي ذاتها التي دفعت الصهيونيين لإقامة إسرائيل، وربما كانت العواطف الصليبية أقوى وأعنف، أما الكلام عن حق اليهود في العودة إلى فلسطين التي رحلوا عنها قبل ألفي عام فهو يشبه أي كلام عن فردوس مفقود نحلم به دون أن نبلغه!

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 104

(2) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 51

3- الذي يمكن إسرائيل من البقاء في نظر المثقفين الإسرائيليين، وينقذهم من المصير الصليبي أنهم أرقى وأكثر تقدماً من العرب الذين كانوا في العصور الوسطى، وأرقى وأكثر تقدماً من الصليبيين، فإذا كنا قد غلبنا الصليبيين في العصور الوسطى، فسوف يغلبنا الإسرائيليون في العصور الحديثة، لكن هذه نبوءة أو أمنية أكثر من أن تكون حقيقة يعتد بها أو يعتمد عليها، ولاشك أن عالماً عربياً تجمعه الروابط المشتركة والمصالح الحيوية وتسوده الديمقراطية قادر على الدفاع عن حقوقه واستخلاصها؛ لأنه لا يطلب ما ليس له؛ ولأنه يملك ما لا تستطيع أية قوة أن تتجاهله أو تعتدي عليه.

4- إن إسرائيل، كما يرى المثقفون الإسرائيليون، ليست جزيرة بعيدة عن حلفائها الغربيين معزولة عنهم كما كانت الإمارات الصليبية بعيدة معزولة عن أوروبا معرضة للحصار والسقوط في أيدي أعدائها قبل أن تصل إليها النجدة، لقد وضعت الأسلحة المتطورة حدا لهذا الخطر واستطاعت وسائل الاتصال الحديثة أن تلغي المسافات، وإذا كانت المستعمرات الغربية في أمريكا، وأستراليا، وجنوب أفريقيا قد نجحت في البقاء برغم بعدها عن قواعدها، فلماذا لا تنجح إسرائيل والظروف الآن أفضل مما كانت حين بدأت الهجرة الأوروبية إلى هذه المستوطنات؟<sup>(1)</sup>

وإذا كان من المستبعد في رأي المؤرخون الإسرائيليون أن تلقي إسرائيل مصير الإمارات الصليبية؛ لأن الزمن اختلف؛ ولأن التاريخ لا يعيد نفسه، فلماذا لم يمنع اختلاف الزمن المشروع الصهيوني من أن يكرر المشروع الصليبي حتى الآن على الأقل؟ وكيف سمح القرن العشرون بأن تقوم في بلد عامر بأهله مستعمرة استيطانية لا تختلف عن مملكة القدس الصليبية التي قامت في هذا البلد ذاته في القرن الثاني عشر؟ وهل هناك مشروع سياسي تحدى قوانين التاريخ كهذا المشروع الصهيوني الذي قام على الأساطير وحدها، وضرب بالحق والمنطق والقانون عرض الحائط؟ ألم تبدأ الصهيونية من أسطورة أرض الميعاد التي زعم أصحابها أنها تعطيهم الحق في العودة إلى فلسطين، التي كان يسكنها أسلافهم قبل ألفي عام؟ وكأن فلسطين كانت ملكاً خالصاً لأسلافهم، فلم تسكنها معهم وقبلهم وبعدهم شعوب أخرى، وكأن تاريخها بدأ بهم وانتهى بهم!<sup>(2)</sup>

(1) أحمد عبد المعطي حجازي مصيرنا.. ومصيرهم!. الأهرام، 19 مايو 2004- عدد 42898،

(2) عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 15-17

## ثانياً: مقارنة بين الاستيطان الأوروبي في المغرب العربي والاستيطان الصهيوني في فلسطين:

تعرض المغرب العربي عامة، والجزائر بشكل خاص، لهجمة استعمارية استيطانية شرسة، عندما احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر عام 1830، ومن ثم تونس سنة 1881، ومراكش سنة 1912، واحتل الاستعمار الإيطالي ليبيا سنة 1911، وقد اطلق على المستوطنين الأوروبيين الذين سكنوا أو ولدوا في المغرب العربي، تسمية (الأقدام السوداء): لأن الهجرة والتهجير والإبادة الجماعية كادت أن تقضي قضاء يكاد يكون كاملاً على البنية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية للمجتمع الجزائري، وكان الاستيطان الغربي في هذه المنطقة مجالاً للعمل، وساهم إلى حد بعيد في القضاء على البطالة داخل فرنسا بصورة أساسية، ولم يقتصر الأمر على الجانب الاقتصادي بل كانت الدوافع السياسية لا تنفصل عن الدوافع الاقتصادية في خطوات الدول الاستعمارية، فقد كانت فرنسا طوال احتلالها للجزائر في القرن التاسع عشر تؤمن بفكرة إدماج الجزائر بها، ولذا كانت مقتنعة خاصة في عهد الجمهورية الثالثة 1871- 1940 بأن نقل المواطنين الفرنسيين وتوطينهم في الجزائر وتوزيع الأرض عليهم هو الطريق لتحقيق تلك الفكرة.. وكان الاستيطان في الجزائر تجربة ونموذجاً سعت فرنسا لتعميمه في المناطق التي احتلتها في المغرب العربي، حيث هيأت الدعم عن طريق احتلالها للمنطقة واستيطانها<sup>(1)</sup>.

وعلى الصعيد الاجتماعي كانت سياسة الاستيطان الفرنسية سياسية عنصرية تفضل المستوطن الأوروبي على المحلي في العمل وتفرق بين العمال المستوطنين والمواطنين في الأجر، لا لتحقيق سياسة اقتصادية فحسب، وإنما أيضاً لأن هذه السياسة العنصرية كانت تنبع من فكرة التفوق الغربي لتبرير الاحتفاظ بالامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتبعية السكان العرب للمستوطنين، إلى درجة أنهم اتهموا العرب بأنهم جنس غير قابل للتعليم<sup>(2)</sup>.

وقد شهدت حركة الاستيطان مرحلتين: مرحلة الاحتلال الضيق، حيث انحصر الاستيطان تقريباً في المناطق الشمالية، لكن تخوف فرنسا من تنامي قوة الأمير عبد القادر<sup>(3)</sup> وإجبارها على

(1) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 15-17

(2) المصدر السابق، ص 84

(3) تامر بدر، قادة لا تنسى، الأمير المجاهد، عبد القادر الجزائري، سير الأعلام من موقع قصة الإسلام، نشر في

2014/03/12

الاعتراف بحدود نفوذه، جعلها تعيد النظر في سياستها الاستيطانية وراحت تسن القوانين لصالح الحركة الاستيطانية، فأصدر حاكم الجزائر قراراً عام 1830 يبيح مصادرة أملاك الوقف لتوزيعها على الوافدين الأوروبيين، ثم بدأ الاحتلال الشامل مع بداية عام 1835، إذ شهد فيه الاستيطان أوج ازدهاره، وأفتتح المارشال الكلونيل عهده مخاطباً المستعمرين قائلاً: "لكم أن تؤسسوا من المزارع ما تشاءون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها، وكونوا على يقين بأننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة، وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد، وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا"، وبمجيء الجنرال (بيجو) صرح عام 1840، أمام النواب: "يجب أن يقيم المستوطنون في كل مكان توجد فيه المياه الصالحة والأراضي الخصبة، دون الاستفسار عن أصحابها"، وعمل على تشجيع استعمار الأرض وتسليمها للمستوطنين، مما أدى إلى تحطيم الوضع القبلي، كما أنه عمل في الأربعينات من القرن التاسع عشر على تحديد بعض الأراضي كملكية فردية للمستوطنين<sup>(1)</sup>، وأخذ يشجع العسكريين الذين أنهموا خدمتهم على الاستقرار في الجزائر، وأنشأ المستوطنات كي يعملوا فيها بصفة جماعية.

وبمقارنه سريعة بين الاستيطان الغربي في الجزائر والاستيطان الصهيوني في فلسطين يمكن ملاحظة الآتي:

1- إن سلوك الجماعات الاستيطانية تجاه السكان الأصليين في كل من المغرب العربي وفلسطين كان يعكس نفسه في اتجاهين: الأول: ممارسة العنف بمختلف صورته وأشكاله للقضاء على العنصر السكاني الأصلي، وبالتالي إلغاء هوية القضية الوطنية من جذورها، والأخير: ممارسة التفرقة العنصرية بمختلف صورها وأشكالها على من تبقى من السكان الأصليين ممن لم يتمكن المستوطنون من إبادتهم أو دفعهم للزوح، وفي كلتا الحالتين: في المغرب العربي وفي فلسطين، كان من ضمن الادعاءات الاستيطانية أن المستوطنين يحملون رسالة حضارية لتطویر وبناء المناطق التي استوطنوها وبذلك يحاولون أن يضيفوا على استيطانهم حقوقاً مشروعة للغزو والسيطرة، وفي الحالتين أصر المستوطن على الاحتفاظ بالأرض التي سيطروا عليها، فالاستعمار الفرنسي كان يعتبر الجزائر جزءاً من الأراضي الفرنسية، ورفع شعار إدماج الجزائر<sup>(2)</sup>.

(1) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 20

(2) المصدر نفسه، ص 140

2- اتبعت السلطات الفرنسية سياسة الهجرة الجماعية المكثفة والسيطرة على الأراضي، وتهجير السكان الأصليين لاسكان المهاجرين مكانهم، وفرضت تجنيس من تبقى من المواطنين بجنسية المستوطن بطرق مختلفة. ونفس السياسة اتبعتها إسرائيل لإلغاء الهوية الفلسطينية، وإذابتها بالكيان الاستيطاني.

3- كانت البداية في التجريبتين بالهجرة والسيطرة على الأرض، و ثم تنظيم المستوطنين مدنياً وعسكرياً وبناء القاعدة الاجتماعية والمادية الصلبة حتى يقام الكيان الاستيطاني، فهو استيطان منظم وبدعم استعماري في الحالتين، وهو استيطان عنصري تشرف عليه منظمات للسيطرة على الأرض، ويعتمد الكثافة العالية في إعداد المستوطنين، ولا يتورع عن استخدام العنف في تهجير المواطنين أو إبادتهم.

4- عمل الاستعمار الفرنسي على إيجاد شعب فرنسي بالجزائر من خلال تشجيعه لحركة الاستيطان بعد مصادرة الأراضي واستثمارها بما يخدم المصلحة الفرنسية والمستوطنين، أما الشعب الجزائري فقد أخضع لمجموعة من القوانين الاستثنائية شديدة القسوة، وجرده من مقومات شخصيته وممتلكاته، وهذه نفس السياسة التي اتبعتها الاستعمار البريطاني والكيان الصهيوني فيما بعد في فلسطين.

5- هناك كثافة سكانية في المغرب العربي أكبر منها في فلسطين، ونرى هجرة أبناء المغرب العربي إلى الدولة المستعمرة لحاجتها إلى الأيدي العاملة في الصناعة ولتفريغ مناطقها ليسهل استيطانها، وكان هدف فرنسا دمج المنطقة بإمبراطوريتها، واخضاع شعبيها أكثر من طرده، والهجرة في كلتا الحالتين كانت لها دوافع سياسية واقتصادية وتتحقق بالقوة العسكرية، والسيطرة على الأرض كانت الهدف الأساسي في كلتا التجريبتين، وكان الدعم الاستعماري للمستوطنين هاماً وأساسياً في المنطقتين.

6- أن سكان المنطقتين عرب وغالبيتهم قبائل تعمل في زراعة الأرض، وكان الهدف هو إذابة الهوية الوطنية لديهم، والقضاء عليها. حيث انصب الجهد على القضاء على اللغة القومية والثقافة الوطنية، وقطع صلة ثقافة المجتمع الأصلي بتوابئه وتاريخ أمته، فلجأت فرنسا إلى فرنسة المغرب العربي، والقضاء على لغته وثقافته، ولجأت الصهيونية إلى تهويد فلسطين<sup>(1)</sup>.

(1) انظر: الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي، ص12

7- دام الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر أكثر من (130) عاماً، قاومه الشعب الجزائري البطل بالكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية إلى أن جاء شارل ديغول، واتخذ قراره التاريخي "الاعتراف باستقلال الجزائر" فعاد المستوطنون إلى فرنسا، وزال الاستعمار الاستيطاني الفرنسي من الجزائر<sup>(1)</sup>، أما في فلسطين فالكفاح لا زال مستمراً.

8- كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين قبل الفكرة الصهيونية فردية وسلمية، وكان الاستيطان الأوروبي في المغرب العربي قبل الاحتلال فردياً وسلمياً، ولكنهما في كلتا الحالتين مع الفارق بينهما، تطورا إلى استعمار استيطاني عنصري هدف إلى إبادة الشعب الأصلي والقضاء عليه ومحو شخصيته<sup>(2)</sup>.

وبمحاولة استقصاء سمات هذا النموذج الذي انتصر فيه السكان الأصليون، فيمكن تلخيصها بما يلي:

- 1- تم الإطار الاستعماري التوسعي للمشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر، في إطار التوسع الاستعماري الفرنسي لتأمين استدامة الاحتلال الفرنسي وضم الجزائر لفرنسا.
- 2- تجانس المستوطنين العرقي والديني والحضاري (الثقافي)، وكثافة تدفقهم الجماعي إلى مناطق جغرافية مكتظة بالسكان المتجانسين عرقياً وحضارياً، ما أبقاهم أقلية نسبية أجنبية مختلفة، على الرغم من كبر عددهم، من ناحية أخرى: فقد تجاوز عدد المستوطنين الفرنسيين في الجزائر مليون ونصف مستوطن، شكلوا نحو 13 - 15 % من إجمالي سكان البلد الأصليين.
- 3- الطبيعة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين، والارتكاز على مفهوم التفوق العرقي في بناء منظومة قيمية وقانونية واقتصادية واجتماعية تقتصر عليهم وإقامة تجمعات استيطانية خاصة بهم.
- 4- التأسيس لمجتمعين متباينين: مجتمع أقلية استيطانية صغير متقدم ومتعال ينفرد بالمزايا والحقوق، ويحكمه نظام ديمقراطي يُقتصر عليه، ومجتمع الأغلبية من السكان الأصليين محرومين من أساسيات الحياة، يحكمه النظام ذاته بمنهج استعماري استبدادي يستبيح حياتهم وكرامتهم، وحقوقهم الإنسانية.

---

(1) غازي حسين، لاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، اتحاد الكتاب العرب في دمشق- أيلول 2003، ص28

(2) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص13

- 5- اختلال ميزان القوى وبخاصة العسكري لصالح المستوطنين، والاستخدام المتواصل للقوة المفرطة لحماية مصالحهم، ولضمان استئثارهم بموارد البلاد، وحرمان السكان الأصليين وتسخيرهم لخدمتهم.
- 6- غياب أي مرونة لدى المستوطنين في مختلف مراحل الصراع مع السكان الأصليين، وإغفالهم مضمون موازين القوى الشمولي، وتغافلهم عن تأثيراته التراكمية المؤسسة لتحول نوعي، وتواصل احتفاظهم بسماتهم الاستعمارية، وأيديولوجيتهم العنصرية، ومواصلة التنكر لحقوق السكان الأصليين في الحرية وتقرير المصير، ما يقوّض أسس التعايش المشترك، ويدفع بالصراع التناحري إلى حدوده القصوى<sup>(1)</sup>.

---

(1) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص 326

## المبحث الثاني: النموذج الثاني: انتصار حاسم للمستوطنين على السكان الأصليين (أمريكا الشمالية)

استغل المستوطنون ودهاقنة الاستعمار التقليدي والاستيطاني، الدين لتبرير أفعالهم بالزعم برغبتهم في تحقيق الرسالة الدينية، بهدف إدخال الشعوب الوثنية في المسيحية، حيث كان المبشرون المسيحيون ورجال الدين في طليعة الجيوش الاستعمارية، وكانوا الرواد الأوائل في حركة الاستيطان في بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، واستخدمت الصهيونية والاستعمار مقولة "شعب الله المختار" وخرافة "أرض الميعاد" وعودة اليهود إليها لتوطين اليهود في فلسطين العربية، وزعم الفريقان أن الله اختارهما لنشر دينه في المناطق المكتشفة حديثاً في الأمريكيتين وفي فلسطين، وانطلقوا من مقولات عنصرية كاذبة كالتفوق والاختيار الإلهي والحضاري لتمدين الشعوب الهمجية. ولبيان دور الأساطير الدينية في الاستعمار الاستيطاني سنعرض لتجربة الاستعمار العبراني القديم لفلسطين، باعتبارها التجربة الأم لكل التجارب الاستعمارية.

### تجربة الاستعمار الاستيطاني العبري لفلسطين

لعل أقدم ألوان الاستعمار الاستيطاني الذي اعتمد سياسة الإبادة للسكان، والحلول محلهم في أرضهم وديارهم، هو الاستعمار العبراني لبعض المناطق في أرض كنعان "فلسطين"، ولعل أقدم النصوص التي تحكي صنيع هذا الاستعمار العبراني هي تلك التي كتبها اليهود في أسفار العهد القديم، وزعموا أنها أوامر إلى بني إسرائيل، ترسم لهم خطة الإبادة لأهل كنعان واستعمار مدنها وأرضهم استعماراً "استيطانياً"<sup>(1)</sup>.

فقد جاء في سفر "العدد": "وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: "كلم إسرائيل، وقل لهم إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين

(1) انظر: منير العكش، حق التضحية بالآخر أمريكا والإبادة الجماعية، رياض الريس للكتب والنشر- ط1

تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم!"<sup>(1)</sup>. وفي سفر "التثنية" لا يقنع إله بني إسرائيل (بتردد) سكان البلاد التي يستولي عليها العبرانيون، وإنما يطلب منهم إبادة هؤلاء السكان وهذه الشعوب! فيقول هذا "الرب" لإسرائيل: "سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربهم فإنك تحرمهم (تبيدهم)، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم؛ لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب!"<sup>(2)</sup>.

وحق المدن التي يصلح أهلها هؤلاء الغزاة العبرانيين، يأمر ربهم بتحويل السكان الذين صالحوا إلى "عبيد للسخرة"، أما إذا حارب السكان دفاعاً عن أرضهم ومدنهم، فإن إبادتهم هي "الحكم الإلهي"، بل إن هذا الحكم الإلهي واجب التنفيذ إذا صدر قول من هؤلاء الضحايا المساكين: "إن سمعت عن إحدى مدنيك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً. فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها (تدمرها وتهلكها) بكل ما فيها.. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد.. وحين تقترب من مدينة كي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف..."<sup>(3)</sup>!

## الاستعمار الاستيطاني البروتستانتي في أمريكا الشمالية

كانت وثائق الاستعمار الاستيطاني - كما وردت في التوراة اليهودية- والتي مارسها اليهود العبرانيون قديماً على أرض كنعان -فلسطين- هي ذات الممارسات التي يمارسها الصهاينة في استعمارهم الاستيطاني الحديث والمعاصر لأرض فلسطين، بل إنها ذات الممارسات التي مارسها البروتستانت مع الهنود الحمر في أمريكا ومع سكان استراليا ونيوزيلندا الأصليين، حيث تجلى إرهاب وعنصرية المستوطنين وإغراقهم في التمييز العنصري والإبادة باستخفافهم بحقوق وحياة وكرامة السكان الأصليين.

(1) سفر "العدد" إصحاح (33: 50-53-55-56).

(2) سفر "التثنية" إصحاح (7: 1-3-6-7-14-16).

(3) سفر "التثنية" إصحاح (13: 12, 15, 17)، وإصحاح (20: 10-16).

فبعد أن أسس الأسبان مدينة فلوريدا عام 1513، جاء الإنجليز، فأسسوا مدينه على شاطئ ولاية فيرجينيا الحالية عام 1607، سميت (جيمس تاون)، وقام بعد ذلك بعض المهاجرين من المتدينين الإنجليز الذين فروا من الاضطهاد الديني في إنجلترا بتأسيس ولاية ماساتشوستس عام 1620. "لقد أقدم نوعان من الناس على اقتحام العالم الجديد لبناء المستعمرات أوائل القرن السابع عشر، كان كلاهما، يبعثان عن مصيريهما إلى فرجينيا مع الكابتن (جون سميث)، ذهب المغامرون والحرفيون سعياً وراء الثروة، وإلى ماساتشوستس مع حاكم الولاية جون ونثروب ذهب الحجاج والمتطهرون (البيوريتانيون) بحثاً عن الفردوس، هذان الدافعان ظلا يحركان عملية التوسع الأمريكية منذ ذلك التاريخ"<sup>(1)</sup>.

### 1- المهاجرون الجدد وثقافة العهد القديم (التوراة):

عندما بدأ الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين من البروتستانت، الذين فروا من الاضطهاد الديني في أوروبا، حيث هاجر إلى أمريكا كثير من البيوريتان المتدينين، فراراً من الاضطهاد الديني الذي ساد إنجلترا أثناء حكم آل ستيوارت<sup>(2)</sup>، وكانوا ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم، "فعلى غرار الخروج الجماعي المذكور في العهد القديم، والذي هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى أرض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة، أما العالم القديم فكان هو مصر التي فروا منها، لذا عقدوا عهداً مع الرب: "أنه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية"<sup>(3)</sup>.

وهكذا، كان هؤلاء المستوطنون يحملون معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، والذي أخذ يلعب دوراً رئيساً في تشكيل الفكر الأمريكي منذ ذلك الوقت، ومما قوى من أهمية هذا الدور هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا بالذات، وبين التجارب التي مر بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض

(1) كلايد برستوفتز، الدولة المارقة – الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: فاضل جتكر، شركة الحوار الثقافي- ط1، 2003، ص43

(2) محمد النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى 1877، ج1، دار الثقافة الجديدة، ط1، 1997، ص33

(3) مايكل كوربت وجوليا كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: عصام فايز، وناهد وصفي، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002، ص44

فلسطين<sup>(1)</sup>، حيث اعتبروا أمريكا هي (أورشليم الجديدة) أو (كنعان الجديدة)، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك جيمس الأول)، وهربوا من أرض مصر (إنجلترا) بحثاً عن أرض الميعاد (الجديدة).<sup>(2)</sup> "فقد رأى البيوريتانيون، في تجربتهم الخاصة المتمثلة "بالهروب إلى البراري" من أوروبا المنحوسة مساوية لتجربة اليهود الذين قادهم موسى من مصر، لقد آمنوا بأن تجربتهم لم تكن في الحقيقة إلا تجسيداً حياً لتجربة الخروج، وقد فسروا تجربتهم على أنها تكرار للتاريخ الذي شكل شعب الرب القديم"<sup>(3)</sup>.

فهم مثلهم مثل اليهود، فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التي تدر لبناً وعسلاً، وجاءها الصعاب في رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود في صحراء سيناء عند خروجهم من مصر، كما أنهم جوهوا بمقاومة السكان الأصليين، كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين، وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود في حربهم ضد الفلسطينيين في الماضي، لقد عانوا من الإنقسام ومن تجارب الحرب الأهلية المرة بين الشمال والجنوب، كما حدث مع اليهود القدماء عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

لقد كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافي مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا لذلك بحاجة إلى شيء يبرر لهم أفعالهم هذه ويضفي عليها نوعاً من الشرعية والأخلاقية ولو المزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا في العهد القديم، فكما أن اليهود القدماء برروا إحتلالهم لفلسطين بالإدعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لشعبه المختار، فإن المستوطنين الجدد فعلوا نفس الشيء بالإدعاء بأن الله اختار العنصر الأنجلوسكسوني البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم، وحاول بعضهم أن يجد رابطة

---

(1) اندماج: يوسف الحسن، دراسة في العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، دار المستقبل العربي- القاهرة، 1986، ص119

(2) والتر. مكوجال أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، ترجمة: رضا هلال، دار الشروق، ط2، 2001، ص5

(3) بول مركلي، الصهيونية المسيحية (1891-1948)، ترجمة: فاضل جتكر، سوريا، قدمس للنشر والتوزيع، 2003، ص105

بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار، يقول (ريتشارد بروتز) في كتابه (المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمات): "أن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودي، وأنهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي ادعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام 721 ق.م."<sup>(1)</sup>.

يقول (هيرمان ملفيل) في بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن الشعب الأمريكي: "نحن الأمريكيين شعب خاص، شعب مختار وإسرائيل العصر الحاضر"<sup>(2)</sup>، أما القس (صموئيل ويكمان) فقال في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة (أرابلا) التي حملت أول مجموعته من البروتستانت إلى خليج ماساشوستس: "إن أورشليم كانت.. ونيوانجلاند (المستعمرة الأولى) هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا مثلكم، أنتم (البروتستانت التطهيريون) شعب الله المختار، وعهد الله معكم، فضعوا اسم نيوانجلاند مكان اسم أورشليم". وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيو أنجلاند على ظهر السفينة (ماي فلاور) عام 1620م، وقعوا فيما بينهم (عهد ماي فلاور) الذي حددوا فيه طريقة الحياة التي يرغبونها، وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة أو إسرائيل الجديدة (أمريكا)، وذلك تمجيداً لاسمه تعالى، وترويجاً للدين المسيحي..."<sup>(3)</sup>.

## 2-التبرير الديني للنهب والسلب والإبادة:

نشأت الولايات المتحدة الأمريكية تاريخياً، على قاعدة إخلاء الأرض وإبادة السكان الأصليين (الهنود الحمر)، ووصمت النشأة التاريخية سلوك السياسة الأمريكية منذ ظهورها عالمياً، وفرضت قانونها الموضوعي: "قانون إنكار الآخر، إما بإبادته وجوداً أو اختزاله إلى مجرد محل للتصرف" تلك السياسة التي ارتكزت على نظرية التفوق العرقي والاختيار الإلهي التي ورثوها من أجدادهم الإنجليز، واعتقادهم بأن البروتستانتية هي التعبير الحقيقي عن الإيمان المسيحي، وإيمانهم بأن التطهيريين (البيوريتان) هم خير من يمارسها في شكلها الصحيح. واعتبر الإنجليز كل من يختلف عنهم بأنه من مرتبة أدنى منهم"<sup>(4)</sup>.

(1) محمد ربيع، أزمة الفكر الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ص46.

(2) كلود جوليان، الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة: ناجي أبو خليل، دار الحقيقة بيروت 1970م، ص19

(3) دايان رافيتش... وآخرون، مختارات من الفكر الأمريكي، ترجمة: نمير مظفر - ط1، الأردن: دار الفارس،

1998ص.27

(4) محمد جلال عناية، أمريكا وأزمة ضمير، ط1، 2002، ص24.

لقد أعطى الأميركيون البيض لمعركتهم مع الهنود الحمر الطابع الديني، وكأنتهم يخوضونها بالنيابة عن الله والمسيح، ليبرروا اضطهادهم لسكان البلاد الأصليين، وسرقة أرضهم، فعندما زحف (أبناء الرب) من جزيرة "روانوك" في اتجاه الغرب لم تكن حروب الإبادة والتطهير العرقي وحرق المحاصيل، ومصادرة الأراضي، وإطعام الأطفال الهنود للكلاب إلا مظاهر (لإرادة الله، يهوه) في العهد القديم<sup>(1)</sup>، وهذه العقلية المتعالية التي لم ترفي الآخرين (الهنود) سوى وثنيين مجردين من إنسانيتهم وحقوقهم، ولا يستحقون المواطنة، ليست بعيدة عن فكرة (شعب الله المختار)، وهي رؤيا كانت كافية لاستعباد الهنود والدعوة إلى استحالة دمجهم في الأمة. حيث استند التطهيريون الإنجليز لتبرير مطاردتهم للهنود وسرقة أراضيهم إلى سفر يشوع ومنطق الإبادة المقدسة في العهد القديم، وكتب أحدهم يقول: "بديهي أن الرب يدعو المستوطنين إلى الحرب، فالهنود اعتمدوا على عددهم وأسلحتهم كما فعلت قبائل النقب القديمة (العمالقة والفلسطينيون) متحالفين مع غيرهم ضد شعب إسرائيل، وفي ظل هذه الذهنية مورست الإبادة الجماعية ضد الهنود، وكأنتهم هم الذين غزوا أراضي المستوطنين، فيما كان المهاجرون يتهبون أراضيهم ويدمرون حياتهم"<sup>(2)</sup>.

لقد كان هؤلاء الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين، ويعتبرون هذا العالم الجديد بديلاً عن (أورشليم)، والأراضي المقدسة، ولهذا فقد سموه بكل الأسماء التي أطلقها العبرانيون على بلاد كنعان، وما يزال التاريخ الأميركي إلى الآن يضفي على هؤلاء الحجاج قداسة طوباوية، ويعتبرهم أول نموذج للاستثناء الأميركي الذي فضله الله على العالمين، وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، وجعل العهد الذي عقده مع الله على متن سفينتهم الأسطورية (مايفلاور) من اللحظات النادرة الخالدة في التاريخ، كما يقول الرئيس الأميركي (جون آدمس). "فعهدهم مع الله جدد عهد الإسرائيليين القدامى، وتأسيس مستعمرتهم على صخرة بليموث ضاهي تأسيس الكنيسة على صخرة بطرس، قضية هؤلاء الحجاج هي الأصل الأسطوري لكل التاريخ الأميركي، وما يزال كل بيت أميركي يحتفل سنوياً في عيد الشكر بتلك النهاية السعيدة، التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البريطاني، وخروجهم من أرضه وتيهيم في البحر وعهدهم الذي أبرموه على ظهر سفينتهم مع يهوه، ووصولهم في النهاية إلى أرض الميعاد"<sup>(3)</sup> ويعتبر هذا العيد الطقسي

(1) منير العكش، إحق التضحية بالآخر أميركا والإبادات الجماعية، ص 152.

(2) عبد الغني عماد، صناعة الإرهاب، دار النفائس، ط1، 2003، ص74-75.

(3) منصور عبد الحكيم، الامبراطورية الأمريكية البداية.. والنهاية، دار الكتاب العربي، ط1 2005 ص 37

من أكثر أعياد أميركا قدسية، فهو طقس يتضمن تقديس فتح الاستعمار الاستيطاني، والتأكيد على التفوق الطبيعي والأخلاقي للمستعمرين، وهو احتفال برعاية الله لكل عناصر أسطورة الولادة المقدسة للتاريخ الأمريكي<sup>(1)</sup>.

فاستيطان أميركا كان يجري في سياق أيديولوجي ثنائي القطب، أولاً: الاغتناء المادي، وثانياً: تمجيد الإنجاز الإلهي، فالأمة الأميركية ورجال الكنيسة والمتقفون الأوائل هم شعب الله المميز، الذي جاء على قدر. (فوليام مستوغتون1701م) يرى أن الله اختار مواطني أميركا بعناية، فغربلهم كما تغربل الحبوب لفصل البذرة الصالحة عن غيرها. (وجون وينثروب) (حاكم ماساشوستس)، ذهب إلى وصف نفسه وأصحابه بأنهم في خدمة المسيح، وأنهم يرتبطون معه بميثاق، وأنهم أعضاء جسم فريد موحد، وهم شعب الله المختار وإله إسرائيل بينهم<sup>(2)</sup>.

وتعزو أميركا بشكل جزئي هويتها الوطنية إلى انتشار كثير من الأساطير القوية التي انبثقت في أوائل تاريخها، حيث يرتبط كثير منها (بالآباء المؤسسين)، وأقوى هذه الأساطير، أسطورة (بيان المصير) وهو الاعتقاد بأن الاستيطان في تلك الأراضي الشاسعة غير المسكونة وترويضها من قبل المستوطنين الأوروبيين، كان حدثاً تم بموجب مقاصد إلهية، فالله اصطفى الأمة الأميركية من بين الأمم والشعوب وفضلها عليهم، وجعلها شعبه المختار وذلك من أجل قيادة العالم وتخليصه من الشرور<sup>(3)</sup>. وفي التعابير التي كانت تدور على السنة سكان المراحل الأولى من تاريخ فيرجينيا، أعلن أوائل المستوطنين عن أنفسهم بجرأة أنهم كما يقول (جون رولف): "شعب له خصوصيته، أشار إليه واختاره إصبع الله لامتلاك تلك الأرض لأنه معنا دون شك". وقد حافظ المؤسسون بدقة على الشكليات الدينية المعروفة آنذاك بما فيها القوانين التي تتطلب التردد على الكنيسة<sup>(4)</sup>.

فهؤلاء المهاجرون المتدينون الهاربون من النظام الطبقي البغيض، ومن كل سلطة دنيوية أو دينية بحثاً عن حياة جديدة، لم يكونوا واثقين إلا من شيء واحد: أن الله فضلهم

(1) حق التضحية بالآخر، ص 39

(2) ميشال بوغنون مرردان، أميركا التوتاليتارية الولايات المتحدة والعالم: إلى أين؟، تر: خليل أحمد خليل- ط1، بيروت، لبنان: دار الساق، 2002.

(3) حق التضحية بالآخر، ص 149

(4) جورج مارسدن، الدين والثقافة الأميركية، ترجمة: صادق عودة- دار الفارس للنشر والتوزيع - ط1 2001-

واصطفاهم على العالمين، وأعطاهم الأرض وحق تقرير الحياة والموت والرزق لكل من يعيش فوق هذه الأرض، هكذا حمل شعب الله سيف الجلال المقدس، ولم يساوره الشك في أن الإبادة لم تكن إلا تدبيراً إلهياً مباركاً ورسالة في المجاهل عهدها الله إليهم<sup>(1)</sup>.

وبناء على هذا الموقف العنصري المتعالي، المغلف بالمعاني الدينية التوراتية، لم يجد المؤسسون الأوائل لأمريكا أي حرج، في إبادة الهنود الحمر واستعباد الزوج ماداموا أجناساً أقل مرتبة ومتوحشين، وهو نفس الموقف الذي استخدمه اليهود قديماً وحديثاً مع الفلسطينيين والشعوب المجاورة، "لقد صارت هذه الأخلاق الإبادية عقيدة وأيديولوجيا، بل صارت النواة الصلبة للقومية الأمريكية وتعطي أوضح صورته لمفهوم الأميركي عن نفسه وعن العالم، وهي التي جعلت الأميركيين يعتقدون بأن لهم الحق المطلق في أن يقتحموا أي غرب في أي مكان من الأرض"<sup>(2)</sup> فالتبرير الديني للسلب والنهب والقتل، ظل حاضراً على الدوام في التاريخ الأمريكي، حيث استهل الأميركيون وجودهم كأمة بعملية إبادة جماعية لشعب الهنود الحمر، باعتبار أن تلك الإبادة كانت من أجل المسيح وقياماً بعمل الله على الأرض<sup>(3)</sup>.

ومما تقدم يتضح لنا أهمية الدور الذي لعبه التراث الديني المستمد من العهد القديم في نجاح الاستعمار الاستيطاني لأمريكا، ولهذا يقول (والتر ماكدوجال) في كتابه أرض الميعاد والدولة الصليبية: "أن نشأة أمريكا كانت نتيجة اندفاعية دينية، بل إن مغامرة كولبوس لم تكن إلا مغامرة دينية، والرب جعله رسولاً للجنة الجديدة والأرض الجديدة، بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا، وأراه النقطة التي يجد عندها، إن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم"<sup>(4)</sup>.

وبمحاولة استقصاء سمات هذا النموذج الذي انتصر فيه المستوطنون على السكان الأصليين (استيطان أمريكا وكندا وأستراليا)، فسنجد أنه اتم بخصائص عدة، أهمها:

1- حادثة اكتشاف الدول وبعدها الجغرافي عن المراكز الأهلة بالسكان، واتساع رقعتها، ووفرة الموارد.

(1) حق التضحية بالآخر، ص 59

(2) الحق التضحية بالآخر، ص 139

(3) شفيق مقار، المسيحية والتوراة، بحث في الجذور الدينية للصراع في الشرق الأوسط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، إنجلترا، ط1، 1992 ص 409

(4) أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، ص 5

- 2- انخفاض كثافة السكان الأصليين، إذ لا تتجاوز نسبة (الهنود الحمر) 0.9 % من إجمالي سكان الولايات المتحدة الأمريكية، و1،8 % من سكان كندا، و2.4% من إجمالي السكان في استراليا.
- 3- الكثافة البشرية العالية للمستوطنين الذين تدفقوا بأعداد هائلة.
- 4- التنوع العرقي والإثني والديني والطائفي الكبير لمجتمع المستوطنين.
- 5- الفجوة الحضارية الهائلة (بالمفهوم الحدائي وليس الثقافي) بين السكان الأصليين والمستوطنين.
- 6- الاختلال الهائل في موازين القوى بين المستوطنين والسكان الأصليين، (بالمفهوم الشامل الديموغرافي والعسكري والسياسي والاقتصادي والإعلامي والعلمي والتكنولوجي ... الخ).
- 7- إقامة أنظمة ديمقراطية تركز على المواطنة، والتعددية، وحرية المعتقد، واحترام الخصوصية الثقافية، والمساواة التامة للجميع أمام القانون<sup>(1)</sup>.

---

(1) غانية مجلس، عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص325

## المبحث الثالث: النموذج الثالث: توافق سكان البلاد الأصليين والمستوطنين على

### العيش المشترك

#### أولاً: مقارنة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا

تكونت إسرائيل مثل جنوب أفريقيا، عبر مراحل التطور من كيان استيطاني، إلى استعمار استيطاني، فدولة استيطانية، وفي كلتا الحالتين فإن تبلور الكيان الاستيطاني في فلسطين وفي جنوب أفريقيا إنما تم وفقاً لجهود واع ومنظم، وارتبط بمعايير معينة مثل نسبة حجم المستوطنين إلى السكان الأصليين، وتفاوت المهارات الفنية والتكنولوجية، وتكريس الانفصال الحضاري والجغرافي بين الطرفين، فضلاً عن توافر إطار دولي مؤات لعملية الاستيطان المنظم، كما أن الكيان الاستيطاني في كل من فلسطين وجنوب القارة الأفريقية تحول إلى حقيقة سياسية، باتخاذ شكل الاستعمار الاستيطاني، وفي كلتا الحالتين فإن تبلور السمات الاستعمارية إنما تم أولاً من خلال إنشاء العديد من المؤسسات التي تقوم بتنظيم الهجرة وتمليك الأراضي وتشغيل المستوطنين، فضلاً عن المؤسسات المعنية بالتعامل الدبلوماسي الخارجي، ومؤسسات العنف لمواجهة المخاطر المحتملة من المواطنين الأصليين، ومن ناحية ثانية فإن أخطر مهام تلك المؤسسات كان الاستيلاء على الأرض بكل الطرق المتاحة باعتبارها القاعدة المادية لدعم الكيان الاستيطاني وتطويره.

وأخيراً شهدت كلتا التجربتين عملية غزو منظمة استهدف المستوطنون بمقتضاها "فتح" الأقليم ككل بما ارتبط بها من تصاعد للصراع مع السكان المحليين وطردهم، لتحل محلهم أعداد متوالية من المهاجرين، وفي كلاً من فلسطين وجنوب أفريقيا، فإن الاستعمار الاستيطاني بعد درجة معينة من النمو، تحول إلى دولة استيطانية أعلنت في جنوب أفريقيا عام ١٩١٠، وفي إسرائيل عام 1948 بما انطوى عليه ذلك من إعلان الانفصال أو الاستقلال عن الدولة الاستعمارية الكبرى المسيطرة في المنطقة من ناحية، ومن حصول على الاعتراف الدولي بالدولة الجديدة من ناحية أخرى<sup>(1)</sup>.

ولم يكن غريباً إن اتسمت الدولتان في خصائصهما الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

(1) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 53

بخصائص متشابهة تبرر بقوة الربط بين احتمالاتهما المستقبلية: خليط متنوع، اقتصاد حرب، نظام سياسي يقوم على التحكم بحق المواطنة، ومقاربة بسيطة للأبارتيد في جنوب أفريقيا وإسرائيل تقودنا إلى الاستنتاجات التالية:

1- إن تجربة البلدين أدت إلى تبلور إطار إيديولوجي عريض نسبياً (الصهيونية في إسرائيل والأفريكانية القومية في جنوب أفريقيا)، كما أن الفكرة القومية التي تبنتها النخب الحاكمة في كل من البلدين تناسب إلى قاعدة اجتماعية أكثر اتساعاً بطرق مختلفة، دينية، علمانية، شبه اشتراكية، عرقية... الخ.

2- الوضع الاقتصادي والاجتماعي ساعد في قيام أحزاب سياسية تختلف في تصنيفها عن بقية الأحزاب في أماكن أخرى من العالم، فثمة أحزاب يمينية متطرفة في مواقفها من الصراع، لكنها ليبرالية في مواقفها الاجتماعية والاقتصادية.

3- فيما يتعلق بالأرض، أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية الصندوق القومي اليهودي عام 1901 ليكون المالك الوحيد للأرض التي تستولي عليها المنظمة، وهكذا، وكلما اتسعت رقعة الاستيطان الصهيوني، لا تتناقص مساحة الأرض المحددة للعرب فحسب بل وينحسرون في مناطق معينة يصبح فيها من المتعذر عليهم العيش خارجها، تماماً كما جرى في جنوب أفريقيا، إذ استهدف الاستيطان هناك تجميع السكان الأصليين في بقع محصورة لا يجوز لهم أن يملكوا أو يعملوا خارجها.

4- أدى التشابه في بنية ووظيفة التجريبتين الاستيطانيتين في جنوب أفريقيا وفلسطين إلى خلق الأداة نفسها، فاليهودي الغربي يلعب الدور الذي يلعبه الأبيض في جنوب أفريقيا، والعرب في ظل الاحتلال هم في وضع مماثل تماماً لوضع السود في أفريقيا، اليهودي في إسرائيل = الأبيض في جنوب أفريقيا = مستوطن أجنبي = رب عمل مستغل = ناهب وعنصري. العربي في إسرائيل = الأسود في جنوب أفريقيا = مواطن أصلي = عامل مستغل، منهوب يتعرض للتمييز العنصري<sup>(1)</sup>.

5- إن العامل الذي أعاق تطور الهويتين الأفريكانية والإسرائيلية هو تطور هوية الشعب في جنوب أفريقيا والهوية الوطنية لشعب فلسطين، اللذين لم يستطع الأبارتيد إزالتها أو إخراجها نهائياً من الصراع<sup>(2)</sup>.

(1) الأبارتيد الصهيوني، ص 10

(2) عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 124

6- اللافت للنظر أن الكيانين الاستيطانيين المذكورين استخدمتا الأساطير والمقولات المستمدة من التوراة التي تؤيد التفوق العرقي وعدم المساواة بين الشعوب، ولذا يعتبر الفصل العنصري في جنوب إفريقيا الأقرب للتجربة الصهيونية؛ بسبب الأصول الفكرية والتوراتية المتماثلة في النظر إلى السكان الأصليين.

7- الاعتماد على دولة أو دول عظمى لتوفير الدعم الخارجي، حيث اعتمدت جنوب أفريقيا على بريطانيا، واعتمدت إسرائيل على بريطانيا وأمريكا.

### الدين ودوره في تسويق الاستعمار الاستيطاني البروتستانتي في جنوب أفريقيا

لجأ المستعمرون الهولنديون في تسويق الفصل العنصري الذي اتبعوه إلى تفسير الكتاب المقدس ونصوصه وبخاصة سفر التثنية، ودعم اللاهوت الإصلاحية الهولندي ركائز الفصل العنصري، وجرى ربط ثقافي وتاريخي بين بني إسرائيل وهجرتهم واستيطانهم الأرض المقدسة وبين البوير (الأوروبيين المستوطنين). وتوصلت دراسات متخصصة إلى أن سفر التثنية استخدم لصياغة التاريخ المأساوي لجنوب أفريقيا، وذلك بالأساليب التأويلية والقراءة الخاطئة للكتاب المقدس، التي استخدمت لتبرير الاضطهاد والفصل والتمييز العنصري، وربما يكون برأي بعض الدارسين، أن سفر التثنية بحد ذاته هو سفر خطير يؤكد الميول العنصرية وكراهية الغرباء والعنف وتصوير القوة وكأنها إرادة الرب، ويتساءل الأفارقة السود الذين اعتنقوا المسيحية، ولكن استمرت المعاملة الوحشية والقاسية بحقهم، والقائمة على الكراهية والاستعلاء والتمييز: كيف يستخدم الكتاب المقدس الذي يؤمنون به لاضطهادهم واستغلالهم؟!<sup>(1)</sup>.

وقد استمرت ممارسة الفصل العنصري رسمياً في جنوب أفريقيا مدة أربعة عقود، وحظيت هذه السياسة بالدعم الكامل من الكنيسة الإصلاحية الهولندية، وهي كنيسة بروتستانتية تؤمن بأن عدم مساواة الأعراق مشيئة إلهية، وأن السود الذين تعتبرهم الكنيسة من أحفاد حام بن نوح، وجدوا ليخدموا البيض أحفاد سام، ولذا اعتبرت الكنيسة إلغاء العبودية مخالفاً لتعاليم الكتاب المقدس، يقول هـ.س. ارم سترونغ: "أن للبوير في جنوب أفريقيا والمشروع الاستيطاني في فلسطين واليهود، الخلفية ذاتها كشعبين، الهولنديون في الحقول، واليهود في الصحراء، ولهما

---

(1) مايكل برير الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين، ترجمة: أحمد الجمل وزباد منى، 2003.

السمات ذاتها، فكلاهما شعبان مران قاسيان، يتمسكان بالدين بشكل قوي في حياتهما معتمدين على الكتاب ذاته، كتاب العهد القديم<sup>(1)</sup>.

## عوامل استمرارية النظام العنصري في جنوب أفريقيا

من خلال مقارنة أسباب زوال الوجود الصليبي من المشرق العربي قديماً بأسباب استمرارية النظام الاستيطاني العنصري في جنوب أفريقيا حديثاً، لفترة قرن من الزمن، يمكننا الاستنتاج أن بقاء مثل هذه الكيانات الاستيطانية المصطنعة يعتمد على ثلاث مجموعات من العوامل هي: قوة الجماعة الاستيطانية وتماسكها في مواجهة التحدي الذي يفرضه الوسط الإقليمي من ناحية، وعلاقة هذه الجماعة بالوسط الإقليمي وتفوقها من عدمه إزاء هذا الوسط من ناحية ثانية. وأخيراً علاقتها بالوسط الأوروبي الذي يمثل عالمها الأصلي ويمدها بأسباب البقاء.

وفي واقع الأمر لو تأملنا العوامل السابقة سنجد أن أسباب صمود النظام العنصري في جنوب أفريقيا لفترة طويلة. إنما تتمثل تحديداً في تجنب أسباب فشل الغزوة الصليبية، ولمقاربة الظاهرة الصهيونية في ضوء تجارب الاستعمار الاستيطاني الأفريقية. يمكننا ملاحظة أن هناك، ثمة ثلاثة أركان أساسية كانت لها أهميتها في إنهاء تجارب الاستعمار الاستيطاني الأفريقية إنهاءً إيجابياً:

الركن الأول: التمسك بالهوية الوطنية وإبرازها.

الركن الثاني: عدم إعطاء شرعية مطلقة للكيان الاستيطاني.

الركن الثالث: إظهار عنصرية الكيان الاستيطاني عنصرية منبثقة من ذاتيته كاستيطان<sup>(2)</sup>.

إلا أن ثمة ركناً رابعاً لا يوجد ما يماثله في ظروف ثورة الفلسطينيين على الصهاينة، هذا الركن المفتقد هو نسبة كثافة المستوطنين بالمقارنة مع كثافة السكان الأصليين، في جنوب روديسيا كانت النسبة قليلة لم تتجاوز العُشر، وفي جنوب أفريقيا لم تتجاوز الخمس، وقد استطاع هذا العامل أن يرسم ملامح نضال السكان الأصليين ضد المستوطنين على أنه نضال

(1) الأبارتيد الصهيوني، ص 24

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 110

أغلبية محرومة مظلومة ضد أقلية مستأثرة ظالمة، أما في فلسطين فالأمر كان مختلفاً، إذ أن عدد المستوطنين الوافدين كان كثيراً بالنسبة للسكان الأصليين .

وهكذا فإذا كان تشريح الظاهرة تتساوى فيه حالات جنوب روديسيا وجنوب أفريقيا وإسرائيل، إلا أن حال الكثافة السكانية يقلل من شأن التساوي، ويقرب التجربة الصهيونية من التجربة الأمريكية الشمالية، ف نموذج جنوب أفريقيا اتسم بسمات نموذج (الجزائر)، مع اختلاف جوهري في موقف المستوطنين، وقد تمثل هذا الاختلاف في أن المستوطنين البيض في جنوب أفريقيا، الذين وصل عددهم نحو 5 ملايين مستوطن يمثلون نحو 10 % من إجمالي السكان، أدركوا، وبعد تجربة الصراع الدامي الطويل، أن استمرار وجودهم الآمن رهن بتخليهم عن طبيعتهم الاستعمارية وأيديولوجيتهم العنصرية، والقبول بالعيش المشترك في إطار المواطنة المتساوية على صعيدي الحقوق والواجبات<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من عوامل المشابهة الكبيرة بين النظام العنصري في جنوب أفريقيا وبين إسرائيل، إلا أنه من المفيد إجراء مقارنة بين الأسلوب الأمريكي في التعامل مع السكان الأصليين، وبين الأسلوب الصهيوني في التعامل مع الفلسطينيين، حيث إن التجربة الاستيطانية الصهيونية آخر التجارب الاستيطانية الهامة، وأكثرها إحكاماً، استفادت من التجارب السابقة، إذ تم تقسيم سورية الطبيعية خدمة للصهيونية، فعزلت أرض (فلسطين)، لكي يقام عليها وطن يهودي، ويسهل على الصهاينة أن يكونوا أكثرية فيها.

والوضع الراهن يفصح عن توزيع الفلسطينيين إلى أربعة أصناف، صنف أول يحمل الجنسية الإسرائيلية، وصنف ثانٍ يدخل ضمن مناطق الاستيطان الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة، وصنف ثالث يخضع بشكل مباشر للحكم الذاتي الفلسطيني، وإن كان يخضع بشكل غير مباشر للاحتلال الإسرائيلي، وصنف رابع هو باقي الفلسطينيين خارج الأطر الثلاثة السابقة الخاضعة للسلطة الإسرائيلية، هذه التجزئة للشعب الفلسطيني تحد من إمكانية انتصار السكان الأصليين على المستوطنين، على نحو مشابه للانتصارات التي حققها السكان الأصليون على المستوطنين في دولتي الاستيطان الأفريقيتين: جنوب روديسيا وجنوب أفريقيا<sup>(2)</sup>، ولكن الزيادة السكانية للفلسطينيين في حدود فلسطين التاريخية ستلعب دوراً مستقبلياً في تحجيم

(1) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص 327

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 111

الخطر الصهيوني واندماجه في المنطقة، وبالذات في ظل حل الدولة الواحدة الديمقراطية.

### ثانياً: الاستعمار الاستيطاني الكاثوليكي في أمريكا اللاتينية

من المعلوم أن الاستعمار الأوروبي لأمريكا اللاتينية، خاضته كل من أسبانيا والبرتغال بالذات، وهي دول كاثوليكية، حيث اختلف هذا الاستعمار في ممارساته ونتائجه عن الاستعمار الانجلوسكسوني البروتستانتي لأمريكا الشمالية، والذي انتهى بإبادة السكان الأصليين من الهنود الحمر، واستعباد السود الذين استقدموا من أفريقيا. فالبرغم من أن المستوطنين الأسبان والبرتغاليون في ممارساتهم الوحشية كانوا يحاولون تبرير أفعالهم بنسبتها لسلطة دينية تبيح لهم كل شيء بحق الكفار، تماماً كما سوغ الكتاب المقدس غزو بني إسرائيل أرض كنعان، إلا أن هذه الشرعية كانت ناقصة وغير مكتملة؛ لأن العهد الجديد نقض العهد القديم ووضع أسس جديدة للعلاقة بين البشر تساوي بينهم بعيداً عن مزاعم التفوق العنصري والاختيار الإلهي، وعندما زار البابا (يوحنا بولص الثاني) القارة الأميركية تسلم رسالة مفتوحة من الحركات الوطنية جاء فيها: نحن الأنديين والهنود الأميركيين عقدنا العزم على أن نعيد إليكم كتابكم المقدس؛ لأنه طوال خمسة قرون لم يقدم لنا الحب والسلام والعدل، نرجو أن تأخذوا كتابكم المقدس وأن تعيدوه إلى مضطهدينا لأنهم بحاجة إلى تعاليمه الخلقية أكثر مما نحتاج إليها نحن، فمنذ أن قدم (كرستوفر كولومبوس) فرض ثقافة وديانة ولغة أوروبا بالقوة، وكان الكتاب المقدس السلاح العقدي لهذه الهجمة الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

وهنا يجب أن نشير إلى أمر مهم وهو: "أن لدينا قناعة بأن الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية بشكل عام، بعيدة كل البعد عن تسويع الاستعمار الاستيطاني المستمد من العهد القديم كما يحدث في البروتستانتية؛ لأن طبيعة الايمان المسيحي الكاثوليكي والارثوذكسي تختلف كثيراً عن طبيعة الإيمان البروتستانتي الحرفي العنصري، ويمكن تفسير الحركات الاستعمارية الصادرة من الدول الكاثوليكية بأحد أمرين إما محاولة تقليد النماذج الاستعمارية البروتستانتية، أو بالنظر إليها من زاوية التبشير الديني، وفي كلتا الحالتين فإن الاستعمار الكاثوليكي كان محدوداً وفاشلاً، كما سنلاحظ عدم وجود دول استعمارية ارثوذكسية. وهنا لا بد أن نشير إلى لاهوت التحرير الذي انتشر في أمريكا اللاتينية في حركة مراجعة لاستعمار أوروبا لأمريكا. وأعتقد أن سبب فشل تجارب الاستعمار الاستيطاني الكاثوليكية، يعود إلى عدم

(1) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين، ص 109

قدرة هذه التجارب على استلهاهم تجربة الاستعمار العبراني لفلسطين كما وردت بالتوراة وتطبيقها بحذافيرها، كما حدث مع تجربة البروتستانت في أمريكا الشمالية وأستراليا.

ومما تقدم يبدو أن التعرف على الجذور الحضارية لنوعي الاستعمار الاستيطاني التقليدي والإحلالي قد يكون أمراً له أهميته إذ يبدو أن النوع التقليدي في الجزائر وأنجولا قد نشأ في الدول الكاثوليكية، بينما تعود جذور النوع الإحلالي في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة إلى الدول البروتستانتية، وسيقودنا هذا إلى التساؤل عما إذا كان التفسير الجرحي للعهد القديم، وهو التفسير الذي يسود بين كثير من البروتستانت يخلق حالة عقلية تسهل عملية نقل السكان وتجعلها أمراً طبيعياً لأنها تتم باسم الأوامر المقدسة. فالكنيسة القومية أي الكنيسة القاصرة على مجموعة بشرية لها نفس الانتماء العرقي أو الأثني كما هو الحال مع الكنيسة الهولندية الإصلاحية في جنوب أفريقيا التي لا تسمح للسود بالانضمام إليها، مثل هذه الكنيسة تضيف قدراً من القداسة على الأفعال التي يأتيها أعضاؤها وتقدم هي التبريرات الدينية التي تكون عادة ذات طابع إنجيلي فتسوغ عمليات الطرد بأن الآخرين يقعون خارج نطاق الخلاص والتوبة، أما الكنيسة العالمية أي الكنيسة التي تفتح أبوابها لأي إنسان فهي تمنح المؤمن سواء أكان من المستوطنين أم من السكان الأصليين حقوقاً معينة بغض النظر عن انتمائه القومي أو العنصري، وهو ما يجعل من الصعب على المستوطنين الذين يتبعون الكنيسة العالمية تبني النمط الإحلالي من الاستعمار<sup>(1)</sup>.

---

(1) عبد الوهاب المسيري، الأيدولوجية الصهيونية، (الكويت: دار المعرفة، ط2، 1992)، ص 55.

## المبحث الرابع: تجربة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين

الصراع العربي الصهيوني له جذوره التاريخية التي تبدأ بالغزو الاستيطاني العبري لأرض فلسطين، في العصور القديمة، مروراً بالحروب الصليبية، والرواسب التي خلفتها، وفترة الاستعمار الأوروبي للعديد من الدول، ثم ظهور الصهيونية، وقد كانت أرض فلسطين أرض عربية منذ بدء التاريخ، سكنتها القبائل الكنعانية العربية منذ العصر الحجري، وجاء اليهود إليها فيما بعد، وخرجوا منها، وعاد بعضهم إليها من بابل، وتشتت الغالبية في دول العالم، ولكن الصهيونية وفي سعيها تجميع اليهود في فلسطين لإقامة وطن قومي اختلقت الرابطه القومية، وادعت إن "اليهود يشكلون أمة عالمية واحدة، وإنهم العرق الأنقى والأفضل، وهذه هي أحد أهم الأسس الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية:

1- اعتبار العرق اليهودي من العروق الرئيسية في العالم، وأن هذا العرق حافظ على وحدته، رغم التأثيرات المناخية عليه كما حافظت السمة اليهودية على نقاوتها.

2- محاولة إيجاد بعض الخصائص والصفات المميزة في العرق اليهودي، التي تجعل منه شعباً قادراً على صنع المعجزات، وكما يقول الصهيوني "ليوبنسكر: إن اليهود يؤدون دوراً أهم من أي دور تؤديه الشعوب الأخرى في العالم المتحضر."

3- محاولة إبراز ما سماه هرتزل الرسالة الحضارية للشعب اليهودي عندما قال: "إن الدولة اليهودية ستكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية".

إذاً فإن المرتكز الأيديولوجي الأول للعنصرية الصهيونية يقوم على أساس "أن اليهود أمة واحدة، وأنهم العرق الأنقى والأقوى"<sup>(1)</sup>، ولذا فقد حاولت الصهيونية العنصرية أيضاً إيجاد المبررات التاريخية لاستيطانها فلسطين، ومن هذه المبررات محاولة إبراز أن اليهود قد سكنوا من قبل في فلسطين، وأن هذه الأرض قد منحها الله لهم، وأنهم قد تشتتوا نتيجة لعوامل مختلفة، وأن شتاتهم ليس سوى مرحلة عابرة في تطور التاريخ اليهودي، وأنهم سوف يعودون إلى فلسطين.

(1) خالد القشطيني، الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

الطبعة الأولى، 1981، ص 50-59

وهكذا فإن مقولة الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية شكلت مرتكزاً أساسية للصهيونية العنصرية، التي اعتبرت أن فلسطين ليست سوى الأساس والمنطلق للعودة إلى أرض إسرائيل<sup>(1)</sup>، ولكن هذا الزعم الصهيوني بأن فلسطين هي أرض الميعاد، هو زعم يهودي له الطابع الديني، والدين ليس مصدرًا من مصادر القانون الدولي، ثم تأتي أكذوبة الحق التاريخي، والذي يعني في القانون الدولي الحق الذي اكتسب نتيجة تقادم الزمن على ممارسته واستعماله، فاستعماله فترة طويلة ومستمرة يُجعل منه حقاً تاريخياً، ولكن اليهود لم يكونوا أول من سكن فلسطين، وإنما هم غرباء عنها، دخلاء عليها، وانتهى كيانهم السياسي فيما منذ أن احتلها الرومان واعتنق سكانها العرب المسيحية، ولم يغير ذلك من طابعها العربي واحتفظت به بعد الفتح الإسلامي، وانقطعت نهائياً صلة اليهود في فلسطين واستقروا في المدن التجارية في أوروبا بحثاً على المال، وبذلك توفرت لدى اليهود أسباب فقدان الإقليم بسبب الترك والتقادم في القانون الدولي.

وبالرغم من ذلك بدأت فكرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في سويسرا عام ١٨٩٧ حيث حدد هذا المؤتمر الأهداف الاستيطانية على النحو التالي:

- 1- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.
- 2- تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تلائم القوانين المتبعة في كل بلد.
- 3- تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.
- 4- اتخاذ الخطوات العملية التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غايات الصهيونية، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب بين اليهود في جميع ربوع العالم<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن إسرائيل ليست بالدولة الطبيعية النشأة والدور، فهي لم تقم نتيجة تطور اجتماعي-سياسي لشعب مقيم في أرض آبائه وأجداده، وإنما نتيجة تهجير يهود متعددي الأصول

---

(1) حول مقولة الحق التاريخي انظر: روجيه غارودي، قضية إسرائيل، دراسة في الصهيونية السياسية، ترجمة: نزيه الشوفي، المنارة، بيروت 1997، ص 30-40

(2) جعفر الخليلي، ملخص كتاب، العرب واليهود في التاريخ، بغداد- ط2، 1979، ص 108.

والأوطان، كي يشكلوا المادة البشرية لآخر مشروعات الاستعمار الاستيطاني الأوروبية، إلا أن المشروع الصهيوني متميز عن سابقاته بأنه لم ينشأ عفويًا مثلها، ولا أقامه مغامرون لم يتمكنوا من تحقيق طموحاتهم في أوطانهم، فحققوه وراء البحار، فالمشروع الصهيوني منذ أن كان فكرة إلى أن غدا دولة، إنما هو نتاج عمل مبرمج وتنسيق تام بين الاستعمار والصهيونية المسيحية<sup>(1)</sup>. ومنذ البدايات الأولى قامت فيما بين الطرفين الاستعماري والصهيوني علاقة عضوية، تأسست على إدراك مشترك لحاجة كل منهما للآخر، فهترزل تميز بطرح واضح حول حتمية الاعتماد على الإمبريالية في إقامة مشروع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على التراب العربي في فلسطين<sup>(2)</sup>. وبالمقابل انتهت الدراسات الاستعمارية للواقع الاجتماعي العربي في فلسطين خلال أربعينات القرن التاسع عشر إلى أنه ليس ممكناً لأي جماعة اجتماعية عربية القيام بما هو مستهدف استعمارياً، من تعطيل دائم للطموح الوجودي المتجذر في فكر ووجدان النخب والجماهير العربية، وإعاقة متواصلة لما عرفته المنطقة تاريخياً من تكامل اقتصادي وتفاعل ثقافي، وانتهى الاستراتيجيون البريطانيون إلى أنه لن يعىء إلى فلسطين أولئك الإنجليز الذين عمروا كندا وأستراليا، وأن اليهود وحدهم يمكنهم استعمار فلسطين<sup>(3)</sup>.

وقد تلاقت الأهداف الاستعمارية مع رؤى واعتقادات المسيحيين البروتستانت التي تحكمها روى عودة المسيح الثانية، ليحكم العالم من مقره بالقدس، حيث يعتقد البروتستانت أن هذه العودة لن تتم إلا بعودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة إسرائيل، وحدثت معركة هرمجيدون بين اليهود وأعدائهم حيث يتدخل المسيح لينقذ اليهود، ويقضى على أعدائهم، فيؤمن اليهود بالمسيح ويبدأ العصر الألفي السعيد، وهكذا تلاقت الأهداف الاستعمارية مع الرؤى الدينية للمسيحية الصهيونية، التي لم تترك مجالاً إلا وسلكته لتحقيق إعادة اليهود إلى أرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، وتوج ذلك بوعد بلفور فكان هذا الزواج النكد الذي أنجب إسرائيل<sup>(4)</sup>.

---

(1) راجع: تقرير كامبل بترمان سنة 1907 عند شفيق الرشيدات، فلسطين، تاريخاً وعبرة ومصيراً (بيروت، مركز

دراسات الوحدة العربية 1991) ص 44 – 48

(2) هرتزل: يوميات هرتزل (بيروت، مركز الأبحاث والمؤسسة العربية للدراسات والنشر 1972) ص 105

(3) أسعد رزق، إسرائيل الكبرى، (بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية 1968، ص 255.

(4) انظر: يوسف العاصي الطويل، الصليبيون الجدد.. الحملة الثامنة"، مكتبة مدبولي 1997- الطبعة الثانية 1999.

## خصائص الاستعمار الاستيطاني الصهيوني

ان الأثر الديني في الاستيطان الصهيوني أعمق من الأثر الديني في التجارب الأخرى، وكان للمستوطنين الصهاينة ميزة التجذر في الهوية قبل الاستيطان، كذلك كان الدعم الأوروبي الأمريكي للمشروع الصهيوني واسعاً، ولم يكن مشروع الاستيطان الصهيوني مشروع دولة واحدة (كما كانت تجربة بريطانيا مع مشروع رودس)، بل كان مشروعاً دولياً بكل اعتبار، ثم إن الاستيطان الصهيوني انصب على رقعة أرض ضيقة هي فلسطين، في حين أن تجربة رودس، ومثلها تجربة جنوب أفريقيا، انصبت على بقاع شاسعة من الأرض<sup>(1)</sup>، ويعتبر المشروع الصهيوني آخر التجارب الاستعمارية في العالم وأكثرها تعقيداً، ويتميز بالآتي:

أولاً: جمع بين القومية والدين، بين النظام الاستيطاني الإجلاني والاستعمار التقليدي القائم على التوسع ونهب الخيرات، ومارس ما يعرف باستيطان الانفصال الذي مارسه المستوطنون في جنوب أفريقيا وروديسيا وكينيا وأدى إلى قيام كيانات استيطانية، ومارس الاستعمار الاستثنائي أو الإجلاني لإزالة كل ما ينتمي إلى فلسطين بشرياً وحضارياً قبل عملية بناء الكيان، ولجأ إلى الترانسفير كشكل من أشكال حل مشكلة السكان الأصليين بعد أن اتضح عدم إمكانية تطبيق الخيار الأمريكي مع الهنود الحمر الذين تمت إبادتهم جسدياً.

ثانياً: تتميز العلاقة بين الدول البروتستانتية المتعاطفة والمنشأة للمشروع الصهيوني مع إسرائيل، بأنها غير قاصرة على دول معينة، وإنما هي عامة ووثيقة بمختلف الدول البروتستانتية، ما يجعلها دائمة ومستمرة ومتجددة وغير متأثرة بالتغيرات على صعيد زعامة القوى الاستعمارية، وهذه الخاصية يتميز الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عن سابقه المشروعات الاستعمارية في الجزائر وجنوبي أفريقيا، ففي حين كان تأثيرها سلبياً إلى أبعد الحدود بتدهور فعالية الاستعمارين الفرنسي والبريطاني، لم يتأثر المشروع الصهيوني بتراجع الدور الاستعماري البريطاني، وإنما وجد في الإمبريالية الأمريكية الصاعدة العمق الاستراتيجي الذي يحتاجه<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، أوجد تشكيلة اجتماعية /اقتصادية

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص96

(2)عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور، دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة – 2003/12/8-

فريدة في تكوينها، وجدت مؤسسات السلطة فيها قبل أن يتشكل المجتمع عينة، فالوكالة اليهودية كانت بمثابة الدولة حتى عام ١٩٤٨، والهستدروت تأسس تقريباً قبل أن تتشكل الطبقة العاملة التي يمثلها، والهاغانة كانت الجيش والشرطة وكل ما يتعلق بالإكراه وممارسته.

رابعاً: إن العنصرية الصهيونية، التي تمثل الإيديولوجية الأساسية للحركة الصهيونية، لم تنشأ من فراغ، وإنما ارتبطت بقوى تاريخية محددة، وقد استغلت العنصرية وفلسفتها الأساسية، لإضفاء الشرعية على النظام الاستعماري، ولتقديم الدعم الإيديولوجي لعملية الاستعمار من خلال "واجب الرجل الأبيض" في تحضير الأمم المتأخرة غير القادرة على مساعدة نفسها، ولكن العنصرية الصهيونية تمتد بجذورها التاريخية إلى أبعد من ذلك، فهي تعود بجذورها إلى التوراة، والتلمود، و"بروتوكولات حكماء صهيون"<sup>(1)</sup>.

وقد استفادت إسرائيل من كل تجارب الأبارتيد والفصل العنصري في العصر الحديث، فقد أشرف العسكريون البريطانيون، على اختيار مواقع المستوطنات وتحصينها، وتدريب المحاربين فيها، وقدمت الولايات المتحدة لإسرائيل الشكل العملي لتطبيق لعبة العدالة البريطانية في التمييز ضد العرب في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وفي تكريس سياسة حق القوة، وقدمت جنوب إفريقيا تجربة فريدة في التخلص من السكان من خلال الحكم الذاتي، والسيطرة على الأرض<sup>(2)</sup>.

خامساً: إن توافق المشروع الصهيوني مع الثقافة العامة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية جعله يحظى بما لم يحظ بمثله أي مشروع استعماري سابق من قبول واسع، وسكوت عن تجاوزاته، برغم أنه جاء في زمن تقدم الفكر الإنساني وتراجع الدعوات العنصرية، إلا أن الذين يؤمنون بنبوءات التوراة يرون في تحقيقه تعجلاً بالعودة الثانية المسيح، أما معادوا السامية فيجدون فيه وسيلة خلاص بلادهم من وجود اليهود المرفوض والمكروه، والمسكونون بعداء تاريخي للعروبة والإسلام ينفثون بتأييده ودعمه عن حقد دفين يكابدونه<sup>(3)</sup>.

سادساً: إن التزوير التاريخي، والتنكر لحقوق الإنسان، واعتماد موقفين متناقضين تجاه

---

(1) محمد كمال الدسوقي وعبد التواب سلمان، الصهيونية والنازية، دراسة مقارنة، دار المعارف في مصر، 1968، ص (32-37)

(2) الأبارتيد الصهيوني، ص33

(3) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة – 2003/12/8-

كل من اليهود وعرب فلسطين، مكن المشروع الصهيوني، من إهدار الانتماء القومي لشعب فلسطين، وتجاهل كينونته الوطنية، وتعامل معه كمجموعة أفراد أو طوائف أو مجرد فلسطينيين، وليس كشعب متبلور الهوية من حقه تقرير المصير، والتمتع بكامل حقوقه السياسية.

سابعاً: المعلوم إن التجارب الاستيطانية تتميز بميزة خاصة بها: فالتجربة الاستيطانية الغربية في المغرب العربي كانت مدفوعة بالقوة، وانتهت بانتهاء الاستعمار، أما التجربة الاستيطانية الصهيونية في فلسطين فقد بلغت مرحلة إقامة الدولة واستمرت حتى الآن، وهي تتحول مع الوقت إلى قوة إمبريالية في المنطقة تعمل على تجزئة وتفكيك كل بلد عربي إلى دويلات، لإضعافها وإشغالها بعيداً عن التفكير في مواجهة إسرائيل، واتصف الاستعمار الصهيوني بظاهرة الحروب العدوانية وتدمير الاقتصادات والمنجزات، وأيضاً ظاهرة الوكيل الاستعماري وخدمة مصالح الإمبريالية الأمريكية في المنطقة ومعاداة العروبة والإسلام<sup>(1)</sup>.

ثامناً: المشروع الصهيوني يتبع الاقتصاد الاستيطان الذي يعطي الأولوية للاعتبارات الاستيطانية على أية اعتبارات أخرى، بمعنى أنه في حالة تعارض مقتضيات الرشد الاقتصادي مع النشاط الاستيطاني فإن الأولوية لا تكون للاعتبارات الاقتصادية وإنما لضرورات الاستيطان، وأهم هذه الضرورات الأمن والبقاء المادي، ويؤدي هذا الوضع إلى إفراز أهم سمات الاقتصاد الاستيطاني، أي جماعيته وعسكريته (التعاونية الاشتراكية)، ففي داخل هذا الإطار من العزلة ومع سيطرة الهاجس الأمني يصبح وضع المستوطن بمفرده في مواجهة البيئة المعادية أمراً مستحيلاً، ولذا نجد أن كل المجتمعات الاستيطانية تأخذ هذا الشكل الجماعي في التنظيم في مراحل الاستيطان الأولى، فالبيوريتان (المتطهرون) المستوطنون الأوائل في الولايات المتحدة كانوا أصحاب واحدة من أكثر الأيديولوجيات الرأسمالية البروتستانتية تطرفاً في فريديتها، ومع هذا فقد نظموا أنفسهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بشكل جماعي في مواجهة السكان الأصليين<sup>(2)</sup>.

(1) غازي حسين، «الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية»، اتحاد الكتاب العرب في دمشق-

أيلول 2003 ص28

(2) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص91-92

## الظاهرة الصهيونية واليهودية تفردا وحدود التفرد

• تميز الاستعمار الاستيطاني اليهودي عن بقية نظم الاستعمار الاستيطاني بصفة انفرادها، وهي صفة المشروعات الإحلالية والإجلائية القائمة على أساس عنصري استعماري مقيت، وهو إحلال يهود العالم مكان الشعب الفلسطيني، والاستمرار في تكثيف ظاهرة الاستعمار القائمة على الهجرة وترحيل العرب والاستيطان في الأراضي المحتلة وتهويدها وتهويد المقدسات العربية والإسلامية.

• يسعى الاستعمار الاستيطاني اليهودي للاستيلاء على أرض فلسطين دون سكانها العرب، فإن لم تكن الإبادة ممكنة، فالترحيل والعزل والإغلاق والاعتقال والحصار والاستغلال والاستعباد إلى أن يتحقق الاستعمار الاستيطاني، ويقوم الاحتلال الإسرائيلي بخلق وقائع جديدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة معتمداً على القوة العسكرية والقوانين العنصرية، وتدمير الوجه الحضاري العربي الإسلامي للقرى والمدن العربية، في إطار عملية تطهير عرقي، أسفرت عن وجود أكثر من 5 ملايين لاجئ فلسطيني محرومين من ممارسة حق العودة، ونسبة كبيرة منهم تسكن في مخيمات اللاجئين، على مسافات قصيرة من ديارهم التي طردوا منها، في ظل ظروف أمنية ومعيشية بالغة السوء، ولا تقتصر ظاهرة اللاجئين على الفلسطينيين المطرودين خارج تخوم وطنهم، بل تمتد أيضاً إلى معظم من تبقى منهم داخل الوطن، بمن في ذلك مواطنوا إسرائيل الفلسطينيين، وبخاصة من الفلاحين والبدو غير المعترف رسمياً بقراهم ومضارهم، المهديدين على الدوام بالاقتراع من ديارهم.

• بسبب الإصرار الصهيوني على يهودية الدولة، كما تنص على ذلك وثيقة الاستقلال، تتيح القوانين الإسرائيلية علانية وبلا أية موارد، التمييز ضد غير اليهود في كل المجال.. ولذا اعتبرت الصهيونية الترحيل (الترانسفير) الحل الوحيد لمشكلة السكان الأصليين، وبذلك اختلفت مع كل الكيانات الاستيطانية التي سبقها<sup>(1)</sup>.

• أدى الاستيطان الأوروبي في أميركا إلى إبادة الهنود الحمر وانقراضهم، وقارب سكان أستراليا الأصليون على الانقراض بسببه، ويعيش حالياً نصف الشعب الفلسطيني في الشتات بسبب الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، "فالهجرة الجماعية تمثل نسيج العملية الاستيطانية

(1) الأبارتيد الصهيوني، ص33

والإطار الإيديولوجي للمستوطنين بما يتضمنه من مفاهيم وأساطير تقوم بوظيفة الدافع والحافز للهجرة والاستيطان، في حين تتكفل عملية السيطرة المنظمة بتوفير القاعدة المادية للاستيطان، أي الأرض، وتعبئة وتنظيم طاقات المستوطنين بغرض حسم الصراع بينهم وبين السكان الأصليين<sup>(1)</sup>.

1- تبرز فرادة المشروع الاستيطاني الصهيوني وانفراجه عن سائر المشاريع الاستيطانية التي وثقها التاريخ البشري، بتزامنه مع أفول عهد الاستعمار المباشر، وحدوده الجغرافية المفتوحة التي تحسمها موازين القوى العسكرية، وخصوصيته الديموغرافية الدينية التي تقتصر على اليهود وحدهم في عصر تنامي العلمانية، وخاصيته الإجلالية في التعامل مع ضحاياه، ونجاحه رغم ذلك في تجنيد الناجين اليهود من المذابح في أوروبا، وتوجيههم لاقتراف ذات المذابح لاستئصال الشعب العربي الفلسطيني من أرض وطنه والحلول مكانه، وبذلك إدخال ضحاياه في صراع وجودي بيني يستنزفهما سوياً<sup>(2)</sup>.

2- يرفض بعض المفكرين الصهاينة إطلاق تعبير الاستعمار الاستيطاني على إسرائيل، ويرون أن ذلك يمكن أن يكون صحيحاً فقط لو أن المستوطنين ليست لهم جذور أصيلة وحقوق في المنطقة؛ لأن فكرة المستوطن تنفي فكرة أية صلة تاريخية أو توراتية لليهود بالمنطقة، فمن يطلقون تعبير "الاستعمار الاستيطاني" على إسرائيل إنما يعنون بوضوح مجمل المشروع الاستيطاني، بما في ذلك الحدود الأصلية لدولة إسرائيل عام 1948، وهذا يعني أن تهمة "إسرائيل الاستعمارية" متأصلة في الإنكار الأيديولوجي لوجود أي صلة لليهود بأرض إسرائيل القديمة، وربما يمكن أن يكون هذا الزعم صحيحاً لو أن:

- الاستيطان الصهيوني في فلسطين لم يرتبط بالقوى الاستعمارية الاستيطانية الغربية.
- لو أن هذا الاستيطان تم بطريقة سلمية وبالتدرج وبدون محاولة إبادة وتطهير السكان الأصليين، وبالذات أن أرض فلسطين كانت طوال تاريخها مفتوحة أمام مواطني الدولة الإسلامية للسكن والإقامة فيها، بدون أية عوائق، وظلت على هذا الحال حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما أغلقتها الحكومة العثمانية أمام اليهود بعد أن بدأت معالم المخطط الصهيوني بالظهور.

(1) مجدي حماد، النظام السياسي والاستيطاني في إسرائيل وجنوب أفريقيا، ص 6.

(2) غانية ملحيس، المشروع الوطني التَّحَرُّري الفلسطيني المأمول (1)، مقالات، الثلاثاء، 17 أيار (مايو)، 2016

• إن ارتباط المشروع الصهيوني بيهود الخزر الذين ليس لهم أية علاقة بالشرق وثقافته، يؤكد أن المشروع الصهيوني هو استعمار استيطاني، ولا يمكن أن تزول عنه هذه الصفة إلا إذا تخلى عن ارتباطه بالإمبريالية الغربية، وتخلّى عن سياسة القوة، وعمل على الإدماج بالمنطقة وثقافتها وقيمها.

3- إن التوازن الديموغرافي بين السكان الأصليين (الفلسطينيين) والمستوطنين الوافدين في فلسطين، يختلف عن النماذج السابقة، حيث يبلغ عدد المستوطنين اليهود نحو 5.6 مليون مقابل حوالي 5.5 مليون فلسطيني يعيشون داخل وطنهم، ما يعني وجود نموذج مغاير لنماذج الأقلية والأغلبية السابقة، دون أن ينفي ذلك أن التجمع الاستيطاني اليهودي يشكل أقلية في المحيط العربي الواسع (1.9%).

4- إن الطبيعة الإحلالية للمشروع الاستيطاني تركز على استمرار تفعيل حق العودة الفريد، الذي يتيح استجلاب أتباع الديانة اليهودية، ومنحهم حق العيش في ممتلكات السكان الأصليين بعد إخلائها من أصحابها، وإكسابهم حق المواطنة الإسرائيلية، فوفقاً لكتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي رقم 62 للعام 2011 فإن 13.5% من يهود إسرائيل قدموا للاستيطان فيها خلال العقدين الأخيرين، في الوقت الذي يُحرم فيه مواطنوا إسرائيل الفلسطينيون (20%) الذين يعيشون في فلسطين منذ آلاف السنين من حقوقهم الأساسية، ولا تقتصر عملية إحلال المستوطنين اليهود محل المواطنين الفلسطينيين على حدود دولة إسرائيل، بل تمتد لتشمل الأراضي المفترض أن تقوم عليها الدولة الفلسطينية، حيث تشير الإحصاءات إلى أن 8.8% من يهود إسرائيل يقيمون في 136 مستوطنة، و100 بؤرة استيطانية في الضفة الغربية، وأن 37.5% منهم يستوطنون في القدس الشرقية، كما تشير البيانات إلى زيادة عدد المستوطنين في الضفة الغربية عام 2010 بأكثر من ضعفين ونصف (258%) من معدل الزيادة السنوية في إسرائيل 4.9% مقابل 1.9%<sup>(1)</sup>.

5- التركيبة السكانية المتماثلة دينياً، والمتباينة عرقياً واثنياً وثقافياً لمجتمع المستوطنين اليهود. فالمستوطنون المولودون في إسرائيل لا تزيد نسبتهم على 71% من المجتمع الاستيطاني اليهودي البالغ تعدادة في نهاية العام 2010 نحو 5.6 مليون. ويشكل اليهود الأشكناز 33% منهم، غالبيتهم من اليهود الروس 47%، وأكثر من نصف الأشكناز 57% مولودون خارج إسرائيل، و

(1) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص 328.

35% منهم هاجروا إليها حديثاً، ويمثل الأشكناز مجتمع الصفوة، ويسيطرون على مواقع صنع القرار الإسرائيلي، فيما يشكل اليهود السفارديم (الشرقيين) نحو الثلثين، نصفهم من البلاد العربية والإسلامية. ويتركزون في الطبقات الدنيا والوسطى في الهرم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليهود إسرائيل، ويشكل السكان الأصليون الفلسطينيون حوالي خمس سكان دولة إسرائيل، ويتركزون في الشريحة الدنيا، ويعاملون كفئات سكانية معاد غير مرغوب في بقائه<sup>(1)</sup>.

---

(1) في السابق، ص 329.



## الفصل الثالث

### مآلات الاستعمار الاستيطاني .. ومستقبل إسرائيل

لا توجد دولة في العالم تثير تساؤلات بشأن مغزى قيامها، ومدى قدرتها على الاستمرار بقدر ما تثيره إسرائيل، واللافت أن علامات الشك حول مصير إسرائيل ومستقبلها بدأت بالتنامي أكثر من السابق، وتثار من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية، ومن قبل الأعداء والأصدقاء: "إسرائيل 2020"، "مستقبل إسرائيل المظلم"، "هل إسرائيل تتهار؟"، هل ستبقى إسرائيل حتى العام 2048؟"، "وعالم من دون إسرائيل"، "هل تعيش إسرائيل 100 سنة؟"<sup>(1)</sup>، كلها عناوين لدراسات معبرة تضع مستقبل إسرائيل في المنطقة موضع التساؤل، ليس بهدف التشكيك بمستقبلها ووجودها، ولكن بهدف استشراف المستقبل الصعب الذي ينتظر إسرائيل لوضع الخطط البديله لمواجهة، فعندما يكتب يوسي بلين وابراهيم بورغ وبيرس وغيرهم، وعندما تصدر صفحات أكبر المجالات العالمية عنوانين تدرس المستقبل الإسرائيلي، أو عندما تتصدى مراكز أبحاث داخل إسرائيل وخارجها لموضوع المستقبل الإسرائيلي محذرين ومنذرين وناصحين، فهذا يعنى إدراك وفهم عام لدى إسرائيل والمتعاطفين معها بأهمية الدراسات المستقبلية وقيمتها من خلال ما طرحه من سيناريوهات متوقعة أو محتملة وكيفية التعامل معها، مما ينبه صانع القرار وأفراد الشعب عامه بالمخاطر التي تواجه إسرائيل في المستقبل وكيفية مواجهتها أو الذهاب إلى سيناريوهات أفضل<sup>(2)</sup>.

---

(1) ماجد كيالي، إسرائيل وتناقضاتها، إشكاليات الدين والسياسة والعولمة، جريدة البيان الإماراتية، 27/ سبتمبر 2005/

(2) أسامه الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 1، 1987، ص 217

## المبحث الأول: نهاية إسرائيل واستمرار لعبتها الأمم

“نهاية إسرائيل” من الأفكار التي شهدت تحولات عميقة الدلالة لارتباطها بجملة وقائع أحدثت تغييرات جذرية في العقل العربي، حتى أمكن القول أن هذه الفكرة أصبحت حلاً غير قابل للتحقيق، ولهذه الإعتبارات أسبابها الوجيهة والواقعية التي تضع هذه الفكرة في مصاف الأمانى غير القابلة للتحقيق للأسباب التالية:

- 1- الصدمة الإحباطية المترتبة على نكسة 1967، ثم خروج مصر الدرامي من مسرح المواجهة بعد كامب ديفيد، وخروج المنظمه من بيروت وتوقيعها اتفاق أوسلو في التسعينات.
- 2- الإحتواء الأميري للخليج وحرابه الأولى والثانية من مظاهر هذا الإحتواء الذي بلغ قمته باحتلال العراق وتدمير قوته.
- 3- تفوق إسرائيل العسكري مقروناً بحاجتها لإثبات قدرتها على العدوان الاستعراضي كونه الوسيلة لجلب الاطمئنان للإسرائيليين، وتحالفها الاستراتيجي مع القطب الأوحده وانحيازه التام لمصلحتها<sup>(1)</sup>.
- 4- نجاح مخطط الفوضى الخلاقة الأمريكى الصهيوني (ما يسمى بالربيع العربي)، وانهيار وتدمير كيان الدولة في ليبيا وسوريا واليمن، وانهيار الاقتصاد وهيبة الدولة في تونس ومصر ولبنان.

فمنذ حرب الأيام الستة تغلغت في المفاهيم المتداولة أسطورة دعمتها الدعاية الصهيونية، فإذا بجو عام من التألية لدولة إسرائيل، وإذا بالرأى العام العالمي ينظر إليها عن قناعة بأنها تمثل حضارة ثابتة وتملك من عناصر القوة ما يجعل من تلك الدولة الرمز الخالد لإرادة الإنسان، وكل ذلك كان كافياً لتعقيل الأحلام وإعاققة التفكير لدرجة أصبحت الواقعية معها تعني التسليم بنهاية القومية العربية وما يسمى بالزمن الجميل، وباتت تهم اللاعقلانية والرومانسية جاهزة لرمي أية دعوة عربية جامعة مهما كان طموحها متواضعاً.

---

(1) أحمد النابلسي، النفس المغلولة، سيكولوجية السياسة الاسرائيلية، محمد منشورات مركز الدراسات النفسية،

(م د ن) لبنان، ط2/ 2002

ولكن مضت الأيام وجاءت "حرب أكتوبر، والانتفاضة، وحرب لبنان، وغزة" لتعيد الموازين إلى قسط من الحقيقة، ورغم ذلك فالأسطورة لا تزال قائمة والقيادات العربية لا تزال تحمل قسطاً من التراكمات التي خلقتها تلك الأسطورة، والتي كان لابد وأن تخلق نوعاً من الضباب وعدم الرؤية في صنع القرار السياسي العربي<sup>(1)</sup>، وغاب عن وعينا أن فكرة النهاية الإسرائيلية، كما يرى البعض، هي فكرة في غاية المنطقية ولها أسانيد وبراهينها الاستقرائية التي تختلف عن السيناريو الذي تصورناه يوماً لهذه النهاية، وبذلك يصبح الخلل محصوراً بالسيناريو وليس بالفكرة، ولنستعرض معاً المبررات المنطقية الداعمة لفكرة النهاية الإسرائيلية:

1- الكيان المزروع: إسرائيل كيان دخيل ومزروع في المنطقة، ويستحيل تجاوز الفروقات الانثروبولوجية<sup>(2)</sup> بينها وبين جيرانها العرب، فهذه الفروقات كفيلة بالقضاء على أية محاولة إسرائيلية للتكامل في المنطقة، إلا إذا اتخذت القرار بتجاوز منطلقاتها الانثروبولوجية بالتحول إلى التسامح والانفتاح والاندماج في المنطقة.

2 - اقتصاد المعونات: بعد أكثر من سبعة عقود على قيامها فإن اقتصاد إسرائيل لا يزال اقتصاد معونات، وهذا يعود لجملة أسباب في مقدمتها الطابع العسكري الصرف لهذه الدولة، حيث الإنفاق العسكري يتجاوز كل طموحات الدخل القومي، وحيث الإنتاج موجه في الاتجاه العسكري، إضافة لاضطرار إسرائيل لتحقيق وفرة اقتصادية لسكانها حتى لا يرحلوا إذا ما انخفض مستوى الرخاء فيها، وتجدر الإشارة إلى أن قيام إسرائيل اعتمد على اليهود الفقراء في حين فضل الأغنياء الولايات المتحدة دون أن يتخلوا عن دعم إسرائيل اقتصادياً، وبالإضافة لإعتمادها على المعونات، فهي دولة خارجة على الأعراف الدولية والإنسانية، ويكفي أن نراجع الفيتوات الأميركية وحجم الدعم الأميركي لها كي نستنتج مقدار اعتماديتها.

3 - إشكالية الهوية: يعبر كاتب إسرائيلي عن أزمة الهوية بقوله: "نحن لازلنا لا نعرف أية هوية نمتلك ونحن يهود أم إسرائيليين؟" فالإسرائيلي كالسائح الجوال حاملاً حقيبته على ظهره ليتجه صوب يجد مصلحته، وحيثما لن يجد في إسرائيل نفعا له غادرها وولاهها<sup>(3)</sup>، وتبدو أزمة الهوية واضحة في تركيبة الأحزاب الإسرائيلية، وازدادت وضوحاً مع قدوم اليهود

(1) حامد ربيع، مستقبل إسرائيل، دراسته غير منشوره

(2) علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا هي دراسة البشر وسلوك الإنسان والمجتمعات الماضية والحاضرة

(3) يوسي ميلمان الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك البديري- الأهلية للنشر

والتوزيع- عمان ص3

الروس حيث يشكك الإسرائيليون بيهودية الثلثين منهم، وفي ذلك تهديد للهوية الإسرائيلية.

4 - وطن أم اتحاد حارات؟: إن يهود إسرائيل يعيشون في داخلها ضمن تجمعات تحدها بلدان المنشأ التي قدم منه المهاجرون، وبسبب عمق الاختلافات الثقافية بين هذه المجموعات نجد أن هذا الإنقسام يحول إسرائيل من وطن إلى اتحاد للغيتوات أو للحارات اليهودية، وهذا الإنقسام يجد جذوره في التاريخ اليهودي<sup>(1)</sup>.

5 - وهم القوة الإسرائيلية: إن إسرائيل هي دولة قوية لغاية إعطاء الأمان لسكانها بتأكيد قدرتها على العدوان على تخومها، وفي ما عدا ذلك فهي دولة لا تملك ولا حتى مقومات الاستمرار، وهنا تبرز المعضلة القائمة على التناقض بين قوة آلة إسرائيل العسكرية من جهة، والمخاوف على مستقبلها من جهة أخرى: ففي حين أن الآلة العسكرية نفسها أقوى من أي وقت مضى، فإن بين الإسرائيليين نفسيات أكثر عرضة للسقوط من أي وقت مضى منذ الخمسينيات، وباتت قدرة إسرائيل النووية عديمة الفائدة ضدّ الدول المجاورة لها<sup>(2)</sup> يضاف إلى ذلك أن هذه الأسلحة غير مقبولة دولياً، واستخدامها معاق جغرافياً، إذ يمتد خطرها استخدام إلى الداخل الإسرائيلي، وهذا كاف لاستنتاج وهم القوة، وبالتالي فإن الخضوع العربي يكون للقوة الأميركية وحدها.

6 - كابوس الموت في إسرائيل: عندما قامت إسرائيل عام 1948 اعتبرت نموذجاً للدولة القومية، وهي تمكنت في حينه من جلب متطوعين للقتال فيها من يهود العالم، أما اليوم فإن استعداد اليهود للموت لم يعد مطروحاً، وذلك أسوة ببقية دول الرفاه في العالم التي تريد أن تستمتع بالرفاه دون تقديم ضحايا بشرية، حتى يبدو هوام الموت حالياً وكأنه حكر على الشعوب الفقيرة، وهذا الفقر هو الذي يجعل من الحروب الراهنة صغيرة ومحدودة مع تضخم أعداد ضحاياها<sup>(3)</sup>، وهناك شبه إجماع في إسرائيل على أن الجيل الجديد فيها لا يريد القتال، وروحه ليست روحاً قتالية كما كانت روح الأجيال السابقة، إنه جيل يريد الحياة والاستقرار، وثبت له أن الاعتماد على القوة فقط لا يمكن أن يحقق النجاح؛ لأن روح الخصم قتالية لا تعرف الخوف.

---

(1) محمد أحمد النابلسي، النفس المغلولة سيكولوجية السياسة (الإسرائيلية)، موقع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الأمانة العامة palwriters.com

(2) وريشار لاوف، الشكوك المحيطة بمستقبل "إسرائيل"، أوليفيا بوركوفيتش، راسلينغ للكتب والدراسات، تل أبيب، 2011/ عرض: عدنان أبو عامر، مركز الزيتونة للدراسات، 2011/12/12

(3) النفس المغلولة، سيكولوجية السياسة الاسرائيلية

## الطبيعة الدينية لإسرائيل وصعوبة التنبؤ بمستقبلها

من خلال التأمل في تجارب الاستيطان التي عرضناها مقارنة لها بالتجربة الاستيطانية الإسرائيلية، فإنه تبرز الأهمية الحيوية لعدد من المتغيرات بالنسبة إلى مستقبل الوجود الإسرائيلي في المنطقة، ولكن في ضوء الطبيعة الدينية لإسرائيل تبرز هناك مشكلة عدم إمكانية للتنبؤ بمستقبلها السياسي من خلال أدوات التحليل العلمي المستقبلي وأساليبه، التي تسمح بتقديم صورة حقيقية لحدود وأفاق المستقبل المتوقع، الأمر الذي يجعل وضع تقدير موقف حول مكانة إسرائيل في المنطقة، مسألة تَدَسُّم بالغموض، وتستعصي على التحليل العلمي، ومن ثم يصعب تشكيلها أو تخطيطها أو التحكم في تطورها<sup>(1)</sup>؛ ذلك أن (إسرائيل) ترتبط اسماً ووجوداً وفكراً ونظاماً وممارسة بالمنطق الديني، الذي يستعصي على التحليل العلمي، ولا يمكن معالجته باستخدام أدوات التفسير ومناهج التحليل السياسي التي أرسها التقاليد العلمية، وهذه تفسّر أمرين:

الأمر الأول: هو إخفاق كافة المفاوضات العربية الإسرائيلية حتى الآن، بسبب اختلاف منطلق ولغة الحوار بين الطرفين، فبينما يركز الجانب العربي إلى أسس وحجج سياسية ترتبط بالحقوق التاريخية والشرعية الدولية والاتفاقات والمعاهدات المبرمة بين الطرفين، نجد الجانب الإسرائيلي يتحدث عن الوعد الإلهي وحائط المبكى وهيكل سليمان والعداء للسامية، ويلتزم بإجازة السبت، ويرتدي مفوضه القُبعة اليهودية، ويتلقون الدعم الغربي المسيحي بدعوى التراث الديني المشترك، وهكذا يجري الحوار بين طرفين لا يفهم أحدهما لغة الآخر!

أما الأمر الثاني: المترتب على الطبيعة الدينية للدولة العبرية فهو عدم إمكانية التنبؤ بمستقبل (إسرائيل) السياسي من خلال أدوات وأساليب التحليل العلمي المستقبلي التي تسمح وحدها بتقديم صورة حقيقية لحدود وأفاق المستقبل المتوقع، وهو الأمر الذي يلقي بظلاله على مستقبلنا العربي الذي أصبح هو الآخر يتسّم بالغموض ويستعصي على التحليل العلمي ومن ثم يصعب تشكيله أو تخطيطه أو التحكم في تطوره<sup>(2)</sup>.

أما لو كانت إسرائيل دولة ذات طبيعة غير دينية، فمن السهل وضع جملة من المعايير التي

---

(1) انظر: عدنان أبو عامر، الشكوك المحيطة بمستقبل "إسرائيل" مركز الزيتونة للدراسات، 2011/12/12  
(2) عبد العزيز عبد الغني صقر، مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني، (2007/11/8) - موقع مدار

<http://midad.com/article/198314/>

تسمح بالتنبؤ بمستقبلها على المدى القريب والبعيد، وهنا يقول المرحوم د. حامد ربيع: لنتساءل ما هي المتغيرات التي يمكن أن تحدد مستقبل دولة ليست عظمى في العالم المعاصر؟ نستطيع من منطلق الكليات النظرية المجردة أن نحدد تلك الدوائر التي بها ومنها ينبع التصور لمستقبل كيان سياسى بثلاث مجموعات من المتغيرات:

1- متغيرات قومية أو داخلية تعنى الجسد والكيان في تعامله الذاتي وفي قدراته المحلية على خلق التماسك واستمرارية التطور، أي مدى تماسك المجتمع الإسرائيلي وقدرته على مواجهة عوامل التفكك الناشئة عن التمايزات الاجتماعية واختلاف الأصول العرقية والثقافية داخله، وتلك قضية اجتماعية وثقافية بمقدار ما هي سياسية وايدولوجية، تقيس أيضاً مدى ونوعية الاستجابة الصهيونية للتحدي العربي حولها<sup>(1)</sup>.

2- المتغيرات الإقليمية ومردداً أن العالم المعاصر لم يعد يعرف الدول الصغيرة أو يقدرها، قد يتعايش معها من حيث الشكل وقد يضفي عليها ملامح الاستقلالية والمساواة ولكن الواقع والحقيقة شيء آخر، دولة صغيرة من حيث الكم والكيف لا قيمة لها في عالم اليوم، إنها أداة تستخدم بلا وعي من جانب القوى العظمى، هذه الحقيقة سوف تزداد تأكيداً في الأعوام القادمة وليس أمام الكيانات الصغيرة سوى أن تندمج في نماذج أكثر اتساعاً. وهنا فإن علاقة إسرائيل بالوسط العربي المحيط بها، سيكون في مقدمة العوامل المهمة التي ستحدد توجهها المستقبلي<sup>(2)</sup>.

3- تأتي مجموعة ثالثة أكثر خطورة وأكثر عنفاً وهي ترتبط بحقيقة الإطار الدولي، وعلى كل محلل سياسي أن يقول حقيقة الوضع القائم، وهي أن مستقبل العالم أيضاً في أدق جزئياته لا بد وأن يتأثر بطبيعة العلاقة بين الدولتين الأعظم<sup>(3)</sup>، وبالأخص بطبيعة العلاقة العضوية بين إسرائيل وبين المصدر الخارجي الرئيسي لدعمها اقتصادياً وسياسياً ودبلوماسياً أي الولايات المتحدة الأمريكية، إن هذه العلاقة المتميزة تبدو في إطار تاريخ الحركة الصهيونية امتداداً للعلاقة الوثيقة التي حرصت تلك الحركة دائماً على نسجها مع القوة الإمبريالية السائدة، تستمد منها العون والقوة، بل وتستغلها لمصلحتها بكل الوسائل والأساليب<sup>(4)</sup>.

---

(1) حامد ربيع، مستقبل اسرائيل

(2) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 60

(3) مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني.

(4) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 60

وهكذا يرتبط التحليل المستقبلي بمتغيرات واقعية حقيقية، لا موضع فيها للوعود والحوائط والهياكل والطواقي، كما أنه تحليل متعدد المستويات، إذ يفرض نقاء الصورة المتوقعة لمستقبل مجتمع ما، تحليلاً شمولياً متكاملأ يعتمد على قاعدة علمية من البيانات والمعلومات الواقعية التي تغطي الواقع القومي والإقليمي والدولي الذي يرتبط به هذا المجتمع.

ولو تجاهلنا كل الادعاءات الإسرائيلية المرتبطة بالدين، وافترضنا جدلاً أن الدولة العبرية قد تحوّلت إلى دولة قومية علمانية يمكن إدراجها (مادة) للبحث السياسي في نطاق التحليل المستقبلي، لأمكننا حينئذ، وحينئذ فقط، أن نتوَّع لا بشأن دولة (إسرائيل) فحسب وإنما أيضاً بشأن المستقبل العربي كله، إن الأمر لا يتطلب أكثر من جمع وتصنيف وتحليل وتفسير المعلومات التي ترتبط بمستويات التحليل الثلاثة التي أشرنا إليها آنفاً، أي المستوى القومي والإقليمي والدولي، والانطلاق من ذلك لتصوير السيناريوهات الممكنة التي تتمخض عنها عملية التحليل، حيث جميع هذه المتغيرات، تقود إلى عدد من التصوّرات المستقبلية، من أهمها:

- 1 - عودة اليهود إلى الشتات وتلاشي الصهيونية كظاهرة قومية.
- 2 - استيعاب اليهود داخل دولة فلسطينية علمانية قومية.
- 3 - استيعاب الفلسطينيين داخل دولة إسرائيلية علمانية قومية.
- 4 - استمرار (إسرائيل) كدولة شرق أوسطية إلى جوار دولة فلسطينية مستقلة.
- 5 - قيام دولة فلسطينية، إسرائيلية ثنائية القومية.

هذه التصورات ترتبط بتخلي الإسرائيليين عن عملية خلط السياسة بالديانة اليهودية، وقبولهم الدخول في حوار مع العرب من منطلقات سياسية بحثة، أما إذا استمروا في استخدام المنطق والمقولات الدينية في الحوار والحركة؛ فإنه لا يمكن التعامل معهم والوصول إلى حل للمشكلة إلا بارتكاز العرب أيضاً في حوارهم وحركتهم، إلى المنطق الديني الإسلامي الذي يمكنه وحده في هذه الحالة التعامل مع المشكلة وحسمها وذلك من منطلق مفهوم الجهاد، وحينئذ لن يكون هناك سوى تصوّر واحد لمستقبل إسرائيل<sup>(1)</sup>.

---

(1) مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني.

## إسرائيل - نظريات النهاية

ينتمي طارحو فرضية النهاية الإسرائيلية إلى مذاهب نظرية متباينة، منهم المستقبليون وهم ينطلقون من خلفيات شديدة التعارض، وينقسمون إلى عدة تيارات: التيار المستقبل-التيار الديني-التيار العروبي-ولذلك نجد ضرورة تصنيفهم وفق تياراتهم ونبدأ بـ:

### أولاً: التيار المستقبل

يتفق المستقبليون على تصنيف إسرائيل في خانة الكيان المزروع في محيط معاد، حيث يشير الاستقراء التاريخي إلى أربعة احتمالات مستقبلية لهذا الكيان هي:

1- أن تحتوي البيئة هذا الكيان الجديد وتصهره كي يصبح جزءاً منها، وذلك على غرار ما جرى للآريين الذين استعمروا الهند.

2- أن يندمج الغزاة مع الشعوب المحلية، على غرار ما جرى في أميركا اللاتينية مثلاً.

3- أن يملك الغزاة قدرة الانفتاح، وأن يتمكنوا من إغراء الشعوب المحلية لإقامة مشروع سوسيو-انثروبولوجي مشترك.

4- يبقى احتمال رابع يستبعده المستقبليون لسبب ديموغرافي، فأعداد اليهود غير كافية لتذويب الشعوب الأصلية على غرار ما فعله الأوروبيون مع الهنود الحمر في أمريكا، فقوة إسرائيل غير كافية كي تنتصر على العالم العربي، كما أن العناصر الأساسية لهذه القوة وهي قدرة جيش إسرائيل ومساندة الولايات المتحدة سوف تنكمش بمرور الزمن، وستساهم هذه الاستراتيجية في عزلة إسرائيل وفي تهميشها في نهاية المطاف، على الصعيد الدولي، مثلما كانت الحال مع جنوب أفريقيا؛ لانتهاجها سبيل التمييز العنصري<sup>(1)</sup>.

وبعد هذا الاتفاق يبدأ خلاف المستقبلين في تحليلاتهم لمستقبل إسرائيل، إذ يربط بعضهم زوالها بأزمة أميركية قادمة، في حين يذهب بعضهم الآخر إلى احتساب متوسط أعمار الاحتلالات التي شهدتها فلسطين التاريخية، وهناك تياراً آخر يؤكد على انبعاث الفاشية بعد جيلين على اختفائها، وهذا يعني عودتها حوالي عام 2020 ويرى هذا التيار أن اليهود سيكونون أوائل المتضررين من هذا الانبعاث<sup>(2)</sup>.

---

(1) أوري وزولي، هل ستبقى إسرائيل حتى العام 2048؟ ترجمة: سميرة دميان، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإعلام.

(2) النفس المغلولة، سيكولوجية السياسة الإسرائيلية.

وفي تصريحات خاصة لـ"إسلام أون لاين نت بتاريخ 2008/5/15 " حدد د. عبد الوهاب المسيري - من خلال معطيات وحقائق يستقيها من الكتب والصحف الإسرائيلية- عشر علامات تؤثر على أن زوال إسرائيل بات وشيكاً، وهي: تآكل المنظومة المجتمعية للدولة العبرية، والفشل في تغيير السياسات الحاكمة، وزيادة عدد النازحين لخارج إسرائيل، وانهيار نظرية الإجماع الوطني، وفشل تحديد ماهية الدولة اليهودية، بالإضافة إلى عدم اليقين من المستقبل، والعزوف عن الحياة العسكرية، وعدم القضاء على السكان الأصليين، وتحول إسرائيل إلى عبء على الاستراتيجية الأمريكية، نهاية باستمرار المقاومة الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

## ثانياً: التيار العروبي

التيار العروبي القومي ينطلق من رفضه لفرضيات موت القومية، ويصر على الانبعاث القومي دون أن يحدد له زماناً، إلا أنه يربطه بالقدرة على مواجهة إسرائيل وتعجيل نهايتها، باعتبار إسرائيل مستعمراً كباقي المستعمرين، مع رفض مبدئي لأية ادعاءات إسرائيلية أركيولوجية (علم الإنسان)، ويعتبر هذا التيار أن حتمية زوال إسرائيل لدى عامة العرب والمسلمين تعتبر من اليقينيات، فليست المرة الأولى في التاريخ تتعرض فلسطين بقدسها لاحتلال استيطاني إحلالي، حتى تنهض الأمة لتحريرها، فالمنطقة العربية الإسلامية ذات عمق حضاري وثقافي، والمفاهيم الإسلامية الثابتة منتشرة بقوة في المنطقة المحيطة، وهذا معناه استمرار الدعم المادي والمعنوي للمقاومة، ومهما كانت وسائل الترغيب والترهيب والتضليل، فلن تفلح في ترويض الشعوب للتعایش مع هذا الجسم الغريب، ولن تفلح في القضاء على مقاومة الجسم العربي الإسلامي له<sup>(2)</sup>.

أما التيار العروبي - الليبيرالي فيعتبر اتفاق أوسلو بداية نهاية التفكير بإزالة إسرائيل بفعل عربي، فقد كرس هذا الاتفاق تحول المقاومة الفلسطينية من العمل العسكري إلى التفاوض الدبلوماسي، وعلى الصعيد العربي فقد تحول هذا الاتفاق إلى عنصر إضافي للخلافات العربية، مما جعل القضية الفلسطينية تفقد العمقين الاستراتيجي والاقتصادي، وهذا حول التيار العروبي إلى الكمون وسط شائعة نهاية القوميات ومعها شائعة وفاة القومية العربية، مع

(1) محمد شهاب، نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق، فبراير 2012

- <https://www.facebook.com/MP.Mohammed.Shehab/posts/467664166608997>

(2) المصدر نفسه

اعتبار أي تفكير في مواجهة إسرائيل نوعاً من أحلام اليقظة الرومانسية، التي تلامس الجنون بعد إعلان إسرائيل عن ملكيتها لـ200 رأس نووي ولقدرة تدميرية غير قابلة للمواجهة.

وفي هذه الظروف تحولت مناقشة مستقبل إسرائيل من الخطاب التعبوي إلى الخطاب الأكاديمي الذي يربط قيام إسرائيل بدور وظيفي محدد في خدمة المصالح الأجنبية، فكانت منذ تأسيسها دولة اعتمادية، فاقتصادها لا يزال اقتصاد معونات ومجتمعها لا يزال عسكرياً كما أن آمالها في التكامل مع محيطها تزداد انحساراً مع الوقت، ويختم هذا السيناريو تحليله بتوقع زوال إسرائيل مع زوال الحاجة إلى دورها الوظيفي<sup>(1)</sup>.

---

(1) النفس المغلولة، سيكولوجية السياسة الاسرائيلية.

## المبحث الثاني: الأديان السماوية وموقفها من إسرائيل .. قيامها ونهايتها

تحتل أرض فلسطين مكاناً مهماً في الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، ولهذا فهناك رؤى مختلفة لسيناريو المستقبل الإسرائيلي يرسمه كل فريق، ونظراً لأهمية العامل الديني في تحديد مستقبل الصراع، فإننا سنفرد له مساحة كافية لتوضيحه؛ لأننا نعتقد إن فهم البعد الديني للصراع بطريقه صحيحة هو الكفيل بالتعجيل بحل الصراع لصالح أمتنا العربية وقضيتها العادلة.

أولاً: الفرق المسيحية ومستقبل إسرائيل: ينقسم المسيحيون إلى ثلاث فرق، هم الأرثوذكس، والكاثوليك والبروتستانت، حيث تتفاوت مواقفهم السياسية من إسرائيل: حيث التماهي مع الدولة اليهودية في أميركا وبريطانيا، والتحفظ في أوروبا الجنوبية على السياسات الإسرائيلية (خصوصاً من طرف إيطاليا وإسبانيا وفرنسا أكبر الأمم الكاثوليكية الغربية) والريبة في أوروبا الشرقية، وخصوصاً روسيا<sup>(1)</sup>.

### أولاً: الأرثوذكس واليهود

الأرثوذكس هم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، وكلمة "أرثوذكس" كلمة لاتينية معناها: "صحيح العقيدة" أو "مذهب الحق"، وهي مذهب من المسيحية يُرجع جذوره بحسب أتباعه إلى المسيح والخلافة الرسولية والكهنوتية، وتتبع الكنيسة الأرثوذكسية النظام البطريركي القديم، وهي ثاني أكبر الكنائس المسيحية بعد الكنيسة الكاثوليكية في العالم، وتتراوح أعداد أتباعها بين 223 مليوناً و300 مليون، ينتشرون في روسيا وعموم آسيا وصربيا ومصر والحبشة، ويتبعون أربع كنائس رئيسة لكل منها بطريرك (القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم)، وتشكل العقيدة الأرثوذكسية امتداداً صادقاً لما جرى في مجمع نيقية، إذ تتفق معتقداتهم مع ما جاء في رسائل أثناسيوس الذي ولي البابوية في الإسكندرية بعد مجمع نيقية<sup>(2)</sup>.

(1) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط2، 2002، مكتب الشروق، القاهرة، ص 64

(2) عشتار جرجيس/ ميسان الطوائف المسيحية وتاريخها الدامي، -

وقد انقسمت الكنيسة الأرثوذكسية في أعقاب مجمع القسطنطينية الخامس 879م إلى قسمين كبيرين: (الكنيسة المصرية أو القبطية أو المرقسية، وكنيسة القسطنطينية المسماة بالرومية أو اليونانية)، والمسيحيون التابعين للكنيسة الأرثوذكسية والساكين في البلدان العربية يطلق عليهم الروم الأرثوذكس بسبب أنهم يتبعون الطقوس الدينية اليونانية البيزنطية، وهم من أقدم الفرق المسيحية في العالم، ولا يعترفون أيضاً بأي حق لليهود في فلسطين، بل أن مواقفهم أكثر تطرفاً من الكاثوليك تجاه اليهود، وقد انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولا ديوس بطريرك القسطنطينية في عام 1054م، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس متفرقة، وأسباب إنقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية "يرجع إلى تساهل كنيسة روما الكاثوليكية - لتجذب لها الجرمان واللاتينيين - فأحلت لهم أكل الدم المخنوق، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير، وغير ذلك من الأمور التي لم تقبلها الكنائس الشرقية"<sup>(1)</sup>، ويمكن إجمال أسباب الانفصال في سبب واحد وهو "الخلاف بين الروح الشرقية التي تميل إلى التوحيد والروح الغربية التي تميل إلى التعدد"، وهذا يتيح لنا أن ندرك سبب الاستجابة السريعة إلى الإسلام من قبل الأريوسيين الذين وجدوا في الإسلام صدى لعقيدتهم، حيث يرفضون فكرة التثليث (الأقانيم الثلاثة) التي صيغت بمنطق الثقافة اليونانية في مجمع نيقية"<sup>(2)</sup>.

والكنيسة الأرثوذكسية تتخذ موقفاً مناهضاً للصهيونية وإسرائيل، وأيضاً للصهيونية المسيحية على قاعدة الدفاع عن العقيدة المسيحية في الدرجة الأولى، مستندةً في ذلك على أسس ذات طابع عقائدي، يقول القس الدكتور جورج عطية في محاضرة ألقاها بأبرشية طرطوس للروم الأرثوذكس: "أن المسيحية لم تعرف لا بشرقها ولا بغربها وعلى مدى قرونها كلها أي ميل لقبول أي فكرة صهيونية، وذلك بسبب التصادم الجذري بين المفهومين، لا بل يمكن القول أن المسيح رُفض وصُلب من اليهود؛ لأنه لم يرد أن يكون صهيونياً فقد حاولوا هم أن يجعلوه ملكاً أرضياً بمفهومهم الصهيوني، فأما هو فلم يرد وقد أظهر بوضوح هذا أثناء محاكمته أمام بيلاطس عندما قال (مملكتي ليست في هذا العالم)"<sup>(3)</sup>.

(1) أحمد شليبي، سلسلة مقارنة الأديان، ج 2 (المسيحية)، ص 239

(2) عبدالفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1976، بيروت، ص 4.

(3) ليون نتيباس، الكتاب المقدس بعهديه ضد الصهيونية، محاضرة للأب جورج عطية في أبرشية طرطوس

للروم الأرثوذكس، موقع أرثوذكس أون لاين، 2008/4/1

أما الموقف من الصهيونية المسيحية، والتي تعمل على إدخال أفكار لاهوتية غريبة على الدين المسيحي لأهداف سياسية تصب في مصالح دولة إسرائيل، فقد قوبل بالرفض من كافة الكنائس الأرثوذكسية، ويعكس هذا الموقف بيان مجلس كنائس الشرق الأوسط في أبريل عام 1986 رداً على موقف الحركات الإنجيلية البروتستانتية الغربية، حيث أدان البيان "سوء استخدام الكتاب المقدس وإثارة المشاعر في محاولة لتبرير خلق دولة ما (إسرائيل) ولتشريع سياسات حكومة ما (الحكومة الإسرائيلية)، وأرفق هذا الموقف بدراسة لاهوتية تاريخية تسفه الصهيونية المسيحية وتؤكد اعتبارها خطراً على المسيحية"<sup>(1)</sup>، وعلى هذا المنوال كتب المطران عطالله حنا من كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس مقالة يشرح خلالها موقف كنيسته من الصهيونية المسيحية قائلاً: "إن هذا التيار وما ينادي به يناقض المسيحية وأسسها التي تدعو للسلام والمحبة، على عكس الصهيونية المسيحية التي تسعى لهيمنة العنصرية والتمييز العرقي"، واستشهد عطالله بكلمة للبابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قال فيها: إن "هؤلاء احتلوا فلسطين بوعد من بلفور وليس بوعد من الله، وإنهم يتخذون من آيات كتابية يحرفونها ويفسرونها كما يحلو لهم تبريراً لأفكارهم ومواقفهم العنصرية"<sup>(2)</sup>، وجدير بالذكر أن البابا شنوده وقف شامخاً عملاقاً، وهو يرفض جميع الضغوطات للسماح لأقباط مصر بالحج إلى القدس قائلاً: "ندخل القدس المحررة مع أخوتنا العرب المسلمين".

ويقول القس رياض جرجور: "إنه لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط، ويجب أن تنبذ من قبل الكنيسة العالمية، إنها تشويه خطير وانحراف كبير عن الإيمان المسيحي الحقيقي المتمركز في السيد المسيح، كما أنها تدافع عن برنامج سياسي قومي يعتبر الجنس اليهودي متفوقاً"<sup>(3)</sup>، أما القس دانيال سويرس من الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا فيشرح في مقالة له تطور العقيدة الألفية في العصور الأولى للمسيحية فيقول: "بأن سفر الرؤيا عندما تحدث عن حكم المسيح الألفي للعالم لم يكن يقصد بذلك ألف عام بالمعنى الحرفي، ولكن بالمعنى المطلق أي إلى الأبد، والكنيسة استشعرت خطورة الأفكار الألفية فرفضتها تماماً، ومال

(1) محمد السماك، الصهيونية المسيحية، دار النفائس، بيروت، ط3، 2000، ص149.

(2) عطا الله حنا، موقف الروم الأرثوذكس من المسيحية الصهيونية، 2003.

<http://alarabnews.com/alshaab/GIF/06-06-2003/a23.htm>

(3) رياض جرجور، المسيحية الصهيونية، صهيو مسيحية أم صهيو أميريكية، ندوة فكرية، مركز الإمام الخميني الثقافي، بيروت.

[http://www.bintjbeil.com/articles/2003/ar/0505\\_jarjour.html](http://www.bintjbeil.com/articles/2003/ar/0505_jarjour.html) (8 نيسان (أبريل) 2003)

لاهوتيو الكنيسة لإعطاء النص المذكور في سفر الرؤيا شكلاً روحياً<sup>(1)</sup>.

## الكنيسة الكاثوليك ومستقبل إسرائيل

كانت المسيحية كنيسة واحدة حتى الانشقاق الذي حصل بين الكنيسة الغربية (الرومانية الكاثوليكية والشرقية الرومية الأرثوذكسية)، وكان موقف الكاثوليك ولأزال مع حدوث بعض التغيرات لصالح اليهود موقفاً متشدداً، حيث كان ينظر إليهم نظرة عدائية؛ بسبب رفضهم الإيمان بدعوة السيد المسيح وكفرهم بها، ولذلك وصفهم السيد المسيح أكثر من مرة "بخراف بنى إسرائيل الضالة" (إنجيل متى 15: 24) وبغيرها من الأوصاف، كما أن اليهود كانوا يعتبرون مارقين وكفرة و"قتلة المسيح ومعذبوه"، وما يعدونه "أرض ميعادهم" خرافة، لا تتفق مع التعاليم المسيحية الكاثوليكية<sup>(2)</sup>، ولذلك لم يكن هناك في العقيدة الكاثوليكية التي تلتزم بالتفسير المجازي للإنجيل أدنى فكرة أو احتمال لعودة اليهود إلى فلسطين أو بعث الأمة اليهودية من جديد؛ لأن هذه الأمة حسب رأيهم انتهى وجودها بظهور دعوة السيد المسيح<sup>(3)</sup>، ولهذا كان جميع المسيحيين قبل عصر الإصلاح الديني يعادون اليهود ويقودون حملات التطهير والإبادة ضدهم، "فالصليبيون عندما احتلوا بيت المقدس جمعوا يهود المدينة في الكنيس ثم أحرقوهم فيه أحياء"<sup>(4)</sup>، "وعندما تقدمت الجيوش المسيحية في إسبانيا نحو الجنوب سنة 1391م جرت حملة دامية لإخراج اليهود من شبه الجزيرة الإسبانية"<sup>(5)</sup>.

وقد حافظت الكنيسة الكاثوليكية - إلى عهد قريب - على موقف ثابت من المسألة اليهودية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح واعتنقوا المسيحية، وكان المساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون تفسيرات لاهوتية أخرى، وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي<sup>(6)</sup>، فرجال الدين الكاثوليك كانوا يعتقدون أن

---

(1) يوسف الطويل، عد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية، مطبعة حسن العصرية ط1، 2014، ص35

(2) حسين النجار، أمريكا والعالم، مكتبة مدبولي، 1986، القاهرة، ص364

(3) رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: د. أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، 96، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص26.

(4) محمد السمرة، فلسطين الفكر والكلمة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974، ص 10

(5) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، سلسلة الكتب الحرة، ١٤، وزارة الإعلام، بغداد، 1972، ص363

(6) الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ص31.

الفقرات الواردة في العهد القديم والتي تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين وبمستقبل مشرق لإسرائيل لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة الكاثوليكية مجازاً؛ لأن اليهود طبقاً للعقيدة الكاثوليكية إقترفوا إثماً، فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد<sup>(1)</sup>.

”وقد وضّح هذه النقطة بطرك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في 17 نوفمبر 1977 حيث قال: “إنه يفوت بني قومي أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم (متى، الاصحاح 23)، ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً: “هوذا بيتكم يترك خراباً” (متى 23-38)، وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه، ولم يبق لهم وعد الله التوراتي بالأرض المقدسة”<sup>(2)</sup>. كما أن البعض يرى أن هذه النبوءات تحققت فعلاً، عندما أعادهم الملك الفارسي قورش من منفاهم في بابل في القرن السادس ق.م، ولذلك فليس هناك أي نبوءة أخرى في العهد القديم تنص على عودتهم ثانية إلى فلسطين.

كما أن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن تعترف بأن اليهود هم شعب الله المختار؛ لأن السيد المسيح حارب بشدة هذه النزعة العنصرية فيهم ودعا اليهود وغيرهم إلى الدخول في ملكوت الله المفتوح أمام جميع الصالحين؛ “لأن الله لا يخلص أحداً بالرعاية لأسباب ذاتية، فالشمس تسطع على الجميع سواءً بسواء”<sup>(3)</sup>، وبالنسبة للعهد القديم (التوراة) فقد كان مهملًا قبل حركة الإصلاح الديني، وكان الإعتماد الأساسي على العهد الجديد ورسائل الرسل والإلهامات الغير مكتوبه للبابوات، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة، وكانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراسة اللغة العبرية تسلية الهرطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية<sup>(4)</sup>، وفي ظل هذا الموقف من الكنيسة الكاثوليكية لم يكن هناك أي أمل في إعادة بعث اليهود أو عودتهم لأرض فلسطين.

---

(1) يوسف الطويل، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية، مكتبة حسن العصرية 2014 – ص 39

(2) انظر: محمد دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم، والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين، دار الكلمة للنشر، 1979، بيروت، ص 6.

(3) أحمد شلبي، مقارنة الأديان والاستشراق، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1987، ص 119.

(4) الصهيونية غير اليهود: جذورها في التاريخ الغربي، ص 27

## موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية وإسرائيل

كان موقف الكنيسة الكاثوليكية السابق من اليهود أساساً لموقفها من الحركة الصهيونية عشية مؤتمرها الأول عام 1897، حيث جاء فيه: "لقد مر ألف وثمانمائة وسبعة وعشرون سنة على تحقيق نبوءة المسيح، بأن القدس سوف تدمر، أما فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها فيتحتم علينا أن نضيف، أن ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه، الذي أخبرنا مسبقاً بأن القدس سوف تدوسها العامة (جنتيل) حتى نهاية زمن العامة (لوقا 24/21)، أي حتى نهاية الزمن"<sup>(1)</sup>.

وإزاء هذا الموقف الراض للأفكار الصهيونية من قبل الفاتيكان، قابل هرتزل البابا (بيوس العاشر) عام 1904م، ودخل معه في مناقشات فقال له البابا: "أما أن يظل اليهود محتفظين بمعتقدهم ينتظرون مجيء المسيح، والمسيح عندنا جاء وتمت بعثته للبشر، وفي هذه الحالة نعتبر اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح، ولا مجال هنا لمساعدتهم في فلسطين، أو أن يذهبوا إلى فلسطين شعباً بلا دين، وفي هذه الحالة نجد أنفسنا غير مستعدين لمؤازرتهم، ومعلوم أن الدين اليهودي هو أساس ديننا، ولكن الدين اليهودي قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله، ولهذه العلة فليس من الممكن أن نقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر مما فعلنا من قبل، والذين أنكروا المسيح من اليهود ولم يعترفوا به مازالوا على هذا الإنكار حتى اليوم"<sup>(2)</sup>.

وبعد سبع سنوات على إعلان هذا الموقف رفض البابا بيوس العاشر من حيث المبدأ "إقامة وطن يهودي في فلسطين"<sup>(3)</sup>، ولذلك وبعد صدور وعد بلفور أوفدت الحركة الصهيونية سوكلوف لمقابلة البابا بنديكت الخامس عشر لإقناعه بتأييد الوعد، ولكن البابا حدد موقفه، وقال: "لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة"<sup>(4)</sup>. وقد دافعت الصحافة الكاثوليكية في أوروبا وأمريكا عن موقف البابا، ودعت إلى رفض المطالب الصهيونية ومقاومتها لما ستلحقه من دمار على أهالي فلسطين.

(1) الصهيونية المسيحية، ص 151.

(2) سهيل التلغلي، الصهيونية تحرف الأناجيل، مكتبة المجد- مصر، 1999، ص 104

(3) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ط 3، ص 56

(4) الصهيونية تحرف الأناجيل، ص 107

كما أن البابا (بنديكيت) تلقف التضامن الإسلامي المسيحي العربي في فلسطين ضد وعد بلفور، ليجدد رفضه السيادة اليهودية على الأرض المقدسة، معتبراً أن ذلك يهدف إلى "إقصاء المسيحية عن موقعها السابق، ووضع اليهود في مكانها"، وأضاف: "ولذلك فإننا نهيب بحرارة بجميع المسيحيين بمن فيهم الحكومات غير الكاثوليكية، أن تحت عصبة الأمم على إعادة النظر في الانتداب البريطاني على فلسطين" وفي 15 مايو 1922، وجه الفاتيكان مذكرة إلى عصبة الأمم تنتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، جاء فيها: "إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات والمعتقدات الأخرى، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان"<sup>(1)</sup>، وتجاوباً مع هذا الموقف تحركت الدبلوماسية الفرنسية والإيطالية والبرازيلية (وكلها دول كاثوليكية) في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور.

وبرغم انشغال البابوية بالانعكاسات السلبية على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الشيوعية، فإن الفاتيكان لم يتراجع عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، "ففي يوليو من العام 1937، وفي أعقاب ثورة 1936، ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق، أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، حيث عارضها الفاتيكان، ووجه البابا مذكرة إلى الحكومة البريطانية، "عارض فيها تقسيم فلسطين، وعارض بصورة أخص وضع المناطق المقدسة بما فيها بحيرة طبريا والناصرة ضمن الجزء المخصص للدولة اليهودية، وأعرب عن قلقه الشديد من نتائج مثل هذا التقسيم لفلسطين على المجموعات المسيحية"<sup>(2)</sup>، وكنتيجة للثورة الفلسطينية والمعارضة الفاتيكانية وما رافقها من توتر دولي تراجعت الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم، ولكن ذلك لم يرق للدوائر الصهيونية التي حاولت الالتفاف على هذا الأمر بممارسة بعض الضغوط على الفاتيكان "بتجريم البابا بيوس الثاني عشر بتهمة الوقوف مع النازية في الحرب العالمية الثانية"<sup>(3)</sup>.

وقد عكست الصحف الأمريكية الكاثوليكية (ساين وتابلت) الحملة الفاتيكانية ضد

---

(1) الصهيونية المسيحية، ص152-153

(2) المصدر نفسه، ص155

(3) فكتور سحاب، تاريخ تطور علاقة المسيحية باليهودية، جريدة الخليج الإماراتية، ع8674، (17/ فبراير- شباط/ 2003).

التقسيم، وركزت على أن فلسطين ليست ولن تكون وطناً قومياً لليهود، حيث ظل هذا الموقف من الثوابت الفاتيكانية حتى إلى ما بعد قبول عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية، "ففي 22 يونيو عام 1943، وجه المبعوث الفاتيكاني إلى الولايات المتحدة الأسقف (أملتو تشيكوينايا) مذكرة إلى الحكومة الأمريكية جدد فيها نداءات البابا (بنديكت الخامس عشر) بمعارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وضمن المذكرة صورة عن مذكرة الكاردينال (غسباري) إلى عصبة الأمم في 4 يونيو 1922م والتي جاء فيها: "إذا كانت إقامة وطن يهودي أمراً مرغوباً فيه، فلن يكون من العسير إيجاد مكان مناسب أكثر من فلسطين، إن مشاكل دولية جديدة سوف تترتب على زيادة عدد السكان اليهود هناك، وسيتصدى كاثوليك العالم لهذا الأمر"<sup>(1)</sup>.

وهكذا احتلت الكنيسة الكاثوليكية موقعاً أمامياً في التصدي للحركة الصهيونية منذ البداية، ولم يعترف الفاتيكان بإسرائيل إلا عام 1993 بعد توقيع اتفاقيات أوسلو، وهذا الموقف المتشدد للكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل لم يترك أي أمل في إعادة بعث اليهود أو عودتهم وتملكهم لأرض فلسطين من جديد، حيث انعكس ذلك على موقف أتباعها في العالم، الذين نجد تعاطفهم مع القضية الفلسطينية واضحاً في البلدان الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا.. الخ.<sup>(2)</sup>

---

(1) الصهيونية المسيحية، ص156

(2) لا ينتقص من دور الفاتيكان في التصدي للحركة الصهيونية، وثيقة التبرئة التي صدرت في عام 1963، "فالمعروف أن البابا (غريغوري الثالث عشر) أصدر حكم الإدانة ضد اليهود في العام 1581م، ولم يرفع هذا الحكم إلا مؤخراً في عام 1960م عندما كلف البابا (يوحنا الثالث والعشرون) الكاردينال (بيبا) إعداد مسودة نص مجمعي عن اليهود، يزيل عنهم تهمة قتل المسيح، حيث نشر نص هذه الوثيقة في عام 1963". وهنا لا بد أن نشير إلى أمر مهم وهو أن صدور هذه الوثيقة لا يشكل تغييراً جوهرياً في نظرة الكنيسة الكاثوليكية لليهود أو تغييراً في العقيدة الكاثوليكية. فالهدف الذي بسببه صدرت الوثيقة، كان لرد الهجوم العنيف الذي تعرضت له الكنيسة الكاثوليكية من الصهيونية وأعوانها، بدعوى أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا كان بسبب تلك الإدانة التي صدرت قبل أربعة قرون. وهنا لا يمكن لأي إنسان عاقل أن يدعي أن تلك الإدانة كانت صحيحة، أو أنها تعتبر جزءاً جوهرياً من العقيدة المسيحية. وبالتالي فإن التخلي عنها أو إلغاؤها لا يعتبر تحولاً كبيراً في نظرة الكاثوليك لليهود وعلاقتهم بإسرائيل. فالوثيقة لم تنكر أن اليهود تأمروا على قتل المسيح، ولكنها تنكر أن يتحمل اليهود كسبب ذنب ذلك، على مر التاريخ.

## البروتستانت ومستقبل اليهود وإسرائيل

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، انقلب الموقف الكاثوليكي من اليهود رأساً على عقب، من خلال التغييرات اللاهوتية التي جاء بها، والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، وبزوع فجر العصر الألفي السعيد، وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه التغييرات، هو ما دعا إليه لوثر من وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون الخضوع لفهم رجال الدين لها<sup>(1)</sup>، فأصبح كل بروتستانتي حري في دراسة الكتاب المقدس وتفسيره وإنتاج معنى النصوص بشكل فردي، مع عدم الاعتراف بأن فهمه وفقاً على رجال الكنيسة وحدهم، وفي هذا الوضع ازداد الإهتمام بالعهد القديم تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس بإعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر، والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية، فقد أولى لوثر الكتاب المقدس اهتماماً خاصاً، وفي معرض رده على بعض أنصار البابوية الذين ذهبوا بأن الكنيسة تسمو على الكتاب المقدس قال: "لتترك روما لي الإنجيل، وسأتمسك به مقابل كل شيء"<sup>(2)</sup>. وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، وأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للمعلومات التاريخية أيضاً.

ولما كان العهد القديم (التوراة) يتكون من 39 سفرًا، يذهب أغلب الباحثين إلى أنه لا يمكن نسبة إلا خمسة أسفار (تجاوزاً) إلى سيدنا موسى، أما الباقية فهي عبارة عن سجل لتاريخ بني إسرائيل في فلسطين، بالإضافة إلى بعض الأسفار والنبوءات التي كتبها حاخامات اليهود على فترات متفاوتة من الزمن<sup>(3)</sup>، فإنه في ظل هذا الوضع الجديد أصبح العهد القديم مصدراً مهماً

(1) موريس. ا حياة لوثر زعيم الإصلاح، ترجمة: القس باقي صدقه، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ط2، 1977، ص59.

(2) عبدالرضا الطعان، تاريخ الفكر السياسي الحديث، وزارة التعليم العالي، (بدون تاريخ)، جامعة بغداد، ص 235

(3) انظر: توماس تومسون أسفار العهد القديم في التاريخ - اختلاف الماضي،، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مراجعه وتقديم محمد خليفه حسن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2000. أو يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجدور - الممارسة -

للمعلومات التاريخية عند العامة، حيث إقتصرت تاريخ فلسطين على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي فيها دون غيرها، وأصبحت التوراة المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه<sup>(1)</sup>، وبالتالي أصبح البروتستانت مهئين للإعتقاد بأنه لم يكن في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة في العهد القديم، وكان يبدو وكأنه لا وجود للشعوب الأخرى التي عاشت في فلسطين، فرسخت في أذهان البروتستانت فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وفلسطين باعتبارها وطنهم الذي أخرجوا منه، والذي يجب أن يعودوا إليه طبقاً للنبوءات التوراتية.

ويمكن القول أن جمع الكتابين (العهد القديم والجديد) في مجلد واحد هو من التحولات البارزة في عالم الأفكار والأديان، حيث إنه مع عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني، أخذت التفسيرات الحرفية والشخصية للعهد القديم تنتشر وتسود، وذهب أتباع هذه الحركة إلى الاقتناع بأن ما ورد في العهد القديم هو نبوءة حرفية عن المستقبل، وخرجت من بطن هذه الحركة وتفسيراتها عقائد عبرت عن المدى الذي وصلت إليه عملية تهويد المسيحية، من بينها العقيدة الألفية، "وهي عقيدة تعود في جذورها إلى اليهودية، لكن البروتستانتية أحيتها، وجعلتها فكرة مركزية في عقيدتها، وتدور حول عودة المسيح المخلص الذي سيحكم العالم لمدة ألف عام، حيث يسود خلالها السلام والعدل في مجتمع الإنسان والحيوان. وعلى الرغم من أن العهد القديم لم يذكر نصاً حول هذه العقيدة التي تتحدث عن نهاية الأزمنة، فإن عناصر يهودية روجت لها، تعبيراً عن تطلع يهودي لفكرة الملك المقدس، والذي يأتي علي هيئة ماشيح عبراني، في حين رأت المسيحية التقليدية في هذه العقيدة نوعاً من الهرطقة والكفر، واعتبرت الكنيسة الكاثوليكية هي مملكة المسيح"<sup>(2)</sup>.

كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت وزناً كبيراً للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس، وأصبح العلماء والمصلحون وحتى العامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها<sup>(3)</sup>، وفي عام 1523 كتب لوثر كتاباً عنوانه: "المسيح ولد يهودياً" قدم فيه رؤية تأصيلية

---

سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر الطبعة: الثانية- 2010 م، عدد الأجزاء: 4- ص43

(1) العرب واليهود في التاريخ، ص68

(2) يوسف الحسن، الأصولية المسيحية أصولها ونشأتها ودورها في صنع القرار الأمريكي، جريدة الخليج الإماراتية، ع8674، 9/ آذار، مارس/ 2003.

(3) الصهيونية المسيحية، ص35

للعلاقات اليهودية المسيحية من منظور مغاير تماماً لما اعتاده المسيحيون من قبل، فكان مما قاله في كتابه: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها"<sup>(1)</sup>.

وتعود أهمية الأفكار التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني إلى أنها مهدت الطريق أمام نفس الأفكار التي نادى بها الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر من خلال تأكيدها على وجود الأمة اليهودية وضرورة بعث هذه الأمة من جديد، وكون فلسطين وطناً لليهود، وأن عودتهم إليها ضرورة لاهوتية كمقدمة لعودة المسيح، وبزوغ العصر الألفي السعيد، فهذه الأفكار لا تختلف كثيراً عن الصهيونية كفكرة "التي تنطوي في جوهرها على دعوة اليهود للعودة إلى صهيون، أي مناشدة اليهود في العالم للعودة إلى أرض إسرائيل بحدودها التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة لدى اليهود"<sup>(2)</sup>. وقد أدى انتشار الأفكار المتعلقة ببعث الأمة اليهودية بين البروتستانت، إلى سعي الكثيرين منهم لتحقيقها طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم.

"فمع العودة إلى أهمية الكتاب المقدس، قام الإصلاحيون بترجمته إلى لغات عديدة، كما أصبحت العودة إلى التوراة أساساً في المفهوم الديني الجديد، ومحوراً للتعليم في المدارس وهكذا، مع انبعاث التاريخ القديم بكل تفاصيله وحكاياته التوراتية، تحولت فلسطين في الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للمسيحيين إلى أرض الشعب المختار، فأمن البروتستانت بأن اليهود لا بد عائدون إلى الأرض المقدسة كما جاء في النبوءات التوراتية"<sup>(3)</sup>. ولذا فقد كان البروتستانت من أكثر المسيحيين دعماً لليهود، حيث يعتقدون أن إقامة إسرائيل وعودة اليهود إليها وبناء الهيكل أمر ضروري لعودة المسيح الذي سيقم مملكة الرب في القدس ويحكم العالم منها، وسينتقم من مضطهدى إسرائيل وسيتم ذلك بعد معركة هرمجيدون بين قوى الخير (أمريكا وحلفائها)، وقوى الشر (العرب والمسلمون وحلفائهم) حيث سيقتل في هذه المعركة ملايين البشر، وسيعترف اليهود أخيراً بالمسيح مخلصاً لهم، ثم يبدأ العصر الألفي السعيد"<sup>(4)</sup>.

(1) المسيح اليهودي ونهاية العالم، ص 63

(2) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، تحقيق وزارة الدفاع الوطني- الجيش اللبناني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية- بيروت، 1973، ص 51

(3) فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917)، بيان الحوت، دار الاستقلال، بيروت، 1991، ص 286

(4) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: الصليبيون الجدد، والحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم

## الصهيونية المسيحية ومستقبل إسرائيل

لعب البروتستانت دوراً كبيراً في تحقيق المطالب الصهيونية، وهم ينتشرون في أمريكا وبريطانيا وهولندا والدول الاسكندنافية واستراليا وكندا، ويكفي أن نعلم أن كافة زعماء بريطانيا وأمريكا صدرت قراراتهم تجاه فلسطين والمنطقة العربية بناء على خلفياتهم الدينية التي تؤمن بالخرافات التوراتية، ومن هنا فإن البعد الديني لا يغيب أبداً عن خواطر صناع القرار في هذه الدول، حيث يلعب دوراً هاماً جداً في رسم خريطة الأحداث القادمة وصناعة المستقبل أو دفع عجلة التاريخ في اتجاه أحلام تلمودية ونبؤات توراتية وإنجيلية.

فالمعركة بين جيش القديسين بقيادة المسيح اليهودي المنتظر، وبين جيش الأشرار بقيادة يأجوج ومأجوج، عند الموضع الذي يدعي هرمجيدون بالعبرية، لن تنشب قبل عودة اليهود جميعاً إلى الأرض المقدسة، وإقامة الدولة اليهودية؛ لأن مجيء المسيح المنتظر مرتبط بعودة اليهود إلى أرض فلسطين، وطرد أعداء إسرائيل العرب منها، كما يعتقد الأصوليون المسيحيون<sup>(1)</sup>، وعلى رأسهم القس الأمريكي (سكوفيلد) الذي نجح في التقدم خطوات طويلة في عملية التهود المنظم للمسيحية، من خلال ربط تفسيره للإنجيل بماضي وحاضر ومستقبل إسرائيل، "ففي اعتقاد "سكوفيلد" فإن عودة المسيح لن تحدث إلا باكتمال العوامل الأربعة التي، تفرض العودة: العامل الأول: عودة اليهود إلى فلسطين، العامل الثاني: السيطرة الكاملة على القدس غير المقسمة، والعامل الثالث: إعادة بناء الهيكل، أما العامل الرابع والأخير: فهو خوض حرب هرمجيدون"<sup>(2)</sup>.

وقد أنشأت عصابات المسيحية المتصهينة في أمريكا وبريطانيا، وعضدت قيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين المباركة، ولا زالت تحاول تأمين مستقبل إسرائيل، كمحاولة لتعجيل دورة الزمان وعودة المسيح، بعد معركة رهيبية بين الخير والشر تسمى هرمجيدون، حينما تغزو جيوش السوفيت (الروس) والعرب وآخرين دولة إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية محدودة، وسيموت ملايين اليهود، أما المتبقي منهم فإنه سيتم إنقاذهم بواسطة جيش المسيح، والذي سيعود إلى الأرض لمعاينة القوى المضادة للإسرائيليين، وسيقضى على قوى الشر في معركة تسمى هرمجيدون، وتقع في سهل مجدو في فلسطين، وستنتهي هذه المحنة

(1) المسيحية والتوراة، ص148

(2) رضا محمد حرب، أساطير في ثوب ديني وتحالف استراتيجي، جريدة الخليج، ع 8674

بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيدة تحت حكم المسيح<sup>(1)</sup>.

وفي أروقة معهد الدراسات الإستراتيجية والسياسية المتطورة، وتحديدًا في فترة ما بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، التقت مجموعة ضمت ثمانية من الصهاينة الأمريكيين، من أجل إعداد دراسة حول مستقبل إسرائيل، بتكليف من بنيامين نتنياهو، وكانت المجموعة برئاسة ريتشارد بيرل، حيث قامت المجموعة بوضع دراسة حاولت صياغة العالم بالنسبة لأمن دولة إسرائيل، عن طريق التوجه الاستراتيجي للسياسة الخارجية الأمريكية لكي تقوم بالدور الرئيس الكامل في تأمين دولة إسرائيل، باعتبارها الجنين الذي سوف يكبر ويتوسع في رحم الإنجيليكية، إلى حين اكتمال نموه ويخرج في شكل مملكة هرمجدون "مملكة الرب"<sup>(2)</sup>.

وقد كانت الإشكالية الرئيسية التي حاولت الدراسة الإستراتيجية حلها هي كيفية تأمين جنين مملكة الرب (إسرائيل)، حيث حددت الدراسة المبادئ التالية باعتبارها الأسس الضرورية لذلك: السيطرة على الكونغرس والإدارة الأمريكية عن طريق تغلغل العناصر اليهودية والمسيحية الإنجيليكانية فيهما، واعتماد الإصلاح الاقتصادي داخل إسرائيل وإعادة صياغة وتشكيل الحركة الصهيونية، واستئصال النزعات العلمانية الموجودة فيها، بهدف تحويلها إلى فكرة أسطورية دينية يهودية خالصة، وفرض إستراتيجية السلام مقابل السلام في التعامل مع العرب بدلاً من إستراتيجية الأرض مقابل السلام، واعتماد إستراتيجية الاحتواء وتفكيك وتفويض الاستقرار ودفع أوضاع الاستقرار والأمن باتجاه التراجع نحو حالة الفوضى والكارثة، حيث أن الحروب القذرة هي وسيلة وكلاء الرب اليهودي لقيام هرمجدون، "أما خارطة الشرق الأوسط الكبير فقد تم وضعها خصيصاً بما يدعم توجهات جماعات لوبي هرمجدون إزاء منطقة شرق المتوسط، ويدعم لوبي هرمجدون عمليات قتل العراقيين انتقاماً لما تعرض له اليهود في بابل"<sup>(3)</sup> وهكذا فإن مستقبل إسرائيل حسب المنظور الأصولي المسيحي البروتستانتي يجب أن يستمر ويكبر ويسيطر، ولو حتى من خلال معركة مدمرة للمنطقة وأهلها.

---

(1) تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين، ريفان الرجل والرئيس، من سميث، هيدريك، الدار العربية للموسوعات، ط. 1، 1982، ص 78.

(2) أمريكا الهرمجدونية ومستقبل إسرائيل، الجمل: قسم الدراسات والترجمة-11-10-2007 -موقع الجمل بما حمل <http://aljami.com/%D8>

(3) المصدر نفسه

## ثانياً: اليهود ومستقبل إسرائيل

ظل اليهود طوال تاريخهم يعتقدون أن عودتهم إلى أرض فلسطين التي طردوا منها، إنما تتم بأمر إلهي عن طريق المسيح المنتظر، ولكن شهد القرن الثامن عشر فترة عدم استقرار في أوروبا بسبب كثرة الحروب وما تبعها من ثورات، حيث بدأ يظهر تغير في مضامين الأفكار المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين، فبعد أن كانت هذه الأفكار تحمل الطابع الديني البحت، تسربت إليها الأفكار السياسية، حيث أصبح للقوى الأرضية دور يجب عليها أن تقوم به لكي تعيد اليهود إلى فلسطين، وهذا التدخل الذي كان مرفوضاً قبل ذلك حتى من اليهود أنفسهم الذين كانوا يرون أن عودتهم إلى أرض فلسطين لا بد وأن تتم بتدخل قوة إلهية. وربما كانت جماعة حراس المعبد (ناطوري كارتا) من الجماعات القليلة التي بقيت محافظة على هذه العقيدة.

### الحركة الصهيونية ومستقبل اليهود

بالرغم من أن الكتابات والدراسات المتعلقة بالحركة الصهيونية احتلت حيزاً كبيراً في الأدبيات العربية خلال القرن الحالي، إلا أنها في أغلبها لم تستطع وضع هذه الحركة في حجمها الطبيعي، وبيان دورها الحقيقي في قيام إسرائيل، حيث يعزو معظم الكتاب والمحللين، المهتمين بالقضية الفلسطينية، للحركة الصهيونية، القيام بالدور الرئيس في إقامة دولة إسرائيل، ويضفون على زعماء هذه الحركة هالة من العبقرية والدهاء والقدرة على المناورة واستغلال الفرص، ولكن ما عرضنا له في السابق يكشف ولو جزئياً زيف هذه الدعاوى، ويكشف أن دور الزعماء الصهيونية لم يكن في أحسن الأحوال إلا كصدى للأفكار التي انتشرت بين المسيحيين البروتستانت.

ولذلك فليس من المغالاة في شيء القول "بأن الصهيونية المسيحية كانت قد انتشرت في أوروبا، ووصلت فكراً وتخطيطاً إلى أعلى مراحل الصهيونية، أي مشروع الدولة، بينما كان اليهود أنفسهم سواء في أوروبا الغربية أو أوروبا الشرقية، لا يزالون خارج النشاطات الصهيونية، وفي الكثير من الأحيان كانوا يقفون ضدها، كان بعضهم لا يستوعبها عقلياً، وبعضهم يرفضها دينياً أو نفسياً، وبعضهم لم يسمع بها بعد، ويمكن القول بصورة عامة إن اليهود كانوا آخر من اكتشف الصهيونية في أوروبا"<sup>(1)</sup>، ويؤكد هذه الحقيقة رئيس الوزراء

(1) فلسطين، القضية. الشعب. الحضارة، ص 285

الإسرائيلي (نتنياهو)، بقوله: "كان التأييد للفكرة الصهيونية منذ البداية بين من هم غير يهود، أكبر بكثير منه في الأوساط اليهودية"<sup>(1)</sup>، وقد بينا في دراسات عديده كيف أن المسيحيين البروتستانت بدؤوا يطالبون بإعادة اليهود إلى فلسطين منذ القرن السادس عشر الميلادي، ولم يتركوا وسيلة لتحقيق ذلك، من خلال عقد اللقاءات وطرح المشاريع على رجال الدولة، والقيام برحلات استكشافية لدراسة فلسطين وتهيئتها لعودة اليهود إليها، هذا في حين كان اليهود آخر من يفكر في هذا الأمر<sup>(2)</sup>.

### سبب رفض اليهود للعودة الى فلسطين

"يعود السبب في إحجام اليهود عن المشاركة والتجاوب مع دعوات العودة الى فلسطين، إلى فقره تلمودية شهيره في الجزء المسمى "كيتوبوت" ص111، حيث يقول الله إنه فرض على اليهود ثلاثة موثيق: اثنان منهما يتعارضان بوضوح مع المعتقدات الصهيونية، الأول يقول: "يجب على اليهود ألا يتمردوا على غير اليهود"، والثاني يقول: "يجب ألا يقوم اليهود بالهجرة إلى فلسطين قبل مجئ المسيح"، والميثاق الثالث: "يفرض على اليهود عدم الصلاة بقوة طلباً لقدوم المسيح"، حتى لا يأتي قبل موعده المحدد، وقد قامت الغالبية العظمى من أهم حاخامات اليهودية التقليدية بتفسير الموثيق الثلاثة، وواصلت اعتبار وجود اليهود في المنفى التزاماً دينياً للتكفير عن الآثام اليهودية التي جعلت الله يقوم بنفيهم"<sup>(3)</sup>، ولكن الفهم الصهيوني أنكر أي قيمة لتواريخ اليهود خلال الحقبة المنفوية، واعتبر أنهم كانوا خارج التاريخ إلى حين الهجرة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل، وكأنّ تشبّتهم وانعدام استقلالهم السياسي كانا يعنيان أن تاريخ اليهود قد بلغ نهايته الزمنية مع خراب الهيكل الثاني<sup>(4)</sup>.

وهكذا فإن الفهم الصهيوني السائد خالف بصوره كلية فهم اليهود المتدينين اللذين يبنون آمال المستقبل من العبرة بالماضي، "فهم يفسرون التوراة بأن الإسرائيليين القدماء أضعوا الأرض المقدسة بسبب ارتكابهم المعاصي ضد الآخرين، وبسبب تخليهم عن إلههم الواحد من

(1) مكان تحت الشمس، بنيامين نتياهو، ص72

(2) راجع كتابنا: الصليبيون الجدد، والحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم

(3) نورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، تر: ناصر عفيفي، ص51.

(4) المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في العودة إلى التاريخ كفكرة صهيونية، أمنون راز كركوت

سكين، ص78

أجل آلهة أخرى، واليهودية في جوهرها دين ميثاق وعهد وإن اختلف هذا العهد من جيل إلى جيل، فهو دائماً يبقى عقداً بين الشعب والله، فالله وعدهم بالأرض، وبأن يعيشوا فيها عيشة ازدهار، لكن في مقابل ذلك على اليهود أن يقوموا بتنفيذ شروط العهد، كما يشرحها أنبياء الله في كل عصر، فالله وحده إذاً هو الذي يحكم على سلوك أبنائه اليهود، وهو وحده الذي يرى في مرحلة ما، أنهم قد وصلوا إلى حد المثالية الخلقية، ما يستدعي تصحيح العهد، فيرسل لهم مسيحاً ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة<sup>(1)</sup>.

## اليهود والمسيح المنتظر

عقيدة المسيح المنتظر أو (الزعة المسيحانية)<sup>(2)</sup> لدى اليهود بدأت بالتكوين منذ بداية زوال (دولة) اليهود التي كانت قائمة في فلسطين، منذ هدم الهيكل، ثم الهزيمة الكبرى التي لحقت باليهود في باركوخبا عام 132م، فمنذ ذلك الحين ظهر الاعتقاد بمجيء (المسيح) الذي سوف يخلص بني إسرائيل من المنفي، ويعيد إليهم مجدهم التليد، "حيث اتخذ هذا الأمل المسيحاني شكل أمل مزدوج: أمل في العودة إلى العصر الذهبي لليهود، وأمل في قيام عالم أفضل، مختلف كل الاختلاف عن عالمنا، وهذا الخلاص المسيحاني لن يحدث إلا عند نهاية الزمن، والتعجيل بمعجزة مجيء العصر المسيحاني لا يمكن أن يأتي إلا من الله، وما على الإنسان إلا أن يصلي لله، ويحسن عمله أملاً في ألا يتأخر الخلاص، وكل محاولة للعودة إلى أرض إسرائيل قبل ظهور الإشارات الإلهية، كفر وهرطقة وثورة ضد الإله، وعودة اليهود إلى أرض آبائهم شأن من اختصاص الإله وحده، ولا تتم بقرار من بني البشر"<sup>(3)</sup>.

كانت هذه هي النظرة التي حكمت تفكير اليهود منذ تدمير الهيكل للمرة الثانية وحتى بداية القرن التاسع عشر، حيث التزموا بهذه الرؤية الدينية طوال هذه الفترة، ولم يبذلوا أي جهد في سبيل العودة إلى فلسطين، وظلوا ينتظرون المسيح المنتظر، لكي يخلصهم ويعيدهم إلى

(1) بيان نوبهض الحوت، فلسطين القضية، الشعب، الحضارة، (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين) ص 327

(2) يشير الفكر المشيحاني إلى أن هناك شخصاً مرسلًا من الآلهة يتمتع بقداسة خاصة، إنسان سماوي، وكان معجز خلقته الآلهة قبل الدهور، يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو نقطة الحلول الإلهي المكثف الكامل في إنسان فرد، وسيأتي ليعدل مسار التاريخ اليهودي؛ بل والبشرى فينتهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص. راجع دفاع عن الإنسان، د. عبد الوهاب المسيري

(3) عبدالله عبدالدائم، صراع اليهودية مع القومية الصهيونية، دار الطليعة، 2000، ص 25.

فلسطين بمعجزه إلهية، "حيث ملأت قصص المسيح المنتظر التراث اليهودي القديم والحديث، ولا تزال هذه العقيدة إلى اليوم راسخة في نفوس الطبقات المتدينة من اليهود، ولكن الغريب أنه وإذا قام شخص وادعى أنه المسيح المنتظر الذي يحنون إليه منذ أزمان طويلة أنكروا إدعاءه وسفهوا قوله ورفضوا الإذعان لما يدعوهم إليه، وكأن الأمة اليهودية كانت ترمي لهذه الفكرة إلى غاية معنوية لا يريدون تحقيقها بوجه من الوجوه"<sup>(1)</sup>.

هكذا كان حال اليهود طوال تاريخهم الطويل حائرين بين الدعوات الميثيكانية وبين قيود حاخاماتهم التي تمنعهم من العوده إلى فلسطين بدون انتظار المسيح المنتظر، ففي القرن الثالث عشر قام الحاخام اليعازر بن موشيه الزعيم الروحي للتجمع اليهودي في ألمانيا بتحذير اليهود الذين يهاجرون بكثافة إلى فلسطين من أن الله سيعاقبهم بالموت، وفي نفس الوقت تقريباً قام الحاخام عيزرا في أسبانيا بكتابة إعلان أن اليهودي الذي يهاجر إلى فلسطين إنما يهجر الله الذي يوجد فقط في الشتات، حيث يعيش أغلب اليهود وليس في فلسطين، وفي منتصف القرن الثامن عشر كتب الحاخام الألماني الشهير يوناتان ايدشوتز "أن الهجرة المكثفة إلى فلسطين حتى مع موافقة كل دول العالم هي أمر محظور قبل مجئ المسيح"<sup>(2)</sup>، وبناء على هذه الصهيونية المسيائية المتدينة (إن جاز التعبير)، لا يوجد سبب على الأرض مهما تكن أهميته، يستدعي العودة إلى صهيون، إلا أن يكون السبب هو الأمر الإلهي، فالعودة مرتبطة بسلطة الله التي لا تناقش، ولذلك فالصهيانية المتدينون يهتمون كل من نادى بالعودة إلى فلسطين بدون انتظار عودة المسيح المنتظر بالهرطقة، أي الكفر، ومن هنا تختلف هذه الصهيونية الدينية عن الصهيونية السياسية التي قرر رجالها في مؤتمر بازل سنة 1897م العودة إلى الأرض المقدسة، ولم ينتظروا المعجزة الإلهية، "فالصهيانية المتدينون لا يرون في أي مؤتمر سياسي طريقاً للعودة، وهم أكثر من ذلك لا يرون حتى في عذاب الهولوكوست ومعسكرات النازية سبباً للعودة؛ فالعودة إن لم تقترن بالإرادة الإلهية ويقدم المسيح الجديد هي عودة باطلة"<sup>(3)</sup>.

ولذا فقد أحجم اليهود عن المشاركة في تأييد أو دعم دعوات المتدينين البروتستانت لهم

---

(1) إسرائيل ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة الناظمة، الطبعة الأولى 2006، ص 122

(2) الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك، نورتون متسفينسكي، ص 23 ترجمة: ناصر عفيفي، مؤسسة روز اليوسف، 2001، ص 52

(3) فلسطين القضية، الشعب الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين)، ص 327

من أجل العودة إلى أرض فلسطين، حيث كانت هذه المشكلة من أشد الصعاب التي واجهها الصهاينة غير اليهود (البروتستانت). ولكن مع بدايات القرن التاسع عشر ولأسباب كثيرة أهمها، تنامي التيار المسيحي البروتستنتي الداعم لأمني اليهود بالعودة إلى فلسطين، بالإضافة إلى ازدياد اضطهاد اليهود في أوروبا، ظهر عدد من المفكرين اليهود الذين نشروا العديد من الكتابات التي هاجمت الأفكار التقليدية، التي ترى بأن الخلاص لن يتم إلا من خلال معجزة إلهية على يد المسيح المخلص، حيث نادى هؤلاء المفكرون بضرورة تحرك اليهود من أجل تحقيق حلم العودة إلى أرض فلسطين من خلال العمل واستغلال كافة العوامل التي تخدمهم في هذا المجال.

وبذلك كان هؤلاء المفكرون من أمثال "الكعى" و"كاليشتر" وغيرهم، هم الدعاة الأوائل الذين مهدوا الطريق أمام ظهور الحركة الصهيونية على يد هرتسل، لهذا فإن الكثيرين يعتبرون أن الحركة الصهيونية المتعارف عليها الآن وكما دعا هيرسل إليها في مؤتمر بازل سنة 1897م، "هي الوارث الشرعي لعدد من النداءات والدعوات الفكرية التي ابتدأت تظهر في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي، لكنها لم تجد تجاوباً ولو محدوداً، إلا مع بداية الستينات، ومع ذلك؛ فإنها في مجموعها مقدمة مهمة لمعرفة الصهيونية، فكرياً وحركة سياسية يهودية"<sup>(1)</sup>.

### هرتسل ومؤتمر بازل

مع انتشار كتابات وأفكار المفكرين اليهود، أمثال "الكعى"، و"كالشر"، و"هس"، و"بنسكر" وغيرهم، بين اليهود في دول أوروبا، أصبح الجو مهيئاً لتوحيد جهود المؤمنين بهذا النهج الجديد من خلال حركة يهودية عامة، تزعمها هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية، الذي أخذ ينشر أفكاره بين اليهود وغيرهم من المسيحيين البروتستانت، حيث من الملاحظ أن الحركة الصهيونية في مبدأ أمرها لم تلقَ قبولاً واسعاً بين اليهود، في حين أثارت حماساً شارب الهوس بين المؤمنين المسيحيين المتحمسين لتوفير متطلبات المجيء الثاني، وبالمقابل كانت أقوى معارضة للصهيونية من جانب المتدينين اليهود من الأرثوذكس (المتمسكين بحرفية العقيدة)، واليهود الشرقيين، وبعض الحاخامات، واليهود الإصلاحيين.

---

(1) الأب مايكب بربر، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ترجمة: أحمد الجمل وزياد منى، دار قدمس للنشر والتوزيع، ط3 2004، ص161.

وقد ظل موقف اليهود المتدينين من الحركة الصهيونية متمسكاً بالشك وعدم الاطمئنان في أفضل حالاته. وبالرفض الصريح والمناوأة في أشد تلك الحالات، كما في هذه كلام الحبر المتدين "صدوق بن لوبلين" الذي قال: "إن أورشليم أرفع الذرى التي تتطلع إليها قلوب اليهود .. لكنى أخشى أن يبدو رحيلي وصعودي إلى أورشليم كما لو كانا علامة على تحيذى للنشاط الصهيوني، لكنى حتى وإن عذبت بثلاثمائة قضيب محمي بالنار لن أتحرك من مكاني، ولن أصعد إلى أورشليم لصالح الصهيوينيين، ولقد بلغ إيمان اليهود الأرثوذكس بشيطانية الحركة الصهيونية أن الحاخام يوسف حاييم أعلن بملء (الفم) عندما زار تيودور هرتزل فلسطين، إن "الشرق قد دخل الأرض المقدسة معه" وقال: "إننا لا نعرف حتى الآن ما الذي يمكننا أن نفعله دفاعاً عن أنفسنا في مواجهة هؤلاء الصهيوينيين الذين يريدون تدمير كل إسرائيل فليرحمنا الله"<sup>(1)</sup>.

وليس أدل على هذه المعارضة للحركة الصهيونية من جانب اليهود هو أنه عندما بدأ التحضير الجدي لعقد أول مؤتمر صهيوني مع مطلع سنة 1897م، كان مقررأ عقده في ميونخ، ولكن لما أرسلت الدعوات الرسمية، غضب اليهود الغربيون، وأعلنوا سخطهم على المؤتمر واعتبرته الصحافة الألمانية اليهودية خيانة، كما أعلنت رابطة رجال الدين اليهود في ألمانيا أن هذا المؤتمر يناقض الدعوة الميسائية، ولذا رفضته بشده، "وقد أدت هذه الحملة إلى نقل مكان المؤتمر إلى بازل بسويسرا، حيث عقد المؤتمر عام 1897م"<sup>(2)</sup>.

وهكذا، فإن مشروع العودة إلى فلسطين واستيطانها لم يكن له وجود قبل ظهور الحركة الصهيونية في نهايات القرن التاسع عشر؛ ذلك أن يهود الشتات قبل ذلك التاريخ كانوا يقرون حلم العودة إلى أرض الميعاد بظهور المسيح ابن داود ويمارسون الطقوس الدينية التي تعجّل في "عودته" ويترقّبون علاماتها، وجاءت الصهيونية لتقوّض هذا النمط من التفكير الديني التقليدي، وتحيي ما يسمّى "العبري الجديد"، الذي يتولّى مهمة "إعادة" اليهود إلى أرض إسرائيل بنفسه<sup>(3)</sup>.

(1) المسيحية والتوراة، شفيق مقارص 159

(2) عبد الوهاب المسيري، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق - ط 1 / 2003، ص 74

(3) عفيف فراج، اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية، دار الآداب، حوار مع عفيف فراج، أجره سليمان بختي، عن النهار، السبت 29 كانون الأول 2001

## اليهود التوراتيون

يعتبر هؤلاء أن إقامة إسرائيل في شكلها الحالي هي مخالفة لمشيئة الرب الذي لا بد له من الإنتقام ممن يخالف إرادته، فظهور المخلص ضرورة مقدمة ومؤسسة لهذا القيام، وهذه الفئة من اليهود هي الوحيدة التي يمكنها أن تعجل في تحقيق نهاية إسرائيل، وإن كانت أعداد أتباعها ضئيلة. وقد كان لافتاً جداً التحرك المحموم الذي تقوم به جماعات يهودية لا ترى في إسرائيل إلا لعنة من الله، ومخالفة صريحة لنصوص التوراة، مثل جماعة (ناطوري كارتا)، أو حراس المدينة التي أسست عام 1935م، والتي ترى أن الصهيونية هي أخطر المؤامرات الشيطانية ضد اليهود، وأن إسرائيل دولة غير مشروعة، وقد أرسلوا إلى الأمم المتحدة عام 1948م رسالة احتجاج يعلنون فيها رفضهم قيام إسرائيل، ويعدون يوم إعلان قيامها يوم حداد ينكسون فيه الأعلام.

وترى هذه الجماعة "أن دولة إسرائيل هي ثمرة الغطرسة الأثمة للكافرين العلمانيين من أتباع الحركة الصهيونية، الذين تحدوا مشيئة الرب بإنشاء الدولة دون انتظار تدخله على شكل معجزة وظهور المسيح المخلص، الذي يعتبر في نظرهم الوحيد القادر على إقامة دولة إسرائيل لتكون مملكة للكهنه والقدسين"<sup>(1)</sup>، ولهذا "يعتبرون أن قيام الدولة قبل مجيء المسيا ضلال مبين وإثم عظيم، وقد طلبت الطائفة من الرئيس الأمريكي نيكسون بحث طلبها بعودة مدينة القدس إلى العرب، والمعلوم أن أعضاء طائفة ناتوري كارتا (60 ألفاً) لا يعترفون بدولة إسرائيل على أساس أن دولة ما تحمل هذا الاسم لا يمكن أن تنشأ إلا مع عودة المسيح"<sup>(2)</sup>، وقد بدأت (ناطوري كارتا) في الآونة الأخيرة في إعادة تنظيم صفوفها من جديد؛ حيث ينادون بإسقاط إسرائيل وإعلان الدولة الفلسطينية على كامل تراب فلسطين وتدويل القدس.

وجماعة (ناطوري كارتا)، تدعو إلى الرجوع إلى الديانة اليهودية الحقبة، حيث قال المتحدث الرسمي باسمهم الحاخام يزرائيل ديفيد وايس في مقابلة مع محطة "فوكس نيوز بتاريخ 2012/5/2: "اليهودية دين من آلاف السنين له كتاب التوراة من الله للشعب اليهودي، والشعب اليهودي يتبع التوراة دائماً"، وكتاب التوراة يقول: "إن الجنس اليهودي أعطى أرضاً،

(1) محمد ربيع، أزمة الفكر الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ص 80

(2) أحمد حجازي السقا، عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة، دار الكتاب العربي /

دمشق - القاهرة - ط2، 2003، ص 26

ومن يرتكب الخطيئة يخرج من الأرض"، وكتب الأنبياء تقول بكل صراحة: "إننا طردنا بسبب خطيئتنا، وكل يهودي يعترف بذلك"، نحن نقول ذلك في صلواتنا: "بسبب أخطائنا طردنا من الأرض، هذا اعتقاد يهودي. اليهود قبلوا بهذا العقاب من الله، وقبلوا أن يعيشوا بين الأمم بسلام وباحترام القانون في كل بلد يقيمون فيه"، وجميع المراجع الدينية اليهودية تقول: "إن هذا الأمر" يقصد قيام دولة إسرائيل" يتعارض مع ما تدعو إليه الديانة اليهودية، وهو أمر محرّم قطعاً من الله!"<sup>(1)</sup>.

وفي محاضرة بجامعة "ليدز" في بريطانيا قال الحاخام "أهرون كوهين" من جماعة "ناتوري كارتا": "الصهيونية حركة سياسية علمانية عالمية تسعى لإنهاء حالة الشتات التي فرضها الله على اليهود بسبب عصيانهم لأوامره منذ ألفي عام، وسعت لإقامة كيان صهيوني لليهود على "الأرض المقدسة"، وتقوم باقتراح جرائم ضد الإنسانية في سبيل تحقيق هذا الهدف، أستطيع أن أرى اليوم الذي ستسقط فيه دولة إسرائيل، عندها لن يذرف عليها أحد دمعة واحدة!"<sup>(2)</sup>، أما الحاخام "آران كوهين فقال: "إن الصهيونية وليد غير مشروع وفكر قومي بعيد عن الإنسانية، يستهدف الأرواح البرينة للبشر لتحقيق مآربه الخبيثة، والصهيونية لا تمت لليهودية بأية صلة: وذلك لأنها لم تلتزم بأبسط القيم الإنسانية، وأشار إلى أن الله يأمر اليهود في التوراة بأنه لا يحق لهم امتلاك حكومة وبلد مستقل بسبب تعاملهم السيئ موضعاً أن قيام دولة الاحتلال، يعارض الأوامر الصريحة للتوراة"<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: الإسلاميون ومستقبل إسرائيل

يعتمد الإسلاميون في موقفهم من إسرائيل ومستقبلها على منطلقات إيمانية مع إسنادات منطقية قوامها أن السلوك اليهودي جلب هزائم ومذابح متكررة لليهود، واستمرارية هذا السلوك سيقتودهم إلى هزائم جديدة، ويعتقدون بأن نهاية إسرائيل ستكون على أيدي المسلمين، ويذهب بعضهم إلى تحديد العام 2020 تحديداً كتاريخ لنهاية إسرائيل، متفقين بذلك مع بعض المستقبلين!، وذلك بحسب ما أخبرت به بعض الأحاديث النبوية والتي تعرف بأخبار آخر الزمان، حيث سيظهر المسيح والمهدى المنتظر ليقضى عليهم، ولكن هناك اختلاف في الرؤى

(1) محمد شهاب، نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق، فبراير 2012، الجزيرة توك 2006/12/25.

(2) المصدر نفسه.

(3) الرسالة الفلسطينية "2008/10/27 نقلًا عن وكالة "فارس

بين الفرق الإسلامية: فالشيعة تعتبر أحاديث المهدي المنتظر أساس عقيدتهم، وبالتالي فهم من أكثر الفرق تحمساً وانتظاراً لعودة المهدي المنتظر الذي سيواجه اليهود وينتصر عليهم، أما أهل السنة فإن موقفهم من أحاديث المهدي المنتظر وعودة المسيح غير واضح، فمنهم من يرى أن أحاديث آخر الزمان كلها أحاديث آحاد، وبالتالي لا يؤخذ بها في الاعتقاد، وهم يرفضون فكرة عودة المسيح في آخر الزمان، وفريق آخر تطرف في إيمانه بتلك الروايات حتى بدأ يدعمها بقصص وروايات من العهد القديم والجديد بعلم وبغير علم، ما أحدث بلبله وتناقضاً وصل إلى حد الهلوسة والدجل.

ويتخذ كثير من المسلمين من سورة الإسراء دليلاً لتحديد موقفه من اليهود ومستقبل إسرائيل، حيث يقول سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير. وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً. وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأسٍ شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها. فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤنوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة و لِيُتَبَرُوا ما عَلَوْ تَتَّبِعُوا<sup>(1)</sup>. وقال تعالى في آخر السورة عن الإفساد الثاني (وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا {104}، وقد اختلف الفقهاء في تفسير هذه الآيات اختلافاً شديداً، حيث فسرها المفسرون الأقدمين بأن الآيات الكريمة تتحدث عن تاريخ اليهود القديم، وأن العلو حدث قبل ظهور الإسلام، ولكن يرى بعض المحدثين أن من ظن أن هاتين المرتين كانتا قبل الإسلام فقد أخطأ؛ لأن جميع تفاسير القدماء لا تنطبق عليها الأحداث التي وردت في الآيات.

### ظهور المسيح الدجال

يرى بعض المفسرين إن زوال إسرائيل وعد قرآني قاطع (وكان وعداً مفعولاً)، حيث ستظهر الخلافة الراشدة مرة أخرى، ثم يظهر المهدي فيقود المسلمين للنصر على الروم

(1) سورة الإسراء، الآيات (1 إلى 7)

النصاري (الأوُزُبَيِّينَ والأَمِيرَكِيِّينَ) في حرب تسمى بالملحمة الكبرى، ثم يظهر المسيح الأعور الدجال، وهو يهودي- في آخر الزمان مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ والعِراقِ، فيتجه لإيران؛ فيخرج له من أصفهان وحدها سبعون ألف يهودي، ويُجْرِي اللهُ على يديه الكثير من الأمور الخارقة ليزيد من فتنته، فيجتمع وراءه خلقٌ عظيمٌ كثيرٌ عامته من اليهود والنساء والأعراب<sup>(1)</sup>، فينقاد له اليهود ويتبعه البدو الجهلاء، ويفتن كثير من النساء، وهنا يتفوق اليهود على المسلمين مالا وعدداً وعديداً لما يلحق بهم من سائر الأمم ويحتلون المسجد الأقصى، أما العرب يومئذٍ فهم قليلٌ بسبب أنهم خارجون من ملاحم وحروب شديدة مع الروم، وإمامهم هو محمد بن عبد الله من ذرية الحسن بن علي، فينزل عليهم عيسى بن مريم فيصلي خلف المهدي، ثم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدعو للإسلام أو الحرب، ثم إنه يقتل الدجال عند باب اللدِّ الشرقي فيهزمُ اللهُ اليهود<sup>(2)</sup>، ثم ينزل اللهُ المسيح عيسى بن مريم في دمشق واليهود محاصرون لها فهزم الدجال، وسيقضي المسلمون على كل يهودي تحقيقاً لقول الرسول: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: "يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ"، إِلَّا الْعَرَقَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِهِمْ"<sup>(3)</sup>، وقد أوردت مصادر الشيعة أحاديث معركة المهدي، الكبرى هذه "وأن طرفها المباشر السفيناني وخلفه اليهود ودول أوروبا، ويمتد محورها من أنطاكية إلى عكا، أي على طول الساحل السوري اللبناني الفلسطيني، ثم إلى طبرية ودمشق والقدس وفيها تحصل هزيمتهم الكبرى الموعودة"<sup>(4)</sup>.

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة كتابات عديدة حاولت الربط بين بعض الزعماء (صدام حسين وبشار الأسد.. وغيرهم)، وشخصية السفيناني الواردة في بعض الأحاديث الضعيفة، حيث

(1) إنظر: أبو الحسن الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994 (347\7)

(2) ابن ماجة أبو عبد الله محمد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي-دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ص (2\1361)، /عون المعبود في شرح سنن أبي داود (11\303). (باقي المعلومات حول الكتابين)

(3) أخرجه مسلم. وقد أثبت ابن حجر في فتح الباري (6\610) تعاقب تلك الأحداث. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دارالمعرفة بيروت، 1379

(4) عدلي المنصور نعم دونالد ترمب: لا لحل الدولتين،، صحيفة رأى اليوم -2017-2-17 - <http://raialyoum.com/?p=623693>

استوقفني كثيراً مثل هذه الكتابات، وبالذات، لأنها تتطابق مع ما جاء في التوراة اليهودية وسفر الرؤيا بشأن معركة هرمجيدون، وهذا يعني أن مثل هذه الأقوال ما هي إلا إسرائيلييات لا علاقة لها بالدين الإسلامي، حيث استمد كثير من الكتاب مصادره من كتاب الجفر ومن كتب الباطنية وأحاديثهم، وموضوع السفياي لا يصح فيه حديث، وإنما روايات ضعيفة منقطعة خرجها نعيم بن حماد في كتاب الفتن وغيره، والغالب أنها من وضع الأمويين لأغراض سياسية، وأحاديث السفياي كلها ضعيفة ولا يصح منها شيء، وحتى على فرض صحة شيء منها، فإن تطبيقها على شخص بعينه أمر في غاية الخطورة، وهو من الرجم بالغيب كما حدث في تطبيق أحاديث المهدي على أناس بأعيانهم، كما أن التشبث بأحاديث الملاحم والفتن بهذه الطريقة هو نوع من الهروب من الواقع وانتظار الفرج بالخوارق، وهذا ليس دأب المؤمن الذي يواجه الواقع بالعمل والجد وبذل الأسباب: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها"<sup>(1)</sup>.

### النبوءة الرقمية بفناء إسرائيل

هناك بحث للسيد بسام الجرّار بعنوان "زوال إسرائيل 2022 م نبوءة أم صدَف رقمية؟"، يزعم فيه أن هناك وجود بناء رياضي معجز في القرآن يقوم على الرقم (19) ويتكرر بتواتر في العلاقة بين الشمس والقمر والأرض، وقد ذكره الله تعالى بقوله (عَلَمَهَا تِسْعَةَ عَشْرَ)، حيث يصل إلى نتيجة أن زوال إسرائيل سيكون عام 2022<sup>(2)</sup>. وهنا تجدر الإشارة إلى أن العدد تسعة عشر لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة المدثر، ولذا فإن التركيز على هذا الرقم يهدف إلى نشر الفكر البهائي في العالم الإسلامي حيث أن الرقم 19 مرتبط بعدد الهائية المقدس توقيت نبوتها وأساس نحلها ومدار أحكام شريعته"<sup>(3)</sup>، فالسنة الهائية تنقسم إلى 19 شهراً، والشهر يتكون من تسعة عشر يوماً، والهائي يخرج من ماله 19% من ربحه لبيت العدل في حيفا، وبدأ الباب الشيرازي دعوته، فاختر أعوانه ثمانية عشر يكونون معه تسعة عشر، ورتب كتاب البيان على تسعة عشر واحد، كل واحد من تسعة عشر باباً، ومدار معظم أحكامهم في

(1) انظر: أبو الحسن الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق حسام الدين القدسي-مكتبة القدسي، القاهرة، 1994-ص (347\7)

(2) بسام جرّار، زوال إسرائيل عام 2022م هل هو نبوءة أم مصادفات رقمية. ط1، 1995م

(3) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، قراءة في وثائق الهائية، مركز الأهرام للترجمة والنشر-198، ط1 ص 195.

الطهارة وتأديب الصبي والتعدي على الحرمات وطقوس عباداتهم ومقدار المهور وغيرها تدور في فلك العدد تسعة عشر ومكرراته.

وقد ألقى شخص اسمه رشاد خليفة محاضرة عن سر العدد تسعة عشر في القرآن الكريم في الكويت في ثمانينات القرن الماضي، ولاقت هذه المحاضرة اهتماماً كبيراً في أوساط المسلمين، وغمرت الأسواق الكتب وأشرطة الكاسيت التي تعرض لإعجاز القرآن الكريم بالعدد تسعة عشر، وحاول رشاد خليفة أن يُبين أن هذا العدد هو من أسرار القرآن الكريم، وأساس تصميمه وإحكام نظمه وبرهانه صدقه وإعجازه<sup>(1)</sup>. لجعل المسلمين يفتنون بهذا الرقم على أساس أنه سر من أسرار القرآن الكريم، بهدف نشر الهائية بين المسلمين، ولكن انفضح أمر هذا الداعية الكاذب عندما بشر بانتهاء أجل الأمة المحمدية، فقام شخص مسلم بقتله في أمريكا.

والمهم في الأمر هو أن هذه الفرقة نشأت وترعرعت في أحضان الصهيونية، حيث وفرت لها مقراً دائماً في مدينة حيفا في فلسطين المحتلة، تمده الحكومة الإسرائيلية بكافة أنواع الدعم المادية والمعنوية، وبالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية لتمكينه من بث سمومه ومؤامراته ضد الإسلام في كل مكان، وبالتالي؛ فإن مثل هذه النبوءات الرقمية ما هي إلا الأعيب وخزعبلات لا قيمة لها، يهدفون منها الترويج لمذهبهم، وصرف نظر المسلمين عن الطريق الصحيح لتحرير فلسطين من خلال العمل.

---

(1) قراءة في وثائق الهائية، ص 196

## المبحث الثالث: إسرائيل وسيناريوهات النهاية حسب رؤية المفكرين الإسرائيليين واليهود

إن الاهتمام بمستقبل الصراع مع العرب كان حاضراً دائماً لدى زعماء الحركة الصهيونية، سواء قبل قيام إسرائيل أم بعد قيامها، ولم يكن ذلك غريباً لدى حركة قامت منذ البداية على التخطيط المسبق لمسارها، فالإسرائيليين لم يكفوا أبداً عن طرح أفكارهم وتصوراتهم حول مستقبل إسرائيل، ومثلما تعبر هذه الأفكار عن تقديرات وحسابات معينة، فإنها تعبر أيضاً عن أوهام وأمنيات وتحمل تالياً، إichاءات مدروسة وموجهة<sup>(1)</sup>.

وفي المشهد الإسرائيلي، نحن أمام أدبيات ونظريات صهيونية قديمة جديدة، متجددة تبعث لديهم هواجس القلق والوجود والمصير، حتى أصبحت مسألة "زوال إسرائيل" على أجندة الجدل الصهيوني علانية وصريحة، فباتوا من جهتهم يجمعون إلى حد كبير على "أن إسرائيل تقاتل على وجودها واستمرارها"، "فموضوع نهاية إسرائيل متجذر في الوجدان الصهيوني، فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك عدد من الصهاينة الأوائل أن مشروعهم مستحيل، وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس، لذلك تجد الشاعر الإسرائيلي "حاييم جوري" يعتقد أن كل إسرائيلي يولد "وفي داخله السكين الذي سيدبجه"، فهذا التراب "الإسرائيلي" "لا يرتوي"، حيث إنه يطالب دائماً "بمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى .. ورغم أن موضوع "النهاية" لا يجب أحد في إسرائيل مناقشته، فإنه يظل برأسه في الأزمات تحسباً لليوم الأسود أي "يوم نهاية إسرائيل"<sup>(2)</sup>.

فزوال إسرائيل بات موضوعاً مطروحاً بقوة، ولم يعد ينظر لهذه النهاية على أنها أحد أحلام اليقظة لدى أعداء إسرائيل العرب، حتى وصل الأمر إلى مستوى محاولة تخيل هذه النهاية والسيناريو المفضي إليها، ويكتسب الموضوع أهمية مضاعفة مع استشعار الاستراتيجيين الإسرائيليين لهذه النهاية، ومحاولتهم إقتراح الحلول للأزمات التي يمكنها أن تعجل هذه النهاية،

(1) أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 1987،

(2) محمد شهاب، نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق، فبراير 2012، الجزيرة توك 2006/12/25.

وفي ما يلي نعرض لنماذج من سيناريوهات مقترحة لزوال إسرائيل<sup>(1)</sup>

## 1-سيناريو جاك أتالي<sup>(2)</sup>:

لخص أتالي تصوره لزوال إسرائيل في مقالة نشرها في مجلة الاكسبرس الفرنسية حيث رأى أن إسرائيل تعيش حالياً في عزلة غير مسبوقة وغير معهودة. فهي تواجه التهديد بالزوال أكثر مما واجهته في يوم من الأيام، وهذا التهديد لا يعود إلى تمكن أعدائها من ملكية الأسلحة والوسائل القادرة على تهديدها بالدمار، إذ تستمر إسرائيل صاحبة أقوى جيش في المنطقة، لكن السبب يعود إلى أن إسرائيل تواجه كيفما اتجهت تهديدات تظل مستقبلها ووجودها نفسه، فإذا ما اندلعت الحرب في المنطقة حالياً فإنها لن تكون حرب جيوش نظامية تخوض معارك كلاسيكية، بل ستتحول إلى نوع من الحرب الأهلية يتقاتل فيها الشبان الفلسطينيون والمستوطنون الإسرائيليون الذين سيخوضون مواجهات دموية في شوارع وقرى فلسطين وإسرائيل.

أما إذا حدثت المعجزة (السلام) فإن حلول السلام سوف يستتبع قيام سوق مشتركة تضم جميع بلدان المنطقة، وستكون مشابهة للسوق الأوروبية المشتركة، وستدوب الهويات القومية بصورة تدريجية، وبذلك تصبح إسرائيل أقلية ديموغرافية وثقافية في هذه السوق، خصوصاً بعد أن تستوطن في أراضيها الشعوب التي تعادىها اليوم، ما سيفقدها صفة الدولة اليهودية، وفي حالي الحرب والسلم فإن الحلم الصهيوني كما وضع قبل قرن يبدو محكوماً بالفشل، فمأزق إسرائيل الاستراتيجي الراهن يتمثل في أنها لا تريد أن تخوض حرباً مكلفة لجيلها الحالي، كما أنها تخشى من نتائج السلام على أجيالها المستقبلية<sup>(3)</sup>.

وهكذا يضع "جاك أتالي" مستقبل إسرائيل بين مسارين، يبدو أولهما واقعياً، وثانيهما مستحيلاً، أو صعباً ومعقداً للغاية، فيقول: هي بؤرة نزاعات وأرض رجاء، إذا قرّرت إسرائيل ضم الأراضي الفلسطينية حيث يخشى من اختلال نسبة السكان، أو إذا رفضت الاعتراف

(1) المصدر نفسه.

(2) قدّم جاك أتالي أكثر من ثلاثين كتاباً للمكتبة الفرنسية جمعت بين الدراسات، والروايات والسير. وجاك أتالي، رجل اقتصادي الأصل، ولكنه اشتهر أكثر كرجل سياسة إذ كان من الأصدقاء المقربين، مدة سنوات طويلة، للرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران.

(3) جاك أتالي، قصة موجزة عن المستقبل، ترجمة نجوى حسن، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013

بالبهوية الوطنية، فقد تتعرض للزوال وهو ما يتسبب بنشوب نزاع انتحاري مع جيرانها، بالمقابل إذا نجحت في إرساء سلام مع جيرانها والاعتراف بالكيان القومي لفلسطين وفي المساعدة على تنميتهم، فسيغدو الشرق الأوسط أرضاً خصبة للتلاق، وجسراً بين أوروبا وآسيا، وبين الديانات التوحيدية الثلاث، ومهد الاختبارات التي ستسعى الحضارات المقبلة إلى الإفادة منها على أفضل وجه<sup>(1)</sup>.

## 2 - سيناريو يوسي بيلين:

يقدم بيلين في كتابه المعنون "موت العم الأميركي" مراجعة للمشروع الصهيوني، فيجد أن التيار المركزي في الحركة الصهيونية فشل في تحقيق الحلم الصهيوني، وهنا يصرح بيلين: "إنني أشعر بنوع من الهستيريا والخوف إزاء ذوبان الشعب اليهودي خارج دولة إسرائيل، فاليوم وبعد 51 سنة على قيام إسرائيل يوجد 13 مليون يهودي يعيش 10 ملايين منهم في الولايات المتحدة وإسرائيل، أما شرق أوروبا فإنه سيخلو من اليهود؛ لأن معظمهم يحلم بالهجرة إلى الولايات المتحدة، و60% منهم يعقد زيجات مختلطة، وكذلك يفعل يهود أميركا مما يؤدي إلى التناقص المستمر لأعداد اليهود في الخارج، وهو ما يحرم إسرائيل من الخزان البشري للدم اليهودي"، ويستخدم بيلين هذا التحذير كمدخل لطرح إشكالية تعريف اليهودي، الذي يقول بأن اليهودي هو المولود لأم يهودية، ويرى بيلين أن هذا التعريف يحرم ملايين الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً من اليهودية الإسرائيلية، ويبلغ عدد هؤلاء المحرومين في الولايات المتحدة وحدها ما بين 2 و3 مليون يهودي، ويخلص إلى التأكيد بأن الإصرار على هذا القانون هو نوع من الإنتحار الجماعي<sup>(2)</sup>.

وبمعنى آخر فإن بيلين يجد نهاية إسرائيل في هذا القانون، لذلك يدعو لاستبداله بقانون علماني يعتمد على الرغبة الشخصية، حيث تقبل إسرائيلية الشخص إذا رغب في ذلك مهما كانت أصوله اليهودية بعيدة، وهنا تحديداً تتبدى أزمة المشروع الصهيوني الراهنة؛ فهو أمام خيارين صعبين، إما القبول طوعاً بفوضى -ديموغرافية- داخلية بقبول هؤلاء اليهود، وإما

---

(1) جاك أتالي، معجم القرن 21، تر: يوسف ضومط، الدار الجليل للطبع والنشر والتوزيع، 2000، ص 36  
(2) تيسير نظمي المؤرخون الإسرائيليون الجدد- تيار المراجعة:-إعادة تأهيل الصهيونية لمواجهة تحديات 20 سنة قادمة، -2 شباط 2004

القبول بالإنفتاح على المحيط العربي الذي سيحول إسرائيل إلى سوهر ماركه عربي، ومهما يكن فإن إسرائيل تعي أن خطورة التهديد الديموغرافي هي الخطورة الحقيقية التي تهدد مستقبلها، وليس الخطورة العسكرية، لذلك فهي تفضل المخاطرة بفوضى داخلية على الانفتاح؛ لأن هذا الأخير يعادل الاعتراف بنهاية الحلم الصهيوني<sup>(1)</sup>.

### 3- خيار شمشون وماساداه:

حين يطل موضوع "نهاية إسرائيل" برأسه فإن العدو يذيع عن نفسه ما يسمى "العقدة الشمشونية"، وهي أنه إن تم استفزازه ومحاصرته؛ فإنه سيحطم الدنيا على رأسه وعلى رؤوس الآخرين، كما فعل شمشون في الهيكل، ومن الأساطير الشمشونية الأخرى أسطورة ماساداه، وهي آخر قلعة يهودية سقطت في أيدي الرومان أثناء التمرد اليهودي الأول ضد الإمبراطورية الرومانية (66 - 70 ميلادية)، وتذهب الأسطورة الصهيونية إلى أن المحاربين اليهود المحاصرين آثروا الانتحار على الاستسلام للرومان، وأن انتحارهم هذا يقف دليلاً ناصعاً على مدى صلابة اليهود ووحدتهم، ويلاحظ أن كلتا الأسطورتين تنطوي على حالة حصار نهائية مغلقة، لا يمكن الفكك منها إلا بتدمير الذات وربما تدمير الآخر، أي أن نهاية إسرائيل سيصاحبها نهاية الآخر، والحركة الصهيونية في إشاعتها لهذه الأساطير الانتحارية، تحاول توليد الرهبة والخوف في العقل العربي، وبالتالي تكسب الكثير من المعارك النفسية والفعلية دون خوض أي حرب<sup>(2)</sup>.

### آراء إسرائيليين (ساسه وعسكريين) حول مستقبل إسرائيل

سنعرض فيما يلي لآراء متنوعه من الإسرائيليين، (جنرالات وسياسيون وأكاديميين) لمستقبل دولتهم، مع ملاحظة أن غالبية هذه الآراء، وإن كانت تعبر عن قلق وجودي لدى كافة الإسرائيليين حول مستقبل دولتهم، إلا أنها وفي نفس الوقت تعبر عن رغبة جامحة في تفاعلي سيناريو السقوط، ومحاولة تقديم النصح لصناع القرار لتلافي ذلك، والملفت أن أصحاب هذه التنبؤات ليسوا مجرد نخب تعبر عن الهوامش الفكرية في المجتمع، بل إنهم من الشخصيات التي كان لها دور بارز في عملية صنع القرار، وارتبطوا طويلاً بالمؤسسة الحاكمة.

(1) نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق.

(2) ماجد الكيالي، هل ستبقى إسرائيل حتى عام 2048، شبكة فلسطين للاعلام والدراسات-

## 1- إبراهيم بورغ .. فساد وعدم عدالة:

كتب "إبراهيم بورغ" وهو رئيس سابق للكنيست وللوكالة اليهودية، مقالاً كان له دوي وصدى كبيران في داخل الكيان الصهيوني وفي خارجه، كان عنوانه هو "مجتمع إسرائيل فاشل ينهار بينما زعماؤه يلتزمون الصمت"<sup>(1)</sup>. وقد قام بورغ بنعي دولة إسرائيل والمشروع الصهيوني قائلاً: "الدولة الإسرائيلية تقوم الآن على الفساد والقمع والظلم، وبناء عليه فإن نهاية المشروع الصهيوني وشيكة جداً، وهناك احتمال كبير بأن يكون جيلنا آخر أجيال الصهاينة، قد تبقى الدولة اليهودية قائمة لكنها ستكون من نوع مختلف غريبة وقبيحة، الدولة التي تفتقر إلى العدالة لا تدوم، لا يمكن الاحتفاظ بكل شيء بدون دفع ثمن، ولا يمكن أن نترك غالبية فلسطينية تحت الجزمة الإسرائيلية ونعتبر أنفسنا في الوقت عينه الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"<sup>(2)</sup>.

في كل عيد فسح يهودي، عيد الانعتاق من عبودية مصر والخروج إلى الحرية ما زال اليهودي يرفع كأس النبيذ مردداً "في كل جيل وجيل يقومون علينا لإبادتنا"، كانت المحرقة بمثابة "زمن ساعة تنبيه" للشعب اليهودي، أذكروا العهد الذي أبرمتموه مع الله أن تكونوا نوراً للأمم، لقد انتظر الشعب اليهودي ألفي سنة لا ليقود عمليات التسليح وبرامج أمان حاسوبية لصواريخ مضادة للصواريخ، من المفروض أن يكون اليهود نوراً للشعوب كما جاء في نبوءة إشعيا 42:6، وكفاح الألفي عام تمخض عن دولة مستوطنات يديرها قادة غير أخلاقيين، دولة تنقصها العدالة لا تقوم لها قائمة، والإسرائيلي يفقه لغة القوة فقط، عندنا قوة والكثير منها ومنها فقط، الدولة قائمة على الحرب ساجدة لأمواتها، ويبدو أن نهايتها العيش في حالة طوارئ دائمة<sup>(3)</sup>.

ويرى بورغ أن إسرائيل هي مجرد قلعة تختنق بدروعها وتحصيناتها، ومجتمعها يفترسه الذعر ويعاني إعاقه نفسية سببها الصدمة النفسية المستدامة، ويقول: "الصدمة النازية

---

(1) إبراهيم بورغ، مجتمع إسرائيلي فاشل ينهار بينما زعماؤه يلتزمون الصمت، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد 56 - 2003 ص 123-125.

(2) صلاح عودة الله يدعيوت أحرنونوت 2004/4/9، قراءة شاملة في آراء إبراهيم بورغ: هل هي فعلاً نهاية الصهيونية؟، 10-8-2007 دنيا الوطن

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/99533.html>

(3) إبراهيم بورغو الانتصار على هتلر، ترجمة: حسيب شحادة، الحوار المتمدن، ع: 1954 2007

أفقدتنا توازننا ونحن نعيش بشعور أن العالم كله ينفر منا.. التشدد يسيطر على هويتنا.. أليس جدار الفصل الذي نقيمه في الأراضي الفلسطينية خير دليل على انفصام الشخصية الذي نعانيه؟ ويختم بقوله: "إن إسرائيل دولة فاشية بلطجية ومستقوية وقاسية وإمبريالية وسطحية وفاقدة أصالة الروح ومنطوية على نفسها...، إن الدعوات المتتالية لقتل الفلسطينيين وهدم منازلهم وترحيلهم إنما هي دلائل دامغة على تجذر الفاشية، إن نمط حياتنا قتالي مع الكل، الإسرائيلي يفهم القوة فقط، حولتنا الحرب بغير إرادتنا من ظاهرة شاذة لنغزو قاعدة الشواذ"<sup>(1)</sup>.

وفي كتابه الشهير "مواجهة هتلر" يؤكد الكاتب نهاية إسرائيل الحتمية ويقترح خياراً واحداً فقط لليهود في إسرائيل وهو: الهجرة إلى أمريكا.. فليرحل من يريد الرحيل وليبقى من يريد البقاء، وكان هنالك دائماً يهود يعيشون في العالم العربي كأقلية دينية آمنة وسالمة في حارات عرفت بحارات اليهود في الكثير من المدن العربية كحارة اليهود في دمشق وحلب وبغداد وغيرها من المدن..<sup>(2)</sup>.

## 2-دانييل فايبس:

هو مستشرق يهودي أميركي، تحدث عام 2005 عما سماه "القضاء على إسرائيل بهدوء" فقال: إنه إلى العام 1993 كانت الدعوات الصريحة إلى إبادة إسرائيل غير مقبولة، لكن الدعاوى الضمنية إلى إبادتها أصبحت مقبولة، وهو يرى في استمساك الشعب الفلسطيني بحق العودة دعوة إلى "الإبادة"، وكذلك في الاحتفال بذكرى النكبة مقابل ما يسمى "يوم الاستقلال الإسرائيلي"، والخرائط التي لا تحتوي على اسم إسرائيل، واقترح فكرة الدولة الواحدة دعوة إلى "الإبادة"! ويرى فايبس "أن الإسرائيليين أصبحوا منذ 1993 "شعباً مستنزفاً ومبليلاً ضل الطريق، ويتوسل ألا يسقطه أعداؤه في الشرك، ويعدد بايبس العوامل والظروف التي تجعل إسرائيل تحت الحصار: إيرانيون يصنعون قنبلة نووية، سوريون يكسسون أسلحة كيميائية، ومصريون وسعوديون يطوّرون أسلحة وقوات تقليدية خطيرة، حزب الله يهاجم من لبنان وفتح

---

(1) عبدالعال الباقروي، صهاينة يتوقعون نهاية الكيان الصهيوني، جريدة الوقت البحرينية، ع: 387، 2007  
(2) عدنان عدوان، التشكيك الأمريكي بوجود "إسرائيل" في المستقبل القريب!!، الوحدة الإسلامية، كانون اول 2012- السنة الحادية عشر. ع133-

من الضفة الغربية وحماس من غزة، ومواطنوا إسرائيل من المسلمين أصبحوا ساخطين سياسياً وأكثر عنفاً وعالمياً، يعارض استمرار وجود دولة يهودية أساتذة جامعات وصحفيون وموظفون، وحكومات صديقة، والأسوأ أن القومية اليهودية فقدت الدعم الآلي التي كانت تحصل عليه من اليهود، ويقبل البعض آراءً مثل أنّ الدولة اليهودية تمثل تمييزاً عنصرياً وتعالياً عرقياً، بينما يجد آخرون أن البدائل العالمية أو القائمة على التعددية الثقافية هي الأكثر إقناعاً وجاذبية، وتأمل بعض علامات التغيرات الجارية:

- يتهرب الشباب الإسرائيلي من الخدمة العسكرية وبأعداد قياسية، حيث أن 26% الذكور، و43% من الإناث، الذين بلغوا عمر التسجيل لم يتقدموا للجيش في عام 2006، ولهذا طالب الجيش بتشريع يحرم اليهود الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية من المنافع والخدمات التي تقدمها الدولة.
- سدد المدعي العام الإسرائيلي ضربة إلى الصندوق الوطني اليهودي (تأسس عام 1901)، عندما قرر أن الدولة لن تستمر في مساعدة الصندوق في شراء الأراضي لليهود.
- يركّز مؤرخون إسرائيليون بارزون على عرض كيف كانت نشأة إسرائيل عملاً من أعمال الخبيثة؟، وكيف كانت إسرائيل قوة للشر؟، وقد وافقت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية على كتب مدرسية لطلاب الصف الثالث من العرب تتكلم عن قيام إسرائيل عام 1948 باعتباره "كارثة" (نكبة).
- وجد استطلاع للرأي في عام 2004 أن 17 بالمائة فقط من اليهود الأمريكيين يصفون أنفسهم بصفة: "صهيوني"، وهذا الابتعاد والتخلي عن الصهيونية إنما يعكس انحطاط المشاعر الوطنية والشعور بالفخر الوطني على خلاف ما كانت عليه في الماضي، وكي نصل بالأمر إلى ذروته يتحرك العرب هذه الأيام في الاتجاه المعاكس، حيث تصل مشاعرهم العدائية العرقية والدينية إلى قممها، كصهيوني أراقب هذه الاتجاهات العديدة وأراها نذير شؤم بخصوص مستقبل إسرائيل<sup>(1)</sup>.

---

(1) دانيال بايبس، حاضر الصهيونية الكئيبة، Jerusalem Post - 11 أكتوبر 2007 - <http://ar.danielpipes.org/>  
المصنف الإنجليزي الأصلي Zionism's Bleak Present -: ترجمة: ع. ز.

### 3- ديفيد بن جوريون:

كان ديفيد بن جوريون، أول رئيس وزراء إسرائيلي يقول: "إن إسرائيل تسقط بعد أول هزيمة تتلقاها"، وقد جاء في "سلسلة أعرف عدوك": "ديفيد بن جوريون.. عبقرية الشر: كانت المخاوف بشأن مستقبل إسرائيل تتملك رئيس وزرائها بن جوريون، وفي نهاية عقد الخمسينيات عبر بن جوريون عن مخاوفه تلك لأحد مساعديه قائلاً: "إنني لا أستطيع النوم كل ليلة، ولو لثانية واحدة فقلبي يمزقه هاجس واحد ألا وهو حدوث هجوم مشترك من قبل الجيوش العربية، وفي هذه الأثناء كان "بن جوريون" قد عقد العزم على وجوب امتلاك إسرائيل للخيار النووي؛ لأنه من وجهة نظره هو وحده القادر على مواجهة التفوق العددي للعرب"<sup>(1)</sup>. وقال موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي في عام 1954، في جنازة صديق له قتله الفلسطينيون: "علينا أن نكون مستعدين ومسلحين، أن نكون أقوياء وقساءة، حتى لا يسقط السيف من قبضتنا وتنتهي الحياة"<sup>(2)</sup>.

ويرى الجنرال شلومو غازيت، الرئيس الأسبق لجهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية، أن رفض إسرائيل التجاوب مع الرغبة العربية لحل الصراع يحمل في طياته دمار إسرائيل)، ووجه غازيت انتقاداً حاداً للمستشرق اليهودي برنارد لويس الذي دعا الإسرائيليين إلى عدم التفاوض مع العرب، معتبراً أن تخليد الوضع القائم هو الذي سيؤدي إلى تصفية وجود إسرائيل، أما ناحوم بارنياع كبير معلقى «يديعوت أحرونوت» فرأى أن: (إسرائيل قوية من الناحية العسكرية والإقتصادية، إلا أن الناس فيها يفقدون الثقة تدريجاً بمستقبلها وبقدرتها على البقاء والإستمرار؛ لأنها تعجز عن توفير الأمن لليهود الذين يعيشون فيها؛ فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي مجرد وجودها هو مثار للجدل)<sup>(3)</sup>.

### 4- البروفسور أمنون روبنشتاين:

شغل روبنشتاين في الماضي منصبى وزير العدل ووزير التعليم، وهو يرى أن إسرائيل تتعرض لنوعين من التهديد الإستراتيجي: أولهما خارجي: يمثله فشل إسرائيل في ردع العرب

(1) نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق.

(2) عبدالوهاب المسيري، في مقاله للجريدة " الفساد والهزيمة...نهاية إسرائيل"، 2006/9/18

(3) إحسان مرتضى، ما هو مستقبل إسرائيل في ظل أفكار سوداوية؟، مجلة الجيش اللبناني، ع 305- تشرين

الثاني، 2010، ص6

والمسلمين عن مواصلة تهديدها والترصص بها، وثانيتها التهديد الداخلي: المتمثل في الفساد، وتآكل ما يسميه منظومة القيم الصهيونية، وفي مقابلة مع صحيفة "هآرتس" يقول روبنشتاين: "إنه على الرغم من انتصار إسرائيل في حروبها الكبيرة مع الدول العربية، إلا أن تلك الانتصارات فشلت في اجتثاث روح المقاومة والتحدّي لدى الجمهور العربي"، وهو يرى أن: "ما يمكن أن يجعل الأمور أكثر صعوبة وتعقيداً في وجه مستقبل إسرائيل ومصيرها إنما يكمن في أسلمة الصراع واكتسابه بعداً دينياً عقائدياً يزيد من رقعة العداء والكراهية لإسرائيل"، ويعتبر روبنشتاين أنه من حماقة الإنطلاق من افتراض مفاده أن الأنظمة العربية الحالية ستبقى مستقرة إلى الأبد، مؤكداً أن إسرائيل قد تستيقظ في يوم من الأيام، وقد طوّقت بأنظمة حكم ذات توجهات إسلامية، لا ترفض وجود إسرائيل من أساسه فحسب بل تجنّد كل طاقاتها لإزالتها، ويسخر روبنشتاين من أولئك الذين يراهنون على التفوق التكنولوجي الحربي الإسرائيلي، محذراً من أن العرب والمسلمين بإمكانهم امتلاك مثل هذه التقنيات في حال توافر الإرادة السياسية لذلك.

ويرصد روبنشتاين مظاهر تحلل «منظومة القيم الصهيونية»، مثل ميل الشباب الإسرائيلي إلى عدم التضحية من أجل الدولة، والذي يعكسه تهاوي الدافعية في صفوفهم للإلتحاق في صفوف الوحدات المقاتلة في الجيش. ويتفق إيريز إيشل، مدير مدرسة إعداد القادة مع روبنشتاين في آرائه المذكورة آنفاً، مبرراً ذلك بحقيقة أن قادة الدولة لم يعودوا مثلاً يقتدي به للشباب الإسرائيلي، وقد تحوّلت الشبهات والإدانات بشأن تورّط شخصيات قيادية عليا في الفساد المالي أو الأخلاقي، إلى مادة دسمة يتناولها الصحفيون والمعلقون وأصحاب الرأي في وسائل الإعلام الإسرائيلية، وكانت صرخة وزيرة التعليم ليمور ليفنات مدوية وغير مسبوقة عندما قالت إن جماعات الإجرام المنظم في طريقها للسيطرة على حزب الليكود<sup>(1)</sup>.

5- صدرت مجلة نيوزويك وقد حمل غلافها صورة نجمة إسرائيل، وفي داخلها السؤال التالي: "مستقبل إسرائيل: كيف سيتسنى لها البقاء؟، وقد زادت المجلة الأمور إيضاحاً حين قالت: "هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأية هوية؟" ثم اقتبست المجلة قول الكاتب الإسرائيلي عاموس إيلون: "إنني في حالة يأس؛ لأنني أخشى أن يكون الأمر قد

---

(1) تقرير معلومات (5): الفساد في الطبقة السياسية الإسرائيلية، إعداد: قسم الأرشيف والمعلومات في مركز الزيتون للدراسات - بيروت - ص19

فات، وقد قلت لكم مجرد نصف ما أخشاه<sup>(1)</sup> ونفس الموضوع يظهر في مقال ياعيل ميلماد الذي يبدأ بالعبارة التالية: أحاول دائماً أن أبعد عني هذه الفكرة المزعجة، ولكنها تطل في كل مرة وتظهر من جديد: هل يمكن أن تكون نهاية الدولة كنهاية الحركة الكيبوتسية؟. وكتب توماس فريدمان بصحيفة نيويورك تايمز في سبتمبر 2011: "لم أقل قط على مستقبل إسرائيل مثلما أنا قلق عليه اليوم، فانهيار الدعائم الأساسية لأمن إسرائيل، السلام مع مصر، والاستقرار في سوريا، والصداقة مع تركيا والأردن<sup>(2)</sup>، وفي استطلاع لنيوزويك أعرب 34 % فقط من البالغين عن اعتقادهم بأن إسرائيل ستظل دولة يهودية حتى 50 سنة، ونحو 23 % قالوا إنهم يعتقدون أن إسرائيل ستكون دولة مختلطة تكون فيها للفلسطينيين حصة أكبر من السلطة، فيما أعرب 18 % عن أنها لن تكن موجودة<sup>(3)</sup>."

### نهاية إسرائيل في الوجدان اليهودي الصهيوني

علينا الإدراك بأن اليقين بحتمية زوال الكيان الصهيوني، مهما بلغت سطوة قوتها، ومهما طال بقاؤها لا يقتصر علينا وحدنا، وإنما يتشارك فيه معنا العديد من المفكرين والمحللين والباحثين الغربيين الجادين، بمن فيهم بعض اليهود، بل وعدد متنامٍ من المؤرخين والمفكرين الإسرائيليين، وأنّ نصف الشعب الإسرائيلي بات يشكك ببقاء دولة إسرائيل وفقاً للاستطلاع الذي قام به "معهد الاستراتيجيات الصهيونية (IZS)" في أواخر عام 2015<sup>(4)</sup>، وهناك قصه تقول أن الكاتب اليهودي الأمريكي غوردس ذهب إلى الطبيب فسأله الأخير عن عمله فأجابته بأنه كاتب متخصص بالكتابة عن مستقبل إسرائيل ... ضحك الطبيب، وقال له: إنك إذن تكتب القصة القصيرة، .... هذه الرواية تعكس الرأي العام المتشائم عن مستقبل إسرائيل ونصيحتها بالبقاء وسط مخاطر تزايد يوماً بعد يوم، فالكثير من اليهود يعتقدون أن مستقبل إسرائيل بات مهدداً الآن، كما لم يكن لعدة أجيال؟، وربما لو جاء نعي إسرائيل من شخصيات عربية،

(1) عبد الوهاب المسيري، نهاية إسرائيل، 2014/8/1-موقع معركة الوعي-

[/https://ahmedbialydotcom.wordpress.com/2014/08/01/8](https://ahmedbialydotcom.wordpress.com/2014/08/01/8)

(2) محمد ولد المختار الشنقيطي لا تنفذوا مستقبل إسرائيل، الجزيرة نت - 2011-9-26

(3) فهدى هويدي، حزب الشعب الديمقراطي السوري، جريدة الرأي

<http://www.araee.com/modules.php?name>

(4) غانية ملحيس، المشروع الوطني التَّحَرُّري الفلسطيني المأمول، السفير العربي- 2016-5-12

<http://arabi.assafir.com/Article/4939>

لجزمنا سلفاً أنه يمثل نوعاً من التمنيات الذاتية التي اعتادت عليها الخطابات العربية، ولكن أهمية هذا الأمر بالذات أنه يأتي من شخصيات فكرية وسياسية: أمريكية وإسرائيلية<sup>(1)</sup>، حيث تجتاح كيان العدو بين حين وآخر موجة من التحليلات والدراسات المنسوبة لجملة من المفكرين والكتّاب، وحتى المسؤولين الذين يركّزون في كتاباتهم على سلسلة من التنبؤات التشاؤمية في ما يتعلق بمستقبل هذا الكيان<sup>(2)</sup>:

1- أصبح من النادر أن تجد أديباً أو كاتباً إسرائيلياً واحداً لم يكتب عن نهاية الكيان الصهيوني واختفائه من الوجود ولعل أبرز ما كُتب في هذا الإطار هي رواية: (الآن ينتهي إرسالنا)، والتي تم نشرها في بداية الألفية الثالثة، وتحكي عن نهاية الكيان الصهيوني على يد الجيوش الإسلامية بعد أن توحدت تحت لواء الإسلام، وستنتهي عندما يطلق رئيس الدولة الاستغاثة الأخيرة من على ظهر أحد المراكب الإسرائيلية، وفيها يوجه حديثه للولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: "أنقذوا إسرائيل قبل أن تغرق السفينة، وينطق الصوت الآلي للإذاعة الإسرائيلية قائلاً: "الآن ينتهي إرسالنا"<sup>(3)</sup>.

2- الصحفي الإسرائيلي "عاموس كرميل" قال عن "المزاج العام في إسرائيل، وهو مزاج لا يتحدث عنه أحد، لكن الجميع يشعرون به: "إنه نوع من اليأس... فالناس بعد 110 سنوات من المؤتمر الصهيوني الأول بدأت تسأل أنفسها: هل نجح المشروع الصهيوني؟ أم أن الصهيونية هي قصة فشل؟ لماذا يعتقد الكثيرون أن الصهيونية قد فشلت؟، على رغم أن إسرائيل دولة ذات اقتصاد مستقر، وأسعار العقارات تبلغ عنان السماء، والجيش قوي، والجامعات ذات نوعية عالية؟، ومع ذلك فإنها غير قادرة على أن تنجز لليهود ما وعد أوائل الصهيونية بإنجازه، فهي لا تضمن لهم الأمن، وهي لا تعطيهم الحياة الطبيعية، الجواب هو: أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا يزال مجرد وجودها مفتوحاً للجدل"<sup>(4)</sup>.

---

(1) عبدالعال الباقوري، صهاينة يتوقعون نهاية الكيان الصهيوني، جريدة الوقت البحرينية، ع 387 - الأربعماء 24 صفر 1428 هـ - 14 مارس 2007

(2) إحسان مرتضى، ما هو مستقبل إسرائيل في ظل أفكار سوداوية؟، مجلة الجيش اللبناني، ع 305- تشرين الثاني 2010، ص 6؟

(3) عدنان عدوان، التشكيك الأمريكي بوجود "إسرائيل" في المستقبل القريب، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الحادية عشر، عدد 13، سنة 2012 م

. <http://www.wahdaislamyia.org/issues/136/adnanadwana.htm>

(4) الفساد والهزيمة... ونهاية إسرائيل " 2007/3/10

3- الأديب "د. سامي ميخائيل"، عراقي الأصل، ومحاضر في جامعة حيفا، يقول: "لا مكان لإسرائيل في الشرق الأوسط بعد أن أنقلنا عليه وجعلناه يبغضنا، ومن شأن دولة إسرائيل أن تكون ظاهرة عابرة، على غرار مملكة إسرائيل أيام الهيكل الأول والثاني، وأن سياسة الاحتلال الإسرائيلي تمثل كارثة لإسرائيل، وأنه رغم قوة إسرائيل العسكرية، فإنها لم تنجح في حسم الأمور في ميادين القتال، فإن للقوة حدوداً"<sup>(1)</sup>.

4- "يورام هازوني: يقول في كتابه "الدولة اليهودية: الكفاح من أجل روح إسرائيل" ما خلاصته: "المناخ الفكري في الوقت الحالي قد تغير بدرجة كبيرة، والثقافة العامة الإسرائيلية تمر الآن بعملية تحول مكثفة عن الأفكار والأعراف السائدة في إسرائيل باعتبارها دولة يهودية، وكثيرون في الدوائر الأكاديمية والأدبية الإسرائيلية، يشككون في شرعية إسرائيل، ومهاجمون وضعها القانوني والسياسي والأخلاقي كدولة للشعب اليهودي، وهؤلاء تعودوا على تشبيه الجيش الإسرائيلي بالجيش النازي، وأصبح الآن واضحاً للجميع أن فكرة الدولة اليهودية قد أصبحت موضع شك وتشوش في أذهان الإسرائيليين المتعلمين إلى حد يمكن التشكك معه في إمكانية استمرارية بقاء مثل هذه الدولة على قيد الحياة"<sup>(2)</sup>.

5- قال "يونتان يافين" في مقالة بعنوان "العالم كله يقف ضد إسرائيل؛ لأنها ما زالت تتظاهر بأنها الضحية دائماً": "لقد حدث تآكل في الصورة الإعلامية لليهود وإسرائيل، العالم كله يقف ضدنا في الآونة الأخيرة. معاداة السامية تغطي في أوروبا"، وينقل د. المسيري عن معاريف مقالة "هילה رابورت" بعنوان "استطلاع للرأي أجرته بي بي سي": "إسرائيل تُعد الدولة ذات التأثير الأسوأ في العالم"<sup>(3)</sup>.

6- في مقال بعنوان "إسرائيل" تلفظ أنفاسها الأخيرة كتب آري شبيط يقول: يمكن أن يكون كل شيء ضائعاً، ويمكن أننا اجتزنا نقطة اللاعودة، ويمكن أنه لم يعد من الممكن إنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان وتحقيق السلام، ويمكن أنه لم يعد بالإمكان إعادة إصلاح الصهيونية وإنقاذ الديمقراطية وتقسيم البلاد، إذا كان الوضع كذلك فإنه لا طعم للعيش في

(1) نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق.

(2) نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق

<https://www.facebook.com/MP.Mohammed.Shehab/posts/4676641666089>

(3) عبد الوهاب المسيري، لماذا يكره العالم إسرائيل، جريدة الاتحا، 7 أبريل 2007-

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=27366>

البلاد، وليس هناك طعم للكتابة في «هأرتس»، ولا طعم لقراءة هأرتس، ويجب فعل ما اقترحه روغل ألفر قبل عامين وهو مغادرة البلاد. يجب توديع الأصدقاء والانتقال إلى سان فرانسيسكو أو برلين، من هناك من بلاد القومية المتطرفة يجب النظر بهدوء ومشاهدة دولة إسرائيل، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة .. وتغرق.<sup>(1)</sup>

7- كتب "جوزيف جوفي مقال بعنوان "عالم من دون إسرائيل" في مجلة فورنبولسي، حيث أثار المقال ضجة عرضتها المجلة في عددها التالي تحت عنوان "مناقشة مقال عالم بلا إسرائيل"، وقد كتب "ايلان بابي" وهو من المؤرخين الجدد، يقول: "أن الكثير من الضرر الذي ألحقته إسرائيل لا يمكن إصلاحه، ولكن هناك أملاً في مستقبل قائم على المنطق التراجعي: إعادة اللاجئين إلى أوطانهم، إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية موحدة وعلمانية على أرض فلسطين التاريخية"، إن أية خطة أخرى أو تطور لن يؤدي سوى إلى مواصلة تدمير الفلسطينيين وانحطاط إسرائيل وترديها إلى دولة منبوذة، وما كتبه "بابي" في المجلة الأميركية يتماثل مع ما طرحه "أوفير وأوزولاي" ورد عليه "الحنان ياكيرا" حيث يدعوان إلى إقامة دولة واحدة في فلسطين التاريخية من البحر إلى النهر، تكون فيها أكثرية عربية، ويمعى اسم إسرائيل من الخرائط، ولا يكون لها كيان سياسي<sup>(2)</sup>.

8- يقول المؤرخ الإسرائيلي شلومو زند: "إن إسرائيل تحولت من دولة ذات طابع ديني إلى مملكة صليبية جديدة فيها نظام فصل عنصري (أبرتهايد)، وإن مستقبلها على كف عفریت، ويستعرض زند في كتاب جريء بعنوان "متى وكيف توقفت أن أكون يهودياً؟" مجمل تجاربه وتأملاته ومحطات مسيرته الشخصية، مستنتجاً أن اليهود أتباع ديانة، وليسوا شعباً بخلاف مزاعم الصهيونية، وفي كتابيه السابقين المثيرين "متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟" و"متى وكيف اخترعت أرض إسرائيل؟"، يحمل زند على الصهيونية ويعرّي "أكاذيبها وعمليات غسل الدماغ والتزوير واستنساخ التاريخ"، ويوضح أن الصهيونية نسجت الأساطير ونحتت شعباً متخيلاً له عمق تاريخي، ومع ذلك فشلت في خلق قومية يهودية عالمية جامعة، بدليل أن أغلبية اليهود يفضلون عدم الإقامة في إطار سيادي مشترك، ويفضلون البقاء في دول مختلفة. ويؤكد زند أن طرد اليهود من فلسطين لم يكن، وإنما هي أسطورة استخدمت كواحدة من تقنيات

(1) آري شبيطن، إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة: الترياق الوحيد، صحيفة الأيام الفلسطينية

[http://www.al-ayyam.ps/ar\\_page.php?id=1167587ay291985530Y1167587a-2016-09-09](http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=1167587ay291985530Y1167587a-2016-09-09)

(2) مجلة فورين بوليسي (النسخة العربية) مارس، إبريل 2005، ص.51

مذهلة لصياغة الذاكرة الجماعية<sup>(1)</sup>.

وفي سياق تحليل النأي بنفسه عن اليهودية يضيف: "العنصرية في كل مكان لكنها في إسرائيل بنوية، وكامنة في القوانين وتدرس بالمدارس وتبث بوسائل الإعلام، والأخطر أن العنصريين لا يشعرون بأي واجب بالاعتذار"، ولا يتردد بالقول إنه يشعر أحيانا كثيرة بالخجل من إسرائيليته، خاصة في لحظات الذروة خلال السلوك العسكري الفظ لإسرائيل ضد الضعفاء من غير المنتمين لـ"شعب الله المختار"، ويرى زند أن التسوية السياسية باتت بعيدة المنال لأن إسرائيل عاجزة عن تخليص نفسها بنفسها من تحكم استعماري بشعب آخر، والعالم لا يفعل ما يكفي لإنهاء الاحتلال بسبب عقدة الضمير، ويشير لخطورة التطور الديمغرافي الفلسطيني على إسرائيل، ويتابع: يبدو أن الأفعى الأسطورية التي تبتلع فريستها من الأرض تفضل الاختناق ببطء وعدم التفريط، وفي حديثه للجزيرة نت يعتبر زند أن إسرائيل لم تعد ملجأ لليهود بخلاف مزاعم الصهيونية، ويعتبر زند أن اليهود تحولوا لمحتلين ظالمين لأنهم يعرفون أن العالم العربي ينبذهم، لكنه بنفس الوقت يوضح أنهم يدركون تماماً أن حيفا ويفا ليستا لهم، وينهي سطور كتابه بفقرة حاسمة: "مستقبل المملكة الصليبية الجديدة هذه، المرسله من قبل الغرب لقلب الشرق موضوع على كف عفريت"<sup>(2)</sup>.

### خطوات لتأجيل النهاية

كان عنوان ندوة خاصة عقدها نخبة من المؤرخين الإسرائيلي بتاريخ 2013/10/24 في تل أبيب بعنوان: "هل ستبقى إسرائيل موجودة بعد 90 سنة؟"، وأن يكون هذا التساؤل مصدره مؤرخون يعرفون قبل غيرهم زيف ادعاءات حقوق الصهيونية في فلسطين، وإذا تساءلت كبريات المجلات الأمريكية على غلافها (التايم 2009/01/19) تحت عنوان: "هل تستطيع إسرائيل استمرارية العيش؟" وإذا جاءت هذه التساؤلات حتى بعد ستين عاماً من تأسيس إسرائيل وامتلاكها مئات القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ والأقمار الصناعية، بل وامتلاكها القرار السياسي لأقوى دولة في العالم، فيصبح من المشروع جداً تسأولنا نحن أصحاب القضية: هل يمكن لهذا الكيان البقاء؟ أو أنه زائل لا محاله؟ جوابنا هو: أنه زائل حتى ولو بعد 200 سنة<sup>(3)</sup>.

(1) وديع عواوده، أرض كنعان، حيفا، في: الجزيرة نت

(2) أرض كنعان حيفا

(3) عبد الحي زلوم، هل زوال إسرائيل حتمية تاريخية؟، جريدة القدس العربي الالكترونية-2015-8-31

وما عرضناه في السابق ليس إلا تأملات تعكس حقيقة واحدة "إسرائيل سوف تختفي" متى وكيف؟ سؤال لا نستطيع أن نجيب عليه، ولكن النتيجة الواضحة والتي تقود إليها جميع المتغيرات القومية والإقليمية والدولية هي أن إسرائيل كدولة صهيونية وكامتداد للمفهوم الغربي، وكتعبير عن القومية العنصرية، وكإرادة لتدعيم التمييز اليهودي لا موضع لها في نهاية عالم القرن الواحد والعشرين.. فهل فهمت هذه الحقيقة القيادات العربية؟ مما لا شك فيه أن القيادات الإسرائيلية تعلم ذلك، بل وتخطط منذ الآن لمواجهة، وحركة السلام والرغبة الثابتة في خلق قنوات الاتصال مع المنطقة، الأمر الذي جاء عقب حديث طويل عن عودة اليهود الشرقيين إلى أراضهم العربية ليس إلا تعبيراً عن ذلك الإدراك<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من أن مختلف السيناريوهات المطروحة لنهاية إسرائيل على اختلاف مناهجها تكاد تتفق على توقع نهاية إسرائيل في العقود القادمة، إلا أن وعي الإسرائيليين لازمة وجودهم يدفعهم لاتخاذ الخطوات الوقائية التي تؤجل النهاية، وتعتبر حركة المؤرخين الجدد الإسرائيليين، وما يعرف بما بعد الصهيونية مجرد محاولات التفاضلية لإخراج الصهيونية ودولتها من مأزقها الراهن، وهنا وكما يقول الاستاذ فهبي هويدي: لست ادعو إلى المراهنة على فناء إسرائيل، رغم تواتر الشواهد الدالة على أنها بصورتها وسياساتها الراهنة تُلغى على نحو تدريجي مقومات استمرارها وإمكانية التعايش الآمن مع شعوب المنطقة، حيث لا يمكن أن تقوم دولة على جثة شعب آخر، خصوصاً الشعب الفلسطيني، الذي لا يمكن أن يقارن باليهود الحمر المعرضين للانقراض والتآكل، لكن ما أريد أن أقوله: أن الدم الفلسطيني لم يُرق هباء، وأن مواكب الشهداء نجحت في هز الكثير من الثوابت الصهيونية، بل ضربت حجر الأساس في المشروع الصهيوني، الذي بدأت الأصوات تتشكك في جدواه رغم مضي أكثر من نصف قرن على تحقيق الحلم، وإقامة الدولة الإسرائيلية فوق أرض الميعاد<sup>(2)</sup>.

لكن على الرغم من هذا اليقين بالحتمية التاريخية، يتوجب الإقرار أيضاً بأنها ليست تلقائية الحركة؛ وإنما هي رهن بإرادة صلبة لتفعيلها، ويتوجب الانتباه كذلك إلى أن انتصار الشعوب على الغزاة لا يقاس فقط بحجم البطولات والتضحيات على أهميتها، بل هو رهن

---

(1) حامد ربيع، مستقبل إسرائيل، دراسته غير منشوره، حصلت عليها من صديقي الدكتور بشير أبو القرايا أحد تلاميذ المرحوم الدكتور حامد ربيع

(2) فهبي هويدي، تصدر عن حزب الشعب الديمقراطي السوري، جريدة الرأي.

بقرارٍ استراتيجيٍّ معرفيٍّ وبفعلٍ إرادةٍ واعيةٍ بمتطلّباتٍ وسبلٍ توفيرٍ موجباتٍ ميزانٍ قوىٍّ جديدٍ قادرٍ على تحقيق الأهداف بسرعةٍ معقولةٍ وكلفةٍ مناسبةٍ.

وفي الختام .. فإن كل ما سبق يجب ألاّ يورث الركون إلى الأمانى والكسل والتقاعدس، فليس هذا من شيم المؤمن القوي، بل يجب أن تدفعنا للعمل والجهاد، وتدعونا لرفع الهمم والعزائم، وهذا سراقه بن مالك لما بشره رسول الله ﷺ بسواري كسرى، لم يجلس ينتظر بل عمل وجاهد حتى تحققت له الشهادة، وعندما حاصرت أحزاب الشرك المدينة، وبلغت القلوب الحناجر، جاءتهم البشرى من الرسول المصطفى ﷺ: "اللهُ أكبر! أُعطيَتْ مفاتيحُ كِسْرَى، اللهُ أكبر! أُعطيَتْ مفاتيحُ قيصر"، فاجتثت اليأس من قلوبهم ودفعتهم للعمل، ولم نسمع عن واحد منهم جلس في بيته وتقاعدس عن الجهاد حتى يأتي نصر الله، ونحن على يقين كامل أنّ رايات النصر والتحرير سترفع يوماً في القدس، والله عز وجل أكد لنا أن الحق هو من ينتصر في النهاية، لكن الجهاد والمقاومة هنا شرط لازم لتحقيق ذلك، أجل سننتصر وستزول إسرائيل، فلنبادر ليكون لنا شرف المشاركة بالأجر وصناعة النصر، قال سبحانه: (وَلْيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)، (وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)<sup>(1)</sup>.

---

(1) نهاية إسرائيل.. شهادات وحقائق.



## الفصل الرابع

### الصراع العربي الإسرائيلي .. وبناء سيناريو المستقبل الإسرائيلي

يشكل الماضي والحاضر والمستقبل سلسلة حلقات مترابطة يمهّد كل منها للحلقة اللاحقة، فالماضي يسهم في تشكيل الحاضر، والمستقبل ينبع من رحم معطيات الحاضر في دورة متجددة زمانياً، وانطلاقاً من أن المستقبل يكون بمثابة المحصلة النهائية لهذه الدورة المتجددة؛ لعل من نافلة القول أن صورته المحتملة تكون على الأرجح ناتجاً لتفاعل الماضي بموروثه، والحاضر بمعطياته تفاعلاً إما طردياً موجباً، أو عكسياً سالباً<sup>(1)</sup>. ومن هنا، فإن مستقبل إسرائيل في المنطقة بكل تفاصيله وتفاعلاته الداخلية والإقليمية والدولية سيكون انعكاساً لماضيها ومعطيات حاضرها، (واقعها الداخلي-تفاعلها مع محيطها الإقليمي-علاقاتها الدولية)، وإذا كنا سندرس المستقبل الإسرائيلي فلا بد أن نبدأ من ماضي اليهود في منطقتنا العربية، لمعرفة حقيقة تفاعلاته وعلاقاته بحضارة المنطقة، لمقارنته بالواقع المعاش الذي أوجدته الحركة الصهيونية وإسرائيل في المنطقة، حيث يمكن أن يكون ذلك مقدمة لرسم معالم التطور المستقبلي المحتمل لإسرائيل في ظل التسوية السلمية.

وقبل البدء في عرض تاريخ اليهود في بلاد العرب، لابد من الإشارة إلى أن الكتابة عن تاريخ اليهود بصفة عامة، ويهود البلاد العربية بصفة خاصة، تعد من الدراسات الشائكة التي يكتنفها الكثير من الغموض والالتباس والتعقيد؛ لأن الباحث في التاريخ اليهودي يواجه صعاباً وعقبات منها: أن فترة كبيرة لا يستهان بها من تاريخ اليهود قديماً مصدرها الوحيد العهد القديم، وهو ما أدّى إلى تبلور فكر ديني ذي طابعٍ مطاطي، وهو مصدر لا يمكن الاعتماد عليه؛ لأنه يختلف عن التاريخ الفعلي ويتناقض معه أحياناً، ويصلح هذا التاريخ في بعض الأوقات مصدراً للمعلومات والفرضيات، ولكن لا يمكن دراسته إلا باعتباره جزءاً من الرؤية الدينية اليهودية فقط، وخاصة أن نصوصه تخدم الديانة اليهودية وحدها، وتعمل على تمييز الشعب اليهودي كشعب الله

(1) مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، مصدر سابق

المختار<sup>(1)</sup>. وقد ظلّ التاريخ اليهودي ولمدّة طويلة حبيس الآراء التقليدية المتوارثة من النصوص التوراتية، لكن بعد أن حلّت الدراسات والتحليلات المعتمدهُ على الاكتشافات الأثرية محلّ الاعتقاد الأعمى المستند إلى النصوص العبرية، باتت المعلوماتُ التاريخية المتوافرة في التوراة تتضاءل صدقيتها، والأخطاء التوراتية وصلت إلى حد دعا بعض المؤرخين والمفكرين إلى ترك الاعتماد على الروايات التوراتية<sup>(2)</sup>.

---

(1) أنور محمود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع433، مارس 2015، ص173-190.

(2) كتب وقراءات يهود البلاد العربية، خيرية قاسمية، ص173

## المبحث الأول: تاريخ اليهود في فلسطين والبلاد العربية

عرفت فلسطين بأرض (كنعان) قديماً (حوالي 2500 ق. م)، وكان العرب الكنعانيون أول السكان المعروفين لفلسطين خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد هيا موقع فلسطين في مركز الطرق التي تربط الثلاث قارات لها موقعاً للإجتماع الديني والتأثير الثقافي، وكانت أيضاً ساحة للحروب بين القوى العظمى في المنطقة، وفي عام 2100 ق. م تعرضت لغزو القبائل الكريية التي سكنت شواطئها بين يافا وغزة، فسميت تلك المنطقة باسم (فلسطين)، ثم صار هذا الاسم لكل المنطقة فيما بعد، وبحكم موقعها تعرضت لحروب طاحنة وغزوات وهجرات متوالية، لكن كان معظم الغزاة عابرين، إلا من استقر فقد اندمج مع السكان وصار منهم، وقد كانت فلسطين ولا تزال جزءاً من سوريا الكبرى التي كانت أهلة منذ بدايات الألف الثالث قبل الميلاد بشعوب مختلفة تدفقت عليها من الجزيرة العربية ومن البحر المتوسط، كالكنعانيين والآراميين، والفلسطينيين، والعبرانيين، وهم اليهود الذين بدأوا حياتهم في جنوب العراق، ثم رحلوا إلى مصر.

وتذكر المصادر التاريخية أن وجود اليهود في المنطقة العربية يعود إلى موجات متتالية، بدأت بالمستوطنين الأوائل منذ القرن السادس قبل الميلاد (النفى البابلي)، ثم موجة أنت بعد سقوط القدس (القرن الأول الميلادي)، وهاجرت هذه الجماعات شرقاً نحو العراق أو جنوباً نحو الجزيرة العربية أو جنوب غرب مصر، وتسربت أعداد منها إلى شمال أفريقيا، وقد امتزجت بأهل البلاد الأصليين وتكلمت لغتهم<sup>(1)</sup>، واختلطت بهم اختلاطاً مباشراً في كل جوانب حياتهم وشاركوهم في اللغة والتقاليد وأسلوب التفكير، وضاعت وحدتهم العنصرية رغم تقوقعهم ورغم تعصبهم العنصري لديانتهم، كما فقدوا لغتهم المشتركة (العبرية) فتكلموا بلغات مختلفة حسب الموقع الذي يعيشون فيه، وهذا يبين أنهم هجين من عدة قوميات ولغات، ومنذ ذلك الحين كان اليهود في تلك الدول رغم قلة أعدادهم جزءاً متمماً لسكان البلاد، امتزجوا في حياة البلاد العامة<sup>(2)</sup>.

(1) علي إبراهيم عبده وآخرون، يهود البلاد العربية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، حزيران 1971، ص10.

(2) نبيل محمود السهلي، اليهود في الدول العربية، دمشق، دنيا الوطن، 2005/1/23.

وبدأت المحطة الرئيسية في تاريخ اليهود بداية من هجرة الخليل إبراهيم، حيث هاجر مع بعض أبناء عشيرته كجماعة من الرعاة الرحل من آرام في بلاد الرافدين شمالاً، نحو حران في بلاد أور الكلدان، ثم انحدر جنوباً إلى بلاد كنعان، ومنها توجه نحو مصر فالجزيرة العربية. قبل أن يستقر به المقام في أرض كنعان حتى وفاته، ثم هجرة يعقوب، ثم وجود يوسف بمصر واستقرار اليهود وتكاثرهم فيها، وبعد نحو أربعة قرون بدأت مرحلة خروج بني إسرائيل من مصر أمام جيش فرعون بقيادة موسى، ووصوله إلى سيناء<sup>(1)</sup>. وحقائق التاريخ وأبحاث علم الأنثروبولوجيا تذكر أن خروج بني إسرائيل من مصر وضع حداً فاصلاً بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم، أي حدث اختلاط بين بني إسرائيل وغيرهم نتيجة ترحالاتهم السابقة من العراق إلى فلسطين<sup>(2)</sup>، ومن فلسطين إلى مصر والتي استقروا فيها أزماناً ليست بالقصيرة حتى خروجهم منها ودخولهم فلسطين مرة أخرى<sup>(3)</sup>.

### إقامة مملكة إسرائيل

خرجت قبائل العبرانيين من مصر متجهة إلى الشرق بقيادة النبي موسى (عليه السلام) في عام 1290 ق. م، وتوقفت في صحراء التيه (40 عاماً)، ثم بدأ التسلسل العبراني إلى أرض كنعان تحت قيادة يوشع بن نون ومحاولة الاستيطان فيها، وخَلَفَهُ مجموعة من القضاة الذين تولوا حكم اليهود من بعده، وبدا واضحاً السلوك الوحشي الغريب لليهود، فهم لا يريدون الاستقرار في المدن بل يريدون الاستيلاء على أكبر مساحة من الأرض والمدن<sup>(4)</sup>، فأستقروا في التلال، لكنهم كانوا غير قادرين على السيطرة على كل فلسطين، وقُوتلوا قتالاً شديداً من قبل الفلسطينيين، الذين أسسوا دولة مستقلة لهم على الساحل الجنوبي لفلسطين، وسيطروا على مدن الكنعانيين بما فيها القدس، وهزموا الإسرائيليين حوالي 1050 ق.م، وعاد بنو إسرائيل مرة أخرى إلى الإفساد في الأرض واتخذوا لأنفسهم آلهة من الأوثان التي كانت تعبدها الأمم المحيطة بهم فعبدوا إله

---

(1) انظر: مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم- بيروت/الدار الشامية- دمشق، 1995، ص 31. وانظر: أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مركز الدراسات الفلسطينية، 1978، ص 18.

(2) أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار، 1897- 1922، معهد البحوث والدراسات العربية- القاهرة، 1970، ص 24

(3) ليون كارنيفف، اليهودية والصهيونية في نظر شعوب العالم، تر: محمد علي حوات دار الآفاق العربية- القاهرة، 2001، ص 10

(4) جياغ قابلو، تاريخ مصر القديم، تعر: اليرموك للنشر والتوزيع، 2001، ص 154-156

(الكنعانيين) بعل<sup>(1)</sup>، ودخلوا مع الكنعانيين، والفلسطينيين، والعمونيين، والأدوميين، والمؤابيين في صراع طويل، تمكنوا في نهايته من إنشاء مملكة لم يقدر لها أن تبقى موحدة إلا قرناً واحداً، وكان أبرز ما يميزه به تاريخ الفلسطينيين هو سلسلة الحروب التي خاضوها مع بني إسرائيل<sup>(2)</sup>.

وفي عام 1000 ق. م أخضع النبي داود (الكنعانيين اليبوسيين) في منطقة القدس وجعل أورشليم (القدس) مركزاً لمملكة إسرائيل، وبعد وفاة ابنه النبي سليمان (عليه السلام) عام 935 ق. م انقسمت المملكة إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل، ويؤكد التاريخ أنه لم يقم لليهود كيان سياسي في المنطقة أكثر من نحو سبعين عاماً على عهد النبيين داود وسليمان، وحتى في هذه الفترة لم تخلُ من الخضوع غير المباشر تارة للفينيقيين وأخرى للمصريين، فلقد ذكر كبار المؤرخين أنّ مملكة داود وابنه سليمان كانت مساحتها مئة وعشرين ميلاً في الطول وستين ميلاً في العرض، وأقلّ من ذلك في أغلب الفترة التاريخية، ولا يستطيع أحد أن يثبت أنّ أرض فلسطين كلها أو معظمها أو نصفها كانت في يوم من الأيام تحت سيطرة العبرانيين؛ فأفسار التوراة تصرّح بأنّ الفلسطينيين ظلّوا يملكون في هذه الأراضي الجنوبية الساحلية الخصبة، وأن الكنعانيين والفينيقيين ظلّوا صامدين في المناطق الشمالية، وبالتالي كان وضعهم وضع غزة كبقية الغزاة الذين يأتون ويذهبون من دون أن يتركوا أثراً في الحياة القومية والتاريخية للسكان الأصليين<sup>(3)</sup>.

## السي البابلي

عندما أستأنفت الإمبراطوريات القريبة توسعها، لم يستطع الإسرائيليون المقسمون الإبقاء على إستقلالهم، وسقطت إسرائيل في يد الآشوريين في 721-722 ق.م، ويهوذا هزمت في 586 ق.م من قبل بلاد بابل، الذين حطّموا القدس ونفوا أغلب اليهود الذين يعيشون فيها، ولكن سمح لليهود المنفيين بالمحافظة على هويتهم ودينهم، ووضعوا بعضاً من أفضل الكتب اللاهوتية والتاريخية ومنها العهد القديم، وخلال فترة السبي البابلي تأثر اليهود بكثير من العقائد البابلية، مثل تقديس يوم السبت وتغطية الرأس أثناء الصلاة<sup>(4)</sup>، وكان المنفي البابلي بداية لموجات متتابعة من النزوح الاضطراري والاختياري أنهت وجود اليهود في فلسطين.

(1) انظر: الكتاب المقدس سفر القضاة، ٣٥-٣٢، والأصحاح ٨، الآيات ٣٣-الأصحاح ٦، الآيات ٢٥

(2) فلسطين، القضية . الشعب . الحضارة، ص 36

(3) كتب وقرارات يهود البلاد العربية، أنور محمود زناتي، ص 177

(4) انظر التفاصيل: جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1967، ص ٦١ وما بعدها.

وفي عام 529 ق.م غزا الفرس فلسطين وألحقوها بدولتهم، فعاش اليهود حالةً من الاستقرار لمائتي عام، وفي عهدهم عادت قبيلة يهوذا مع بقايا الأسر البابلية إلى القدس وأعدت بناء الهيكل، وجدّدوا جدران القدس وصنّفوا التوراة التي أصبحت رمز الحياة الإجتماعية والدينية، وتمتد هذه المرحلة من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى عام 70م، وهي الفترة الرسمية لليهود بكل خصائصها اللاحقة، وشهدت هذه الفترة تكريس مصطلحي يهود الذي يشير إلى الشعب الذي يتبع الديانة اليهودية، و"يهودا" الذي يشير إلى الأرض التي سكن فيها اليهود، كما شهدت هذه الحقبة انغلاق المجتمع اليهودي وانفصال اليهود عن الأمم الأخرى<sup>(1)</sup>.

## العصر الروماني

استبدل الحكم الفارسي لفلسطين بالحكم اليوناني عندما أحلتها الألكسندر الأكبر المقدوني المنطقة في 333 قبل الميلاد، ثم واصل ورثة الألكسندر "بتوليميس" و"سيلوسدس" حكم البلاد، وحاول سيلوسدس أن يفرض الثقافة والديانة الهيلانية (اليونانية) على السكان، وخضعت فلسطين للنفوذ الهليني ما يقرب من ألف عام، وقد أثرت الفترة الهلينية على اللغة العبرية والمجتمعات اليهودية حتى أن اليهود كانوا يتحدثون ويصلون باللغة اليونانية، واستقرت أعداد كبيرة من اليهود في مصر، وفي الإسكندرية خصوصًا، كما استقرّوا في برقة وآسيا الصغرى، وتأثر الفكر الديني اليهودي بالفكر الهليني<sup>(2)</sup>.

وفي القرن الثاني قبل الميلاد تمزّد اليهود على الحكم الروماني بقيادة ماكابيس، وبدأ دولة مستقلة (141 - 63 ق.م)، ولكن ثورتهم هذه باءت بالفشل وتمكّن الروم من إحباطها، وفي عام 90 ق.م قدم العرب إلى الأنباط، وألحقوا فلسطين بعاصمتهم البتراء، وخلال حكم الملك هيرود (37-4 ق.م) ولد سيدنا عيسى عليه السلام وكان هناك ثورتان لليهود، وقمعتا في 66-73 و 132-35، وقتل عدد كبير من اليهود والعديد بيع كعبيد أما البقية فلم يسمح لهم بزيارة القدس، وابتداءً من عام 135م حينما انتهى آخر تمرد يهودي ضد الإمبراطورية الرومانية، تزايدت أهمية الدياسبورا (يهود الشتات) وتناقصت إلى حد التلاشي أهمية يهود فلسطين<sup>(3)</sup>، ولاقت

(1) إسرائيل شاحك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، ط1 2001 -

عرض إبراهيم غرابية - الجزيرة نت

(2) أنور محمود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية، ص177

(3) شاحك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل- إسرائيل..

فلسطين إهتماماً خاصاً عندما زارت القدس الإمبراطورة هيلينا أم الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، الذي شرع المسيحية وأعلنها ديانة للدولة في 313 ميلادي، وأصبحت القدس بؤرة للحجّ المسيحي، وكان لها عصراً ذهبياً من الإزدهار، الأمن، والثقافة، وأصبح أغلب السكان مسيحيين.

وبعد التغلب الروماني على فلسطين كإحدى نقاط تجمّع الجماعات اليهودية وهدم الهيكل عام 70 م من قبل تيتوس ملك الروم، استمرّ تدفق اليهود خارج فلسطين، ويُقال إن هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية تعود إلى هذه الفترة أو بعدها<sup>(1)</sup>، حيث تشبّث اليهود في مختلف البلاد من الشرق والغرب، فجماعةٌ منهم لجأوا إلى مصر، وجماعةٌ إلى لبنان وسوريا، وجماعةٌ هاجروا إلى العراق، واختار جماعةٌ منهم الحجاز مكاناً لإقامتهم، أمّا بلاد اليمن فقد كانت محلّ أنسهم؛ وذلك لأنّهم كانوا يألفون السفر إليها في عهد النبيّ سليمان "عليه السلام" للتجارة<sup>(2)</sup>.

### تاريخ اليهود في البلاد العربية

لا نستطيع أن نحدد تاريخاً لبداية الصلات بين العرب وبنى إسرائيل، ويبدو لنا أنّها ضاربة في القدم، فالإشارات إلى العرب في كتب اليهود المقدسة كثيرة ومتعددة، وهي تعيننا كثيراً على تبيان ضروب الصلات المختلفة التي قامت بينهم كما ترونها المصادر العبرانية، من ذلك أنه ورد في سفر التكوين أن إبراهيم جد بنى إسرائيل كان أباً لإسماعيل ومدين وكثير من القبائل الأخرى التي كانت تسكن شمال جزيرة العرب، بل كان أيضاً جدّاً لقبيلة شبا التي يدل اسمها، وما ورد عنها أنها تعنى منطقة سبأ في جنوب جزيرة العرب<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن جزيرة العرب كانت دائماً ملاذاً لبنى إسرائيل كلما بطشت بهم إحدى القوى السياسية الكبرى في فارس والروم وحملتهم على الجلاء<sup>(4)</sup>، وتذكر لنا صحف العهد القديم أن بلاد طور سينا وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ يقصد إليه كثير من بنى إسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك الظالمين (ملوك ج 1 فصل 19)، ففي عهد الملك بختنصر فإنه حين غزا أورشليم قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة<sup>(5)</sup>، وعاش اليهود في جزيرة العرب معيشة

(1) مصطفى كمال عبدالعليم، سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم سورية، ط 1، 1995، ص

(2) محمد جواد مغنية، الإسرائيليات والقرآن، بيروت، دارالجواد، 1404، ص 41 و 42.

(3) ناصر السيد، يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، المكتبة الثقافية - بيروت، ط 1، 1992، ص 8

(4) ناصر السيد، يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، ص 7

(5) إسرائيل ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدرا الإسلام، (ارميا فصل 40 ايه 11)، ص 18

أهلها فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم وتصاهروا معهم، فتزوج اليهود عربيات، وتزوج العرب يهوديات، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين، ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحولت بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس<sup>(1)</sup>، وكان العالم شير يعتقد أن اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة وغير خاضعة لما يعرف بالقانون التلمودي، ولهذا كان يهود بلاد الشام في القرن الثالث عشر ق.م يعتبرونهم ليسوا يهوداً بسبب عدم خضوعهم لقوانين التلمود خضوعاً تاماً؛ لأن معظم هذه القبائل قد أخذت باليهودية قبل إنجاز التلمود، كما أن انعزالهم في الجزيرة العربية قد جعل الاتصال بينهم وبين المدارس التلمودية متعذراً<sup>(2)</sup>.

ويصف إسرائيل ولفنستون علاقة اليهود بالعرب فيقول: واليهود الذين سكنوا في بلاد العرب لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم...، ولا أعلم في تاريخ اليهود القديم إقليماً تأثر فيه اليهود بأخلاق وعادات وتقاليدهم أبناءه إلى هذا الحد سوى إقليم الجزيرة العربية<sup>(3)</sup>. ولذا ينكر المؤرخ اليعقوبي وجود طوائف أصلها (من فلسطين) في الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام، ويؤكد أن القبائل اليهودية فيها كانت من العنصر العربي الأصيل، ويقول في وقعة بني النضير: "أن نضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به"<sup>(4)</sup>، ويقول ياقوت الحموي في معجمه: "إن يهود يثرب (قريظة والنضير) هم من القبائل العربية في الجزيرة، وقد اعتنقوا اليهودية وكان لهم ملوك حتى أخرجهم الأوس والخزرج من المدينة"<sup>(5)</sup>.

وهجرة اليهود إلى جزيرة العرب بدأت في العام سبعين بعد الميلاد بسبب ما لحقهم من الأذى من ملك الروم تيتوس، وبهجرتهم هذه فُتح الباب أمام نفوذ ثقافة اليهود في بلاد الجزيرة العربية، ويذكر الأستاذ أحمد أمين ذلك موضحاً هذا الارتباط بين العرب وجيرانهم وبين سائر الناس: "من عوامل نشر الثقافة الأجنبية في جزيرة العرب انتشار اليهودية والنصرانية...، كان في القرون الأولى للميلاد مستعمرات يهودية: في تيماء، وفي فدك، وفي خيبر، وفي وادي القرى، وفي يثرب وهي أهمها، وعمل اليهود على نشر ديانتهم جنوبي الجزيرة، حيث تهود كثير من قبائل

(1) العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص 688

(2) المصدر نفسه، ص 692.

(3) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص 25، 26

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص 42-40 مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 385-460

اليمن...، ونشر اليهود في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها<sup>(1)</sup> والذي لا شك فيه أن هناك بطونا يهودية سكنت جزيرة العرب وكان لها أثر واضح في الحياة هناك في شتى المجالات، وأشهر هذه البطون اليهودية وأكثرها أثرًا هم أولئك الذين سكنوا يثرب، جاء في الأغاني: "فكان ممن يسكن المدينة، حتى نزلها الأوس والخزرج من قبائل بني إسرائيل، بنو عكرمه وبنو ثعلبه وبنو محمر وبنو زغوارا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو هدل وبنو عوف وبنو الفصيصة، فكان يسكن يثرب جماعه من أبناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود، وقد كان يقال لبني قريظة وبني النضير الكاهنان وكانوا ينتسبون إلى هارون "عليه السلام"<sup>(2)</sup>.

---

(1) أحمد أمين، فجر الإسلام، دارالكتاب العربي، بيروت، ط1، 1944م، ص23.

(2) أنظر: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/ 1415 هـ، ص 95

## المبحث الثاني: أحوال اليهود عبر مراحل التاريخ العربي/الإسلامي

دخل تاريخ يهود البلاد العربية في مرحلة جديدة وهي مرحلة وجودهم في ظل الإسلام، وقد اختلفت آراء الباحثين حول تاريخ الوجود اليهودي في الجزيرة العربية ثم أمكنة انتشار اليهود فيها<sup>(1)</sup>، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كان اليهود يقيمون في أطرافها، وقد نمت أنشطة اليهود الاقتصادية في تلك الفترة وأسهموا في ازدهار الصناعة بالمدينة ولا سيّما صناعة الخمر والقفاف والحصر، بجانب عملهم بالتجارة والحدادة... إلخ<sup>(2)</sup>، وكان المسلمون يجتمعون برسول الله ﷺ في مسجد المدينة ويتلقّون منه تعاليم الإسلام، وهذه الجيرة في الإقامة وفي السكن ترافقت مع تبادل العلم والمعرفة حيث كان النبي ﷺ يجتمع باليهود بل كانوا يختارونه حكماً في بعض نزاعاتهم، كما كانوا يوجّهون إليه أسئلتهم، ويطالبونه بالدليل على صدق رسالته، وقد تعرّض القرآن الكريم للكثير من أسئلتهم التي كانوا يُثيرونها بوجه النبي ﷺ<sup>(3)</sup>، وحدثت بعض الصراعات بين المسلمين واليهود بأشكال متعددة نتيجة خيانتهم للعهد والأمان، وبالإضافة إلى الحروب العسكرية بين الطرفين، لجأ اليهود إلى حرب الجدل الفكري والمناقشات الدينية<sup>(4)</sup>، وقد اعتنق الكثير من علماء اليهود الإسلام، كعبد الله بن سلام، وابن صوريا، وكعب الأحبار وغيرهم، وتمكّن هؤلاء من أن ينالوا مكانةً بين المسلمين، وبهذا قامت حالة من الترابط الواسع المدى بين التعاليم الإسلاميّة والتعاليم اليهوديّة<sup>(5)</sup>.

وفي بداية الفترة المدنية عقد الرسول ﷺ حلفاً ومعاهدة مع اليهود، تجسد في دستور المدينة لينظم العلاقة بين الأمة المسلمة الناشئة باليهود ضمن دولة مدنية، تجسيدا موضوعياً

---

(1) انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة

والنشر، (١٩١٤) القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م، ص ٢

(2) زبيدة عطا، اليهود وتجارهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر - القاهرة، 2007، ص ١٨

(3) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي-

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية- 1955 م، ج 1،

ص 300 وما بعدها.

(4) سامي أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي، دار التربية- دمشق، 2010، ص 318.

(5) محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، 1990، ص 22.

لرؤية القرآنية للتنوع الديني، وقد تعامل الرسول ﷺ مع اليهود وفق صحيفة عهد وأمان، ومن الحقوق والواجبات التي أقرتها الصحيفة الذي تتجاوز بنودها الخمسين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم...، ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم<sup>(1)</sup>، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج آمن ومن قعد بالمدينة آمن إلا من ظلم وأثم، وأن الله جازل من بروتقى<sup>(2)</sup>.

وواضح من هذه المعاهدة أنها تركز تحالفاً متيناً بين المسلمين واليهود، وتقوم على المساواة المطلقة، لأن إختلاف الدين لم يكن له أثر في طبيعة العلاقة بين المجموعتين المتعايشتين، ولم ينحل العقد إلا بغدر قبائل يهود المدينة التي إختارت الإنحياز للخط المناوئ للمسلمين<sup>(3)</sup>، حيث كان الرسول ﷺ يسعى لإنشاء مجتمع يقوم على الأمن ويقوم على تسوية نزاعاته بالطرق السلمية، وكان إجلاء يهود بني النضير بسبب نقضهم عهدهم التي تحتم عليهم إلا يؤووا عدواً للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا النقض، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة، أما بعد غزوة الأحزاب فإن يهود بني النضير كانوا قد خرجوا من المدينة إلى خيبر وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين وأخذوا يرسمون الخطط للانتقام منهم<sup>(4)</sup>.

### اليهود في ظل الدولة الإسلامية

شهد اليهود في حياتهم في العالم الإسلامي أكرم حياة وعمولوا أطيّب معاملة، كانت مضرب المثل لليهود في الأقطار الأخرى، وقد شهد على ذلك المؤرخون اليهود والنصارى، بالإضافة إلى المؤرخين المسلمين، وعندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس عام 638 م منح أهل القدس وبطيريكها سافرونيوس عهداً بالسلم والحماية صار يعرف بعهد عمر أو بميثاق عمر، بالإضافة إلى ذلك ولتأكيد حماية الأماكن المقدسة للنصارى واليهود والعناية بها، عهد عمر

(1) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ج 2 ص 169 وما بعدها.

(2) ابن كثير البداية والنهاية، ج 3 ص 224 - 226، بتصريف.

(3) عبد الملك منصور حسن المصعبي الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات والآفاق، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات (عتيدة

[http://atida.org/index.php?option=com\\_content&view=article&id=166:2013-03-30-08-17-](http://atida.org/index.php?option=com_content&view=article&id=166:2013-03-30-08-17-)

18&catid=33:-2006&Itemid=6

(4) يهود المدينة في العهد النبوي، ص 124.

بحماية كل مكانٍ من الأمكنة المقدسة الرئيسية، والعناية بها، إلى أسرةٍ مسلمةٍ مختلفة<sup>(1)</sup>، وسمح لليهود بالعودة إلى القدس ومنحهم قطعة أرض على جبل الزيتون لإقامة الصلوات، وعلى هذا النحو عومل يهود البحرين إذ لم يكلفوا إلا دفع الجزية وبقوا متمسكين بدين آبائهم. ونتيجة هذه المعاملة كما يذهب د. إسرائيل ولفستون فقد كان اليهود في أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والإكرام؛ لأنهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم، إذ يرون فيهم قوماً يؤمنون بإله موسى وإبراهيم، وقد ازدادت هذه الروابط متانة مع امتداد الزمن حتى دخل اليهود في جيوش المسلمين، ليناضلوا معهم في إقاليم الأندلس<sup>(2)</sup>.

وقد وصل انتشار العقيدة اليهودية- حينما لم تكن اليهودية محصورة في حدود أمة- إلى قمته في بابل ثم في بغداد في القرن التاسع أيام الخلفاء المسلمين، أما عن أحوال اليهود في العصور الإسلامية التالية لعصر الرسول في الجناح الشرقي للدولة العربية الإسلامية، ثم الجناح الغربي، فقد تبدل حال اليهود على إثر الفتح الإسلامي إلى خيرٍ مما كانوا عليه تحت الحكم البيزنطي، وتمتع اليهود في ظل الحكم الإسلامي بكامل حقوق الذميين في دار الإسلام، تحت حكم الخلافة الراشدة، مروراً بالدولة الأموية، فالعباسية<sup>(3)</sup>.

ففي عهد عدد من الخلفاء العباسيين وأخصهم المعتضد (892 . 902م) كان لليهود في الدولة مراكز هامة، وكان لهم في بغداد مستعمرة كبيرة ظلت مزدهرة حتى سقوط المدينة، وقد زار هذه المستعمرة بنيامين التطيلي حوالي سنة 1169 م فوجد فيها عشر مدارس للحاخامين وثلاثة وعشرين كنيساً، منها واحد رئيسي مزدان بالرخام المخطط ومجمل بالذهب والفضة، وأفاض بنيامين في وصف الحفاوة التي لاقاها رئيس اليهود البابليين من المسلمين بصفته سليل بيت داوود النبي ورئيس الملة الإسرائيلية (ريش جاوثا) في الأرامية، أي أمير السبي، أو بصفته في الواقع زعيم جميع اليهود الذين يدينون بالطاعة للخلافة في بغداد، فقد كان لرئيس الحاخامين هذا من السلطة التشريعية على أبناء طائفته مثل ما كان للجاثليق على جميع النصارى، وقد روى أنه كانت له ثروة ومكانة، وأملاك طائلة فيها الحدائق والبيوت والمزارع

---

(1) بشير غوث، حان وقت إنقاذ الإسلام من المحاكم الطالباية في مقديشو،

arabic.tharwaproject.com/node/894

(2) إسرائيل ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة الناقد، ط1، ص 207

(3) كتب وقراءات يهود البلاد العربية، أنور محمود زناتي، مجلة المستقبل العربي، ع433، مركز دراسات الوحدة

العربية، مارس 2015، ص177

الخصبة، وكان إذا خرج إلى للمثول في حضرة الخليفة ارتدى الملابس الحريرية المطرزة وعمامة بيضاء موشاة فيها الجواهر، وأحاط به رهط من الفرسان، وجرى أمامه ساع يصيح بأعلى صوته: (أفسحوا درياً لسيدنا ابن داود)<sup>(1)</sup>.

## اليهود في ظل حضارة الأندلس

وكان انحسار الثقافة اليهودية على أثر انحسار الامبراطورية العربية التي ازدهرت في ظلها تلك الثقافة، ثم كان مركز تألق اليهودية من بعد ذلك في أسبانيا تحت ظل الخلافة الإسلامية، حيث ظهر فيها ونبغ (أمراء) الطائفة اليهودية مثل (حسدي بن سبروت) وزير الخليفة في قرطبة، وصموئيل وزير سلطان غرناطة، وهناك فلاسفة ولاهوتيون وشعراء (سليمان بن جابريول، ومهدا هاليقي، وموسى بن ميمون)، ظهوروا ونبغوا في تلك المرحلة التي يسميها أندريه شوراي (المرحلة الذهبية) لليهود في أسبانيا المسلمة، حيث أثمر التلاقح اليهودي العربي أنضح ثماره وأحلاها<sup>(2)</sup>، فبرز فيهم يهودا اللاوي في عهد المرابطين، وموسى بن ميمون (1135-1204م) في عهد الموحدين، كما أصبح ابن شلوخة اليهودي خازن المال بسجلماسة في عهد الخلافة الموحدية، كما أن صمويل الفاسي حبر مراكش الذي اعتنق المسيحية أيام المرابطين، وسمي صومويل ماروشيتانيوس قد شغل منصباً ذا شأن في بيعة سجلماسة<sup>(3)</sup>، وغيرهم من مفكرين وشعراء ووجهاء.

ولا يمكن فهم التراث الديني اليهودي في هذه المرحلة إلا بالعودة إلى التراث الإسلامي الفلسفي والديني، ويمكن القول إن تفاعل الجماعة اليهودية مع الحضارة الإسلامية أمر لا نظير له في أية حضارة أخرى، لأنها أعطت لهم وسيلة الحياة ومنهج النقد وفهم التطورات الإنسانية خلال العصور الوسطى، فخرجوا من دوائرهم الضيقة إلى عالم أرحب، حيث الحرية والاحترام لحامل العلم، ولم يؤسس يهود الأندلس مدارسهم المستقلة إلا بعد تعريهم، وبعد أن أخذت نخبتهم تتشرب الحضارة العربية الإسلامية، وبالتالي كانت التقاليد الفكرية داخل حلقاتهم

---

(1) فيليب حتي و إدوارد جرجي تاريخ العرب، ج2، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط3، 1961م، ص437-438

(2) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة: قصي اتاسي وميشيل واكيم، ص186  
(3) عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية "معلمة الصحراء" الرباط، 1976م، ص:121، نقلاً عن الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، ص:159

العلمية تسمح لهم بالانفتاح الكامل على هذه الحضارة، حيث أمكنهم الإبداع من داخلها، فأنتجوا أهم أدبياتهم الفكرية والأدبية التي تحتل مكان الصدارة حتى العصر الحديث، كما أشار المنصفون من الدارسين اليهود مثل حاييم الزعفراني وسلمون جويتاين، وتدهور وضعهم بتدهور العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>.

وتميزت معاملة المسلمين لليهود بالتسامح، حيث تمكنوا من المساهمة بحرية في الحضارة الإنسانية، وتُذكر الأندلس دائماً كمثال على المركز الممتاز الذي تمتع به اليهود في العالم الإسلامي. وقد صَوَّرَ المؤرخون اليهود في القرن التاسع عشر التجربة اليهودية في القرون الوسطى في ظل الإسلام باستخدام مصطلحات رومانطيقية شبه أسطورية، على العكس تماماً من تاريخ الاضطهاد والقمع الذي عاشه اليهود الذين قطنوا في العالم المسيحي في القرون الوسطى، حيث قيل عن يهود الأراضى العربية، وخاصة أولئك الذين عاشوا في أسبانيا المسلمة أنهم عاشوا في عصر ذهبي أو ربما طوباوي<sup>(2)</sup>، مقارنة بما شهده اليهود من مذابح واضطهادات في معظم البلاد الأوروبية، فقد حصل أن واجهوا الطرد والحرمان والمذابح<sup>(3)</sup>، كما واجهوا إحراق كتبهم الدينية كالتلمود في كثير من البلاد الأوروبية، في الوقت الذي كان فيه موسى بن ميمون يكتب عن التلمود والفلسفة اليهودية بحرية في ظل الحكم الإسلامي<sup>(4)</sup>، وحتى اللغة العبرية التي اختفت تماماً في القرن الثالث قبل الميلاد، وحلت محلها اللغة اليونانية والآرامية، لم يتم إحيائها إلا في القرن الثالث عشر الميلادي العصر الذهبي للإسلام<sup>(5)</sup>.

وسجل الشعر أيضاً سيطرة اليهود على الأسواق في المدن الأندلسية ومما ذكره الشاعر أبو حفص العروضي الزكري ما قاله بالأندلس، وقد طوِّب بمكس كان يتولاه يهودي بدانية:

---

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية (نموذج تفسيري جديد)، مج4، دار الشروق-بيروت، 1999م.ص:247. / والتجارة والتجار في الأندلس، أوليفا ربي كونسثيل، مكتبة العبيكان-الرياض، 2003م.ص:155.

(2) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، ترجمة: كامل الزباد، نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تساتونغ بتاريخ 25.10.2003، موقع قنطره

[http://www.qantara.de/webcom/show\\_softlink.php?wc\\_c=339](http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339)

(3) رفيق شاكرا المنتشة، الإسلام وفلسطين، محاضرة، فلسطين المحتلة، بيروت، ط2، 1981م، ص42-43.  
(4) الجنرال جواد رفعت ألتخان، الإسلام وبنو إسرائيل، ترجمة: يوسف زليشاه، الرياض، 1404، ص60-61.  
(5) أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل، بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ميريت للنشر القاهرة- ط1 2003، ص

يا أهل دانيةٍ لقد خالفتم \*\*\* حُكْمَ الشريعةِ والمرورةِ فينا  
مالي أراكم تأمرون بضدِّ ما \*\*\* أمرت، تُرى نسخ الآلهُ الدينا؟  
كنا نطالب لليهود بجزيةٍ \*\*\* وأرى اليهودَ بجزية طلبونا<sup>(1)</sup>

ورغم المكانة الكبيرة التي كان عليها اليهود في العراق ومصر، فإن يهود الأندلس، من أيام الفتح إلى القرن الثالث عشر الميلادي، كانوا في مرتبة عالية من التحضر والمكانة السياسية والثقافية، وقد عادت الفتوحات الإسلامية الكبيرة من فارس إلى أسبانيا بالخير الكثير والرخاء على اليهود، وعندما انتشر خبر فتح المسلمين للأندلس ومنح الحريات لليهود في أنحاء أوروبا، هاجر كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس، وكان اليهود يتجمعون في مدن معينة مثل قرطبة ومالقة وطليطللة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة وألبيرة وأليسانة التي كان سكانها من اليهود فقط، ولا يداخلهم فيها مسلم، فراجت تجارتهم داخل الأندلس وخارجها، وكان اليهود يحتكرون بعض المهن والحرف والصناعات التي يرون أنها تدر عليهم أموالاً طائلة، واحتكروا بعض أنواع التجارة كتجارة العبيد والجواري البيض والحرير والتوابل<sup>(2)</sup>.

وجمع اليهود الذين كانوا يعيشون تحت ظل الحكم الإسلامي في الأندلس أموالاً طائلة، وكانوا لكثرة ثرائهم يرسلون الأموال إلى اليهود الفقراء خارج أسبانيا<sup>(3)</sup>، حتى كان يلجأ إليهم يهود العالم لجلب الإعانات، فلما أسر ابن رماخس في عرض البحر أربعة من اليهود، وبعد التحري عنهم عرف الريان أنهم من سورات في الهند ومقصدهم الأندلس لجلب إعانات اقتصادية للأكاديميات اليهودية من يهود الأندلس الأغنياء<sup>(4)</sup>.

ولم تكن الجالية اليهودية مضطهدة بل وجدت الفرص متاحة للاختلاط اليومي، بحكم الجوار والبيئة الواحدة، وأثبتت الوثائق والنوازل والمعاملات اليومية ذلك<sup>(5)</sup>، وقد أَلَفَ اليهود في

(1) أبو طاهر السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ت: إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت، 1405هـ/1985م، ص: 37.

(2) عز الدين عمرو موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق بيروت 1983، ص: 110.

(3) محمد الأمين بليغث، تَطَرُّتُ ف تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع- الجزائر-

1428هـ/2007م، ص 33

(4) ريموند شاييندلين، اليهود في إسبانيا المسلمة، ترجمة: مريم عبد الباقي، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) الجزء الأول، تحرير سلى الخضراء الجيوشي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م.

ط. 2، ص: 301.

(5) ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى "النوازل والأعلام"، ت: رشيد بن حميد النعيمي، ج: 2، شركة الصفحات

الذهبية المحدودة- الرياض، 1417هـ/1997م، ص 948.

أراضي الأشكنازي (أوروبا) عدداً كبيراً من القصاصد والمراثي في أتر الاضطهادات التي تعرضوا لها، وقد أُدخِلَ قسم كبير من هذه النصوص الرثائية إلى الطقوس الدينية، والتي ما زالت تُتلى في المعابد إلى يومنا هذا، وعلى العكس من هذا ومن بين آلاف القصاصد العبرية التي كُتِبَتْ خلال القرون الإسلامية الكلاسيكية، فإن القصيدة العبرية الوحيدة من العصور الوسطى التي تنوح وتبكي على اضطهاد تعرض له اليهود في أرض عربية، هي قصيدة تبكي وتنوح على استئصال المجتمعات اليهودية في شمال أفريقيا وأسبانيا خلال حكم الموحدون<sup>(1)</sup>.

وهكذا تمتّع اليهود الذين عاشوا في العالم الإسلامي بتسامح شرعي بوصفهم "أهل الذمة"، حيث لم تتكون في الإسلام قوانين خاصة لليهود كتلك التي تكوّنت في العالم المسيحي، حيث كان اليهود يعتبرون أقباناً للمجلس الملكي، وفي بعض الأحيان مارست الكنيسة سلطتها المطلقة على اليهود متذرعة بمبدأ كنسي قديم يتعلق بعبودية اليهود الأبدية، أما التشريعات الإسلامية التي تتعلق بحياة اليهود فقد تجسدت في ميثاق عمر الذي أُدخِلَ في الشريعة الإسلامية، وقد حُوْفِظَ على التنظيمات أو التشريعات كما هي بدون تغيير، ونادراً ما تم خرقها؛ ولأسباب مهمة أخرى أيضاً لم يُصَبَّ التجار اليهود المتجولون في الفلك الإسلامي بوصمة الآخرة (أي كونهم آخريين) التي عانى منها اليهود في أوروبا؛ لأنهم كانوا من سكان الشرق الأدنى الأصليين وليسوا مهاجرين كما في الغرب اللاتيني، وغالباً لا يمكن تمييزهم جسمانياً عن جيرانهم العرب المسلمين<sup>(2)</sup>.

### اليهود في ظل الدولة العثمانية

عندما هزم الأتراك العثمانيون المماليك في 1517، وحكموا فلسطين حتى 1917، سمحوا لجميع الأديان بكل الحريات الدينية والمدنية، لذا بدأ يهود أوروبا يهاجرون إليها وأقاموا في الأماكن المقدسة (القدس، طبريا، صفد، الخليل)، وحين وافق السلطان سليمان عام 1562م على تحويل مدينة طبريا إلى مدينة يهودية عارض ذلك المسيحيون، وتدخل البابا مع الصدر الأعظم لإفساد المشروع ورفض العمال العرب أن يعملوا، ولكن والي دمشق ساعد على اتمام بناء السور، إلا أن التغيير توقف بموت السلطان سليم سنة 1574<sup>(3)</sup>.

(1) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، ترجمة: كامل الزياتي، موقع قنطره-

<https://ar.qantara.de/content/Indls-tysh-ldyn-fy-lmdy>

(2) تعايش الأديان في الماضي

(3) إسماعيل ياغي، موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية 1882-1914م، بحث مقدم إلى

المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) ص3

وحيثما طرد يهود الأندلس مع نهاية حكم المسلمين فيها، وذلك على إثر الحكم الكاثوليكي ومحاكم التفتيش، اتجهوا إلى تركيا واليونان وشمال أفريقيا<sup>(1)</sup>. فكما سمح لهم السلطان صلاح الدين الأيوبي بالعودة بعد الاضطهاد والإبادة التي لاقوها أثناء الحروب الصليبية، سمح لهم العثمانيون بالعودة إلى فلسطين بعد طردهم من الأندلس، حيث عاشوا تحت الحكم العثماني بسلام، لكنهم كانوا يلاقون دوماً في أوروبا الشرقية تمييزاً وكرهية قوية، كانت تتفاقم من وقت لآخر لتنتهي بالمذابح<sup>(2)</sup>.

وكان اليهود في ظل الخلافة العثمانية محل اهتمام سلاطينها، وحظوا بكثير من التشريعات التي تكفل لهم حقوقهم، حيث تمتعت الأقليات الدينية باستقلالها الذاتي في الإشراف على أمورها الدينية وإدارة مؤسساتها الخيرية، وبرزت مكانة اليهود في مجال التجارة والأعمال، وكان رئيس صيرافة الوالي المعروف باسم "صراف باشا" يهودياً<sup>(3)</sup>. وتمتع اليهود في فلسطين وفي أماكن أخرى من الامبراطورية العثمانية بقسط كاف من الحرية الدينية، لم تكن من نصيبهم في أي بلد أوروبي، فخلال الحكم العثماني لم تتخذ أية إجراءات رسمية تستحق الذكر تناهض اليهود أو تميز بينهم وبين باقي السكان، كما كان الحال في معظم الدول الأوروبية<sup>(4)</sup>.

وتؤكد (الموسوعة اليهودية) بأن السلطان عبد الحميد الثاني عامل يهود الدولة العثمانية معاملة طيبة، ويشهد بذلك بعض المقربين إليه من اليهود أمثال "ارمينيوس فامبري" الذي صرح: أنه من خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان، كانت لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود. وكان أول حاكم تركي يعطيهم المساواة أمام القانون مع رعاياه المسلمين، وعندما أستلم الحكم أمر باعطاء رواتب شهرية لحاخام تركيا الأكبر، وعامله كما يعامل كبار موظفي الدولة، واتخذ تقليداً بأن يرسل سنوياً في عيد الفصح إلى حاخام القسطنطينية ثمانية آلاف فرنك لتوزع على فقراء اليهود، وعندما منعت حكومة كريت المحلية عام 1881م مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية، ألغى عبد الحميد هذه الانتخابات ووبخ السلطات لتعديها على حقوق اليهود<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الله أحمد صبري، السفارديم.. تدني اجتماعي وتطرف سياسي، في: القدس اون لاين، 10-10-2006.

(2) ج. هـ جانسن، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، مركز الأبحاث، بيروت، 1972م، ص 16

(3) محمد جلاء إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي-تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت.

(4) صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج 1، م.ت.ف، مركز الأبحاث- بيروت 1981م، ص 60

(5) حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897. 1909م)، الدار الجامعية-

بيروت، ط، 309. 310.

## منع هجرة اليهود إلى فلسطين

التزمت الدولة العثمانية بتطبيق القاعدة السياسية للدولة الإسلامية التي أباحت لرعاياها من اليهود والنصارى قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة، وتمتعوا بالمساواة التامة مع رعايا الدولة من المسلمين رغم بعض التحفظات، كما تمتعوا بالحرية الدينية، وكانوا يمارسون شعائرهم الدينية كلها، وقامت الدولة نحوهم بمسؤوليتها في حماية أرواحهم وممتلكاتهم<sup>(1)</sup>، وقد كان وصول المهاجرين اليهود إلى أراضي الدولة العثمانية، ومنها فلسطين يستقبل بعدم المبالاة، وينظر إليه نظرة إنسانية، خاصة أن هؤلاء المهاجرين كانوا يأتون للإقامة من أجل العبادة، ويهربون من المذابح التي يلاقونها في بلاد أخرى ليست من العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

وفي منتصف القرن الثامن عشر هاجر عدد من يهود بولندا وروسيا إلى فلسطين بسبب اضطهادهم هناك، واستقر معظمهم في صفد وطبريا، حيث لاقوا تحت حكم ضاهر العمر الحماية والأمن، كما لاقوا من مختلف السلاطين العثمانيين المعاملة الحسنة، ثم ازداد عددهم في أوائل القرن التاسع عشر، بعد أن ازداد تدفقهم من أسبانيا بسبب مظالم فرديناند الكاثوليكي وفيليب الثاني<sup>(3)</sup>، وفي بداية القرن السابع عشر تدفق يهود قادمون من أوروبا (الشرقية)، وزادت الهجرة مع ضعف الدولة العثمانية وازدياد نفوذ الدول الكبرى، وتضاعف الاضطهاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر<sup>(4)</sup>، حيث لم يواجه المهاجرون اليهود أي عقبة سياسية؛ لأن زعماء المسلمين لم يرفضوا في أي فترة السماح لليهود من البلدان الأجنبية بدخول فلسطين والاستيطان فيها، ولم يُمنح هذا السماح للمسيحيين الغربيين. ولكن بعد وصول أول فوج من المستوطنين الصهيونيين من رومانيا عام 1882م أصدر السلطان عبد الحميد لأول مرة في التاريخ عام 1885م أمراً يسمح بدخول اليهود كحجاج فقط لا كمستوطنين، على أن القانون لم ينفذ أبداً بصراحة، ولكن هذا القانون وما تلاه من قوانين تقييد الهجرة، كانت تنطبق فقط على اليهود الأجانب، أما مئات الآلاف من المواطنين اليهود في

---

(1) خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، تقديم: أنور محمود زناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015-ص173،

(2) موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية، ص3

(3) المصدر السابق

(4) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1

1996، ص112

البلدان المحيطة بفلسطين والخاضعة للامبراطورية العثمانية فقد كان باستطاعتهم دوماً الاستيطان في فلسطين<sup>(1)</sup>.

ففي الماضي كان يباح للأجنبي الاتجار مع البلاد العثمانية والمكوث فيها دون أن يملك أقل قطعة من الأرض؛ لأن الشرع الإسلامي لا يبيح له دخول البلاد الإسلامية إلا إذا قبل أحد أمرين: الجزية أو الإسلام، وإذا دخلها فلا يقيم بها إلا لأجل معين، إلى أن تغير ذلك في عام 1856م بصدر الخط الهمايوني الذي يساوي بين حق الأجنبي وحق العثماني في الامتلاك العقاري بالبلاد العثمانية، ولكن الأوامر الجديدة كانت تستثنى اليهود الأجانب من التملك في فلسطين، وقد أشارت جريدة المؤيد في 1891/11/5م بأن الدولة العلية كانت قد رحبت بالمهاجرين من يهود روسيا، ولكنها رأت بعد ذلك أنهم يفدون إلى البلاد التي يقصدونها زمراً وجماعات بحيث يضيع عنهم قضاء تلك البلدان، فلما تدبر الباب العالي في المضار التي تلحق الرعايا العثمانية من وفودهم بهذه الصفة اضطرت أن تمنع دخولهم الأراضي العثمانية<sup>(2)</sup>.

### تقييم لحياة اليهود في ظل الحكم الإسلامي

يعزو بعض المؤرخين سبب بقاء اليهود على قيد الحياة إلى استضافة المسلمين وحمائهم لهم، فكما يقول ج.ه. جانسن في كتابه: "الصهيونية وإسرائيل وآسيا: في مناسبتين من التاريخ اليهودي في أوروبا نرى أن بقاء اليهود على قيد الحياة يعود إلى استضافة وحماية الحكام المسلمين، كانت الفترة الأولى في القرن السادس عندما وضعت الفتوحات الإسلامية في أسبانيا حداً للاضطهاد اليهودي على يد المسيحيين هناك، ومنذ القرن العاشر فصاعداً أخذ الضغط على اليهود في أوروبا الغربية في الازدياد ببطء حتى إذا ما أطل القرن السادس عشر كانت تلك المنطقة بكاملها قد أفرغت من اليهود، حيث انتقلت الجاليات اليهودية نحو الشرق ووجدت ملجأً لها في الامبراطورية العثمانية<sup>(3)</sup>. ويقول الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية الفرد ليلنتال: أشار المؤرخون اليهود ان العصر الذهبي لليهودية امتد من القرون البائدة عام 711م عندما عاش اليهود متمتعين بالنفوذ والاحترام تحت السلطة الإسلامية في أسبانيا والبرتغال، وحين

(1) الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ص23

(2) خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (1918-1980م)، ص24-25، م.ت. ف، مركز

الأبحاث، بيروت، 1873م

(3) الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ص16

اضطر اليهود إلى الفرار من وجه مجالس التفتيش المسيحية، وجدوا ملجأ لهم في شمال أفريقيا والشرق الأوسط<sup>(1)</sup>.

ويقول الكاتب اليهودي الماركسي إبراهيم ليون: "عامل الإسلام اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لاقاه هذا الدين من جانب المسيحية، فكتيار إيديولوجي أعترف بحقه بالبقاء بالرغم من الهزيمة التي لحقت به". ويقول أيضاً: "وفي ظل الامبراطورية الإسلامية والدويلات التي قامت على أشلائها، ازدهرت التجارة بين مناطق متباعدة، وتقدم الانتاج الزراعي الخاص بكل إقليم، وراجت الصناعات اليدوية، وشارك اليهود كسائر السكان في هذا التقدم، ومارس عدد كبير منهم التجارة". يقول جواتين: "لقد أدت هذه الثورة البرجوازية إلى الأسراع في تحويل اليهود من شعب يمارس المهن اليدوية، إلى جماعة تهتم بصورة رئيسية بالتجارة، وتحولوا بدورهم إلى أمة تتكون من رجال الأعمال وباشروا القيام بدور رئيسي في نهضة الحضارة الجديدة"<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإنه ليس من المدهش أن اليهود الذين عاشوا في الأراضي الإسلامية في العصور الوسطى لم يحفظوا أية ذاكرة جماعية عن عنف قام به مسلمون ضد اليهود، ناهيك عن معاداة السامية<sup>(3)</sup>، وهذا على خلاف شديد مع إخوانهم الذين عاشوا في الأراضي المسيحية والذين رسموا تاريخهم على شكل سلسلة طويلة من المعاناة<sup>(4)</sup>، فقد طردوا من أوروبا الغربية وخلت من اليهود (إنكلترا عام 1290 م)، وقد عاشت الطوائف اليهودية في أوروبا في القرون الوسطى في نظام خاص، وهو النظام الذي يحصر فيه اليهود في أماكن معينة، وحين انتصر الإفرنج على المسلمين في الأندلس أشاعوا محاكم التفتيش، وكان على اليهود كما كان على المسلمين أن يختاروا بين (البقاء أو التنصّر)، والفرار والتنشريد.

---

(1) الفريد ليلينثال، هكذا يضيع الشرق الاوسط، دار العلم للملايين، 1957 ص 294-295.

(2) إبراهيم ليون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، دار الطليعة- بيروت، 1970، ص 156-157.

(3) هناك فتاوى سابقة على هذا العصر ألزمت يهود القيروان بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم وهيئاتهم، وأفتى يحيى بن عمر بن لبابة الأندلسي (ت.289هـ/901م)، أن يعاقب اليهود والنصارى الذين يتشبهون بالمسلمين بالضرب والحبس ويطاف بهم في مواضع اليهود والنصارى ليكون ذلك تحذيراً لهم لمن رآهم منهم وزجراً: يحيى بن عمر الأندلسي، كتاب أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي (صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرية) المجلد الرابع، العددان الأول والثاني، 1956 ص 128

(4) تعايش الأديان في الماضي، مصدر سابق

## يهود الدول العربية

كان يهود البلاد العربية يشكلون على الدوام جزءاً لا يتجزأ من السكان العرب، وقد امتزجوا على مر العصور في المجتمعات العربية، ومارسوا عاداتها وتقاليدها وأسلوب تفكيرها وطرق حياتها، ولم تترك حالات الاضطهاد والتضييق التي عاشها اليهود في أوروبا أثراً في حياة اليهود الموجودين في البلاد العربية، كما أن أكثر المراكز اليهودية ازدهاراً كانت في بلاد المسلمين مثل العراق خلال الحكم العباسي، وفي الأندلس وفيما بعد أيام السلطنة العثمانية وفي العصر الحديث، بل لقد قرر البعض أن الفكر والفلسفة وحتى القانون اليهودي ذاته، قد تم تصنيفها وتشكيلها تحت تأثير الحضارة العربية الإسلامية، كما تطورت اللغة العبرية في قواعدها وألفاظها طبقاً للغة العربية، بل استخدم اليهود اللغة العربية في شتى الأغراض الدينية والدينيوية<sup>(1)</sup>.

وتشهد الوقائع التاريخية أن عدداً كبيراً من يهود أوروبا لجأ إلى البلاد العربية رغبة في العيش بسلام واستقرار، بعد المجازر ومحاكم التفتيش التي تعرضوا إليها. وفي العصر الحديث لم تميز دساتير البلاد العربية بين المواطنين على أساس العرق أو اللون أو الدين. وعلى هذا الأساس تمتع يهود البلاد العربية بحقوقهم المدنية والسياسية كغيرهم من السكان؛ لأن اليهود لم يشكلوا وحدات ثقافية أو جغرافية منفصلة عن مجتمعاتهم العربية الأم. غير أن أوضاعهم قياساً بأوضاع أقرانهم في المجتمعات غير الإسلامية والعربية، اتسمت بالتسامح عامة، ويلاحظ أن نفوذ اليهود وانتعاشهم في المجتمعات الإسلامية ساراً على نحو مطرد مع قوة الحكم وضعفه، وكان تراجع اليهود عامة انعكاساً لحالة الضعف والتراجع التي أصابت المجتمعات الإسلامية ذاتها<sup>(2)</sup>.

وكانت البلاد العربية دائماً موثلاً لليهود من ضحايا الاضطهاد، ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن التاريخ اليهودي خير شاهد على ذلك، إذ يعترف بأن العرب أحسنوا معاملة اليهود عندما كانوا يهربون من وجه الطغاة من حكامهم في فلسطين، أو فرغاً من اضطهاد الرومان واليونانيين، فقد نزل أولئك اليهود الجزيرة العربية، فوجدوا منهم: أهلاً وسهلاً، وحينما جاء الإسلام أحسن معاملتهم مما دفع المؤرخ اليهودي الشهير جريتز إلى الاشادة بعدالة العرب وإنسانيتهم، في كتبه عن التاريخ اليهودي<sup>(3)</sup>.

- 
- (1) محمد جلال أدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي- تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت  
(2) أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مدى الكرمل، برنامج دراسات إسرائيل، أيلون 2014، ص6  
(3) سهام نصار، اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، العربي للنشر والتوزيع، ص8

## المبحث الثالث: تاريخ اليهود في البلاد العربية

إن ما عرضناه سابقاً عن تاريخ اليهود في البلاد العربية، وضح بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة وجودهم في البلاد العربية، وأنهم جزء أصيل من المنطقة العربية، عاشوا فيها منذ القدم وتنقلوا في جنباتها بكل حرية، ورحلوا طلباً للعيش قبل أن يطاردتهم أحد، بل هاجروا قبل السبي البابلي وبعد قيام (مملكة إسرائيل)، وفي القرن السادس قبل الميلاد زال كل أثر فعلي لليهود في فلسطين إلا من اندمج منهم بسكان البلاد الأصليين. ثم اتسع (تشثت) اليهود في مراكز الاقتصاد والتجارة (الإسكندرية وقرطاجه) قبل تدمير الهيكل سنة (70 م).

### تاريخ يهود العراق والتعايش العربي اليهودي

تشير بعض الكتب التاريخية والدراسات المتعلقة بيهود البلاد العربية إلى أن أصل يهود العراق يعود إلى الذين اقتيدوا إلى بابل على يد نبوخذ نصر (586 ق.م)، وتشير مصادر أخرى إلى حدوث حملات ضد اليهود قبل السبي البابلي، فقد قام ملك اشور (شلما نصر) عام 721 ق.م بحملة ضد هوشع ملك إسرائيل وحاصر خلالها مدينة السامرة<sup>(1)</sup>، لذا يعتبر اليهود في العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، وتقلبت أحوال الطائفة وفقاً لأحوال الإمبراطورية الفارسية، حتى جاء الفتح الإسلامي، حيث رأى اليهود فيه طوقاً للنجاة من الاضطهادات الفارسية، فاستقبلوا الفاتحين المسلمين بالرضا والسرور، وعاشوا فترة من الازدهار والأمان في ظل الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية، وبلغت قمة الازدهار في العصر العباسي بعامه.

وتشير الدلائل التاريخية إلى معرفة يهود العراق للغة العربية قبل الفتح العربي، حيث عاش بعض اليهود والنصارى في دولة الحيرة العربية، كما تم إجلاء يهود نجران إلى الكوفة العراقية حوالي سنة 20 هجرية<sup>(2)</sup>، ويضاف إلى ذلك كله احتكاك اليهود التجار بالشعوب الأخرى، وما يتطلب ذلك من إلمام بلغات الشعوب والأمم، أما بعد الفتح الإسلامي العربي للعراق فقد عمل كثير من يهود العراق تحت إمرة الولاة العرب في مجالات إدارية عديدة، بل ومنهم من عمل في مجال علوم اللغة العربية كالأدب والنحو<sup>(3)</sup>، وتحت الحكم الإسلامي تمتع يهود العراق بالاعتراف بهم "كأهل كتاب" وأهل ذمه داخل ديار الإسلام، وقرب العديد من

(1) اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ص18

(2) راجع: محمد بن عمر بالواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلي - بيروت، ط3- 1989.

(3) محمد جلاء إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت

الخلفاء أهل العلم والدراية من اليهود، ولا سيما الخليفة المأمون الشغوف بالعلم والعلماء، وصار رأس الجالوت يعد بفضل أهمية العراق عالمياً رئيس الطائفة اليهودية في العالم أجمع، واستفاد اليهود من جو التسامح والرعاية، فلمع منهم العديد من العلماء والأطباء والحرفيين والخبازين ورجال المال<sup>(1)</sup>.

وفي أعقاب سقوط بغداد في أيدي المغول، عانى اليهود العراقيون من اضطهادات المغول واضطر كثير منهم ترك المدينة والهروب إلى كردستان وسوريا، ويمكن القول عموماً إنه باستثناء هذه الفترة نعم اليهود في العراق بحياتهم وأمنوا على ممتلكاتهم، وتمتعوا بنفوذ كبير وبحرية دينية واقتصادية، وكانت لهم إداراتهم المدنية المستقلة ومحاكمهم الدينية الخاصة. وتذكر المصادر أنه كان لليهود العراق خلال القرن الثاني عشر الميلادي 10 مدارس دينية و238 كنيساً، وتكاد المصادر المختلفة تجمع على أن يهود العراق قد تمتعوا بجميع حقوقهم وحرياتهم وأن علاقاتهم مع المسلمين كانت طيبة للغاية، وأنهم لم يشهدوا ذلك "الغيتو" الذي شهده إخوانهم في الغرب<sup>(2)</sup>، وكان للطائفة اليهودية في العراق مؤسساتها الخيرية الخاصة التي تقدم لأفرادها الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية، ما جعل المستوى الاجتماعي العام للطائفة فوق المعدل العام للسكان، وقد كان للقوانين التركية التي صدرت منذ عام 1839 وحتى عام 1914 الفضل في تحسين أوضاع يهود العراق أسوة بغيرهم من يهود البلاد الإسلامية الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية، حتى أنهم توقفوا عن دفع الجزية التي كانت مقررة عليهم<sup>(3)</sup>.

أما فيما يتعلق بمشاركة الطائفة في الحياة السياسية العامة: فقد كان لليهود مندوب تنتخبه الطائفة، ليمثلها في مجلس "المبعوثين" الذي افتتحه الأتراك عام 1876، ولما أعلن الدستور العثماني عام 1908 قابله اليهود بالترحاب، ورحبوا بالحكومة العراقية الجديدة تحت الانتداب البريطاني، وتم تعيين اليهودي ساسون حزقيال أول وزير للمالية عام 1921، بالإضافة إلى يهود آخرين تولوا مناصب حكومية مهمة في العراق، وقد تحسن الوضع الاقتصادي لليهود العراقيين بشكل ثابت بعد الحرب العالمية الأولى، كما ارتقى نظام التعليم اليهودي وأصبح أكثر انتشاراً، وكانت نسبة خريجي الجامعات بينهم أعلى كثيراً من نسبة سائر العراقيين.

---

(1) اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ص19  
(2) يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، الجزيرة نت--4e0a-176c-d1066ef7-  
www.aljazeera.net/.../2c1-c82c3540c92

(3) المصدر نفسه.

أما موقف الحركة الوطنية التحررية من اليهود: فإن الوطنيين العراقيين نظروا إلى اليهود بينهم باعتبارهم إخواناً لهم ورفاق طريق، وحثت قيادة ثورة العشرين ضد البريطانيين العراقيين المسلمين على توحيد نشاطاتهم السياسية مع رفاقهم المواطنين اليهود والمسيحيين، وشارك عدد من يهود بغداد المسلمين والمسيحيين سنة 1929 في إدانة السياسة البريطانية في فلسطين أو باستثناء بعض الحوادث التي وقعت نتيجة عوامل خارجية، لم يواجه يهود العراق أي مصاعب من قبل المسلمين، وبخاصة في الفترة الواقعة من منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر وحتى الهجرة الجماعية من العراق في منتصف القرن العشرين<sup>(1)</sup>

### ربيع بغداد

تشكلت في الفضاء الإسلامي العربي هوية يهودية جماعية كانت مرتبطة، بالثقافة الإسلامية، وهذه الهوية كانت جزءاً في نسيج من أقليات دينية وعرقية عديدة، فيهود العراق على سبيل المثال والذين كانوا عرباً في ثقافتهم، استخدموا اللغة والموسيقى العربيتين حتى في تراتيلهم وشعائهم الدينية، ونزعات القرن العشرين الليبرالية والعلمانية والقومية عززت أكثر الرابطة بين يهود العراق وبين الثقافة العربية، وفسحت المجال أمام اليهود لاحتلال مكان مرموق في الحياة العامة والحياة الثقافية، وقد لعب كتاب وشعراء ومثقفون يهود دوراً حيوياً في الثقافة العربية، وتميزوا كمسرحيين وممثلين في المسرح العراقي الناطق بالعربية، وكمغنين وملحنين وعازفين في موسيقى المقام، وكمترجمين عملوا على نشر آداب من لغات مختلفة بالعربية.

وفي عشرينات القرن العشرين، وفي ظل حكم الملك فيصل عاشت بغداد ما يمكن تسميته بربيع بغداد، لكنه كان قصيراً، لسوء الحظ. ولو نجحت بغداد في ذلك الزمان أن تورث لأهالي الشرق الأوسط، على جميع مذاهيمهم، تلك القيم الحضارية والإنسانية التي تشكل منها ربيعها المشرق لكان تاريخ المنطقة اليوم محفوظاً بالرفاهية والازدهار بعيداً عما جرّبه أهاليها من ويلات الحروب والضعينة المتبادلة طيلة معظم عقود القرن الماضي. وكانت هذه إحدى أعظم الفرص التي تم تفويتها في تاريخ هذا الجزء من العالم. وقد تمتع يهود بغداد، مثلهم مثل سكانها الآخرين، بثمار هذا الربيع الذي بدأ بعد تأسيس الدولة العراقية، وكان لديهم الكثير من الأسباب التي حدت بهم إلى الاعتقاد بأن المجتمع المحلي المحيط بهم، وفي مقدمته الملك فيصل (1883-1933)، كان يروم دمجهم التام بكل ما أوتي من قوة<sup>(2)</sup>.

(1) محمد جلاء إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت.  
(2) رؤوبين سني، اليهود العرب، للغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن =

وقبل وصوله إلى العراق، ألقى الأمير فيصل خطاباً أمام النادي العربي بحلب في 9 حزيران 1919 قال فيه: نحن عرب قبل موسى ومحمد وعيسى وإبراهيم. نحن عرب تجمعتنا الحياة ويفرّقنا الموت<sup>(1)</sup>، وبعد وصوله إلى بغداد، وقبل تتويجه ملكاً على العراق، خاطب في الثامن عشر من شهر يوليو 1921، زعماء الجالية اليهودية قائلاً: لا شيء في عرف الوطنية اسمه مسلم ومسيحي وإسرائيلي، بل هناك شيء يقال له العراق... إني أطلب من أبناء وطني العراقيين أن لا يكونوا إلّا عراقيين، لأننا نرجع إلى أرومة واحدة ودوحة واحدة، هي دوحة جدّنا سام وكلنا منسوبون إلى العنصر السامي، ولا فرق في ذلك بين المسلم والمسيحي واليهودي... وليس لنا اليوم إلّا واسطة القومية القويّة التأثير. كما أكّد وقتذاك ساطع الحصري (1880-1968)، المدير العام للتربية والتعليم في العراق، أن: "كلّ من يتكلم العربية فهو عربي"، وهذه التصريحات من قبل القائمين على العراق الحديث مهّدت الطريق أمام تأسيس مجتمع متعدّد الثقافات منفتح على جميع الطوائف والمثّل دُعي للانضمام إليه السكان من المنحدرات المختلفة. وبُنيت هويّة من قرّر الانضمام إلى ذلك الوطن على الإيجابية والشعور بالانتماء أكثر مما بنيت على السلبية والاختلاف<sup>(2)</sup>.

وبرز في ذلك الوقت عدد كبير من الكتّاب والشعراء اليهود المتميزين ممن كانت أعمالهم المكتوبة باللغة العربية تحظى بتقدير كبير، وشارك عدد من اليهود في إنشاء الصحف والمجلات وتحريرها، كما تميّز كثيرون من يهود العراق بالموسيقى<sup>(3)</sup>، وفي العاشر من شهر أبريل 1924 صدر العدد الأول من مجلة المصباح العربية. وكان صاحبها ورئيس تحريرها ومعظم كتابها من اليهود. وكان هدف المجلة أن تكون جزءاً من الثقافة العراقية العربية السائدة دون أن تكون لها أيّة غاية يهودية ضيّقة على الإطلاق، وجسد صدور المصباح التحوّل العظيم الذي طرأ على الحياة الثقافية لأبناء الجالية اليهودية التي بدأ أعضاؤها المثقّفون الشباب يعتبرون أنفسهم جزءاً من الأمة العراقية-العربية الجديدة وطبقته المثقفة.

---

= معهد غوته، الإصدار 91، وقد ترجم هذه المقالة عن الإنجليزية ماجد الخطيب، وراجعها ونقحها رؤوبين سنير نفسه

(1) رؤوبين سنير، اليهود العرب: اللغة والشعر والهويّة المتفرّدة

<http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/spr/ar4980308.htm>

(2) اليهود العرب: اللغة والشعر والهويّة المتفرّدة

<http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/spr/ar4980308.htm>

(3) محمد جلاء إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت.

وصارت الطائفة اليهودية، منذ أواخر القرن التاسع عشر، تؤدي دوراً بارزاً في مجالات الائتمان والمصارف والتجارة الخارجية، وبلغت مساهمتهم في الحركة الاقتصادية أوجها قبيل الحرب العالمية الثانية. وفي عشرينيات القرن العشرين، شكّل يهود بغداد أكبر مجموعة تجارية، سواء من حيث العدد أو الثراء، وبلغ عدد أعضاء غرفة تجارة بغداد من اليهود 212 عضواً، أو 43 في المئة من مجموع الأعضاء البالغ 498 عضواً، وكان أكثر من نصف الأعضاء الثمانية عشر بغرفة تجارة بغداد يهود، بينهم الرئيس والسكرتير، وحين انعقد المجلس التأسيسي العراقي المؤلف من (100) عضو سنة 1924 كان منهم (5) أعضاء من اليهود<sup>(1)</sup> يقول نسيم رجوان: "إنه يمكن أن يقول المرء بكل ثقة إن بغداد كانت يهودية في النصف الأول من القرن العشرين، كما كان يقال: إن نيويورك مدينة يهودية، وكان الأفق الحقيقي ليهود العراق على الأقل من وجهة نظر النخبة المثقفة عراقياً وعربياً،

لقد جمعت مظلة العروبة العراقية جميع أبناء المجتمع المحلي على اختلاف دياناتهم"<sup>(2)</sup>. كما برز دور اليهود العراقيين في مجال الخدمة المدنية، فكانت أغلبية الموظفين العاملين في خط سكة الحديد وميناء البصرة وشركة النفط العراقية من اليهود، كما كان ساسون حكيم حسيقل وزيراً للمالية في أول حكومة ألّفها السير بيرسي كوكس المفوض السامي البريطاني في العراق<sup>(3)</sup>.

ويكفي بنا أن نقتبس مما كتبه أرنولد تالبوت ويلسون، المفوض المدني المؤقت في بلاد الرافدين في الفترة ما بين 1918 و1920، في سجلاته عن تلك الفترة: "ناقشت وعد بلفور وقتذاك مع العديد من أعضاء الجالية اليهودية الذين كنّا على وفاق معهم. علّقوا بالقول إن فلسطين بلد فقير، والقدس مدينة غير صالحة للسكن، وبلاد الرافدين جنة مقارنة بفلسطين". قال أحدهم: "العراق جنة عدن ومن هذا البلد طرد آدم - أعطونا حكومة جيّدة وسنجعل البلد يزدهر - وادي الرافدين وطننا؛ وطن قومي سيفرح يهود بومباي وفارس وتركيا للقدوم إليه! تتوفر هنا الحرية والفرصة! قد تتوفر في فلسطين الحرية، ولكن لن تتوفر فيها الفرصة". وقال الصحفي اليهودي عزرا حداد (1900-1972) في أواخر الثلاثينات: "نحن عرب قبل أن نكون يهوداً"، كما كتب الأديب يعقوب بلبول (1920-2004) لا يتوقع الشباب اليهودي في البلدان

(1) اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ص33

(2) اليهود العرب، اللغة والشعور والهوية المتفردة.

(3) يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت.

العربية من الصهيونية غير الاستعمار والهيمنة<sup>(1)</sup>.

كان المجتمع اليهودي في العراق أحد أكبر المجتمعات اليهودية العربية وأعرقها؛ وقدر عديده قبل عمليات التهجير، بحوالي 135-150 ألف نفس، توزع معظمهم في المدن الكبرى<sup>(2)</sup>، والإدارة البريطانية قدرّت سنة 1920 عدد اليهود بـ 58,000 شخص. أما وفقاً للإحصاءات العراقية الرسمية بلغ عدد أفراد الطائفة اليهودية 117,000 شخص، أو 6,2 % من المجموع الكلي للسكان<sup>(3)</sup>، وقد أقام 74% من يهود العراق في مدينتي بغداد والبصرة، وفقاً لإحصاء سنة 1947، وتشير الإحصائيات إلى أن يهود بغداد شكلوا يوماً ما ثلث سكان المدينة، وكان بعض يهود بغداد من أغنى أغنياء اليهود في العالم، صيارفة، وتجاراً دوليين<sup>(4)</sup>.

### يهود اليمن بين الجذور والتاريخ

من الثابت أن يهود اليمن هم من أقدم يهود العالم على الإطلاق، وتعود أبكر الروايات بالوجود اليهودي في اليمن إلى القرن العاشر قبل الميلاد، عندما أرسل النبي سليمان "عليه السلام" مرافقين مع ملكة سبأ حال عودتها إلى مملكتها، بعد زيارتها له، واعتناقها لدينه حسب ما جاء في سفر الملوك الإصحاح العاشر، في حين تُرجع الرواية الثانية الوجود اليهودي إلى مرحلة الأسر البابلي على يد نبوخذ نصر، حيث تمكن عدد من اليهود من النجاة بأنفسهم وأموالهم وأولادهم إلى شمال الجزيرة العربية وصولاً إلى جنوبها حيث اليمن، وكان ذلك في أعقاب خراب الهيكل الأول عام 586 ق. م<sup>(5)</sup>، أما الرواية الثالثة فتشير إلى أن اليمن كانت ملاذهم حيث هاجروا إليها بعد غزو الامبراطور الروماني تيبوتس لفلسطين عام 63 ق. م<sup>(6)</sup>، وبالنسبة للرواية العربية التي رواها ابن هشام فتذكر أن الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب،

(1) اليهود العرب: اللغة والشعر والهوية المتفردة

<http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/spr/ar4980308.htm>

(2) نصر شمالي، الظروف التاريخية للهجرة اليهودية، هشام دجاني، دمشق: دار المستقبل 1990. ص 178

(3) عباس شبلق، هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٥ ماهر الشريف- مجلة المستقبل العربي ص 156

(4) مازن لطيف، يهود بغداد والصهيونية 1920-1948، موقع المدى للإعلام والثقافة والفنون، ملاحق المدى الأسبوعية، تاريخ، 5 كانون الثاني 2012

(5) كامليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسته سياسية واقتصادية واجتماعية، دارمعد، ط 1 1999، ص 16

(6) اليهود في الشرق الاوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد ص 64

تعرف على حبرين يهوديين حال مروره بيثرب بعد عودته من حرب في المشرق فاصطحبهما معه إلى اليمن، وكانا قد تمكننا من ثنيه عن تدمير الكعبة حال مروره بمكة، وخلال مسيرهما معه إلى اليمن، تمكن الإعجاب بهما من قلبه، فاعتنق دينهما وحض شعبه على ذلك<sup>(1)</sup>.

وبعد ظهور الإسلام لم تمض مدة طويلة على هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حتى كان معظم اليمن قد دخل في الإسلام محبة ورغبة، فكان أن تلاشت مختلف المذاهب والأديان الوثنية، وانحسر نطاق الأديان السماوية الأخرى، دون أن يواجهوا معارضة من الدين الجديد، ونتيجة لذلك فقد حفظ المسلمون عبر مختلف الفترات الزمنية للطائفة اليهودية في اليمن حقوقهم المادية والمعنوية، فتحسنت أوضاعهم الاجتماعية والحياتية في ظل الأمن الذي كفله الإسلام لهم. وقد عمدت الدولة العثمانية خلال حكمها اليمن على تعيين شخص على رأس الطائفة اليهودية عرف بالحاخام باشا، والذي منح حق إصدار الأحكام على أبناء الطائفة، واستمر المنصب قائماً في عهد الأئمة وبخاصة الإمام يحيى، الذي تعززت على عهده سلطة الحاخام على الطائفة، بحيث لم يكن لأحد دون الإمام نقض ما أبرمه من حكم.

وعلى مدى قرون عده تمتع يهود اليمن بحرية العمل والتنقل والأمان في ظل سلطه الحاكم... ويؤكد الرحالة اليهودي يوسف هاليفي أن اليهود في منطقة نجران تمتعوا بقدر كبير من الاحترام والحرية والاندماج، ومن الأعراف الدالة على التشدد في حماية اليهودي وحقوقه في المجتمع اليمني، أنه عندما كانت تحصل سرقة ما من أموال أو ممتلكات يهودية، كان العرف القبلي يحكم ليس فقط باسترداد المسروقات، بل بدفع غرامه عشرة أضعاف قيمة المسروقات، ويفرض على السارق أن ينحر خروفاً أمام دار الجار تأكيداً للصلح، ومن مظاهر الكرم والتسامح العربيين، أن شيخ القبيلة غالباً ما كان يتحمل أعباء مادية عن اليهود الفقراء في منطقة نفوذ قبيلته.. فقبائل بلاد أرحب أشفقوا على يهود بلاد أرحب ودفَعوا عنهم الجزية<sup>(2)</sup>.

وعليه يتضح مما سبق أن الطائفة اليهودية اليمنية التي ينتهي غالبيتها للأرومة العربية الجنوبية، قد عاشت طوال أربعة عشر قرناً من حكم المسلمين في أجواء من التسامح الديني والحياتي الذي أمكنهم من خلاله المحافظة على هويتهم الدينية، ومختلف عاداتهم وتقاليدهم، في ظل منطقة عرفت بتقلياتها، وقد اتصف اليهود اليمنيون بأنهم أناس عصاميون كادحون،

(1) السيرة النبوية لابن هشام، ص141

(2) يهود اليمن: دراسته سياسية واقتصادية واجتماعية، ص156-157

استطاعوا أن يحافظوا على التراث اليهودي عبر العصور حتى في أحلك الظروف، ويتفرد اليهود اليمينيون بأشياء عديدة، فهم يمثلون أنموذجاً مصغراً لليهود العرب في الشرق الأوسط بقيمتهم وثقافتهم والتي تتجلى في ملبسهم ومأكلمهم وتقاليدهم الزواج والموسيقى، والعديد من أنماط الحياة الدينية والعامية والتي تشابه نمط الحياة العربية<sup>(1)</sup>.

## يهود سوريا

تشيع المصادر اليهودية أن وجود اليهود في سوريا وكذلك لبنان، قديم جداً ويعود إلى عهد الهيكل الثاني الممتدة بين عامي 538-516 ق.م، وتواجدوا آنذاك في أنطاكية<sup>(2)</sup>، ويعود معظم يهود سورية ولبنان إلى أصول فلسطينية أو أندلسية، وقد كان موطنهم الأساسي في سورية في دمشق وحلب، ولم يتجاوز تعدادهم خلال القرن 18 بضعة آلاف، مع وجود تجمعات صغيرة انتشرت في حمص وحماة وبعليك، وبشكل أقل في طرابلس وبيروت وصيدا، وبشكل محدود في بعض قرى جبل لبنان الدرزية دير القمر وفي حاصبيا<sup>(3)</sup>.

وكانت دمشق الشام ملجأ لليهود الديار المقدسة الذين فروا من ملاحقة الصليبيين ومن الأمراض والأوبئة، وقد استوطن فيها كهنة معروفون أقاموا المدارس الدينية، وكانت الشام ملجأ للهاربين من محاكم التفتيش في أسبانيا وللهاربين من يهود بلاد فارس، تركيا وبلدان أخرى. وقد وجد المقدسي سنة 985م أن أكثر الصيرافة وأرباب البنوك في سوريا يهود، وأكثر الكتبة والأطباء نصارى، وتصف كاتبة يهودية في كتابها "دمشق مدينتي" الطائفة اليهودية في دمشق حتى قيام إسرائيل: "بأنها كانت طائفة كبيرة تطفح بالحياة والنشاط الفكري والثقافي"<sup>(4)</sup>، وينقل الدكتور إميل توما عن كتاب جون بروغ (تقرير حول سوريا) وصف أحوال اليهود في ظل الإسلام: "أن التجار اليهود الأجانب في دمشق هم الفئة الأغنى بين التجار، وذكر عائلتين تملك

---

(1) أفرام أيزاك، اليهودية والإسلام في اليمن، دراسة للتفاعل التاريخي والثقافي، محفوظة لمركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث\* المسار اليمني.

(2) اليهود في الشرق الأوسط - الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ص38

(3) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ نظرة مكثفة على تاريخ اليهود الشرقيين في المنطقة العربية، ورد فعلهم تجاه الحركة الصهيونية، ص13

(4) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين، الوحدة الإسلامية،

السنة الحادية عشر، ع 131، نوفمبر 2012

كل منهما مليون ونصف مليون جنيه، وهذه ثروة ضخمة في ذلك الحين، وأضاف أن أكثر البيوتات التجارية تتعامل مع بريطانيا<sup>(1)</sup>.

ولم يختلف يهود بلاد الشام عن الشاميين من حيث الأخلاق والعادات إلا فيما يتعلق بالعبادة الدينية الخاصة بهم، وكانت لأسمائهم دخل قوى في الألفة مع مسلمي الشام، فكانوا يسمون أبناءهم بأسماء عربية<sup>(2)</sup>، ويذكر كويرى بيكنجهام الذى زار دمشق في 1816م أن تعدادها 100000 نسمة منهم خمسة عشر ألف يهودي<sup>(3)</sup>. وقد اندمج يهود دمشق شأن يهود البلدان العربية في حياة العرب، وتمتعوا بجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطنون العرب، وهذا أمر لم يتوافر لليهود في أي مكان آخر، و أكد النائب اليهودي وحيد مزراحي في جلسة المجلس النيابي السوري بتاريخ 1947/12/1 أن الطائفة اليهودية تتمتع بحقوق متساوية مع سائر المواطنين السوريين، وبرغم اندلاع حرب فلسطين لم تتغير أوضاع اليهود في سوريا، حيث أصدرت الحكومة السورية بياناً يدعو كل اليهود الذين غادروا عام 1947 إلى العودة إلى أماكن إقامتهم<sup>(4)</sup>.

### اليهود في فلسطين

أن استعراض أوضاع يهود فلسطين في عصور تاريخية مختلفة، وصولاً إلى العقد الثاني من القرن العشرين، يدعو إلى الاعتقاد أن يهود فلسطين رغم فترات استقرارهم القليلة والقصيرة زمنياً في فلسطين لم يشكلوا غالبية سكان البلاد، حيث أنهم اتخذوا من فلسطين محطه في طريقهم نحو بلاد أخرى، وتم استقرار بعض اليهود في فلسطين، أو قدوم بعض اليهود من خارج فلسطين للاستيطان فيها بشكل سلمي، ولدوافع دينية صوفية بحثه جعلتهم يتمركزون في أحياء محدوده في بعض مدن فلسطين، ولاسيما القدس وطبرية وصفد، ولم ينشأ أي جوعدائي مع سكان البلاد سواء المسلمين منهم أو المسيحيين<sup>(5)</sup>.

ويقدر عدد اليهود الذين كانوا في فلسطين عام 1814 م بحوالي 10.000 يهودي فقط، وفي عام 1914م مجرد 35.000 يهودي من بين 12.000.000 يهودي، يرددون في صلواتهم ثلاث مرات

---

(1) أميل توما، جذور القضية الفلسطينية، المكتبة الشعبية بالناصره- مطبعة الاتحاد حيفا، ص18

(2) يهود دمشق، ص7

(3) يوسف نعيسه، يهود دمشق، دارالمعرفه دمشق، 1998، ص9

(4) اليهود في الشرق الأوسط - الخروج الاخير من الجيتو الجديد ص47

(5) اليهود في الشرق الأوسط - الخروج الاخير من الجيتو الجديد، ص60

في اليوم أنهم لن ينسوا أورشليم والعودة إلى أرض الميعاد، ورغم ما كتب عن المكانة التي تشغلها فلسطين في قلب الشعب اليهودي، إلا أنها كأرض للعيش لم يكن لها إلا تأثير ضئيل على الفرد اليهودي، وأشار داعية صهيوني إلى التوبيخ الذي يحس به لأن اليهود هم أقل طائفة من بين الطوائف الأخرى التي تقصد إلى فلسطين<sup>(1)</sup>.

ووفقاً للإحصائيات الرسمية للوكالة اليهودية، بلغ عدد اليهود في فلسطين 25 ألفاً في سنة 1881، وكانوا وفقاً لمعظم الشهادات من ذلك العصر، يعيشون بسلام وجيرة حسنة وفي كثير من الحالات عاشوا في صداقة مع جيرانهم العرب الفلسطينيين، فأسسوا على سبيل المثال، مدارس كان يرتادها اليهود والمسلمون والمسيحيون جميعاً<sup>(2)</sup>، يقول أحد يهود فلسطين: عندما بدأ اليهود الأشكناز يتدفقون علينا كنا نحن والعرب أقرب إلى بعضنا البعض مما نحن قريبون من اليهود الأشكناز، فبناء على وثائق الأمم المتحدة حول فلسطين، كان الفلسطينيون العرب ينظرون إلى جيرانهم اليهود نظرة إيجابية للغاية، وفي حينه عندما توجه ممثل العرب الفلسطينيين إلى الأمم المتحدة، جمال الحسيني (سنة 1947)، قال بمنتهى الوضوح: "إن العرب واليهود عاشوا بحسن جوار متين، ولا مانع لدى العرب من أن يظل هؤلاء اليهود في فلسطين، معتبراً إياهم مواطنين أصليين"<sup>(3)</sup>.

وتشير الأرقام والإحصاءات للتركيبة الطائفية لمدينة صفد خلال الفترة الممتدة من 1840 إلى 1918، إلى أن المدينة كانت خليطاً من مسلمين شكلوا ما نسبته 53.76% ويهود بلغوا 37% وأقلية مسيحية لم تتجاوز 0.11%، أما يهود المدينة فغالبيتهم كانوا من الأشكناز الذين أتوا إلى المدينة من أطراف الامبراطورية النمساوية - المجرية في شرق أوروبا، ومن المتدينين المتشددون الذين كانوا يعيشون على أموال الصدقات والتبرعات التي تأتيهم من يهود أوروبا، ونسبة أقل من اليهود الشرقيين من أصول عربية أتوا من مراكش والجزائر وإيران كانوا يتحدثون اللغة العربية، وكانوا أقرب في حياتهم من عادات السكان العرب<sup>(4)</sup>.

---

(1) انظر: رفيق شاكر النتشة، الاستعمار وفلسطين (إسرائيل مشروع استعماري)، دار الجليل - عمان، 1984/

صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج1، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت 1981م، ص23

(2) شرون قومش، صدام العرب اليهود بالصهيونية، ترجمة: سماح إدريس، الآداب، الأعداد 7، 2008، ص33.

<<http://adabmag.com/node/70>

(3) نظير مجلي، يهود فلسطين: الاقتراب من الماضي، جريدة الشرق الاوسط، الجمعة 10 جمادى الاولى 1429

هـ 16 مايو 2008، ع 10762- تل أبيب:

(4) رندی حيدر، اليهود والعرب: تجربة التعايش... فالعداء، 26 - أيلول (سبتمبر) 2005.

## اليهود في مصر

وجد اليهود في مصر خلال عصور التاريخ المختلفة ملجأً وملاداً في أوقات الأزمات التي مروا بها، ففي عام 1650 ق.م، هاجر سيدنا يعقوب وأولاده إلى مصر بسبب القحط الشديد الذي أصاب فلسطين، حيث مكثوا بها 350 سنة، وعلى الرغم من خروج موسى بالإسرائيليين عام 1300 ق.م، إلا أن علاقتهم بمصر لم تنقطع، وقد ثبت تاريخياً وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد<sup>(1)</sup>، ولذا يعتبر اليهود في مصر من أقدم الجاليات اليهودية في العالم، يثبت ذلك ما ورد في أوراق البردي، كما أن الرسائل والوثائق القانونية المكتوبة باللغة الآرامية، تفيد عن حياة طائفة من الجنود اليهود، كانت تشكل جزءاً من حامية مكلفة بحفظ الحدود المصرية، وتغطي تلك الوثائق الفترة من 495-399 ق.م.<sup>(2)</sup>

وترى المصادر الإسرائيلية والصهيونية، أن اليهود سكنوا مصر منذ العهد التوراتي، حيث كانت مصر بمثابة مهد الثقافة والتعليم اليهودي في المنطقة حتى العصر الحديث<sup>(3)</sup>. ويرى البعض أن جزءاً من يهود مصر هم من أحفاد اليهود القدماء الذين خلفهم موسى وراءه عند خروجه منها، وفر آخرون إلى مصر بعد التدمير الأول الذي انزله البابليون بهيكل القدس. وفي عام 250 ق.م يحدثنا فيلو أنه كان في الاسكندرية يهوداً أكثر مما كان في القدس<sup>(4)</sup>، ويعود تاريخ اليهود في الاسكندرية إلى زمن تأسيس المدينة، من قبل الاسكندر الأكبر عام 332 ق.م، وقد شاركوا في بنائها، وكانوا يشكلون نسبة عالية من سكانها. وقد منحهم بتولوميس حياً مستقلاً، وحين قام الفتح العربي لمصر لم يلق الدعم فقط في أوساط الأقباط وغيرهم من المسيحيين، بل أيضاً من اليهود الذين لم يكونوا راضين عن فساد بطريك الاسكندرية، ولم يكن يرغب اليهود بالتعاطف مع سادة مصر السابقين. ففي 629، قام الامبراطور هيراقليوس بطرد اليهود من القدس، مما تسبب بمذابح في جميع أنحاء الإمبراطورية، ومنها مصر، وقد نصت "معاهدة الاسكندرية" عام 641، التي توجت فتح مصر، صراحة على السماح لليهود البقاء في المدينة، وذكرت المصادر العربية أن عدد يهود الاسكندرية كان حوالي أربعين ألفاً عندما فتحها عمرو بن العاص، وقد فرضت عليهم الجزية<sup>(5)</sup>.

(1) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، ص 7

(2) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، ط 1، 1993، ص 9

(3) يهود البلاد العربية، ص 265-268.

(4) الفريد ليلينثال، هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص 294-295.

(5) اليهود في مصر، د قاسم عبده قاسم، ص 10/ أو تاريخ ابن البطريق ص 26، الفضائل الباهرة في محاسن

مصر والقاهرة ص 99

وفي ظل الخلفاء الأمويين والعباسيين (641-868)، فإنه لا يعرف إلا القليل جداً عن مصير اليهود في مصر، وبالرغم من الاضطهادات التي جرت أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، فإن العصر الفاطمي يجب أن يؤخذ كله باعتباره العصر الذهبي لأهل الذمة من اليهود والنصارى<sup>(1)</sup>، حيث قامت المدارس التلمودية، وحصل اليهود على مناصب عليا في المجتمع المصري، ومنهم يعقوب بن كيليس، ويبدو أن مكانة اليهود في العصر الفاطمي قد بلغت حداً استفز مشاعر المعاصرين حتى حسدهم المسلمون أنهم أصبحوا مقربين من أولى الأمر ومن السلاطين، وهناك شاعر مصري ساخر اسمه الحسن بن خرقان له أبيات يقول فيها:

يهود هذا الزمان قد بلغوا \*\*\* غايات آمالهم وقد ملكوا المجد  
 فيهم والمال عندهم \*\*\* ومنهم المستشار والملك  
 يا أهل مصر إني نصحت \*\*\* لكم تهودوا فقد تهود الملك<sup>(2)</sup>

كما أن التسهيلات في دار الإسلام الشاسعة، أتاحت لليهود فرصاً لم يسبق لها مثيل للمشاركة في النشاط التجاري المزدهر في العالم الإسلامي، وفي التنقل في أرجاء دار الإسلام بحرية كبيرة جعلتهم يهاجرون إلى مصر من شتى أنحاء العالم الإسلامي<sup>(3)</sup>، وفي بداية القرن الثاني عشر، عين اليهودي أبو منجي بن شعيا على رأس وزارة الزراعة. وفي ظل الوزير الأفضل عام (1137)، وكان وزير المالية من التابعة اليهودية وفي عهد صلاح الدين كان ابن ميمون طبيبه الخاص، وعندما اشتد المرض بأحمد بن طولون نودي في الرعاية بالدعاء له بالشفاء، وقد خرجت أفواج من الرعاية بينهم اليهود بتوراتهم، والنصارى بأناجيلهم، وخرج سائر العلماء والصلحاء وهم يدعون لله له بالعافية والشفاء<sup>(4)</sup>.

وهكذا عاش اليهود في مصر الإسلامية، باعتبارهم مصريين لم يعرفوا لهم وطناً آخر، وتحدثوا لغة المصريين، وغنوا أغانيهم، ونظموا أشعارهم، ومارسوا حياتهم الاجتماعية، ولا غرو

(1) اليهود في مصر، ص 138

(2) ابن ميسرتقي الدين المقرئ المنتقى من أخبار مصر، ت: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة 1981، ج 2، ص 4-5، حسن السيوطي، المسبجي، أخبار مصر ج 4 ص 29 محاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج 2 ص 129

(3) اليهود في مصر، ص 11

(4) يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، 2010 ج 3، ص 18، الكندي، الولاية والقضاة ص 321

فقد كانوا جزءًا عضويًا من الكل المصري، وينبغي بحث تاريخهم باعتبارهم مصريين أولاً وأخيراً، شأنهم في ذلك شأن الأقباط النصارى، والذين يبحثون في تاريخ اليهود باعتبارهم يهودًا ينزلقون إلى خطأ منهجي فادح<sup>(1)</sup>، والمجتمع لم يعتبر اليهود جالية أجنبية. وإنما اعتبرهم مصريين يعتنقون الدين اليهودي، وعاشوا في نفس الأحياء التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون. بل إنهم شاركوهم أحيانًا في سكنى البيوت نفسها، كذلك فإن السلوك الاجتماعي لليهود المصريين لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصري في الطعام والملابس، وإنهم عملوا في كل الحرف التي عرفها المجتمع المصري<sup>(2)</sup>، وعاشوا طوال ألف سنة جنباً إلى جنب مع المسلمين. ووجدوا ملاذاً لهم في مصر نجاهم من الاضطهادات النصرانية في أسبانيا والبرتغال خلال القرن الخامس، وكذلك أثناء الثورة الروسية والحكم الهتلري<sup>(3)</sup>.

### يهود مصر في العصر الحديث

اعتبر غزو نابليون لمصر عام 1798، بما حمله من الأفكار وتكنولوجيات الغرب الحديثة بمثابة نقطة تحول في تاريخ اليهود في الشرق الأوسط. وشهدت الطائفة اليهودية في مصر ومنذ تولى اسرة محمد علي حكم البلاد (1805-1948) تطوراً وازدهاراً، فقد تمتعت برعاية الحكومة، كما شجع التسامح الديني الذي اشتهر به محمد علي واهتمامه ببناء مصر الحديثة على قدوم الأجانب إلى البلاد<sup>(4)</sup>، ولذا ارتفع تعداد اليهود مع نهاية حكم محمد علي إلى أكثر من 25 ألف يهودي، وحين جاء إسماعيل باشا وانفتح بشدة على الأوروبيين، ازدادت الهجرة اليهودية إلى مصر حتى بلغ العدد 63 ألف يهودي، وأخذ العدد في التزايد مع الاحتلال البريطاني لمصر، وتملك اليهود الشركات وسيطروا على رؤوس الأموال<sup>(5)</sup>.

والمتتبع لشئون المال والتجارة يجد أن لليهود دورهم المؤثر والبالغ في تاريخ مصر الحديث<sup>(6)</sup>، وكان منهم الأطباء والمهندسون والحرفيون وأصحاب الأعمال والوزراء، فقد تسلم

(1) اليهود في مصر، ص 167

(2) نفس المصدر، ص 165

(3) هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص 294-295.

(4) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950، ص 12

(5) اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، سهام نصار، دار العربي للطباعة-بيروت، ١٩٨١، ص ١٢

(6) نبيل عبد الحميد سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي 1948-1956، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، 1991- ص 23

أحدهم وهو يوسف باشا قطاوي منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول عام 1924، ثم اختير وزيراً للمواصلات في حكومة أحمد زيود باشا عام 1925<sup>(1)</sup>، وأسس خط سكة حديد أسوان وشركة ترام شرق ووسط الدلتا، ثم "عدس" الذي أسس الشركة المصرية للبترول في عشرينيات القرن الماضي، وإيزاك ناكامولي الذي احتكر تجارة الورق؛ ورينيه وأصلان قطاوي، وشيكوريل الذي أسس متاجر شيكوريل وريكو، وكان شيكوريل الأب رئيساً لغرفة التجارة وقاضياً في المحكمة المختلطة، واشتهرت عائلات مثل عائلة قطاوي وموصيري وسوارس ومرادي ووهبة ومنشه، وعائلات مارست تجارة الذهب مثل عائلة باروخ ومسعود وشماس<sup>(2)</sup>.

وقد أسهم بعض الأفراد اليهود في النشاط الوطني المعادي للحكام ولسلطات الاحتلال، وفي إيقاظ الوعي القومي لدى غالبية المصريين، إذ يرى أحمد شفيق باشا أن تكوين الرأي العام في مصر يرجع إلى عاملين: الأول جمال الدين الأفغاني، والآخر جريدة أبو نضارة لصاحبها يعقوب بن صنوع الإسرائيلي، بما كانت تحويه من محاورات عامه في انتقاد الأحوال العامه والتنديد بالحكومة والاحتلال البريطاني، مما دفع الناس إلى قراءة هذه الصحيفة واقتنائها بكل الوسائل<sup>(3)</sup>، وانضم اليهود إلى حزب الوفد السياسي اليساري، وبعضهم ناضل من أجل استقلال مصر وإنهاء الاحتلال البريطاني، مخاطرين بحياتهم، مثل ديفيد هازان، الذي حكم عليه الانكليز بالموت في عام 1923، وبلغت أعداد الطائفة اليهودية في عام (1918) 60000 نسمة، وحوالي 80000 قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، وتمتع اليهود المصريون في ظل دستور 1923 بحقوق المواطنين، حيث أقر مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية، وإذا كانت علاقة اليهود بحكام مصر جيدة في مجملها، فقد استطاعوا كأفراد إقامة علاقات طيبة مع الحركة الوطنية المصرية، فاكتسبوا ثقة الوطنيين المصريين<sup>(4)</sup>.

## يهود المغرب العربي

يتسم الوجود اليهودي بالمغرب العربي بالقدم، ويرجع عدد من الدراسات أن قدومهم جاء

- 
- (1) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، ص 23
  - (2) انظر: صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، -ترجمة: جمال أحمد الرفاعي؛ مراجعة رضا عبد الله الشامي، عالم المعرفة؛ ١٩٧٠ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥، ص ٢٩٠
  - (3) اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم 1877-1950، ص 20
  - (4) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ ص 23

في أعقاب خراب الهيكل الأول في عام 586 ق.م. ، وتوالت بعد ذلك الهجرات، واستقرت وضعية اليهود بالمغرب منذ الفتح الإسلامي وبالذات بعد قيام حكم الأدارسة بالمغرب، حيث سمح إدريس الثاني لهم بالإقامة واكتسبوا وضعية أهل الذمة. وتزامن ذلك مع الاضطهاد الشديد الذي تعرض له اليهود بأسبانيا بعد أعتناق ملك القوط للكاثوليكية وصدور مرسوم في سنة 700م يقضي باستبعادهم، حتى أنهم التحقوا بجيوش الفتح الإسلامي المتوجهة للأندلس من أجل العودة إلى الأندلس<sup>(1)</sup>. وخلال الحكم الإسلامي في الأندلس عاش اليهود بسلام وهدوء، ولكن بعد انهيار هذا الحكم ظهرت علامات النفي والترحيل والطرده لليهود والمسلمين. ففي عام 1492 أجبر القهر الأسباني كل المقيمين في أسبانيا والذين يعارضون التحول إلى المسيحية على النزوح وكان ذلك نهاية للازدهار والإبداع اليهودي في ظل الحكم الإسلامي.

وقد أدى سقوط الحكم العربي الإسلامي في أسبانيا إلى خروج اليهود الجماعي منها، وهو ما شكّل أكبر موجات الهجرة إلى المنطقة العربية فانتشر السفارديم الناطقون بلغة الأدينو، في كل مكان على سواحل المتوسط من مراكش حتى لواء الإسكندرونة<sup>(2)</sup>، وقد أجبر ما يزيد عن 250000 يهودي على الخروج من أسبانيا، توجه بعضهم إلى أوروبا الغربية والبعض الآخر إلى شمال إفريقيا<sup>(3)</sup>، حيث استقرت وضعيتهم هناك وعملوا كأخوانهم السابقين كأهل ذمة، وهي وضعية أطرت سلوك المسلمين إزاءهم، فكان موقفهم قوامه عدم الاعتداء والتعامل بالمعروف وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليهود دينية أو قانونية أو وقفية.

والاختلالات التي كانت تطرأ على هذه الوضعية، كانت ترتبط إما بحصول اختلال عام في سير الدولة الإسلامية وحالات الفتن والاضطراب، أو في حالة تحول اليهود إلى أهل شوكة وغلبة في حالات استفادة بعضهم من الحماية السلطانية أو الحماية القنصلية الأجنبية، حيث تختل العلاقة ويبرز عدااء بعض اليهود للمسلمين، ولهذا أقرب بعض الباحثين اليهود بإيجابية وضع أهل الذمة، حيث يقول "حاييم زعفراني" أن المجموعات اليهودية تمتعت داخل هذا الإطار باستقلال

---

(1) خالد يونس الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس 897-92هـ/ 711-1492م، منشورات دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة 2002، ص186.

(2) أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيوني، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 2007، ص181

(3) مجدي علي عطية، يهود إسرائيل ومشكلات التغيير الاجتماعي، السياسة الدولية، ع 87، يناير 1987، ص104.

ذاتي كامل إداري وثقافي، وكانت لها محاكمها ومالياتها، وكانت تضمن لتابعيها حقهم في التدين والرعاية والتعليم وتطبيق قانون الأحوال الشخصية، وكان للطائفة سلطة تنظيمية تلزم أفرادها بكل ما يتعلق بالجوانب الضرائبية والمصالح العامة<sup>(1)</sup>.

### تاريخ اليهود القديم في ليبيا

تعود موجات هجرة يهود ليبيا إلى أمد بعيد، أولها مع نزول الفينيقيين بالمنطقة، تلتها موجة أخرى إثر هدم الهيكل في أورشليم مع نبوخذ نصر سنة 586 ق.م، وهناك وثائق تتحدث عن تحوّل مدينة برقة إلى منفي لليهود مع تيطس الروماني عام 71م، وهو ما نجد له صدى في مدونات المؤرخ فلافيوس جوزيف. ولم يشكل الفتح الإسلامي لليبيا لاحقاً تهديداً لتلك الديانة، وعلى العكس لقيت في أحضانه الأمان بوصفها ملة من ملل أهل الكتاب، وتواصل ذلك الوضع لغاية الفترة العثمانية، ومع أواخر عهدها غدا 69 من أعيان اليهود الليبيين، من الحاخامات والقضاة والسفراء، ضمن المقرّبين من الباب العالي، وحظي أتباع تلك الديانة بـ21 يشيفوت (مدرسة دينية) و19 بيتا للصلاة تلي حاجاتهم الشعائرية<sup>(2)</sup>.

### يهود المغرب

يقر اليهود قاطبة بأن المغرب استقبلهم وآواهم بمنطق متسامح، ولم يكن الاستقرار اليهودي مسألة عابرة؛ بل إن ملاحقة القوى الأجنبية لهم جعلهم يعدون المغرب مواطن استقرارهم، واختلطوا مع القبائل الأمازيغية بالمغرب في الجبال حتى تهود أفراد من بعض القبائل، وكان لقدم الاستقرار بالمغرب انعكاسات بالغة على طبيعة اليهودية المغربية، التي اتسمت بتدينها بل وتشدها في الالتزام الحرفي بالدين اليهودي ومعتقدات التوراة والتلمود، ويمكن هنا الإحالة على دراسات حاييم زعفراني (جاوزت السبعين دراسة)، أو دراسات بن "عامي إشار" والتي ركزت على ظاهرة أولياء وقديسي اليهود المغاربة حيث أحصت وجود 652 ولياً ضمنهم 126 مشتركاً بين المسلمين واليهود و15 ولياً مسلماً يقده اليهود، و90 ولياً يهودياً عند المسلمين، ويتنازعون في 36 ولياً كل ينسبه إليه. وقد أصدر صامويل «يوسف بنعيم» في

(1) حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة، دين، تر: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دارقرطبة- الدار البيضاء، 1987، ص12.

(2) عز الدين عناية، يهود ليبيا، صحيفة المثقف، ع 4092، المصادف 11-18-2017

<http://www.almothaqaf.com/a/b8/922870>

1980 دراسة مفصلة عن مراسيم ما يزيد عن خمسين هيلولة (احتفال ديني يهودي مغربي) مرتبطة بمواسم الأولياء اليهود بالمغرب.

وإلى جانب ذلك فقد حافظت اليهودية المغربية على ارتباطها الشديد بفلسطين ولم تنقطع الهجرة أبدا إليها طيلة كل القرون، وكان مصدرها جماعات الطلبة الذين كانوا يرسلون إلى "يشفوت" حواضر الثقافة اليهودية الكبرى في (القدس، طبرية، صفد) أو أولئك الذين غالبا ما كانوا يرحلون أملا في أن يقضوا بقية حياتهم في "الأراضي المقدسة"، وقبل بدء الهجرة اليهودية الأوروبية فإن اليهود المغاربة شكلوا أحد أهم الجماعات بالأرض المقدسة.

ويحفل التاريخ السياسي والاجتماعي المغربي والتونسي بمساهمة اليهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ وكيف كانوا يعيشون عصوراً ذهبية لم ينعموا بمثلها خلال وجودهم في بلدان أخرى، وليس أدل على تسامح الحكومة المغربية مع اليهود ومعاملتهم بنفس معاملة مواطنيها المسلمين، هو ما حدث عندما طلبت حكومة فيشي الموالية للنازي من الحكومة المغربية تسليم أعضاء الجماعات اليهودية للنازي لإبادتهم كما حدث مع أعداد كبيرة من يهود فرنسا، ولكن العاهل المغربي محمد الخامس تصدّى لهم، وهو ما أدّى إلى نجاة الجماعة اليهودية من خطر الإبادة<sup>(1)</sup>. وصدر ماعرف بقانون فيشي بعد تخفيفه في أكتوبر 1940، واستطاع السلطان أن يحفظ لليهود أسس الحياة الدينية والمدنية ويقصر استعمال القانون على المجالات السياسية والاقتصادية. وفي الواقع فإن التقاليد الإسلامية تميزت دوما بحماية اليهود<sup>(2)</sup>.

وفي 2 مارس 1956 اعترفت الحكومة الفرنسية باستقلال المغرب، وعند عودة الملك محمد الخامس من المنفى تعهد له قادة الجالية اليهودية بالولاء وقد جدد لهم تأكيدات بحمايته لهم، وأدخل يهودياً في أول حكومة مغربية في ديسمبر 1955 قبيل الاستقلال فجااء تعيين د. ليون بنزاكوين<sup>(3)</sup>، وزيراً للبريد والتلغراف، وفي العام التالي، أرسل الملك ولي العهد وقتها الأمير حسن ليمثله في احتفالات يوم كيبور بمعبد في كازابلانكا. وحين تولى الملك الحسن الملك توالى تمثيله في هذه المناسبة نفسها<sup>(4)</sup>. كما حمل سيرج بيرديجو المكناسي الأصل، صفة ثاني وزير يهودي

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 4، ص 189

(2) مصطفى الخلفي، يهود المغرب والتعايش اليهودي العربي، الجزيرة نت

(3) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص 748.

(4) حسن ساتي، الوثائق السرية البريطانية،

بالمغرب بعد ليون بنزاكين ودخل اليهود المغاربة البرلمان، ومنهم سيمون ليفي، بعدما كان، مايير عوباديا أول برلماني يهودي في المغرب، فاز في انتخابات ١٩٦٣ منتمياً إلى جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية. بزعامة أحمد أكديرة. كما فاز الثري الصهيوني جو أوحانا عام ١٩٨٤ بمقعد برلماني، ممثلاً لحزب الاتحاد الدستوري. ويؤكد الباحث الأمريكي دانييل شروتر في دراسة بحثية مطولة أنه: لا يوجد بلد في العالم الإسلامي، احتل فيه الوسطاء اليهود مكانة جد مهمة، كما هو الشأن في المغرب<sup>(1)</sup>.

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن اليهود العرب وتاريخهم عبارة عن ظاهرة فريدة بحدّ ذاتها، لا يوجد مثيل لها حتى في الأماكن الأخرى التي شهدت اندماج اليهود في مجتمع غير يهودي، والتحقيق في هذه الظاهرة التي تجد تعبيرها ضمن أشياء أخرى، هي ثروة وموهبة أدبية إبداعية علمية وفكرية مدهشة، وهي مهمة تاريخية من الطراز الأول لا يمكن بالطبع التصدي لها إلا الآن، بعد أن وصل تاريخ اليهود العرب إلى نهايته<sup>(2)</sup>.

---

(1) انظر: دانييل شروتر، يهوديُّ السلطان المغرب وعالم اليهود السِّفَرْد، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، ٢٠١١.

(2) رؤوبين سني، اليهود العرب، اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91.

## المبحث الرابع: اليهود العرب والفكرة الصهيونية

بعد أن وفدت الحركة الصهيونية إلى المنطقة العربية كجزء لا ينفصل من الوجود الاستعماري الأوروبي، وبتشجيعه وتحت رعايته، حاول الاستعمار الغربي في العالم العربي استقطاب أعضاء الأقليات الدينية والإثنية، وتحويلهم إلى جماعات وظيفية عميلة تدين له بالولاء عن طريق التوسع باستخدام نظام الحماية القنصلية، حيث كانت هذه العملية مُكمّلة للاستعمار الغربي<sup>(1)</sup>، وسمح الاستعمار للمبعوثين الصهاينة بدخول البلاد العربية وممارسة نشاطهم بحرية كاملة تقريباً، بغرض جمع الأموال أساساً، حيث لم يكن النشاط الصهيوني محظوراً في هذه البلاد حتى عام 1948، وقد وجد الصهاينة ظروفًا ملائمة في تسامح العرب تجاه الأديان السماوية لنشر دعايتهم داخل البلاد العربية التي كانت خاضعة للاستعمار<sup>(2)</sup>، وقد اتسمت مواقف يهود البلاد العربية تجاه النشاط الصهيوني بعدم المبالاة والشك وغالباً بالعداء، وقدرت النخبة المثقفة في الطوائف اليهودية الأكثر عراقية وتقدماً في تركيا والعراق ومصر، الأخطار التي ستجرها الصهيونية السياسية على طوائفهم سلفاً.

ورغم الغيبية المسيحانية التي كانت تشكل أحد مركبات الثقافة السفارديّة الشرقية، إلا أن اليهود العرب لم يكونوا شركاء منذ البداية في التوق الأوروبي -صهيوني لوضع "نهاية للمنفي" عن طريق خلق دولة مستقلة يقطنها اليهود، حيث أن الفكرة الصهيونية نشأت وكبرت في أوروبا بعيداً عن المنطقة العربية ولهذا جاء اليهود الشرقيون إلى إسرائيل دون أدنى التزام بالإيدلوجية الصهيونية، وعاشوا في بداية تأسيس إسرائيل وحتى سبعينات القرن الماضي على هامش المجتمع الإسرائيلي بدون أي تأثير يذكر على السياسة الإسرائيلية، ولكن مع مرور الوقت وزيادتهم العددية بدأوا يشكلون قوه مؤثره في الحياة العامة الإسرائيلية، ففي الفترة من 1948-1966 نزح العديد من المهاجرين من دول إسلامية ومثلوا حوالي 55% من إجمالي المهاجرين<sup>(3)</sup>، حيث كانوا لا يمثلون في العام 1948 سوى نسبة 15% وزادت تلك النسبة إلى 60% سنة 1980

(1) عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي؟ 1997، دار الشروق . بيروت القاهرة، ص15.

(2) العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص748

(3) مجدي على عطية، يهود إسرائيل ومشكلات التغيير الاجتماعي، السياسة الدولية، ع 87، يناير 1987، السنة

بينما انخفضت نسبة اليهود من أصل غربي (أشكنازي) من 55% عام 1948 إلى 30% عام 1967 مع أن يهود الشرق لا يمثلون إلا نسبة 10% من يهود العالم<sup>(1)</sup>، ويشكل يهود السفارديم 34.2% من اليهود في إسرائيل عام 1998، وقد انخفضت هذه النسبة بسبب ارتفاع معدلات الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي.

وقد كتب الصحفي الإسرائيلي باروخ نادل في 1978/2/22 مقالة جاء فيها: إن الصهيونية التي لم تستطع إنقاذ يهود أوروبا (يقصد أنهم رفضوا الهجرة إلى فلسطين) وجدت نفسها بدون هدف مقبول، ولكي يعطوا تبريراً معنوياً لوجود دولتهم عملوا على إنقاذ يهود آخرين على الرغم منهم، إن الوحيدين الذين كان ممكناً إنقاذهم كانوا يهود العالم العربي<sup>(2)</sup>! أما شالوم كوهين فقد كتب يقول: "أن ذلك كان خزيًا ما بعده خزي، وخيبة ما بعدها خيبة، حيث يهود البلاد العربية لم يكونوا يعانون أية مشكلة سوى مشكلة الظلم الاستعماري والتخلف الذي تعاني منه البلدان التي ينتمون إليها، فهم لم تكن لهم أية علاقة بمآسي الحرب العالمية من قريب أو بعيد<sup>(2)</sup>."

ولما رفض يهود أوروبا الهجرة إلى الدولة الإسرائيلية بعد قيامها، بالأعداد المنتظرة والحماسة المتوقعة، توجه ديفيد بن غوريون إلى العراق واليمن والمغرب لإنقاذ اليهود في تلك البلاد، وبدأ الاتفاق مع حكام عرب تحت عنوان بسيط يقول: "خذوا أملاك اليهود وأعطونا أجسادهم!" لكن ذلك الاتفاق اصطدم بالعقبة ذاتها وهي رفض اليهود للهجرة. فيهود العراق كانوا يعيشون في رخاء، ورفضوا النزوح، فكانت تلك ورطة أخرى للقيادات الصهيونية اليهودية وغير اليهودية، إذ لو نزلوا عند إرادة يهود العراق فسوف تظهر دولتهم بلا أي مبرر. لذلك كان لابد من اللجوء إلى الإرهاب ضد يهود العراق وغير العراق. وبالفعل ألقى العملاء الإسرائيليون القنابل على المراكز والكنس اليهودية في العراق لإثارة الهلع وإجبار اليهود على الهجرة، فتحقق ذلك خلال أقل من عام<sup>(3)</sup>.

وهكذا جرى التواطؤ بين التحالف الاستعماري الغربي الصهيوني وأنظمة الحكم العربية

---

(1) اليهود العرب في إسرائيل... كذبة الديمقراطية منقول عن صحيفة عكاظ السعودية

www.safsaf.org- 2006-6-20، عرب48

(2) نصر شمالي، عن الصهيونية غير اليهودية، التجديد العربي-

https://www.arabrenewal.info2011/8/18

(3) المصدر نفسه

لاقتلاع اليهود وتهجيرهم إلى الكيان الصهيوني المستحدث، الذي كان بحاجة ماسة لهم في العقود الأولى لإنشائه من أجل إحكام السيطرة اليهودية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولتلبية حاجته للعمالة. فقد تبين أن المواصفات التي تمتع بها يهود أوروبا الشرقية لم تكن مناسبة لتوفير قاعدة اجتماعية تقوم بالعمل الأسود كالبناى وشق الطرق والعمل الزراعي، ولذا ركزت الحركة الصهيونية جهودها واهتماماتها على يهود البلدان العربية<sup>(1)</sup>.

ففي شهر يوليو عام 1952، قال بن غوريون: "إنني لا أخجل من الاعتراف بأنني لو كنت أملك الإرادة و القوة لانتقيت مجموعة من الشباب الأقوياء والأذكياء، المخلصين لأفكارنا، وأرسلتهم إلى البلدان التي بالغ فيها اليهود بالقناعة الآثمة (يقصد رفض الهجرة) وستكون مهمتهم التنكر بصفة أناس غير يهود، ورفع شعارات معادية للسامية، وأستطيع أن أضمن أن تدفق المهاجرين إلى إسرائيل من هذه البلدان سوف تكون نتائجه أكثر بعشرات آلاف المرات من النتائج التي يحققها آلاف المبعوثين الذين يبشرون بمواعظ عديمة الجدوى"<sup>(2)</sup>، وأوردت صحيفة "يدشركامبغر" اليهودية الصادرة في نيويورك في 11 تموز 1952، تقريراً أكدت تصريح بن غوريون السابق، وهنا (نستطيع أن نربط بين هذه الأفكار وبين ما حدث مع يهود العراق وكيفية تهجيرهم إلى إسرائيل)، وقد أثار التقرير موجة من الاستياء اضطرت الزعيم الصهيوني إلى التنصل منه وإسناده إلى صهيوني آخر هو "ابراهيم شتيرن"<sup>(3)</sup>.

### أسباب هجرة اليهود العرب إلى فلسطين

سفر الخروج ليهود البلاد العربية هو سفر مدوّن بشكل منقوص، وهو وإن حظي في الأبحاث التاريخية والأثروبولوجية في الغرب بمتابعة، فهو لا يزال حقلًا مهجورًا في الدراسات العربية، لكن النقص في هذا المبحث لا يقتصر على هذا الجانب، بل يتعداه إلى تخبط الكتابة العربية في موضوع اليهودية واليهود، التي لم ترتق إلى مستوى المعالجة العلمية<sup>(4)</sup> ويعرض التاريخ الصهيوني أن قدوم اليهود العرب إلى إسرائيل، كان بسبب التوق الديني وكنتيجة لتاريخ

(1) يهود اليمن: دراسته سياسية واقتصادية واجتماعية، ص163

(2) نصر شمالي عن الصهيونية غير اليهودية

(3) خالد القشطيني، تكوين الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1. بيروت 1986 ص129-130.

(4) عز الدين عناية، الاستهواد العربي في مقاربة التراث العبري، صدر عن دار الجمل (2006).

طويل من اللاسامية، كما أن بعض الناشطين الصهيونيين من أبناء الطوائف اليهودية العربية يؤكدون أن الإخلاص للفكرة الصهيونية كان حافزاً حاسماً في ذلك، بيد أن هذه الروايات تغفل عوامل أخرى ذات أهمية حاسمة: المصلحة الصهيونية، اقتصادياً وسياسياً، في جلب الشرقيين إلى فلسطين، والمصلحة المالية والدولية لأنظمة عربية معينة في مغادرة اليهود، والتطورات التاريخية التي حدثت في أعقاب النزاع العربي الإسرائيلي، والعلاقة الأساسية بين مصير اليهود العرب وبين مصير الفلسطينيين<sup>(1)</sup>، والأهم من ذلك المؤامرات واستخدام القوة لاجبار اليهود العرب على الهجرة إلى فلسطين.

وقد بذلت الحركة الصهيونية جهوداً كبيرةً من أجل تركيز فكرة (أرض الميعاد) في أذهان يهود العالم بصورة عامة، واليهود العرب بصفة خاصة، بإعتماد ثلاث وسائل للجذب، شملت الجوانب العقائدية والاقتصادية والتشريعية. وقد ركزت الدعاية الدينية على اعتبار أن أي يهودي يبقى خارج إسرائيل يرتكب معصية دينية أثيمة، خاصة إذا كان منفاه قهرياً (الجالوت) كاليهود العرب، كما عزفت الدعاية الاقتصادية على إثارة آمال يهود العالم العربي في حياة رغيدة حافلة بفرص السعادة والثراء في ظل الدولة اليهودية، في حين قامت الدعاية التشريعية على استحداث القوانين، وخاصة قانوني العودة والجنسية<sup>(2)</sup>، ويشير توم سيغف أن التفكير في جلب يهود الدول العربية إلى إسرائيل كان نتيجة للفراغ البشري بعد مقتل عدد كبير من اليهود على أيدي النازيين، كما أن نسبة اليهود الأوروبيين الذين اختاروا الهجرة إلى فلسطين لم تتعد 1%، وثمة عامل ثالث هو الحاجة لقوة عمل رخيصة مكان العرب، والعامل الرابع هو استغلال طابعهم الشرقي في دوائر التجسس، إضافة أخيراً إلى العامل الأهم وهو الحاجة الماسة إلى المزيد من الجنود<sup>(3)</sup>.

ورغم الأولوية والأهمية الفائقة التي أعطاها مؤسسو دولة إسرائيل لهجرة اليهود، إلا إنهم منذ البداية ميزوا بين هجرة اليهود الأشكناز وبين اليهود العرب الشرقيين الذين نظروا إليهم نظرة شك وعدم ثقة، لتدني مستواهم الاجتماعي والثقافي بالمقارنة مع يهود أوروبا، ولقد تبني هذا الموقف علنا ديفيد بن غوريون الذي كتب في مذكراته، يقول "إن يهود أوروبا شكلوا

(1) عباس شبلق، هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، مؤسسة الدراسات الفلسطينية-

بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٠٨

(2) اليهود العرب في إسرائيل... كذبة الديمقراطية منقول عن صحيفة عكاظ السعودية

(3) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، ص 33

شخصية الشعب اليهودي في العالم بأسره، والصهيونية هي في الأساس حركة اليهود الغربيين". وشبهه بن غوريون يهود البلاد العربية "بالزنوج الذين أحضروا إلى أميركا كعبيد"<sup>(1)</sup>. ولذلك فإن هجرة اليهود الشرقيين لم تكن في حسابات الحركة الصهيونية العالمية؛ حيث كانت الصهيونية تقصر الهجرة على اليهود الغربيين، ولكن إجماع هؤلاء عن الهجرة من ناحية، والحاجة الماسة إلى اليد العاملة لإتمام المشروع الاستعماري الاستيطاني ساهما في استقدام اليهود الشرقيين، وهذا ما تؤكدُه الباحثة اليهودية الشرقية إيلة شوحاط في كتابها (ذكريات ممنوعة)؛ حيث نعلم أن استقدامهم قد تم عن طريق العديد من العمليات من أهمها (عملية موسى) وذلك في العام 1984م، التي تمت من خلال جسور الشحن الجوي التي أقيمت بين تل أبيب وأديس أبابا عبر جنوب السودان<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من أنه لا يمكن حصر اليهود في الدول العربية بشكل دقيق خاصة قبل عام 1948، بسبب ضعف الوعي الإحصائي العربي أساساً، وعدم وجود التمايز الطائفي أساساً، فضلاً عن عدم القيام بمسوح وتعدادات سكانية عامة في كافة الدول العربية قبل عام 1948. إلا أن هناك تقديرات مختلفة لمجموع اليهود في الوطن العربي في عام 1946، قدرتهم إحصاءات الوكالة اليهودية بنحو (800) ألف يهودي، يشكلون نحو (5-6) في المائة من إجمالي عدد اليهود في العالم<sup>(3)</sup>، وتذكر الموسوعة اليهودية (جوديك) أن تعداد يهود العالم عام 1939 بلغ 16.724.000، منهم 9.480.000 في أوروبا. وقد بلغ عدد اليهود في أفريقيا 627.500 حيث كانت أكبر جماعة منهم في المغرب إذ بلغت 162 ألفاً، وهنا يشير الأستاذ المسيرى إلى أن يهود الدول العربية ومنهم يهود المغرب، لعبوا دوراً صغيراً في الهجرة إلى فلسطين في تلك الفترة، حيث أننا لا نجد بين العدد 460 ألفاً الذين دخلوا فلسطين بين عامي 1919 و1948 سوى 42 ألفاً قدموا من البلاد العربية والإسلامية، أي 9% من موجات الهجرة العامة والتي شكّل الإشكناز النسبة الكبرى منها<sup>(4)</sup>. ولذلك حينما أُعلن قيام الدولة الصهيونية عام 1948 لم تكن دولة يهودية وإنما

---

(1) رندة حيدر، اليهود العرب في إسرائيل، الجزيرة نت

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/2f520825-c299-4ef8-8a7c-25a14a88d09f>

(2) فهد العتيبي، في سييسولوجيا المجتمع الإسرائيلي: اليهود الغربيون والشرقيون استشرقا داخل استشرقا،

جريدة الجزيرة السعودية - <http://www.al-jazirah.com/2007/20071025/ar9.htm>

(3) تقرير صادر عن الوكالة اليهودية في عام 1946، وقدم إلى اللجنة الأنجلو-أمريكية.

(4) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 4 ص 185.

إشكنازية بالتحديد، ولهذا يرى البعض في ذلك أكبر دليل على انتماء يهود البلاد العربية لبلادهم بسبب الدور الصغير الذي لعبوه في الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين<sup>(1)</sup>.

## إجبار يهود الدول العربية على الهجرة

حاول الكيان الصهيوني - وفق خطة مدروسة تعمل على تهجير اليهود العرب- تشويه صورة أوضاع اليهود فيها، بغية وصول الحركة الصهيونية إلى أهدافها الديمغرافية. ورغم وجود الكثير من الحقائق والقصاص الموثقة عن الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية، خدائها، وتحريضها، وتزييفها للحقائق، وحملتها الدعائية الضخمة، وإثارها للفتنة، لدفع اليهود العرب إلى الهجرة إلى فلسطين، إلا أن البحث الموضوعي، في المقابل، يثبت وجود الكثير من الحقائق والقصاص عن الدور السلبي للحكومات العربية والرأي العام العربي في الوصول إلى هذه النتيجة<sup>(2)</sup>، وموضوع رصد تراجع أعداد اليهود في بلاد العرب والإحاطة بأسبابه وتداعياته هو أحد المواضيع التي تسود فيها رواية غائمة مفادها أن الأمر عائد بالأساس إلى الهجران الطوعي والتهجير القسري، في حين أن الأمر أبعد من ذلك وتتداخل فيه جملة من العوامل الجانبية.

إن تاريخ اليهود العرب وهجرتهم إلى إسرائيل تتسم بالتعقيد، ولا يمكن استيعابها في تفسير سطحي ضحل، فقد كانت هجرة الطائفة اليهودية من دون رغبتها، ومن وراء ظهرها، وساهم في تنفيذها أكثر من طرف محلي ودولي، وبتخطيط مُسبق من الحركة الصهيونية<sup>(3)</sup>، التي لجأت إلى العمليات الإرهابية كما حدث في العراق مثلاً، لدفع يهود العراق إلى الهجرة إلى إسرائيل، والتي أدت إلى عملية تهجير أطلق عليها عزرا ونحيماء، حيث كان اليهود العرب يبحثون عن حل لأزمته في أزمنة عاصفة، أطاحت بالمجتمعات العربية جميعها، وأعدت تشكيلها، وكانوا مثل غيرهم من مواطنهم ضحايا أو منتصرين في هذا الامتحان<sup>(4)</sup>.

---

(1) من بين مجموع اليهود في الوطن العربي في العام 1946، نحو (16-18) ألفاً في سورية ولبنان، و(120-130) ألفاً في العراق، وفي اليمن وعدن (45-50) ألفاً، ومصر (70-80) ألفاً، في حين عاش في تونس (70-80) يهودي، والجزائر (120) ألفاً، ومراكش الفرنسية (170-190) ألفاً، ومراكش الإسبانية وطنجة (30) ألفاً، وفي مناطق أخرى (حضرمت)، البحرين، السودان الخ، كان يوجد في عام 1946 نحو ثلاثة آلاف يهودي.

(2) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، ص 3

(3) هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص 156

(4) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، ص 4

والوثائق الرسمية الصهيونية تؤكد أنه لم تكن هناك مشكلة لاجئين يهود، حيث أن بن غوريون هو الذي قرر جلب يهود الدول العربية. بعد أن كانت الحركة الصهيونية قد استبعدت جلهم. وعندما فشلت إسرائيل في جذب مهاجرين يهود من أمريكا، قامت الحركة الصهيونية بتحويل الأنظار إلى الوطن العربي. وعن طريق الإعلام اليهودي، وغرس الخوف من الاضطهاد "الوشيك"، تمكن وكلاء الصهيونية من تحطيم الوجود الأمني الذي يتمتع به اليهود في إطار تجمعاتهم الأصلية في الدول العربية منذ آلاف السنين<sup>(1)</sup>.

وتذكر الوثائق الصهيونية أن مؤسسي الصهيونية خططوا لإقامة الكيان الصهيوني اعتماداً على اليهود الغربيين فقط، لكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وكل ما حصل لليهود خلالها، شعرت الحركة الصهيونية أنها تحتاج إلى تهجير اليهود في الدول العربية من أجل تحسين الثقل الديموغرافي لليهود في مواجهة الثقل الديموغرافي للفلسطينيين، ولذا لم تكن المهمة الصهيونية لإنهاء النفي اليهودي عن أرض الميعاد مشروعاً خبيراً أبداً كما يتصوره الخطاب الرسمي؛ لأنه منذ العقد الأول لهذا القرن كان ينظر إلى اليهود العرب كمصدر للعمالة الرخيصة التي يمكن أن تحل محل الفلاحين الفلسطينيين الذين جردوا من ممتلكاتهم<sup>(2)</sup>.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، أمر بن غوريون بإرسال بعثات من المستشرقين اليهود للدول العربية التي يوجد فيها اليهود لجمع معلومات عنهم، ثم الشروع في محاولات إقناعهم بالهجرة، وعندما تبين لبن غوريون أن هذه البعثات لم تحقق النجاحات التي كان يأمل في تحقيقها، أمر جهاز الموساد بتنفيذ عمليات إرهابية ضد الوجود اليهودي في العالم العربي، مثل تفخيخ وتفجير المعابد واغتيال الشخصيات اليهودية النافذة من أجل بث الفرع في نفوس اليهود ودفعهم للفرار إلى الكيان الصهيوني<sup>(3)</sup>.

والمتتبع لوتيرة هجرة اليهود من البلاد العربية، يلاحظ ارتباطها الوثيق بجولات الحرب

---

(1) علي إبراهيم عبده، خيرية قاسيمة، يهود البلاد العربية، الدراسات الفلسطينية-بيروت، 1971، ص32.

(2) أنظر: يوسف مائير، "الحركة الصهيونية ويهود اليمن" (تل أبيب: سيفريات أفيكيم، 1982) ؟ ج ن جيلادي، " نزاع في صهيون: الصراع بين اليهود السفردى والأشكينازي في "إسرائيل Scorpion ( London: Publishing, 1990).

(3) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين. مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الحادية عشر، ع131، السنة 11 نوفمبر 2012م، شهرية تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان- <http://www.wahdaislamyia.org/issues/131/mkiwan.htm>

وارتفاع حدة المواجهة في الصراع العربي الصهيوني، فجاءت الهجرة الكبرى ليهود اليمن والعراق، وبدرجة أقل المغرب، مع انتهاء الجولة الأولى من الحرب العربية الإسرائيلية 1948، وجاء الخروج الأكبر ليهود مصر عقب العدوان الثلاثي عليها سنة 1956، كما جاء الخروج الأكبر ليهود ليبيا وتونس بعد حرب 1967<sup>(1)</sup>.

وهكذا لم تكن هجرة اليهود من الدول العربية إلى إسرائيل "هجرة إنقاذ" لليهود من الإبادة والفتنة كما حددها بن غوريون، فاليهود العرب لم يكونوا معرضين لهذا الخطر الذي تعرض له يهود أوروبا، ومع ذلك فقد بذل مؤسسوا دولة إسرائيل جهوداً كبيرة في المبالغة في وصف الأخطار التي تترصص يهود العالم إجمالاً والدول العربية محذرين إياهم من إمكان تعرضهم إلى كارثة إبادة جديدة لدفع هؤلاء إلى الهجرة<sup>(2)</sup>، وهذا يعني أنهم تعرضوا لمؤامرة صهيونية تضمنت الترغيب والتهديد لحثهم على الهجرة إلى فلسطين. وقد تواكب ذلك مع قصر نظر لدى الأنظمة العربية أدى إلى حمل هؤلاء اليهود على الهجرة إلى داخل إسرائيل فوقعوا بين نارين: خضعوا، أولاً؛ إلى تمييز عنصري داخل إسرائيل وفقدوا، ثانياً؛ الأمل بالعثور على ملجأ آخر لهم؟ ومن هنا، يتضح لنا أن اليهودي العربي كان ضحية مؤامرة كبيرة اشتركت فيها دول وأنظمة عديدة، أجبرته على الرحيل من بلاده، وهو ما دفع الروائي اليهودي سامي ميخائيل إلى القول كل يهودي قديم إلى إسرائيل هو بمثابة لاجئ، وقليلون هم من جاؤوا بدافع المحبة لإسرائيل<sup>(3)</sup>.

## يهود العراق والصهيونية

كانت العلاقة بين مسلمي العراق ويهودها على المستوى الرسمي والشعبي كانت جيدة للغاية، إذ لم يكن هناك ما يعكر صفوها، ولم تكن الشدائد والصعاب التي مرت بالعراق في بعض فترات تاريخه لتمييز بين مسلم ويهودي ومسيحي، فاليهود في العراق شكّلوا طائفة دينية متجذرة ومتجانسة نسبياً، واستطاعوا عبر القرون المحافظة على هويتهم وثقافتهم المجتمعية وتقاليدهم، دون أن يمنعهم هذا من أن يكونوا مواطنين أصليين، أو من أن يندمجوا في المجتمع العراقي اندماجاً كاملاً<sup>(4)</sup>، وقد انعكست هذه العلاقات الطيبة في أدبيات يهود العراق على نحو ما

(1) مأمون كيوان، الحل العربي لـ "المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج: 2010/04/11

(2) اليهود في الشرق الأوسط - الخروج الأخير من الغيتو الجديد، ص 112

(3) لماذا تغير روايات الكاتب الإسرائيلي سامي ميخائيل هذه الضجة؟-باريس: من إنعام كجه جي، جريدة الشرق

الأوسط، 26 ابريل 2006 العدد 10011

(4) هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص 156

نجد عند القصاص أنور شاؤول وسمير نقاش وإسحاق بار موشيه وغيرهم، ولم يفكر يهود العراق في ترك البلاد خلال العصور المختلفة، وجميع من هاجر خلال القرنين الماضيين -مثلاً- كانت دوافعهم: إما تجارية، حيث اتجهت بعض العائلات نحو الهند والشرق الأقصى، أو دينية إذ هاجرت بعض العائلات أيضاً إلى فلسطين منذ منتصف القرن 19<sup>(1)</sup>.

وعندما أدركت الحركة الصهيونية أن تهجير يهود أوروبا لن يحقق أهدافه اتجهت إلى وسائل قسرية لتهجير يهود الشرق، وقد لعبت بريطانيا والولايات المتحدة دوراً في مساعدة إسرائيل على ذلك، وقُدّم اقتراح بإقامة حلف غربي مع بعض البلاد العربية يشمل تبادل السكان اليهود في العراق والفلسطينيين في وطنهم، لكن تل أبيب لم تنتظر تبلور الخطة المذكورة وقامت بتنفيذ تهجير جماعي لليهود من البلاد العربية والإسلامية خلال 1949-1953 كان بينهم 135 ألف يهودي عراقي، وقد نجحت الخطة لسببين اثنين:

الأول: إيفاد مبعوثين للموساد لتجنيد الشبان اليهود وتضخيم أحداث معينة إعلامياً وعلى المستوى الدولي لتشجيع اليهود على الهجرة، والثاني: دعم الولايات المتحدة مباشرةً هذه الخطط مالياً ولوجستياً ودبلوماسياً في فترة رئاسة هاري ترومان، وقد استجابت أكثر من حكومة عربية للضغوط الأميركية، وبدرجة أقل البريطانية التي لعبت دور الوكيل المساعد لرغبات الإدارة الأميركية في موضوع التهجير<sup>(2)</sup>.

## تهجير يهود العراق الى فلسطين

من المعلوم أنه لم يكن من السهل في ذلك الوقت على الصهيونية في خارج فلسطين اقتلاع الطوائف العربية - اليهودية من أمكنة إقامتها، ففي العراق على سبيل المثال، ورغم إطلاق وعد بلفور، ورغم الصدمات العنيفة بين الفلسطينيين والصهاينة، ورغم بركان الدعاية الصهيونية، ورغم التوتر المتنامي بين اليهود والمسلمين، ورغم الاعتداءات، غير المألوفة من ناحية تاريخية، على عراقيين يهود عام 1941، رغم كل ذلك، بل وحتى بعد إعلان الدولة اليهودية، بقي أغلب اليهود -العرب بعيدين عن العقيدة الصهيونية ولم يسارعوا في الرحيل إلى إسرائيل؛ بل وأنشأت الطائفة اليهودية في العراق، بعد قيام دولة إسرائيل مدارس جديدة، كما

(1) محمد جلاء إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي، تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت

(2) يهود العراق ومصر: هجرة أقرب إلى التهجير، محمود حدّاد، 27/أغسطس،

لم تقلص حجم مشاريعها، وهو ما يتيح لنا الاستنتاج أن المؤسسة اليهودية في العراق كانت تنوي البقاء هناك.

وعندما أعلنت الحكومة العراقية في عام 1950 أن كل يهودي يرغب في المغادرة يملك الحق في ذلك شريطة أن يتنازل عن جنسيته وممتلكاته، لم تقدم طلب تأشيرة خروج سوى بضع عائلات، وهنا يقول أفي شلايم: "إنني كيهودي عراقي أستطيع أن أقول إن يهود العراق لم يتم إرغامهم على ترك وطنهم، بل إن حكومة العراق كانت ترغب في بقائنا، فوضعنا لا يشبه وضع اللاجئين الفلسطينيين الذين أبعدهم إسرائيل عام 1948". ولأن الجزرة لم تجدِ كان لا بد من اللجوء إلى العصا. ويؤكد الخبراء أن تهجير اليهود من البلاد العربية تم تحت وطأة حملة اضطهاد مصطنعه ومتعمدة بالتواطؤ بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية؛ لأن الفترة التي سبقت قيام إسرائيل لم تشهد هجرة يهودية تذكر من البلاد العربية بالرغم من قرب فلسطين من هؤلاء<sup>(1)</sup>.

وتعاونت الزعامة اليهودية العراقية، على سبيل المثال، مع حكومة العراق التي كانت تسعى إلى إيقاف النشاط الصهيوني في بلدها، لدرجة أن الراي الرئيسي في العراق أصدر "بياناً" عام 1929 يشجب فيه الصهيونية ووعده بلفور<sup>(2)</sup>، ونُسب إلى مؤرخ صهيوني أن الحضور إلى اجتماع صهيوني منظم في بغداد، عام 1942، لم يتجاوز الأربعين شخصاً، في الوقت الذي كان الاتحاد اليهودي الشيوعي المعادي للصهيونية يصدر جريدة في بغداد بلغ توزيعها 6 آلاف نسخة<sup>(3)</sup>.

وكنتيجة للتعاون بين الحكومة العراقية وبين الصهيونيين وجدت الطائفة اليهودية نفسها في مأزق وفي خوف على مستقبلها، وكانت النتيجة أن أجبرهم الرعب على الرحيل الفوري، ويبدو أن هذه السياسة قد أحرزت أهدافها. كما شجعت الحكومة الإسرائيلية الهجرة اليهودية من العراق من خلال رشوة الحكومة العراقية لتجريد اليهود العراقيين من جنسيتهم ومصادرة ممتلكاتهم<sup>(4)</sup>. كما كان هناك شراكة بين الصهيونية وبريطانيا، في تقديم بنية تحتية ولوجستية للتواصل مع يهود العراق، عبر شركة "سوليل بونيه" في مدينة عبادان الإيرانية، التي شكلت

---

(1) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، سلسلة الكتب الحرة ١٤، بغداد: وزارة الاعلام، 1972، ص 751

(2) عباس شبلاق، هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ط1، 2015، ص 104

(3) رافائيل شاييرو، الصهيونية ورعاياها من اليهود الشرقيين، دار الحمراء-بيروت، ط1، 1991، ص 29.

(4) نورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك، ترجمة: ناصر عفيفي، ص 101.

قاعدة للتغلغل في أوساط يهود العراق، والتاريخ يحدثنا عن اللقاءات التي تمت بين الملك فيصل وحاييم وايزمان وعن الاتفاق العربي الصهيوني الذي توصلوا إليه، وقد عبرت صحيفة إسرائيل في 29-9-1933 عن مدى حزن يهود العراق لوفاة الملك فيصل عام 1933، وعن مدى الخسارة التي لحقت باليهود لفقدته؛ لأن الرجل كما تقول الصحيفة: كان يعطف على القضية اليهودية وكان صديقاً للدكتور وايزمان الزعيم الصهيوني؛ لأنه كان يرى في الصهيونية عاملاً من عوامل نهوض بلاد العرب بالاشتراك مع اليهود<sup>(1)</sup>.

ولا شك في أن عوامل أخرى ساهمت في خروج اليهود العراقيين إلى إسرائيل، منها تدبير الموساد عمليات زرع قنابل ضد المراكز اليهودية في بغداد وتديبره أيضاً لعملية جوية واسعة لنقلهم جواً من بغداد إلى تل أبيب، بحيث بلغ عددهم في 1950 و1951 نحو 121541 من نحو 124638 كان مجموع الذين تركوا البلاد بين العامين 1948 و1953. وكان هناك تواطؤ بين بعض السياسيين العراقيين والحركة الصهيونية في هذا المجال (اتفاق شلومو هليل- توفيق السويدي)<sup>(2)</sup>.

### تفجيرات بغداد

في مارس عام 1950، قدم صالح جبر، وزير الداخلية العراقي مشروع قانون إلى البرلمان يسمح لكل يهودي يرغب في الهجرة بالتخلي عن جنسيته العراقية، فحظي القانون بموافقة البرلمان، وفتحت المكاتب لتسجيل أسماء اليهود الراغبين في الهجرة، إلا أنه لم يتقدم لتسجيل اسمه طيلة شهر كامل سوى مئة وعشرون شخصاً فقط، وبعد شهر في مساء 8 نيسان / إبريل، وكان يوم عطلة يهودية، أُلقيت قنبلة على مقهى يرتاده اليهود في شارع أبي نواس، وفي صباح اليوم التالي وزعت منشورات في الكنيس اليهودية العراقية تدعو إلى النزوح هرباً من حملة قادمة من التفجيرات، وسرعان ما بدأت تغص مكاتب التسجيل بالناس، وتخلى عشرات من اليهود عن جنسيتهم العراقية، بينما إلقاء القنابل على الكنيس وأماكن تجمعات اليهود الأخرى يتواصل<sup>(3)</sup>.

(1) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950، ص34

(2) محمود حدّاد، يهود العراق ومصر: هجرة أقرب إلى التهجير، جريدة الحياة- 26 أغسطس 2015 -

<http://www.alhayat.com/article/687322/>

(3) نصر شمالي، عن الصهيونية غير اليهودية، لتجديد العربي-

<https://www.arabrenewal.info/2010-06-11-14-11-19/28245-2011/8/18>

ويتضح من خلال عدة شهادات أن خلية سرية صهيونية، يقودها عملاء سريون أرسلوا من إسرائيل، وضعت قنابل في مراكز يهودية في بغداد، حيث وقعت سلسلة من التفجيرات استهدفت أماكن عامة لليهود، وإحدى هذه القنابل أُلقيت في 14 يناير 1951 على باحة كنيس "مسعوده شم طوف" في بغداد في وقت كان الكثير من الناس مجتمعين فيه، مما أسفر عن قتل أربعة أشخاص من بينهم ولد عمره 12 عاماً، وجرح عشرون. وكان تأثير هذه التفجيرات قوياً؛ حيث أدت إلى خلق حالة من الهستيريا بين يهود العراق، الأمر الذي نجح بالفعل في تسريع الخروج الجماعي إلى إسرائيل. فما بين 8 أبريل 1950 و 10 يونيو 1951، وقعت خمسة انفجارات لم يعرف أحد هوية المسؤول عنها، إلى أن أعلنت الحكومة العراقية في 26 يونيو 1951 عن اكتشاف خلية تجسس في بغداد يديرها أجنيان ألقى القبض عليهما، وهما يهوداً تاجرًا، ومواطن بريطاني يدعى روبرت رودني كان عميلاً للموساد. واكتشفت السلطات خلال التحري والتحقيقات، كمية من المتفجرات والأسلحة والوثائق وقوائم بأسماء أعضاء في الخلايا الصهيونية، ونشرة وزعها الصهيونيون بعد إلقاء القنابل، تحذر الطائفة اليهودية من النتائج الوخيمة في حال بقاءها في العراق، وتنصح، اليهود بالعودة إلى وطنهم الطبيعي إسرائيل<sup>(1)</sup>.

وفي مصر انفجرت في يوليو 1954، القضية التي عرفت بفضيحة لافون، حيث اعترف وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك في تعليقه على تلك الفضيحة، بصورة غير مباشرة بتورط الحكومة الإسرائيلية في التفجيرات في العراق. المهم أن التفجيرات حققت الغرض الذي توخاه مَنْ كان وراءها. فبعد أول اعتداء بالقنابل، أخذ الآلاف من اليهود يصطفون أمام مكاتب التسجيل للهجرة. وفي 5 يونيو 1951، وصل 105000 منهم إلى إسرائيل. وبحسب الإحصاءات الإسرائيلية، فإن 124646 يهودياً من مواليد العراق قدموا خلال الفترة منذ تاريخ إقامة إسرائيل في مايو 1948 وأواخر سنة 1953<sup>(2)</sup>.

ومن جهة أخرى ساهمت الوطنية العراقية، ولا سيما حزب الاستقلال الذي أخذ يهدد بنديح اليهود، في الخوف المتزايد (لدى اليهود العراقيين)، وفي جميع الأحوال فقد شرعت الحكومة العراقية أيضاً في تشجيع المغادرة، ويبدو أن هذه السياسة كانت نتيجة تعاون مجموعة من الإسرائيليين الصهيونيين وبين أجنحة في الحكومة العراقية، كانت لها مصالح مالية فورية في طرد يهود العراق. وقد تولت شركة الطيران الأميركية مهمة نقل يهود العراق إلى فلسطين، وكان ممثل الشركة في العراق، والمشرف على تنظيم عملية الهجرة، هو الأميركي أرمسترونغ، والذي لم

(1) هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص 160

(2) المصدر نفسه، ص 156

يكن غير شلومو هيلل وزير الشرطة الإسرائيلي فيما بعد! وقد هاجر أكثر من مئة ألف يهودي عراقي خلال أشهر تحت قصف القنابل، وفي جو مفعم بالإرهاب والرعب، أما الذين صمدوا وأصروا على الاحتفاظ بجنسياتهم العراقية فكانوا فقط ستة آلاف يهودي بقوا في العراق<sup>(1)</sup>.

وهكذا نجحت الحكومة الإسرائيلية بين أيار 1950-1951 بنقل حوالي (110) آلاف يهودي إلى إسرائيل بالتنسيق مع الوكالة اليهودية، عبر عمليتي "عزرا" و "نيحيميا"، ويضم هذا العدد نحو (80) ألف يهودي كردي يملكون الكثير من التقاليد الخاصة بهم، وهكذا فقد تحولت الجماعة اليهودية التي وصل عدد أفرادها في سنة 1947 الى (150) ألفاً، إلى مجرد أقلية في سنة 1951، لا يربو عدد أفرادها سوى على (6) آلاف يهودي. وقد هاجر إلى فلسطين المحتلة منذ عام 1948 (129539) يهودياً<sup>(2)</sup>، مما جعلهم يحتلون المرتبة الخامسة من حيث الحجم بين المجموعات الإثنية الموجودة في "إسرائيل" بعد اليهود المغاربة والبولونيين، والروس والرومانيين، وقد بلغ عددهم في نهاية عام 1985، حسب المجموعة الإحصائية الإسرائيلية 267800 شخص. منهم نحو 97 ألف شخص من مواليد العراق و170800 شخص ولدوا في إسرائيل لأباء يهود عراقيين. وقد واجه يهود العراق صعوبات كبيرة جداً حيث وجدوا أنفسهم في بيئة اجتماعية مختلفة جداً عن حياتهم السابقة التي عاشوها في العراق. وكانت اللغة الجديدة المفروضة عليهم واختلاف أنماط العمل، وصعوبات السكن والعيش، أهم المشاكل التي واجهوها.

وبرز من اليهود العراقيين بين النخب السياسية والعسكرية كل من: شلومو هيلل رئيس الكنيست الأسبق، وموشي شاحال وزير مالية سابق، وشوشانا أربيلي الموزلينو وزيرة الصحة سابقاً ومن قادة حزب العمل، ومردخاي بن بورات رئيس حركة تيلم وعضو كنيست سابق. وعضوا الكنيست ران كوهين ورعنان كوهين، وإيلانا كوهين عضو كنيست من عام 2003<sup>(3)</sup>.

---

(1) نصر شمالي، الصهيونية غير اليهودية، ورة معهد الإعداد الإعلامي حول: الصراع العربي الصهيوني-دمشق 7/21 - 2001/8/2-موقع التجديد العربي-

<https://www.arabrenewal.info/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-I>

(2) علي إبراهيم عبده وآخرون، يهود البلاد العربية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، حزيران 1971 ص 198-202.

(3) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.؟؟؟

## هجرة يهود اليمن إلى فلسطين

قد تكون هجرة يهود اليمن إلى فلسطين هي الأقدم على الإطلاق، فقد بدأت في القرن التاسع عشر واستمرت على دفعات وموجات، حيث تمكنت المنظمة الصهيونية، من تعزيز روح الهجرة إلى فلسطين بين أوساط المجتمع اليهودي في اليمن، لاسيما وأن يهود اليمن كانوا على معرفة بالقدس، وعلى اعتقاد كبير بأن ساعة الفرج لهم قد قربت، وهو ما يؤكد إريك ماكرو الذي زار اليمن عام 1882م بقوله: "إن اليهود القاطنين بقريّة قرب صنعاء أظهروا معرفتهم بالقدس وبروتشلايد العظيم الذي كانوا يعتقدون أنه حاخام عظيم لليهود، وكانوا يتوهمون أنه يسكن القدس، وأنه اشترى أرضًا لهم ليمنحهم إياها، وعلى هذه الشائعة هاجرت أكثر من مائة أسرة يهودية من صنعاء إلى القدس لتنفيذ ذلك"، فقد كانت اهتمامات يهود اليمن منصبه على الحياة الدينية في فلسطين والأماكن المقدسة فيها، ويعترف احد الرحاله (يافينلي) بأن السؤال التقليدي الذي واجهه في كل المناطق التي زارها هو: هل هناك دلائل على قدوم المخلص المنتظر؟ وهذا يعنى حسب المفهوم الديني ان العودة إلى فلسطين لا تتم بارادة البشر، بل تتم بارادة الله. وعندما لم يستطع يافينلي الإقرار بوجود المخلص المنتظر، تراجع شغف يهود اليمن بالهجرة إلى فلسطين فاجابهم قائلا: كفاكم سلبية<sup>(1)</sup>.

وقد توالى هجرات اليهود اليمنيين إلى فلسطين بعد ذلك بصورة كبيرة، حيث هاجر خلال عامي 1911م و 1912م حوالي خمسة عشر ألف يهودي، و خلال الفترة الممتدة (1919-1948) هاجر نحو ستة آلاف يهودي يماني إلى فلسطين، وتلا ذلك نقل قرابة خمسين الف يهودي من اليمن جوا بين عامي 1948 و 1949 بعد أن تمت رشوة مسؤوليها المحليين<sup>(2)</sup>، وتم نقلهم من محمية عدن آنذاك عبر (400) رحلة جوية تم تسييرها بشكل متواصل<sup>(3)</sup>. واستمرت الهجرات في الأعوام اللاحقة حتى كانت سنة 1948 - 1949م التي هاجر فيها غالبية أبناء الطائفة اليهودية بعد إعلان قيام دولة إسرائيل فيما عرف بعملية "بساط الريح أو بساط سليمان"، ولم يبق في اليمن منهم سوى ما يقرب من 300 فرد آثروا البقاء داخل أرجاء اليمن، وباستثناء الطقوس الدينية لم يكن هناك ما يميز يهود اليمن عن عامة الشعب اليمني الذي عاشوا معه

(1) يهود اليمن: دراسته سياسية واقتصادية واجتماعية، ص 167

(2) يوسي ميلمان الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك البديري- الأهلية للنشر

والتوزيع، عمان ص 26

(3) يهود البلاد العربية، ص 327-331.

آلاف السنين، وكان إقتلاعهم من موطنهم الأم وتهجيرهم إلى فلسطين على مراحل، مؤامرة تضافرت فيها قوى دولية استعمارية مع المخطط الذي وضعته الحركة الصهيونية في مؤتمرها الأول في بازل 1897<sup>(1)</sup>.

وواجه يهود اليمن في سنوات هجرتهم الأولى صعوبات تأقلم كبيرة جداً بسبب من الفوارق والاختلافات الثقافية وخاصة من اليهود الإشكناز، وكانت مهمتهم ولباسهم، وأمزجتهم وطريقتهم في الحياة غريبة كلياً عن حياة هذا الكيان، وكانت الحدادة حرفتهم الأساسية، وكذلك صناعة الأحذية والجلود التي تقوم على طرق بدائية، وقد ظلوا يعملون في زخرفة النحاس وصناعة المطرقات وكتابة الرقائق التي لم تكن لتجد لها سوقاً في البداية، ولكن الصهاينة الذين أخذوا فيما بعد يتطلعون لاصطناع "تراث إسرائيلي خاص" بدأوا الاهتمام بها، وبالتقاليد اليمنية الخاصة في اللباس والغناء والألحان الجماعية لتوظيفها في الحديث عن "الفلكلور الإسرائيلي" المزعوم<sup>(2)</sup>.

وقدرت المجموعة الإحصائية الإسرائيلية لعام 1986 وجود 49500 يهودي من مواليد اليمن، إضافة إلى 161100 يهودي ولدوا في إسرائيل لأباء يمينيين، ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء نحو 35 ألف يمني ممن تعتبرهم الإحصاءات الصهيونية من أصل إسرائيلي (الذين وُلِدَ آبأؤهم في إسرائيل)، وكانت المجموعة اليهودية اليمنية هي المجموعة اليهودية الشرقية الوحيدة ذات الحجم المعتبر عند قيام إسرائيل عام 1948، نحو 35 ألف يهودي يمني. وقد استوطن ثلث اليهود اليمنيين في المدن، وخصوصاً في الأحياء الضيقة مثل حي المصراة في القدس وحي كفار شاليم في تل أبيب، ويعمل هؤلاء في البناء، والأعمال والحرف اليدوية، وفي قطاعي التعليم والخدمات، كما استوطن عدد كبير من اليهود اليمنيين في مدن التطوير في الجليل والنقب، وفي المستوطنات الزراعية، وفي عام 1969 كان هناك 40 موشافاً مسكوناً بالكامل تقريباً باليهود اليمنيين<sup>(3)</sup>.

وقد أثرى اليهود اليمنيون الثقافة الإسرائيلية بطيف جمالي لا حدود له من موسيقى ورقصات وأحجار كريمة منذ العام 1948م، وكأغلب الجماعات اليهودية الأخرى حافظ اليهود

(1) يهود اليمن: دراسته سياسية واقتصادية واجتماعية، ص 211

(2) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مدلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(3) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مدلون وغرباء وليسوا لاجئين.

اليمنيون على أدق تفاصيل الشريعة والتعاليم اليهودية القديمة، بل إنهم الفئة اليهودية الوحيدة في العالم التي تقرأ الكتاب المقدس لليهود مرفق بتلاوة مسموعة للترجمة الآرامية وفقاً لتقاليد الكنيس اليهودي<sup>(1)</sup>.

## يهود فلسطين والصهيونية

يؤكد كاتب إسرائيلي أن الفلسطينيين عاملوا اليهود في فلسطين معاملة ممتازة قبل ظهور الصهيونية، وأن الأخيرة هي التي أدت لتدهور العلاقات بين الطرفين. ويرسم كتاب "مترايطون" لمناحم كلاين ملامح الحياة المشتركة للعرب واليهود في عدة مدن في فلسطين نهاية القرن الـ19 ومطلع القرن العشرين. يقول كلاين: "إن حياة اليهود والعرب اليومية كانت مترابطة بالتجارة، التعليم، والمناسبات على أنواعها، ويدعي استناداً لروايات شفوية ومذكرات ووثائق فلسطينية ويهودية وأجنبية أن ذلك نجم عن ضعف الحكم العثماني وتشكل هوية محلية جامعة في فلسطين فوق الدوائر الدينية، ويلاحظ المؤلف أن الفلسطينيين ميزوا بين "اليهود العرب" و"اليهود المهاجرين الجدد"، وnectوا الأوائل بأولاد البلد، ويتحدث عن علاقات طيبة بين الجانبين<sup>(2)</sup>، ويدلل كلاين على مزاعمه بأمثلة كثيرة فيقول: إن اليهود شاركوا أيضاً في موسم النبي روبين في يافا وشارك فلسطينيون في مسيرة شيمعون الصديق اليهودية في القدس. كما شارك شيوخ وحاخامات بصلوات استسقاء مشتركة في أيام القحط بفلسطين، ويؤكد أن المهاجرين الجدد هم سبب دق الأسافين بينهما<sup>(3)</sup>.

فقد خلقت الصهيونية مآزقاً أيديولوجياً معقداً للطوائف الفلسطينية المسلمة والمسيحية واليهودية على قدر سواء، ففي بداية الاستيطان الصهيوني كانت الحركة القومية العربية في فلسطين وسوريا تميّز تمييزاً بين المهاجرين الصهاينة، وبين السكان اليهود المحليين الذين يعيشون بأمان بين العرب<sup>(4)</sup>، وقد احتج عدد من زعماء الطائفة اليهودية (السفاردية)، على

---

(1) أفرايم أيزاك، اليهودية والإسلام في اليمن، دراسة للتفاعل التاريخي والثقافي، محفوظة لمركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث\* المسار اليمني.

(2) مناخيم كلاين، اليهود، العرب في فلسطين، مجلة قضايا إسرائيلية، ع 57، آيار 2015 مدار -المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- ص 104

(3) المصدر نفسه، ص 106

(4) هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ص 308.

الخطط الصهيونية، ففي عام 1920 وقعوا على عريضة مناوئة للصهيونية أعدها فلسطينيون مسلمون ومسيحيون، وفي عام 1923 اجتمع عدد من اليهود الفلسطينيين في كنيس من أجل التنديد بالسلطة الأشكنازية الصهيونية، وهتف بعضهم للمجلس الإسلامي المسيحي ولزعيمه موسى الحسيني الذي قال: إن العرب لا يكرهون اليهود كيهود، لكنهم يرفضون أن تقوم الأقلية وتعلن سيادتها على البلاد"<sup>(1)</sup>.

وفي مارس 1929، في سياق التظاهرات الجماهيرية ضد وعد بلفور والصهيونية، صيغت عريضة احتجاج من الناصرة وقراها عبرت عن الاعتراض "فقط على الهجرة الصهيونية وليس على اليهود بشكل عام" لأن "أبناء بلدنا من اليهود، هم اخوة لنا وأبناء بلدنا وكل يهود العالم هم أخوتنا". وعلى خلفية العنف، واجه اليهود العرب ضغطاً للاختيار بين عريضة مناهضة للصهيونية وبين يهودية موالية للصهيونية. ولأول مرة في تاريخهم تنتصب عريبتهم ويهوديتهم الواحدة إزاء الأخرى، كنفيزين يقودان إلى طريق مسدود<sup>(2)</sup>.

وكانت الهوية المستولدة - العربية - اليهودية قائمة في فلسطين وقبل بداية أيّ من الحركتين القوميّة العربيّة والقوميّة اليهوديّة، وقد انتشرت هذه الهوية في الحارات المختلطة والمهرجانات الدينيّة، كما في اللغات المتداولة والمدارس والمقاهي، ولكنّ الصّراع المتفاقم بين الصّهاينة والفلسطينيين، قضى على هذه الهوية. وبالتالي، من الخطأ الاستنتاج بأنّ العداوة هي ما ميّز العلاقات اليهوديّة- العربية في فلسطين منذ البداية، فقد كان اليهودي-العربي حقيقة حيّة في فلسطين، هويّة محلّيّة من الانتماء إلى السكّان والمكان، وعزف الفلسطينيون رفاقهم اليهود كأصلائيّين (أبناء البلد) وكيهود مولودين عرباً (يهود أبناء عرب)، على عكس المهاجرين الصّهاينة والذين كانوا يدعونهم بأبناء موسكو (موسكوبيّين) لقد كنّا نراهم كأجانب من أوروبا أكثر من يهود هذا ما كتبه عادة كرمي في مذكراتها عن القدس في بداية الأربعينيات من القرن العشرين<sup>(3)</sup>.

## اليهود في سورية

بلغ العدد الإجمالي لليهود في سورية (30) ألف شخص قبل سنة 1947، ينتمون إلى (3)

(1) وديع عواودة، إسرائيلي الصهيونية أفسدت التعايش بفلسطين، حيفا- الجزيرة نت-

<http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2016/4/4>

(2) هجرة أو تهجير: ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص308.

(3) اليهود-العرب في فلسطين، ص102

جماعات مختلفة في عاداتها وتقاليدها، ولم يعد هناك الآن في سورية سوى القدر القليل من أفراد هذه الجماعات. وبعد انطلاق المفاوضات مع الأطراف العربية هاجر من سورية إلى الولايات المتحدة نحو (2600) يهودياً خلال عامي 1992 و1993، وقد ترك معظم اليهود سورية بدءاً من سنة 1992، حيث وصل إلى الولايات المتحدة (3565) يهودياً، أما الباقين فتوجهوا إلى فلسطين المحتلة. ومنذ عام 1948 هاجر إلى فلسطين المحتلة 9945 يهودياً من سورية<sup>(1)</sup>.

وفي لبنان استقرت غالبية اليهود في القرى اللبنانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبني هؤلاء علاقات وطيدة مع أفراد الجالية الدرزية، وقد ارتفع عدد أفراد الجماعة اليهودية خلال القرن الماضي بشكل كبير، وذلك بفضل هجرة اليهود الأتراك واليونانيين إلى البلاد، وتبعهم في ذلك يهود من سورية و العراق، وصل عدد اليهود إلى أكثر من (10) آلاف في عام 1952، ويقيم معظم اليهود اللبنانيين في مدينة بيروت، حيث توجد لجنة في بيروت تمثل الجماعة اليهودية في البلاد، وكانت هناك مدرستين وكنيسين في بيروت، ومدرسة في مدينة صيدا الساحلية قبل اندلاع الحرب الأهلية عام 1976، هذا وقد هاجر (4062) يهودياً من لبنان منذ عام 1948 باتجاه فلسطين المحتلة<sup>(2)</sup>. وكان يوجد في لبنان عام 1997 نحو (20) يهودياً.

### يهود مصر والصهيونية

تمتع اليهود المصريين بجميع حقوق المواطنه التي كفلها الدستور المصري، واستفاد اليهود الأجانب من نظام الامتيازات، وكان وضع الطائفة اليهودية في مجمله ممتازاً، ومع ذلك انخرط بعضهم في صفوف الصهيونية وظلوا يروجون لها ويتفانون في العمل من أجل تحقيق أهدافها قرابة نصف قرن من الزمان في جو من الحرية والأمن<sup>(3)</sup>، وقد اشتكى منهم طلعت باشا حرب؛ لأنهم منعه من تأسيس فرع في فلسطين لبنك مصر، وأسعدهم استبعاده من رئاسة البنك، وقد نجح هؤلاء في إقامة علاقات قوية بعدد من السياسيين المصريين مثل إسماعيل صدقي الذي كان عضو مجلس إدارة بعدد من الشركات المملوكة لرؤساء يهود، مثل شركة كوم أمبو التي استولت على أراضي الفلاحين وطردتهم منها<sup>(4)</sup>.

(1) أنور محمود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية، ص173-190

(2) نبيل محمود السهلي، اليهود في الدول العربية، دنيا الوطن: 23-01-2005

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/16173.html>

(3) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950، ص31

(4) زبيدة عطا، يهود مصر، عين للدراسات والبحوث- القاهرة، 2010، ص37.

ويمكن القول عمومًا أن علاقة اليهود في مصر لم تكن سلبية تمامًا مع الأمل الصهيوني، فعندما صدر وعد بلفور، أقامت المنظمة الصهيونية حفلًا بمدينة الإسكندرية، حضره محافظ المدينة حينها أحمد زيود باشا وكبار رجال المجتمع اليهودي، واختتم بكلمة لجاك موصيري رئيس المنظمة، ولا يوجد معلومات عن عدد الحضور في هذا الحفل<sup>(1)</sup>، وتذكر صحيفة إسرائيل في عددها الصادر بتاريخ 10-1-1933 أن ناحوم سوكلوف الذي تولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية كان في زيارة للقاهرة، وأنه حظى بمقابلة جلالة الملك في قصر عابدين، وأنه أثناء وجوده بالإسكندرية منذ شهرين قد قيد اسمه في سجل التهاني بقصر المنتزه<sup>(2)</sup>.

وعداة الحرب العالمية الثانية، لم تكن الجالية اليهودية تبدي أي اهتمام بالصهيونية، من قريب أو بعيد. ولكن أحداث العنف الهامة التي وقعت في 1945، في ذكرى وعد بلفور لصالح إنشاء وطن لليهود في فلسطين، غيرت مجرى اهتماماتهم، حيث رافق أعمال الشغب هذه حرق المعابد اليهودية ونهب المحال التجارية في القاهرة، مما حدا بالحاخام الأكبر توجيه رسالة إلى رئيس وزراء مصر، قائلاً بأن الجالية اليهودية تنأى بنفسها عن المطالبة بدولة يهودية في فلسطين. وقد تميز النشاط الصهيوني، وإن كان قانونياً، بمستوى منخفض حتى عام 1947، ويعود هذا الضعف جزئياً إلى وجود خلافات داخل الحركة.

وفي مواجهة النشاط الصهيوني المحموم، ظهرت منظمات يهودية مقاومة للنشاط الصهيوني، أبرزها<sup>(3)</sup> الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو). وقد سعت حدتو إلى تكوين الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية المعروفة باسم، رابطة مكافحة الصهيونية التي تأسست في أيار 1947<sup>(4)</sup>، وقد أصدرت بياناً وحددت أهدافها: الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب. والربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية، والعمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين، وأخيراً العمل على حل مشكلة اليهود المشردين المشتتين في بعض الأمصار.

وقد قصرت الرابطة عضويتها على اليهود المصريين فقط انطلاقاً من اعتبار تثبيت المعارضة

---

(1) سهام نصار، اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، تقديم: خليل صابات، العربي للنشر والتوزيع، ص 25.

(2) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، ص 33.

(3) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ ص 23.

(4) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، ص 29.

اليهودية المبدئية للصهيونية، وأن مقاومة الصهيونية لها أساس مبدئي كونها حركة عنصرية، وأساس وطني كونها حليفة للاستعمار وحذرت في نداء آخر إلى يهود مصر من أكاذيب الدعاية الصهيونية، ولكن وزارة الشؤون الاجتماعية رفضت التصريح للرابطة بالإشهار، ثم أمر محمود فهبي النقراشي باشا رئيس وزراء مصر بحلها في حزيران 1947 بحجة المحافظة على النظام والأمن العام في البلاد وقد قال عزرا هراري، سكرتير الرابطة، بأن الصهيونية تحظى بتأييد البوليس المصري نفسه. وكان السياسيون المصريون آنذاك، وخصوصاً الديوان الملكي، يقدرّون أن الشيوعية هي الخطر الأكبر على مصر والمنطقة، وأن الصهيونية تلمها في الخطورة<sup>(1)</sup>،

ولذا فإن اليهود الذين انضموا إلى الحركة الصهيونية أو كانوا يدعمونها؛ لم يجدوا صعوبة في ذلك، فقد كانت الحدود مفتوحة بين مصر وفلسطين، وكان للحركة اليهودية مكاتب رسمية تعمل في مصر بوضوح، وظلت كذلك إلى أن اتخذ مصطفى النحاس باشا قراراً بإغلاقها نهائياً ومنعها من العمل داخل مصر، لما تمثله من خطورة على فلسطين، وتبيّن ضلوعها في الهجرات اليهودية المتزايدة إلى فلسطين، خاصة سنوات الحرب العالمية الثانية<sup>(2)</sup>، وقد قدر عدد اليهود المصريين قبيل العام 1948 بـ 75 ألف نفس؛ وبسبب الوضع المميز لهم في مصر اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، فإن أرقام الهجرة كانت ضئيلة قبل 1948، حيث هاجر منهم إلى فلسطين 2000 شخص فقط<sup>(3)</sup>.

وهناك ظاهرتان متعاكستان من المفيد التوقف عندهما في ما يخص الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، سواء من البلاد العربية أم من غيرها، وهما أن معظم الذين تركوا بلادهم الأصلية فضّلوا الانتقال إلى بلد غربي غير إسرائيل فمن بين 27 ألف يهودي مصري تركوا الكنانة، مثلاً، استقر 7200 منهم فقط في إسرائيل أي نحو الربع، كما أن المهاجرين اليهود يحرضون حتى اليوم على أن تكون لديهم جنسية مزدوجة حتى يستطيعوا المغادرة إلى بلاد تقدم لهم ظروف عمل أفضل<sup>(4)</sup>.

وعلى الرغم من الوضع المميز لليهود في مصر، فقد انجذبت هذه الجموع اليهودية إلى النشاط الصهيوني لأسباب مختلفة، ولا سيّما منها الضغوط التي مارستها المنظمة الصهيونية العالمية على

(1) نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، ص ٤٠

(2) يهود مصر، ص ٤١

(3) نصر شمالي وهشام الدجاني. الظروف التاريخية للهجرة اليهودية. دار المستقبل. دمشق (1990)، ص 25.

(4) يهود العراق ومصر: هجرة أقرب إلى التهجير <http://www.alhayat.com/Articles/10810774>

هذه الجماعات لكي تشترك في العمل الصهيوني، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تغيير جذري في مستقبل هذه الجماعات في بلادها الأصلية حيث تمت عمليات تهجيرها إلى فلسطين وتصفية الوجود اليهودي في البلاد العربية على يد الصهيونية بعد قرون من التعايش والاندماج الحقيقي في حياة الوطن العربي والإسلامي<sup>(1)</sup>.

وبعد قيام دولة إسرائيل، هاجر 20000 يهودي إلى إسرائيل أو إلى أوروبا، و20000 آخرون عام 1957 إثر حملة السويس، وهزيمة مصر في عام 1967 أدت إلى رحيل من كان قد بقي في مصر، وقد أكد تقرير بريطاني على أن الأفكار الصهيونية أدت إلى تقويض دعائم الصداقة بين المسلمين واليهود، وحسب إحصائيات إسرائيلية تعود للعام 1986، وجد نحو 65 ألف يهودي مصري وسوداني في إسرائيل عام 1985 منهم 28 ألفاً من المهاجرين و37 ألفاً ولدوا في إسرائيل<sup>(2)</sup>، ويوجد في مصر الآن (100) يهودي.

### يهود ليبيا والصهيونية

ما إن حلّ الاستعمار الإيطالي (1911م) حتى هُلل اليهود لمقدمة بوصفه مخلصاً من نظام الملل العثماني، ودفعت أجواء الدعاية إلى التعلق بسراب التحرر، على اعتبار ما سياترب عنه من تحديث للبنى الاجتماعية المتردية وما سينعكس على أوضاع الجالية اليهودية، وأكد تقرير بلدية طرابلس إن عدم معرفة مصير البلاد، وإشاعة قدر كبير من الغموض حول مستقبلها، أوجداً ظروفاً سياسية سيئة ضاعفت من إثارة، مشاعر من القلق والاضطراب داخل أوساط العرب واليهود على حد سواء<sup>(3)</sup>.

وعلى مستوى تدوين تاريخ يهود ليبيا، هناك ثلثة من المؤرخين جلّهم من أصول يهودية، مثل حاييم زيف هارشبيرغ، وشلومو دوف غويتن، وميشال أبيتبول. قدّموا من خلال أبحاثهم حصراً لأعداد اليهود، حيث قارب العدد الجملي في بلاد المغرب في حدود العام 1948 نصف مليون نسمة، أدناه في ليبيا 36.000 يهودي. ووفق إحصاء لمؤسسة "التحالف الإسرائيلي

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص ٢، ج ٢، ص ١٢٢

(2) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين، الوحدة الإسلامية، السنة الحادية عشر، ع 131. نوفمبر 2012

(3) اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ ص28، بلدية طرابلس في مائة عام (1870-1970)، جزءان (1973)، شركة دار الطباعة الحديثة، طرابلس، ص377.

العالمي" ورد ضمن الكتاب، كان يقطن 14.000 يهودي بطرابلس سنة 1903 وألفان بينغازي، في حين توزع 4.480 على المناطق المجاورة. وبعد حرب 67، فقد تبقى زهاء خمسة آلاف يهودي ليبي، شملتهم موجة هجرة ضمن أزمة سياسية شاملة حلت بالمنطقة. وباندلاع ثورة الفاتح خلت ليبيا تقريبا من يهودها<sup>(1)</sup>.

وقد رحل شقّ واسع من يهود بلاد المغرب تحت ضغط الفاشية والنازية لا سيما في تونس وليبيا، كذلك لعبت المنظمات اليهودية، دوراً في تهجير يهود ليبيا، وحشد الحاملين للـ"عاليا" (الهجرة) نحو إسرائيل<sup>(2)</sup>، وأشار تقرير بريطاني إلى أن اليهود الليبيين لم يكن لديهم الحماس للانضمام إلى الحركة الصهيونية أو المشاركة في نشاطاتها، وانحصر الاهتمام الوحيد بالعلاقات الثقافية مع الوفود الصهيونية القادمة من أوروبا أو من مكتب فلسطين، واتسمت العلاقة مع فلسطين بالحنين الديني والتوق إلى أرض الميعاد المقدسة<sup>(3)</sup>.

وخلافاً لبقية المجموعات اليهودية التي وصلت إلى إسرائيل من الدول العربية، فإن الليبيين اندمجوا بشكل كبير في المجتمع الإسرائيلي وليس من السهل التمييز بينهم وبين الآخرين.. فقد حرصوا على الحفاظ على كل ما يملكونه فأقاموا متحفاً خاصاً بهم يشرح تاريخهم ويعرضون فيه الصور من داخل ليبيا في خمسينات وستينات القرن العشرين، وكذلك الملابس والمعدات التي تعكس عاداتهم وتقاليدهم. وأنشأ يهود ليبيا أكثر من مركز أبحاث، وحرصوا على مواصلة احتفالاتهم الدينية والاجتماعية بالنمط نفسه الذي اعتادوه في ليبيا. وبرز منهم، موشيه كحلون- وزير الاتصالات الذي ولد العام 1960، وانتخب في الكنيست السادس عشر. وحاز على المكان الأول في الانتخابات الداخلية في الليكود العام 2006، ويعد أبرز الوجوه الشرقية في الليكود<sup>(4)</sup>.

---

(1) عز الدين عناية، يهود ليبيا، صحيفة المثقف، ع 4092، المصادف 18-11-2017

<http://www.almothaqaf.com/a/b8/922870>

(2) موريس روماني، يهود ليبيا.. من التعايش إلى الرحيل

(3) أسامة بركات الدسوقي، اليهود في ليبيا ودورهم من 1911-1951، كلية الآداب جامعة طنطا مصر، 2000، ص 292.

(4) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

## اليهود في تونس

بالرغم من الغموض الذي يكتنف تاريخ اليهود في تونس، إلا أن بعض المؤرخين يؤكدون حسب المصادر الإسرائيلية، أن وجود الجماعة اليهودية في تونس وخاصة قرطاجنة يعود إلى عام 200 م. فقد تهددت الأخطار الوجود اليهودي خلال العهد الروماني، ونشط العديد من اليهود في القطاع الزراعي، بينما انخرط غيرهم في القطاع التجاري مع روما، واستمرار الارتفاع في عدد أفراد الجماعة اليهودية، كنتيجة مباشرة للهجرة المتواصلة إلى تونس ونشاط الرسائل الدينية اليهودية<sup>(1)</sup>.

وعاش اليهود في تونس بأمن وسلم وبرز منهم جورج عدة الذي كان على مرّ عقود من الزمن يحظى باحترام وتقدير كل السياسيين التونسيين في السلطة والمعارضة، وكان من أبرز الوجوه النقابية، كما ضم مجلس التأسيس بعد الحكم الذاتي في الجمهورية التونسية ثلاثة أعضاء من اليهود، وظل اليهود ناشطين في الحياة الاقتصادية في تونس على مر العصور، حتى إن أول حكومة بعد الاستقلال يشكلها الحبيب بورقيبة ضمت لفترة وجيزة وزيرين يهوديين وهما أندريه باروخ وألبير بيسيس<sup>(2)</sup>.

وقد هاجر نحو (53054) يهودياً من تونس باتجاه فلسطين المحتلة منذ عام 1948. ويُقدّر عدد يهود تونس في "إسرائيل" بنحو 50 ألف يهودي من أصول تونسية يقيمون في مناطق وقرى داخل إسرائيل، وهم يمثلون حالة اجتماعية وثقافية داخل المجتمع الإسرائيلي حيث يحافظون على نفس عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم التونسيين، فيأكلون الكسكسي و يقيمون "الحضرة" ويشربون الشاي الأخضر ويستمعون إلى المألوف الأندلسي والموسيقى التونسية الأصيلة. وتتميز نشاطات الجماعة اليهودية بالعديد من الاحتفالات الطقسية المتعددة الألوان، بما فيها الحج السنوي إلى جربا، لزيارة كنيس "الغربة" الواقع في قرية "الحارة الصغيرة" والذي يعود تاريخه إلى 1900 سنة خلت ويضم "متحف باردو" في العاصمة التونسية معرضاً مخصصاً للأغراض المستعملة خلال أداء الشعائر والطقوس الدينية اليهودية. وقد برز في الوسط السياسي

---

(1) الانتشار اليهودي في العالم، ترجمة عن العبرية صادر عن الحكومة الاسرائيلية، مركز الإسراء للدراسات و البحوث، بيروت 1997 ص 135-137.

(2) رضا الماوي، اليهود التونسيون على مفترق طرق جديد، بي بي سي عربي، 22 تشرين الأول،

<<http://www.bbc.co.uk/arabic>

شخصيتان من يهود تونس هما: سيلفان شالوم، وزير التطوير الإقليمي في حكومة نتنياهو، وعضو الكنيست دافيد طل<sup>(1)</sup>.

## اليهود في الجزائر

تعود أصول هؤلاء اليهود إلى العصر القديم حين أتوا البلاد جماعات، خاصة من أسبانيا، غير أن غالبيتهم أعتنقوا الإسلام خلال فترة سلالة "الموحدين" التي دامت من سنة 1130 وحتى سنة 1269، ومع تدهور ظروف اليهود في أسبانيا في القرن الرابع عشر، انتقل العديد منهم إلى الجزائر، ومع مرور الزمن ومجيء الفرنسيين إلى الجزائر عام 1830، تبني اليهود الثقافة الفرنسية، وأعطيت لهم الجنسية الفرنسية أيضاً.

وفي عام 1997، بلغ عدد اليهود هناك نحو (50) يهودياً، وخرج العديد من يهود الجزائر بعد عام 1962، أي بعد استقلال الجزائر، واتجهوا إلى فرنسا واستقروا هناك، أما اليهود في الجزائر حالياً فيتجمعون في العاصمة الجزائر، بالإضافة إلى أعداد قليلة في مدينة وهران وبلليدا، وقد هاجر إلى إسرائيل منذ عام 1948 نحو (25681) يهودياً من الجزائر<sup>(2)</sup>.

## يهود المغرب والصهيونية والاستعمار

عندما انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية سنة 1897 برئاسة هرتزل، شارك في هذا المؤتمر مجموعة من يهود المغرب العربي الذين قدموا دراسة عن وضعية أخوانهم في المغرب العربي، أفادت أن عدد يهود المغرب العربي يبلغ 150,000 يهودياً، وحسب الدراسة فإن دورهم سيكون بالغ الأهمية في قيام الدولة العبرية، والمهام الموكلة بهم تتمثل في جمع المال للمشروع الصهيوني ونقله للمنظمة الصهيونية العالمية وإقامة تجمعات ومنظمات سياسية، نشطت في جمع المال وتوعية اليهود بأهمية أن تكون لهم دولة<sup>(3)</sup>.

وعندما تربع الملك محمد الخامس على العرش عام 1927، كان المغرب يخضع لنوع من

---

(1) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(2) علي إبراهيم عبده، وخيرية قاسم، يهود البلاد العربية، سلسلة دراسات فلسطينية عدد 82، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، حزيران 1971، ص143

(3) يحيى أبو زكريا، دور يهود المغرب العربي في إنشاء إسرائيل، مجلة العصر - 16-11-2002-

- <http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=3331>

الحماية، جعل أراضيه تحت سيطرة فرنسا وأسبانيا حيث أجبر الملك على قبول معاهدة الحماية في 1912، وخلال الحرب العالمية الثانية، كانت الحركة المعارضة للحماية قد تقوت، حيث دفعت كل هذه الأحداث إلى لجوء الاستعمار الفرنسي إلى اليهود لخدمه أغراضه مقابل خدمة أغراض الصهيونية العالمية وأهدافها<sup>(1)</sup>.

وهكذا بدأ اللوبي الصهيوني يرسي دعائمه بالمغرب مع بداية الترويج للصهيونية، حيث تم بتمويل سخي من طرف رولتشيولد تأسست أولى المؤسسات التعليمية العصرية الخاصة باليهود في المغرب، وذلك لتوفير الشروط لإنتاج نخبة يهودية مثقفة تخدم القضية الصهيونية، حيث تهاقت عليها عدد من اليهود المغاربة كان على رأسهم آنذاك "اندرى شوراقي" الكاتب العام للرابطة الإسرائيلية العالمية الذي اهتم أكثر من غيره بدراسة يهود شمال إفريقيا، ومن ضمنهم اليهود المغاربة، وبفضله لعبت الجريدة الصهيونية "نوار" دور تسميم عقول الشباب اليهودي المغاربة في الفترة الممتدة من منتصف أربعينات إلى فجر خمسينات القرن الماضي، في وقت سادت فيه روح التعايش والتسامح والتناغم والتفاهم "العضوي" بين اليهود المغاربة والمسلمين<sup>(2)</sup>.

ولا شك أن هناك العديد من العوامل التي ساهمت بدفع الأغلبية اليهودية في المغرب إلى أحضان الصهيونية، رغم طابع التعلق الديني الخلاصي، البعيد عن الأيدولوجية الصهيونية. ومن أبرز هذه العوامل رفض السلطة الفرنسية منح الجنسية الفرنسية لليهود المغاربة، ما ساهم في ابتعادهم عن ثقافته الفرنسية، ووجدوا أن تحررهم الذاتي لن يكون من خلال النموذج الفرنسي، فبدأوا بالتقرب للصهيونية التي استغلت الوضع منذ الثلاثينيات<sup>(3)</sup>.

## هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل في فترة محمد الخامس

بعد تأسيس دولة إسرائيل عام 1948، أزداد العداء لليهود في كافة البلاد العربية ومنها

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الجزء 2-ص 272

(2) إدريس ولد القابلة القنيطرة، اللوبي الصهيوني بالمغرب واللوبي المغربي بإسرائيل؟؟- المغرب- 2-8-2003- الحوار المتمدن-

[www.m.ahewar.org/s.asp?aid=8948&r=0](http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=8948&r=0)

(3) أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية 2007، ص75.

المغرب حيث اعتبر أي يهودي خامة لصهيوني وهو عدو للقضية العربية، فيما حاولت الحكومة و(المعارضة) باستمرار وضع فرق بين الصهاينة واليهود الذين هم رعايا للملك، ولكن وفي أزمنة العاطفة القومية، يحيط الضباب بذلك الفرق<sup>(1)</sup>، بما يتبعه من عدا و أحداث هنا وهناك استغلته الحركة الصهيونية افضل استغلال لخدمه أهدافها، حيث بدأت عمليات الهجرة الواسعة بعد سنة 1950 ووصل عدد يهود المغرب آنذاك حسب مصادر مغربية رسمية إلى أكثر من 300 الف يهودي وكانوا مقربين من المستعمر الفرنسي ومتحكمن في الكثير من مفاصل الحياة الاقتصادية والسياسية المغربية، وبعد اعلان قيام اسرائيل سنة 1948 بدأت تصلهم رسائل من بن جوريون بالهجرة، وبالفعل وبدعم من المستعمر الفرنسي بدأت هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل على دفعات ( حوالي 20 ألف سنتي 1948 و 1949 و 40 الف ما بين 1952 و 1955)<sup>(2)</sup>. وخلال الفترة من 1955 – 1957 تصاعدت ارقام المهاجرين بسبب تحسن الحالة الاقتصادية بفضل اتفاقية التعويضات الالمانية وبلغ عدد المهاجرين 160 الف معظمهم من البلاد العربية منهم 70 الف من المغرب<sup>(3)</sup>.

وخلال الفترة بين 1958-1960 حدث هبوط نسبي في عدد المهاجرين إذ بلغ حوالي 75 الف ومن بين الأمور التي ساعدت على هذا الهبوط إجراءات الحكومة المغربية بعد الاستقلال بمنع الهجرة<sup>(4)</sup>. حيث أعلن الملك محمد الخامس منع هجرة اليهود إلى إسرائيل ولكنه منحهم كافة حقوقهم السياسية والمدنية والاقتصادية ومع هذا استمرت هذه الهجرة سراً. لذا تضايق اليهود من محمد الخامس لأنه فعلاً رفض الكثير من دعوات الصهاينة للسماح لكل اليهود بالهجرة. ولهذا قابل وفد برئاسة د. ليون بنزكيون ولي العهد الأمير الحسن الذي القى باللوم على عناصر حزب الاستقلال داخل الشرطة في محاولة منهم لإثارة الحكومة ووعده بتدارك الموقف وإصلاحه، وبالفعل حدث تغيير كلي في سياسة الهجرة حين توفي الملك ونصب مكانه الحسن الثاني لتبدأ بعد هذا مرحلة جديدة من هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل<sup>(5)</sup>، وفي غضون ذلك،

---

(1) حسن ساتي، الوثائق السرية البريطانية، -

<http://www.wladbladi.com/forum/showthread.php?t=28953>

(2) إدريس ولد القابلة، المغرب واليهود والموساد3- الحوار المتمدن - ع 1392 - 2005 / 12 / 7

(3) الأصولية اليهودية في اسرائيل، ص 101

(4) كمال الأسطل، مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب "دراسة حول المشابهة التاريخية بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية، دارالموقف العربي، ص 241

(5) إدريس ولد القابلة، المغرب واليهود والموساد، الحوار المتمدن، العدد3: 1392 - 2005 / 12 / 7

استخدمت صحافة المعارضة (الاستقلال واتحاد القوى الشعبية) اتهام تأييد الصهيونية كعصاة مقبولة لضرب الحكومة<sup>(1)</sup>.

## يهود المغرب في إسرائيل

يشكل يهود المغرب في "إسرائيل" ثاني أكبر جالية بعد الجالية اليهودية الروسية، والذين يقدر عددهم بمليون مواطن إسرائيلي يحتفظون بالجنسية المغربية ويزورون المغرب باستمرار، ولا يزالون يحافظون على التقاليد والعادات المغربية ويعتبرون ملك المغرب ملكاً عليهم ويحترمونه، وبعد رحيل الملك الحسن الثاني أعطوا لست ميادين اسم ميدان الحسن الثاني في إسرائيل.

ولا تشكل مجموعة يهود المغرب العربي المجموعة الأكبر عدداً في إسرائيل فحسب، بل والمجموعة الأكثر فتوة ونشاطاً من الناحية الديمغرافية فمتوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة من هذه الأقطار هو 5 أشخاص، في حين يبلغ عدد بعض الأسر منها 10-12 فرداً. أما من الناحية الاجتماعية فقد جاء المهاجرون من أبناء هذه المجموعة دون صفوة سياسية أو اقتصادية، فالنخبة المالية المدنية المثقفة من يهود هذه الأقطار والتي كانت مندمجة في إطار النخبة الفرنسية المثقفة، هاجرت إلى فرنسا، تاركة الجماهير اليهودية الأكثر فقراً وبؤساً، الأمية في معظمها، تذهب إلى إسرائيل<sup>(2)</sup>، وبنزوح المهاجرين من شمال افريقيا تغيرت صورة المجتمع الاسرائيلي بالكامل. فقد تزايد اليهود الشرقيون من 15% عام 1948 الى 50% مع الستينات<sup>(3)</sup>.

أما من الناحية الاستيطانية فإن معظم مهاجري المغرب قد وجهوا إلى المستوطنات والكيبوتسات الجديدة التي بنيت في الخمسينات والستينات وإلى مدن التطوير، ويسكن يهود المغرب مع بقية اليهود الشرقيين في المدن الكبرى ضمن أحياء ضيقة بوجه عام، مثل وادي الصليب في حيفا، وأحياء: هاتكفا، ولفي تساهل، وكفار شاليم في تل أبيب، والمصرارة في القدس، ومن الشخصيات السياسية البارزة من يهود المغرب الوزراء: دافيد ليفي، وعمير بيرتس، ومئير شترت، وشلومو بن عامي، وإيلي سويسا<sup>(4)</sup>، ويوجد في المغرب حالياً نحو (7500)

(1) حسن ساتي، الوثائق السرية البريطانية، -

<http://www.wladbladi.com/forum/showthread.php?t=28953>

(2) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(3) مجدي علي عطية، يهود إسرائيل ومشكلات التغيير الاجتماعي، السياسة الدولية، ع 87-يناير 1987، ص104

(4) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

يهودي عام 1997، ويمثل اليهود المغاربة بقايا جماعة يهودية قديمة ومزدهرة، بلغ عدد أفرادها أكثر من ربع مليون شخص في عام 1956، هذا وقد هاجر الى فلسطين المحتلة منذ عام 1948 وحتى عام 1997 نحو (215677) يهودياً، ويشكل اليهود المغاربة أقليات كبيرة في المجتمع الاسرائيلي نتيجة ذلك<sup>(1)</sup> ..

---

(1) علي إبراهيم عبده، يهود البلاد العربية، و خيرية قاسم، سلسلة دراسات فلسطينية، ع82، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، حزيران 1971 ص269-273



## الفصل الخامس

### الوضع الابتدائي للواقع الإسرائيلي والواقع العربي والدولي

إن الصورة الوردية التي بدت لنا، للعلاقات العربية اليهودية خلال فترات التاريخ السابقة، انقلبت للأسف إلى صورة قاتمة ودامية في العصر الحديث نتيجة ظهور الحركة الصهيونية التي تزعم أنها تمثل التطلع المستمر لليهود في أنحاء العالم لاسترداد ما يسمونه وطنهم القومي التاريخي- صهيون، أرض إسرائيل، حيث يعود الأمل اليهودي في العودة إلى فلسطين إلى اليهود الذين هجروا إلى بابل قبل حوالي 2500 سنة، وبعدها جاء الملك الفارسي قورش فسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، وفي العصر الحديث ظهرت الصهيونية وسعت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وتوجت جهودها بوعد بلفور عام 1917 الذي مثل البداية الحقيقية لقيام إسرائيل في وضعها الحالي.

والمعلوم أن إسرائيل قامت عبر ثلاث مراحل: الأولى: هي إعلان قيام دولة إسرائيل في عام 1948، وما تبعها من حرب، تمكنت خلالها من احتلال 76.7% من مساحة فلسطين، بما فيها القدس الغربية، والثانية: في حرب 1967 واحتلال باقي أرض فلسطين التاريخية، إضافة إلى سيناء من مصر، والجولان من سوريا، ومزارع شبعا وتلال كفرشوبا من لبنان، أما المرحلة الثالثة: فتمثلت في تأمين المكتسبات الإسرائيلية على أرض الواقع من خلال إبرام اتفاقية كامب ديفيد مع مصر عام 1979، والانسحاب من سيناء، واتفاقية وادي عربة مع الأردن عام 1994<sup>(1)</sup>، واتفاقية أوسلو مع السلطة الفلسطينية عام 1993.

وفي محاولتنا رسم سياربو المستقبل الإسرائيلي، سنبدأ من الوضع الابتدائي<sup>(2)</sup> بمحدداته

---

(1) أحمد فؤاد إبراهيم المغازي، العامل الديمغرافي ودوره في الصراع الفلسطيني، الإسرائيلي: دراسة إحصائية

استشرافية، رؤى استراتيجية، يوليو 2014 ص 63

(2) الوضع الابتدائي هو نقطة انطلاق أو مجموعة شروط أولية لكل سيناريو. ومن الأهمية التمييز بين نوعين من العناصر ضمن مجموعة الشروط الأولية للسيناريو: الوقائع وتعني حقائق الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والسياسية والتأثيرات الخارجية والاتجاهات السائدة، بالإضافة إلى الاتجاهات الجديدة. والجهات الفاعلة فهي القوة الأكثر تأثيراً على صنع الأحداث، سواء كفاعل أو كرد فعل.

المختلفة (الداخلية والعربية والدولية) الذي تتحرك فيه إسرائيل الآن لمعرفته ومعرفة امكانيات تطوره أو اتهيأه ومحددات وجوده التي انتجت حاضره، وستلعب دورا مهما في تحديد مسار مستقبله، وهذا يتطلب منا قراءة واعية للواقع الراهن لهذه الدوله وما تعيشه في هذا التوقيت.

## المبحث الأول: الواقع الصهيوني الإسرائيلي: الوضع الابتدائي:

### محددات الوجود والقوى المحركة

في عام 1947 اتخذ مجلس الأمن الدولي قراره المرقم 181 والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية، وقد أفضى هذا القرار، إلى تداعيات تجسد أبرزها في الإعلان عن إنشاء الكيان الصهيوني عام 1948، واندلاع أولى الحروب العربية- الصهيونية بعد يوم واحد من هذا الإعلان، حيث خسر العرب الحرب، مما أدى إلى تأسيس معادلة غير متوازنة بين طرفين توافرا على أهداف متناقضة، ولكن من دون إرادة سياسية متماثلة على الإنجاز<sup>(1)</sup>. وقد دفع أدراك الكيان الصهيوني لأسباب هذه الخسارة العربية، إلى تبني استراتيجية غايتها المرحلة التمكّن الاستراتيجي من العرب عبر تكريس الوجود، وتطوير العلاقات الدولية الداعمة، والارتقاء بالقدرة الشاملة، ولذا كانت أنماط السلوك الإسرائيلي حيال العرب عبر الزمان، تتطور، وعلى وفق المعطيات المستجدة، ولكن ضمن إطار الأهداف الثابتة لمفهوم الأمن الإسرائيلي، لفرض السلام بمفهومه الإسرائيلي على العرب. ومن هنا كان تكرار الاعتداءات الصهيونية على أرض عربية خلال هذه المدة الزمنية.

وقد طرأ تطور كبير على واقع اسرائيل منذ تأسيسها وحتى الآن من كافة النواحي، وبرزت تحديات واخفاقات ومشاكل بالرغم من الانتصار في ساحة المعركة على الدول العربية، وسنحاول هنا تلمس الواقع الإسرائيلي من كافة جوانبه، لعل ذلك يساعدنا في رسم معالم السيناريو المستقبلي المناسب.

### النظام السياسي الإسرائيلي

تتمثل أهم الملامح العامة للنظام السياسي في إسرائيل في أولوية الايديولوجيا والمركزية السياسية والتعدد الحزبي المفرط، فإسرائيل دولة ديمقراطية برلمانية، ليس لديها دستور رسمي، وتقوم على عدد من القوانين الأساسية التي تضع إطار وصلاحيات السلطات المختلفة،

---

(1) انظر: طاهر خلف البكاء، فلسطين من التقسيم إلى أوصلو، 1937-1995، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2001، ص205.

وقانون العودة هو أحد أكثر القوانين الأساسية أهمية، والذي اعتمد عام 1950، ونص على أن لكل يهودي الحق بالمجيء إلى البلاد كمهاجر، وأن هذا الحق هو حق فطري لكل يهودي، ويمكنه استعماله في أي وقت يختاره، وبذلك فقد تجسد الدور الرئيسي للدولة الصهيونية في تجميع يهود العالم في إسرائيل، ومن ثم منح حق الإقامة لأي يهودي يأتي إلى فلسطين<sup>(1)</sup>، إذا تمكن من إثبات أن له جد يهودي واحد على الأقل، ما يمكنه من اكتساب المواطنة الإسرائيلية. وتقع السلطة التشريعية على عاتق الكنيست، وللمحكمة العليا السلطة لتحديد ما إذا كان قانون ما متوافقاً مع القوانين الأساسية.

ويقوم النظام السياسي في إسرائيل على قواعد عدة أهمها: الإقرار بحق وسيادة مفهوم تداول السلطة بين قوى المجتمع المختلفة، واعتماد النظام الحزبي والكوتة الحزبية في نيل أصوات الناخبين، والتشكيل البرلماني، ولذلك فإن للأحزاب الصغيرة تأثير في صناعة القرار وإعطاء الثقة للحكومة، مما يوفر لها باستمرار فرصة المشاركة السياسية الواسعة. ويسمح النظام السياسي في إسرائيل بتكتل الأحزاب والقوى السياسية على أي أسس دينية أو عرقية أو فكرية أو حتى متطرفة، ولذلك تشكل حزب المهاجرين الروس، وتشكل الحزب الديني شاس، وتشكل الأحزاب العربية، والأحزاب ذات الطابع الشرقي...إلخ<sup>(2)</sup>.

وإذا كان النظام السياسي الإسرائيلي يعتبر من الناحية الإجرائية نظاماً ديمقراطياً برلمانياً، لكن الواقع يقول عكس ذلك، بسبب المكانة الخاصة التي يحتلها الدين في الدولة، وبسبب الاحتلال الإسرائيلي وأساليبه، والتمييز ضد المواطنين العرب، الذين يعتبرون مواطنون درجة ثانية، وديمقراطيتها مشوهة. تقترب سياستها شيئاً فشيئاً من سياسات الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، ولذا فإن عالم الاجتماع الإسرائيلي، سامي سموحا، يسلم بأن الديمقراطية الإسرائيلية هي نموذج خاص ومميز من الديمقراطيات يطلق عليه اسم الديمقراطية الإثنية، وجوهر النظام الاتني، أنه نظام خاص يعمل على تمكين الأمة المهيمنة من التوسع والإيغال في فرض الإثنية والسيطرة على الإقليم الجغرافي المتنازع عليه، وبالرغم مما لديها من تمثيل ديمقراطي، فإنها تسهّل عمليات التوسع غير الديمقراطية للإثنية المهيمنة، ولذا توصف بأنها

---

(1) ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، مجلة جامعة دمشق، المجلد

19، ع2، 2003، ص 405

(2) جواد الحمد، التركيب الإثني والطائفي في المجتمع الإسرائيلي وإمكانات الانشطار، جريدة المستقبل، أيار/

مايو، 1999

إثنية مفتوحة من ناحية شهية الهيمنة والسيطرة، وهي تضم في الوقت الراهن دولاً مثل: سيريلانكا، وماليزيا، ولافيا، وصربيا، وإسرائيل، فضلاً عن حالات قديمة مثل أستراليا<sup>(1)</sup>.

ولذا من الأصح القول إن إسرائيل تحمل ملامح نظام استبداد الأكثرية، ويمكن وصفها بدولة إثنوقراطية<sup>(2)</sup>، حيث لا تجتمع ديمقراطية مع احتلال، وظلم ظاهر، وتمييز فاضح حتى داخل "الجماعة" اليهودية، ولا يكفي اتخاذ حرية التعبير معياراً لهذه الديمقراطية التي تركز بألياتها المختلفة الظلم والتمييز، وتمتص غضب الضعفاء، ويتضح ذلك من متابعة الصراعات الداخلية الإسرائيلية (خاصة أوقات الانتخابات وعرض الموازنة على الكنيست)، حيث تبدو تلك الدولة عبارة عن مجموعة من الضباع التي تتنافس على فريسة، ولا تحفل بقواعد أخلاقية، ولا قيم دينية ولا أيديولوجية، ولا مصالح عامة<sup>(3)</sup>.

### القوى السياسية الإسرائيلية

ينقسم المجتمع في إسرائيل بتراكيبه المختلفة عمودياً في النظام السياسي إلى اتجاهات يسارية ويمينية، ويمثل حزب (الليكود) زعامة التيار اليميني، فيما يمثل حزب العمل (المعراخ) زعامة التيار اليساري والوسط، وقد سيطر اليسار على النظام السياسي في إسرائيل طوال العقود الثلاثة الأولى من عمر الدولة، فيما سيطر اليمين على القرار السياسي في العقود الأخيرة<sup>(4)</sup>، والصفة السائدة والمؤثرة في النظام السياسي هي التشدد حالياً لا سيما بعد سيطرة الحريديم (المتدينون) على نسبة كبيرة من صناعة القرار في الحكومة والتوسع الاستيطاني<sup>(5)</sup>،

- 
- (1) أنطوان شلحت، عن الصيرورة الراهنة ل«المشروع الصهيوني، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي»، ط1، حزيران - 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات- البيرة، ص163
  - (2) يوسف جبارين ومهند مصطفى، دليل إسرائيل العام 2011، دراسة، نظام الحكم في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص61
  - (3) يوري أفنيري، مستقبل إسرائيل، ترجمة: رندة القاسم، الأربعاء 2007/2/7- جريدة الثورة- مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. دمشق. سورية
  - (4) جواد الحمد، التركيب الإثني والطائفي في المجتمع الإسرائيلي وإمكانات الانشطار، جريدة المستقبل أيار 1999-مركز دراسات الشرق الأوسط الأردن-

<http://www.mesc.com.jo/OurVision/1999/32.html>

(5) زاهر أبو حمدة، زوال إسرائيل: الحصان ليس وحيداً، الميادين- 2016-05-12

<http://www.almayadeen.net/articles/opinion/811346>

وينقسم الإسرائيليون من الناحية الأيديولوجية إلى قسمين كبيرين:

**اليمين:** وينقسم بدوره إلى يمين ديني، وتمثله الأحزاب اليهودية الدينية (شاس، المفدال، يهودت هتورا) ويمين علماني، ويمثله كل من أحزاب: الوحدة الوطنية وإسرائيل بعاليه، وإسرائيل بيتينو، والليكود وجيشر.

**اليسار:** وينقسم إلى: يسار يهودي، وهو أقرب إلى الوسط منه إلى اليسار، ويمثله أحزاب: ميرتس، شينوي، العمل، المركز، شعب واحد. ويسار عربي، وهم بمجموعاتهم المختلفة يقعون أقصى يسار الخريطة السياسية الإسرائيلية، وخاصة بمعيار الموقف من عملية التسوية، ويمثلهم أحزاب: القائمة العربية الموحدة، والجهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التجمع الوطني الديمقراطي، والحركة العربية للتغيير<sup>(1)</sup>.

## الاقتصاد الإسرائيلي

الاقتصاد الإسرائيلي حالة استثنائية في الشرق الأوسط، فبدون موارد وفيرة مثل النفط والغاز ومع عدد قليل من السكان، تتفوق إسرائيل على جميع الاقتصاديات الإقليمية الأخرى، باستثناء بعض اقتصاديات الخليج العربي المدعومة بالنفط، فالنتاج الإجمالي المحلي لإسرائيل الذي بلغ 242.9 مليار دولار عام 2011، أكبر بمرتين من الناتج الإجمالي لسوريا والأردن ولبنان معاً، وبكلمات أخرى: ينتج 7,5 مليون نسمة من الإسرائيليين ضعف جميع هذه البلدان مجتمعة مع عدد سكان إجمالي أكبر بأربعة أضعاف. وهذا ما يجعل الاقتصاد الإسرائيلي أقوى بثمانية مرات من اقتصاد جيرانها العرب<sup>(2)</sup>، والاقتصاد الإسرائيلي من ناحية حجمه بين اقتصادات المنطقة والعالم، يحتل المرتبة السادسة بعد تركيا وإيران ومصر والسعودية والجزائر. ويأتي في المرتبة الرابعة إقليمياً وفقاً للناتج القومي المحسوب بالدولار، لكنه يأتي في المرتبة الأولى من ناحية تقدمه؛ حيث يعتبر اقتصاداً صناعياً متقدماً بالفعل بالمقارنة بعدد السكان، ومن ثم أصبح صندوق النقد الدولي يدرج إسرائيل ضمن مجموعة الدول الصناعية

(1) جلال الدين عز الدين علي، خريطة الانقسامات الداخلية الإسرائيلية، -

<http://alarabnews.com/alshaab/2004/07-05-2004/p13.htm>

(2) بيبي لاندا وشمونيل إيفن اقتصاد إسرائيل في عصر العولمة، دلالات إستراتيجية، منشورات "معهد دراسات الأمن القومي"، جامعة تل أبيب - 2007 نشرت هذه القراءة في مجلة "قضايا إسرائيلية" - في: عرب 48

المتقدمة، وهو الوضع الذي لم تبلغه أي دولة عربية حتى الآن.

وتسارع إسرائيل إلى اتخاذ الخطوات الكفيلة ببقائها ضمن لائحة الدول العشرين الأكثر تطوراً في العالم، التي تستمد مكانتها من معدل الناتج للفرد الواحد على مدار الأعوام، وللوصول لهذه المكانة استند الاقتصاد الإسرائيلي إلى مجموعة من الركائز. فعلى مدى أكثر من ستين عاماً تمكنت إسرائيل من إكمال بناء هيكلها الاقتصادي بتنفيذ مخططاتها الزراعية والصناعية والسياحية. وتمتلك إسرائيل سوقاً متقدماً في صناعة التكنولوجيا، وتتمثل أهم وارداتها من الخارج في النفط الخام، والحبوب، والمعدات العسكرية، وحققت الاكتفاء الذاتي في الإنتاج الغذائي باستثناء الحبوب، وأهم صادراتها: المعدات التكنولوجية الحديثة، والماس، والمنتجات الزراعية<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من إيجابية هذه المؤشرات فإن الاقتصاد الإسرائيلي تأثر باضطراب الأوضاع السياسية والأمنية، ولكنه لم ينفصل عن إسرائيل بإجراءات تنظيمية تحول دون ذلك، ولم يكن الاقتصاد الإسرائيلي ليستطيع تحمل الصدمات بالطريقة المطاطية، وتنفيذ برامجه للنهوض، لولا توفر عوامل عديدة في هيكلته وتركيبته الاقتصادية، أهمها امتلاكه للبنية التأسيسية السليمة للاقتصاد الصناعي، بالإضافة إلى الدعم والتمويل الدولي الذي تلقتة إسرائيل من يهود العالم، والتعويضات التي حصلت عليها من ألمانيا، كما قامت إسرائيل باستغلال نسبة 70% من المساعدات التي تلقتها في أوجه قابلة للاسترداد، ولذلك لم يكن غريباً -رغم ما يتعرض له الاقتصاد الإسرائيلي من أزمات- أن يحتل المرتبة الـ 21 بين أكبر 25 دولة مصدرة للسلع العالية التكنولوجية<sup>(2)</sup>.

ورغم إحراز إسرائيل نمواً اقتصادياً كبيراً، إلا أنها ستظل دولة مغتصبة صغيرة الحجم قليلة السكان، وسوقها المحلي ضيق، وهي كيان يعيش منذ بداية تكوينه بمستوى أعلى بكثير من القدرات والموارد الاقتصادية التي اغتصبتها، وإن بقاء الدخل الفردي في مستوى عالٍ -يضاهي أغنى الدول الصناعية ويتفوق على معظم الدول العربية كإستراتيجية لاجتذاب المهاجرين اليهود- لا يمكن أن يستمر إلا باعتماد إسرائيل على العون الخارجي، وبالذات الأمريكي

(1) محمد حافظ عبد المجيد، الاقتصاد الإسرائيلي، سياسة المطاط تمنع الانهيار، إسلام أونلاين

<https://pal-stu.com/vb/showthread.php?t=2734>

(2) المصدر نفسه.

الذي يقدر سنوياً بـ (6-8) مليارات دولار، حيث تغطي الولايات المتحدة حوالي خمس ميزانية إسرائيل الدفاعية<sup>(1)</sup>، وقد أثار هذا الاعتماد المخاوف لدى عدد من السياسيين والإستراتيجيين الإسرائيليين ورأوا في استمراره نوعاً من العجز المزمّن للاقتصاد<sup>(2)</sup>، وعندما قرّرت الحكومة الإسرائيلية في نهاية التسعينات تقليص الاعتماد على المعونة الأمريكية بالتدريج، لم تتمكن من الاستمرار وطلبت إعادتها مجدداً في نهاية عهد بوش الابن!

وأهم ملامح الاقتصاد الإسرائيلي غلبة الاعتبارات الاستراتيجية والايديولوجية عليه، والدور المركزي للدولة في توجيهه، وضعف إمكاناته الذاتية وعلاقته الحيوية بالعالم الخارجي التي يقابلها علاقة ضعيفة مع الوسط الأقليمي المحيط، ورغم توقعات المراقبين بانهياب الاقتصاد الإسرائيلي إزاء كل أزمة سياسية تتعرض لها، فإنه سرعان ما يسترد عافيته وينهض من جديد أقوى من ذي قبل، ويلخص لاندأ وإيفن الاتجاه التاريخي للاقتصاد الإسرائيلي بأنه مقلق جداً على الرغم من بضعة أعوام من النمو، وإن مفتاح الحل يكمن في تحقيق زيادة حثيثة لنتائج الفرد في إسرائيل وتقليص نطاق الفقر، فالنمو الاقتصاديّ المكين هو عامل ضروري وحيوي لجعل إسرائيل دولة قوية ومتطورة في مقدورها أن تحقق غاياتها الوطنية في مجالات السياسة الداخلية والخارجية والأمن<sup>(3)</sup>.

## الواقع الاجتماعي في إسرائيل

قامت دولة إسرائيل في منطقة يقطنها الفلسطينيون، وخلال حرب 1948، تم طرد حوالي 80% منهم من قبل القوات اليهودية المسلحة، ويتألف السكان اليهود من مجتمعات متنوعة، الأشكناز والسفارديم، ومجموعات أخرى، ويفسر هذا إلى حد كبير سبب استعمال لغات أخرى إلى جانب اللغة العبرية في إسرائيل، حيث تؤكد الدراسات أن المجتمع الإسرائيلي يعاني شروخاً وتصدعات أخرى مثل: شرخ أو تصدع بين العلمانيين والمتدينين، و شرخ أو تصدع على أساس اقتصادي / اجتماعي بين الفقراء والأغنياء، وأخيراً شرخ أو تصدع بين اليمين واليسار، وهذه

---

(1) إبراهيم الدقاق، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، مراجعه نقدية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص292

(2) ندوة "حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015م"، مركز دراسات الشرق الأوسط.

(3) بني لاندأ وشموئيل إيفن، اقتصاد إسرائيل في عصر العولمة- دلالات إستراتيجية، إصدار: منشورات "معهد دراسات الأمن القومي"، جامعة تل أبيب- 2007- نشرت الدراسة في مجلة قضايا إسرائيلية- ملحق

المشهد، 20 أبريل 2008- <https://www.madarcenter.org>

الشروع أو التصدعات متداخلة على حد كبير بمعنى أن فقراء الدولة العبرية هم أساسًا من العرب واليهود الشرقيين والمتدينين غير الصهيونيين والمهاجرين الجدد.

## التركيب الإثني والطائفي في المجتمع الإسرائيلي

قام التشكيل الاجتماعي لإسرائيل منذ تأسيسها على تعددية إثنية نادرة، فقد هجر مئات الألوف من اتباع الديانة اليهودية من بقاع الأرض بثقافتهم وأعرافهم المختلفة، ولم يجمع بينهم سوى جامع الدين، وتشكل المجتمع في أرض تملكها أعراق أخرى واتباع ديانات أخرى غير اليهودية، ما تسبب بزيادة هذا التعدد والتنوع الإثني والديني في المجتمع، وينقسم المجتمع في إسرائيل أفقياً وعمودياً بدرجة مثيرة، حيث يتشكل عمودياً من عرقين أساسيين هما: السفارديم ويشكلون أكثر من 60% من اليهود في المجتمع، والأشكناز ويشكلون حوالي 40% من اليهود، وثمة تناقضات كبيرة بين هاتين الفئتين على وجه التحديد تتعلق بالتاريخ والتوجهات السياسية والفكرية بل والطائفية الدينية. كما ينقسم المجتمع أفقياً على أسس متعددة، فهو يتشكل من حوالي 15% من المسلمين، و2% من المسيحيين، فيما يشكل اليهود 79% من المجتمع، كما يتشكل من الفئات العلمانية بنسبة 75-80%، والمتدينة بنسبة 20-25%، ويشكل العرب حوالي 20,8% من السكان، ويشكل اليهود المهاجرون حديثاً من الاتحاد السوفيتي حوالي 12,7% من المجتمع، فيما يشكل الفلاشا حوالي 1,3%، ويتوزع هذا التنوع الإثني والديني على أحزاب سياسية ودينية وطائفية مختلفة، تزيد على خمسة عشر حزباً رئيسياً<sup>(1)</sup>.

وفي إحصائية أصدرتها دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية عام 2017، ظهرت معطيات جديدة حول السكان في إسرائيل، وقالت إن عدد السكان بلغ 8.680 مليون نسمة، ووفقاً لهذه المعطيات، بلغ عدد السكان اليهود 6.484 مليون نسمة ويشكلون نسبة 74,7%، والعرب 1.808 مليون نسمة ويشكلون 20,8%، لكن هذا المعطى يشمل الفلسطينيين في القدس المحتلة الذين يقدر عددهم بأكثر من 300 ألف نسمة، والسوريين في هضبة الجولان السورية المحتلة الذين يقدر عددهم بأكثر من 20 ألفاً، كذلك بلغت نسبة المسيحيين غير العرب وغير المعرفين دينياً 4,5%، وعددهم حوالي 388 ألفاً، وتوقعت دائرة الإحصاء أن يصل عدد سكان إسرائيل في

(1) خالد أبو عصبه، "التركيبة السكانية وأثرها على الملمح الاجتماعية في إسرائيل حتى العام 2015،" في ندوة: حاضر إسرائيل ومستقبلها حتى عام 2015، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 27 - 28 آب/ أغسطس 2007.

العام 2048 إلى 15.2 مليون نسمة، وقالت الدائرة: إن عدد اليهود في العالم بلغ 14.411 مليون و43% يسكنون في إسرائيل، و75% من اليهود الإسرائيليين مولودون في البلاد، ويعرف 44% من اليهود أنفسهم أنهم علمانيون، و24% أنهم محافظون غير متزمطين دينيًا، و12% محافظين متدينين، و11% متدينين و9% حريديم، وقال: 52% من العرب: إنهم متدينون ووصف 21% أنفسهم بأنهم علمانيون و23% ليسوا متدينين كثيرًا و4% متزمطين دينيًا. وفي نهاية العام 2016، بلغت نسبة البطالة في إسرائيل 4.8% ومتوسط الأجور 9800 شاقل. وتوجد في إسرائيل 3.239 مليون مركبة<sup>(1)</sup>.

وينقسم المجتمع الإسرائيلي من الناحية الإثنية إلى مجموعتين كبيرتين: الأولى: هم السكان الشرعيون ويطلق عليهم فلسطينيون 1948م أو عرب 48 أو عرب الداخل، ويلاحظ في العقد الأخير تزايد الوعي القومي فيما بينهم وتزايد معدلات تصويتهم للأحزاب العربية، وخاصة مع ما حققته هذه الأحزاب من نهوض بمطالبهم في الكنيسة. والمجموعة الثانية: هم المستوطنون اليهود، وقد هاجروا إلى إسرائيل في موجات متتالية منذ بداية القرن العشرين، وأسسوا دولة استيطانية في فلسطين، تقوم أساسًا على التمييز والفصل العنصري في سياستها الداخلية بمحاربتها للعرب الفلسطينيين بشتى الوسائل داخل إسرائيل، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين، بل هي أكثر من هذا تميز عنصريًا بين اليهود أنفسهم، ولقد أدى هذا التمييز العنصري إلى انعدام التكامل الاجتماعي الداخلي في إسرائيل، ومن هنا فإنه يمكن القول: أن إسرائيل تفتقر إلى مايسعى (بالوحدة الوطنية) داخلها؛ لأنها تفتقر إلى مقومات الاندماج الاجتماعي التي تفرض على الإنسان أن يعايش أقرانه في المجتمع<sup>(2)</sup>، وهكذا يبدو المشهد الإثني داخل الدولة العبرية، صراعًا مستفحلًا وعدم ثقة بالمعسكر العربي الفلسطيني الذي له هويته المعادية للدولة الصهيونية، إضافة إلى الصراع اليهودي اليهودي، والذي يشكله الصدع المزراحي الأشكنازي... إنها معادلة متراكمة في خلافاتها يصعب أن تستقر أو تبقى على حالها<sup>(3)</sup>.

(1) بلال ضاهر، عدد سكان إسرائيل 8.680 مليون نسمة 2017/04/27 - 13:42 - عرب 48 -

<https://www.arab48.com/>

(2) ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، كلية العلوم السياسية،

جامعة دمشق، سوريا، ص 387

(3) أسعد غانم، الهامشيون في إسرائيل تحدى الهيمنة الأشكنازية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ط

1، 2005 - عرض/ نزار رمضان- الجزيرة نت

## انقسام اليهود إلى أشكناز وسفراديم (غربيون أو شرقيون)

يمكن تصنيف الجماعات اليهودية المتنوعة على عدة أسس، وهذا يعود إلى إشكاليين أساسيين كامين في الشرع والموروث الديني اليهوديين، فاليهودي يعرف بأنه من ولد لأم يهودية بحسب الشريعة، وهو ما يعني أن هناك أساساً عقائدياً (اليهود والإيمان باليهودية) وأساساً عرقياً (لأم يهودية)، أي أن الانتماء إلى اليهودية يمكن أن يتم على أساس أي من المنطقتين. كما أن اليهودي الملحد يظل يهودياً على الرغم من إلحاده وهذا أمر ينفرد الشرع اليهودي به دون الإسلامي والمسيحي.

ويمكن تصنيف أعضاء الجماعات اليهودية على أساس عرقي إلى مجموعات كبرى ثلاث<sup>(1)</sup>: السفارديم وهم اليهود الذين كانوا يتحدثون اللادينو، وهم نسل أولئك اليهود الذين عاشوا في شبه جزيرة أيبيريا أصلاً، أما الفئة الثانية فهم اليهود الأشكناز، وهم يهود شرق أوروبا (روسيا/بولندا) الذين يتحدثون اليبديشية. ومع أن أغلبية الأشكناز كانت تتحدث اليبديشية، فقد كان هناك أشكناز يتحدثون اللغات الأوروبية الأخرى<sup>(2)</sup>، وهناك فئة ثالثة هي فئة يهود الشرق والعالم الإسلامي، حيث تشير لهم الدراسات على أنهم (سفارد) أيضاً، وهذه تسمية مغلوط فيها، ويعود هذا إلى أن كثيراً منهم يتبع النهج السفاردي في العبادة، لكن هذا لا يجعلهم من السفارد، فتجربتهم الدينية والثقافية والتاريخية مختلفة تماماً، وبذلك يتعدد اليهود بتعدد البلدان التي هاجروا منها، وتصنف الإحصاءات الإسرائيلية السكان اليهود وفقاً لبلد الأصل إلى عدة جماعات إثنية رئيسية:

1- اليهود الأشكناز: هم المولدون في أوروبا وأمريكا، وقد هاجروا إلى فلسطين فراراً من معاداة الأوروبيين لليهود، أو اعتقاداً في الصهيونية كحركة قومية، وهؤلاء عانوا من الاضطهاد، وعاشوا الصراع الثقافي بين العقيدة والفكر اليهودي التقليدي والأفكار والقيم المعاصرة، وعاصروا مخاوف اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها واحتمالات ضياع الهوية اليهودية، و(أشكناز) باللغة العبرية تعني: ألمانيا؛ حيث يُنسب إليها هؤلاء اليهود، بينما ينسبهم بعض الباحثين إلى "يهود الخزر"، الذين تعود أصولهم إلى قبائل تركية قديمة، وتشير المعطيات

(1) عبدالوهاب المسيري، يهود العالم، في كتاب دليل إسرائيل العام، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1996، ص 470.

(2) المصدر نفسه ص 470-471.

المتاحة إلى أن اليهود الغربيين الأشكناز الذين شكلوا الغالبية العظمى من المستوطنين الأوائل، والذين أوكل إليهم التأسيس لإنشاء الكيان الصهيوني، وقد استمروا أغلبية في إسرائيل حتى أوائل الستينيات بنسبة 52.1%، ولكن في مطلع السبعينيات تفوقت عليهم نسبة السفارد فصارت النسبة 44.2% من الإشكناز مقابل 47.4% من السفارد عام 1972، وبقي الأمر على ذلك حتى تدفّق هجرة اليهود السوفييت حيث رجحت كفة الإشكناز قليلاً.

وَيتمتعُ معظمُ المستوطنين الأشكناز بازدواجية الجنسيّة، إذ ما تزال غالبيتهم تحتفظ بالجنسية الأصليّة وما يترتّب عليها من حقوق في الدول التي قدموا منها، إلى جانب جنسيتهم الإسرائيليّة المكتسبة، ومعظمهم كانوا ينتمون للطبقات الفقيرة والشريحة الدّنيا من الطبقة المتوسطة، واستوطن الأشكناز في المدن الساحلية والمناطق الحضرية المتقدمة، ويشكلون مجتمع الصّفوة في المجمع الاستيطاني الصهيوني، ويسيطرون على كافّة مراكز صنع القرار الإسرائيلي في مختلف المجالات، ويشكّلون الطبقة العليا في البنيان الاجتماعي الإسرائيلي<sup>(1)</sup>.

2- اليهود الشرقيّون (السفارديم): (سفارديم) هي نسبة إلى (سفاراد) وهي إسبانيا، وهو اصطلاح يُستخدَم للإشارة إلى اليهود الذين أقاموا في أجزاء مختلفة من بلاد المغرب العربي بعد حركة الاضطهاد الديني التي عاشتها الأديان بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس، ثم امتدت التسمية لتشمل جميع اليهود من أصول شرقية، وتتكون هذه المجموعات من المهاجرين من أقطار شرقية أهمها المغرب، ثم العراق ومصر، وهناك يهود قادمون من اليمن وسوريا وإيران وبخارى<sup>(2)</sup>، وقد عاش غالبيتهم في المجتمعات العربية والإسلامية، ولم يعانون من الاضطهاد، وجاءت هجرتهم إلى الكيان الصهيوني تحت ضغوط الحركة الصهيونية وإرهابها، أو وراء الأحلام بحياة سعيدة بعد الهجرة لما يُوصف بـ(أرض الميعاد)، كما تمّت هجرتهم بصورةٍ جماعيةٍ، ووغالبية هؤلاء اليهود عاشوا بين العرب والمسلمين قرونًا طويلةً؛ وكانوا جزءًا من الثقافة العربية والإسلامية، ولم يكن لهم اتصالٌ بالحرقة النازية او معاداة السامية.

واليهود الشرقيين يقعون في صميم الصراعات الداخلية التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي، سواء اتخذت هذه الصراعات منحى دينياً أو سياسياً أو اقتصادياً، ويلاحظ أنه رغم

(1) غانية ملحيس، هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات؟؟ مقالات، الأحد، 14 آب / أغسطس،

2016

(2) أودي أديب وآخرون، اليهود الشرقيون في إسرائيل، 2003، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية عرض/

إبراهيم غرابية، الجزيرة نت

محاولات الإذابة والإدماج فقد حافظ اليهود الشرقيون على تمايزهم الإثني، وهم أقرب إلى المتدينين منهم إلى العلمانيين، وإلى اليمين السياسي منه إلى الوسط أو اليسار، وإلى الطبقات الأقل حظاً والأكثر فقراً في المجال الاقتصادي<sup>(1)</sup>.

3- يهود أبناء البلد (الصبارا): وهم يهود وُلدوا هم وأبائهم في البلد (فلسطين المحتلة)، ولم يعرفوا وطناً لهم غير هذا الكيان، وارتباطاً هؤلأء بالأرض ليس نتيجة اعتقادٍ دينيٍّ أو إيمان بالصهيونية، وإنما لأنهم وُلدوا عليها، فهؤلأء لم يعرفوا عقدة الاضطهاد التي عاشها الصهاينة الأوائل، ويشير الباحثون إلى أن هؤلأء اليهود يضعون (إسرائيليتهم) قبل يهوديتهم، ويشكّلون نسبة 63% من سكان الكيان الصهيوني الغاصب.

4- المهاجرون الروس: وهم أكبر تجمع اثني في إسرائيل، وأكبر تجمع روسي خارج روسيا، لديهم صعوبة في الاندماج الكامل مع المجتمع الإسرائيلي، إذ لا تجمعهم لغة واحدة مع اليهود الغربيين أو الشرقيين، وهم يحافظون بقوة على لغتهم الروسية، وينقلونها بإصرار إلى الأجيال المقبلة، مثقفون ثقافة عالية، ويعتزون بهذه الثقافة لدرجة الاستعلاء على الثقافات اليهودية الأخرى، ولديهم مخزون ثقافي وإنساني هائل، لديهم 52 صحيفة باللغة الروسية، مسارح ومطاعم روسية، حوانيت للطعام الروسي، قناة تلفزيون خاصة، نواد، قاعات أفراح، مكتبات، ويصل عددهم إلى 1.6 مليون، وهذه قوة اثنية هائلة في دولة لا يزيد عدد سكانها عن 6 ملايين نسمة، وهم يعيشون في مناطق مركزية، 80% منهم يعيشون في أحياء ثلث سكانها من الروس، ولا يفعلون ذلك في إطار الانغلاق، بل الانتشار، حيث هم موجودون في كل بلدة، وبالإمكان التأثير عليهم باتجاه السلام، ومن أجل إعادة صياغة الموقف الإسرائيلي من توجهات الإدلجة الصهيونية المتطرفة إلى الحوار والسلام<sup>(2)</sup>.

5- الفلسطينيون في إسرائيل: رغم كل المعطيات التي تدفع تجاه تقويض نشاطات الفلسطينيين السياسية داخل الدولة العبرية، إلا أنهم يشكلون حركة سياسية تعمل ضمن أربعة تيارات: التيار العربي الإسرائيلي، المندمج مع الدولة العبرية، ثم التيار الشيوعي، والتيار القومي الفلسطيني، والذي يشكل العديد من الأحزاب العربية المناهضة للسياسة الإسرائيلية

(1) انظر: نحو مشروع حضاري نهضوي عربي، تأليف، عدة باحثين بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2003

(2) نظير مجلي، المهاجرون الروس سيسيطرون على إسرائيل، جريدة الشرق الأوسط - 22 آب/ أغسطس 2004 العدد 9399

ويضم الحركة العربية الشعبية، حركة الأرض، حركة أبناء البلد، الحركة التقدمية، و الحزب الديمقراطي العربي، و التجمع الوطني الديمقراطي، والحركة العربية للتغيير، وأخيرًا التيار الإسلامي. وتتضامن هذه الحركات مع آمال وآلام الشعب الفلسطيني تضامنًا اجتماعيًا وسياسيًا ونضاليًا، في الوقت الذي ترى فيه الدولة العبرية هذه النشاطات خارجة على القانون، بل تعتبرها دعماً للإرهاب<sup>(1)</sup>.

والفلسطينيون داخل الدولة العبرية يشكلون تناميًا غير مرغوب فيه من وجهة النظر الإسرائيلية، ففي عام 2004 وصل تعداد الفلسطينيين الذين يعيشون داخل الخط الأخضر إلى نحو مليون نسمة مشكلين بذلك ما نسبته 16.5% من مجموع سكان إسرائيل، الأمر الذي جعل هذا التزايد السكاني يؤدي إلى تضخم البلديات العربية وتحولها إلى مدن، والتركيب الديني للفلسطينيين في إسرائيل، يشير إلى أن 80% منهم مسلمون، و10% مسيحيون، فيما يشكل الدروز 10%. وبسبب إثنية الدولة العبرية وصهيونيتها، فإن الرأي العام الإسرائيلي يعتبر الأقلية العربية معادية في توجيهها للدولة، ويتعين على العرب الاكتفاء بحقوق فردية محدودة دون المطالبة بالاعتراف بهم كقومية، وعلهم التسليم بالأمر الواقع كونهم خارج محاور القوة ودوائر صنع القرار<sup>(2)</sup>، والسياسة الإسرائيلية تقوم في أساسها على التمييز العرقي، فهي لا تعامل السكان الأصليين بالتساوي مع المستوطنين، وهم في اعتبارها، ليسوا مواطنين بمعنى الكلمة، وتعدهم مواطنين من الدرجة الثانية، وتعاملهم على هذا الأساس، وتخضعهم لمختلف أنواع الاضطهاد والتمييز، الذي اتخذ صورًا متعددة، ومظاهر مختلفة، تتصل بمعظم الجوانب الحياتية التي يعيشها الفلسطينيون<sup>(3)</sup>.

وتعمل إسرائيل يومًا بعد يوم على تذيب المجتمع الفلسطيني الريفي، وذلك من خلال تحطيم الاقتصاد التقليدي، وتحويلهم من مزارعين، وملاكين، إلى طبقة من العمال المأجورين، تسهيلًا لاقتلاعهم من وطنهم. فوضع العرب هو الأسوأ على الإطلاق، حيث يبقى متوسط دخل سكان

---

(1) أسعد غانم، الهامشيون في إسرائيل تحدى الهيمنة الاشكنازية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ط

1، 2005 - عرض/ نزار رمضان- الجزيرة نت

(2) يوري أفنير، مستقبل إسرائيل، تر: رندا القاسم، الأربعاء 2007/2/7، جريدة الثورة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. دمشق. سوريا

(3) ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، كلية العلوم السياسية،

جامعة دمشق، ص 397

المدن العربيّة أقل ب ٣٤ بالمئة من متوسط الدخل العام<sup>(1)</sup>، كما شملت السياسة العنصرية الإسرائيليّة ضد العرب في فلسطين المجال الثقافي، وهذا ما يتضح لنا من خلال تدني نسبة المتعلمين، والمتخصصين في مختلف فروع العلم، حيث وصلت نسبة الأحداث العرب الذين لا يكملون تعليمهم الابتدائي إلى أكثر من (30%) مقابل (4%) من اليهود حتى عام (1972)<sup>(2)</sup>، فعلى سبيل المثال: ينفق على نظام التعليم الخاص بالطفل العربي خمس ما ينفق على اليهودي، ونفقات النظام الصحي المتعلق بالعرب أقل بكثير من تلك المتعلقة باليهود، وتقريباً كل المجالس المحليّة العربيّة تعاني الإفلاس، كما أن المواطن العربي لا يمكنه الحصول على أرض من سلطة الأرض<sup>(3)</sup>.

### الواقع السكاني الديموغرافي

يرى عالم الاجتماع الفرنسي "بول ريبو" في نظريته عن المدخل الديموغرافي أن الحروب الحديثة عملية ذات طبيعة بيولوجية في الأساس، وتقرر أن عنف هذه الحروب يتناسب طردياً مع حجم الفائض البشري الذي يمثل القوة الرئيسيّة الضاغطة في اتجاه وقوع الحرب<sup>(4)</sup>، وقد أخذ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي منذ بدايته صراعاً على الأرض والسكان، وكان وما يزال الهدف الأساس للحركة الصهيونيّة أولاً، و"إسرائيل لاحقاً، هو الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أرض فلسطين واستعمارها بأكثر عدد ممكن من المستوطنين اليهود القادمين في موجات متلاحقة من المهاجرين، بل إن المقياس الأهم لرصد مدى نجاح الصهيونيّة في مشروعها الاستعماري في فلسطين يتلخص في حجم الأراضي التي استولت عليها منذ بداية نشاطها، ومدى قدرتها على اجتذاب المهاجرين اليهود ونجاحها في استيعابهم وتوطينهم في فلسطين، وعلى هذا الأساس فإن العاملين: الجغرافي (الأرض) والديموغرافي (المهاجرين) لهما الكلمة الأخيرة في الصراع الذي تخوضه الصهيونيّة في فلسطين، والممارسات الإسرائيليّة على الأرض متمثلة في تهجير الفلسطينيين تهجيراً

---

(1) أفرايم لافي الاتفاق الاقتصادي الإسرائيلي، الفلسطيني، ومعانيه الاقتصادية "بروتوكول باريس"، (المصدر الاقتصادي) نشرة أسبوعية مترجمة عن الصحف الإسرائيليّة، مؤسسة القدس (٤ كانون الثاني/يناير

٢٠١٣

(2) جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، ص 399

(3) يوري أفنيري، مستقبل إسرائيل، ترجمة رندا القاسم، جريدة الثورة -الاربعاء 2007/2/7-

[http://thawra.sy/\\_print\\_veiw.asp?FileName=102807539320070206200046](http://thawra.sy/_print_veiw.asp?FileName=102807539320070206200046)

(4) إسماعيل مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ط 1، 1979، ص 103

قسرياً من قراهم ومدنهم وانتزاع الأرض من أصحابها الأصليين والسيطرة عليها بكافة الوسائل والطرق<sup>(1)</sup>.

ويتضح التطبيق العملي للواقع السكاني من خلال استجلاب الهجرات اليهودية من أصقاع العالم، فابتداءً من سنة 1932 بدئ بتنفيذ مشروع (الألف عائلة) الذي نتج عنه إنشاء عدة مستوطنات في السهل الساحلي، والتي تميزت بطابعها العسكري، وبعدها الجغرافي<sup>(2)</sup>، وعندما انعقد مؤتمر بلمتور الصهيوني 1942 في نيويورك، كان بن غوريون يفكر بهجرة الملايين، تشبهاً بالهجرات الكبرى في التاريخ القديم، وكان يتصورها هجرة من الممكن أن تشمل ربع يهود العالم أو أكثر نحو أرض إسرائيل، وقد نجح بن غوريون في جعل صلب المطالب الناجمة عن المؤتمر الطلب بهجرة جماعية من أجل تحقيق هدف مزدوج لاتاحة المجال للاجئين الهاربين من النازية، ولإرساء دعائم الدولة اليهودية، وأهم تلك الدعائم السعي لتحقيق وجود الأكثرية في البلاد من اليهود<sup>(3)</sup>. وكشف بن غوريون، عن النوايا التوسعية بقوله "لا أستطيع أن أتصور كيف تضاعف إسرائيل عدد سكانها خمس مرات وبدون حساب نمو السكان الطبيعي وتظل في إطار حدودها الحالية. وبطبيعة الحال لا يمكن تصور قدرة إسرائيل على استيعاب المزيد من ملايين اليهود المهاجرين دون أن يقترن ذلك بمخططات التوسع الإقليمي، على حساب طرد السكان العرب من أراضيهم، وهذا نوع من الاستعمار الإجلاء الذي يعد أشنع أنواع الاستعمار"<sup>(4)</sup>، وهذا يوضح مدى فاعلية التغيير الديموغرافي في صراع دولي ما، حيث أحدثت هذه الهجرات اليهودية المنظمة والمدعومة غربياً، استيطاناً إحلاليّاً في فلسطين، زد على ذلك أن الهجرة العربية المضادة من فلسطين زادت بشكل ملحوظ بعد نكبة 1948، وبعد حرب 1967 وما تلاها من أحداث.

ومما سبق نجد أن الفهم الصهيوني للبعد الديموغرافي اعتمد على سياسة التدرج والاستمرار للوصول لدولة قوية متفوقة ذات أغلبية يهودية نقية، تولى أهمية كبيرة للمحتوى

- 
- (1) يوسف إبراهيم، التحول الديموغرافي القسري في فلسطين، باحث للدراسات، بيروت 2004 ص1
  - (2) عبدالرحمن أبو عرفة، الاستيطان-التطبيق العملي للصهيونية، ط1، دار الجليل للدراسات والنشر والأبحاث، عمان، ط 1، 1986
  - (3) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917/1948، بيان نوابهض الحوت، ط3، دار الهدى للنشر والتوزيع، كفرقرع، 1986، ص 417
  - (4) البعد الديموغرافي في النزاع الإسرائيلي، مصطفى مرسي، مجلة شؤون عربية، ع 121، 2005، ص 191-190.

النوعي، ولا تغفل التركيز على الجانب الكمي، فإسرائيل عملت جادة على جلب أكبر قدر ممكن من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، حيث استمرت تعيش حالة الانفجار السكاني حتى أواخر القرن الماضي، أما الآن فقد أصبحت إسرائيل تعتمد على النمو الطبيعي للسكان في ظل نضوب معين الهجرات اليهودية إليها<sup>(1)</sup>، ويعيش حاليًا على أرض فلسطين نحو 6.251 مليون من المستوطنين اليهود الذين تم اقتلاع معظمهم، بالقوة من مواطنهم الأصليّة، ودفعهم قسرًا لاستيطان فلسطين، غالبيتهم العظمى (88.6%) قَدِموا للاستيطان فيها بعد عام 1948، وتظهر البيانات الإحصائية الإسرائيلية الحديثة أنّ 73.5% من المستوطنين اليهود ولدوا في فلسطين، ورغم أن الإحصاءات الإسرائيلية الرّسميّة لم تعد تظهر الموطن الأصلي للمستوطنين اليهود، في إطار الجهد المبذول لاستحداث قوميّة إسرائيليّة، إذ باتت تُقصر بيانات بلد المنشأ، فقط، على أولئك المولودين هم أو آبائهم في الخارج<sup>(2)</sup>.

والنمو الديموغرافي الإسرائيلي اعتمد- في الأساس- على الهجرة متعددة الطوائف والأصول العرقية غير المتجانسة، وليس على الزيادة الطبيعية، ما أثار إشكاليات وتناقضات حادة داخل إسرائيل لم تجد أجوبة وحلولاً واضحة بعد، تتعلق بإشكاليات العلاقة بين الدين والدولة، والانقسام بين الأشكناز والسفارديم، وبين المجتمع المتدين وبين العلمانيين، وبين المهاجرين القدامى وبين المهاجرين الجدد، وبين السكان الأصليين من العرب الفلسطينيين وبين السكان اليهود، لذا فإن إسرائيل تعاني- بفعل التناقضات في التركيبة السكانية- من أزمة اجتماعية وثقافية، بالإضافة إلى الأزمة السياسية والأمنية التي ترافقها منذ قيامها عام 1948م<sup>(3)</sup>.

ففي فلسطين كان يهود البلاد لا يتجاوز عددهم العشرين ألفًا قبل سنوات معدودة من أولى موجات المستوطنين الصهاينة القادمة من أوروبا بحلول عام 1882، وكان هؤلاء اليهود الفلسطينيين يشكلون نسبة تقل عن 4% من إجمالي السكان العرب مسلمين ومسيحيين

---

(1) عايش أحمد يوسف قاسم، الصراع الديموغرافي الفلسطيني الإسرائيلي 2000/2030، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، 2012، ص30

(2) غانية ملحيس، هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات؟؟، مقالات، الأحد، 14 آب / أغسطس، 2016

(3) خالد أبو عصبية، التركيبة السكانية وأثرها على الملمح الاجتماعية في إسرائيل حتى العام 2015، في ندوة: حاضر إسرائيل ومستقبلها حتى عام 2015، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 27 - 28 آب / أغسطس 2007.

ودروز، وعقب قيام إسرائيل في 1948، كانت نسبة اليهود قد قفزت إلى 90 في المائة فوق الأرض التي احتلتها وطردت أهلها، ومع مطلع القرن الحادي والعشرين عادت نسبة اليهود إلى الانخفاض إلى نحو 80 في المائة أمام النمو الديموغرافي للفلسطينيين في الأرض المحتلة عام 48، وهبطت إلى ما يقارب النصف بإضافة الضفة وغزة والقدس الشرقية<sup>(1)</sup>.

ويضاف إلى هذه الأزمات أن اليهود ينزحون إلى بلادهم التي أتوا منها خلال الفترة الماضية، كما أن هناك انخفاضاً في معدلات المواليد الإسرائيلية مقابل زيادة سكان فلسطين، ويوجد نصف مليون إسرائيلي يحملون جوازات سفر أمريكية، والذين لا يحملون جوازات أمريكية أو أوروبية هم عملياً في طريقهم لاستخراجها<sup>(2)</sup>، وهنا نشأ ما يمكن تسميته تحدي الهجرة أمام إسرائيل مع تحول حصيلة الهجرة إلى الحدود السلبية وتغلب أرقام الهجرة المعاكسة منها على أرقام الهجرة إليها، فالمشروع الصهيوني في فلسطين في مآزق لم تعد تتحملة أعداد متزايدة من الإسرائيليين اليهود؛ فبدأت الهجرة اليهودية من فلسطين بالازدياد، وقد حذر من ذلك البروفيسور سرجيو دي- لفرجولا من الجامعة العبرية، مشيراً إلى أن التناسب بين العرب واليهود سوف يتقلص إلى 54 بالمئة لليهود مقابل 46% للعرب، بينما سيصبح عام 2015 متعادلاً، ليصبح اليهود عام 2020 أقلية<sup>(3)</sup>.

## الصراع الإثني والثقافي والطبقي

يمكن تقسيم المستوطنين، طبقياً واجتماعياً في المجتمع الإسرائيلي إلى: العنصر الأوروبي الغربي وله المكانة الأولى ثم يأتي العنصر الشرقي ثم يهود البلاد العربية<sup>(4)</sup>، حيث إن كل جماعة من هذه الجماعات لها خلفيتها الاجتماعية والثقافية الخاصة بها التي استمدتها من واقع المجتمعات التي عاشت فيها فترة طويلة، ويرى البعض صعوبة اندماج هذه العناصر في مجتمع واحد وأن قضية الصراع الاجتماعي بهذه الجماعات مستمرة<sup>(5)</sup>، فاليهود الغربيون (الأشكنازيم) يحظون بالثروات الضخمة والإسكان والخدمات الاجتماعية الراقية والمراكز الممتازة في الدولة، في حين

(1) كارم يحيى رهان المليون السابع - اليهود والصورة الصهيونية حتى عام 2020، 1 يناير 2006-

Kotobarabia.com ص 43

(2) فايز أبو شمالة، لا إسرائيل بعد عشر سنوات، الشعب، 2013/1/3

(3) أحمد حليحل، الخصائص السكانية لإسرائيل، قضايا إسرائيلية، ع 30، خريف 2008، ص 29

(4) علي إبراهيم عبده، خيرية قاسيمة، يهود البلاد العربية الدراسات الفلسطينية-بيروت، 1971، ص 33-34

(5) عبدالمالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 129

اليهود الشرقيون (السفارديم) يقاسون شظف العيش ولا يعملون إلا بالأعمال التي يترفع الفريق الأول عن القيام بها. ومنذ نشأة الكيان الصهيوني واليهود الغربيون (الأشكناز) يسيطرون على صنع القرار في الكيان الصهيوني، ويتمتعون بكثير من المميزات، لا يحصل عليها بقية اليهود، سواء في الدخل أو السكن أو الوظائف، فهناك فوارق طبقية واضحة بين اليهود، وهناك تمييز على مستويات الثقافة والتعليم والجيش، والتمثيل في الحياة السياسية بصورة عكست هيمنة اليهود الغربيين رغم قلة عددهم، وتهميش اليهود الشرقيين رغم كثرة عددهم، وهو ما يعكس تداخل البنية الاجتماعية والسياسية للكيان الصهيوني بصورة يصعب معها تذويب الفوارق وتؤذن باندلاع الصراع.<sup>(1)</sup>

وقد تحدث تقرير رفعه السفير الأمريكي لدى إسرائيل ولورث باربور، إلى رؤسائه في واشنطن، عن تفرقة عنصرية تمارس ضد اليهود الشرقيين، لصالح اليهود الغربيين، ومما أكده السفير فإن من السهل تمييز مظاهر هذه التفرقة في معظم مناحي الحياة: التعليم، الإسكان والتوظيف. وتوصل السفير في تقريره لقناعة مؤداها أن الانتماء العرقي، أكثر من أي شيء آخر، هو الذي يحدد مستقبل الفرد في إسرائيل، وأضاف بأن هذه القضية تشكل مصدر الخطر الأكبر على مستقبل دولة إسرائيل.<sup>(2)</sup>

### الخريطة الدينية في إسرائيل

على الرغم من كل البنى التحتية المتطورة والتكنولوجيا الحديثة فإن ما هو واضح أن الثقافة السياسية والاجتماعية الإسرائيلية تغدو متخلفة أكثر فأكثر، ويمينية أكثر فأكثر، ودينية أكثر فأكثر، وهو النقيض التام لما رآه هرتسل: "أن العقيدة تجمعنا، والمعرفة تمنحنا الحرية، لذلك سمنع أي اتجاهات ثيوقراطية تتصدر قيادتنا، سوف نحصر كهنتنا داخل حدود المعابد، كما سنحصر جيشنا داخل حدود معسكراته، لسوف يتلقى جيشنا وكهنتنا معاً كل احترام رفيع بقدر ما تستحقه وظيفتهما، لكنهما لن يتدخلا في إدارة شؤون الدولة التي تخلع عليهما مكانة سامية، وإلا فسيجلبان علينا صعوبات في الداخل والخارج"<sup>(3)</sup>.

- 
- (1) نازلي معوض، دول الجوار الجغرافي والأمن القومي العربي. الأمن القومي العربي: أبعاده ومتطلباته، معهد البحوث والدراسات العربية، 1993، ص 79
- (2) عبد الحي زلوم، هل زوال إسرائيل حتمية تاريخية؟، القدس العربي-31-8-2015
- (3) ثيودور هرتسل، الدولة اليهودية، دار الزهراء للنشر 1994، ص 97.

ويستطيع المراقب أن يرى إسرائيل بعد أكثر من نصف قرن على قيامها كدولة علمانية، فإنها تسير بهدوء نحو إعادة أمجاد الماضي كما يقول المتدينون وإقامة دولة الشريعة<sup>(1)</sup>. ويبدو أن الكهنة خرجوا من عباءة هرتسل، وبعد أكثر من سبعة عقود على إنشاء مشروعه يظهر واضحاً أن ظل الكهنة هو الذي يدير الدولة ويقرر وضع الحكومات، وتبدو إسرائيل الآن كأنها قامت بانقلاب على أفكار هرتسل، فالقوانين التشريعية الكثير منها تعود للتعاليم الدينية، قانون الذبح واللحوم، وقوانين المواصلات وطائرات العال، والحركة يوم السبت، قانون طال للمتدينين.. إلخ. والقوانين آخذة بالازدياد انسجاماً مع ازدياد سيطرة الأحزاب الدينية، فزيادة وزنها في الشارع والبرلمان تجعلها قادرة على فرض تشريعات وتسهيلات خاصة، فعدد المتدينين الذين يكسبون رزقهم من صندوق الدولة هو الأكبر في العالم. حاخامون، قضاة، مراقبو حلال، مجالس دينية، مرشدون متدينون للذبح.. إلخ، واليوم يحاولون إيجاد وظائف بتخصيص موظفين للتأكد من طهارة المياه<sup>(2)</sup>.

ورغم التحالف والتكتل الديني اليميني المتشكك في إسرائيل، فإن إسرائيل من الداخل تعد مجتمعاً متعدد الثقافات والأعراق، ومنقسماً على نفسه في مسائل مرتبطة بالثقافة والقانون والأخلاق والتعليم. فالتفكك والتشردم بين التيارات الإسرائيلية تشكل إحدى أهم سمات المجتمع وإحدى هواجسه، إلا أن الأصولية الدينية تلعب دوراً في توحيد الشعب وتطرح الأيدلوجيا كمفتاح لتوحيد صفوف المجتمع الممزق والمتقارب، ويلعب العامل الديموغرافي الدور الرئيس في زيادة نفوذ الأحزاب الدينية، إذ أن نسبة التكاثر وسط الجمهور الديني القومي أكثر بكثير من نسبتها وسط العلمانيين<sup>(3)</sup>.

وقد صاحب قيام الكيان الإسرائيلي، ولا يزال، تناقض حاد بين الدين والقومية، والمتدينين والعلمانيين، والدين والدولة، لم يسهّل احتواؤه<sup>(4)</sup>. وينقسم اليهود من حيث علاقتهم بالدين إلى ثلاثة أقسام: العلمانيون ويشكلون ما بين 25 و30% من اليهود، والتقليديون ويشكلون 50 -

---

(1) أكرم عطا الله، مستقبل إسرائيل: أي دولة أي مجتمع؟ رؤية مجله شهرية بحثية متخصصة، السنة الثانية، العدد التاسع عشر، يونيو/حزيران 2002.

(2) شولاميت ألوني، "صحيفة معاريف"، 1998/4/26.

(3) أمنون روبنشتاين، "هآرتس"، 98/5/10.

(4) انظر: عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، 2008. ص 15 / 17، و المجتمع الإسرائيلي: باروخ كيمولينغ، مهاجرون مستعمرون مواليد البلد، ترجمة: هاني العبد الله؛ مراجعة وتقديم عزمي بشارة، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، 2011، ص 300 / 301.

55% من المجتمع، والمتدينون ويشكلون حوالي 20% من السكان، والعلمانيون ينقسمون بدورهم إلى عرب: ويهود، ويمثل العلمانيون أغلبية المجتمع الإسرائيلي، أما المتدينون فيعتبرون أقلية في إسرائيل سواء في الجانب العربي أم الجانب اليهودي، ولكنهم أقلية مؤثرة، ويزداد ثقلها النسبي مع الوقت، وينقسمون إلى عرب، وأغليبتهم العظمى من المسلمين، ويهود، وينقسمون إلى قسمين: المتطرفون الحريديم والمتدينون القوميون، ويتوزع تأييد الحريديم السياسي على حزبين رئيسيين هما: يهودت هاتوراه، وهو حزب الحريديم الأشكناز، أما الحزب الثاني فهو حزب (حراس التوراة) الشهير باسم شاس، وهو حزب الحريديم الشرقيين، أما المتدينون القوميون فينتظمهم بشكل أساسي الحزب الديني القومي (المفدال)، وهو الحزب الأنشط في مجال الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية<sup>(1)</sup>.

## الواقع العلمي والتكنولوجي

هناك مجموعة من المؤشرات يستخدمها اليونسكو في تقدير أوضاع العلم في بلد ما، وفي تقييم كفاءة منظومة البحث والتكنولوجيا وديناميكتها، وهذه المقاييس تشمل: مجمل الإنفاق المحلى على البحث والتطوير، كمية ونوعية النشر العلمى في دوريات علمية محكمة، وبراءات الاختراع والجوائز الدولية، وإسرائيل احتلت مراتب عليا في كل ما تقدم، وقدمت نماذج متعددة للانجازات العلمية في مجالات: تكنولوجيا الاتصال، وعلوم الذرة، وعلوم الفضاء، والتكنولوجيا الطبية والبيولوجية<sup>(2)</sup>. وعندما حاولت إحدى الدراسات الإسرائيلية صياغة مفهوم إستراتيجي للأمن استنادًا لتصورات فريق بحث إسرائيلي، يظهر العامل التقني والتعليم كأبرز محددات هذا المفهوم، فمن أصل 53 محددًا لمفهوم الأمن الإسرائيلي مستقبلاً، كانت النتيجة أن من بين أهم عشرة محددات كان خمسة منها ذات صلة بالتعليم والبحث العلمي؛ ما يعني أن التطور التكنولوجي والمعرفي هو الأساس الذي تبني عليه إسرائيل إستراتيجيتها الأمنية بغرض ضمان البقاء في بيئة إقليمية ودولية غير موثوق بها<sup>(3)</sup>.

- 
- (1) شاحك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل ترجمة: ناصر عفيفي ط1، 2001، عرض إبراهيم غرابية - الجزيرة نت
  - (2) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان، الدور الوظيفي للعلم والتكنولوجيا في إسرائيل، طبعة خاصة، القاهرة، 2004، ص45
  - (3) وليد عبد العي، التحديات الإستراتيجية للفكر الصهيوني- 26 فبراير/ شباط 2012، مركز الجزيرة للدراسات

وقد لعبت هجرة الكفاءات العلمية اليهودية من الاتحاد السوفيتي السابق دوراً في دعم إسرائيل، وحولتها من مجتمع يصدر الحمضيات الى مجتمع يصدر الإلكترونيات ومنتجات عسكرية متقدمة. مما ساهم في تطوير أوضاع الاقتصاد الإسرائيلي، وبلورت وضعياً متميزة لنتائج هذه الانجازات في مجالات الـ "HI - Tech" بحيث أصبح أكثر من نصف الصادرات الإسرائيلية تعتمد كلية على مخرجات هذا الجانب الذي يتميز بقيمة مضافة عالية، ولعل هذا الأمر هو الذي دفع نتنياهو إلى مخاطبة المؤتمر الاقتصادي الإسرائيلي السنوي 1998 قائلاً: "إنه لا يضع قضية السلام مع العرب في رأس اهتماماته: "فإسرائيل هي في الموقع الثاني بعد أمريكا، من حيث معاهد الأبحاث والقدرات العلمية، وفي المرتبة الثانية بعد ألمانيا في عدد المهندسين قياساً إلى السكان، وفي المرتبة الرابعة بعد اليابان والولايات المتحدة وفنلندا من حيث استيعاب التطورات التكنولوجية"، وخلص إلى القول: "مستقبل إسرائيل ليس مرهوناً بالوطن العربي وإنما بتعميق علاقاتها مع الغرب ودول شرق آسيا"، أي بذلك الجزء من العالم المتقدم الذي امتلك ناصية العلم، وقبض بيديه على مفاتيح التطور التكنولوجي.

### واقع القوة العسكرية والأمن القومي الإسرائيلي

يحتل الأمن الأولوية الأولى في الفكر الصهيوني على أنه أداة للحماية والدفاع، ووسيلة لسياسة التوسع الصهيونية، ولبقاء إسرائيل والشعب اليهودي، ويعرف الأمن القومي لأي دولة في العالم: "بأنه قدرة الدولة على الحفاظ على مصالحها، والدفاع عنها؛ وعرف بن جوريون الأمن القومي الإسرائيلي بقوله هو: "الدفاع عن الوجود"<sup>(1)</sup>، وقد أراد بن جوريون مؤسس النظرية الأمنية الإسرائيلية الإجابة على سؤال مصري يواجه تلك الدولة الناشئة يقول: كيف يمكن تحقيق الأمن لشعب قليل العدد يعيش في دولة صغيرة المساحة، محدودة الموارد، محاطة بكثرة عددية معادية؟ وكانت الإجابة بتحديد ركيزتين أساسيتين لنظرية الأمن الإسرائيلي تمثلتا بالآتي: تجيش الشعب بكامله، ونقل الحرب إلى أرض العدو، ولتثبيت تلك الركائز وضمان فاعليتها، أكد بن جوريون على ضرورة: بناء جيش قوي، الحرب القصيرة، تبني أسلوب الهجوم في القتال، ضرورة امتلاك قوة ردع وتطويرها، وتوفير المرونة الميدانية وسرعة الحركة في أرض المعركة، وبنيت إسرائيل عقيدتها القتالية على مبدأ أن الحرب لا يجب أن تدور فوق أرض

---

(1) محمد المصري، نظرية الأمن الإسرائيلي، الجمعة 23 يونيو حزيران 2017 موقع

المعركة190&id\_article=190&page=article&spip.php?http://alma3raka.net/

إسرائيل، بل يجب أن تدور فوق أرض الخصم، وتخطط إسرائيل لكسب حروبها في وقت قصير؛ لأنها من الناحية البشرية لا تحتتمل الحرب الطويلة، كما أن الأوضاع الحساسة في منطقة الشرق الأوسط نتيجة الاحتياجات النفطية تقتضي أن تكون إسرائيل قد حققت كل أهدافها<sup>(1)</sup>.

كما ارتكزت محاور العقيدة العسكرية الجديدة على اعتبار تهديد الإرهاب الدولي وأساليبه غير التقليدية الجديدة، هو الخطر الأساسي على إسرائيل، ولذا تركزت العقيدة الجديدة على الحسم والردع، إضافة إلى الإنذار المبكر، ومنع الخصم وحرمانه من قدرات يمكن أن تمثل تهديداً لإسرائيل، واستخدام نظرية الصدمة والرعب بالإفراط في استخدام القوة بوصفها عامل ردع متراكم لإخراج الأطراف الأخرى من دائرة الصراع. كما أن الحسم والردع هما ثنائية مشتركة لمواجهة حرب الاستنزاف، وعدم التورط في حرب طويلة. يضاف إلى ذلك التركيز على تراجع فكرة حدود الدولة وقديستها، بما يسمح لإسرائيل تنفيذ مهام تتعدى الحدود، على المستوى الإقليمي والدولي، مع الاستعداد لتنفيذ مهام إجهاضية ووقائية ضد أهداف بعيدة داخل وخارج إقليم الشرق الأوسط<sup>(2)</sup>.

### مراحل تطور مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي

1- قام مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي في مرحلته الأولى على مفهوم الضربة المضادة الاستباقية، الذي كان يرتبط بانعدام العمق الإستراتيجي لإسرائيل، وبالتالي عدم السماح بأن تدور الحرب في أرض إسرائيل، بل يجب نقلها وبسرعة إلى أراضي العدو، وطوّرت مفهوماً للردع ثم استبدلته بمفهوم لندرائع الحرب الاستباقية يقوم على شن حرب استباقية إذا حاول العدو (العربي) التصرف في أرضه على نحو يقلق إسرائيل، مثل المساس بحرية العبور، أو حشد قوات على الحدود الإسرائيلية، أو حرمانها من مصادر المياه<sup>(3)</sup>.

---

(1) علي حسين، إسرائيل من الداخل خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، مركز الدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية، 4 يناير/ كانون الثاني 2003 العدد 10795، ص3 -

<http://www.alyaum.com/article/1055400>

(2) نظرية الأمن الإسرائيلية - موقع مقاتل من الصحراء-

[http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/AmanIsrael/sec27.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/AmanIsrael/sec27.doc_cvt.htm)

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، موقع المكتبة الشاملة مجلد 20، ص220

2- ظهرت نظرية "الحدود الآمنة" وهي نظرية تبلورت بعد حرب 1967، وتقوم على حدود يمكن الدفاع عنها دون اللجوء إلى حرب وقائية.

3- أكدت حرب 1973 فشل معظم نظريات الأمن الإسرائيلي المكانية، وهو ما استدعى تكوين نظرية جديدة هي نظرية "ذريعة الحرب"، أي تبني إستراتيجية الحرب الوقائية، وتوجيه الضربات المسبقة في حال تعرّضها لتهديد عربي مثل ضرب المفاعل العراقي في الثمانينات.

4- في أعقاب أحداث سبتمبر 2001م تبنت إسرائيل نظرية الأمن المطلق التي تعني الحق في الدفاع عن الأمن القومي الإسرائيلي في أي مكان وأي زمان وبأية إجراءات ووسائل ممكنة، وضد أية أهداف<sup>(1)</sup>.

### القدرات النووية الإسرائيلية

البرنامج النووي الإسرائيلي بدأ بالفعل في عام 1953 عندما أبرمت إسرائيل اتفاقاً مع فرنسا على تبادل المعلومات التكنولوجية النووية، وعلى تدريب علماء إسرائيليين في فرنسا، وبنّت فرنسا في النقب الشمالي مفاعل ديمونة... واستطاعت إسرائيل الحصول على اليورانيوم من الأرجنتين وجنوب أفريقيا، وكذلك من عمليات القرصنة التي قامت بها سواء في ألمانيا أو فرنسا<sup>(2)</sup>.

وتمتلك إسرائيل حتى عام 1992 حوالي 250-300 رأس نووي، حيث توظّف إسرائيل قدراتها النووية في الصراع، ولم يكن يمرُّ عام إلاّ وتحمل الأنباء أخباراً جديدة عن القنبلة الإسرائيلية، أو تصريحات عربية حولها، أو ردّاً إسرائيلياً بشأنها، فمن جهة النظر الإسرائيلية كان هذا السلاح يؤدي وظيفة نفسية وسياسية بالغة الأهمية، وهي محاولة دفع الأنظمة العربية إلى التسليم بمطالب إسرائيل في التّسويات الجزئية؛ أي باختصار: إقامة (السّلام العبري)<sup>(3)</sup>، من خلال استلاب وعي الفلسطينيين بأنهم عاجزون عن هزيمة المشروع الصهيوني

---

(1) ملخص ورقة تحولات العقيدة العسكرية ونظرية الأمن القومي في إسرائيل حتى العام 2015- اللواء موسى الحديد، ندوة إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015 عمان 27-28 آب 2007 مركز دراسات الشرق الأوسط.

(2) دول الجوار الجغرافي والأمن القومي العربي. الأمن القومي العربي: أبعاده ومتطلباته، نازلي معوض، معهد البحوث والدراسات العربية، 1993 ص 96-97

(3) محمد عبد الشفيق عيسى، العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة (عرض)، مركز الحضارة

بسبب عظمة قوته، وما من خيار أمامهم سوى قبول شرعية الصهيونية.

## إسرائيل والواقع العربي والإقليمي

إن المحيط الجيو/استراتيجي وعلى مدى العقود التي تلت إعلان دولة إسرائيل، اعتبر مصدراً مستمراً للتهديد بالمعنى الوجودي، وبالتالي بنت إسرائيل على الدوام سياساتها الأمنية والدفاعية وفقاً لتغيرات البيئة الإقليمية، حيث تميزت المرحلة الأولى من إعلان إسرائيل بتحديات أمنية ذات طابع وجودي تتمثل بتبني عدد من الدول المحيطة عقيدة إزالة هذا الكيان الصهيوني كحل نهائي للصراع العربي الصهيوني، واستمرت هذه المرحلة إلى ما بعد حرب 73 إلى أن جاء الخرق المصري لهذه العقيدة وتبني الخيار الآخر وذلك بقبول وجود هذا الكيان وعقد إتفاقية كامب ديفيد<sup>(1)</sup>، واستمرت هذه الحالة حتى جاءت حرب الخليج الأولى 1990، وبداية تشكل النظام الدولي الجديد، وما تبعه من فرض مؤتمر مدريد للسلام على العرب، وما تبعه من توقيع إتفاقية سلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل (غزة أريحا، ثم أوسلو)، وأيضاً إتفاقية وادي عربة مع الأردن، وبعدها رأينا مرحلة جديدة تمثلت بظهور وتنامي حركات المقاومة الإسلامية اللبنانية والفلسطينية، وخوض إسرائيل عدة حروب في لبنان وغزة، ثم جاء اندلاع ما سعى زورا بثورات الربيع العربي، حيث يبدو أن إسرائيل غدت حليفاً مفضلاً لكثير من الأنظمة العربية.

---

العربية للإعلام والنشر والدراسات، 2001، ص105

(1) معين عبد الحكيم، المتغيرات الإقليمية وانعكاساتها على الكيان الصهيوني، الوحدة الإسلامية- السنة الثالثة عشر، ع152، آب/ أغسطس 2014

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/152/mhakim.htm>

## المبحث الثاني: المبادئ الصهيونية بين النظرية والتطبيق

سنحاول استعراض مبادئ الحركة الصهيونية كما أقرتها المؤتمرات الصهيونية المتتابعة بدءاً من المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، في بازل حيث شكلت هذه المبادئ الأيدلوجية الصهيونية وإسقاطها على الواقع لتتعرف على مدى تحقيق هذه المبادئ، مدى النجاح والفشل، مدى التناقض الذي وقعت فيه النظرية الصهيونية، وكذلك المحاولات العديدة من مفكري الحركة الصهيونية لترقيع هذه المبادئ وتوقعاتهم للمستقبل.

### المبدأ الأول: القومية

نسجت الصهيونية تعريفاً خاصاً للأمة اليهودية وربطتها بالبرنامج الصهيوني، والتدخل الإلهي المباشر وجماعة تاريخية من الناس متماسكة ويشدها عدو مشترك يتمثل بالعداء للسامية<sup>(1)</sup>، وقد اكتسب مفهوم الأمة اليهودية بعداً دينياً، ينبثق من رؤية العهد القديم للإله باعتباره إله إسرائيل وليس العالمين، فاكْتَسَبَ المقدس هنا طابعاً قومياً والمطلق بعداً نسبياً، ولكن الصهيونية خلعت القداسة التي أضفيت على الشعب اليهودي بالمعنى الديني، على الشعب اليهودي بالمعنى العرقي والإثني؛ ولأن الشعب قد حلّ فيه الإله بحسبهم، فإن كل شيء يهودي قومي تحيط به هالة من القداسة<sup>(2)</sup>.

وقد استند المفكرون الصهاينة إلى الدين اليهودي بشكل أساسي، في كل ما يتعلق بكيانهم القومي، واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية واعتبروا نصوص الدين أساساً لكل عمل لهم في الأرض، وهم يعلنون دائماً أن اليهود يشكلون كياناً دينياً قومياً عرقياً، غير قابل للاندماج أو الانصهار في الشعوب الأخرى، ومن هذا التعريف تتفرع الانتماءات التي تركز عليها الحركة الصهيونية وهي: الانتماء إلى العرق اليهودي والانتماء إلى الدين اليهودي، وهذان الانتماءان يرتكزان

---

(1) ثيودور هرتزل دولة اليهود: محاولة لإيجاد حلّ حديث للمسألة اليهودية، ترجمة: مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٠)

(2) أسعد زروق، التلمود والصهيونية، وزارة الثقافة الفلسطينية- رام الله، ٢٠٠٩، ص ٢١٤، ورغم معارضة قادة الصهيونية لأي دور سياسي للدين، فهم القومية « وجدوا فيه أحد مقومات فقاموا بتوظيف قيمه، » اليهودية ورموزه بغرض توحيد الجماعات اليهودية عبر إيجاد مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة.

على قاعدة تشكل الانتماء الثالث، الذي هو أرض إسرائيل<sup>(1)</sup>.

وقد عرفت الصهيونية نفسها بأنها حركة قومية، حيث أن المشترك بين يهود العالم هو الدين اليهودي، وحتى يصبح اليهود شعباً صاحب قومية يجب أن يتجمّعوا في أرض واحدة ذات حدود معروفة وأن يكون لهم لغة مشتركة، وعبر تشابك هذه العوامل تظل الفكرة سارية المفعول، ومن ثم فإن أي تطورات تمر بها تقتضي إعادة صياغة من جديد وليس مراجعة، وإذا تطرّقنا للعنصر المهم الآخر ألا وهو (اللغة العبرية) فرغم نجاح الحركة الصهيونية بإحيائها بعد أن كانت لغة توراتية فقط وجعلها اللغة الرسمية للدولة، إلا أنّها لم تستطع تطويرها حيث بقيت اللغة العبرية لغة ضعيفة أكاديمياً بل أن اليهود يتكلم كل منهم بلغة الدولة الأم التي هاجر منها مع أبناء أصله ويورثون لغتهم لأبنائهم، هذا فضلاً عن أن اليهود منقسمون إلى قوميتين مستقلّتين الشرقيين والغربيين، وتعتبر مراحل التاريخ المشترك في مفهوم اليهودية قصيرة بالنسبة إلى تاريخ اليهودية بشكل عام، بينما تنحصر رغبة العيش المشترك ضمن فئات قليلة نسبياً فمن لبّي النداء أقل من ثلث يهود العالم<sup>(2)</sup>، بما يجعل مفهوم القومية لا ينطبق على اليهودية باعتبارها ديانة وليست قومية.

وقد أجرى البروفيسور شايبرو- رئيس قسم الأنثروبولوجيا في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي - دراسة مستفيضة عن التاريخ البيولوجي للشعب اليهودي، يقول فيها: "إن اليهود ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا أمة بالمعنى الصارم للكلمة وبعد تتبعه تاريخ اليهود يؤكد أن الاختلاف الواضح في الصفات الجسمية للسكان اليهود، وتنوع الجينات الموروثة المتوافرة في فئات دمهم، تجعل إدراجهم تحت أي تصنيف عرقي موحد هو التناقض بعينه، فالحقيقة الأنثروبولوجية تؤكد أن اليهود مختلفو العرق، ولا أساس للإدعاء بوجود عرق يهودي<sup>(3)</sup>، أما شلومو ساند، فقد انتقد في كتابه متى اخترع الشعب اليهودي؟ وكيف؟ الرواية التاريخية الصهيونية المستندة إلى أساطير وخرافات دينية، ودحضها وكشف التزييف المتواصل الذي قام به قادة الصهيونية ومنظروها، من أجل شرعنة إقامة دولة يهودية في فلسطين وتبريرها، ويؤكد ساند أنّ اليهودية ديانة وليست قومية أو عرق، وأنّها ديانة تبشيرية كغيرها من الديانات التوحيدية، انتشرت في مناطق واسعة من العالم

(1) جورج كنعان، العنصرية اليهودية، ملحق رسالة إلى يهود العالم، بيروت 1983، ص 18.

(2) شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة: سعيد عيّاش، الأهلية للنشر والتوزيع عمان، ٢٠١١، ص ٣٣١/

(3) أنور محمود زنتاتي، كتب وقرارات يهود البلاد العربية، مجلة المستقبل العربي، ص 176

القديم، من خلال تهوّد أعرافٍ وقبائلٍ كثيرة وشعوب مختلفة، وليس من خلال انتشار عرق كما تدّعي الصهيونية، بل يعتقد أيضاً أن فكرة الوعد بعودة الأمة اليهودية إلى الأرض الموعودة هي فكرة غريبة تماماً على اليهودية<sup>(1)</sup>.

## المبدأ الثاني: الحاجة لأرض "إسرائيل"

شكلت مقولة أرض الميعاد إحدى أهم الركائز المستمدة من الديانة اليهودية بعد تطورها، فكان البعد العقيدي حاضراً في الموقف الصهيوني من الأرض عندما وقع الاختيار على فلسطين<sup>(2)</sup>، وكانت دوافع هجرة القادمين إلى فلسطين قبل قيام الدولة دوافع أيديولوجية، حيث أسبغ على مجتمع المستوطنين الصهاينة قبل عام ١٩٤٨ مصطلح اليشوف أو المستوطن الجديد، والذي يعبر عن أن الاستيطان الاستعماري الجديد ما هو إلا استمرار للاستيطان لأهداف دينية. ولعل استخدام كلمة اليشوف هنا إشارة إلى العهد القديم أو إلى تراثهم الديني، فتصبح الحدود التاريخية هي الحدود المقدسة والحقوق التاريخية، من نهر مصر إلى الفرات المنصوص عليها في العهد القديم، هي ايضاً من الحقوق المقدسة التي وردت في العهد القديم والتي تؤكد أنهم شعب مقدس مختار له حقوق تستمد شرعيتها من العهد الإلهي الذي قطعته الله على نفسه لإبراهيم<sup>(3)</sup>، ولكن بعد قيام الدولة أخذ الدافع الديني للاستيطان بالضعف بالتدرج حتى أنه في السبعينات أجري استطلاع للرأي حول دوافع الهجرة لدى القادمين الجدد، فبيّن الاستطلاع أن 72% منهم قد هاجروا لدوافع اقتصادية! وبالفعل عندما يتعرض الاقتصاد الإسرائيلي لهزة نرى تزايد الهجرة المعاكسة.

وبعد مرور أكثر من (119) سنة على تأسيس الحركة الصهيونية وأكثر من (69) سنة على إقامة دولة إسرائيل ما تزال قضية حدود الدولة قضية شائكة ولا حلّ لها وتشكّل أحد الأسباب المهمة لعدم وجود دستور في إسرائيل، فكيف يكون دستور لدولة لاتعرف حدودها، وأيدلوجياً شهدت مسألة حدود دولة إسرائيل تراجعاً واضحاً وكبيراً، فهذه فكرة أرض إسرائيل الكبرى، والتي تبنتها حركة حيروت برئاسة مناحيم بيغن قد انتهت واقعياً إلى الأبد، فهذا الليكود برئاسة (بيغن) ينسحب من سيناء لصالح مصر، كما تم بعد ذلك إعادة أجزاء كبيرة

(1) خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015، ص 173

(2) نادية سعد الدين، مأزق الدولة اليهودية، والصراع العربي الإسرائيلي، ص 26

(3) المصدر نفسه، ص 29

من الخليل لصالح السلطة الفلسطينية أيام حكم نتنياهو! وانسحب شارون من غزة، وأعلن عن إقامة المناطق الفاصلة والتي ستكون حدوداً حسب تحليل سياسيين إسرائيليين.

### المبدأ الثالث: رفض المنافي

قررت الصهيونية أن مصيبة الذوبان في المجتمعات الكبيرة وحدثت الأزمات الاقتصادية والاضطرابات التي عصفت باليهود سببها وجودهم في المنفى، والحل الوحيد هو خروج كامل من المنفى. ولاشك أن الصهيونية نجحت جزئياً في تحقيق هذا المبدأ من خلال الهجرات المتتالية وإسكان اليهود على أنقاض العرب المهجّرين وعبر القانون العنصري المسى قانون العودة، ولكن ورغم قيام إسرائيل فان غالبية الشعب اليهودي (63%) تعيش في المنفى بكامل إرادتها رغم الادعاء بأنهم في حال شوق دائم للعودة إلى أرض الميعاد وهو ما يعود إلى اندماج اليهود في الدول التي يعيشون بها<sup>(1)</sup>.

كما أن تدفق المهاجرين أخذ في التناقص، فهناك ما يسمى ظاهرة موت الشعب اليهودي، أي تناقص أعداد أعضاء الجماعات اليهودية في العالم نتيجة لعدم الزواج والإنجاب، كما أن الزواج المختلط ومعدلات الاندماج العالية تلعب دورها. يقول د. المسيري: "بلغ عدد يهود الولايات المتحدة عام 1995 5,008,000، الأمر الذي جعلهم أكبر جماعة يهودية في العالم (حوالي 7.43,5%)، وهناك رأي يذهب إلى أنه مع تراجع نسبة الخصوبة بين أعضاء الجماعة اليهودية وتزايد معدلات الاندماج، فإنه حينما تحتفل الولايات المتحدة بعيدها المئوي الثالث (2076) لن يتجاوز عدد اليهود عندئذ المليون. ومن القضايا الأساسية والخطيرة التي يواجهها الأمريكيون اليهود، والتي تساعد على تناقص عدد اليهود، قضية الزواج المختلط<sup>(2)</sup>، ونحن عندنا مثل الممالك الصليبية، ما قضى عليها هو أن الهجرة من الغرب توقفت؛ لأن الجيوب الاستيطانية تحتاج دائماً إلى هجرة، ويتراجع هؤلاء تواجه أزمة<sup>(3)</sup>.

---

(1) عبد الوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل، عرض مصطفى عبدالقادر، مؤسسة دار المعارف، القاهرة 2002

[https://mazenshamma.blogspot.ae/2014/06/blog-post\\_30.html](https://mazenshamma.blogspot.ae/2014/06/blog-post_30.html) 2014-06-30

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية "الموجزة"، ج1، ص 489-490

(3) عبد الوهاب المسيري، مستقبل إسرائيل وإرهاصات نهايتها، برنامج بلا حدود، تقديم: أحمد منصور، الجزيرة.

## المبدأ الرابع: العلمانية

إن الصهيونية لم تكن في أي وقت ظاهرة دينية يهودية رغم الاستخدام المكثف للصبغ والشعارات الدينية كمسوغ لكسب التأييد الجماهيري، وهناك تناقضات جوهرية اتسمت بها الفكرة الصهيونية منذ بداياتها، فهي تتخذ من شكل الدولة العلمانية الغربية نموذجاً لها ولكنها لا تستطيع في الوقت نفسه ان تتخلى عن الاساطير والرؤى الغيبية التي شكلت أحد مبررات وجودها<sup>(1)</sup>، ومقاربة موقف اليهودية من السياسة عموماً، ومن الصهيونية خصوصاً، أنتجت إشكاليات متداخلة لا تزال غير محسومة في الكيان الإسرائيلي كقضية خلافية تخضع للجدل والتجاذب والمساومة أيضاً، بين المتدينين أنفسهم وبين العلمانيين، وتمسّ هوية الدولة ما بين الدولة العلمانية والدولة الشيوقراطية(الدينية) التي تسعى الحركات الدينية السياسية إلى تأسيسها وفق الشريعة اليهودية، وتعريف من هو اليهودي<sup>(2)</sup>.

فمفهوم الصهيونية للشعب الذي أسبغت عليه بعداً دينياً، رغم الإشكالية، القائمة حتى اليوم، حول تعريف، من هو اليهودي، لم يعد مقبولاً اليوم. وقد حاولت الصهيونية التوليف بين العنصر الديني اليهودي، بما في ذلك العلاقة بفلسطين الأرض المقدسة والشعب اليهودي وبين العنصر العلماني، وهو ما يدعم مطالبه الصهيونيين بفلسطين، ويسمح بممارسة العقائد والطقوس اليهودية التقليدية، وترجمتها إلى اصطلاحات قومية علمانية<sup>(3)</sup>.

ورغم اعتماد الصهيونية على الدين وعدم تجاهله وتغلغل عناصر دينية فيها، إلا أن الصهيونية ارتأت أن تكون علمانية، حيث أكد قادة الصهيونية منذ هرتزل وكل من بعده على علمانية الحركة واستحالة أن تكون دينية مما أدى إلى انشقاق الحريديم على الصهيونية، بسبب مشكلة تعريف (من هو يهودي)؟ حيث يصّر الحريديم هنا على التعريف البيولوجي "أن اليهودي فقط من ولد لأُم يهودية" وحسب هذا التعريف يكون 40% من الروس الموجودين في إسرائيل ليسوا يهوداً، ومعظم يهود الولايات المتحدة الذين هم يهود إصلاحيون، ليسوا يهوداً،

---

(1) علي حسين، إسرائيل من الداخل، خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، صحيفة اليوم- 4 يناير/كانون الثاني 2003، عدد 10795، 1055400، <http://www.alyaum.com/article/1055400,10795>

(2) رشاد عبدالله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة، 224 الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997، ص 114 / 115

(3) مآزق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، ص 27

بينما يصّر العلمانيون على أن اليهودي هو كل من أعلن أنه يهودي فقط.

### المبدأ الخامس: الرغبة الذاتية والنشاط الذاتي

رفعت الصهيونية شعاراً أن تحقيق اهدافها لن يقوم به أي طرف آخر إلا الشعب اليهودي نفسه، ورغم بذل اليهود جهوداً ذاتية كبيرة إلا أن الصهيونية فشلت في تحقيق هذا المبدأ كلياً، فدولة "إسرائيل" لولا المساعدات الخارجية التي تتلقاها من الولايات المتحدة وغيرها لما استطاعت الاستمرار الآن، وكل محاولات الاستقلال بالاعتماد على الذات فقط باءت وستبوء بالفشل.

### المبدأ السادس: الثقافة المشتركة وبناء شخصية اليهودي الجديد (بوتقة الصهر)

لم يقتصر الهدف الصهيوني على الإنقاذ الجسدي بل هدف إلى تحقيق ما سمي بفرن الخلط أي أن تذوب ثقافات المجتمعات الأم التي هاجر اليهود منها في ثقافة واحدة، هي الثقافة الصهيونية. فمبدأ الاندماج يستهدف دمج التركيبة الكيانية الصهيونية الآتية من شتات العالم لصهرها في وحدة متجانسة في دولة الاحتلال، والمبدأ الاستيعابي يستهدف تذويب وصهر العناصر غير اليهودية في الدولة، وسلخهم عن موروثات شخصيتهم القومية الأصلية<sup>(1)</sup>، وقد شعر اليهود بعد انتقالهم بالهجرة الى فلسطين الانتدابية، وإلى إسرائيل بالاعتراب، فقد كانت الغربه شديده الوطأه عليهم، وعلى معاييرهم. ولم تغفل السلطة الإسرائيلية عن ذلك، فوظفت ما يعرف ببوتقة الصهر لحل المشكلة، وهدفت هذه البوتقة إلى هدفين واضحين أولاً: تليخ الإسرائيليین اليهود من معاييرهم القديمة، وثانياً: اشاعة المعايير الإسرائيلية بينهم<sup>(2)</sup>، ولكن فشلت سياسة فرن الخلط فشلاً ذريعاً وذلك للتمايزات الواضحة بين المهاجرين، وحافظت كل طائفة على ثقافتها الخاصة من حيث تراث وفن ولغة<sup>(3)</sup>.

---

(1) نازلي معوض، دول الجوار الجغرافي والأمن القومي العربي. الأمن القومي العربي أبعاده ومتطلباته، معهد البحوث والدراسات العربية، 1993، ص 79

(2) إبراهيم الدقاق، الفلسطيني الإسرائيلي مراجعه نقدية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص 167

(3) جلال رمانة، المشروع الصهيوني هل بات في خطر؟!، المنتدى السياسي الإسلامي/ سجن هديرم الصهيوني

## المبدأ السابع: الطلائعية

أمّنت الحركة الصهيونية بالطلائعية بمعنى أن دولة إسرائيل لن تبني إلا على أيدي الطلائعيين الذين يقومون بتهيئة الأجواء لانضمام باقي يهود العالم لأرض إسرائيل، والواقع الآن يشير إلى قلّه ارتباط اليهود بدولتهم من الناحية الأيدولوجية، وبات الارتباط عند الكثيرين منوطاً بالوضع الاقتصادي وأصبح القدياء ينظرون للقادمين الجدد على أنهم جاءوا دون عناء لأخذ فرصهم، وأنهم يشكلون تهديداً على المجتمع الإسرائيلي، فهذا مستشار نتنياهو يقول: "لقد بات العامل الروسي يهدد العامل الإسرائيلي وباتت المرأة الروسية تهدد المرأة اليهودية"، أي أن الأناية غلبت الطلائعية، وهناك مزيد من جوانب التآكل داخل الكيان الصهيوني حيث ينصرف الشباب اليهودي عن الخدمة العسكرية فنحو 20 إلى 25% من الشباب اليهودي يهربون أثناء الخدمة، وثلاث ضباط الاحتياط يتغيبون، وإذا كانت ظاهرة الفرار من الخدمة العسكرية تعد خطيرة في أي مجتمع فإنها تزداد خطورة في مجتمع استيطاني<sup>(1)</sup>.

## المبدأ الثامن: المثالية الصهيونية

المثالية الصهيونية وضعت أهدافاً لها مثل: إقامة مجتمع اشتراكي مبني على الأخلاقية اليهودية، ولكن نجد أن المجتمع الإسرائيلي قد تحوّل إلى مجتمع رأسمالي استغلالي بالتدريج، حيث بات يتكون من طبقتين: الأولى: طبقة أصحاب المال الجشعين، والثانية: طبقة اجتماعية شبه معدمة تنتشر فيها البطالة والمخدرات والجريمة والاعتصاب، واليوم في ظل الخصخصة العامة والتي أكثر ما مسّت الطبقة الضعيفة في ظل التقليلات التي فرضتها الحكومة على مخصصات التأمين الوطني بعد بدء أزمة الاقتصاد الإسرائيلي الكبرى بسبب انتفاضة الأقصى، ستتوسع هذه الهوة بين الطبقتين، ما سيغيّب هذه المثالية أكثر وأكثر<sup>(2)</sup>.

## تيار ما بعد الصهيونية

نتيجة للتصدعات التي تعرض لها الفكر الصهيوني خلال الفترة السابقة، فإن هذا الفكر أخذ في الانشطار بين عقيدتين فكريتين متناقضتين، تشد كل منهما في اتجاه معاكس، ويؤدي

(1) عبدالوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل،

[https://mazenshamma.blogspot.ae/2014/06/blog-post\\_30.html](https://mazenshamma.blogspot.ae/2014/06/blog-post_30.html)

(2) المشروع الصهيوني ... هل بات في خطر؟!

هذا التطور الى تزعزع الاتساق الفكري والعملي للحركة الصهيونية المتمثلة في دولة إسرائيل وسياساتها والذي ينعكس في تطور ظواهر فكرية متطرفة، مثل العنصرية الثقافية والتجاوزات القانونية متمثلة في سلوكيات المستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة والتي تخلخل منظومة الشرعية القانونية التي كانت من الأعمدة الأساسية لمكانة اسرائيل في العالم<sup>(1)</sup>.

ومن ناحية أخرى ظهر تيار ما - بعد - الصهيونية وهو الفكر السياسي النقدي الذي بدأ يتبلور في مواجهة التيار الصهيوني المركزي، وذلك على أسس فكرية وأيديولوجية. وقد تطور جزء من هذا الفكر الصهيوني ما قبل قيام دولة اسرائيل، وكان على رأسه شخصيات، مثل: ليف ماغنس ومارتن بوبر، وجزء آخر تأثر بالفكر ما - بعد الحداثي وما - بعد الكولونيالي، وقد أدى بدء عملية التسوية السياسية مع الفلسطينيين إلى طرح تساؤلات حول انتهاء دور الحركة الصهيونية أو ما اصطلح علي تسميته بـ "ما بعد الصهيونية"، ورأي البعض في تراجع الصهيونية وتحلل الأسس التي استندت إليها مؤشرات واضحة علي مستقبل إسرائيل كدولة يهودية، وهو ما دفع عددًا من القيادات السياسية اليمينية إلى طرح أفكار حول "التخلي عن أجزاء من أرض إسرائيل للحفاظ علي نقاء الدولة اليهودية"<sup>(2)</sup>.

## واقع إسرائيل وأهم المشكلات التي تواجهها

بعد أن عرضنا لبعض مظاهر الواقع الإسرائيلي سنحاول عرض بعض المشكلات التي تواجه إسرائيل الآن والتي بالتأكيد ستلعب دورًا رئيسًا في تحديد طبيعة مستقبلها.

## انهيار الإجماع الصهيوني

إن الإجماع الصهيوني بدأ في التحلل، وبدأت تسوده اتجاهات فردية واثنية تحمل في

---

(1) أمل جمال، الفكر الصهيوني في متاهات التجديد، جدلية التناقضات الداخلية وانعكاساتها العملية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية المستقبل الإثنين 7 نوفمبر/تشرين الثاني 2016، ع 5892، ص 11، <http://almustaqbal.com/v4/article.aspx?Type=NP&ArticleID=722021>

(2) من بين أبرز الدراسات التي تناولت هذه القضية بجميع أبعادها الدراسة التي أعدها لجنة كوهين بعنوان "الصهيونية معالم واتجاهات" ضمن مشروع استشراف مستقبل إسرائيل لعام 2020، الذي ترجمه مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت وأصدره في ستة مجلدات عام 2005، وقد جاءت الدراسة في المجلد السادس ص 395- 415

طياتها أحياناً لا مبالاة بالصهيونية وأحياناً أخرى انتقادات جوهرية لها، فقد طعن تيار ما بعد الصهيونية في عدد من المسلمات الصهيونية وعلى رأسها شرعية النظام السياسي ومدى تمثيل إسرائيل ليهود العالم وكونها ملاذاً لهم من الاضطهاد، فضلاً عن طعنها في الديمقراطية الإسرائيلية، حيث تكشف أن التاريخ المبكر لإسرائيل لم يكن ديمقراطياً تماماً في عديد من الزوايا، منها عدم المساواة بين مواطني الدولة، فضلاً عن فساد المجتمع الأكاديمي والتعليمي والإعلامي والثقافي والعسكري<sup>(1)</sup>، بسبب تعمق علاقة النخب السياسية بالنخب الاقتصادية، وهو ما عرف بعلاقة السلطة بالمال والتي تتجسد في قيام النخب الاقتصادية بضخ الموارد للأحزاب وجهاز الانتخابات، وبالمقابل تقوم النخب السياسية بتقديم التسهيلات غير القانونية للنخب الاقتصادية في كافة المستويات والميادين، بالإضافة إلى تطور العلاقة بين النخب السياسية والنخب القضائية؛ إذ وصلت إلى المس بشكل خطير بمبدأ الفصل بين السلطات، وتقلص دورها باقتلاع الفساد الذي استشرى بين أعضاء النخبة السياسية مما أدى إلى تولد شعور عام لدى الجمهور الإسرائيلي بكون النظام السياسي فاسداً، وبأن هناك شرخاً عميقاً بين النخبة السياسية المسيطرة والجمهور<sup>(2)</sup>.

### نضوب الهجرة ودولة اليهود

تضمن برنامج المؤتمر الصهيوني الأول (بازل) مبدأ تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والحصول على اعتراف دولي بشرعية الاستيطان اليهودي في فلسطين، فقد قال بن جوريون في يوليو 1949: "إن من واجب يهود العالم أن يعودوا إلى وطنهم الأول، إن هدفنا الآن ينحصر في حث جميع يهود العالم على العودة إلى إسرائيل"، وعاد في أواخر عام 1960 ليؤكد عدم استقامة بقاء اليهودي خارج إسرائيل مع ديانتهم اليهودية قائلاً: "إن اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل كفار ويتعرضون لنقض الفرائض اليهودية كل يوم"، وفي كلمة له أمام الكنيست قال بن جوريون: "بالهجرة الجماعية أمكن إنشاء الدولة، وبفضل الهجرة وحدها يمكن أن تصمد"،

---

(1) علي حسين، إسرائيل من الداخل خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، مركز الدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية، 4 يناير/ كانون الثاني 2003، ع 10795، ص3.

<http://www.alyaum.com/article/1055400>

(2) ماهر الشريف، كيف انزاح المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين المتشدد، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 21، ع 8495، ص90

أما جولدا مائير فقد كانت أكثر وضوحًا في القول: "لا جدوي لدولة إسرائيل دون شعب يهودي مرتبط بها، كيف يكون لنا دولة بدون هجرة"؟، ولخص أحد مسئولّي الوكالة اليهودية جوهر الفكرة الصهيونية في مسألة الهجرة بالقول: "إذا نضب ينبوع الهجرة، فلن نستطيع الحفاظ علي الدولة حتي وإن عقدنا تحالفًا سلميًا مع كل جيراننا، إن المحيط العربي سيبتلعنا دون أن يترك لنا أي أثر". ومن هنا يمكن القول إن الحركة الصهيونية التي نجحت في إقامة الدولة عبر تدفق الهجرة اليهودية من الشتات، بدأت بمرور الوقت تعاني مشاكل جمة أبرزها تراجع موجات الهجرة نتيجة "نضوب" الوجود اليهودي في كثير من دول أوروبا، واندماج اليهود في عدد من المجتمعات الغربية أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم تعد فكرة معاداة السامية تجدي في جذب المزيد من اليهود<sup>(1)</sup>.

وبعد هجرة اليهود السوفييت الأخيرة تناقص عدد يهود شرق أوروبا، ولأول مرة في التاريخ نجد أن عدد يهود غرب أوروبا يزيد على عدد يهود شرقها، أي أن الخزان البشري في شرق أوروبا الذي كانت تستمد منه الصهيونية وقودها قد نضب إلى حد كبير، مما يعني أن الأزمة الاستيطانية للمستوطن الصهيوني ستزداد حدة وتفاقماً<sup>(2)</sup>، فإسرائيل دولة استيطانية مبنية على القتال والعنف، وبالتالي لا بد أن يكون هناك باستمرار مهاجرون حتى تدور آلة الحرب، والحاصل أنهم لا يأتون من الولايات المتحدة ولا من أوروبا الشرقية، ولذلك يتم استيراد الفلاشة، ومثلاً، المؤسسة الحاكمة تدير رأسها بعيداً عن أن الاتحاد السوفياتي يصدر لها مسيحيين متمسكين بروسياتهم وبتراثهم الروسي ويرفضون تعلم العبرية، والأخطر من ذلك هو الهجرة المعاكسة، فالأجيال الحالية وارتباطها بما يسمونه أرض الميعاد آخذة في التراجع تدريجياً، فلا زال الملايين من اليهود مشتتين في دول العالم وإسرائيل عاجزة في إقناعهم واستجلاهم للعيش والسكن في إسرائيل، إن مذبحه الانقراض اليهودي التي يتعرض لها اليهود جراء اندماجهم في دول العالم وزواجهم من غير اليهود، وهذا بدوره يساهم في انقراض السلالة اليهودية في العالم في ظل تنامي الإثنيات والأيديولوجيات والثقافات الأخرى في المنطقة<sup>(3)</sup>.

---

(1) ليئة كوهين، "بعنوان الصهيونية: معالم واتجاهات" وذلك ضمن مشروع استشراف مستقبل إسرائيل لعا 2020م، ترجمه مركز دراسات الوحدة العربية ص 415، 395

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 117/130

(3) يحسك دورر، رسالة للقائد (اليهودي الصهيوني الإسرائيلي)، المجلس الصهيوني، إسرائيل- ط 2005/1، عرض/مؤسسة المستقبل للدراسات والإعلام- في الجزيرة نت

## انحدار القيم اليهودية وضعف القيادة

أن المجتمع الإسرائيلي يتجه نحو مزيد من العنف والتطرف نتيجة عدم استقرار القيادة السياسية في إسرائيل وغياب القادة التاريخيين، وانتهاء حقبة زعامة الحزبين العمل والليكود، وصعود الأحزاب القومية والدينية الأكثر تطرفاً ، ناهيك عن فقدان الكيان حالة الاتزان السياسي التي كان يتمتع بها في الماضي. والمؤرخ الإسرائيلي ميخائيل بارزوه المتخصص في كتابة السير الذاتية للقيادات الصهيونية عبر عن قلقه من مستقبل إسرائيل بسبب ضعف القيادات وتغيرها للأسوأ مقارنة بالمؤسسين والآباء الأوائل للدولة لصهيونية. فهناك انتقال من الحرس القديم إلى الحرس الجديد، ومع نهاية الجيل الجديد سيوجد فراغ في القيادة. فانحراف القائد في إسرائيل عن يهوديته وصهيونيته سيؤدي إلى حالة من الانهيار والاندثار<sup>(1)</sup>.

يقول يحسكل درور في كتابه رسالة للقائد: إن انحراف القيادة عن أصالة الصراع وتفرغها نحو المغنمات الحزبية الشخصية حرف مسار الصراع، وأثر على مستقبل الدولة بحيث بات يزود عن حماها أناس ليسوا بأمناء على المستقبل اليهودي، فمفهم متحللون من الدين وعصفوا بصهيونيتهم وبات عملهم السياسي بعيداً عن الأخلاق والتراث اليهودي الذي جاءت به التوراة، إن نهج هؤلاء القادة يدفع نحو المأساة وليس الخلاص، فالقائد الناجح الذي بمقدوره الحفاظ على مستقبل إسرائيل يجب أن يحافظ على انتمائه بصدق، وأن يجدد ولاءه للصهيونية<sup>(2)</sup>، وهناك أيضاً انحدار في ميول الجيل الجديد وخاصة الشباب في إسرائيل نحو القيم اليهودية والصهيونية، وذلك بسبب فراغ الساحة اليهودية من زعماء روحيين صادقين، ورغم أن القانون ونظام الحكم في إسرائيل يتوافقان مع الطابع اليهودي الصهيوني للدولة، فإن الجيل اليهودي المعاصر جيل يتطلع للتقدم في الرقي والتكنولوجيا، لهذا فإن الأخلاق والقيم اليهودية في تراجع وفي أزمة، والتحدي يكون في الحفاظ على يهودية الدولة والأجيال<sup>(3)</sup>.

## بركان التآلف الهش

تخشى إسرائيل من انفجار بركان التآلف الاجتماعي الهش في داخلها، خاصة أنه يأتيها هذه

---

(1)عبدالوهاب المسيري، مستقبل إسرائيل وإرهاصات نهايتها، برنامج بلا حدود، تقديم/ أحمد منصور  
<http://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds/2008/6/1>

(2) رسالة للقائد (اليهودي الصهيوني الإسرائيلي).

(3) نفس المصدر.

المرّة ليس من قبل الأقلية العربية أو الأقليات العرقية إنّما هي تتوقّعه من مجتمّعها الرئيسي الذي ادعت أنّها قامت لحلّ مشكلته التي تنامت في أوروبا، والتي كانت تعرف بالمسألة اليهودية، فاليهود الإسرائيليون هذه المرّة هم الذين تخشّى إسرائيل الدولة على كيانها منهم، خاصّة أنّ كلّاً منهم ينكر وجود الآخر ويتهمه بالخروج عن العقيدة الصحيحة، ومن ثمّ تعمل الدولة الإسرائيليّة على المزيد من التآزيم والعسكرة؛ لأنّ مناخ الأزمة في تجربتهم يعمل على الالتحام الاجتماعي، وأما الاسترخاء النفسي الذي يرتبط بمفاهيم السلام والاستقرار من الخطورة بمكان على هذا المجتمع؛ لأنّه يسمح بتصاعد الخلافات وتناميها<sup>(1)</sup>.

وهناك ظاهرة خطيرة جدّاً داخل المجتمع الإسرائيلي، وهي الفقر في دولة ينظر لها على أنّها أغنى دول المنطقة، نسبة الفقر بلغت 60% في وسط اليهود الأرثوذكس حسب دراسة نشرت في النيويورك تايمز. في 16-3-2008 قالت يديعوت أحرونوت: إنّ نسبة الفقر في المجتمع الإسرائيلي تصل إلى 25%، وعدد المليونيرات يتزايد وعدد الفقراء يتصاعد وهذا سيقوض الأيديولوجية الصهيونية.

---

(1) إسرائيل من الداخل خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل - القاهرة، ص3،

<http://www.alyaum.com/article/1055400>.

## المبحث الثالث: الواقع العربي الفلسطيني

إن العرب ومنذ القرن الهجري الأول على الأقل، تأسست أنماط سلوكهم على ركائز ثقافية وحضارية موحدة عكست حقيقتهم كأبناء أمة تأسست على مفهوم ثقافي-حضاري واضح المعالم ومحدد الهوية، تمتد جذوره إلى 164 عقداً من الزمان، ولتأثير هذه الركائز لم تستطع النزعات المحلية الانفصالية، التي اقترن بها المجتمع العربي آنذاك، ولا سيما منذ أواخر العهد العباسي صعوداً، الحد من تأثير هذه الركائز. فهذه النزعات لم يرد بها، كما يؤكد منير شفيق، ان تكون سبيلاً لانشقاق عربي دائم<sup>(1)</sup>. ولغايتها استمرت المنطقة العربية، وكما يؤكد مثلاً، جميل مطر وعلي الدين هلال، تعبر عن "... حالة فريدة في التنظيم الدولي، فهي وان تُعد منظمة إقليمية تضم دولاً متجاورة جغرافياً يدعو ميثاقها إلى ان تحترم سيادة كل من هذه الدول، ولكنها في الوقت نفسه تعبر، بحكم وجودها عن فكرة قومية"<sup>(2)</sup>.

ويمكن القول أن العرب، منذ حصول بلدانهم على استقلالها السياسي بعد الحرب العالمية الثانية تباعاً قد فشلوا في تحقيق الوحدة والتكامل الاقتصادي العربي، كما فشلوا في تحقيق تنمية بلدانهم، وبالتحديد أخفق العرب في إقامة نظام عربي إقليمي، وفي تأسيس تكتل اقتصادي قوي، وفي تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية ولذلك كله فإن هناك تحديات متعددة وعظيمة الشأن تواجه العرب، ف"عندما احتفل العالم بدخول الألفية عام 1000 كان العرب والمسلمون منغمسين في بناء الحضارة والعلوم ومشاركين فاعلين في أسبابها بمختلف مظاهرها، بينما كانت أوروبا ترفل في سبات العصور الوسطى... وأوضاعنا الآن... تكاد تكون نقيض ما كنا عليه عند الألفية الثانية."<sup>(3)</sup>

فالعالم العربي يعيش في هذه اللحظة فترة حزن وبأس وتمزق وفرقة وتدهور من نظام القيم التاريخية، وخيبة أمل في قيادات سياسية<sup>(4)</sup>. فكل ما يحيط بالعرب أخذ بالتطور السريع

(1) انظر: منير شفيق، في الوحدة العربية والتجزئة، بيروت: دار الطليعة، 1979، ص54-64.

(2) انظر: جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي - دراسة في العلاقات السياسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ص70

(3) انظر: حازم البيلاوي نحن والغرب: عصر المواجهة أم التلاقي؟،، دار الشروق-القاهرة، 1999، ص27/25.

(4) حامد ربيع مستقبل إسرائيل، دراسة غير منشورة

في شتى المجالات والزمن لا يعاباً بالعجزة والجهلة والمتخلفين، فهولن يترك لهم الفرصة لالتقاط الأنفاس<sup>(1)</sup>. ومن هنا فإن بنا حاجة إلى رؤية موضوعية لواقعنا العربي نستخلص منها مرجعيات للتفكير المتجدد، والعمل الخلاق تحجيماً للكوايح، وتوظيفاً للفرص خدمة للصالح الوطني والقومي، ونحن نحاول استشراف الصور المحتملة للمستقبل العربي، فإننا سنبدأ من الواقع المعاش، ولا ننسى الماضي وتجاربه ودروسه.

## الواقع السياسي وعجز الكيانات القطرية

يتكون النظام السياسي العربي من إحدى وعشرون دولة نشأت خلال القرن العشرين بعد الخلاص من الاستعمار الغربي، وهذه الدول مختلفة من ناحية حجمها سكانيًا واقتصاديًا وجغرافياً، وتنوع أنظمة حكمها ما بين الملكي الوراثي والجمهوري الثوري والبرلماني، ويجمع العرب جميعاً إطار جامعة الدول العربية، التي لم تستطع بعد مرور أكثر من سبع عقود تحقيق أهدافها في الوحدة والتكامل بين مختلف الدول العربية، ولاشك في أن الدول العربية دون استثناء تواجه تحديات خطيرة تهدد الكيان والوجود.

والتحدي السياسي الأعظم الذي يواجه العرب إنما يتجسد بالكيانات القطرية الهزيلة العاجزة، بحيث أننا لن نجد قطراً عربياً مؤهلاً بقدراته الذاتية؛ لأن يشكل اكتفاءً ذاتياً أو حماية تجعله قادراً على حماية مصالحه والصمود في وجه الضغط والعدوان والمنافسة<sup>(2)</sup>، فأبناء العربية يتعرضون -اليوم لأعتى هجمة عدائية إمبريالية، وهي تتقوى بحجج تفتريها عليهم كالإرهاب وغيره، وما هذا كله إلا لتبقي الأمة ممزقة لا إرادة لها ولا قوة، ولتستنزف مواردها وخيراتها، وما نحن نراها إمّا محتمية بالقوى الأجنبية، أو ملتحقة على نحو مهين بعدو مازال يحتل الأرض العربية، أو نراها محاصرة ومهددة بالحصار والعدوان، إذا رفضت التبعية والانصياع للقوى الطامعة بها، أو متهمة بالإرهاب وبخيانة أسلحة لا يجوز أن تخرج من دائرة احتكار الكبار والصهاينة لها<sup>(3)</sup>.

---

(1) العرب وتحديات المستقبل - (مجموعة باحثين)، دمشق / الثلاثاء - الأربعاء: 2002/10/9 م - اتحاد الكتاب العرب - الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 8/7

(2) علي عقلة عرسان، مستقبل الدولة القطرية، العرب وتحديات المستقبل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 11

(3) العرب وتحديات المستقبل، (مجموعة باحثين)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، 2002، ص 28

وهناك مجموعة من الإشكاليات التي تواجه العلاقات العربية العربية والتي باتت تمثل عنصرًا من العناصر التي تعوق تطور هذه العلاقات بالاتجاه الملائم لتحقيق المصالح العربية، وأول هذه الإشكاليات هي إشكالية الدولة القائد، والتي أثبتت التجربة العربية صعوبة اضطلاع أي دولة عربية بهذه المهمة. وهناك أيضا إشكالية توزيع الثروة حيث تنقسم الدول العربية إلى دول غنية قليلة الكثافة السكانية ودول فقيرة ذات كثافة سكانية عالية، ويضاف لذلك إشكالية بعض الدول العربية التي تعاني من حالة من عدم الاستقرار الداخلي تتراوح بين الحرب الأهلية، وعدم الاستقرار الأمني، ومخاطر التقسيم، ومن هنا فالأبعاد السياسية تتعلق بأزمة بناء الدولة وتآكل الشرعية، وعدم الاستقرار السياسي، والعسكرة والأمن، وغياب الديمقراطية كتهديد داخلي للأمن، وإخفاق تجارب التنمية وتفاوت الثروة، وتدني مدى الخدمات الاجتماعية وتفاوت مستويات المعيشة فيما بين الأقطار العربية.

وقد تلقى النظام العربي صدمة نتيجة الغزو العراقي للكويت، حيث أدى هذا الغزو إلى توليد انقسامات حادة في العالم العربي، أما المرحلة الراهنة فهي من أخطر المراحل في تاريخ علاقة النظام الإقليمي العربي بقيادة النظام الدولي، نتيجة انهيار النظام العربي بعد حرب الخليج، حيث برزت إشكالية ازدياد تأثير دول الجوار الجغرافي على العلاقات العربية العربية، كما أدى انهيار المعسكر الشرقي إلى ازدياد الضغوط من البيئة الدولية على العلاقات العربية العربية، فالولايات المتحدة بوصفها القوة الرئيسية في العالم اليوم ترى أن المنطقة العربية بصفة عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة هي منطقة مصالح استراتيجية بالنسبة لها، ولذا فإنها تتابع بدقة أى تفاعلات عربية عربية بحذر وترقب وتتدخل في الوقت الملائم لإضعاف فعالية هذه التفاعلات مستغلة الثغرات القائمة في نطاق العلاقات العربية. وهناك أيضا مصادر دولية أخرى للتأثير الناتج من فتح الأسواق الوطنية أمام حركة السلع والخدمات الأجنبية، الذي قد تؤدي إلى مزيد من الانكشاف العربي أمنيا واقتصاديا وسياسيا، كما أن الضغوط الدولية الناتجة عن ثورة الإعلام والاتصال والمعلومات، تهدد الهوية القومية العربية والروابط الثقافية العربية، التي تعد بمثابة خط الدفاع الأخير عن الوجود العربي<sup>(1)</sup>.

(1) جميل مطر، المسألة العربية بين قرنين، ص 6/ ص 7 / عوني فرسخ، جدلية الوحدة والتجزئة في الواقع العربي المعاصر، المستقبل العربي بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 226، اكتوبر 1998، ص 50-

## الثورات العربية و النظام العربي

شهدت بعض الدول العربية ثورات توالى بعدد التحولات التاريخية ولحظات مصيرية لا تقل أهمية عن تلك التي عرفت منذ انهيار الدولة العثمانية، ومنذ سايكس/بيكو، وهى تغيرات تنبئ بتغيير كبير حول مصير الكيانات القطرية والأنظمة السياسية القائمة و دساتيرها وقوانينها وطبقاتها الحاكمة.

والأمر الذي لاشك فيه أن الثورات التي تفجرت في بعض الدول العربية كانت وليدة تفاعلات تراكمت على مدى سنوات طويلة شهدت تفاقم الكثير من الأزمات، والكثير من إخفاقات النظم الحاكمة، لكن إلى جانب هذه الحقيقة تكمن حقيقة أخرى هي أن أطرافاً إقليمية وأخرى دولية إن لم تكن طرفاً مباشراً في تفجير بعض تلك الثورات والانتفاضات، فإنها كانت طرفاً مباشراً في تفعيل مجرى تطور تلك الثورات<sup>(1)</sup>. حيث تحاول المخططات الأمريكية – الصهيونية أن تطبق نظرية “الفوضى الخلاقة” كي تعيد تقسيم الوطن العربي كما تريد، بما يسمح لها بالسيطرة التامة على ثرواتها ومنعها من تحقيق وحدتها حماية لأمن الكيان الصهيوني.

فالسودان شكل بداية تنفيذ فكرة الانفصال بدعم أمريكي/ أوروبي/ إسرائيلي، والعراق متفرق ليس فيه مؤسسات دولة وحدوية ولا رؤية واضحة لمستقبله، كما أن لبنان معرض لفتنة داخلية يدعمها صراع على السلطة وخطاب متوتر بشأن سلاح المقاومة، كما أن ما جرى في اليمن والبحرين والسعودية وسوريا من انقسامات متعددة يسير في نفس ما يحدث من ثورات، ما يشكل سهولة في استغلال الفرص المتاحة لتقسيم الدول المتفرقة داخليا فيما بينها وخارجياً على مستوى الوحدة، كما يتم التخطيط له على مسار المخطط الأمريكي/الصهيوني بحيث أصبح الوجود العربي مهدداً<sup>(2)</sup>.

---

(1) محمد السعيد إدريس، الثورات العربية ومستقبل العلاقة بين النظام العربي والنظام الإقليمي، التقرير الإستراتيجي العربي، مؤسسة الأهرام، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية- القاهرة، 2011-2012-الرابط: مركز الروابط للدراسات الاستراتيجية-

<http://rawabetcenter.com/archives/3105>

(2) طارق فهي، مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، المركز العربي للبحوث والدراسات- الأحد 28 يونيو/ حزيران/2015- 12:17 م- الرابط: <http://www.acrseg.org/39141>

ومما لا شك فيه أن استمرار الأوضاع في دول الثورات العربية وخارجها على ما هي عليه سيؤثر لا محالة على التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي، فالمسألة لم تعد فقط احتلال واستيطان ومفاوضات عبثية وإنما سعيّ دولي (أمريكي - إسرائيلي) بالأساس لتوظيف الأجواء الراهنة للتوصل إلى تسوية عاجلة ومنقوصة ومباشرة دون الإرتكان إلى أيه ثوابت أو قرارات أو معطيات الصراع، بل بالعكس تصفية جوهر القضية وأهمها حق العودة واستمرار الاستيطان<sup>(1)</sup>.

## الواقع الاقتصادي العربي

إنه وضع محزن ولا شك ويزداد وجعاً عندما تُظهر لنا حركة الحياة أن الأمة، أي أمة تبدأ بالانحدار والتراجع عن مسرح الحركة الحضارية عندما تأكل من حيث لا تزرع، وتلبس من حيث لا تنسج، فكيف تقبل الأمة وهي بهذا التاريخ والجغرافيا وتلك الإشرافة التي كانت حديث العالم ذات يوم أن تمتدّ يدها لإطعام أبنائها وهي تملك في أراضيها كل مقومات الحياة والاستقرار والاستمرار؟ حيث تشير الأرقام إلى احتواء أراضي الوطن العربي على كمية كبيرة من المواد الأولية الاستراتيجية: 62% من احتياطي النفط العالمي، 22% من احتياطي الغاز العالمي، 50% من الفوسفات، 15% من زيت الزيتون 75% من الصمغ، 12.9 مليار طن من الحديد، 500 ألف طن يورانيوم<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية (2.340.427) دولارًا بناءً على "معادل القوة الشرائية"<sup>(3)</sup>، ويمكن ملاحظة أن هناك ضآلة في وزن كل من الزراعة والصناعة التحويلية في الناتج الإجمالي للدول العربية 12.5 و10.1، وهناك ارتفاع في وزن قطاع الصناعات الإستخراجية حيث يصل إلى 21%. وهي غير مستقرة، أما بقية القطاعات فهي في مجالات التشييد والكهرباء والخدمات، وهناك ضآلة في حجم الصناعة في الناتج المحلي وهيمنة

---

(1) طارق فهي، بعد التحوّلات في المشهد العربي: مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، -لأحد/28 يونيو/2015- المركز العربي للبحوث والدراسات-

<http://www.acrseg.org/39141>

(2) سهيل عروسي، الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات- العرب وتحديات المستقبل، المحور الاقتصادي، الأمن الغذائي العربي، ص82

(3) قاعدة بيانات التوقعات الاقتصادية في العالم" 2007، التي قام "صندوق النقد الدولي" بنشرها في أبريل من عام 2008

الصناعات الخفيفة الاستهلاكية، ويشكل النفط عصب الإقتصاد العربي، إذ تبلغ نسبة الإنتاج العربي في هذه السلعة 25.8%. كما تبلغ نسبة الاحتياطي العربي 60%. ولذلك يعتبر الوطن العربي هدفاً دائماً لمحاولات بسط النفوذ والسيطرة من الدول الكبرى الفاعلة في النظام الدولي<sup>(1)</sup>، ومن المتوقع أن تزداد مخاطر التعرض العربية للصدمات بسبب ثقل صادرات النفط وارتفاع حجم الواردات الغذائية وانخفاض أهمية الصناعة، ما يعني أن الإقتصاد القومي شديد الحساسية لما يطرأ على أسعار النفط من ارتفاع أو انخفاض<sup>(2)</sup>.

وبالنسبة للتنمية والسياسات الاقتصادية، فإن عمليات الاندماج في الإقتصاد العالمي وتطبيق وصفات صندوق النقد والبنك الدوليين، جعلت أداء الإقتصاديات العربية يتراجع منذ منتصف الثمانينات، وحتى نهاية 1999م، بحيث أصبح الوزن النسبي للإقتصادات العربية في الناتج العالمي والتجارة الدولية عام 1997م، أسوأ بكثير من الوضع في منتصف الستينات. كما يتفاقم خطر النمو الإقتصادي الضعيف، حيث إن نسبة في العالم 2%، لكنها لا تتعدى 0.5% في الوطن العربي، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الفقر والبطالة، وانتشار خطر سوء التغذية والجوع، حيث إن نسبة المصابين بسوء التغذية تبلغ 12%. أما المجموعات الضعيفة مثل النساء والأطفال والمعاقين واللاجئين، فحالتهم ستزداد سوءاً خاصة، وأن العالم العربي هو اليوم أكثر المناطق نشاطاً فيما يخص الاتجار بالبشر، ويتوقف تقرير التنمية البشرية لعام 2014 عند ما تتعرض له المنطقة العربية من مخاطر متشعبة، جزاء ما تواجهه من نزاع وبطالة وعدم مساواة، وهي مخاطر إذا ما بقيت من غير معالجة، يمكن أن تعطل مسيرة التنمية البشرية<sup>(3)</sup>، حيث أن الأقطار العربية كافة تنتمي بدرجات متفاوتة إلى معسكر التابعين اقتصادياً في النظام الإقتصادي الدولي، ولا تستطيع دولة عربية بمفردها أن تستقل بمواردها فهي بحاجة شديدة إلى أخواتها العربيات، لاعتبارات التاريخ والجغرافية والعقيدة واللغة. وقبل هذا كله لوجود التكامل المُيسَّر للحاجات من أقرب الأمكنة<sup>(4)</sup>.

كما أن سياسة التأهيل للاندماج في الإقتصاد العالمي، قد زادت من تعقد المشكلات

---

(1) النظام الدولي والنظام العربي، ص 38/37.

(2) انظر: عبد الهادي السويفي، اقتصاديات الوطن العربي، معهد الدراسات العربية، القاهرة.

(3) انظر: تقرير التنمية البشرية لعام 2014

(4) سهيل عروسي، الأمن الغذائي العربي، عصام جميل العسلي، العرب وتحديات المستقبل، دمشق، 2002،

الاقتصادية، وفاقمت الأوضاع الاجتماعية، أما نصيب الفرد العربي من الناتج المحلي الإجمالي، فقد انخفض عام 1990 إلى (1842) دولاراً، بعد أن كان عام 1975 (2327 دولار)، مع تفاوت في مستويات التنمية بين الدول العربية. فبينما يبلغ نصيب الفرد من الناتج الإجمالي في الإمارات العربية (15300 دولار) سنة 1987م، فإنه ينخفض ليصل (513 دولاراً) سنوياً في موريتانيا، وهناك حوالي 70 مليون نسمة يعانون من الحرمان والفقر. في المقابل جاء في تقرير التنمية البشرية لعام 1998م، أن في البلدان العربية (11) شخصاً من بين أغنى (255) شخصاً في العالم، وقادت السياسات الاقتصادية في الدول العربية التي تم اتباعها في إطار اقتصاد حرية السوق، إلى تنامي الفقر وإشاعة البطالة، في حين انحسرت الطبقة المتوسطة وانحدر مستوى شريحة كبيرة منها<sup>(1)</sup>.

## الأمن الغذائي العربي

يُعرّف البنك الدولي الأمن الغذائي بأنه: "إمكانية حصول كل الأفراد في كل الأزمنة على الغذاء الكافي لحياة نشطة وصحية". وتُعرف "المنظمة العربية للتنمية الزراعية" الأمن الغذائي العربي بأنه: "توفير الغذاء بالكمية والنوعية اللازمتين للنشاط والصحة بصورة مستمرة لكل أفراد الأمة العربية اعتماداً على الإنتاج المحلي أولاً، وإتاحته للمواطنين العرب بأسعار تتناسب مع دخولهم وإمكاناتهم المادية"<sup>(2)</sup>، وتشير كافة الدراسات إلى أن الفجوة الغذائية تزداد اتساعاً بازدياد اعتماد الوطن العربي على العالم الخارجي وتنمو هذه الفجوة نتيجة نمو معدل الاستهلاك السنوي للغذاء بنسبة 5% سنوياً بينما لا يتجاوز المعدل السنوي لزيادة الإنتاج 2% سنوياً<sup>(3)</sup>، وعلى ضوء ما تقدم يعيش الوطن العربي في عجز غذائي دائم، إذ لا يمكن حل مشكلة الأمن الغذائي الخطيرة في المنطقة على الصعيد الوطني وذلك بصورة خاصة بسبب ضعف

---

(1) منير الحمش، التحولات والمتغيرات الاقتصادية العالمية وتأثيرها على الدول العربية، مؤتمر: «التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين»-المؤتمر السنوي الرابع للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية، أبريل/ نيسان 2000م.- مجلة الكلمة العدد (27). السنة السابعة، ربيع 2000م.

(2) تم تضمين تعريف "المنظمة" في "إعلان تونس للأمن الغذائي" في الدورة الرابعة والعشرين للجمعية العمومية للمنظمة العربية للتنمية الزراعية التي عقدت في تونس خلال الفترة 13-15 كانون الثاني (يناير) 1996.

(3) العرب وتحديات المستقبل-(مجموعة باحثين)، الأمن الغذائي العربي، أ. سهيل عروسي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 ص 80

التجارة ما بين بلدانها والافتقار إلى التعاون<sup>(1)</sup>، وإلى الآن لم يحقق العرب السوق العربية المشتركة ولا أي شكل من أشكال التوحد الاقتصادي.

والمعلوم أن المنطقة العربية تقدر مساحتها بنحو 14 مليون كم<sup>2</sup>، حيث تشكل مساحة المناطق الجافة وشبه الجافة نحو 90% من مساحة المنطقة العربية، ومساحة الأرض الصالحة للزراعة تمثل أقل من 10% من المساحة الكلية، ويتعرض هذا المورد لنوعين من التآكل من حيث الكم، أو من حيث النوعية والخصوبة<sup>(2)</sup>، ويعاني مورد الماء أيضاً من تآكل كمي، وتآكل نوعي، ويلاحظ من دراسة الأوضاع الحالية والمستقبلية للموارد المائية في المنطقة العربية أن هناك فجوة ناجمة عن عدم قدرة الموارد المائية على تلبية الاحتياجات سواء كان هذا راجعاً إلى تزايد عدد السكان أو المساحات المزروعة أو التوسع الصناعي ومستويات التصحر<sup>(3)</sup>، ونشر برنامج الأمم المتحدة للبيئة "تقريراً أعده 200 مائتي خبير من 50 خمسين دولة بعنوان (جيو 2000) قدّم صورة مقلقة عن مشكلتي النقص في المياه وارتفاع حرارة الأرض وما يتصل بهما خلال القرن الحادي والعشرين، فقد خلص إلى أن الدورة العالمية لتجدد المياه لن تكون كافية لتوفير الحاجات خلال العقود المقبلة، وأضاف أنه في منطقة آسيا المحيط الهادئ حيث يعيش 60% من سكان العالم، لا تتوافر المياه لشخص واحد من بين كل ثلاثة، بينما سيكون النقص في المياه عاملاً في الحد من إنتاج الغذاء<sup>(4)</sup>.

ويكفي الإشارة إلى التفجر السكاني الكبير خلال أقل من ربع قرن، حيث زاد العرب من نحو 122 مليون نسمة عام 1970 إلى نحو 240 مليون نسمة عام 1993 ويمثلون 4.31% من سكان العالم<sup>(5)</sup>، ويتوقع أن يتضاعف مرة أخرى إلى 480 مليون بحلول العام 2030م، ويقدر معدل النمو السكاني في الوطن العربي في السنوات الأخيرة بحوالي 2.88%، في حين يقدر معدل النمو السنوي لسكان العالم بحوالي 1.65%. وتشكل زيادة السكان عاملاً ضاغظاً على الموارد الزراعية، سواء من خلال تناقص ما يخص الفرد الواحد، أو من خلال زيادة الطلب على المنتجات الزراعية أو من خلال تلوث البيئة، ما يشكل عاملاً محدداً للتنمية الزراعية<sup>(6)</sup>.

(1) تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا/الأمم المتحدة/ لعام 2000 ص 115.

(2) العرب وتحديات المستقبل، ص 55

(3) المصدر نفسه، ص 86

(4) انظر: النقص في المياه يحد من إنتاج الغذاء، جريدة تشرين، ع 8337، وتاريخ 2002/6/11، ص 13.

(5) محمد السيد عبد السلام، الأمن الغذائي للوطن العربي. عالم المعرفة. ع/230-ص38/37.

(6) العرب وتحديات المستقبل، ص 63

## التحدي الأخلاقي والاجتماعي

يتعرض وطننا العربي لتحديات متعددة وتيارات معادية تستهدف قيمه وتراثه وهويته وأصالته، حيث يشهد العالم، تغيرات متسارعة في ميادين الحياة المختلفة، وهذا ما نشهده في ظل الثورة التكنولوجية وتحول العالم إلى ما يشبه القرية الكونية الصغيرة، حيث يتواصل أبنائها فيما بينهم تواصلًا يكون غير متكافئ، إذ تسيطر ثقافات على أخرى، وتتصارع الحضارات فيما بينها بعيداً عن منطق الحوار، وتهديد الثقافات القومية والوطنية غذا من أبرز نتائج العولمة، ولئن كان الغزو الثقافي موجوداً من قبل، وإن ظاهرة العولمة زادت من سطوته وجعلته أحادي القطب إلى حدٍ كبير؛ حتى لقد باتت ثقافات عالمية قوية وعريقة كالثقافات الأوروبية تخشى على نفسها منه، فما بالك بالثقافات الأقل قوة إن لم نقل الضعيفة كثقافتنا العربية الراهنة<sup>(1)</sup>.

### الأقليات والأبعاد الاجتماعية للأمن القومي العربي

المجتمع العربي يمتلك أغلبية متجانسه، ولكن مشكلة الأقليات في العالم العربي تظهر في حالات الضعف، وتثار مسألة الأقليات في العادة عند محاولة إختراق بناء المجتمع من قوى خارجية، وباستثناء أقليات صغيرة لا شأن لها، فنحن ننتهي إلى أمة واحدة، ونتكلم لغة واحدة، وكان لنا تاريخ مشترك واحد تقريباً، كذلك فنحن نعاني اليوم من مشاكل متشابهة. لكن هذه الأمة الموحدة قومياً، تحتوي أديان ومذاهب مختلفة نشأت كلها هنا، وهي تشكل غنى حقيقياً إذا أحسن توجيهها، وتكون مزيجاً انفجارياً إذا لعب بها الطامعون. باختصار: حالتنا تعاكس تماماً الحالة الإسرائيلية - ما يوحد هنا، يفجر هناك، وبالعكس. وتنقسم الأقليات في العالم العربي إلى العرب الشيعة، الجماعات غير المسلمة، الجماعات المسلمة غير العربية، الجماعات غير المسلمة وغير العربية، ويمثل عدم اندماج الأقليات أهم مصادر تهديد الأمن العربي، نتيجة شعور الأقليات بعدم الأمن على حياتها ومستقبلها، ما يسهل تدخل الدول الأجنبية.<sup>(2)</sup>

وقد حاولت إسرائيل استهداف كيان الأمة العربي السكاني، مستغلة بعض الظروف... وقد كتب "أوعوديد ينون" مستشار شارون: "تستهدف إسرائيل الأمة العربية في كيانها البشري

(1) المصدر نفسه، ص 127

(2) عبد المنعم المشاط، الأمن القومي العربي أبعاده ومتطلباته، معهد الدراسات العربية- 1993

السوسولوجي وليست فقط في أراضيها وسيادتها، فهي تريد تفتيت أقطار هذه الأمة طائفاً ومنهيباً إلى دويلات متنافرة فيما بينها<sup>(1)</sup>. ودون دخول في تفاصيل الخريطة الاجتماعية السياسية العربية، فإن هناك مؤشراً على حراك للأقليات يشير إلى نزعات انفصالية تمثلت في مستويات ثلاثة: مستوى تحقيق الانفصال كما وقع في جنوب السودان، ومستوى تحقيق درجة كبيرة من الاستقلال عن المركز، ومثالها إقليم كردستان العراق، ومستوى البحث عن تحسين مؤشرات المواطنة، ومثالها: البحرين والسعودية واليمن ودول المغرب العربي وإلى حد ما في مصر والأردن. والملاحظ أن النزعة الانفصالية تتعزز بعدد من المؤشرات، مثل تجمع الأقليات وعدم تبعثرها، ووجود مورد اقتصادي في منطقة الأقلية (كالنفط)، ووجود الأقلية في مناطق حدودية، ناهيك عن نمط تعامل الأغلبية مع الأقلية ووجود سند دولي أو إقليمي للأقلية<sup>(2)</sup>.

### القصور عن مواكبة عصر العلم والتقانة

إننا نواجه مستقبلاً يحتاج إلى درجة رفيعة من التعليم، وذلك لأن حضارة المستقبل تتطلب جماهير لا يقف بها تعليمها وثقافتها عند محو الأمية (الذي لم ننجح حتى الآن في تحقيقه) لأن الوطن العربي وهو يلج بوابة القرن الجديد يحوي 70 مليوناً من الأميين بنسبة قدرها 35% من السكان، والأمية لم تعد مقتصرة على القراءة والكتابة، وإنما أصبحت متعددة الوجوه (كالأمية اللغوية والمعلوماتية واستخدام الحاسوب والإنترنت وغير ذلك). كما أن حجم التحدي التكنولوجي، والتفجر في المعلومات يفوق كل تصور، فثمة مسافة شاسعة بين ما كانت عليه التكنولوجيا في بداية القرن العشرين وما صارت إليه في فاتح القرن الحادي والعشرين<sup>(3)</sup>، ونحن اليوم نترجم العلوم حقاً، وننقلها إلى لغتنا، ولكن حركة الترجمة عندنا بطيئة جداً إذا هي قيست إلى التطور السريع الذي يحيط بالعلوم والفنون، ومن أجل ذلك يبقى الفكر في مطاردته الدائبة، وتبقى اللغة في افتقار إلى المصطلحات العلمية، ويكفي أن نعرف "أن الحضارة

(1) نازلي معوض، دول الجوار الجغرافي والأمن القومي العربي. الأمن القومي العربي: أبعاده ومتطلباته، معهد

البحوث والدراسات العربية، 1993، ص 79

(2) وليد عبد العلي المشهد السياسي العربي 2012: إقليم مضطرب. الأحد، 15 يناير/ كانون الثاني، مركز الجزيرة للدراسات.

(3) اسماعيل الملحم، التحدي التكنولوجي والمعلوماتي وأثره في الشخصية، / العرب وتحديات المستقبل،

العلمية تقذف في كل يوم بما يتراوح بين خمسين ومئة مصطلح جديد أو أكثر إلى ساحة التداول العلمي<sup>(1)</sup>.

ويعاني العالم العربي من فجوة علمية ورقمية، ومن مؤشراتها الهوة الرقمية لسوق الحاسبات، وإنتاج البرامج، والحاسبات المشبوكة (المرتبطة بالإنترنت)، وعدد ونسب مستخدمي الإنترنت؛ والتوزع الجغرافي العالمي للتجارة عبر الشبكة الدولية<sup>(2)</sup>. ويشير توزيع السوق العالمي للحاسبات الشخصية لعام 1997 إلى أن الوطن العربي، يعاني من تهميشٍ رقمي حقيقي في أحد أكثر المؤشرات دلالةً وفعاليةً: الحاسوب الشخصي، ولو أخذنا مؤشراً آخر هو نسبة إنتاج البرامج موزعةً على الدول والتكتلات وجدنا ما يلي: أمريكا الشمالية 55%؛ الاتحاد الأوروبي 23%؛ الدول الآسيوية- 18%؛ باقي دول العالم والوطن العربي 4%. وهناك مؤشر آخر هو نسب مستخدمي الإنترنت في العالم (نهايات التسعينات): الولايات المتحدة الأمريكية 65%؛ أوروبا الغربية 18%؛ آسيا 12%؛ باقي دول العالم 5%. ويرى د. رأفت رضوان أن ظهور العرب على الإنترنت بدأ "من خلال قيام بعض الدارسين العرب في دول العالم الغربي بوضع بعض المعلومات عن بلدانهم من خلال صفحات إلكترونية"<sup>(3)</sup>.

### الواقع العربي الراهن من خلال تقارير التنمية البشرية

عودتنا تقارير برنامج الأمم المتحدة للإنماء منذ صدور أول تقرير سنة 2002 على الأخبار السيئة، لكن من يقرأ تقرير 2009 يترحم على ما قرأ لحد الآن. فكل مؤشرات الإنماء البشري العربي في الأحمر، فالدخل القومي للأمة لا يتجاوز دخل إسبانيا، وعدد الأميين عندنا 65 مليون وهو من أرفع النسب في العالم، ومعدل الحياة أنقص بعشر سنوات من المعدل العالمي، ونسبة البطالة التي لا تتجاوز 6% في العالم تصل عندنا إلى 14%، ونسبة الأطفال المصابين بنقص الوزن عند الولادة هو ضعفه في منطقة آسيا الشرقية أو منطقة المحيط الهادي. وحدت ولا تسلم عن وضعية المرأة والتخلف العلمي وضعف التعليم والنشر وتراجع الثقافة والحريات

(1) العرب وتحديات المستقبل، ص 116

(2) معن النُقري، العرب والتحدّي العلمي، الهوة الرقمية والمجتمع الرقمي، /العرب وتحديات المستقبل، ص 211

(3) رأفت رضوان، النظام الدولي للمعلومات موقع الوطن العربي على خريطة العالم الجديد، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، سلسلة دراسات شهرية /قضايا استراتيجية/، السنة الثانية - ع 12، نوفمبر/تشرين الثاني 1997، ص 34

العامة والفردية وحقوق الإنسان. أضف لهذا المعطيات الأخيرة جامعاتنا التي لا توجد أي واحدة منها في قائمة الـ400 الأولى وتغيب حتى في قائمة المائة جامعة الأولى في آسيا.

وقد عقدت في دبي القمة العالمية للحكومات من 12-14 فبراير 2017، وضمت جلساتها على مدى 3 أيام 150 متحدثاً في 114 جلسة، حضرها أكثر من 4.000 شخصية إقليمية وعالمية من 138 دولة. وقد أظهر فيلم تم عرضه قبل بدء الجلسة الحوارية، أرقاماً مأساوية للعالم العربي وبدأ بتساؤل: هل لدينا خيار آخر في المنطقة غير البدء باستئناف الحضارة؟! فالمنطقة العربية كانت مهداً للحضارات وقبلة المبتكرين والعلماء والفلاسفة منطقتنا احتضنت الإبداع وكانت شرياناً لاقتصاد العالم.. واليوم أين نحن؟!

57 مليون عربي لا يعرفون القراءة والكتابة، 13.5 مليون طفل عربي لم يلتحقوا بالمدرسة هذا العام، 30 مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر، 8% زيادة في معدلات الفقر آخر عامين. تريليون دولار كلفة الفساد في المنطقة العربية، 5 دول عربية في قائمة العشر دول الأكثر فساداً في العالم، رغم أن العالم العربي يمثل 5% من سكان العالم إلا أنه يعاني 45% من الهجمات الإرهابية عالمياً، 75% من لاجئين العالم عرب! 68% من وفيات الحروب عالمياً عرب! 20 ألف كتاب فقط ينتجها العالم العربي سنوياً، أي أقل من دولة مثل رومانيا. 410 مليون عربي لديهم 2900 براءة اختراع فقط، بينما 50 مليون كوري لديهم 20.201 براءة اختراع. ومن عام 2011 حتى 2017 تم تشريد 14 مليون عربي، وخسائر بشرية تصل إلى 1.4 مليون قتيل و جريح عربي، وتم تدمير بنية تحتية بقيمة 460 مليار دولار وخسائر في الناتج المحلي العربي بقيمة 3000 مليار دولار<sup>(1)</sup>.

وهكذا فإن تخلف الأمة متفاقم، ليس فقط بالنسبة للغرب، وإنما أيضاً بالنسبة للعديد من دول العالم الثالث، ويزداد الطين بلة سنة بعد سنة نتيجة غياب أي إصلاح جذبي وتفاقم أخطار متعدّدة المصادر تتضافر بينها لتشكّل حزمة من التهديدات المرعبة على حاضر ومستقبل الأجيال العربية الحالية التي تعيش حالة غير مسبوقه وغير معروفة عند أغلب المجموعات البشرية الأخرى، من إنعدام الأمن الفردي والجماعي، فتعداد الأمة العربية حالياً 375 مليون نسمة - وسنصل عام 2020 إلى 410 ملايين، والمأساة أن عربياً من كل خمسة يعيش اليوم

(1) العالم العربي أين نحن؟ جريدة البيان الإماراتية 13 فبراير/شباط 2017

<http://www.albayan.ae/across-the-uae/government-summit/2017-02-13-1.2856347>

بأقل من دولارين في اليوم، فكيف ستكون الحالة مستقبلاً في ظل انفجار سكاني يتزامن مع تغيير المناخ واشتداد أزمة المياه الصالحة للشرب وتسارع التصحر وتلوث البيئة؟<sup>(1)</sup>.

وفي ظل هذه الفوضى العارمة تفاقم خطر الحروب الأهلية والاحتلال الخارجي، وما يجري في العراق وفلسطين والحروب الأهلية التي حصلت في الجزائر ولبنان أو الجارية في السودان والصومال واليمن وسوريا وليبيا، ليست مظاهر معزولة أو حوادث متفرقة لا يربط بينها رابط، إنها دلالات واضحة على إخفاق نظامنا السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأمني في حماية الأمة من الاهتزازات الداخلية ومن العدوان الخارجي. فالصراعات التي تشهدها المنطقة، أصابت الأسر بأضرار جسيمة، وخلفت أكبر الأعداد من النازحين واللجئين في العالم، الذين يعيشون في ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية<sup>(2)</sup>.

أراض قاحلة من الأصل ومع هذا يأكلها التصحر يوماً بعد يوم.. عطش في المدن المكتظة والأرياف المهجورة.. جوع زاحف.. تلوث خانق في مدن أخطبوطية عادت للهمجية.. فقر كافر يرفع من نسبة الشقاء والجريمة.. انتفاضات وحروب أهلية لا تنتهي.. ملايين الأطفال العراة الجوعى المتسولين.. ملايين النساء المجبرات على البغاء لإطعام أطفالهن.. قوافل من بواخر الموت تشق طريقها نحو برّ النجاة المتمثل في أي شاطئ أوروبي، تدخل من الدول الغربية لإحلال "الأمن" في مناطق نفوذها.. نخب مجنونة وغبية تعيش ثراءها الفاحش وسط القمامات وأثرياء فاسدون يرقصون الفالس ويأكلون الكافيار ويشربون الشامبانيا وباخرة التيتانيك، التي نسوا أنهم أيضاً من ركبها، تغرق في اليم<sup>(3)</sup>.

## الواقع الفلسطيني

لا شك أن التحولات السياسية التي أصابت المنطقة العربية خلال عام 2011، وما تزال

---

(1) منصف المرزوقي، إلى الأمام نحو الهاوية: قراءة في تقرير التنمية البشرية، 2009 في: الجزيرة،

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2B8050C3-7462-46BA-8B82-2C13C237F949.htm>

تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009 (تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية)-الباحث الرئيسي للتقرير: د. مصطفى كامل السيد-الناشر: المكتب الإقليمي للدول العربية بالبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة-

ط1، 2009، الجزيرة نت عرض، عبد الحافظ الصاوي

(2) تقرير التنمية البشرية لعام 2014

(3) منصف المرزوقي، إلى الأمام نحو الهاوية: قراءة في تقرير التنمية البشرية 2009 في: الجزيرة

تفاعلاتها قائمة، أُلقت بظلالها الكثيفة على القضية الفلسطينية، فالشعب الفلسطيني يبدو الآن ومنذ نكبة 1948 في أسوأ أوقاته، فأمامنا اليوم حركة وطنية تشرذمها انقسامات أفقية وعمودية متعددة، فعصب هذه الحركة الممثلة تاريخياً بحركة "فتح"، انحل إلى فصائل وشخصيات متنافسة عبر الأجيال والمواقع والاتجاهات، ومع أن القوى الإسلامية الناشئة لا تزال متماسكة نسبياً، إلاّ إنها بدأت تشهد انقسامات بين قياداتها المتمركزة في غزة وتلك الموجودة في الخارج، وصارت غزة منقطعة بالكامل عن الضفة الغربية والقدس، وأضححت القدس مفصولة عن عمقها في الضفة الغربية التي تقلصت بدورها إلى معازل محلية منفصمة. ومما لا شك فيه أن التأثيرات المتراكمة للاحتلال الإسرائيلي والاستيطاني أُلحقت بالشعب الفلسطيني أذى بليغاً، فمنذ سنة 1967، تجاوز عدد قتلى وجرحى الانتفاضتين وحدهما - نحو 80.000 فلسطيني، كما سُجلت 700.000 حالة سجن واحتجاز، علاوة على عمليات الاستيطان والضم الزاحف، والتي زرعت 500.000 مستوطن تقريباً في القدس الشرقية والضفة الغربية، فضلاً عن ذلك، إن إعادة احتلال الضفة الغربية في سنة 2002، وإقامة الجدار الفاصل البالغ 750 كلم قلصا الحكم الفلسطيني إلى مجموعات من الجزر المنفصمة.

وقسمت إتفاقية أوسلو الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق: المنطقة أ: وتشمل 18% من الأراضي، بينما يسكنها 55% من السكان الفلسطينيين، وهي تخضع من الناحيتين الأمنية والمدنية للسلطة الفلسطينية، لكن السلطة الإسرائيلية تخترقها أمنياً بشكل دائم. المنطقة ب: وتشمل 20% من الأراضي، وفيها 44,2% من السكان الفلسطينيين، وتخضع هذه المنطقة لسلطة إسرائيلية-فلسطينية مشتركة، لكنها من الناحية الفعلية تخضع أمنياً لإسرائيل بشكل شبه كامل، المنطقة "ج": وتشمل 62% من الأراضي، وفيها 08% من سكان الضفة الغربية، وهي تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة أمنياً ومدنياً<sup>(1)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإن المناطق المحتلة ككل، بعيدة كل البعد عن الشتات الفلسطيني القريب منه والبعيد، كما أن منظمة التحرير الفلسطينية تحولت إلى هيكل فارغ لا صلة له بالحقائق السياسية الجديدة على الأرض، أما السلطة الفلسطينية فهي حكومة افتراضية الآن،

---

(1) وليد عبد العي، الدولة الفلسطينية: الممكن والمحتمل والمأمول، الأربعاء، 16 مايو/ أيار 2012 - مركز الجزيرة للدراسات-

ومعززة بدفق مساعدات خارجية جارفة يبدو كأن هدفه الوحيد تأمين عدم انهيارها بالكامل، علاوة على ذلك فإن حماس والسلطة الفلسطينية لا تستطيعان التحادث، أو إيجاد معادلة عملية للحكم، والخروج ببرنامج سياسي مشترك؛ حيث أن عملية تفتيت السلطة الفلسطينية قد تكرست في عزل غزة، وفي الاقتتال الفلسطيني الداخلي<sup>(1)</sup>.

كما أن أزمة القيادة جدية وشاملة، فالقلة الباقية من القيادة الوطنية القديمة التي انبثقت من منظمة التحرير الفلسطينية وصلت إلى نهاية حدودها البيولوجية، أما القادة المحليون الأحدث فقد هلك معظمهم بسبب الهجمات الإسرائيلية والاعتقالات، أو أنهم وقعوا في الأسر، بالإضافة إلى ذلك يبدو أن لا شخصيات ناشئة لديها النفوذ الباعث على الثقة، كما أن خزان تجديد الطبقة السياسية الفلسطينية، يبدو كأنه نضب بشكل خطر. و باختصار يبدو المشهد قائماً بالفعل<sup>(2)</sup>.

للأسف إن الواقع الفلسطيني مأزوم، سواء ما يتصل منه بانقسام النظام السياسي الفلسطيني، أم بتقادم الشرعيات الفلسطينية التشريعية والرئاسية، أم بتكلس القوى والفصائل الفلسطينية، أم بترهل منظمة التحرير الفلسطينية وتشوه ميثاق وجمود مؤسساتها، وشيخوخة قادتها وجمود كوادرها، وانشغالهما بتنافس بيني ضار يخرج الصراع مع العدو الرئيس من برامج عملهما، ويترك الشباب الفتي الثائر وحيداً في مواجهة كتائب الإعدام الميداني التي يقودها جيش الاحتلال الصهيوني وجحافل مستوطنيه<sup>(3)</sup>.

---

(1) ندوة " حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015م"-مركز دراسات الشرق الأوسط

(2) أحمد الخالدي، المأزق الفلسطيني الراهن: كيف وصلنا إلى هنا، وما العمل؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج19، ع74-75، 2008، ص 5

(3) غانية ملحيس، هل المشروع التَّخَرُّبِيُّ الفلسطيني النَّقِيضُ للمشروع الصَّهْيُونِيِّ تَرَفُّ فِكْرِيٌّ أم اسْتِخْقَاقٌ وَطَنِيٌّ لا يَحْتَمِلُ مزيداً من التَّأخِيرِ؟؟ 1 يونيو، حزيران 2016

## المبحث الرابع: إسرائيل وطبيعة التطور الدولي

منذ ما يزيد على مئة عام والأمة العربية والشعب الفلسطيني يعيش مأساة ما زرعه الغرب، الذي سخر كل ما لديه من وسائل الدمار من الأسلحة التقليدية، وحتى الذرية والأسلحة التدمير الشامل إلا وحقن بها هذا الكيان، الذي غدا مصدر رعب ومركز تهديد مستمر لشعوب المنطقة والعالم، ولم يكتف الغرب الأوروبي والأمريكي بتقديم السلاح للكيان الصهيوني، بل المال الوفير وسخر آتته الإعلامية لتغيير الحقائق، وتحويل الأكاذيب إلى حقائق، والأساطير إلى براهين علمية تاريخية، وأن يتحول القاتل إلى ضحية، والمناضل الذي يسعى لإعادة أرضه وكرامته إلى إرهابي متوحش.

وقد شكل التزوير التاريخي، والتنكر لحقوق الإنسان، واعتماد موقفين متناقضين تجاه كل من اليهود وعرب فلسطين، ومنذ البداية القواسم المشتركة لمواقف بعض القوى الدولية تجاه الطرفين، فوعد بلفور وصك الانتداب الذي تضمنه يعترفان باليهود كشعب له صلة تاريخية بفلسطين، برغم تعدد أصول اليهود، وانتسابهم لأوطان شتى، وإنعدام صلتهم تاريخياً بفلسطين، وعلى النقيض تماماً اعتبروا عرب فلسطين مجرد "طوائف غير يهودية مقيمة في فلسطين"، وحصراً حقوقها هذه بعدم المساس بحقوقها المدنية والدينية، وبذلك أهدرا الانتماء القومي للشعب العربي في فلسطين، وتجاهلا امتلاكه كل مقومات الشعب، وأنكرًا عليه حقوقه السياسية، خاصة حقه في تقرير المصير، وإقامة دولته كاملة السيادة على ترابه الوطني<sup>(1)</sup>.

وكان افتقار الموضوعية في وعد بلفور، وبالتبعية صك الانتداب، مقصوداً كما أقر بذلك بلفور بعد عام ونصف العام من إصدار وعده، فهو يقول: "إن نقطة الضعف في موقفنا أننا بالتأكيد رفضنا في حالة فلسطين مبدأ تقرير المصير، فلو أن السكان الحاليين استشيروا لأعطوا قطعاً قراراً ضد دخول اليهود"<sup>(2)</sup>، وكان الرئيس ويلسون قد أوفد سنة 1919 لجنة "كنج-كراين" لتقصي الحقائق، وبعد لقاءات متعددة في كل نواحي بلاد الشام وضعت تقريراً يؤكد

(1) وثائق الخارجية البريطانية رقم 371-4179 في 19/2/1919. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث،

المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1985، ص 108

(2) راجع: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 108

إجماع مواطني بلاد الشام على الوحدة السورية، ورفض وعد بلفور والوطن القومي اليهودي، وتفضيل وضع البلاد تحت الانتداب الأمريكي<sup>(1)</sup>، وتشير بعض المصادر إلى أن لجنة المخابرات في الجيش الأمريكي رفعت حينها للإدارة تقريراً يفيد بأن المصلحة الأمريكية تقضي بفصل فلسطين عن محيطها العربي، ووضعها تحت الانتداب البريطاني، ودعم مشروع الوطن القومي اليهودي، والاعتراف بالدولة اليهودية فور موافقة عصبة الأمم على إقامتها<sup>(2)</sup>.

ولذا فقد اهتمت إسرائيل منذ قيامها بالعلاقات الدولية باعتبار أنها إحدى الدعائم الرئيسية التي تبنى عليها سياسة الأمن القومي، وذلك بالتركيز على اعتراف هيئة الأمم المتحدة بسيادة الدولة واستقلالها، وتأييد الدول الكبرى لها، واعتماد الدولة على المنظمات العالمية والإقليمية لمساعدتها في صيانة أمنها واستقلالها، واحتفاظ الدولة بجيش قوي قادر على ردع التهديد حتى يتحرك المجتمع الدولي لحمايتها، وارتباطها بقوى عظمى من خلال معاهدة أو إتفاق إستراتيجي.

وبالنظر إلى تصورات الأطراف الدولية المؤثرة، ممثلة بالولايات المتحدة وروسيا والدول الآسيوية والاتحاد الأوروبي، تجاه المنطقة العربية والصراع العربي الإسرائيلي، فيعد دور الولايات المتحدة الأهم والأكثر تعقيداً، وتكمن أهمية هذا الدور في كونها الدولة العظمى، وصانع القرار الأكبر والأكثر تأثيراً في الأوضاع السياسية في المنطقة العربية والعالم، والأهم من ذلك هو ارتباط رؤيتها لإسرائيل بأفكار ونبوءات دينية تجعل موقفها من إسرائيل موقفاً مبدئياً لا يتغير ويتبنى الأطروحات الإسرائيلية<sup>(3)</sup>، ولهذا فقد عمل الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة على منع وحدة العرب، ومنع تقدمهم وتنمية مجتمعاتهم وإعاقة التطور الديمقراطي، وربط كل بلد عربي لوحده بمركز من المراكز الرأسمالية العالمية، تعزيزاً لوجود إسرائيل كحاجز مادي ما بين المشرق والمغرب، بما يشكل تهديداً مستمراً للأمن واستقرار المنطقة<sup>(4)</sup>.

---

(1) تقرير كامبل بزمان سنة 1907 عند شفيق الرشيدات، فلسطين، تاريخاً وعبرة ومصيراً، بيروت، مركز

دراسات الوحدة العربية 1991، ص 68

(2) عوني فرسخ، حقائق الصراع العربي. الصهيوني وقوانينه الحاكمة، صحيفة القدس العربي 2004/9/21

(3) انظر: الحملة الصليبية، يوسف الطويل

(4) منير الحمش، الاقتصاد والمقاومة، جمعية العلوم الاقتصادية السورية، محاضرة في إطار ندوة الثلاثاء

الاقتصادية العشرين 2006/12/5

## النظام الدولي الجديد الواقع والقوى المحركة

تعد التغيرات الكبرى التي تشهدها الساحة الدولية منذ عام 1985 بداية لنظام عالمي جديد لم تحدد معالمه، خاصة وأن هذا النظام ارتبط بسقوط الاتحاد السوفيتي، الذي كان يعد الحليف الاستراتيجي للدول العربية، والذي مثل انهياره فراغاً استراتيجياً في المنطقة العربية، وارتبط بذلك، وكنتيجة له، بروز دور الولايات المتحدة الأمريكية كالدولة العظمى الأحادية التي تستطيع أن تلعب دوراً أساسياً في مجريات السياسة العالمية، وظهور تكتلات اقتصادية جديدة<sup>(1)</sup>، وبرز العولمة كظاهرة طاغية على تفاعلات النظام العالمي، الأمر الذي جعلها من أهم معالم النظام الجديد الذي كان الرئيس بوش (الأب) أول من نادى به في عام 1991 بعد حرب الكويت.

ويمكن رصد ثلاث ظواهر حددت شكل النظام العالمي الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط النظام الدولي ثنائي القطبية، هي: بروز عناصر القوة الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية، وقيام الصين كمركز للنمو الاقتصادي العالمي، وظهور الاتحاد الأوروبي كقوة اقتصادية كبرى متكاملة، حيث استطاعت الولايات المتحدة أن توظف السقوط والتفكك السوفيتي لصالح فرض زعامتها الأحادية على النظام العالمي، مستعينة بقدراتها العسكرية والاقتصادية الهائلة غير القابلة للمنافسة. فمن ناحية القوة المادية، وخاصة العسكرية فإن ميزان الدفاع والتسلح في الولايات المتحدة تفوق على مجموع ميزانيات الدفاع لدى أكبر ست دول تتسابق في هذا المجال كما يوضح الجدول التالي<sup>(2)</sup>:

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول دور النظام العربي وتأثره بالنظام الدولي، ينظر: محمد سعد أبو عامود، "العلاقات العربية - العربية في النصف الثاني من القرن العشرين: الظواهر - الإشكاليات - المستقبل"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، الأهرام، عدد 139، يناير 2000م، ص 8-28. أحمد يوسف احمد، الصراعات العربية (1945 - 1981) دراسة استطلاعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1988م، ص 117/112.

(2) جمال سند السويدي آفاق العصر الأمريكي/ السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، ط1، مركز الإمارات للدراسات السياسية، أبوظبي، 1914، ص 42/ 43.

الدولة	الإنفاق العسكري بالمليار دولار أمريكي
الولايات المتحدة	645.7
الاتحاد الأوروبي	274.5
الصين	102.4
روسيا	59.9
اليابان	59.4
الهند	38.5
البرازيل	35.3
إجمالي الدول الست بدون الولايات المتحدة	570

وبمعيار القوة الاقتصادية استطاعت الولايات المتحدة أن تحافظ على تفوقها الاقتصادي ولكن ليس بالشكل الذي يمكن مقارنته بتفوقها العسكري على النحو الذي يوضحه جدول أهم مؤشرات المعيار الاقتصادي لدى القوة العظمى والقوى الكبرى لعام 2012<sup>(1)</sup>

القوى العالمية	الناتج المحلي الإجمالي (تريليون دولار)	دخل الفرد من الناتج المحلي (ألف دولار)	تقدير القوة/ دليل التنمية لعام 2012
الولايات المتحدة	15.685	49.922	0.937
روسيا	2.015	14.247	0.788
الصين	8.227	6.076	0.699
الاتحاد الأوروبي	16.641	32.518	0.845
الهند	1.842	1.492	0.554
البرازيل	2.253	12.079	0.730
اليابان	5.960	46.736	0.912

ويوضح هذا الجدول أن الولايات المتحدة تحتل المرتبة الثانية بعد الاتحاد الأوروبي بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي لعام 2012 (15 تريليون دولار) مقابل (16 تريليون دولار)، لكن

(1) جمال السويدي، آفاق العصر الأمريكي- السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، ص43

الولايات المتحدة تحتل المرتبة الأولى بالنسبة لدخل الفرد من الناتج المحلي، وتحتل المرتبة الأولى بالنسبة لمؤشرات التنمية البشرية، وفي ذات الوقت يعد الاقتصاد الأمريكي الأكبر في العالم من حيث الكتلة النقدية، لكن يلاحظ أيضًا أن هناك تنافسًا شديدًا للولايات المتحدة من جانب القوى الدولية الكبرى في مجال القوة الاقتصادية. وبهذا المعنى نستطيع أن نقول: "إنه قد حدث تحول في هيكلية النظام العالمي شمل العناصر الثلاثة الأساسية المكونة لهيكليته"<sup>(1)</sup>، فبالنسبة لتوزيع القوة حدث إنتشار ملحوظ في موارد القوة بين عدد أكبر من الفواعل الرئيسية في النظام العالمي مقارنة بحالة التركيز الشديد في موارد القوة بين الدولتين العظميين في النظام السابق، ومدلول هذا الإنتشار في موارد القوة الاقتصادية والعسكرية هو إضمحلال الأساس الموضوعي للقطبية الثنائية، حيث لم يعد للولايات المتحدة وزن طاع، كما لم يعد للاتحاد السوفيتي وجود ظاهر بعد تفككه<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لهذا التفوق العسكري والاقتصادي الأمريكي، فقد هيمن نزوع السيطرة وفرض الزعامة الأحادية الأمريكية على العالم وبشكل لافت للنظر، منذ نجاحها في قيادة التحالف العالمي لتحرير الكويت، واعتبر الأمريكيون أن هذه الحرب كانت مرحلة فاصلة في التاريخ الأمريكي وفي الدور الأمريكي العالمي، وقد عبر عن ذلك بصراحة شديدة الرئيس بوش (الأب) عقب انتهاء تلك الحرب بقوله: "إن عقدة فيتنام قد دفنت في صحراء الجزيرة العربية"، وبمناسبة الاحتفال بذكرى الاستقلال الأمريكي قال: "إن حرب الخليج (الثانية) قد أثبتت للعالم أن الولايات المتحدة يمكنها التغلب على أي عدو ولا يمكن لأحد أن يوقفنا"<sup>(3)</sup>، ولم يكن إدراك الرئيس بيل كلينتون مختلفًا كثيرًا عن ذلك، ففي استقباله للجنود الأمريكيين العائدين من عملية "إعادة الأمل" في الصومال قال: "إن الولايات المتحدة هي قائدة العالم، وأن المهمة العسكرية الإنسانية في الصومال تبشر بعهد جديد في مشاركة الولايات المتحدة في مختلف أنحاء العالم، وقال: "نحن نقف جاهزين للدفاع عن مصالحنا بالعمل مع آخرين كلما كان ذلك

---

(1) الرؤي المختلفة للنظام العالمي الجديد، ودودة بدران، في محمد السيد سليم، (محرر)، النظام العالمي الجديد، ص 42 / 52.

(2) محمد السعيد إدريس، مستقبل النظام العربي: بين التطورات الجديدة في هيكلية النظام العالمي وتداعيات الثورات العربية، المركز العربي للبحوث والدراسات- الأحد 13، 18/يناير/2015 - <http://www.acrseg.org/36543>

(3) الصراع على الخليج العربي، عبد الرحمن محمد النعيمي، المركز العربي الجديد للطباعة والنشر-بيروت، 1992، ص113.

ممكناً، وبأنفسنا عند الضرورة"<sup>(1)</sup>، ووصل غرور القوة الأمريكية، إلى حد التلميح بتجاوز الأمم المتحدة للدفاع عن مصالحها.

## التغيرات في النظام العالمي وأثرها على النظام العربي

بالرغم من أن النظام الإقليمي العربي يملك من الإمكانيات المعنوية المادية ما يؤهله لأن يكون له قدرة من الاستقلال في تفاعلاته على التأثير في مجريات النظام الدولي، وليس مجرد التأثير بسلوك الفاعلين القياديين فيه، ولكن هذه الإمكانيات لا يمكن أن تتحول إلى قدرة إلا إذا تحرك النظام كنظام واحد، وليس كوحدات منفصلة<sup>(2)</sup>؛ فالأهداف العربية لا يمكن أن تتحقق ما لم يتم القضاء على حالة الانقسام التي يعاني منها النظام العربي<sup>(3)</sup>؛ لأن انتهاء مرحلة القطبية الثنائية، حد من قدرة الوحدات الصغيرة والمتوسطة على التحرك السياسي المستقل في النسق الدولي، ويزداد الأمر خطورة عندما ترفض القوى المسيطرة وهي الولايات المتحدة، أن تطبق نفس قواعد القانون الدولي بصورة منسجمة على جميع الحالات التي تحكمها هذه القواعد. وهو الأمر الذي نلمسه بوضوح في حالة القضية الفلسطينية<sup>(4)</sup>، وقد اتضح تأثير هذه التغيرات على قضايا العالم العربي بشكل كبير، خاصة في قضايا الصراع العربي الإسرائيلي والشراكة الأوروبية وغيرها، ومن مؤشرات ذلك تحرك كل دولة بمفردها في تفاعلها مع النظام الدولي، فعلى مستوى الصراع العربي الإسرائيلي اتجهت الدول المعنية بالصراع إلى التفاوض مع إسرائيل وفقاً لمسارات ثنائية لا تشمل باقي الأطراف، وترتب على ذلك اتجاه بعض الدول العربية إلى تطبيع العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل.

ويبدو أنّ العرب، الذين تم إجحاف حقوقهم في مؤتمر مدريد وإتفاقية أوسلو بعد النتائج الكارثية لحرب الخليج الثانية، سيتم "حشرهم" في ظل شروط أكثر إجحافاً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وما فرضه من تحولات في المشهد الجيواستراتيجي في المنطقة، حيث أصبح

(1) كلينتون، أمريكا.. قائدة العالم.. وتعمل منفردة عند الضرورة. جريدة الخليج، 1993/5/6.

(2) علي الشريعة، أثر التغير في النظام الدولي على السياسات الخارجية للدول العربية 1990-2005، المنارة، المجلد 14، العدد 2

(3) انظر: تهميش العالم الثالث واحتمالات تهميش الوطن العربي، في: أسامة الغزالي حرب، الوطن العربي والمتغيرات العالمية، ص 135/137.

(4) محمد السيد سعيد، الوطن العربي والمتغيرات العالمية، ص 17.

العرب منشغلين بتداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق وبتداعيات الخطوات أو الاستفزازات الأمريكية للحكومات والمجتمعات العربية، في حين أنّ الوضع الدولي يحاول جاهدا كبح جماح التفرد الأمريكي وسياسة غطرسة القوة والحرب الوقائية التي تنتهجها<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن أوروبا لها تاريخ حافل بالمواقف التي أثرت على القضية الفلسطينية منذ سنة 1917، إلا أن هذه المواقف تغيرت وتبدلت، واختلفت في درجة تأثيرها على القضية الفلسطينية، واتسمت السياسة الأوروبية الخارجية في منطقة الشرق الأوسط، بشكل عام بمنطق رد الفعل؛ سواء على الأحداث، أو المبادرات والحلول الأمريكية، لذلك لم ينظر الاتحاد الأوروبي قط لسياسته تجاه القضية الفلسطينية كسياسة مستقلة بذاتها، بل كان يتم النظر إليها بوصفها جزءاً من سياسة أشمل وأكبر قد تتسع لتشمل المنطقة العربية، أو الشرق الأوسط بشكل عام<sup>(2)</sup>، أما التصورات الروسية والآسيوية للصراع فقد ثبت ما للدول الأربعة-روسيا والصين والهند واليابان- من تواصل مع المنطقة العربية، ولم يقتصر على التجارة بل امتد ليشمل التعارف والتفاهم فيما بينها، ما يخولها بشكل كبير وضع تصورات فاعلة لمستقبل الصراع؛ فقد انتقل موقف هذه الدول من الدعم التام للحركة الصهيونية في أواخر الأربعينيات إلى الدعم التام للموقف العربي، خصوصاً بعد أكتوبر في 1973.

## الاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم العربي

تسعى الولايات المتحدة في قيادتها للعالم أن تقيم "النظام العالمي" بناء على رؤيتها ووفقاً لمعاييرها وقيمتها الخاصة، فنجد الإدارة الأمريكية تتحدث عن الديمقراطية التعددية وحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب بينما تساند نظم غير ديمقراطية ولا تحترم هذه الحقوق<sup>(3)</sup>. وتتمثل محددات

---

(1) عبدالله التركماني، معوقات السلام العربي الإسرائيلي وأفاقه، تونس في 24/9/2004 - ورقة موسّعة لمحاضرة قدمت في إطار دورة "معهد العلاقات الدولية / جمعية الدراسات الدولية" للعام الدراسي 2004 / 2005 من 6 إلى 24 سبتمبر بتونس تحت عنوان "في سبيل عالم جديد لإرساء السلام: استراتيجيات جديدة

<http://hem.bredband.net/cdpps/s356.htm>

(2) الموقف الأوروبي من مبادرات التسوية السلمية للقضية الفلسطينية 1947-2012 إعداد قسم الأرشيف والمعلومات -مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات- بيروت - لبنان- تموز/ يوليو 2012

(3) حسن سليمان، تكييف طبيعة الأوضاع العالمية الجديدة، العرب ونظام عالمي جديد، القاهرة، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، 1998م، ص 86/89.

الاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم العربي في ثلاثة محددات أساسية هي (النفط، إسرائيل، مكافحة الإرهاب)، خاصة بعد زوال الخصم السوفيتي<sup>(1)</sup>. وقد أدرك صانع القرار العربي بعد مؤتمر مدريد 1991 أنه لم يعد هناك من يساند الحقوق العربية في مواجهة الضغط الأمريكي لصالح إسرائيل، حيث أصبحت التسوية قضية عربية عامة، وبدأت السياسات العربية تقبل فكرة وجود الكيان الإسرائيلي في المنطقة وتختلف فيما بينها على مسارات التسوية التي يجب إتباعها، ففي فترة الحرب الباردة كان الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يوفر للنظام العربي هامشاً لحرية الحركة، ذلك لما كانت تلقاه من تأييد من الاتحاد السوفيتي، أما الآن فإن حسم المعركة السياسية ولو مؤقتاً لصالح الولايات المتحدة لم يترك مثل هذا الهامش متاحاً<sup>(2)</sup>.

لذا فإننا نقف الآن على أبواب عقد من العداة للإسلام والعروبة معاً كشف عن نفسه بوقاحة ويمارس الإرهاب تحت ستار مقاومة الإرهاب، لا يفرق سدنته الأشرار بين عربي ومسلم<sup>(3)</sup>، حيث إن الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع العراق منذ أزمة الخليج الثانية وحتى الآن من انتهاك لسيادته وإسقاط لنظامه، إنما توضح النهج التي سوف تتعامل به مع أي نظام يسعى لمواجهة<sup>(4)</sup>، وبالتالي فإن أبرز ما تحمله التغيرات الراهنة في النظام الدولي هو التدهور الواضح في مكانة العرب في هذا النظام، وتضييق هامش المناورة أمامهم<sup>(5)</sup>، من خلال التركيز على قضايا محاربة الإرهاب وما يسمى الإسلام السياسي، ومحاولة فرض تحول جذري في التوجهات الاقتصادية والاستراتيجية لعدة دول عربية نحو تقليص دور الدولة إلى الحد الأدنى<sup>(6)</sup>.

وبموجب تقويم رئيس معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب د. عويد عيران،

---

(1) وحيد عبد المجيد، المتغيرات السياسية الدولية في الحقبة الراهنة، مصدر سابق، ص 113، 110.  
(2) أحمد يوسف، مستقبل العلاقات العربية، العربية: أفكار أولية، موقع الوطن العربي على خريطة القرن الحادي والعشرين، أعمال المؤتمر السنوي الأول، القاهرة، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، 1996م، ص 123.

(3) مستقبل الدولة القطرية، / العرب وتحديات المستقبل، ص 27

(4) المتغيرات السياسية الدولية في الحقبة الراهنة، ص 115.

(5) انظر: تسوية الصراع العربي الإسرائيلي بعد أزمة الخليج"، كراسات إستراتيجية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، رقم 4، 1991م.

(6) محمد السيد سعيد، المتغيرات السياسية الدولية وأثرها على الوطن العربي، مصدر سابق، ص 80/79.

فإن من الصعب الإشارة إلى عقد تعمق فيه التدخل الدولي في جوانب حل الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني أكثر من هذا العقد (2000-2010). وبرأيه فإن الحديث يدور في شكل أساس على تدخل فعال من جانب الولايات المتحدة أكثر من تدخل لاعبين دوليين آخرين، إلا إنه لا بُدَّ من الإشارة إلى أن لاعباً جديداً دخل إلى النشاطات والجهود السياسية والاقتصادية ممثلاً في اللجنة الرباعية الدولية<sup>(1)</sup>.

وتعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر أقاليم العالم من حيث كثافة الوجود العسكري الأجنبي فيها، بل إن القوي الغربية، خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا، أصبحت قوي شرق أوسطية بعد غزو العراق سنة 2003 ، ويتسم الوجود العسكري الأجنبي في الشرق الأوسط بعدم التوازن، إذ إنه بالأساس وجود غربي، وفي معظمه أمريكي مع وجود بريطاني وفرنسي محدود، وهو مركز أساسا في منطقة الخليج العربي، هذا بالإضافة إلى التسهيلات العسكرية التي تتمتع بها الولايات المتحدة في مصر، واليمن، وجيبوتي<sup>(2)</sup>. وقد أكد نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي المكلف بالشرق الأوسط إن الولايات المتحدة تبقى ملتزمة، بل شديدة الالتزام بالمنطقة وبأمن الكيان الصهيوني، وأوضح أن تعهد أمريكا بأمن الكيان لا يخدم فقط مصلحة الكيان بل مصلحة أمريكا كذلك، ولاحظ أن واشنطن "لديها 35 ألف موظف عسكري في المنطقة .. وإن كمية المعدات العسكرية التي لديها في المنطقة لا ترمي سياسة أو استراتيجية، لكن مجرد الكمية عندما تجمعها مع بعضها تعطي فكرة معبرة عن حجم الردع والدفاع اللذين تعهدت أمريكا بهما تجاه الصراع والتهديدات في المنطقة"<sup>(3)</sup>.

## الموقف الأمريكي من الصراع العربي – الإسرائيلي

يلاحظ أنه منذ أن كان المشروع الصهيوني فكرة لقي تأييد ودعم النخب والإدارات

---

(1) أنطوان شلحت، عن الصيرورة الراهنة ل«المشروع الصهيوني» المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية-مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي- ط1: يونيو/حزيران – 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات- البيرة، ص169

(2) راجع: محمد عبدالسلام، الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط لماذا وكيف؟

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/44F524F4-2571-487D-A5A4-4713B3719F.46.htm>

(3) معين عبد الحكيم، المتغيرات الإقليمية وانعكاساتها على الكيان الصهيوني، الوحدة الإسلامية- السنة الثالثة عشر، ع152، آب، أغسطس 2014

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/152/mhakim.htm>

الأمريكية، فالقنصل الأمريكي بالقدس "واردور كرستوفر" أقام سنة 1852 أول مستوطنة يهودية في فلسطين، وقد اعتبرها البداية الأولى "لفلسطين الجديدة حيث ستقام الأمة اليهودية وتزدهر"<sup>(1)</sup>، والرئيس ويلسون أقر صيغة وعد بلفور قبل إصداره سنة 1917، والكونجرس أجاز صك الانتداب سنة 1922 قبل أن تصدره عصبة الأمم<sup>(2)</sup>، والرئيس ترومان اعترف بإسرائيل بعد دقيقة من إعلان إستقلالها، والرئيس جونسون ونيكسون وكارتورجان وبوش الأب والأبن، كلهم تغنوا بحمهم لإسرائيل ودعمهم لها انطلاقاً من إيمانهم بخرافات ونبوءات توراتية، وتحديثوا عن الالتزام الأخلاقي والتاريخ المشترك.

ومن هنا فإن توافق المشروع الصهيوني مع الثقافة العامة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية جعله يحظى بما لم يحظ بمثله أي مشروع استعماري سابق من قبول واسع به وسكوت ملحوظ عن تجاوزاته، برغم أنه جاء في زمن تقدم الفكر الإنساني وتراجع الدعوات العنصرية، فالذين يؤمنون بنبوءات التوراة يرون في تحققه تعجيباً بالعودة الثانية للسيد المسيح، ومعادو السامية يجدون فيه وسيلة خلاص بلادهم من وجود اليهود المرفوض والمكروه، والمسكونون بعداء تاريخي للعروبة والإسلام ينفثون بتأييده ودعمه عن حقد دفين يكابدونه، وليست عنصريته الصارخة إلا الصيغة اليهودية لإفراقات المركزية الأوروبية الكارهة والمحقرة لكل ما ليس أوروبياً<sup>(3)</sup>.

ومهما يكن فإن إسرائيل تستمد قوتها واستمراريتها من الدعم غير العادي الذي ترفدها به الولايات المتحدة بصورة خاصة والدول الأوروبية بصورة فرعية، واستمرار هذا الدعم يعني استمرار إسرائيل قوية وقادرة على أن تحليل عوامل النفوذ اليهودي في أميركا غير ممكن الاختصار بشعار الرفاه والمصالح الأمريكية، فإلى جانب الدوافع الدينية والسياسية والعسكرية والإستراتيجية، فإن هناك سبباً آخر نفسياً يدفع الولايات المتحدة لدعم إسرائيل، وهو طريقة قيام الولايات المتحدة نفسها، التي جاءت نتيجة استعمار استيطاني أقدم على إبادة السكان الأصليين وإقامة الدولة من مهاجرين جاءوا من مختلف بلاد العالم وبخاصة من أوروبا الغربية،

---

(1) محمود عباس، الوجه الآخر.. العلاقات السرية بين النازية والصهيونية، 1984، دار ابن رشد عمان، ص286  
(2) تقرير كامبل بنرمان سنة 1907 عند شفيق الرشيدات، فلسطين، تاريخاً وعبرة ومصيراً (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1991) ص 63/ 73  
(3) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة – 2003/12/8

والاستيطان الصهيوني في فلسطين شبيه به مع الفارق، فقد جاء بنفس الطريقة وليس لدى الولايات المتحدة مانع من قيام كيان استيطاني على غرار ما حدث في أمريكا الشمالية<sup>(1)</sup>.

كما أن هنالك عوامل دينية وأخلاقية تكلمنا عنها سابقاً، أيضاً هناك عوامل نفسية – اجتماعية لا يمكن تجاهلها، فالمواطن الأمريكي يكاد يفقد حاسة النقد ومن هنا خضوعه المطلق لإيحاءات الإعلام، كما أن النظام الانتخابي الأمريكي يجعل من النظام الأمريكي أكثر أنظمة العالم تأثيراً (وأحياناً خضوعاً) لمجموعات الضغط، وهذا ما أدركه اللوبي اليهودي منذ البداية واستغله أفضل استغلال، وهكذا يمكن التأكيد على عدم وجود خطر حقيقي مهدد بزوال إسرائيل في المدى المنظور.

---

(1) عبدالمالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، ص 146



## الفصل السادس

### توازن القوى وسيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي

تفرد ظاهرة الصراع الدولي عن غيرها من ظواهر العلاقات الدولية بأنها ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد، بسبب تعدد أبعادها، وتداخل مسبباتها ومصادرها، وتشابك تفاعلاتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، وتفاوت المستويات التي تحدث عندها، وذلك من حيث المدى أو الكثافة والعنف<sup>(1)</sup>، إضافة إلى ذلك هناك اختلاف جذري في طبيعة استراتيجيات إدارة الصراع الدولي، التي تنتهجها الأطراف في هذه العمليات التصارعية المستمرة، وكل ذلك أدى إلى صعوبة وضع نظرية عامة للصراع الدولي تستطيع أن تؤصل دوافعه وأسبابه وسبل مجابهته واحتوائه، بيد أن ذلك يجب ألا يقلل من الجهود الأكاديمية التي بذلت من أجل تهيئة الأساس العلمي لمثل هذه النظرية، الصراعية المتكاملة والتي تبلورت في بعدين أساسيين:

- 1- المداخل والمنطلقات النظرية الرئيسة المستخدمة في تفسير الصراع الدولي، وذلك من حيث تقرير أسبابها ودوافعها والقوى المحركة التي تكمن وراءها.
- 2- أهم نظريات المجابهة والاحتواء لهذه الظاهرة في كليتها، وذلك من حيث الكيفية التي يمكن للمجتمع الدولي معالجتها من الجذور في نطاق تدابير دولية عامة تستهدف في أساسها التمكين للسلم الدولي.

ولما كان الصراع العربي الإسرائيلي يعتبر أحد الصراعات الدولية الضارية، والتي ما زالت باقية منذ عقود، وهو صراع مركب ومعقد وممتد، حيث تتباين الأطراف الداخلة فيه وتتنوع، كما تتعدد مستويات الصراع، ويتداخل فيها الدولي والإقليمي والوطني، وكذلك تتعدد مجالاته الحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ضمن كل مستوى، وتختلف المواقف والسياسات إزاءها بدرجات متفاوتة وكبيرة، والصراع العربي الإسرائيلي يتصف بالتعقيد، بسبب تداخل عوامل دينية وتاريخية وجغرافية وبشرية فيه<sup>(2)</sup>. ومن هنا سنحاول دراسة هذا الصراع بكل تعقيداته وتوازناته لمعرفة السيناريوهات المختلفة التي يمكن ان ينتهي اليها هذا الصراع.

(1) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، طبعه خاصة، المكتبة الأكاديمية- القاهرة، ص. 223.

(2) إبراهيم الدقاق، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، مراجعه نقدية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص55

## المبحث الأول: الصراع العربي الإسرائيلي طبيعته وخصائصه ومدخله

يقف الصراع كمفهوم وممارسة بين مستويين، الأول: الاختلاف الطبيعي أو المصطنع، والناجم عن التباين في العقائد أو الرؤى أو المصالح بين الجماعات الإنسانية، وهنا فإن الفشل في إيجاد مساحات من الفهم والقبول والتناغم المشترك يُحوّل الاختلاف إلى صراع للدفاع عن ذات ومصالح كل طرف، والمستوى الثاني: الأذمة، وهي مرحلة متقدمة ومعقدة من الصراع بين المجموعات المختلفة، يصل بها إلى حد الاقتتال أو الانهيار العام لنظامها الاجتماعي والحضاري، وهنا فالصراع هو: النزاع الناتج عن الاختلاف جراء تباين الرؤى والعقائد والمصالح بين مجموعتين أو أكثر، وقد يكون مُبرراً كما في صراع الشعوب مع أنظمتها المستبدة، أو يكون غير مبرراً كما في الصراعات الإثنية داخل الوطن الواحد، وهنا فجوهر حركية الصراع تتولد من الاختلاف أولاً، والفشل في تسويته أو إبداع الحلول المناسبة له ثانياً، وهو جذر الأزمات التي تعصف بكيان المجتمع والدولة وتُنذر بتفككها<sup>(1)</sup>، والصراع يجري مدفوعاً بمجموعة من الرغبات والحاجات الخاصة، فعندما تشعر الأطراف المتفاعلة أن هناك ثمّة مصالح يمكن أن تجنيها من جراء الانخراط في الصراع فإنها تقدم على الدخول فيه، وتغيرها تلك المصالح بكسر قواعد سابقة أو المغامرة بانتهاك أعراف عامة لإدارة الصراعات .

ولما كان الصراع في صميمه هو تنازع الإرادات الوطنية الناتجة عن الاختلاف في دوافع الدول في تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها ومواردها وإمكانياتها.. الخ بما يؤدي إلى اتخاذ سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق، ولكن برغم ذلك يظل الصراع بكل توتراته دون نقطة الحرب المسلحة، وهذا يعني أن الصراع يمكن أن تتنوع مظاهره وأشكاله، فقد يكون صراعاً سياسياً أو اقتصادياً أو مذهبياً أو حضارياً، كما إن أدواته يمكن أن تتدرج من الضغط والحصار والاحتواء والتهديد والعقاب والتفاوض والمساومة والإغراء والتنازل والتحالف والتخريب والتأمر.. الخ، أما الحرب فإنها لا يمكن أن تتم إلا بأسلوب واحد هو التصادم الفعلي بوسيلة العنف المسلح حسماً لتناقضات جذرية لم يعد يجدي معها الأساليب اللينة، ومن هنا فإن

(1) حسين العادلي، تعريف الصراع. الحوار المتمدن. تاريخ التصفح، 2012.07.02-

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=5545>

الحرب المسلحة تمثل نقطة النهاية في تطور بعض الصراعات الدولية<sup>(1)</sup> ويمكن إدراك الجانب السلبي للصراع من خلال ارتباطه العام والمستقر في الأذهان بما يتضمنه من محاولات للتدمير، أو الاستغلال أو لفرض حل على طرف آخر<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن الصراع الدولي أشمل وأعقد بكثير في مفهومه ونطاقه من مفهوم ونطاق الحرب؛ لأن الحرب متى وقعت فإنها لا تترك أمام أطرافها إلا الخيار بين الاستمرار أو الاستسلام، بين المقاومة أو الإذعان، بين النصر أو الهزيمة، وذلك بعكس ما يحدث في ظروف الصراع، ذلك أنه من خلال كافة المراحل التي تسبق وقوع الحرب يكون هناك بعض المجال لإدارة الصراع والتكيف مع ضغوطه في اتجاه أو آخر، مع الاحتفاظ بالمقدرة النسبية على الاختيار من بين البدائل العديدة المتاحة لكل طرف من الأطراف الداخلية فيه<sup>(3)</sup>.

وتختلف أشكال الصراع وفقاً لمحصلة اعتقادات وتصورات ورغبات القوى المشاركة في أدواره، ويتواجد الصراع في كافة أشكال السلوك الاجتماعي، ولكل صراع أرضية يقوم عليها، وهو موجود في الواقع، غير أنه دائماً ما يأتي ممتزجاً بالكثير من التبريرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهناك سبب أصيل لأي صراع كما أن هناك تبرير مباشر لوجوده<sup>(4)</sup>، والصراع ينشأ عندما تتعارض أهداف القوى المتصارعة، ويسعى كل طرف للحصول على ما يريده الطرف الآخر، وعندما يتحقق هدف طرف يعني عدم تحققه للطرف الآخر لأن الصراع يدور حول ذات الهدف، ويمكن للصراع أن يأخذ أشكالاً متعددة، ودائماً ما يكون للصراع أسبابه ومداخله.

وهناك مراحل يسلكها الصراع الدولي مثل اتجاه التصعيد- اتجاه التناقص- اتجاه الاستقرار- اتجاه التلاشي أو الانتهاء. وتساعد الصراع يعني الزيادة في ناحية المدى والكثافة، أما التناقص فيعني العكس، وهذا الأمر يرتبط ب (الحدود الجغرافية للصراع- عدد أطراف الصراع- حجم الموارد والإمكانات- نوع الأسلحة- أهداف دول الصراع)، وتنتهي الصراعات الدولية أما

---

(1) إسماعيل مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1979، ص 99

(2) منير محمود بدوي مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع، لموسوعه الجزائرية-  
<https://www.politics-dz.com/threads/mfxum-alsray-dras-f-alsul-alnzri-lsbbab-ualnuay.9529>

(3) الاستراتيجية والسياسة الدولية، ص 99

(4) نبيل نائف، نحن والآخر والصراع. فلسطين المستقبل. 2008 / 2012.06.18

<http://www.palestinefuture.net/news.php>

بزوال مبرر الصراع - تحقيق الهدف - إعادة تقييم المصالح- استسلام أحد الطرفين، وهناك مجال لإدارة الصراع أو التكيف مع ضغوطه، الاحتفاظ بالمقدرة النسبية على الاختيار بين البدائل المتاحة أمام كل طرف من أطرافه<sup>(1)</sup>، وهناك عدة نظريات لإدارة الصراع الدولي مثل: المباريات- الاحتواء- نظرية الانتقام الشامل - نظرية الاستجابة المرنة... الخ<sup>(2)</sup>. وعادة ما يتم التمييز بين نوعين رئيسيين من الصراعات:

### 1- صراعات استراتيجية سياسية:

تركز حول اختلاف المصالح بين أطرافها إلى حد يفرض تفاعلات إكراهية مكشوفة، وتنافس تلك الأطراف على الدور الذي يتصوره كل طرف لنفسه وللطرف الأخر، وهذه الصراعات تدور حول مصالح يمكن التساوم عليها، ويصبح من الممكن أن يتم حل تلك الصراعات بالوصول إلى حلول وسط تضمن المصالح الناقصة لأطرافها، مع بقاء هامش عدم رضا يمكن التعايش معه.

### 2- صراعات اجتماعية ممتدة:

هي صراعات اجتماعية بين جماعتين تنتميان إلى سلالتين مختلفتين، تمتلكان أيديولوجيتين متعارضتين، ومجموعتان متناقضتان من المطالب القومية (مصالح + قيم) التي تمثل أهمية قصوى لكل منها من ناحية، ويصعب التوفيق بينهما أو تسوية تناقضها من ناحية أخرى؛ لأنها ناتجة عن تفاعلات عدائية تستمر عبر فترة طويلة يصعب تحليلها من الزمن، وتشهد من وقت لآخر حروبًا مكشوفة تتذبذب في تكراريتها وكثافتها، بما يؤدي إلى شمول تلك الصراعات كل المجتمعات، وأنسياب تأثيراتها إلى كافة الميادين (الاقتصادية، السياسية) بحيث تصبح عاملاً في تحديد الهوية القومية والتماسك الاجتماعي، والأهم أن هذه الصراعات تفرز عبر مسيرتها قوة توازن تقيد التفاعلات لتبقى ضمن مدى العلاقات الصراعية المعتادة، أي أنها تقمع أو تعرقل أية محاولات لتسويتها، وبالتالي ليست هناك جدوى من البحث عن حل نهائي لها، فتلك الصراعات سوف تنتهي فقط على المدى الطويل، ليس من خلال عملية تسويتها، لكن من تلقاء نفسها، أو تحولها، أو جمودها، أو ذبولها<sup>(3)</sup>.

---

(1) منير بدوي، مفهوم الصراع" مجلة دراسات مستقبلية"، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1997، ع3، ص50

(2) العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، ص247/244

(3) نسمة الحمزاوي، أثر الانقسام الفلسطيني على جهود تسوية القضية الفلسطينية، المكتب العربي للمعارف،

## طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي وماهيته

إن أحد المشكلات الأساسية في تحديد موضوع الصراع (العربي الإسرائيلي) تتمثل في وجود فيض من الكتابات والمعلومات حول ذلك الصراع إلى الحد الذي يُعجل من الإمساك بالخيوط الأساسية أو الأصلية له، وفصلها عما هو ثانوي أو تابع، أمراً بالغ الصعوبة، فهناك عدد لا حصر له من المفردات التي خضعت للبحث والتحليل، منها ما تحدث عن أطراف الصراع سواء كانوا مباشريين أم غير مباشريين، محليين أو إقليميين أو دوليين. وهناك من تحدث عن دوافع الصراع أو أسبابه، سواء أيديولوجية دينية أو اقتصادية وسياسية، أم مباشرة أو غير مباشرة أو مرتبطة بالقوى المحلية أو الدولية، وهناك ثالثاً من تحدث عن طبيعة أو (ماهية) الصراع<sup>(1)</sup>: هل هو صراع قومي؟ أم صراع ديني؟ أم هو صراع إقليمي حول الأرض؟ هل هو صراع عربي-إسرائيلي؟ أم هو بالأساس جزء من الصراع الناشب على مستوى العالم كله بين قوى التحرر الوطني، وقوى الامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة؟

أما عن شكل الصراع، فقد تعددت أشكاله، فهناك الصراع المسلح في صوره المختلفة (حرب شاملة، وحرب محدودة، وعمليات فدائية، وضربات ردع وانتقام..الخ)، وهناك الصراع السياسي على صعيد العلاقة مع دول العالم وفي ساحات المنظمات الدولية، وهناك الصراع الاقتصادي وقضايا المقاطعة واستخدام سلاح النفط والمال. كما يظل هناك مكان للصراع الثقافي، وللصراع الحضاري، وهناك خامساً الحديث عن ديناميات الصراع ومساره، والدور الحاسم (للحروب) في التحول الكيفي له من حال إلى آخر<sup>(2)</sup>.

وقد مرَّ هذا الصراع في مراحل ثلاثة، وهي التصعيد، والاستقرار، والتناقص، ولكن لم يصل بعد إلى مرحلة التلاشي والاندثار، على الرغم من محاولة البعض على مستوى حكومات وجماهير، تثبيت زعمهم بأن هذا الصراع قد انتهى بالفعل، خاصة بعد أن تمت التسوية السياسية بين إسرائيل والقيادة الفلسطينية؛ حيث اتضح للجميع بأن هناك كثير من القيادات والجماهير العربية لا تقبل بما فرضته تلك التسويات<sup>(3)</sup>.

(1) باسم أبو عطايا، الصراع العربي الإسرائيلي، 8/17/2016

<http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/330325.html> 2/13

(2) أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي-الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987،

ص 18

(3) الصراع العربي الإسرائيلي صراع دولي، ريم مطلق وشاح، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بغزة فلسطين،

م 2008/2007

## مقاربة الظاهرة الصهيونية في ضوء تجارب الصراع القومي

لم يكن منظرو الصهيونية الأوائل يجهلون ان فلسطين مأهولة بشعب عريق التاريخ غني الموروث الحضاري عندما رفعوا شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، ولكنهم كانوا يعبرون عن اعتمادهم على إقامة مشروع استعماري استيطاني عنصري إجلائي على التراب العربي في فلسطين، ولم يفت النخب العربية أدراك هذه الحقيقة في وقت مبكر للغاية، ففي سنة 1905 صدر في باريس كتاب "يقظة الأمة العربية" لنجيب عازوري قال فيه: "إن ظاهرتين متشابهتي الطبيعة، بيد أنهما متعارضتان لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتضحان في تركيا الأسيوية، أعني يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع، ومصير هاتين الحركتين أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداها على الأخرى، وبالنتيجة لهذا الصراع بين هذين الشعيين، اللذين يمثلان مبدئين متضادين، يتعلق مصير العالم"<sup>(1)</sup>، وتعدد المفكرون والنواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني، الذين نهوا للخطر الصهيوني، وحذروا من تواطؤ حكومة الاتحاد والترقي التركية مع الصهاينة. ومن الدور الذي يلعبه رموز الاستعمار البريطاني بدعم الهجرة والاستيطان.

وبرغم ذلك الوعي المبكر بالخطر الصهيوني، لم يتوصل الفكر العربي والفلسطيني، إلى صياغة الاستراتيجية الشاملة والدائمة والمحددة لطبيعة الصراع ومعسكر العدو ووسائل تقديم الاستجابة الفاعلة في مواجهة التحالف الاستعماري-الصهيوني، وهنا يقول د. نبيل قسيس: "إن المرجع الوحيد بالعربية من تلك الفترة الذي يناقش إنشاء كيان سياسي مستقل إدارياً في فلسطين، هو كتاب "فلسطين وتجديد حياتها"، ويبدو أن ما جاء في هذا الكتاب الفريد من أفكار لم يصاحبها أو ينتج عنها أي عمل منظم وفاعل على الأرض يكبح جماح طوفان الهجرة الآتي في غياب قيادة فلسطينية قادرة على تبني تلك الأفكار وتنفيذها، وبخاصة في ظل الاحتلال البريطاني الذي كانت لديه مخططات أخرى<sup>(2)</sup>. ويذهب أكثر من مفكر عربي إلى أن الافتقار لمثل هذه الاستراتيجية علتة العجز عن توظيف القدرات والإمكانات المتاحة في تقديم الاستجابة

---

(1) يقظة الأمة العربية، نجيب عازوري، ترجمة: أحمد أبو ملحوم بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر د.

ت، ص 41

(2) نبيل قسيس، قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، المؤتمر السنوي الأول للقضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي، ط1، حزيران 2012، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات، البيرة، ص123

الفاعلة، وتدني كفاءة إدارة الصراع مع التحالف المضاد، ما تسبب في توالي مسلسل الخيبات العربية، خاصة الفلسطينية منها، قرابة قرن من الزمن، برغم عظم التضحيات الشعبية والاستعداد غير المحدود للبذل والعطاء. وحين يتواصل الافتقار للاستراتيجية طوال قرن استقطب خلاله الصراع مع الاستعمار الصهيوني أجيالاً عربية مختلفه، ففي ذلك دلالة على أن القصور عن صياغة الاستراتيجية المفتقدة، إنما هو نتاج واقع موضوعي من أبرز معالمه الافتقار للكتلة الاجتماعية العربية ذات المصلحة بالوحدة والتحرر، وتخلف المعرفة والوعي، وسعة وعمق المداخلات الخارجية في أدق الشؤون العربية، الأمر الذي انعكس في أن تكون القوى الأشد تأثيراً في صناعة القرارات على مختلف الصعد إنما هي المرتبطة ومصلياً، أو فكرياً، بالقوى الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

### دروس من تجارب الصراع القومي

عديدة تلك الدروس والاتجاهات التي تقدمها تجارب الصراع القومي، حيث ثمة حالات ضَعْفٌ، منى بها أحد طرفي الصراع حتى اختفي كسلطة. وبقيت منه أقلية لها تطلعات قومية غير واضحة. في إنكلترا تلك حالة أسكوتلندا وويلز. وثمة حالات اختفي بها أحد طرفي الصراع لفترة من الوقت، ثم عاد فأثبت وجوده واستقلالته، كما في حالة بولونيا. وثمة حالات كان الصراع القومي بها سجالاً، ثم استقر الأمر على نمط معقول من التعايش الذي انقلب تحالفاً كما هي حالة ألمانيا وفرنسا، وفي الوقت الراهن تقدم تجربة يوغسلافيا السابقة دروساً أو اتجاهات لا تحصى بشأن مآل الصراعات القومية، تقدمها معمدة بالدماء. وبالمقابل تقدم الدروس والاتجاهات نفسها تجربتنا الاتحاد السوفييتي السابق وتشيكوسلوفاكيا اللتين تطور الصراع فيهما بشكل سلبي عموماً، وفيما يختص بالصراع العربي الصهيوني، يمكن تقديم الملاحظات التالية:

1- رغم عدم وجود قومية صافية في أي صراع قومي، إلا أن الهوية القومية على جانبي الصراع العربي الصهيوني تبدو خاضعة لإمكانات التمزق، ومن عناوين إمكانات التمزق صهيونياً: اختلاف اللغات والمجتمعات الأصلية، انقسام اليهود إلى شرقيين وغربيين، الانقسام إلى دينيين وعلمانيين، الانقسام في المواطنة الإسرائيلية بين اليهود والعرب، أما

---

(1) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة – 2003/12/8

عناوين إمكانات التمزق عربياً فليست بحاجة إلى تعداد، وأسطعها أن القومية العربية تضم نيفاً وعشرين دولة<sup>(1)</sup>.

2- ثمة في الوضع الإسرائيلي الصهيوني بؤرة محددة للمجابهة وثمة دعم دولي، وبالمقابل ليس ثمة في الوضع العربي بؤرة محددة للمجابهة بين الأطراف العربية الخمسة ذات الصلة الجغرافية بإسرائيل، حيث ثمة أطراف ثلاثة عقدت معاهدات أو اتفاقات سلم مع إسرائيل. وفي حين أن المجابهة هي أساساً شأن فلسطيني إسرائيلي، إلا أن المجابهة ذات الصبغة الأكثر استراتيجية إنما تأتي من جنوب لبنان ومن سورية.

3- يعاني الوضع العربي من سيولة ولا تحدد يتجاوز السيولة، واللا تحدد في الوضع الإسرائيلي، أما الدعم الدولي الذي يتمتع به العرب، فتنظر إليه كل دولة عربية من منظورها الخاص، فخطوة دولية تراها مصر ممتازة قد تراها سورية مؤامرة، وقد ساد هذا الوضع طبيعة التعامل العربي العربي حتى الآن.

4- شهد الصراع العربي الصهيوني حروباً عدة تدل الخبرة أن الحروب الثلاثة الأولى كانت أقل إيجابية عربياً من الحروب الأخيرة، حيث برز دور المقاومة في لبنان وفلسطين في التصدي لإسرائيل وإجبارها على تقديم تنازلات.

5- في إسرائيل، مهما بلغت إمكانات تمزقها الداخلي، هناك سلطة واحدة تدير الصراع، أما في الطرف العربي فثمة عدة سلطات (أي دول) تتصدى لإدارة الصراع، وإذا كانت مؤسسة القمة إنما ولدت لكي تأتي بقرار عربي موحد بمواجهة إسرائيل، فإن هذه المؤسسة سجلت فشلياً: الفشل الأول يتجلى في عدم التزام الدول العربية بتنفيذ قرارات القمة. والفشل الثاني يتجلى في عدم انتظام انعقاد القمة<sup>(2)</sup>.

6- لكل العربي خلفية تتماهى معه وقت الشدة، وهي الخلفية الإسلامية، وخلفية العالمين الأفريقي والآسيوي والشعوب المحبة للسلام، وهذه الخلفية صادقة وغير معقدة في تماهيا مع العرب، وإن تكن ضعيفة معنوياً فهي كثيفة بشرياً. وبالمقابل تبدو الخلفية المتماهية مع الكل الصهيوني غير واضحة للكثيرين، حيث أشرنا في كتابات عديدة لدور البروتستانت في بريطانيا وأمريكا وغيرها من الدول في دعم اليهود والصهيونية، بل لا نبالغ أن قلنا: أن فكرة إقامة إسرائيل وتوسعها هي بالأساس فكره دينية بروتستانتية بحتة، ويعزى عدم

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 97

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً - ص 98

وضوح التماهي الصهيوني البروتستانتى، الى الخلل الكبير في تفسير سر التحيز الغربي لإسرائيل، وعدم قدره على فهم ومواجهة هذا التحدى، مره بنسبته إلى عوامل استعمارية وأخرى إلى الصوت الانتخابي أو للمال والإعلام اليهودي وغيرها من الأسباب التي أثبتت عدم صدقيتها<sup>(1)</sup>.

## مقاربة الظاهرة الصهيونية في ضوء تجارب الحروب الدينية

تميزت الحروب القديمة أنها كانت قومية دينية معاً، واستمر الحال كذلك في معظم التاريخ البشري إلى نقطة يحددها المؤرخون الغربيون بصلح وستفاليا عام 1648، وهو العام الشائع وصفه بأنه بداية ما يدعى بالدولة القومية، وبما أن العالم الراهن مستقر في وضعه الديني منذ مئات السنين بلمح محدد مؤاده أن الديانتين اللتين لعبتا الدور الأساسي في التاريخ، هما المسيحية والإسلام، فمن المناسب إلقاء نظرة على تاريخ التفاعل بين هاتين الديانتين<sup>(2)</sup>، وعلاقتهما بالديانة اليهودية، وبالظاهرة الصهيونية وإقامة إسرائيل.

## العلاقة بين الإسلام والمسيحية

يظهر لنا تاريخ التفاعل بين المسيحية والإسلام، مراحل تاريخية أربع ساد فيها العنف بين الديانتين، وأولها: ابتدأت منذ بدء انتشار الإسلام باتجاه أراض كانت مسيحية في بلاد الشام، ثم في أوروبا، وتوقفت هذه المرحلة عام 732 م بمعركة بلاط الشهداء في منتصف فرنسا، وثانيها: هي مرحلة الحروب الصليبية (1095-1291)، وثالثها: تعرف أوروبياً باسم حروب الاستعادة في الأندلس، واختتمت هذه الحروب بإجلاء العرب نهائياً من الأندلس عام 1492، ورابعها مرحلة الاندفاع المسلم (العثماني) باتجاه أوروبا الجنوبية والشرقية والوسطى، التي اختتمت بتراجع العثمانيين عن حصار فيينا عام 1683<sup>(3)</sup>.

ويمكننا إضافة حرب خامسة إلى تلك الحروب بين المسيحية والإسلام، وهذه الحرب نسميها الصليبية الجديدة، والتي بدأت مع حركة الإصلاح الديني، وبداية الاستعمار الغربي للمنطقة العربية والإسلامية، التي خاضها الغرب المسيحي البروتستانتى ضد الإسلام متحالفاً

(1) انظر: الحملة الصليبية- يوسف الطويل

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 100

(3) المصدر السابق، ص 100

ومتبنياً الأفكار اليهودية التوراتية، حيث تهدف هذه الحرب إلى توطين اليهود في فلسطين وإقامة دولة لهم هي إسرائيل تمهيداً لما يؤمن به المسيحيون البروتستانت بعودة المسيح ثانية وبزوع العصر الألفي السعيد الذي سيستمر ألف عام<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ أن مراحل العنف التاريخية الخمسة تضمنت فيما تضمنته محاولة للتغيير الديموغرافي، أي ما نطلق عليه اسم الاستعمار الاستيطاني، ويبدو ذلك جلياً في المرحلتين الثانية والثالثة والخامسة؛ فقد أفشل العرب والمسلمون استيطان الفرنج في بلاد الشام وغيرها من البلدان العربية والمسلمة التي طالتها حروب الفرنجة، كذلك أفشل الأوروبيون استيطان العرب (ومعهم اليهود) في إسبانيا.

### العلاقة بين الديانة اليهودية وكل من الإسلام والمسيحية

إن دراسة التفاعل بين الديانة اليهودية كلاً من الديانتين المسيحية والإسلامية، توضح أن الوجود اليهودي كان أقلية دائماً، مضغوطاً في الفضاءين المسيحي والإسلامي، إلا أن الضغط عليه إسلامياً كان أقل من الضغط عليه مسيحياً، فاليهود لم ينهضوا بأي دور سلطوي حتى عام 1948 رغم وجودهم السياسي دائماً في السلطة وبجانها، وبخاصة منذ أعلنت الثورة الفرنسية مساواتهم في المواطنة، وهنا نتساءل كيف نستطيع مقارنة الظاهرة الصهيونية في ضوء الحروب الدينية، وبالتحديد التي تعرضت لها اليهودية؟

### العلاقة بين المسيحية واليهودية

المعلوم ان المسيحية انبثقت من اليهودية، ثم عادت وذابت في اليهودية، وكان المسيحي منذ البدء هو اليهودي المنتظر<sup>(2)</sup>، وبالرغم من ذلك تعرضت اليهودية للاضطهاد منذ ما قبل انتصار المسيحية في عهد قسطنطين، ولم يكن مضطهدوها الأوائل من المسيحيين، ولكن انتصار المسيحية أذن ببدء عهد جديد من اضطهاد منظم، ومن المعلوم أن التقاليد المسيحية تذكر أن أحبار اليهود طلبوا من بيلاطس، الحاكم الروماني على القدس، أن يقتل المسيح وقالوا له: دمه

---

(1) انظر: يوسف الطويل، الصليبيون الجدد، الحملة الصليبية على العالم الاسلامي والعالم (2) وجدي حمدي، حول المسألة اليهودية، كارل ماركس، تر: نائلة الصالح، التحويل الرقمي، في خريف عام 1843. نشرت لأول مرة في شهر فبراير عام 1844 في Deutsch-Französische Jahrbucher الحولية الألمانية الفرنسية، يوليو/تموز 2004

علينا وعلى أبنائنا من بعدنا، ومن المعلوم أن اضطهاد اليهود أصبح سمة ملازمة للمسيحية منذئذ، حيث أن النظرية المسيحية التقليدية فرضت على اليهودي إما أن يتنصر وإما أن يتعرض للاضطهاد، ومن النافلة القول: ذكر أن اليهود تعرضوا حقاً للاضطهاد، وإن بدرجات متفاوتة، في كل الدول الأوروبية أو في معظمها، وأنهم كانوا يطردون من هذه الدولة أو تلك لدى وقوع حادث معين<sup>(1)</sup>.

والاضطهاد الديني المسيحي لليهود يعود إلى نشأة المسيحية كعقيدة منشقة عن اليهودية ومنافسة لها، وإلى واقعة صلب السيد الناصري بموجب حُكْم أصدرته عليه محكمة يهودية ونَقَدَتْهُ السلطات الرومانية، إذ ألقى المسيحيون تَبِعة قتل المسيح على "أمة اليهود": وكان هذا الاتهام في خلفية كلِّ أشكال العنف ضد اليهود، بدءاً بالتشريعات الكنسية والحكومية وقرارات الطرد، ووصولاً إلى الاضطرابات المثارة ضدَّ اليهودية في ممتلكاتهم وأرواحهم. وكان النظام الميِّ، بما أتاحه من حقوق للطوائف في العيش في أحياء خاصة، وممارسة سائر طقوسها خلف جدران حاجبة - كلُّ ذلك كان يكتفِّ الجماعة اليهودية على نفسها، ويصهر أبناءها في كتلة، ويُباعدها ويفصلها ويغريها عن عالم الأغيار أو الغالبية المسيحية. وكانت تلك الحياة الداخلية لليهود تثريبية للمسيحيين وتُشكِّكهم في نيات الآخر<sup>(2)</sup>.

وبما أن المِلَّة اليهودية كانت الوحيدة المغايرة للمسيحية، كان طبيعياً أن تمارس ضغوط التنصير على اليهود لفرض التوحيد العقائدي بالإكراه، بغية خدمة سلام الدولة واستقرارها، وبدأ اليهود يتعرَّضون لهذا النوع من الإكراه في القرن الرابع، بعد تحوُّل الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية وتحويلها إلى ديانة للدولة ولكن اليهود في تلك الفترة شكلوا عنصر قلق للإمبراطورية الرومانية فجرى اضطهادهم وطردهم من كثير من المواقع التي عاشوا فيها<sup>(3)</sup>، وهناك مسألة الخصوصية الاقتصادية الرَّبوية التي سبقت ظهور الرأسمالية قروناً عديدة، وهي وظيفة حرَّمتها الكنيسة على المسيحيين، وكانت ضرورية بقدر ما كانت محتقرة، بل إن مسيحيي القرون الوسطى كانوا يتأثَّمون من التجارة؛ فتحوُّل احتقار التجارة والرِّيا إلى احتقار اليهودي المرابي

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 102

(2) عفيف فراخ، اليهودية بين حضارة الشَّرْق الثقافية وحضارة الغرب السياسي، دار الآداب، حوارم عفيف فراخ.

(3) جبريل محمد، استعراض كتاب: أبراهام لينون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، مجلة قضايا إسرائيلية، ع

29-56 يناير/ كانون الثاني 2015 ص 114

والتاجر<sup>(1)</sup>، فالمسيحية حين ظهرت جاءت كرد فعل لليهودية الشعبية على التجار والمرابين اليهود، وأنها لم تعاد اليهود كدين بقدر ما عادت اليهودية كوظيفة ودور اجتماعي اقتصادي<sup>(2)</sup>.

وترافق مع ما تقدم الصراع مع اليهود طوال العصور الوسطى، وكذلك عصر النهضة، بسبب الخلاف الديني، وعدم توافق اليهود دينياً وثقافياً مع الحضارة الغربية، واتهام اليهود بتهمة تحريف العهد القديم على نحو يخفي مشروعية المسيح. فالفهم المسيحي للتاريخ، اعتبر رفض اليهود للإنجيل بمثابة خروجهم من التاريخ، أي من النعمة. حيث نظرت المسيحية إلى العالم في حقبة ما بعد الصّلب على أنه كما عرّفه القديس أوغسطين يعيش عصر النعمة وخراب الهيكل نفسه كان من وجهة النظر المسيحية علامة ذلك. ولكن اليهود رفضوا هذا التوجّه مدّعين أن العالم يعيش حالة منفي وأن وضعهم الوجودي هو علامة ذلك. وطوّر الكتّاب المسيحيون في هذا السياق فكرة عن تقدّم تاريخي من نوعٍ ما، تقدّم من العهد القديم إلى العهد الجديد، وهي فكرة ترتّب عليها تمييز بين من هم في كنف النعمة ومن هم خارجها<sup>(3)</sup>.

ولكن النظرية المسيحية التقليدية أخذت بالتآكل مع بروز نظرية تكامل العهد القديم مع العهد الجديد، تلك النظرية التي كانت البروتستانتية أول من تبناها، فعندما جاء عصر الإصلاح الديني قلب هذه الأمور رأساً على عقب، فحدث التغيير الكبير تجاه اليهود وأخذ ينظر إليهم نظرة تعاطف وحب، تم جاء عصر التنوير، فبدأ وضع اليهود يتحسن مع مجيء الثورتين الفرنسية (1789م) والأميركية (1776م)، حيث منح اليهود حق المواطنة كاملة<sup>(4)</sup>، وسأوت الثورة الفرنسية بين مواطني فرنسا بغض النظر عن دياناتهم، أي أنها سأوت بين المسيحيين واليهود، مساواة دستورية مستندة على إطلاقية مبادئ حقوق الإنسان، وفعل هذا التآكل فعله مع الكاثوليكية، حتى بلغ مداه في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي برأ اليهود من دم المسيح عام 1961.

وهكذا يظهر لنا أن الحضور اليهودي في الحضارة الغربية، يقع في صلب التكوين الحضاري

---

(1) اليهودية بين حضارة الشّرق الثقافية وحضارة الغرب السّياسية.

(2) استعراض كتاب: أبراهام ليثون المفهوم المادي للمسألة اليهودية. ص 114

(3) أمنون راز كركوت سكين، المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في "العودة إلى التاريخ" كفكرة صهيونية، ترجمة: رجاء زعيبي، قضايا إسرائيلية العدد 54- آب/ أغسطس 2014- ص 79/77

(4) مروان عبد الرزاق، المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي المغرب ط1 2007 -سطوة المحددات الإثنية، 8 ديسمبر 2007- موقع الأوان-

/ <https://www.alawan.org/2013/12/08>

الغربي، فمن اليهود في نهاية المطاف جاءت التوراة والإنجيل، أي المسيحية. وأدى هذا إلى اجتماع " قوة الصلة مع قوة الكراهية، قوة التقارب مع قوة التباعد" في علاقة المسيحيين باليهود، فمن وجهة النظر المسيحية كان المنفي اليهودي في الواقع انسحاباً من التاريخ، وإثباتاً على رفضهم للإنجيل وعقاباً لهم على ذلك الرفض الذي أدى في النتيجة إلى خروجهم من التاريخ، أي أن اليهود بعنادهم قد أخرجوا أنفسهم من التاريخ عندما رفضوا قبول الإنجيل، وقد ادّعى الكتاب المسيحيون أيضاً أن التاريخ سوف يحقق غايته فقط عندما يعود اليهود إليه— أي عندما يقبلون المسيحية ويعترفوا بحقيقة الإنجيل<sup>(1)</sup>، وهذه الأفكار تدلّ على الرغبة المسيحية في عودة اليهود إلى التاريخ وبكلمات أخرى، على الرغبة في أن يعتنق اليهود المسيحية، ويصوّر أحد الكتاب التاريخ اليهودي كتاريخ المعاناة التي تسبّب بها اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم؛ ويعبر عن رغبته في تحويلهم إلى المسيحية كختام للتاريخ<sup>(2)</sup>، وهذا ما تسعى له الفرق البروتستانتية.

## الإسلام واليهود

إن التقاليد الإسلامية كانت أقل من التقاليد المسيحية اضطهاداً لليهود، فاليهود، إسلامياً، من أهل الكتاب رغم أنهم موصوفون أيضاً بأنهم قتلة الأنبياء، وفي الصعيد العملي تمتع اليهود في ظل حكم المسلمين بظروف حياتية تكاد تكون مساوية لظروف المسلمين الحياتية، وإذا كانت أسلمة اليهود أمراً مندوباً، فإن السماح لهم بممارسة حياة طبيعية كان أمراً متعارفاً عليه طالما أنهم يؤدون الجزية. بكلام آخر: لم يكن ثمة إصرار إسلامي عقدي على الانتهاء من الظاهرة اليهودية، أو حتى على معاملتها بقسوة.

وهنا يبرز الفرق بين العالمين الغربي المسيحي والشرقي الإسلامي في علاقتهم باليهودية، فبعض الفرق المسيحية تعيش عداها الأيدلوجي التاريخي مع اليهودية لاثامها بقتل المسيح عيسى عليه السلام، أما المسلمون فلا يملكون في أنفسهم أية بذرة للعداوة الأيدلوجية مع اليهود كطائفة دينية، فهم بداية من أهل الكتاب الذين فرض الله على المسلمين مراعاة حقوقهم، بل وأجازت الشريعة الإسلامية الزواج منهم، والأكل من مأكلمهم، وغير ذلك من مدلولات المعاملات الأخوية، وهو ما ينفي نظرية العداة الأيدلوجي العنصري السلبي بين المسلمين جماعات وأفراد مع اليهود، بالرغم من حقيقة الخلاف الأيدلوجي معهم.

(1) المنفي، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في " العودة إلى التاريخ " كفكرة صهيونية ص 79

(2) المصدر نفسه، ص 82

إذن، لم تكن بين اليهودية وبين أي دين آخر حرب دينية متبادلة، كانت الحرب من طرف واحد (المسيحية)، وهي لم تؤد إلى نتيجة نهائية، أي لم تؤد إلى إزالة اليهودية واليهود من الدول المسيحية، ثم إن الحرب الدينية بين المسيحية واليهودية لم تكن إذن حرباً مسلحة بين طرفين سياديين، كانت حرباً شبه سيادية من الطرف المسيحي، وكانت وإلى حد ما يراها البعض حرباً غير سيادية، شرسة وسرية، من الطرف اليهودي ضد المسيحية، قوامها التشكيك بالمسيحية، أما الحرب الدينية بين الإسلام واليهودية فهي متماثلة مع ما جرى بين المسيحية واليهودية بفارق واحد هو اعتراف الإسلام باليهودية، وبالتالي فإن حرب الإسلام ضد اليهودية كانت أدنى في الشدة من حرب المسيحية ضد اليهودية، أما الحرب اليهودية السرية ضد الإسلام فهي ذاتها حربها ضد المسيحية، وربما بذات الدرجة من الشراسة أو تزيد عنها<sup>(1)</sup>.

---

(1) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 103

## المبحث الثاني: خصائص وأبعاد الصراع العربي الإسرائيلي

يتميز الصراع العربي-الإسرائيلي بخصوصيته وتفردته، حيث يعد من أطول الصراعات وأكثرها تشابكاً مع التدخلات الخارجية الدولية وارتباطها بالأمن والسلم الدوليين، وتختلف طبيعة هذا الصراع عن غيره في أنه صراع على الوجود، يهدف إلى أن يحل اليهود الموجودون في دول العالم مكان شعب آخر، وجمع اليهود لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، حيث نجح اليهود من خلال مؤامرة دولية في إقامة دولة إسرائيل على تراب فلسطين، ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف نضال الشعب الفلسطيني دفاعاً عن وجوده وهويته<sup>(1)</sup>، ويعتبر الصراع العربي الإسرائيلي من أكثر الصراعات التاريخية الممتدة التي عرفها العالم المعاصر، حيث تمتد جذوره ومصادره إلى أواخر القرن التاسع عشر، ويتميز عن غيره من الصراعات بأنه يشمل مختلف الجوانب الإستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية. ويتميز بمجموعة من الخصائص الهيكلية التي تؤثر في احتمالات تسويته، وتدفعه نحو نمط معين من التفاعل، ويمكن تحديد ستة خصائص رئيسية له.

### أولاً: الطبيعة الهيكلية للصراع العربي الإسرائيلي

إن الصراع بين العرب وإسرائيل ليس مجرد اختلاف حول قضية معنية، ولكنه نابع بصفة أساسية من الأبنية الثقافية والحضارية والقومية للمجتمعات العربية والمجتمع الإسرائيلي، فنحن أمام نمطين مختلفين من الهوية القومية، والتوجه الحضاري، والانتماء الديني، والتركيب اللغوي والثقافي والاجتماعي والطبقي، وقد أدت هذه الطبيعة الهيكلية للصراع إلى ديمومته وشموله لكل أبعاد التفاعل العربي الإسرائيلي، ولذلك يطلق بعض الدارسين عليه صفة الصراع الاجتماعي الممتد.

---

(1) عدنان أبو عامر، تطور الموقف الإسرائيلي من قضية اللاجئين الفلسطينيين"، في ندوة: اللاجئون الفلسطينيون في الوطن العربي: الواقع والآفاق، مركز الجزيرة للدراسات بالتعاون مع مركز العودة الفلسطيني، الدوحة 14- 15 / 4 / 2012، ص9.

## ثانياً: تعدد مستويات الصراع العربي الإسرائيلي

يوضح تحليل وحدات الصراع العربي الإسرائيلي أننا لسنا إزاء صراع واحد، ولكننا بصدد عدة صراعات متشابكة ومتداخلة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الإسلامي اليهودي والصراع الإسلامي المسيحي، وحول هذه الصراعات المركزية الثلاث هناك مجموعة من الصراعات الهامشية التي تؤثر في حركية الصراعات المركزية.

## ثالثاً: تزايد البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي

تميزت العقود الأربع الأخيرة في حياة الصراع بتزايد واضح للمفهوم الديني لكل الأطراف المتصارعة، فعلى الجانب الإسرائيلي، شهدنا استخدام مكثف من قبل العقيدة الصهيونية للأساطير والمزاعم الدينية المؤسسة على التفسير المحرف، واختلاق وقائع دينية من التوراة والتلمود والتي مزجها قادة المشروع الصهيوني مع العقيدة الأيديولوجية العلمانية لهذا المشروع ومقولاتها الرئيسية<sup>(1)</sup>، وعلى الجانب الفلسطيني تقيم حماس والجهاد فلسفتها على أساس ديني، وعلى الجانب العربي تعاطمت حركة الإحياء الإسلامي منذ أوائل السبعينات، ولقى مفهومها الديني للصراع، باعتباره صراعاً بين المسلمين واليهود، مصداقية متزايدة مع فشل الأيديولوجية القومية العربية في مواجهة إسرائيل

ويبدو أن هذه الحرب الدينية ليست إلى ضعف بل إلى قوة، ففي الجانب العربي الإسلامي يندرج تأييد بعض الدول والشعوب العربية والإسلامية، ضمن إطار ديني، أما في الجانب اليهودي الصهيوني فثمة مجال إيديولوجي ديني واسع لكره كل من ليس يهودياً، وعلى الجانب الدولي برز بوضوح دور الصهيونية المسيحية في التأثير على مجرى الأحداث، وضمن هذا المنظور الديني تكثر اليقينيات المتناقضة وتقل الروابط بينها، كما يسمح هذا المنظور الديني بنشوء الصليبيات وازدهارها<sup>(2)</sup>.

## رابعاً: الحركية الذاتية المستقلة للصراع العربي الإسرائيلي

ن الصراع العربي الإسرائيلي يمتلك حركية مستقلة نسبياً نابعة من خصائصه الهيكلية، التي قوامها عملية دائرية من الفعل ورد الفعل، بحيث يتحدد سلوك كل طرف إزاء الآخر

(1) أحمد ثابت، جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالاته، الجزيرة نت- 3-10-2004

(2) وعد بلفور لم يكن منصفاً، ص 113

بسلوك هذا الأخير، وتتضح هذه الحركية الذاتية بالتحديد على مستوى ممارسة العنف، فكلما ازدادت درجة العنف التي يوجهها طرف نحو الطرف الآخر كلما ازدادت درجة العنف التي ينشئها هذا الأخير ضد الطرف الأول، وهذه الحلقة المفرغة للعنف تكاد تكون مستقلة نسبياً عن طبيعة ميزان القوى العسكري الإقليمي والدولي، فزيادة القوة العسكرية الإسرائيلية مثلاً لا تردع العرب عن استعمال العنف لتحقيق مطالبهم، والنتيجة، هي أن تسوية الصراع يجب أن تبدأ بمخاطبة القضايا الأساسية للصراع مباشرة، إذ أن ذلك هو وحده الكفيل بكسر الحلقة المفرغة للفعل ورد الفعل، بوصفها جوهر حركية الصراع.

### خامساً: التناقض بين حركية الصراع وبين مناهج تسويته

إذا كانت حركية الصراع العربي الإسرائيلي نابعة من التناقضات المحلية بين الأطراف المتصارعة إقليمياً، فإن عملية تسوية الصراع قد سارت في اتجاه معاكس لتلك الحركية، ذلك أن عملية تسوية الصراع تبدأ تقليدياً من المستوى العالمي متجهة نحو المستوى الإقليمي، دون أن تمس مباشرة المستوى المحلي المباشر للصراع.

### سادساً:

في ظل القراءه المستقبلية للصراع العربي الإسرائيلي فان هذا الصراع يجري بين طرفين يختلفان في قابلية الخضوع لقياس التطور المستقبلي لهما، فإسرائيل تبدو أكثر انتماء إلى بلدان العالم المتقدم، في حين يظل الطرف العربي متسماً بخصائص بلدان العالم الثالث، ودراسة الصراع تعنى المقابلة بين مشهد إسرائيلي واحد أكثر احتمالاً للمستقبل، وبين ثلاث مشاهد عربية تجد من الاسباب ما يؤيدها في ظروف مختلفه<sup>(1)</sup>.

### أطراف الصراع العربي-الإسرائيلي

عند الحديث عن أطرف الصراع العربي-الإسرائيلي يعني شموله على أطراف متعددة، مباشرة وغير مباشرة إقليمياً ودولياً، والأطراف المباشرة هي الطرف الفلسطيني والكيان الصهيوني، والأطراف غير المباشرة هي الطرف العربي، الرسي والشعبي، والأطراف الغربية هي

---

(1) جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي - الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، 2006، ص195

الدول البروتستانتينية، وبالذات بريطانيا وأمريكا.<sup>(1)</sup>

**الطرف الفلسطيني:** يمثل الشعب الفلسطيني أحد الأطراف المباشرة، والتي لها امتدادها الإقليمي في المنطقة، بناءً على روابط القومية العربية والرابطة الإسلامية، ويعد الشعب الفلسطيني الضحية التي استهدفتها الكيان الصهيوني في فترة وجوده في الحاضنة البريطانية ومن ثم انتقاله إلى الحاضنة الأمريكية، حيث مارست عصابات الصهيانة المنظمة إرهاباً منظماً في فلسطين قبل قيام إسرائيل عام 1948، وكان الفلسطينيون هم الضحايا المباشرين للعدوان الصهيوني سواء بالتشرد خارج وطنهم أم بوقوعهم تحت الاحتلال الإسرائيلي في الضفة وغزة، أم بمعاناتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في دولة إسرائيل<sup>(2)</sup>.

**الكيان الصهيوني:** لم يكن الكيان الصهيوني في المنطقة العربية ذا حضور رسمي يأخذ طابع السيادة والاعتراف الدولي إلا بعد القرار 181، والذي على أساسه تدخلت قوة دولية تمثلت في شخص الأمم المتحدة ومنحت هذا الكيان حق إقامة دولته اليهودية، بعد أن كان كياناً مشّرداً قروناً طوال في أطراف العالم، ومن هذا التشردم الكياني والتشرد جاءت الهجرات اليهودية تحت المظلة الرسمية الصهيونية، وقد نجحت هذه الحركة في تنسيق رفيع المستوى على صعيدين، يرتكزان إلى ربط الكيان الصهيوني بالأرض التي يقام عليها "وطن قومي لليهود" من جهة، وربطه بالقوى الغربية، لكي يضمن هذا الكيان امتداده القوي في المنطقة العربية على حساب الأمن العربي والأرض العربية<sup>(3)</sup>.

**الطرف العربي، الرسمي والشعبي:** إن البلدان العربية المحيطة بإسرائيل، مصر وسوريا، والأردن ولبنان، هي البلدان التي تعرضت سلامتها الإقليمية للانتهاك والاحتلال، فضلاً عن الانغماس في الحرب المباشرة مع إسرائيل، بما تضمنته من تكلفة في الأرواح والأموال، أما بقية البلدان العربية فإن تعرضها للتهديد الإسرائيلي ظل تعرضاً غير مباشر. وانعكس هذا التفاوت في التهديد الإسرائيلي، وفي مجال مواجهته، على انقسام البلدان العربية إلى بلدان للمواجهة وأخرى للمساندة، فضلاً عن وجود بلدان أخرى خارج هذين النطاقين، وينقسم الطرف العربي

---

(1) لا ننسى هنا الطرف الإسلامي الرسمي والشعبي وما يمثلانه من ثقل كبير في التأثير على مجرى الصراع لو توحدت الجهود.

(2) أسامة الغزالي، مستقبل إسرائيل-حرب، ص 30

(3) ريم وشاح، الصراع العربي-الإسرائيلي صراع دولي، موقع د. كامل الأسطل

<http://k-astal.com/index.php?action=detail&id=121->

إلى قسمين: الطرف الرسمي الممثل بالحكومات، والشعبي الممثل بالشعوب العربية، حيث أثبت الواقع العربي الرسمي ضعفاً عاماً في مجابهة إسرائيل، خاصة دول الجوار، التي انهكتها الحرب ومشاكلها الداخلية، فعقد بعضها اتفاقيات سلام مع إسرائيل، ليتبعها بعد ذلك التساقت العربي الرسمي، حيث تلقت بعض الدول العربية الراضة لدولة الاحتلال ضربات عدائية جوية وبرية كالعراق وليبيا والسودان وسوريا واليمن، وما زالت تتوالى التهديدات الإسرائيلية على الأمة العربية، حكاماً وشعباً.

أما المستوى الشعبي العربي الذي تمثله الشعوب العربية، والذي يعد كياناً عربياً متجانساً في مكوناته الحضارية والثقافية والقومية، فإن الحكم بالمجمل العام عليه بأنه هزيل وعاطفي لا يقوى متحداً على موازنة موقف الشارع الإسرائيلي أو الغربي، حيث يتسم بضعف الإدراك الحقيقي لخطر الطرف الآخر في الصراع، وعدم وجود إتفاق واضح بين الأطراف العربية والطرف الفلسطيني إزاء كيفية التعامل مع الطرف الآخر، يضاف إلى ذلك أن الشعوب العربية مكبله بقيود جمّة من حكامها التي لا تسمح لها بالتعبير عن مشاعرها، هذا ناهيك عن انشغال المواطن العربي بتأمين مستلزمات العيش في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها.

### الأطراف الغربية في الصراع العربي-الإسرائيلي

الطرف الغربي في الصراع حسب تصورنا هو الطرف الأساسي، والذي لولاه لما فكر اليهود اساساً في إقامة إسرائيل، وقد وضحنا ذلك في دراسات عديدة<sup>(1)</sup>، لذا يعد الدور الغربي في الصراع العربي-الإسرائيلي دوراً رئيساً وتراكماً سواء من ناحية الأحداث التي ربطت البروتستانتية الأصولية منذ القرن السابع عشر بالصهيونية، والتي على إثرها دعت اليهود لإقامة وطنهم في فلسطين، التي هي أرض الميعاد من منظورهم، أو من ناحية الزمن، أي مروراً منذ القرن السابع عشر، حتى بواكير القرن العشرين، حيث اتضحت رؤية هذا التدخل الغربي على يد الدول الغربية الأوروبية صاحبة الثقل السياسي في تلك الفترة خاصة بريطانيا، ومن ثم في خمسينيات القرن العشرين وحتى اليوم، والتي تتجلى في التدخل الأمريكي السافر في جميع الشؤون العربية، والفلسطينية، ما رجح كفة دولة الاحتلال إسرائيل ضد الدول العربية كافة<sup>(2)</sup>.

(1) يوسف الطويل الحملة الصليبية.

(2) الصراع العربي-الإسرائيلي صراع دولي، <http://k-astal.com/index.php?action=detail&id=121>

وبرغم وعي الفكر العربي المبكر بطبيعته الخطر الصهيوني، إلا أنه لم يتوصل إلى صياغة الاستراتيجية الشاملة والدائمة والمحددة لطبيعة الصراع ومعسكر العدو ووسائل تقديم الاستجابة الفاعلة في مواجهة التحالف الاستراتيجي الاستعماري-الصهيوني، وقد انعكس ذلك على رؤية النخبة السياسية لطبيعة الصراع، ومواقفهم تجاه القوى الاستعمارية الداعمة والراعية للمشروع الصهيوني، وعلى الرغم من وضوح أبعاد العلاقة العضوية فيما بين قوى الاستعمار والصهيونية كان هناك، ولا يزال توجه نخبوي عربي نحو نشدان الحل العادل في لندن بداية ثم في واشنطن فيما بعد، دون أن يؤخذ في الحسبان أن التناقضات فيما بين الاستعمار والصهيونية تظل ثانوية، فيما هي رئيسية وعدائية فيما بينهما وبين جماهير الشعب العربي.

كما كان هناك ولا يزال حديث مغالى به عن تأثير جماعات الضغط اليهودية "اللوبيات" في رسم السياسة البريطانية، ثم الأمريكية. وفي ذلك مؤشر على أحد أمرين: إما قصور المعرفة والوعي عن إدراك العلاقة العضوية فيما بين الاستعمار والصهيونية، أو عجز الإرادة السياسية عن مجابهة القوى الاستعمارية منسئة المشروع الصهيوني وراعيته التاريخية<sup>(1)</sup>، وكان في مقدمة نتائج هذا الواقع العربي عجز صناع القرار ومستشاريهم عن استلهام دروس التجربة التاريخية للصراع الممتد، وقصورهم عن قراءة معطيات الواقع وادراك المتغيرات والمستجدات في ميزان القدرات والأدوار، والأهم من ذلك معرفة الأسباب الحقيقية التي تقف وراء الدعم الغربي (البريطاني والأمريكي) للمشروع الصهيوني.

فبالإضافة إلى المغالاة في الحديث عن اللوبيات وجماعات الضغط، لعب عامل آخر غير العامل الاقتصادي والسياسي والعسكري في الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني، والرعاية التي لا حدود لها، وهي ثقافة ذات موروث تاريخي وروحي لدى الشعب الأمريكي، وتتطور تلك الثقافة، وتتغزز باستمرارية النشاط السياسي والإعلامي للمؤسسات الصهيونية والمراكز الدينية اليهودية داخل الولايات المتحدة، ويرتكز الموروث الثقافي على أساس: اعتبار إسرائيل المعاصرة المجسدة لدولة اليهود المنشودة هي إسرائيل التوراة<sup>(2)</sup>، ولهذا لا نستغرب أن يشعر الأمريكي أن ما يقدمه للكيان الصهيوني من مساعدات على مختلف أشكالها، يصب في باب إرضاء الله، وتحقيقاً لما

(1) مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني.

(2) جورج المصري، الأمة العربية في مواجهة الكيان الصهيوني اقتصادياً، مجلة الوحدة المغربية، ع 56- أيار/مايو 1989، ص 74.

ورد في الكتاب المقدس العهد القديم، وتعويضًا لليهود لما أصابهم من مأسٍ وآلام، دون النظر طبعاً إلى المآسي والآلام والتشريد واقتلاع الناس من بيوتهم ومزارعهم وأوطانهم، التي يتعرض لها الفلسطينيون، بدون ذنب ارتكبه لا بحق اليهود ولا الأميركيين.

والمهم في هذه العلاقة هو أن الولايات المتحدة بسياستها المماثلة لإسرائيل، بقيت قادرة على ترجيح كفة الصراع العربي الإسرائيلي لصالح إسرائيل في كل المواقف التي تفاقم فيها الصراع، سواء على الصعيد العسكري أو الدبلوماسي في العقود السبعة الأخيرة، وعلى الرغم من الدعم السياسي والعسكري الذي قدمه الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية للدول العربية ولنظمة التحرير الفلسطينية، فإن هذا الدعم لم يصل إلى درجة الالتزام التي حكمت علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل<sup>(1)</sup>.

## أبعاد الصراع العربي الإسرائيلي

ظاهرة الصراع باعتبارها ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد، بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة. وتعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى، حيث عرفتها علاقاته في مستوياتها المختلفة: فردية كانت أم جماعية، وأيضاً في أبعادها المتنوعة: نفسية أو ثقافية، سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو تاريخية<sup>(2)</sup>، والصراع العربي الإسرائيلي كغيره من الصراعات له أبعاد مختلفة.

### 1- البعد الاقتصادي:

تكشف التطورات الحديثة في مفاهيم وسياسات التنمية المستدامة وتنمية الموارد البشرية عن تصاعد الفجوة الاقتصادية بين العرب وإسرائيل لصالح الأخيرة، هذا إلى جانب أن الاستثمار في التطوير والتكنولوجيا والإنفاق على البحث العلمي يشهد تراجعاً ملحوظاً في الجانب العربي بفعل سياسات التنمية التي اعتمدت على تصدير المواد الخام، وتنمية الاستهلاك الترفي، وعدم الاهتمام بتنوع قاعدة الاقتصاد، إلى جانب أن غالبية البلاد العربية تعتمد على موارد

---

(1) قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، نبيل قسيس، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي، ط1، حزيران 2012، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات، البيرة، ص 123

(2) مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع، منير محمود بدوي، مجلة دراسات مستقبلية، ع3، يوليو 1997م، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط ج. م. ع.

خارجية، تتأثر بظروف البيئة الدولية مثل: صادرات النفط، والسياحة، وتحويلات العاملين بالخارج، والمعونات، والقروض الخارجية، والممرات البحرية مثل: قناة السويس<sup>(1)</sup>.

ومن حيث سلم التنمية البشرية نجد التالي: تحتل مصر المرتبة 124 على مستوى العالم أي ما يصنف في عداد الدول منخفضة النمو أو الشريحة الدنيا من الدول متوسطة النمو، ويبلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في مصر 1290 دولارًا، وتحتل المرتبة 127 على مستوى العالم. أما إسرائيل فتحتل المرتبة 36 في مقياس التنمية البشرية ويبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي 16 ألف دولار تقريبًا، وتحتل المرتبة 32 على مستوى العالم في هذا الصدد، ومن ناحية حجم مشاركة المرأة في سوق العمل والتي تعد أحد مؤشرات التقدم تبرز الهوة الكبيرة بين إسرائيل والدول العربية، وتظهر الإحصاءات تراجعًا مستمرًا في إنفاق الدول العربية على التعليم بفعل سياسات التقشف التي فرضها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وما يسمى بسياسات الإصلاح الاقتصادي والخصخصة التي أدت إلى تقليص الإنفاق العام والاستثماري على مجالات الرعاية الاجتماعية والتنمية البشرية<sup>(2)</sup>.

## 2- البعد العلمي التكنولوجي:

مع الأخذ في الاعتبار دور التكنولوجيا فائق الأهمية في التقدم الاقتصادي، يلاحظ أن إسرائيل تتفوق بمراحل على الأقطار العربية في هذا الصدد، فالتكنولوجيا لا تستغني عن البحث والتطوير كما أن البحوث هي أساس المعرفة والاكتشافات العلمية. غير أن المسؤولين العرب في مختلف المستويات ما يزالون ينظرون إلى وظيفة البحث والتطوير كشيء ترفي وكماي، ولا تنفق الدول العربية إلا القليل على بند البحث والتطوير. وفي مؤشر جديد على التقدم العلمي الإسرائيلي احتل المعهد الإسرائيلي التقني "تخنيون" المرتبة الثامنة على مستوى العالم في مجال هندسة الطيران وعلوم الفضاء، فيما احتل معهد العلوم "فايتسمان" المرتبة العاشرة في مجال علوم الحاسوب، وذلك وفقًا لمقياس شنغهاي الذي ينشر سنويًا، وقارن بين 4000 جامعة على مستوى العالم ضمن 52 مجالًا علميًا وأكاديميًا، إضافة للتصنيف العام للجامعات الذي يقوم به المقياس المذكور، واحتلت الجامعة العبرية وفقًا للمقياس المذكور المرتبة 11 عالميًا في مجال الرياضيات، والمرتبة 39 في مجال الاتصال والإعلام ، 40 في مجال العلوم

(1) جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالاته، أحمد ثابت- الجزيرة نت- 3-10-2004

(2) أحمد ثابت، جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالاته، الجزيرة نت، 3-10-2004.

السياسية، و 46 في مجال الاقتصاد<sup>(1)</sup>.

وتصل إسرائيل إلى مصاف الدول المتقدمة في ما يتعلق بنسبة الإنفاق على البحث والتطوير إلى الناتج المحلي الإجمالي 3%، (الولايات المتحدة 3%، اليابان 3.5%)، لا تزيد النسبة في مصر عن 0.55%. أما مؤشر الإنفاق على التعليم العالي من جميع المراحل الدراسية فقد بلغ بالنسبة لإسرائيل أكثر من 40%، وفي مصر الرقم ليس محددًا أما في سوريا فقد وصل إلى 25.9% وبلغت في الأردن 33%. وإذا كانت نسبة الأمية في مصر لا تقل عن 50% فإن نسبة الأمية التكنولوجية تزيد عن ذلك لتصل لحوالي 90%. ويسيطر على الدول العربية نمط استيراد التكنولوجيا الجاهزة أو "تسليم المفتاح"، ويبلغ المتوسط العالمي لإنتاجية الفرد من منتجات وخدمات التكنولوجيا المتقدمة والمعلومات نحو 180 دولارًا سنويًا للفرد، في حين لا يتجاوز في مصر ثلاثة دولارات للفرد، وفي إسرائيل نحو 1500 دولار<sup>(2)</sup>.

### 3- البعد المائي في الصراع ومخاطر النهب الإسرائيلي للمياه العربية:

تعاني معظم الدول العربية من نقص خطير في موارد المياه المتاحة سواء للأغراض المنزلية أو للزراعة والصناعة نظرًا لعوامل عدة منها وقوع الوطن العربي في المناطق الجافة وشبه الجافة، وسوء الاستخدام وغياب سياسات فعالة لتنمية موارد المياه، وبالطبع هناك السيطرة الإسرائيلية على مصادر المياه الرئيسية في الأردن وفلسطين وسوريا، ومنذ عام 1967 وضعت إسرائيل مختلف الموارد المائية في الضفة الغربية وغزة تحت مسؤولية "إدارة تخصيص المياه والتصديق على استخدامها"، وتشير التقديرات إلى أن 40% من موارد إسرائيل المائية يأتي من الضفة الغربية وغزة، ويعد أي تهديد لسيطرتها عليهما بمثابة إعلان للحرب ولذلك يتوقع كثير من الخبراء أن تكون الحرب القادمة حربًا على المياه<sup>(3)</sup>.

وبناء على المعلومات المائية للعام 2012 فإن نسبة المياه التي يحصل عليها الفلسطينيون من مياه الأحواض الجوفية في الضفة الغربية لا تتجاوز 15%، في حين يحصل الاحتلال الإسرائيلي على ما يزيد عن 85% منها، ناهيك عن أن الفلسطينيين محرومين من الوصول إلى

(1) التخنيون الإسرائيلي الثامن عالمياً ومعهد فايتسمان العاشر - 2017/06/30 - وكالة معاً للأبناء

(2) جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالات، بقلم/ د. أحمد ثابت- الجزيرة نت- 2004-10-3

(3) المياه العربية والتحديات الأمنية، في: الأمن المائي العربي، رضا بوكراع، أعمال ندوة المؤتمر الدولي الثامن، مركز الدراسات العربي الأوروبي، 21-23، فبراير شباط 2000، القاهرة، يونيو/حزيران 2000، ص 117.

مياهم في نهر الاردن منذ العام 1967، وبحسب التقديرات فإن نصيب الإسرائيلي الواحد من المياه أعلى خمس مرات من استهلاك الفلسطيني في الضفة الغربية، أما استهلاك سكان قطاع غزة من المياه عام 2013 فبلغ 103.34 مليون م<sup>3</sup>، بما يوازي نحو 90 لتراً للفرد الواحد بدرجات جودة وكميات غير ملائمة ودون المعدلات الموصى بها عالمياً، حيث أن ما يزيد عن 95% من مياه قطاع غزة لا تنطبق عليها معايير منظمة الصحة العالمية لمياه الشرب وغير صالحة للاستخدام<sup>(1)</sup>.

#### 4- الأبعاد الثقافية الحضارية للصراع:

إن الصراع الاجتماعي والثقافي بعوامله المؤثرة فيه، قائم على أسس مختلفة ومتفاوتة من التعددية الثقافية التي لا تصلح لأن تكون قاعدة من قواعد السلام في الشرق الأوسط، ما يعني استحالة الالتقاء بين ثقافة المشروع الصهيوني وبين ثقافة الأمة العربية الإسلامية وحضارتها، ذلك أن الدولة اليهودية بصيغتها الحالية ذات الطابع الكولونيالي، لا يمكن أن تبقى جسماً غريباً في هذا الشرق، فهي لن تصمد كدولة صغيرة في قلب مجموعة كبيرة من الدول المتجانسة حضارياً وسياسياً، ولأن إسرائيل ليست مجرد دولة استعمارية، ولكنها مشروع إحلالي لا تقوم لكيانها قائمة إلا باختطاف أرض الشعب الذي أخضعته للاحتلال، ولذلك لن يكون هناك سلام حقيقي إلا بتغيير في الثقافة والايديولوجية الصهيونية لتتمكن من الاندماج في المنطقة.

وإذا كان الاحتلال الكولونيالي الإسرائيلي قد نجح في سلب الوطن والأرض وكل ما يوفرائه؛ الاقتصاد، والحرية، والسلطة، والبنى التحتية، ولكنه لم ينجح ولن ينجح في سلب أخلاقيات القضية الفلسطينية باعتبارها قضية عادلة، وكذلك لن ينجح في سلب الثقافة الفلسطينية باعتبارها التعبير الأصدق عن هذه العدالة وعن طموح الإنسان الفلسطيني غير القابل للتصرف في استعادة وطنه، وفي ممارسة حبه للحياة الكريمة، وفي التعبير الإبداعي عن قدرته على المشاركة الفاعلة في ورشة بناء الحضارة الإنسانية والكونية<sup>(2)</sup>.

(1) فقر مائي- نشر بتاريخ: 2015/03/22 بيت لحم- معاً

(2) سلمان ناطور، قراءة في واقع ومستقبل المشهد الثقافي الفلسطيني وحدة الثقافة الفلسطينية، لا تواصلها، ص 313، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية- مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الإستراتيجي- الطبعة الأولى: حزيران - 2012-المركز الفلسطيني للأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات، البيرة.

## 5- البعد العسكري للصراع:

يعد الصراع العربي الإسرائيلي من الصراعات ذات الطبيعة الخاصة، حيث مر بفترات كان بها الخيار العسكري هو الخيار الوحيد المطروح، وفترات أخرى سادت فيها طاولة المفاوضات، ويعد البعد العسكري للصراع أحد أهم الأبعاد التي تسهم إلى حد بعيد في تشكيل مستقبل الصراع، وسيظل متصفاً بتلك الأهمية لأن إسرائيل تعتبر القوى العسكرية هي الضمان الوحيد لاستقرار أمنها القومي وتأمين عمقها الاستراتيجي، بل واستمرار وجودها<sup>(1)</sup>، وقد تميزت السياسات الخاصة بمعظم الدول العربية وإسرائيل بالتركيز على التسليح المكثف، حيث لا تزال الأقطار العربية وإسرائيل من أكثر دول العالم إنفاقاً على شراء السلاح، وتتأسس السياسة الدفاعية الإسرائيلية على أهمية الأخذ في الاعتبار احتمال اندلاع حرب واسعة النطاق ليس فقط مع دول الطوق، ولكن أيضاً في مواجهة تحالف عسكري واسع من الدول العربية يضم الدول التي وقعت معها معاهدات تسوية، والأكثر من ذلك احتمال توسيع هذا التحالف بحيث يضم دولاً إسلامية مثل إيران وباكستان. ورغم صعوبة إقامة مثل هذا التحالف، فإن إسرائيل تصر على ضمان تفوق الجيش الإسرائيلي على الجيوش العربية والإسلامية مجتمعة<sup>(2)</sup>.

## 6- البعد النووي للصراع ومخاطر الاحتكار النووي الإسرائيلي

يزداد الخلل في موازين القوة بين العرب وإسرائيل خصوصاً في مجال القدرة النووية حيث صار العرب محرومين من غالبية مصادر القدرة على التسليح بأسلحة الدمار الشامل وعلى رأسها السلاح النووي، فقد انتهزت الولايات المتحدة الغزو العراقي للكويت وحرب الخليج الثانية لتفرض قيوداً شديدة على نقل التكنولوجيا العسكرية المتطورة إلى الدول العربية، بزعم حظر نشر تكنولوجيا أسلحة الدمار الشامل، ما يؤدي إلى ازدياد انكشاف الدول العربية أمام إسرائيل، كما أن النظام الدولي الجديد فرض قيوداً على تسليح الدول العربية، ما أدى إلى اختلال توازن القوى بينها وبين إسرائيل<sup>(3)</sup>.

وما تزال إسرائيل تنكر من الناحية الرسمية امتلاكها السلاح النووي، وتتبع أسلوب

(1) تقويم أداء العرب وإسرائيل في جوانب الصراع - الجزيرة.نت-

www.aljazeera.net/.../853b454b-a3b3-4705-a41b-4abbd5540589

(2) جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالاته.

(3) انظر: الأمن القومي العربي: أبعاده ومتطلباته، معهد الدراسات العربية، 1993.

الغموض المتعمد حول ترسانتها النووية أو ما يسمي "القنبلة في القبو"، ويحاط برنامجهما النووي بستار كثيف من السرية، وقد نشرت صحيفة هآرتس وثيقة سرية من وزارة الطاقة الأميركية تضع إسرائيل في المرتبة السادسة ضمن مجموعة الدول الكبرى نووياً، وتملك إسرائيل ما بين 300 إلى 500 كجم من البلوتونيوم الصالح لصنع الأسلحة النووية، مما يعني أنها تستطيع إنتاج 250 قنبلة نووية<sup>(1)</sup>.

ورغم أن إسرائيل لاتزال ترفض الانضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، فإنها تطرح تصوراتها وشروطها لإقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، بعد تحقيق السلام في المنطقة والتوقيع على معاهدات سلام مع كل الدول العربية وإيران، وإقامة تعاون واسع بينها وبين جميع دول المنطقة.

---

(1) صحيفة الحياة اللندنية 1999/10/9، صحيفة هآرتس الإسرائيلية في عددها الصادر في 8 أكتوبر/تشرين الأول 1999

## المبحث الثالث: موازين القوة الشاملة بين العرب وإسرائيل

إذا تحدّثنا عن العرب وإسرائيل في ميزان القوى، فإنّ ذلك يتحدّد في سياق احتمالات المواجهة بين الطرفين، وبالتالي فإنّ ما همّنا هو بحث العلاقة بين إسرائيل وبين العرب، الذين يُحتمل أن يدخلوا في سباق المواجهة الشاملة، وبرغم أنّ إسرائيل تُحاول تعبئة كافة مصادر القوة الممكنة لصالحها، وتضع في مخطّطها الاستراتيجي طويل المدى احتمال التّدخل العسكري فوق التّقليدي، ضد أهداف عربيّة تقع خارج نطاق المواجهة التّقليدية، (وربّما ضد أهداف إسلاميّة)، برغم كلّ ذلك إلّا أنّ المواجهة العربيّة مع إسرائيل اقتصاديًّا أو عسكريًّا، أو دبلوماسيًّا وسياسيًّا في الفترة القادمة - تتحدّد أساسًا بالدّول العربيّة المشرقيّة، بالتّعريف الواسع الذي يضم مصر ومناطق الحدود الشرقيّة للوطن العربي<sup>(1)</sup>، وليس معنى ذلك استبعاد منطقة المغرب العربي التي يتوقّع أن يتزايد دورها، ولكن على المدى البعيد، كما لا يُمكن تجاهل السّودان بثقله الاقتصادي والطبيعي، ودوره الاستراتيجي الذي يشترك فيه مع كلّ من الصومال وجيبوتي وإريتريا أيضًا.

والمعلوم أن القوة القومية لأيّ دولة، تتكون من محصلة لعدة عوامل وإمكانيات، وتحسب قوة الدولة، بتجميع كافة الإمكانيات، وتأثيراتها الإيجابية والسلبية، ويكون الناتج النهائي هو "محصلة كميّة تسمى قدرة الدولة على تحقيق مصالحها في المجتمع الدولي والتأثير على غيرها، ومن خلال مقارنة تلك المحصلة، أو مقارنة مفرداتها مع نظيرها لدولة أخرى، يُمكن قياس قوة الدولة وقدراتها في المجتمع الدولي، أو مقابل خصومها<sup>(2)</sup>.

ولما كانت نظرية توازن القوى تتحكم في العلاقات الدولية، فإن الدولة كلما حققت مزيداً من القوة تعززت مكانتها ونفوذها في المشهدين الاقليمي والكوني، وهنا فإن هناك عوامل عدة تقاس بها قوة الدولة منها: العوامل المادية (الاقتصاد والإنفاق وخصوصاً العسكري)، ويتم

---

(1) محمد عبد الشفيق عيسى، العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة. عرض أحمد حسين الشيمي، مركز الحضارة العربيّة. - ط2 2007/4/2010، رابط الموضوع

<http://www.alukah.net/culture/0/19916/#ixzz4Nsn7qduU>

(2) انظر: جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي - الإسرائيلي، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت الطبعة: 2006.

الجمع بين العوامل المادية (الكتلة الحيوية + القدرة الاقتصادية + القدرة العسكرية)، والمعنوية (الهدف الاستراتيجي + الإرادة القومية)، وتوظيف قوة الدولة في موقف أو حدث، وهذا يعنى مسح الموارد والإمكانات المتاحة والكامنة، وأيضاً الجانب المعنوي (أو غير الملموس)، الذي يُعبّر عن قدرة النظام السياسي على تعبئة الموارد بكفاءة، ويقاس د. جمال زهران قوة الدول الفاعلة في الصراع العربي الإسرائيلي، أي خمس دول عربية (مصر والأردن وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية) إضافة إلى إسرائيل من خلال:<sup>(1)</sup>

أولاً: قياس العوامل المادية (القدرة الاقتصادية والعسكرية والاتصالية والقدرة الحيوية، الخصائص البشرية والوجود الاقليمي)، من خلال استخدام 60 عنصراً ومؤشراً.

ثانياً: قياس العوامل المعنوية التي تنقسم إلى عناصر ثلاثة: القدرة السياسية، والإرادة القومية، والقدرة الدبلوماسية، وتشمل القدرة السياسية: الحريات العامة والاستقرار السياسي ونسبة المشاركة في الانتخابات ومعدل كفاءة الحكومة وكفاءة البرلمان، وتحدد الإرادة القومية في القيادة والأهداف والقاعدة العلمية، وتقاس القدرة الدبلوماسية في حجم التمثيل في الخارج وحجم التمثيل الدبلوماسي للدول الأجنبية لدى الدولة.

وفي التحليل الكلي للوزن الاجمالي لقوة الدول موضوع الدراسة خلص د. زهران الى الآتي: تصدر إسرائيل بوزن (559.02)، ونسبة 28.5 في المئة من إجمالي أوزان قوة الدول الست، وتليها مصر بوزن (343.51)، ونسبة 17.5 من إجمالي أوزان قوة الدول الست وبفارق نحو 11 في المئة عن إسرائيل، وتحتل السعودية المركز الثالث وسوريا المركز الرابع ولبنان المركز الخامس ويأتي الأردن في المركز السادس، ويشير التحليل الكلي الى تفوق إسرائيل، بل إن الوزن الاجمالي لقوتها يعادل تقريباً وزن كل من مصر وسوريا مجتمعين.<sup>(2)</sup>

وهكذا فإن علاقات القوى بين طرفي الصراع تشير، إلى تفوق إسرائيلي واضح على الطرف العربي، هذا التفوق الإسرائيلي هو بالضرورة، تفوق "كيفي" أو "نوعي" استطاع أن يحد من التفوق الكمي العربي، سواء من حيث عدد السكان، أم مساحة الأرض، أم الموارد الاقتصادية

---

(1)عبدالممنع سعيد، التحدى العسكرى الإسرائيلى فى المستقبل، معادلة الكم والكيف، السياسة الدولية عدد101 أبريل/نيسان 1990، مركزالاهرام للدراسات

(2)جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي .الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006، ص168

أم الموارد العسكرية<sup>(1)</sup>، ولذا أعلن "أبا أيبان" وزير الخارجية الأسبق أمام الكنيست الإسرائيلي، في عام 1979: "أن لإسرائيل فرصا كبيرة على صعيد النوعية والفكر، ووجودنا كله موضوع في الميزان القائم بين الكم العربي والنوعية اليهودية"<sup>(2)</sup>. وإذا كانت قضية "الكم، الكيف"، تحتوى أبعادًا متعددة حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية، فإن الطرف الإسرائيلي في الصراع جعل رأس الرمح يتحدد في البعد العلمى والتكنولوجي.

## التوازن العسكري في الصراع العربي الإسرائيلي

تشير نتائج الحروب العربية الإسرائيلية إلى وجود خلل استراتيجي واضح لصالح إسرائيل، وأي مقارنة بين إسرائيل والدول العربية ودول المواجهة من حيث موازين القوى التقليدية وغير التقليدية توضح:

أ- موازين القوى التقليدية: أن موازين القوى التقليدية بين دول الشرق الأوسط مختلة لصالح القوى غير العربية. فإسرائيل تستطيع هزيمة أي ائتلاف من الجيوش العربية المجاورة بفضل حجم ونوعية ترسانتها من الاسلحة المتطورة التي تمتلكها، مما جعلها تتفوق عدديا ونوعيا على باقي الدول العربية.

ب- موازين القوى غير التقليدية: أن موازين القوى غير التقليدية مختلة لصالح إسرائيل، وفيما يتعلق بمؤشر القدرة النووية، فإسرائيل تُعد هي الدولة الوحيدة ضمن دول الصراع التي تمتلك أسلحة نووية، وطبقا لتقرير التوازن العسكري 2010 فإن إسرائيل تمتلك ما يُقدر بـ (200) رأس نووي تستطيع حملهم صواريخ باليستية متوسطة المدى من طراز (جيركو- 2) وصواريخ باليستية قصيرة المدى (جيركو- 1).

ج- التحولات في موازين القوى في الشرق الأوسط: بالإضافة إلى الخلل في ميزان القوى الشامل ضد الدول العربية، فإن هناك تحولا متزيدا في اتجاهين، الأول: انتقال ميزان القوى بشكل متزايد لصالح دول الحزام الشمالي، والثاني: ظهور جماعات مسلحة جديدة فلسطينية

---

(1) أسامة غزالي، حرب مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، بيروت مركز الدراسات الوحدة العربية، 1987، ص 16.

(2) أسامة أميل الخولد، التعليم التكنولوجي في الوطن العربي، وإمكانيات أسهامة في الصراع العربي الإسرائيلي. المستقبل العربي، ع 85 مارس/ آذار 1986، ص 98.

ولبنانية مؤثرة في موازين القوى، وإزدياد دورها في التوازن العسكري، ما شكل قوة ردع لإسرائيل، ولكن معظم الدول العربية غير راغبة في الاعتراف بقوة تلك الجماعات ودورها، بل تعمل صراحة من أجل محاصرتها ونزع سلاحها.

وبالتأمل بالميزان الاستراتيجي التقليدي وغير التقليدي بين طرفي الصراع، سنجد أنه يشير إلى تطور التوازن العسكري التقليدي وغير التقليدي لصالح الطرف الإسرائيلي بفعل عوامل مؤثرة داخلية وخارجية على طرفي الصراع، وانطلاقاً من التحليل السالف، يمكن ابتداء رصد ظاهرتين في تلك الموازين، أولاهما: الخلل الشديد لصالح إسرائيل، وأن هذا الخلل كان موجوداً دائماً بفضل الدعم الغربي، وثانيتها: فإن هذا الخلل قد زاد بشكل واضح منذ نهاية نظام القطبية الثنائية، وتكرس بشكل أكبر بعد الغزو الأمريكي للعراق، وهذا يعني أن ميزان التوازن العسكري بين دول الصراع يشير إلى تفوق (كهي ونوعي) لإسرائيل على باقي دول الصراع. لذا فإن أي مواجهة عسكرية مباشرة بين إسرائيل وإحدى دول الصراع سوف تُحسم لصالح إسرائيل، وتتكافأ تلك المواجهة العسكرية في حالة أن تواجه إسرائيل مجموعة من دول الصراع مجتمعة (على أن تكون من بينهم مصر وسوريا). وهذا بافتراض عدم تدخل دول أخرى في هذه المواجهة.

والنتائج المحتملة لهذا الاختلال في الميزان العربي الإسرائيلي، هي أن جيوش المواجهة العربية لن تكون قادرة على خوض حرب تحقق فيها نصرًا عسكريًا على الجيش الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، وهذا دفع إلى استبعاد احتمالية نشوب حروب نظامية شاملة في الوقت الراهن، أو في المستقبل القريب بين العرب وإسرائيل، وإن كان هذا لا يمنع من قيام عمليات إسرائيلية محدودة ضد أهداف عربية، واستمرار العمليات العسكرية من جانب حركات المقاومة مثل حماس وحزب الله وغيرها ضد إسرائيل. ولكن ومع كل هذا الاختلال الفادح في ميزان القوى، تبقى إسرائيل مشروعاً مستحيلاً بالمعنى التاريخي، ولا تصبح مشروعاً واقعياً، أي لا يمكن تحولها من كيان مفروض على المنطقة بالقوة إلى جزء طبيعي منها، إلا باستمرار العجز العربي كوضع ثابت ومتواصل.

---

(1) رياض الأشقر ميزان القوى العسكري بين الدول العربية وإسرائيل في الثمانينات، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980، ص 44

## التوازن الاقتصادي بين العرب وإسرائيل

يتمتع الطرف العربي بالتفوق النسبي في امتلاك الموارد الاقتصادية الأولية، إلا أنه يفتقد إلى القدرة التنظيمية والتكنولوجية اللازمة لتشغيل هذه الموارد في دورة الإنتاج، وتكرار الإنتاج الموسع؛ من أجل إخراج المنتجات على مدى متنوع في القطاعات السلعية والخدمية، وفي المقابل فإن دولة الكيان الغاصب فقيرة في الموارد الاقتصادية (الخام)، بينما هي غنية بعناصر القوة النسبية في الميدان التنظيمي والتكنولوجي.

وبشكل أكثر تفصيلاً، فإن الموارد الطبيعية في المنطقة العربية تمثل ميزةً نسبيةً، فالمصادر المائية متنوعة، من مياه جوفية إلى مياه أمطار إلى أنهار، وفيما يرى البعض أن بعض بلدان الوطن العربي لديها مشكلة في المياه، إلا أنه بالمقارنة بإسرائيل نجد أن المؤشرات المائية الإسرائيلية تعكس بوضوح حجم الأزمة، ففي عام 1995 عندما بلغ عدد السكان حوالي 5.5 مليون نسمة، أصبح نصيب الفرد 327 م<sup>3</sup>/سنة، ومع وصول عدد سكان إسرائيل عام 2000 إلى 6 ملايين تقريباً، أصبح نصيب الفرد 300 م<sup>3</sup>/سنة، وهو مستوى من الموارد المائية يهدد بالخطر. وفيما يتعلّق بالطاقة، نجد أن الفجوة النسبية بين إنتاج واستهلاك الطاقة في إسرائيل، من أوسع الفجوات على المستوى العالمي؛ إذ بلغ معدّل الزيادة السنوية في استهلاك الطاقة خلال الفترة من 1980 إلى 1993 نحو 4.4%، وفي المقابل سجّل إنتاج الطاقة نمواً بالسالب خلال نفس الفترة، ولكن تقلص هذا الفارق بعد اكتشاف الغاز في البحر المتوسط. ومقابل هذا الخلل، نجد أن البلدان العربية تتمتع بوفرة نسبية في موارد الطاقة الأحفورية والهيدروليكية<sup>(1)</sup>.

وفيما يتعلّق بالموارد البشرية، فإنّ الوطن العربي من ناحية السكان يتفوّق تفوّقاً غير قابل للمقارنة، فعدّد سكان مصر وحدها 12 ضعف عدد سكان إسرائيل، وفيما يبلغ حجم القوى العاملة في مصر حوالي 9 أضعاف القوى العاملة في إسرائيل. وبالرغم من أن محدودية عدد السكان في إسرائيل، تمثّل قيدياً بنيويّاً على المطامع الإستراتيجية الصهيونية، إلا أن السياسات المتّبعة في الكيان الصهيوني منذ نشأته عام 1948 عملت على تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الكمّ القائم، بتحويله إلى (كيف) موظّف لتحسين أداء (النظام)، وكانت إحدى المخرجات

(1) محمد عبد الشفيق عيسى، العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة (عرض)، مركز الحضارة العربية.

الطبيعيَّة لهذا النظام حدوث ندرة نسبيَّة عالية في العمالة العادية من الشَّريحة غير الماهرة بصفة أساسيَّة<sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى، عملت إسرائيل فيما يختصُّ بالموارد الماليَّة على حلِّ مشكلتها الاقتصاديَّة الداخليَّة عن طريق علاقاتها الخارجيَّة؛ إذ قامت بتغطية الفجوة التمويليَّة بين الإخار والاستثمار، عن طريق سدِّ فجوة التِّجارة الخارجيَّة بين الصادرات والواردات، وربَّما لذلك حقَّق الاقتصاد الإسرائيلي في العقد من 1985 وحتى 1995 معدلاً للنمو الاقتصادي أعلى من المعدَّلات المسجَّلة في البلدان العربيَّة، وخاصَّةً المشريقيَّة، كما شهد معدَّل الاستثمار زيادة ملحوظة في دولة الكيان بفعل تدفُّقات رأس المال الأجنبي، وصاحب هذه الزيادة ارتفاع في إنتاجيَّة الاستثمار.

أما عربيًّا فقد تركت الهزات السياسيَّة التي شهدها العالم العربي تأثيراً سلبياً على حالة التنمية الاقتصاديَّة نتيجة فرار الرساميل من بعض الأقطار العربيَّة ونشوء مناخ اقتصادي سلب يخيِّف المستثمرين. والمنطقة العربيَّة لا تزال تسجل أحد أعلى معدلات البطالة في العالم، فقد شهدت الدول العربيَّة الأقل نموًّا زيادة في معدلات البطالة (من 8% إلى 11%). وفي المقابل فإنَّ إسرائيل سجَّلت معدلاً مرتفعاً للتشغيل، ومعدلاً منخفضاً للبطالة، رغم تزايد موجة الهجرة، وإن كان ذلك يعود إلى الاستثمارات والمساعدات الأجنبيَّة، وعلى الرِّغم من ذلك، فإنَّ الاقتصاد الإسرائيلي يشهد منذ عام 1995 تباطؤاً دافعة قطاع التَّشييد ونقص الاستثمارات الأجنبيَّة، والقلق المسيطر على المستثمرين من جرَّاء المشكلات الأمنيَّة المترتبة على جمود ما يسمَّى بعملية التسوية السلميَّة<sup>(2)</sup>.

## التوازن في مجال البحث العلمي

تقاس درجة تقدم البلدان وولوجها عالم المعاصرة واستفادتها من المعارف الأحدث عالمياً عبر قياس معدل إنفاقها على البحث العلمي ونسبته من الناتج المحلي الإجمالي، وبعدهد العلماء والباحثين وبحجم الأبحاث العلميَّة السنويَّة المنشورة وعدد الاختراعات المسجلة سنويًا ونسبتها لكل ألف فرد من نفوس الدولة وبحجم وجود أجهزة الكمبيوتر لكل ألف فرد، وعدد المجلات

(1) العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة، المصدر السابق

(2) محمد عبد الشفيق عيسى، العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة (عرض)، مركز الحضارة العربيَّة.

البحثية العلمية الصادرة ومعدل انفاق الفرد على الكتب والدوريات. وفيما يتعلق بالعالم العربي لا يملك اليوم سوى 136 باحثاً لكل مليون مواطن، وهو ما يمثل عشر ما لدى إسرائيل، فيما تمتلك روسيا حوالي 33 ضعفاً، وعشرين ضعفاً في الاتحاد الأوروبي، أما في أمريكا فيصل إلى 40 ضعفاً<sup>(1)</sup>. وخصصت الدول العربية مجتمعة للبحث العلمي ما يعادل 1.7 مليار دولار فقط، أي ما نسبته 0.3% من الناتج القومي. في حين خصصت إسرائيل حوالي 3 مليارات دولار، أي ما يوازي 2.6% من حجم إجمالي الناتج القومي في عام 1999. وفي عام 2004 وصلت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل إلى 4.7% من ناتجها القومي الإجمالي<sup>(2)</sup>.

وأظهرت إحدى الدراسات أن ما ينشر سنوياً من البحوث في الوطن العربي لا يتعدى 15 ألف بحثاً، ومعدل الإنتاجية هو في حدود 0.3 وهو وضع يرثى له، إذ يبلغ 10% من معدلات الإنتاجية في الدول المتقدمة، وعموماً يبلغ الإنتاج العلمي للوطن العربي الآن 72% من إنتاج إسرائيل، وتشير أرقام اليونسكو إلى أن إنتاجية كل عشرة باحثين عرب في المتوسط لا توازي إلا إنتاجية باحث واحد في المتوسط الدولي، وتشير الاحصائيات إلى أن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم<sup>(3)</sup>.

وبالنسبة للعناوين العربية المنشورة فتبلغ نحو 17 ألف عنوان سنوياً فقط، وهذا يعني أن العرب مجتمعين ينشرون أكثر بقليل من إيران (15 ألف عنوان كتاب سنوياً). وتكشف أحدث الاحصاءات أن أوروبياً يقرأ بمعدل 35 كتاباً في السنة، والإسرائيلي 40 كتاباً في السنة، أما على مستوى العالم العربي فإن 80 شخصاً يقرأون كتاباً واحداً في السنة وفي المحصلة، توازي ثقافة أوروبي واحد ثقافة 2800 عربي، وتوازي ثقافة إسرائيلي واحد ثقافة 3200 عربي<sup>(4)</sup>. وحسب معرض القاهرة الدولي للكتاب فإن الكتب الأكثر مبيعاً هي الكتب الدينية، تلمها كتب الطبخ، وكتب الأبراج. أما الترجمة إلى اللغة العربية فتبين بأن الدول العربية ككل هي أدنى القائمة، إذ تترجم اليابان حوالي 30 مليون صفحة سنوياً. في حين أن ما يُترجم سنوياً في العالم العربي، هو

---

(1) تيسير عبدا لجبار الألوسي، الجامعات والبحث العلمي في البلدان العربية- قراءة في الواقع ومقترحات للتطوير، في: مركز الجزيرة للدراسات

(2) علي التركي، استقبال البحث العلمي في الوطن العربي، مجلة العربي عدد اغسطس/تموز 2010

(3) الجامعات والبحث العلمي في البلدان العربية، قراءة في الواقع ومقترحات للتطوير.

(4) منيرة ابي زيد، الأوربي يقرأ 35 كتاباً و80 عربياً يقرأون كتاباً واحداً، 4 (ديسمبر) 2009 عن جريدة السفير

2009/12/4

حوالي خمس ما يترجم في اليونان<sup>(1)</sup>.

ما تقدم يتضح "أن تحدى الفجوة العلمية بين بلادنا والدولة الصهيونية أصبح الآن يمثل أحد أخطر التحديات التي تواجهنا، وهي تتفاقم بسرعة كبيرة، بالنظر إلى أحوال مؤسساتنا العلمية ونظم التعليم في مدارسنا ومعاهدنا، وسيادة الفكر الخرافي وتراجع الوعي العلمي، والأزمة التي يعانها المجتمع العربي، في كل مجالات الحياة، وغياب الحريات والديمقراطية، التي يمثل توافرها نقطة الانطلاق الفعلية لتدارك هذه الوضعية الحرجة.

### ميزان القوى الشاملة العربي والإسرائيلية

إن قياس ميزان القوى العربي الإسرائيلي باستعمال مؤشرات مختلفة لمختلف أبعاد القوة، وذلك استعمال المعادلة التالية: القوة الشاملة = (الكتلة الحيوية + المقدرة الاقتصادية + المقدرة العسكرية) × (الاستراتيجية + الإدارة)، يوضح أن مستوى القوة الشاملة للدول العربية المرتبطة مباشرة بالصراع تتمتع بتفوق واضح، بيد أن جزءاً أساسياً من القوة العربية الشاملة ينصرف إلى المقدرة السكانية والجغرافية والاقتصادية، بينما تنصرف معظم القوة الشاملة الإسرائيلية إلى العنصر العسكري. فعلى مستوى القوة العسكرية وحدها، فإن العرب يتمتعون بتفوق محدود على إسرائيل، فإذا أدخلنا في الاعتبار عنصر الاستراتيجية والإدارة على مستوى كل دولة على حدة فإن الميزان العسكري يتقلب ضد الدول العربية، فإذا تذكرنا أيضاً أن الدول العربية لا تتصرف ضد إسرائيل كوحدة واحدة في إطار استراتيجية لمواجهة مع إسرائيل، وإنما كوحدات متصارعة، لأدركنا بحق اختلال الميزان العسكري لصالح إسرائيل في مواجهة كل دولة عربية منفردة، أضف إلى ذلك كله حقائق هامة في الميزان العربي الإسرائيلي الراهن:

1- أن معاهدات السلام المصرية والفلسطينية والأردنية- الإسرائيلية أخرجت هذه الأطراف من حساب التوازن العربي ضد الإسرائيلي.

2- أن حرب الخليج الأولى والثانية واحتلال العراق في 2003 قد أضعفت من القوة العسكرية العراقية أضعافاً كبيراً وأخرجت العراق من ساحة التوازن العربي الإسرائيلي فعلياً، وقلل من مخاطر وقوع حرب تقليدية شاملة بين إسرائيل وائتلاف من جيرانها الذين يهاجمونها من الشرق.

(1) حسن حمدان الحكيم، الواقع التعليمي والثقافي في الوطن العربي، صحيفة الاتحاد، 2001/12/15

3- الدول العربية لم تستطع أن تطور صناعة حربية عربية متكاملة، ذلك أن تجربة الهيئة العربية للتصنيع التي بدأت سنة 1974 باشتراك مصر والسعودية وقطر والإمارات، سرعان ما انهارت وتحولت إلى تجربة مصرية وقد أدى ذلك إلى إلغاء بعض المشروعات الطموحة للهيئة<sup>(1)</sup>.

4- جاءت ما تسمى بالثورات العربية لتقضى على البقية الباقية من القوة العسكرية العربية، فتم تدمير الجيش الليبي واليمنى والسورى، على ايدى العصابات التكفيرية المسلحة المدعومه أمريكياً وإسرائيلياً.

### رُجْحَان مِيزَان الْقَوَى لِصَالِحِ إِسْرَائِيلَ، وَفَقاً لِمَا يَلِي:

أ. التفوق التكنولوجي لقدرات إسرائيل التقليدية، وانفرادها بامتلاك الرادع النووي، والسبق في مجال الفضاء، وإدخال النظم المضادة للصواريخ. ولديها قاعدة متقدمة للصناعات العسكرية؛ إضافة إلى ما توفره علاقاتها، من عمق دولي وإقليمي، في مجالات التعاون العسكري، واحتياجات من مخزون عسكري أمريكي.

ب. الخلل في التوازن السياسي، الناجم عن غياب التنسيق العربي، وعجز العرب عن بلورة استجابة لواقع المتغيرات الدولية والإقليمية؛ لتحقيق المصالح القومية العربية، وفي المقابل تستحوذ إسرائيل على معظم الأوراق التفاوضية؛ من خلال استمرار احتلالها للأراضي العربية؛ وقدرتها على اعتماد إستراتيجية مرنة، قادرة على التفاعل مع المتغيرات المعاصرة، وتسخيرها لتحقيق مصالحها وأهدافها.

ج. الخلل في التوازن التكنولوجي والاقتصادي والذي تمخض عنه نجاح إسرائيل في بلورة إستراتيجية واضحة، لبناء قاعدة تكنولوجية متطورة، تتيح لها الميزة التنافسية النسبية، وخطة الإصلاح الاقتصادي، ومد شبكة متميزة، لعلاقتها بالكتلات الاقتصادية العالمية.

وهناك عدد من المتغيرات المختلفة ادت إلى رجحان ميزان القوى في المنطقة لمصلحة إسرائيل، أهمها:

أ- إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية، حليف إسرائيل الإستراتيجي، بقيمة النظام العالمي،

---

(1)عبد الرزاق المصري، الصناعة العسكرية بين الواقع والطموح، شؤون عربية، تموز/ أغسطس 1983، ص 221 / 224.

فترة طويلة مقبلة، حيث أن علاقتهما جاءت بدعم من اللوبي الصهيوني والصهيونية المسيحية. وهما تجتهدان في إثارة مصالحهما على أي صِلة لهما بدول المنطقة.

ب- استحواذ إسرائيل الدائم على معظم أوراق التسوية السلمية؛ واستبعادها من الضغوط الأمريكية، ومحدودية فاعلية الإسهام الأوروبي والصيني في التسوية السياسية، مما يخل بالتوازن الإستراتيجي لمصلحة إسرائيل.

ج- افتقاد الدول العربية الحليف الإستراتيجي، ومحاولة إسرائيل تعزيز علاقاتها بروسيا الاتحادية؛ إذ إن إسرائيل تضم كثيراً من المهاجرين الروس.

د- الرغبة الأمريكية والغربية، في تأسيس نظام أمني إقليمي، قوامه تفوق إسرائيل العسكري، وإغفال امتلاكها الرادع النوعي؛ في ظل قناعة بعقلانية النظام الديمقراطي الإسرائيلي، واحترامه حقوق الإنسان، وتصميمه على مواجهة الإرهاب الديني في المنطقة. في مقابل نظم ديكتاتورية عربية، تستخف بحقوق الإنسان.

هـ- إمعان الولايات المتحدة الأمريكية في محاربة الإرهاب، وتذرع إسرائيل به لإقناع العالم، أن المنظمات الفلسطينية منظمات إرهابية.

و- سعي بعض الدول العربية إلى تطبيع علاقاتها بإسرائيل، وخاصة في المجال الاقتصادي؛ وهو ما يعطي الدولة العبرية القدرة على التحرك؛ على أساس أنها غير معزولة عن العالم العربي.

ز- مثل الهجوم الأمريكي على العراق نقطة تحول إيجابية لصالح إسرائيل؛ إذ حدثت إزالة لتهديد قائم وكامن، مما حسن من ميزان إسرائيل للأمن القومي، واعتبرته إسرائيل بعداً إيجابياً يصب في صالحها وطالبت نقله إلى بقية البلدان العربية، الأمر الذي شهدناه بطرق مغايرة في سوريا وليبيا واليمن<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من كل ما تقدم فإن د حسن نافعه يرى أن حساب ميزان القوى الحقيقي بين طرفين متنازعين، لا يكون بحجم القوة المملوكة لكل طرف، ولكن بحجم القوة الموظفة لخدمة أهداف طرفي الصراع، وبالتالي فإن إسرائيل استطاعت أن توظف من عناصر القوة المستمدة

---

(1) يهوناتان ليس، تننياهو يتمنى استقرار اتفاقية السلام مع مصر، مختارات إسرائيلية يناير/كانون الثاني

من إمكاناتها الذاتية أو من إمكانات حلفائها، أكثر بكثير مما إستطاعه العرب. مع ذلك فإن القوة العربية غير الموظفة في الصراع، تشكل إحتياطيا هائلا يمكن إستغلاله لتعديل ميزان القوة في معادلة الصراع لمصلحة الطرف العربي، حين تتمكن الأمة العربية من إفراز نخب سياسية قادرة على إدارة صراعها مع إسرائيل على نحو رشيد<sup>(1)</sup>.

### أثر ميزان القوى على احتمالات السلام والحرب

يقدم أدب السياسة الخارجية ثلاث نظريات مختلفة تحاول الإجابة علي هذا السؤال، حيث تؤكد النظرية الأولى أن التكافؤ في توزيع القدرات (العسكرية والاقتصادية) بين دولتين من شأنه تحقيق الاستقرار النسبي في العلاقات بينهما، أما النظرية الثانية، فتري أن التوازن في القوى هو موقف غير مستقر، وأن عدم التكافؤ في القدرات هو الذي يحقق الاستقرار ويزيد احتمالات السلام، فالدولة الضعيفة لن تجرؤ على شن الحرب، لأنها تدرك أنها لن تحقق نصراً، كما أن الدولة القوية ليست بحاجة إلى شن الحرب؛ لأنها تستطيع تحقيق أهدافها إزاء الدولة الضعيفة بأدوات أخرى أقل تكلفة. كالضغط الاقتصادي والدبلوماسي. وتقول النظرية الثالثة، إن احتمالات نشوب الحرب بين دولتين، إحداهما قوية والأخرى أقل قوة، تزداد عندما تنمو قوة الأخيرة إلى حد يمكنها من تحدي الدولة الأقوى، خاصة إذا كانت تلك الدولة غير راضية عن حال عدم التوازن<sup>(2)</sup>.

وإذا حاولنا تطبيق النتائج السابقة على الصراع العربي الإسرائيلي نخلص إلى أن انخفاض احتمالات نشوب حروب نظامية مستقبلية بين دول الصراع يزيد من فرص إتمام عملية السلام في المنطقة، وإن كان سلام غير عادل، فالنسبة للأطراف العربية، فإن اختلال الميزان العسكري لصالح إسرائيل جعل من السلام، أو مواصلة الجهود من أجل التوصل اليه، الخيار الوحيد لدى العرب من أجل تخطي المرحلة الراهنة التي تركز مبدأ "يبقى الوضع كما هو عليه"، أما إسرائيل فهي الطرف الأقوى الذي بيده خيوط اللعبة ويتحكم في مساراتها إلى حد بعيد، ولذا فأنها لا تريد إتمام عملية السلام في الوقت الراهن لعدة أسباب:

(1) حسن نافعة، ميزان القوى ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، يونيو 1993 عدد:

242,243 - ص 103

(2) السيد سليم، الوطن العربي وموازين القوى الإقليمية، 22 مارس 2010. مدونة بحوث

[http://bohothe.blogspot.com/2010/03/blog-post\\_8618.html](http://bohothe.blogspot.com/2010/03/blog-post_8618.html)

1- ابقاء الوضع كما هو عليه يخدم مصالح إسرائيل ويعني استمرار اختلال الميزان العسكري لصالحها، وقد كانت إسرائيل تتوقع تغيرات عميقة في الأنظمة السياسية لدول المنطقة؛ بل أنّها مساهمة فعالة في التخطيط لهذه التغيرات، وبالتالي فإنها تفضل التريث بانتظار مناخات أفضل، بل أن نجاحها في إعادة ترتيب المنطقة قد يساعد على تجنب كأس السلام التي تفجرتناقضاتها الداخلية.

2- أن حاجة إسرائيل بعد السلام للأسواق العربية سيحرمها من متعة الانغلاق على ذاتها ما يشكل خطراً على تركيبها الديموغرافية ذلك أن قسماً كبيراً من اليهود الشرقيين يحلم بالعودة إلى البلدان التي أتوا منها.

3- أن السلام سيحرم إسرائيل من قدرتها على التحكم بالتكاثر السكاني الفلسطيني حيث تعتمد حالياً وسائل (منها هدم البيوت ومنع بنائها) لا يمكن اعتمادها بعد السلام.

4- يمكن للسلام أن يعرض الاقتصاد الإسرائيلي لأزمات واختناقات يصعب التعامل معها بعد أن تعودت إسرائيل على اقتصاد المعونات، وهذا يعني دخول إسرائيل في سوق المنافسة وهو دخول قد يولد تناقضات وصراع مصالح بينها وبين بعض كبار الأثرياء اليهود.

5- إسرائيل لا تريد أن تحمل على كاهلها التزامات واتفاقات قد تقيد من حرية حركتها في المستقبل.

6- السلام يحمل مخاطر على مستقبل إسرائيل، ومن شأنه أن يؤدي إلى تفكيكها، ولا يحافظ على نقائها إذ أن سيناريو التسوية الشاملة يعني ممارسة علاقات عادية بين العرب وإسرائيل مما سيزيل معه الإحساس بالخطر الخارجي الذي يعتبر عامل توحد وتمسك لمجتمع يعاني من تناقضات إجتماعية كثيرة

لكل ما تقدم فإن إسرائيل سوف تماطل كثيراً أثناء مباحثات السلام، في ضوء الخلل في موازين القوى لصالحها. وبالتالي فليس هناك ما يمنع إسرائيل من الإصرار على تسوية بشروطها الخالصة، ولكن هناك مجموعة عوامل ستدفع إسرائيل إلى إتمام عملية السلام في المستقبل بعد الكثير من المماطلة، وتتلخص في:

- إصرار الطرف العربي على إتمام عملية السلام.
- الضغوط الداخلية والحركات والتيارات الفكرية التي تطالب إسرائيل باتمام عملية السلام.

- الضغوط الدولية ووساطات الدول الكبرى التي تسعى لإتمام عملية السلام في المنطقة حفاظاً على مصالحها الاستراتيجية داخل المنطقة.
- الإجماع الدولي على ضرورة التوصل إلى تسوية للمشكلة الفلسطينية؛ تمهيداً لتحقيق الاستقرار في المنطقة؛ واضطرار إسرائيل إلى مراعاة هذا البُعد العالمي.
- الضغوط التي ستفرضها حركات المقاومة الفلسطينية والعربية على إسرائيل ستجبرها على البحث عن حلول سياسية تبادلية لتداعيات اخطر على إسرائيل.
- وجود الشعب الفلسطيني على أرضه المحتلة؛ وتصميمه على نيل حقوقه، وإنشاء دولته المستقلة، وقدرته على تهديد أمن إسرائيل، في حالة استمرار تعنتها.
- إمعان الشعب الفلسطيني في نضاله، أكثر من نصف قرن، من دون يأس؛ وامتلاكه القدرة على الاستمرار، مستقبلاً، في حالة عدم التوصل إلى تسوية عادلة.

### جدلية المقاومة التسوية، دروس الخبرة العملية

في صراع مصري كالصراع العربي الإسرائيلي تكتسب الأسئلة حول الطرق المثلى لإدارته أهمية فائقة، وبالذات إذا كان كلاً من منهجي المقاومة والتسوية يبدو مأزوماً، ويشتد الجدل في الآونة الراهنة، حول نهجي التسوية والمقاومة، خاصة وقد انفرط عقد الفصيلين الرئيسيين في فلسطين جغرافياً وسياسياً بسيطرة حماس المتبنية خيار المقاومة على قطاع غزة وعماد برنامجها هو تحرير الأراضي كافة عبر الكفاح المسلح، وسيطرة فتح التي تتبنى قيادتها خيار التسوية على الضفة الغربية، وقوام برنامجها الاعتراف بالدولة العبرية، وحل القضية الفلسطينية عبر المفاوضات، ونزع سلاح فصائل المقاومة.

وباستحضار التجارب التاريخية، يمكن القول وكقانون عام، إن التناقض بين المشروع الاستعماري والوطنيين يكون واضحاً منذ بدايته فيؤدي إلى إرهابات لمقاومة وطنية عفوية للاستعمار، ويؤدي هذا المسار المستمر والمتصاعد إلى آلية أكيدة لتآكل المشروعات الاستعمارية وحدثت تغيرات سياسية في معسكرها تدفعها للتكيف مع حركات التحرر الوطني والتسليم بمطلبها في الاستقلال، وهنا يمكن ملاحظة الآتي:

1- أن الخيار بين النضال السلمي والكفاح المسلح، يقاس بالعائد الذي سيحققه لأهداف

التحرر الوطني. كما أن الانتقال من أسلوب لآخر من أساليب النضال يحدث عندما يدرك المناضلون جدوى هذا الانتقال<sup>(1)</sup>.

2- في مجال المفاضلة بين النضال السلمي والكفاح المسلح تبدو حجة التحسب لردود الفعل العنيفة من جانب السلطات الاستعمارية حجة واهية، إذ تظهر الخبرات أن السلطات قد عاملت كلاً من النضال السلمي والكفاح المسلح بنفس العنف.

3- الثابت في كل زمان ومكان أن عنف المحتلين والغزاة، وكل المستبدين والظغاة، كان دائماً مولدًا عنفوانًا مقاومًا، يؤدي إلى اعتراف الغزاه بحقوق الشعوب في النهاية، والشيء المؤكد أن تعاضم العنف الصهيوني سوف يعمل على توسيع إطار المقاومة ويسهم في تطور عملياتها<sup>(2)</sup>.

4- أن الجدل النظري حول الخيار بين النضال السلمي والكفاح المسلح يظهر أن الخبرات العملية تشير إلى المزاوجة بين الخيارين، فهناك من هذه الحركات ما نجح في انتزاع الاستقلال انتزاعاً بقوة السلاح، كالتجربة الفيتنامية والجزائرية واليمنية والأنجولية، وهناك من حركات التحرر الوطني ما حصل على الاستقلال السياسي من خلال تسوية تتضمن حلولاً وسطاً (زيمبابوي وناميبيا وجنوب أفريقيا).

5- إن حركات التحرر الوطني تتعرض بدورها للتآكل ولخسائر مادية وبشرية رهيبة، ولانقسامات في صفوفها في بعض الأحيان، ولتناقض أو توقف مصادر الدعم الخارجي في ظروف معينة، وهنا يثور الجدل داخلها بقوة حول جدوى القبول بالتفاوض، وقد يؤدي هذا الجدل إلى مزيد من الانقسام كما يطمح العدو<sup>(3)</sup>.

6- لا يتناقض تطبيق إستراتيجية الردع مع استمرار مسار التسوية السلمية بشكل عام، وعلى الأدق استمرار التفاوض الذي يجري على خلفية التسلح، حيث التفاوض مستمر لا ينتهي

---

(1) أحمد يوسف أحمد، ستون عاماً من الصراع العربي-الإسرائيلي: جدلية المقاومة والتسوية، مجلة السياسة الدولية، ع 172 أبريل/نيسان 2008-

[http://www.ahmadyoussef.com/Admin/Researches/78\\_60%2520years%2520conflict.doc&prev=search](http://www.ahmadyoussef.com/Admin/Researches/78_60%2520years%2520conflict.doc&prev=search)

(2) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني، محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، 2003/12/8

(3) أحمد يوسف ستون عاماً من الصراع العربي-الإسرائيلي: جدلية المقاومة والتسوية، أحمد يوسف

رغم انقطاعات مؤقتة يطول أمدها أو يقصر، وحيث الاستعداد العسكري مستمر أيضاً<sup>(1)</sup>.

وبمقارنة تجارب حركات التحرر الوطني المعاصرة بتجربة حركة المقاومة الفلسطينية، يمكن استخلاص عدد من الدروس والخبرات والتي تشير إلى:

- 1- أن الصراع العربي-الإسرائيلي سار وفقاً لنموذج حركات التحرر الوطني، وقد بدأ النضال التحرري الفلسطيني كرد فعل لتبلور المشروع الصهيوني على فلسطين منذ القرن الماضي وحتى الآن. ويلاحظ أن كافة الإنجازات التي حققها العرب حتى الآن على صعيد الصراع، تحققت بفضل المقاومة وحدها، فلم يكن ممكناً أن تقبل إسرائيل الانسحاب من شبه جزيرة سيناء، ولبنان وغزة لولا جهود المقاومة، ولم يكن ممكناً تحول السياسة الإسرائيلية وقبول فكرة إنشاء دولة فلسطين، إلا ثمرة من ثمار المقاومة.
- 2- أن الصراع العربي-الإسرائيلي قد دخل أيضاً مسار التسوية في لحظة انكسار (هزيمة يونيو 1967) ولذلك ظل نموذج التسوية مع إسرائيل يشير إلى خلل بنيوي في ميزان القوى العربي-الإسرائيلي، وهذا يعني أن الخلل في ميزان القوى ما زال قيداً على إمكان التوصل إلى تسوية شاملة ومتوازنة في الصراع.
- 3- إن المقاومة العربية في الصراع مع إسرائيل تواجه صعوبات على كافة الأصعدة العالمية والإقليمية. حيث تحول النظام العربي الرسمي من المبادرة بتأسيسها وتبنيها، إلى المشاركة في حصارها كما هو الحال مع حماس، حتى وصلنا إلى تصنيف عدد من الدول العربية حزب الله كحركة إرهابية<sup>(2)</sup>.
- 4- فلسطينياً وقعت المقاومة في الشرك الذي نصبته لها إتفاقيات أوسلو، بقبولها فكرة تأسيس سلطة في ظل الاحتلال، فتم تحييد حركة فتح التي تحولت من قوة مقاومة إلى شرطة محلية تقف بين إسرائيل وبين الشعب الفلسطيني، ثم انضمت حماس وابتلعت طعم السلطة الذي يتناقض مع منطق حركات التحرر الوطني، وهكذا تراجع الأداء المقاوم لحماس، وزادت الأمور سوءاً بالحصار الذي فرض عليها.
- 5- فكرياً تواجه ثقافة المقاومة بأنصار "ثقافة الخنوع" الذين لا يفتأون يؤكدون على أن طريقها مسدود، وأنها بأعمالها غير الناضجة لا تتسبب إلا في مزيد من العنف الذي

---

(1) محمد عبد الشفيق عيسى، العرب وإسرائيل: ميزان القوى ومستقبل المواجهة (عرض)، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، 2001، ص 105

(2) ستون عاماً من الصراع العربي-الإسرائيلي: جدلية المقاومة والتسوية.

تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني. وهذا المنطق مردود أولاً: لأن النهج البديل (أي التسوية) عقيم، وثانياً: لأن تاريخ المشروع الصهيوني على أرض فلسطين يشير إلى أن العنف المفرط سمة من سمات الاستعمار.

6- في هذا السياق، يمكن أن نتفهم اضطراب حركات التحرير أحياناً، للولوج في دائرة البحث عن تسويات وحلول سياسية في كفاها من أجل الحرية والاستقلال، على اعتبار أن ذلك تطوراً يجري في سياقه التاريخي، ونتيجة لأوضاع طارئة ومناخات اختمر ونضج في ظلها حل سياسي معين<sup>(1)</sup>.

7- يرى البعض أن أصحاب الأرض الأصليين يستطيعون تفكيك ومقاطعة وعزل دولة الاحتلال، بكل أشكال المقاومة حتى يرجح ميزان القوى لصالحه في لحظة زمنية قد تأتي في المدى المنظور أو البعيد. وعدم الاعتراف بشرعية دولة الاحتلال، هو ورقة المقاومة الممكنة في كل زمان، حتى في زمن الضعف، لأنَّ النقطة المركزية في ضعف دولة الاحتلال، في عدم حصولها على الشرعية من أبناء الأرض الأصليين<sup>(2)</sup>.

وهكذا تبدو معضلة المقاومة/التسوية في الوضع العربي في سياق الصراع مع إسرائيل، فالتسوية مستحيلة لأن ثمة خللاً بنيوياً في ميزان القوى العربي-الإسرائيلي يجعل دولة الاحتلال في غير عجلة من أمرها لإنجاز تسوية، والمقاومة تواجه صعوبات هائلة<sup>(3)</sup>، وهكذا فإن الحاضر يفيد بأن الفلسطينيين من دون خيارات وبدائل على الرغم من ازدياد حديثهم عن الخيارات والبدائل، حيث يهددون بحل السلطة حيناً، وبالمصالحة حيناً، وبالمقاومة الشعبية حيناً، وبسحب الاعتراف بإسرائيل حيناً، دون بناء أي خيار بشكل جدي. فالبديل عن خيار المفاوضات كأسلوب وحيد، وخيار المقاومة المسلحة كأسلوب وحيد، وعن خيار بقاء جذوة الصراع مستعرة لحين استيقاظ المارد العربي أو الأممي أو الإسلامي ليس مسألة نظرية أو معرفية فحسب، وإنما عملية تاريخية يتم فيها بناء البديل خطوة وراء خطوة، وجمع أوراق القوة والضغط وصيها في مجرى واحد قادر على دحر الاحتلال، وإنجاز الحرية والاستقلال<sup>(4)</sup>.

---

(1) تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964م-2006، حمزة عبد الحميد الصمادي، ص 179

(2) العودة إلى أي دولة في فلسطين؟- عز الدين المناصرة-0-4-2018 - الميادين -

<http://www.almayadeen.net/butterfly-effect/869923/>

(3) ستون عاماً من الصراع العربي-الإسرائيلي: جدلية المقاومة والتسوية، مصدر سابق

(4) قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، نبيل قسيس، ص 38/37

## المبحث الرابع: مسارات الصراع ومآلاته

يكشف لنا تاريخ الصراع العربي-الصهيوني خلال قرن من الزمان، أن البعد السياسي (موازن القوى) هو العامل الحاسم في تحديد مستقبل الصراع<sup>(1)</sup>، وهذا يعني أن المسار المستقبلي للصراع العربي الإسرائيلي لن يكون إلا انعكاساً لموازن القوى المحتملة والممكنة والمأمولة، التي هي أساساً محصلة للتقابل بين القوة الإسرائيلية والقوة العربية، وهذا يعني أن المستقبل يحمل في طياته احتمالات مختلفة تتوقف على طبيعة ودرجة التحولات في داخل طرفي الصراع سواء إسرائيل أو العرب ككل، أو داخل كل دولة عربية على حدة، وفي إطار بيئة إقليمية ودولية معينة<sup>(2)</sup>.

وتبعاً للتصورات التي سيطرت على الفكر والسياسية في الشرق الأوسط لسنوات طويلة، فإن الصراع العربي الإسرائيلي يمثل أحد النماذج المتكاملة للصراع الاجتماعي الممتد، وبكونه ذو طبيعة هيكلية ولعب فيه ميزان القوى دوراً مهماً على أساس أنه صراع مركزي وجوذي وإحلاي، وقد تم التعبير عن ذلك عملياً عبر تطور الصراع بأشكال مختلفة، فقد استندت الرؤية العربية الرسمية له خلال الخمسينات والستينات على أنه "صراع وجود وليس صراع حدود"<sup>(3)</sup>، وأنه لا يمكن حله إلا بإخفاء أحد أطرافه، ومن هنا ظهر شعار (رمي إسرائيل في البحر، ولا يزال هذا التوجه يجد تعبيراته وأبعدها في برامج وتحركات بعض القوى السياسية المسلحة على الساحة العربية. كما حمل التصور الإسرائيلي لإدارة الصراع بعض جوانب هذه الرؤية على نحو إفرز تصورات فرعية على غرار "الترانسفير للفلسطينيين"، أو "الخيار شمسون" في إطار الاستراتيجية النووية، وتشير برامج تيارات اليمين القومي والديني في إسرائيل، إلى وجود توجهات مماثلة،

---

(1) الدولة الفلسطينية: الممكن والمحتمل والمأمول.

<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/04/201243071014146592.html>

(2) جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 198

(3) طارق فهي، عد التحولات في المشهد العربي: مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي- الأحد 28/يونيو/2015، المركز العربي للبحوث والدراسات-

<http://www.acrseg.org/39141>

فالصراع غير قابل للحل بناء على هذه التوجهات، التي تؤدي إلى جمود عمليات السلام والعودة إلى إدارة الصراع مرة أخرى.

وفي ظل ميزان القوى الحالي والمتوقع، ثمة تصورات لمآل الصراع العربي الإسرائيلي، حيث ينتقي د. جمال زهران دراستان ويعرضهما، واحده لكمال الأسطل: "مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتدويب" تقوم على المقاربة بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية وتنتهي إلى توقع استئصال دولة إسرائيل، والأخرى لأسامة الغزالي حرب "مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي"، حيث يربطه بمحددات ثلاثة: تطور القوة الذاتية لكل من طرفي الصراع، درجة استجابة كل منهما للتحدي الذي يمثله الطرف الآخر، نوعية ودرجة التأثير الذي تمارسه البيئة الإقليمية والدولية على مجريات الصراع، وهنا تبدو التسوية حاضرة دوماً، لكن يحدد مضمونها ميزان القوى

ونظراً إلى تفوق إسرائيل يصعب بحسب زهران التفكير في سيناريو بديل يغير كثيراً في طبيعة الواقع الحالي، لكن الأمل يبقى في تصور قد يساهم في تغيير نمط الصراع العربي الإسرائيلي يعتمد على تبدلات جذرية في النظام الدولي والتفكير العربي بانتهاج الخيار النووي والاتجاه إلى التنسيق الفاعل، ما يقود إما إلى تسويات عادلة ودائمة للصراع، وإما إلى حرب جديدة قد تحسم لمصلحة العرب<sup>(1)</sup>. ومن ناحية أخرى يمكن النظر للصراع انطلاقاً من توجهات الفاعلين في الجانب العربي، حيث يمكن التمييز بين مسارين للصراع في اتجاهين متباينين، سياسي وفكري، سيكون مستقبل الكيان الصهيوني رهناً بالتبيين والتنفيذ الناجح لكل منهما.

المسار الأول: مسار "التعديل" و"التمكين" الذي حملت لواءه مصر ودول الخليج "تعديل" المقاومة، وأي نوع من أنواع "الانتفاضة"، و"تمكين" الفلسطينيين في مقابل الحد الأدنى من الامتيازات الممنوحة من قبل أميركا وإسرائيل، ويتلخص المنطق الأصلي لهذا المسار الفكري في إنهاء "التضاد"، والحصول والاقتران بالحد الأدنى من الامتيازات. وإذا أردنا تقييم مستقبل الكيان الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط استناداً إلى هذه الرؤية، ينبغي لنا أن نتصور ملامح مشروع شامل، يتطلع فضلاً عن التمكين في مقابل استراتيجية اتساع النفوذ للإسرائيليين- لأن يتخذ مبدأ التعايش السلمي، مفهومه وإطاره في المستقبل.

(1) جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي الإسرائيلي.

المسار الثاني: مسار ونهج المقاومة والتي حملت لواءه سوريا وفصائل المقاومه الفلسطينية واللبنانية، وهذا المسار والنهج يمثل العقبة أمام نزعة التسلط الصهيونية. فنهج المقاومة هو الذي لا يرى في المطالب الفلسطينية مجرد "امتياز" ويصر على استرجاع "الحق" الضائع. وبناءً على ذلك، فإن معضلة الصهاينة الأساسية في المستقبل تكمن في المواجهة مع مسار المقاومة ونهجها<sup>(1)</sup>، وإن كان هذا النهج تلقى ضربه موجعة بسبب أحداث الربيع العربي ومأزق حركات المقاومه الفلسطينية والعربية.

## الصراع العربي الإسرائيلي وسيناريوهات المستقبل

في مقابل حشد من القوى العاتية والتآمر الدولي على فلسطين، وقف الشعب الفلسطيني يقاوم المؤامرة بما أوتي من وسائل، وكان لموقفه الراض للؤامرة على مر السنين ما حوّل فرصته الضئيلة جداً في الحفاظ على حقوقه إلى فرصة حقيقية، واستطاع زعزعة مسار تسخير كل الأرض الفلسطينية كأرض للدولة اليهودية وتفريغها من سكانها، وشق مسار آخر تطوّر بشكل بطيء جداً، ولكن بثبات نسبي، نحو ممارسة حقه في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة على جزء من أرضه. وحصل تطور بطيء ولكنه أصبح ملموساً في مجال اعتراف المجتمع الدولي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة<sup>(2)</sup>.

فبعد نكبة 1948 بدأ الشعب الفلسطيني، رحلة المشوار الطويل، لإستعادة هويته الوطنية التي سُلبت منه عنوة، وكلما راهن على حدث معين للعودة إلى فلسطين، كانت الرياح تجري عكس الأماني، فتزداد خيبة هذا الشعب المشرد من أرضه، وتتحطم أحلامه في العودة إلى دياره التي طُرد منها، فسلسلة الحروب الإسرائيلية العربية المتلاحقة في الأعوام 1948، 1956، 1967، 1973، لم تحقق للفلسطينيين ما يصبون إليه، وما فشلت الحروب العربية الإسرائيلية المتتالية في تحقيقه، عجزت بدورها الأمم المتحدة عن التوصل إليه، فجميع القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية ذهبت كلها أدراج الرياح؛ لأن إسرائيل لم تحترم أيّاً منها.

وبعد حرب الخليج الثانية عام 1990، تكون ما عرف بالنظام الدولي الجديد بزعامة

---

(1) أبو القاسم قاسم زاده، آفاق المشروع الصهيوني في الشرق الأوسط، مؤتمر "كلمة سواء" الخامس، الذي انعقد من 23 إلى 2000/11/25، في أوتيل الماروبت والجلسة الختامية في المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى-

[http://imamsadr.net/Publication/publication\\_info.php?ID=34](http://imamsadr.net/Publication/publication_info.php?ID=34)

(2) نبيل قسيس، قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، ص 129

منفردة للولايات المتحدة الأمريكية، حيث ظن الكثيرون بأن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني قد بدأ يتحلل سياسياً وسلمياً في عام 1993، عندما وُقعت إتفاقيات أوسلو ومديرد بين الفريقين الإسرائيلي والفلسطيني، والتي تشكلت بموجها السلطة الفلسطينية والتي تأمل الجميع بأن تتحول يوماً ما إلى دولة فلسطينية مستقلة بجانب دولة إسرائيل. إلا أن الأمور أخذت بالتدهور رويداً رويداً، فميزان القوى غير المتوازن، والمائل لإسرائيل أدى إلى مفاوضات عقيمة لم ينتج عنها شيء، مما قضى على الآمال الكبيرة التي علقها الفلسطينيون على عملية السلام، وأظهر بوضوح أن الإسرائيليين لا يزالون غير مستعدين للسلام، وهذا جعل الشعب الفلسطيني ينتفض بشكل لم يسبق له مثيل<sup>(1)</sup>، ولكن كالعادة تم الالتفاف على نضاله بسبب الضعف العربي والانقسام الفلسطيني والانحياز الأمريكي.

## الحلول المتصورة للصراع العربي الإسرائيلي

نتحصر اليوم الحلول المتصورة للصراع العربي الإسرائيلي في خيارات ثلاثة:

أولاً: خيار المصادمة: من خلال حرب عسكرية نظامية شاملة، وهذا غير ممكن في ظل اختلال ميزان القوة العسكرية، وامتلاك الدولة الصهيونية ترسانة نووية، فثمن هزيمة إسرائيل هزيمة ماحقة -على افتراض إمكانه عمليا- سيؤدي إلى نشوب حرب نووية، وهو ما سيجعل ثمن تحرير فلسطين أكبر مما يمكن القبول به، فلا أحد يريد تحرير القدس أو حيفا بتدمير القاهرة أو دمشق أو طهران أو إسطنبول<sup>(2)</sup>.

وهذا الخيار للحل يعتبر خياراً او سيناريو متشائم، يقوم على افتراض عدم التمكن من حل قضية فلسطين بشكل نهائى في الأمد القصير وربما أيضا في المدى المتوسط، وبالتالي فالوعد الذى تنطوى عليه خطة خريطة الطريق- وإقامة دولة فلسطينية- ليس قابلاً للتحقق في هذا الأمد، وذلك بسبب التعنت الإسرائيلى، وما تقوم به من تسويق ومماطلة واعتداءات متكررة، مما يؤدي إلى تفاقم العنف وتعقيد حل القضية<sup>(3)</sup>. ومن ضمن احتمالات هذا السيناريو وصول

---

(1) إدوار صيحا، مستقبل النزاع العربي الاسرائيلي في ضوء المستجدات الأخيرة على الساحة الفلسطينية، مجلة الدفاع الوطنى اللبناني، ع 43- يناير/كانون الثاني 2003

(2) محمد ولد المختار الشنفيطي، لا تنقذوا مستقبل إسرائيل، الجزيرة نت، 26-9-2011

(3) مستقبل القضية الفلسطينية.. ومتطلبات نجاح دولة فلسطينية، علاء عبدالحفيظ محمد محمد، قضايا مستقبلية، ع 7، فبراير/شباط 2008، ص7

المتدينين من الطرفين إلى الحكم وسعى كل منهما إلى الوصول بالصراع إلى النهاية التي يؤمن بها، من خلال حل ديني ينتصر فيه أحد الطرفين نصرًا ناجزًا ونهائيًا، بحيث يجبر الطرف الآخر على الاستسلام الكلي، حيث ينتصر الخير على الشر ولا تقوم له بعد ذلك قائمة، بمعنى آخر فإننا نشير إلى "هرمجيدون" ونهاية العالم، فإذا قدر للنبوءة التوراتية أن تفودنا إلى نهاية العالم، فإننا نود أن نذكر اليهود أيضا بأن للعرب والمسلمين نسختهم الخاصة بهم من "هرمجيدون" ونهاية العالم<sup>(1)</sup>.

ثانياً: خيار الاستنزاف من خلال حركة مقاومة شعبية صبورة: وهذا كان ممكناً في الماضي لما كانت روح حركات التحرر في عنفوانها منتصف القرن العشرين، وكانت الحاضنة الإقليمية والدولية مواتية، لكن تواطؤ بعض الحكام، وضعف آخرين، حال دون نجاح هذا الخيار في حينه، ولا يزال هذا الخيار مفيداً إذا جاء ضمن إستراتيجية رحبة تشمل عناصر أخرى. فحروب الاستنزاف هي سلاح الضعيف عسكرياً، ووسيلته في إضعاف ثقة القوي بنفسه وإزعاجه حتى يقبل التنازل، ولكن في ظل حالة الضعف العربي التام والتي وصلت بالدول العربية إلى تصنيف حركات المقاومة، كحركات إرهابية، وأيضاً فإن إنقسام هذه الحركات وتعدد برامجها وارتباطاتها الإقليمية والدولية، أضعف من قوتها وقناعة الناس بها. وفي ظل هذا الخيار من الممكن أن تستمر الحروب بين الفلسطينيين ويهود إسرائيل إلى أن تُتاح ظروف محلية وإقليمية ودولية تمكّن أحد الطرفين من استئصال الآخر كلياً من فلسطين، وبذلك استمرار الصراع لعدة أجيال قادمة<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: خيار التسوية السلمية: وسنتحدث عنه بالتفصيل في الفصول القادمة؟. وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع ما احتوته مشاريع التسوية من أفكار، فإن الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية نشأت كنتيجة لحل الخلافات بالوسائل العسكرية (الحرب)<sup>(3)</sup>. وتظل المفاوضات إحدى البدائل القائمة عملياً للتخلص من حالات التوتر والصراع بشكل عام، وهي كذلك في فلسطين، رغم أن المشروع الإسرائيلي هو مشروع كولونيالي، لا يمكن أن يخضع إلا لمعادلة توازن القوى<sup>(4)</sup>.

(1) نعم دونالد ترمب: لا لحل الدولتين <http://raialyoum.com/?p=623693>

(2) غانية ملحيس، المشروع الوطني التحرري الفلسطيني المأمول، السفير العربي- 2016-5-12

<http://arabi.assafir.com/Article/4939>

(3) صالح بيجي الشاعري، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006 م، ص 27

(4) زبير قدوري سلطان، السلام في المشروع الصهيوني، منشورات اتحاد الكتاب العربي- دمشق، 2001 م، ص 38

حيث أن الدولة العبرية تعتمد على قوتها العسكرية والدعم الأمريكي لفرض برنامجها للتسوية، وذلك عن طريق دفع الفلسطينيين نحو "تقديم المزيد من التنازلات من جانب واحد دون مقابل، بحيث تشكل في مجملها قاعدة لتنازلات جديدة أثناء المفاوضات<sup>(1)</sup>.

والتطورات التي شهدتها مسار التسوية السلمية منذ انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في 1991، وتحت مظلة النظام الدولي الجديد وبرعايته، إنما تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ولوج هذا الصراع مرحلة جديدة غير مسبوقه<sup>(2)</sup>، باتجاه إقرار تسوية لقضاياها المعلقة، وبما يحقق إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، ومحاولة انشاء نظام شرق أوسط جديد<sup>(3)</sup>، تستند إقامته إلى افتراض إمكانية دمج دول المنطقة في إطار تكتل إقليمي يرتبط إيدولوجيا بالمعسكر الغربي واستراتيجياته، وتتمحور هويته على أساس من الانتماء الجغرافي المشترك<sup>(4)</sup>، وهذا الخيار للحل يعبر عن خيار أو سيناريو متفائل: يقوم على إمكانية التوصل إلى حل قريب للقضية الفلسطينية. ويؤكد على أهمية الدور الخارجي خاصة الأمريكي في حل القضية.

### احتمالات المستقبل في ضوء مستجدات ومتغيرات الصراع

تبدو القضية الفلسطينية محيرة في تصور مسارها المستقبلي في السنوات القادمة، والسيناريوهات المحتملة لتطورها. فكثيراً ما تأثرت هذه السيناريوهات بحال واضعها ومدى تفاؤلهم أو تشاؤمهم لحظة بناء السيناريو. وكثيراً ما اختلطت بعض السيناريوهات بما يتمناه المرء أو يفضله، نتيجة لتعلقها بترتيبات انتقالية يمكن للطرفين إبداء مرونة بشأنها، ولكن عندما تم الدخول في المفاوضات حول الوضع النهائي وأثيرت القضايا الخلافية الكبرى تبين أن

---

(1) حمزة الصمادي، الغورباتشوفية والمجلس الوطني على مفترق طرق، مجلة النشرة الاستراتيجية، مج 1 ع 6.

منشورات مركز القدس للدراسات، القدس، 1991، ص 5

(2) حول مزيد من التفصيلات عن المشروعات السابقة للتسوية للراع العربي الإسرائيلي، انظر "مشاريع السلام والحلول السياسية 1967-1988، مجلة البيادر السياسي عدد 292 في 12/3/1998 ص. 33-36، ونفس المجلة عدد 288 في 13/2/1988. المبادرات السلمية من عام 1978-1988" ط وكذلك نبيل خليغه، كيف تطورت فكرة المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط 1967-1987 (ص22-62).

(3) منير بدوي، مشروع السوق الشرق الوسطية، ورقة نقاش أولية، مركز الدراسات الحضارية- القاهرة، يونيو 1993

(4) منير محمود بدوي، تداعيات النظام الدولي الجديد على مسار تسوية الصراع العربي الإسرائيلي، مجلة "دراسات مستقبلية، ع2، يناير/ 1997، مركز دراسات المستقبل -جامعة اسويط - ج.م.ع

الوصول إلى حل وسط ليس سهلاً؛ لأن الخلاف ليس فقط سياسياً وإستراتيجياً بل هو أيضاً ثقافي ينطوي على تناقض عقائدي وقيمي، وهذه هي سمة الصراعات الاجتماعية الممتدة<sup>(1)</sup>.

وهنا نجد أنه من الضروري رصد، أهم سيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي المتصورة والحجج والمفاهيم الحاكمة التي نستند إليها<sup>(2)</sup>، والتي تتضمن الأحداث المقبولة والممكنة، التي توافق الرصد المستقبلي، أو من المنطقي توقع حدوثها، ويتوقف معناها الحقيقي على توجهات جهود التخطيط، ومدى رؤيتها المستقبلية، وتوقعاتها للأحداث والأزمات المستقبلية، وانطلاقاً من الواقع الحالي الذي تراجعت فيه عملية التسوية، ودفع البعض إلى فقدان الأمل في تسوية سياسية قريبة، وهنا يمكن تصور عدد من السيناريوهات المستقبلية:

1-سيناريو إدارة الصراع: بالنظر لأجندة حزب الليكود، الذي أثبت أنه يولي أهمية كبيرة للقوة العسكرية في التعامل مع الفلسطينيين ويعتبر أن الأولويات لدولة الكيان الإسرائيلي هو الخطر الإيراني ويتجاهل عن عمد القضية الفلسطينية<sup>(3)</sup>، فأن إسرائيل ماضية في تنفيذ سياستها في عرقلة العملية السلمية في المنطقة، وأن ما تقوم به لا يخرج عن كونه مسألة إدارة الصراع وليس حل الصراع، وإبقاء مسألة المفاوضات هدفاً في حد ذاتها دون أي إمكانية للوصول إلى حلول سياسية في المنطقة، وفي نفس الوقت سوف تستمر في فرض إرادتها على العرب وخلق وقائع جديدة على الأرض مستغلة الأجواء العربية المضطربة والغير مستقره الراهنة، والتي لا تزال غير واضحة ولم تستعد بعد وتوجيه الأولويات العربية – العربية لقضايا أخرى تضع الصراع العربي الإسرائيلي في درجة تالية. أيضاً استغلال انشغال الفلسطينيين في انقساماتهم وانشغال الدول العربية في شؤونها الداخلية عقب أحداث الربيع العربي، وستعمل إسرائيل على تعزيز قوتها الذاتية خاصة في المجالات العسكرية لتثبيت نظرية الأمن القومي الإسرائيلي بالقوة ومجاهة الضغوط الدولية<sup>(4)</sup>.

---

(1) علاء عبدالحفيظ محمد محمد، مستقبل القضية الفلسطينية.. ومتطلبات نجاح دولة فلسطينية، قضايا مستقبلية، ع 7- فبراير/ شباط 2008، ص4

(2) حسن محمد وجيه، سيناريوهات الحرب والسلام: مهارات التفاوض ودبلوماسية بناء القوة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، 2007، ص133-135

(3) عايش أحمد يوسف قاسم، الصراع الديموغرافي الفلسطيني الإسرائيلي 2000-2030، غزة 2012 ص166

(4) نظام بركات، مستقبل التسوية السياسية في ظل التغيرات الجارية في إسرائيل، مجلة دراسات شرق أوسطية – 2015، ع73

فموازنين القوى العسكرية والسياسية لا تعمل لصالح القضية الفلسطينية، وبالتالي فإن إدارة الصراع ستستمر في ظل الاتفاق على ضرورة بقاء الكيان التفاوضي الراهن في موقعه مع عدم السماح بتقديم أية تنازلات في ظل واقع عربي يشير إلى أن المشروع الإسرائيلي تتم مراجعته الآن، وأنه يعاني من أزمات حقيقية وأن إسرائيل لن تجرؤ على توقيع إتفاق سلام في هذا التوقيت<sup>(1)</sup>. وهذا يعني أن موازين القوى لا تسمح للدولة الفلسطينية بالتحقق الفعلي، وبدلاً منها ستعمل إسرائيل على حل المشكلة على حساب دول الجوار واستيعاب للاجئين الفلسطينيين في الدول العربية المضيفة، ولكن إفشال هذا المشروع الصهيوني مرهون بمدى التغيير في السياسة العربية ومدى العمل الاستباقي العربي، وهو أمر لا تشجع البنية العربية على انتظار حدوثه<sup>(2)</sup>.

2-سيناريو تسوية بضغط دولي: إن الإنجازات التي حققتها الدبلوماسية الفلسطينية والتي توجت بقبول فلسطين عضواً مراقباً في هيئة الأمم المتحدة، وبدعم 138 دولة، يعني النجاح الباهر للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره، وما تسببه من إحراج للمواقف الأمريكية الداعمة للكيان الإسرائيلي، وسوف تدفع مجمل هذه التغيرات إلى ارتفاع أصوات في دول العالم - وتحديدأً دول أوروبا- تدعو للمضي في عملية تسوية سلمية لتجنب استمرار الصراع، وفي الكيان الإسرائيلي ستتشكل قوى تدعو إلى الانسحاب من دولة فلسطين للتخلص من الهاجس الأمني المصحوب بالهاجس الديموغرافي.

ويفترض هذا السيناريو التوصل إلى واقع عربي إسرائيلي جديد على مراحل يقر فيها بواقع فلسطيني مضغوط، ويقوم على إقرار خريطة سياسية وديموغرافية جديدة، وحصول إسرائيل على 70% من الأراضي والموارد وحصر الجانب الفلسطيني في الجزء المتبقي من الأراضي غير المتصلة ببعضها، ليحول ذلك دون التواصل الجغرافي أو الاجتماعي لتشكيل كيان سياسي، لمشروع تسوية شبه نهائية، وسيحتاج لضغط أمريكي وإسرائيلي وتنازلات فلسطينية من السلطة مع قبول مستتر من تنظيمات المقاومة، واكتفائها بدور في القطاع، والتأكيد على عدم التزامها بنتاج أي تفاوض.

---

(1) طارق فهمي، مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، المركز العربي للبحوث والدراسات- الأحد 28/يونيو/2015، 12:17 م

(2) وليد عبد الحي، الدولة الفلسطينية: الممكن والمحتمل والمأمول، الأربعاء، 16 مايو/ أيار 2012 - مركز الجزيرة للدراسات-

3-السيناريو المحتمل (الفصل العنصرى): السيناريو الأكثر احتمالاً في المستقبل القريب، يشير إلى أن إسرائيل سوف تتجنب ضم المناطق المحتلة لها (باستثناء الضم غير القانوني لما يتبقى من المستوطنات اليهودية)، مما سيساعدها على التعامل مع الفلسطينيين عسكرياً في الغالب باعتبارهم أمة جارة، وبذلك يتم تجاوز الحاجة لإشراكهم في السلطة والموارد. وقد يتضمن هذا السيناريو بعض الانسحابات الإسرائيلية المستقبلية من بعض المناطق في الضفة الغربية، على النحو الذي حدث في قطاع غزة، بهدف تحسين قدرة إسرائيل في السيطرة على الفلسطينيين في أماكن تجمعاتهم السكانية، وقد تتحول السلطة الفلسطينية إلى دولة انتقالية ولكنها ستمارس سلطات محدودة فقط في أجزاء متفرقة من المناطق التي ستحتفظ إسرائيل بسيطرتها عليها، وستظل أراضي فلسطين مفتوحة للهجرة والاستيطان اليهودي، ولكنها ستكون مغلقة أمام العرب الذين سيظلون محصورين في جيوب إقامتهم التقليدية بفعل القوة العسكرية والجدار العازل الجديد.

وقد تؤدي هذه المجموعة من السياسات والتنظيمات إلى تسريع "النقل الهادئ" للفلسطينيين الذين يقيمون في جيوب معزولة إلى المدن والبلدات الفلسطينية الأكبر، وبكلمات أخرى، فإن هذا الوضع سوف لا يتمخض عن دولتين مستقلتين ولا دولة واحدة تضم إسرائيل/ فلسطين، بل ستؤدي إلى عملية "إبارةيد زاحف" غير قابلة للاستمرار، وإلى تراجع متزايد عن الديمقراطية، وتفاقم الأزمة الاقتصادية، والتفتت الداخلي الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، وحل الصراع العربي الصهيوني وفقاً لهذا السيناريو يمثل حلاً عنصرياً يأتي متوافقاً مع أهداف الحركة الصهيونية والقوى المساندة لها، لكنه لا يمثل حلاً حضارياً ينسجم مع حقوق الشعب الفلسطيني العربي الذي يسعى إلى الوصول إليها، ولذلك سيكون لهذا الحل تداعياته المستقبلية، ومضاعفاته على طرفي الصراع العربي والصهيوني وسوف تقود هذه التداعيات والمضاعفات لمرحلة جديدة يدخلها هذا الصراع<sup>(2)</sup>.

ويتضمن الفكر اليهودي، في إطار خطة الحل المنفرد، أو أحادي الجانب، للفصل بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية، والتي أعلنت في ديسمبر 2003، عن إنشاء كيان فلسطيني

---

(1) أوران يفتاحيل، الأثنوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين، ترجمة: سلافة حجاوي، 2012، ص 374.

(2) هاني الكعير، الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام، 1991-2013، جامعة الشرق الأوسط، 2013/ ص 109

ضعيف، ورسم حدود سياسية جديدة بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية، تحقق حلم إسرائيل التاريخي، بإنشاء إسرائيل الكبرى مع إنشاء دولة مقطعة الأوصال، في شكل كيانات تجعلها غير قابلة للحياة، وتعتمد الخطة على إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في خطوط أمنية جديدة، مع تجميع الاستيطان الإسرائيلي في بؤر استيطانية كبيرة، تؤدي إلى إخلاء المستوطنات الصغيرة، والبعيدة عن الجدار العازل، مع الإسراع في إنشاء هذا الجدار، من أجل رسم الحدود الجديدة لإسرائيل، والتي تحتضن الكتل الاستيطانية كافة، ومدينة القدس.

## سيناريوهات التسوية السلمية للصراع العربي الاسرائيلي

تشير السيناريوهات المستقبلية للمفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية إلى أن هناك ثلاثة سيناريوهات بغض النظر عن موقف الأطراف المتصارعة منها: الأول يتمثل في إمكانية أن يتم التوصل إلى إتفاق سلام نهائي وحاسم وفق مبدأ الأرض مقابل السلام وحدود عام 1967، والثاني: يتم فيه التوصل إلى حل مرحلي يقضي بقيام دولة فلسطينية ضمن حدود مؤقتة على أن يتم التفاوض على القضايا الشائكة في إطار زمني محدد، والثالث: قيام دولة واحدة ثنائية القومية تضم الفلسطينيين واليهود الموجودين على أرض فلسطين التاريخية.

غير أن إسرائيل لم تبدِ استعداداً لتقبل هذه الأطروحات، ولم تتفاعل بإيجابية مع أيٍّ منها، وهو ما تؤكد تصرفاتها على الأرض، حيث نجحت في تحقيق المحور الأول من استراتيجيتها في فلسطين التاريخية والمتمثلة في التمدد الجغرافي، وذلك عندما أكملت عام 1967 احتلال باقي فلسطين التاريخية، ومنذ هذا التاريخ وهي تعمل على تنفيذ المحور الثاني، والمتمثل في أسلوب الاستيطان لتقويض الوجود الفلسطيني، وإيجاد واقع ديمغرافي يمنع أي تجمع سكاني متصل للفلسطينيين، وتصفية القضية الفلسطينية عبر تهويد القدس وإفراغها من الفلسطينيين، وفي الوقت نفسه نشر البؤر الاستيطانية في الضفة الغربية<sup>(1)</sup>، والعمل على دفع الفلسطينيين إلى

---

(1) تشير البيانات إلى أن عدد المستعمرات في الضفة الغربية قد بلغ 144 مستعمرة، وذلك في نهاية عام 2011، منها 26 مستعمرة في محافظة القدس، تتوزع بواقع 16 مستعمرة تم ضمها إلى إسرائيل، و 10 مستعمرات في منطقة(2) من المحافظة، و 24 مستعمرة في محافظة رام الله والبيرة، وكان أقل عدد من المستعمرات في محافظة طولكرم بواقع ثلاث مستعمرا، وتشير التقديرات أيضاً إلى أن عدد المستعمرين في الضفة الغربية قد بلغ 536.932 مستعمراً، وذلك في نهاية عام 2011، وأن معظم المستعمرين يسكنون محافظة القدس بواقع 267.647 مستعمراً، منهم 199.647 مستعمراً في منطقة(1) ( ) ، تليها محافظة رام الله والبيرة بواقع 100.501 مستعمراً، و59.414 مستعمراً في محافظة بيت لحم، و34.946 مستعمراً في محافظة سلفيت. أما أقل المحافظات من حيث عدد المستعمرين فهي محافظة طوباس، بواقع 1.489 مستعمراً. في: بيانات=

الاعتراف بيهودية الدولة، لتأصيل الادعاء بالحق اليهودي في فلسطين، ومنع اللاجئين من العودة وفق القرار 194، وإمكانية طرد أو تبادل السكان الفلسطينيين داخل الخط الأخضر.

غير أن الواقع الديمغرافي الحالي، وعلى المدى المتوسط والبعيد، يعطي نتائج مغايرة تصب في مصلحة الجانب الفلسطيني، حيث أثبتت الدراسة الديمغرافية للوضع السكاني، أن عدد السكان الفلسطينيين في فلسطين التاريخية قد أصبح أكبر من عدد اليهود، وذلك منذ عام 2013، إذ بلغ عدد الفلسطينيين 6.117 ألف نسمة مقابل 6.086 ألف نسمة لليهود، على الرغم من فتح باب الهجرة دون قيود لليهود من كل أنحاء العالم، ومنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى موطنهم الأصلي في فلسطين التاريخية.

وفي المستقبل القريب، يستمر التفوق الفلسطيني في الجانب الديمغرافي أيضاً، وذلك مع افتراض عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين، واستمرار معدلات الهجرة اليهودية بالوتيرة الحالية نفسها، وهو ما يشكل ميزة كبيرة للفلسطينيين وسلاحاً ضاعطاً في يد المفاوض الفلسطيني لتحريك القضية الفلسطينية نحو الحل الواقعي، حيث لن يستقيم الأمر في فلسطين لليهود، ولن تكون لهم الغلبة العددية مع وجود هذه الكتلة البشرية الضخمة والمرشحة للزيادة باستمرار، ومهما تكن محاولات إسرائيل لتعويض هذا العجز عن طريق الهجرة اليهودية فلن يكون لها ما تريد، حيث إن أي مجتمع له قدرة استيعابية محددة لن يستطيع بعدها استقبال مزيد من المهاجرين، وخاصة في حالة إسرائيل في ظل ضيق المساحة ومحدودية الموارد، كذلك فقد استوعب الفلسطينيون درس النكبة جيداً، ومهما حاول الإسرائيليون أن يبعثوا الفلسطينيين عن أرضهم كما فعلوا سابقاً فلن ينجحوا، وخاصة في ظل الرفض القاطع من جانبهم لحق عودة اللاجئين الذي أقرته كل المواثيق والقرارات الدولية.

ومما تقدم فإن الفترة القادمة ستشهد واحداً من أربعة سيناريوهات محتملة للصراع العربي-الإسرائيلي لكل منها تفرعاته الجزئية، مثلت خلاصةً مهمةً لأبرز التحولات ممكنة الوقوع في ضوء التحليلات المستقبلية<sup>(1)</sup>.

---

= الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 201 المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي 2011، رام الله، ص 17

(1) نظام بركات، مؤتمر العرب وإسرائيل عام 2015م: سيناريوهات الصراع المحتملة. مستقبل وسيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي، تحرير: أحمد البرصان، عبد الفتاح الرشداء، مركز دراسات الشرق الأوسط- عمان، 2005/11/29-27

## السيناريو الأول: استمرار الأوضاع القائمة واتجاهاتها العامة

إن وجود خيارات عدة مفضلة لدى الإسرائيليين يجب ألا يطمس أن الخيار الجاري تطبيقه على الأرض هو خيار بقاء الوضع الحالي على ما هو عليه، ويقوم هذا الخيار على عدم الانهيار التام لعملية السلام، واستبعاد الاتفاق على عقد اتفاق انتقالي جديد أو اتفاق دائم، انطلاقاً من أن إمكانية جسر الهوة الشاسعة بين الموقفين الفلسطيني والإسرائيلي، والتوصل إلى اتفاق انتقالي جديد صعب، وإلى اتفاق دائم مستحيل<sup>(1)</sup>، أي تكريس السيطرة الإسرائيلية بمعنى الاحتفاظ بالأرض المحتلة من دون ضم السكان العرب، وذلك هو جوهر الصيغ الإسرائيليّة المطروحة لتسوية النزاع، والتي تبدي إسرائيل حولها استعداداً لحل المشكلة<sup>(2)</sup>.

ويترتب على هذا السيناريو بقاء دور ووظائف السلطة على حالها دون تغيير جوهري، وقد يعزز هذا السيناريو استمرار حالة من الحراك السياسي دون إحراز تقدم في المفاوضات، وكذلك دون مجابهة سياسية واسعة مع إسرائيل والإدارة الأميركية في ظل عدم تفعيل التحرك الدبلوماسي في مجلس الأمن بشأن طلب العضوية الكاملة، أو في الجمعية العامة بشأن طلب عضوية الدولة المراقبة<sup>(3)</sup>.

## السيناريو الثاني: تدهور الوضع العربي (وضع الهيمنة الإسرائيلية الأمريكية)- الدولة المؤقتة

يقوم هذا السيناريو على تنفيذ إسرائيل للمقترحات التي تستهدف إنشاء دولة فلسطينية ذات سيادة وصلاحيات محدودة حتى يمكن لإسرائيل السيطرة عليها، مثل المقترح القاضي بإقامة دولة فلسطينية على مساحة تعادل مساحة الضفة الغربية بعد استبدال مساحة الكتل الاستيطانية التي تصل إلى 5% بأراضي وبلدات داخل الخط الأخضر بعد التفاوض مع سكانه، مع رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتدعو إلى حل قضيتهم خارج حدود الخط الأخضر<sup>(4)</sup>.

(1) هاني المصري، القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، ص 24

(2) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 223

(3) خليل شاهين، واقع المنظمة والسلطة، السيناريوهات والتغييرات المطلوبة، ص 233

(4) علاء عبدالحفيظ محمد محمد، مستقبل القضية الفلسطينية.. ومتطلبات نجاح دولة فلسطينية، قضايا مستقبلية، ع 7- فبراير/شباط 2008، ص 7.

وسيناريو أو خيار الدولة المؤقتة يتضمن إمكانية التوصل إلى حل انتقالي طويل الأمد مع إسرائيل لا يتضمن الاعتراف بها، أو عقد معاهدة سلام فلسطينية-إسرائيلية، ولكن يوجد فيه اعتراف بالأمر الواقع، وتفويض إسرائيلي للسلطة الحالية أو سلطة جديدة بأمور السكان، وهدنة طويلة الأمد تفتح الطريق لقيام دولة فلسطينية مؤقتة بعد الانسحاب الإسرائيلي من بعض مناطق الضفة، وتمكين السلطة من ممارسة صلاحياتها، وتأجيل قضايا الحل النهائي إلى إشعار آخر، ويستند هذا الخيار إلى الهوة الساحقة ما بين الموقفين الفلسطيني والإسرائيلي، وإلى خطورة استمرار الواقع الحالي كما هو.

والدولة ذات الحدود المؤقتة هي الحل الذي يتم ترسيخه يوماً بتوسيع الاستيطان وتطبيق المخططات الإسرائيلية بأشكالها المتنوعة، وتقديمه بدلاً عن حل الدولة الفلسطينية على حدود 1967، بحيث يترتب على الفلسطينيين الاختيار، ليس بين خيار الدولتين أو الدولة الواحدة، وإنما بين قبول هذا الحل بوصفه الحل المتاح، والسعي إلى تحسينه وتقليل مخاطره وأضراره أو رفضه<sup>(1)</sup>، وهو حل يقيم دولة فلسطينية بالاسم، لكنه يغطي على حقيقة مفادها أن دولة واحدة هي القائمة من البحر إلى النهر.

### السيناريو الثالث: سيناريوهات تنجم عن إجراءات أحادية

مثل هذه السيناريوهات ذات الحظوظ الضعيفة في المدى المنظور، قد ينجم عن إجراءات إسرائيلية تتراوح بين إعادة فرض الاحتلال الكامل على الضفة الغربية، وربما قطاع غزة، والانسحاب جزئياً من بعض مناطق الضفة، على غرار عملية الانسحاب من القطاع، ويصعب التنبؤ بالسيناريوهات التي قد تتطور بفعل هذه الإجراءات الأحادية غير المرغوبة إسرائيلياً، والتي قد تتخذ أساساً كرد على تحولات في المسار الإستراتيجي الفلسطيني، مثل وقف المفاوضات نهائياً، ونقل ملف القضية الفلسطينية برمته إلى أروقة الأمم المتحدة، أو تطور المقاومة الشعبية إلى مستوى انتفاضة جديدة، أو حل السلطة، أو انهيارها. والاحتمال الآخر لاتخاذ مثل هذه الإجراءات يتمثل بتبني التيار السياسي المركزي في إسرائيل مشاريع ودعوات الاتجاهات اليمينية الأكثر تطرفاً، مثل الوطن البديل في الأردن، أو تشجيع الكونغرس الفلسطينية - الأردنية، أو حتى إحياء مشروع إسرائيل الكبرى، ولو أدى إلى ترسيخ نظام الفصل العنصري في نطاق فلسطين التاريخية<sup>(2)</sup>.

(1) هاني المصري، القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، ص 20

(2) واقع المنظمة والسلطة السيناريوهات والتغيرات المطلوبة، ص 237

## السيناريو الرابع: تقدم المشروع العربي على حساب المشروع الصهيوني (تقدم عملية التسوية)

هذا السيناريو هو النقيض الكامل للوضع الراهن ليعني في الأساس التسوية وفق الشروط العربية، وفي هذا السياق فإن شكل الصراع سيضحي قضية ثانوية، والمواجهة بين دولة الوحدة وبين إسرائيل، سواء من خلال الحرب أم السلام، وسواء على الصعيد الاقتصادي أو السياسي، ستضحي بحكم منطق الأشياء لمصلحة الطرف العربي<sup>(1)</sup>، وينطوي هذا السيناريو على تحسن نسبي في موقف الطرف العربي<sup>(2)</sup>.

### وصف السيناريو

يقوم هذا السيناريو على احتمال التقدّم في عملية التسوية نحو اقتراب أكثر من القانون الدولي والشرعية الدولية، على أن تستجيب إسرائيل لمبادرة السلام العربية، والتي طالبت إسرائيل بقبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، وتكون عاصمتها القدس الشرقية، والتوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفقاً لقرار الجمعية العامة رقم 194، وعندئذ تقوم الدول العربية باعتبار النزاع منتهياً والدخول في إتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة، وإنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل<sup>(3)</sup>، وذلك وفقاً لما يلي:

1- الاستفادة الكبيرة من الإمكانيات المتوافرة في المنطقة اقتصادياً لتحسين الأوضاع المعيشية لأطراف الصراع وإيجاد الشعور بالأمن، وتقديم تنازلات للتوفيق بين مواقف أطراف الصراع تجنباً لعواقب قد تكون أسوأ من الحالة القائمة، وبالذات التوفيق بين مبدأ الأرض مقابل السلام، والحقوق الفلسطينية وتقرير المصير من جهة، والأمن وشرعية الوجود الإسرائيلي من جهة أخرى.

(1) مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ص 223

(2) المصدر نفسه، ص 223

(3) السيناريوهات المحتملة للصراع العربي، الإسرائيلي رؤية استراتيجية، مركز دراسات الشرق الأوسط- مؤتمر العرب وإسرائيل عام 2015 السيناريوهات المحتملة- عمان / 27-29 نوفمبر 2005-

<http://www.mesc.com.jo/final%20seminar/Sim-09-02.htm>

- 2- توقف المقاومة الفلسطينية داخل فلسطين، وفتح المجال لحل مشكلات الشعب الفلسطيني في مختلف المجالات، وتسهيل الاتصال بين أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، واستمرار تهدئة الجهات العربية مع إسرائيل، وتشكل حالة من الهدوء والسلم بين الطرفين تستند إلى نوع من السلام البارد.
- 3- زيادة الضغوط الدولية؛ لتطبيق موثيق حقوق الإنسان، وقرارات الأمم المتحدة لشعوب المنطقة.

### البدائل والخيارات المفضلة لدى إسرائيل هي:

- ما زال الجانب الصهيوني يعتقد وفقاً لنظرته الاستعلائية، ومنطلقه الفكري، والتغيرات الدولية والإقليمية، أنه ما يزال يمتلك عناصر القوة لتنفيذ أهدافه الاستعمارية في مرحلة السلام، أو مرحلة ما بعد توقيع الاتفاقيات مع بعض الأطراف العربية وليس كلها<sup>(1)</sup>، من خلال:
- 1- الإبقاء على الوضع الراهن في ظل استمرار سلطة الحكم الذاتي المقيدة باتفاقات أوسلو دون تطبيق إسرائيل التزاماتها فيها، كون هذا الخيار يعطيها مزايا كبيرة، فيمكنها من استكمال مخططاتها لفرض أمر واقع احتلالي، ويسد الفراغ ويقطع الطريق على كل المبادرات والحلول والخيارات غير المفضلة لديها، ويحافظ على استمرار السلطة كوكيل، ويعفي الاحتلال من مسؤولياته، ويوجي بأن الحل ممكن، وهذا يخفف من الضغوط والعزلة المتزايدة على إسرائيل<sup>(2)</sup>.
- 2- فرض إحدى صيغ الحل الانتقالي طويل الأمد متعدد المراحل (دولة ذات حدود مؤقتة عبر خطوات إسرائيلية أحادية الجانب، ويشمل هذا الخيار أيضاً أفكار عن تبادل الأراضي والسكان.. إلخ).
- 3- إحياء الخيار الأردني والوصاية المصرية أو الوطن البديل.
- 4- العودة إلى خيار إسرائيل الكبرى، واستكمال تهجير الفلسطينيين طوعاً أو قسراً<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: هيثم الكيلاني، التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي وتأثيرها في الأمن العربي، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات، 1996.

(2) هاني المصري، القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، المؤتمر السنوي الأول، القضية الفلسطينية، مراجعة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي، المركز الفلسطيني للأبحاث السياسية والدراسات الاستراتيجية، مسارات- البيرة، ص24.

(3) واقع المنظمة والسلطة السيناريوهات والتغيرات المطلوبة، ص239

## الخيارات والبدائل المفضّلة للفلسطينيين

يدرك الطرف الفلسطيني أن دخوله بعملية التسوية السلمية لم تكن نتيجته قرار شعبي وقيادي واعٍ، وجاءت نتيجة للاحباطات التاريخية التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، والتعقيدات المحيطة به مقارنة بعناصر القوة والدعم الإقليمي والدولي التي يتمتع به الصهاينة<sup>(1)</sup>، وقد لا يكون الفلسطينيون قادرين على فرض الحل المفضّل لديهم، ولكنهم قادرون على منع أو على الأقل نزع الشرعية عن أي حل لا يحظى بموافقتهم، ومن الواضح أن السيناريو المتعلق بحدوث اختراق في المفاوضات يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية لا يزال المحبذ فلسطينياً بغض النظر عن مدى واقعية تحقيقه، يليه السيناريو القائم حالياً والمتعلق بالإبقاء على الوضع الراهن بانتظار متغيرات تفتح الطريق أمام تقدم سيناريو حل الدولتين، أو خيار الدولة الواحدة بأشكاله المختلفة: الدولة لكل مواطنها، الدولة ثنائية القومية، الدولة الديمقراطية بعد تحرير فلسطين<sup>(2)</sup>.

### سيناريوهات التسوية السلمية والسيناريو المفضل

التسوية السلمية التي يمكن التوصل إليها بين العرب، وإسرائيل يمكن أن تتم من خلال عدة حلول، وهي:

#### أولاً: خيار التقسيم الجغرافي لفلسطين (دولتين)

وهو حيف في حق الفلسطينيين والعرب، حيث سيحصلون على مناطق جرداء، أو مكتظة تستحيل الحياة الكريمة فيها، وتحرمهم من مقدساتهم وأثارهم التاريخية، وتحرم ملايين اللاجئين منهم حق العودة إلى أرضهم، فغاية ما سيؤدي إليه هذا التقسيم هو بلدية فلسطينية (تسمى باسم دولة) مزروعة السلاح، تدور في الفلك الصهيوني وتعيش في ظلال بطشه، فليس التقسيم الجغرافي لفلسطين خياراً مناسباً على الإطلاق، وهناك عدة سيناريوهات للوصول إلى هذا الحل.

(1) انظر: هيثم الكيلاني، التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي وتأثيرها في الأمن العربي.

(2) القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، ص 23.

## ثانياً: خيار الامتصاص (دوله واحده)

والمقصود به امتصاص اليهود الراغبين في العيش في فلسطين ضمن دولة واحدة يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق المواطنة المتساوية، ويرجع إليها كافة الفلسطينيين المشردين في أرجاء الدنيا معزّزين مكرّمين. وهذا هو الخيار الإستراتيجي الذي ينبغي التركيز عليه، وعدم القبول بغيره، فهذا الحل -الذي يشبه ما تم اعتماده لتفكيك دولة العنصرية في جنوب أفريقيا- وسيكون أفضل الحلول على المدى البعيد، وأقربها إلى تحقيق المصلحة الفلسطينية، وأخفها ثمنًا من الدماء<sup>(1)</sup>.

---

(1) محمد ولد المختار الشنقيطي، لا تنقذوا إسرائيل، الجزيرة نت – 2011-9-26



## الفصل السابع

### مشاريع التسوية السلمية لحل الصراع العربي الإسرائيلي

في مواجهة نمو وتطور الحراك الوطني الفلسطيني توالى منذ عشرينات القرن الماضي طرح مشاريع ومبادرات التسوية، التي لم يخرج أي منها عن حدود الاستراتيجية الاستعمارية للمنطقة، التي تصب باتجاه تمكين المشروع الصهيوني، وإشغال الوسط العربي بجدل حاد حول قبولها ورفضها، وإثارة البلبلة بين نخب الرفض والقبول العربية، وتوفير الأجواء التي يحتاجها التحالف المضاد لإحداث حقائق استيطانية على الأرض العربية، وغالبا ما كان يطلب إلى بعض المسؤولين العرب الاتصال بالنخبة الفلسطينية القائدة للقبول بالمبادرات المطروحة نزولاً على أحكام الأمر الواقع، وتحت شعار "إنقاذ ما يمكن إنقاذه"<sup>(1)</sup> وقراءة التاريخ، تفيد بأن مشاريع التسوية التي تم تقديمها ما هي إلا محاولة لاستثمار وضع إقليمي متردد قد يخدم الطرف الإسرائيلي، أو حملة علاقات عامة تحسن صورة الأمريكي والإسرائيلي كدعاة سلام، أو مرحلة تتطلب الهدوء لتحقيق طموحات أوسع<sup>(2)</sup>، حيث حملت كل المداخلات شبهة أن غايتها اجهاض الحراك المقاوم، إما استجابة للضغوط الخارجية، أو تحسباً من تداعياته في ساحة المتدخل العربي، ولأن النتائج كانت تنتهي دائماً بقبض ربح في أحسن الحالات، وبحصاد مر في معظمها، تأصل في الذاكرة الجمعية للشعب العربي الشك بمصداقية وإخلاص وكفاءة ووعي المتدخلين الرسميين وإن حسنت نوايا بعضهم<sup>(3)</sup>.

وبالرغم مما تقدم لم تتوقف الجهود الحثيثة المبذولة من الجانب الفلسطيني، والعربي، والدولي، للتوصل إلى تسوية سياسية للقضية الفلسطينية منذ نشأتها عام 1917 وتنوعت طرق

---

(1) مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور، دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة.

(2) بلال الشوبكي بعد 60 عاماً.. قراءة في مسلسل التسويات، - 14- مايو/ أيار 2008-

[/http://bshobaki.blogspot.ae](http://bshobaki.blogspot.ae)

(3) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة - 2003/12/8

المدفع باتجاهها من الاتصالات الدبلوماسية، إلى استخدام القوة والعنف والأعمال العسكرية، لإجبار الطرف العربي للاعتراف بشرعية وجود الدولة العبرية، وبعد أن أخفقت الضغوط العسكرية المباشرة في تحقيق أهدافها، تم اللجوء إلى استعمال استراتيجية الترغيب والترهيب السياسي، القوة بيد والسياسة والحوار باليد الأخرى<sup>(1)</sup>، وفي الصفحات التالية سنعرض لأهم مشاريع التسوية السلمية التي تم طرحها لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وأسباب فشلها والحلول البديلة لها، مع التركيز على حل الدولة الواحدة باعتباره الحل المفضل.

---

(1) تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964م، 2008، ص163.

## المبحث الأول: مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية – نظرة تاريخية

حتى احتلال البريطانيين لفلسطين سنة 1918، لم يكن هناك ما يمكن التفاوض عليه، فاليهود كانوا 55 ألفاً أي 8% من السكان ولا يملكون أكثر من 2% من أرض فلسطين، وعندما أخذ المشروع الصهيوني في النمو بدرجة خطيرة، في ثلاثينيات القرن العشرين، وقام أبناء فلسطين بالثورات دفاعاً عن أرضهم واستقلالهم، وجد الاحتلال البريطاني نفسه أمام مأزق الاستمرار في المشروع الصهيوني، وفضل التفكير في حلول وسط تضمن إنشاء كيان يهودي ولو على أجزاء من فلسطين. ومنذ تلك الفترة كوّنت سلسلة مشاريع واقتراحات التسوية اليهودية والعربية والدولية<sup>(1)</sup>، حيث كانت أغلبها تتبنى الدولة الفيدرالية أو الثنائية القومية لإقامة دولة واحدة في فلسطين

### مشاريع التسوية السلمية خلال مرحلة الانتداب البريطاني 1922-1947

المعلوم ان فلسطين قبل الانتداب البريطاني كانت جزء من الإمبراطورية العثمانية. ولذا فإن فكرة الكيان الفلسطيني المستقل لم تطرح قبل الحرب العالمية الأولى. "والمرجع الوحيد بالعربية، من تلك الفترة (1919) الذي يناقش، إنشاء كيان سياسي مستقل إدارياً في فلسطين، هو كتاب "فلسطين وتجديد حياتها" والذي يتناول مسائل إعادة إعمار فلسطين ومقاومة الهجرة اليهودية وإحباط وعد بلفور، ويركز على انتماء فلسطين إلى سوريا الكبرى، ويطرح الانفصال السياسي، وليس الثقافي والاجتماعي لفلسطين عن محيطها العربي معتبراً إياها قطعاً عربياً قائماً بذاته"، ويذهب إلى طرح خطة سياسية قوامها "أن تكون فلسطين مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً على مبادئ الديمقراطية، وحكم الأكثرية، مع مراعاة حقوق الأقلية لمدة معلومة، تكون في أثنائها قد نمت روح القومية الوطنية، وماتت فينا روح التعصب، بحيث نصل إلى وضع برنامجنا السياسي على أسس مدنية اجتماعية فقط، مع مراعاة حرية الأديان، والحق بالاجتماعات والخطابة للتعبير عن الرغبة الشعبية"<sup>(2)</sup>.

(1) حبيب الياس، مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية، 2014-10-08- دينا الوطن-الرابط:

<http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/10/08/344219.html>

(2) نبيل قسيس، قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، ص102/

فلسطين وتجديد حياتها، تحرير المهندس حنا صلاح، صادر عن الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية

في نيويورك، 1919 - Reconstruction of Palestine

وخلال تلك الفترة طرحت العديد من الأفكار والمشاريع من كافة الأطراف للوصول الى حل يحدد طبيعة العلاقة بين العرب واليهود، حيث كانت اغلب المشاريع والحلول، تركز على إقامة دولة واحدة تنائية القومية او قيام اتحاد فديريالي او كونفيدرالي بين اليهود والعرب، وسنتحدث عن هذه المشاريع بالتفصيل في المبحث الرابع.

### أولاً: مشروع تقسيم فلسطين حسب قرار الأمم المتحدة 181 لسنة 1947

استغل اليهود الصهاينة أجواء الحرب العالمية الثانية استغلالاً كبيراً، وسعوا إلى استثمار التعاطف الذي نشأ بسبب المذابح التي ارتكبتها هتلر ضدّهم، مؤكدين أن لا بديل لنجاتهم إلا بإقامتهم في وطن قومي خاص بهم، فقررت بريطانيا رفع قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة بحجة أنها قررت إنهاء انتدابها عليها.

وفي عام 1947 عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة طارئة للنظر بإقتراح تقسيم فلسطين، حيث تقرر تأسيس دولتان في فلسطين، عربية ويهودية، ووافق أغلبية أعضاء الجمعية العامة على القرار رقم 181 الذي أشار أيضاً إلى وضع مدينة القدس تحت الوصاية الدولية، وأعطى القرار للدولة العبرية 56.47%، من مساحة أرض فلسطين التاريخية، وخصص لإقامة الدولة العربية الفلسطينية 42.88%، من أرض فلسطين التاريخية، مع جيب دولي صغير في منطقة القدس مساحته 68 ميلاً مربعاً<sup>(1)</sup>. وفاز قرار التقسيم بأغلبية، إلا أن الكيان الصهيوني لم يعترف مطلقاً "بشكل رسمي" بهذا القرار، وتعامل معه كأمر واقع ومسألة إجرائية، وسعى بعد ذلك إلى تجاوزه بشن الحملات الحربية التي وسعت كيانه إلى 77% نتيجة حرب 1948<sup>(2)</sup>، وقد رفضت الدول العربية والشعب الفلسطيني التعاطي مع هذا القرار، نتيجة للشعور بالظلم والإجحاف الشديدين، ففي ليلة واحدة وضعت هيئة الأمم بكل جد أساس نظام معنوي جديد يعتبر أن اليهود الذين لم تعش أغليبتهم العظمى في فلسطين، يتمتعون بحقوق مساوية لحقوق العرب الذين عاشوا بفلسطين من قديم الزمان<sup>(3)</sup>.

(1) علي بدوان، أرض الفلسطينية صراع الجغرافيا والهوية"، مجلة العربية، العدد 22002 م  
<http://www.arabcin.net/arabiaall/2-2002/3.html> 2006

(2) محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1999م، ص 88.

(3) ديفيد هيرست البندقية وغصن الزيتون، ترجمة: عبد الرحمن رياس، بيروت: شركة رياض الريس للكتبوالنشر، 2003 م، ص 294

وبعدها أعلنت الحركة الصهيونية في 15 أيار 1948 عن قيام إسرائيل، وكانت النتيجة وقوع ما سمي بنكبة فلسطين، التي من نتائجها الواضحة تشريد بين 750 ألف فلسطيني خارج ديارهم ووطنهم، مع قيام العصابات الصهيونية بتدمير مئات القرى الفلسطينية عن بكرة أبيها، و وافقت الدول العربية على عقد هدنة مع الدولة اليهودية الوليدة.<sup>(1)</sup> ويذكر ناحوم غولدمان أنه رأى في توقيع اتفاقيات الهدنة سنة 1949، اعترافاً عربياً واقعياً بقرار التقسيم ودولة إسرائيل، وعليه راجع بن جوريون بشأن الصلح مع العرب، فرفض أي مسعى. وباستطلاع أرشيفات وزارة الخارجية الإسرائيلية يؤكد آفي شليم على وجود دلائل عديدة تؤكد استعداد العرب للسلام وللتفاوض ابتداء من سبتمبر 1948، مما يعني إن إسرائيل هي التي رفضت السلام وليس العرب.<sup>(2)</sup> وكان بن جوريون يقول: اعتقد أنه بإمكاننا التفاهم مع العرب فقط بعد أن ننشئ دولة يهودية، ومن المستحيل خلق أرضية لتفاهم يهودي عربي إلا بعد أن نثبت للعرب إننا قوة فعلية وأن حكومة الانتداب لم تتخل عنا كلية.<sup>(3)</sup>

وهكذا غيرت أحداث النكبة مجرى تاريخ فلسطين، وحالت دون قيام دولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية، وجزأت الوطن الفلسطيني التاريخي إلى ثلاثة أجزاء: الأول أقام عليه الصهاينة دولتهم، والقسم الثاني ممثلاً بالضفة الغربية التي تبلغ مساحتها 21% من مساحة فلسطين تم ضمة للملكة الأردنية الهاشمية، أما الجزء الثالث فتمثل في قطاع غزة الذي تبلغ مساحته حوالي 1.5%، من مساحة فلسطين، تم وضعه تحت الإدارة المصرية، وبذلك ضاعت الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني<sup>(4)</sup>، وتراجعت القضية الفلسطينية من قضية سياسية إلى قضية إنسانية على المستوى الدولي، ومن ثم نشأ فراغ سياسي لدى الشعب الفلسطيني استمر لمدة عقد ونصف<sup>(5)</sup>.

---

(1) حمزة عبد الحميد الصمادي، تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964، 2006، ص 27

(2) آفي شليم، الجدار الحديدي، إسرائيل والعالم العربي، دار بنغوين في بريطانيا، معارضة الطرح التقليدي لتاريخ الدولة العبرية، المركز العربي للدراسات المستقبلية.

(3) خليل حنا دتادرس، مذكرات دافيد بن جوريون. مكتبة جزيرة الورد ط1، 2013، ص 165

(4) حمزة عبد الحميد الصمادي، تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964م، 2008، ص 45

(5) المصدر نفسه، ص 29

## ثانياً: المشاريع والأفكار في الفترة ما بين 1947-1967

إن المشاريع الصهيونية السلمية خلال هذه المرحلة، تختلف من حيث الطرح والمضمون، عما جاء من مشاريع صهيونية في مرحلة الانتداب البريطاني، فقد طرحت من بدايات هذه المرحلة العديد من الأفكار الصهيونية القائمة على القوة العسكرية، وذلك نتيجة هزيمة الجيوش العربية في فلسطين عام 1948، ومن تلك الأفكار، إعلان بن جوريون في 1948: "أن الحرب يجب أن تنتهي بنصر حاسم، وأن بناء الدولة لم ينته بعد وعلى إسرائيل أن تخوض معركتها المصيرية إذ أن حدودها لم تحدد بعد"<sup>(1)</sup>، وأن شيئاً واحداً مؤكداً الآن وهو أن قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947، فيما يتعلق بالحدود، لم يعد له وجود"<sup>(2)</sup>، وأضاف: "أن الحدود أمر لا نهاية له، إذ "أن في التوراه كل أنواع مواصفات حدود الدولة وكذلك في تاريخنا"<sup>(3)</sup>.

وكان القاسم المشترك لمشاريع التسوية في هذه المرحلة هو التعامل مع قضية فلسطين بوصفها قضية لاجئين، أي الشق الإنساني من الموضوع وليس السياسي<sup>(4)</sup>، وفي 11 ديسمبر 1948 وبناءً على مشروع بريطاني وافقت الأمم المتحدة على إصدار القرار 194 القاضي بوجوب السماح بالعودة للاجئين الفلسطينيين الراغبين في العودة إلى بيوتهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة، وأن يتم تعويض أي مفقود أو مصاب بضرر من الجهة المسئولة عن ذلك، ويذكر انتوني ناتنج أنه عندما كان موثي شاريت رئيساً لوزراء إسرائيل سنة 1954 جرت محاولة للصلح مع مصر، إلا أن المحاولة فشلت أمام إصرار عبدالناصر على تنفيذ قرار التقسيم رقم 181 وعودة اللاجئين بموجب القرار رقم 194، وتنفيذ توصية برنادوت، الوسيط الدولي، بإعادة النقب للعرب مقابل الجليل الغربي، لتأمين التواصل فيما بين مصر والمشرق العربي. ولكن شاريت، لم يوافق على عودة اللاجئين وطالب بتوطينهم في البلاد العربية.

وفي 26 أغسطس 1955 طرح وزير الخارجية الأمريكي دالاس مشروع، دعا فيه إلى إنهاء

(1) المشاريع والأفكار الصهيونية تجاه تسوية القضية الفلسطينية، ص 280

(2) إسرائيل الكبرى/ وانظر: أسعد رزوق، ملف وثائق فلسطينية، هيئة الاستعلامات وثيقة رقم 135، ص 492.

(3) عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي حدود الدولة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 103.

(4) محسن صالح، المسار التائه للدولة الفلسطينية، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم، بيروت

ط1، 2011، ص 29

مشكلة اللاجئين بعودتهم إلى وطنهم "إلى الحد الذي يكون ممكناً"، وبتوطين الباقي في المناطق العربية التي يقيمون فيها، ودعا إلى إجراءات جماعية لمنع أي حرب أو عدوان بين دول المنطقة، وإلى تسوية الحدود بين البلاد العربية والكيان الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، وتعاونت مصر مع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) خلال الفترة 1953 - 1955 في تنفيذ مشروع لتوطين لاجئي قطاع غزة في شمال سيناء، وقد اتخذ المشروع أبعاداً مفصلة وجدية، غير أنه لقي معارضة شاملة وعنيفة من فلسطيني القطاع ... وتم إسقاط المشروع<sup>(2)</sup>.

وقد دفعت هذه المتغيرات، بمجلس الجامعة العربية سنة 1959، للدعوة إلى إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني، وإبرازه كياناً موحدًا بواسطة ممثلين يختارهم الشعب<sup>(3)</sup>، وفي عام 1963 بادر المجلس المذكور، للعمل على استقطاب أي جهد فلسطيني يسعى للنضال من أجل فلسطين، شريطة أن يكون ذلك في إطار السياسة العربية الرسمية ولا يتحرك بحرية خارجها. فالشعارات المرفوعة من قبل هذه الأنظمة لم تكن تسمح بظهور تنظيمات وطنية مستقلة<sup>(4)</sup>، وبحسب د. إميل توما فقد شهد الوطن العربي بين 1961 و1963 ظهور حوالي أربعين تنظيم فدائي عربي فلسطيني بمختلف الأهداف وأساليب العمل<sup>(5)</sup>، ولذا كان الرئيس عبد الناصر يرغب ألا يفلت الزمام من يده، في ظروف الخلافات العربية، فأصبح هناك اتجاه لاستيعاب الفلسطينيين في كيان رسمي معتمد، يسهل التحكم فيه، وقد تم اعتماد هذا الكيان في مؤتمر القمة العربي عام 1964، وتم تشكيل جيش التحرير الفلسطيني عام 1966 تم الإعلان عن انطلاق حركة (فتح) وبداية العمل المسلح لتحرير فلسطين.

### ثالثاً: المشاريع والأفكار الإسرائيلية خلال المرحلة الواقعة ما بين 1967 – 1973

اندلعت حرب عام 1967، لتكتمل إسرائيل ما أخفقت في تحقيقه في حربها الأولى، والمطلب

---

(1) انظر: حول المشروع النزويجي ومشروع جاما ومشروع جونستون، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ومنير الهور وطارق الموسى، ط2 (عمان (الأردن): دار الجليل، 1986)، ص50-55.

(2) محسن صالح، المسار التائه للدولة الفلسطينية، ص31/ أو انظر: مشاريع اتسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ص 84-96، والموسوعة الفلسطينية، ج2، ص393-394.

(3) محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة، 2001، ص32

(4) تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964م، ص 33

(5) للمزيد انظر: إميل توما، ستون عامًا على الحركة القومية العربية الفلسطينية، بيروت دار ابن رشد، دائرة الثقافة والإعلام، منظمة التحرير الفلسطينية، ط2، 1978، ص 245-246.

العربي سقفه تهاوى، فمن التحرير إلى إزالة آثار العدوان، وانتقلت تفاصيل مشاريع التسوية من النظر للقضية الفلسطينية كشأن إنساني وقضية لاجئين، إلى مرحلة جديدة أصبحت فيها هذه المشاريع مدخلاً لتكريس إسرائيل كأمر واقع، بما يستدعي عدم البحث في نتائج حرب 1948، بل البحث عما أسفرت عنه حرب حزيران. فصدر قرار 242، إلى جانب مشاريع أخرى غير أممية، تنبئ بأن الحلول القادمة ستسير في فلك إنهاء قضية اللاجئين، وإقامة حكم ذاتي فلسطيني على أقل مساحة من الأرض.

ورغم أن مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الخرطوم عام 1967 خرج باللاءات الثلاث الشهيرة "لا صلح، لا مفاوضات، لا استسلام"، إلا إن الأنظمة العربية سرعان ما ستعامل مع مشاريع التسوية، غير أن الإطار العام للمشاريع العربية ستركز على انسحاب إسرائيل من الأرض المحتلة سنة 1967، والإطار العام للمشاريع الإسرائيلية ستركز على إنهاء حالة الحرب وإقامة علاقة طبيعية مع البلاد العربية، مع إنكار حقوق الشعب الفلسطيني. أما الإطار العام للمشاريع الدولية فسيحاول الجمع بين الرؤيتين العربية والصهيونية.<sup>(1)</sup> وكان القاسم المشترك بين هذه المشاريع هو ظهورها كردة فعل على ما يدور ميدانياً على الأرض، ومحاولة استثمارها بما يضمن خدمة الطرف الأقوى، وحتى بعد حرب 1973 التي أعادت شيئاً من الثقة للعرب، عادت مشاريع التسوية من خلال قرار 338، لتعيد الحديث عن قضية فلسطينية في حدود لا تتعدى حدود 67.

وهكذا أخذ خيار التسوية طريقه بالتراكم شيئاً فشيئاً، بشكل تساق مع سياسة الخطوة-خطوة، التي بناها وعمل عليها هنري كيسنجر، وتمكنت الولايات المتحدة بموجبها من إبرام صفقة التسوية بين مصر وإسرائيل (معاهدة كامب ديفيد 1979م)، وأدت إلى تكريس مبدأ المفاوضات الثنائية والاتفاقيات المنفردة، وانحسر خيار الحرب والمقاومة عربياً ضد إسرائيل بالتدرج، وانتشر خيار السلام مقابل الأرض، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

### **الموقف الفلسطيني من مشاريع التسوية:**

كان المطلب الفلسطيني الشعبي والرسمي الذي لا يقبل التنازل أو المساومة، هو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر، وإخراج المهاجرين اليهود الصهاينة منها. وقد أخذ هذا

---

(1) المشاريع والأفكار الصهيونية تجاه تسوية القضية الفلسطينية، ص 291

الموقف بالتبدل منذ 1968 إذ عرض أبو إياد صلاح خلف هدف فتح الاستراتيجي، وهو إنشاء دولة ديموقراطية في فلسطين يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في مساواة تامة وتكافؤ كامل. وهو ما تم تبنيه في م.ت.ف في المجلس الوطني الخامس في فبراير 1969<sup>(1)</sup>، ويعني ذلك أن الفلسطينيين لم يعودوا يُصَرّون على خروج المهاجرين اليهود المعتدين من فلسطين، مهما كان عددهم وسنة هجرتهم، مع إعطائهم حق المواطنة الكاملة فيها.

وفي بداية السبعينات اصطدم المشروع الوطني المقاوم بعوائق لا يستهان بها، وتعرض لأزمات أصابته في الصميم، وكان أخطرها حرب أيلول عام 1970، ومباشرة إسرائيل لعمليات الاستيطان، بالإضافة إلى الأوضاع المحلية والدولية بعد حرب أكتوبر 1973، التي شكلت بنتائجها مرحلة جديدة من مراحل البحث عن تسوية سياسية للنزاع العربي الإسرائيلي، مما دفع قيادة م.ت.ف للتسريع من عملية "تحرير نفسها من نظرية (كل شيء أو لا شيء)، بعد أن أدركت مدى أهمية الوسائل السياسية في التوصل لتسوية صراعها الدائر مع إسرائيل، فالكفاح المسلح لم يعد الحل الوحيد الممكن للقضية الفلسطينية من الناحية العملية<sup>(2)</sup>، حيث أقر المجلس الوطني الفلسطيني برنامج النقاط العشر في يونيو 1974 في القاهرة، مما أعطى انطباعاً لدى العالم أن م.ت.ف قد أصبحت أكثر "إيجابية" وأكثر "واقعية"، وهو ما أعطى القيادة الفلسطينية مجالاً أكبر للمناورة السياسية. وقد تحققت نتائج ذلك في القمة العربية في الرباط 1974 التي اعترفت ب م.ت.ف ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني<sup>(3)</sup>. وحققت م.ت.ف العديد من المكاسب السياسية على منابر الأمم المتحدة، غير أن الحملات العسكرية التي تعرضت لها المنظمة، أضعف من تأثيرها العسكري ضد الكيان الصهيوني. وبدأت القيادة الرسمية للمنظمة، تظهر ميولاً واضحة للتساوق مع المشاريع الأمريكية لتسوية الصراع في المنطقة<sup>(4)</sup>.

وفي عام 1985 وقع الأردن ومنظمة التحرير ما سمي باتفاق عمان، وجاء فيه أن الطرفين

---

(1) منير الهور وطارق الموسى، مشاريع اتسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، عمان - دار الجليل، ط2، 1986، ص 137-139.

(2) حمزة عبد الحميد الصمادي، تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964 م، 2006، ص 182

(3) انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج1، ص 552-557.

(4) جورج حبش، وآخرون، اللاجئون الفلسطينيون جوهر الصراع وعقدة التسوية، دمشق، مركز دراسات الغد العربي، ط1، 2003 م، ص 25

اتفقا على السير معا نحو تحقيق تسوية سلمية عادلة لقضية الشرق الأوسط<sup>(1)</sup>، "وفق مبدأ الأرض مقابل السلام وعبر مفاوضات في مؤتمر دولي وبوفد مشترك مع الأردن. وقبيل هذا الاتفاق طرح الأمير فهد ولي العهد السعودي عام 1981 مشروعاً للتسوية، ثم جاء مشروع قمة فاس 1982، ومعظم تلك المشاريع حظيت بمعارضة أو رفض فصائل المنظمة؛ لأنها تقود إلى سلام غير مكتمل<sup>(2)</sup> أو مصالحة ليست تاريخية، بل محكومة بموازين القوى، ولا تفضي إلى إنجاز الحقوق الوطنية التاريخية للشعب الفلسطيني<sup>(3)</sup>.

وهكذا فإن سمة الرفض الفلسطيني لمشاريع التسوية لم تدم طويلا، فقد تطور الموقف الفلسطيني من العام 1965 لعام 1993 من التطرف إلى الاعتدال، ثم إلى المساومة، فالمفاوضات مع إسرائيل، وتغلب خيار التسوية على خيار المقاومة في النهاية، خاصة بعد أن فقدت قيادة م.ت.ف برحيلها عن لبنان القاعدة الآمنة التي كانت توفر لها حرية الحركة<sup>(4)</sup>، وبدأت المنظمة في التعااطي مع المشاريع السلمية. وما أفضت إليه من تفاهات، كانت مجحفة في نصوصها بالحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني.

### مشاريع التسوية 1987 - 2000

تُمثّل هذه الفترة مرحلة دخول م.ت.ف فيما كانت ترفضه من قبل، وتعدّه من المحرمات والكبائر، حيث بدأت بفهم وإدراك معطيات الواقع الدولي، مما حدى بقيادة المنظمة إلى طرح مبادرة فلسطينية للسلام عام 1988م، هي الأولى من نوعها، أعلنت من خلالها قبولها بدولة فلسطينية إنطلاقاً من قرار تقسيم فلسطين، والذي نص على قيام دولتين متجاورتين في فلسطين الأولى يهودية، والثانية عربية فلسطينية. حيث رفضت إسرائيل وأميركا، التعااطي مع المنظمة إلا وفق شروطهما، ومنها نبذ العنف و"الإرهاب"، والاعتراف بالقرار 242، والاعتراف بإسرائيل، وهي

(1) صائب عريقات، الحياة مفاوضات، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، عمادة البحث العلمي، 2008، ص 100

(2) كمال الأسطل، طبيعة الصراع العربي الصهيوني ومنهجيته، مجلة السياسة الفلسطينية، ع 25، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، 2000، ص 23

(3) وليد سليم التميمي، "مفهوم التسوية السياسية"، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 9، ع 1.

<http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jss/arabic/showarticle.asp?id=896>

(4) عيسى أبو زهرة، تغيير الفكر السياسي الفلسطيني 1987-1993، أيلول 2003 م، مجلة رؤية، العدد 23.

<http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/23/page6.html> 2007/5/1

الشروط التي إستجابت لها قيادة المنظمة في 1988<sup>(1)</sup>.

وقد عانت م.ت.ف خلال 1986 - 1987 حالة من الاستضعاف السياسي، والتميش، غير أن اندلاع الانتفاضة في 1987 وقّر لها رافعة سياسية كبيرة، وكوّس الهوية الفلسطينية، ثم ما لبث العالم العربي والإسلامي أن انقسم على نفسه إثر الاجتياح العراقي للكويت 1990، حيث دخلت المنطقة إلى عملية تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي على كافة المسارات، وقد ساعد على ذلك انتهاء الحرب الباردة<sup>(2)</sup>. وبسقوط الاتحاد السوفيتي وانهاره خسر العرب مصدراً أساسياً للتأييد السياسي والاستراتيجي في المحافل الدولية، مما اضطر الدول العربية إلى قبول الخيار السلمى التفاوضي<sup>(3)</sup>، فجاء طرح صيغة مدريد في توقيت تفاعلت فيه مجموعة المتغيرات والتحولت مثل الانحسار النسبي للمد القومي والثورى العربي، وحالة التشتت العام التي يعاني منها العالم العربي خاصة بعد أزمة الخليج الثانية وما ترتب عليها من انهيار للجبهة الشرقية<sup>(4)</sup>.

والشيء اللافت للنظر هو أن الوضع العربي في معادلة الصراع كان ينتقل دائماً من سيء إلى أسوأ، وكانت قدرة الدول العربية على استثمار التحولات التي تطرأ على النظام الدولي محدودة، وفي مقابل ذلك توظف إسرائيل سياساتها الخارجية على كافة الأصعدة لخدمة دعم عملية بناء القوة الذاتية الإسرائيلية<sup>(5)</sup>، مما أدى إلى قبول الدول العربية الرؤية الأمريكية الخاصة بالحل السلمى<sup>(6)</sup>، واستطاعت إسرائيل أن تحقق معظم أهداف سياستها الخارجية

---

(1) تجربة م.ت.ف السياسية من المقاومة المسلحة إلى التسوية السلمية 1964 م، ص 5

(2) محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتي: المخاطر والفرص، في: طه عبد العليم (محرر)، انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيراته على الوطن العرب، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، فبراير 1992م، ص 201-232.

(3) الأمة في عام تقرير حولي عن الشؤون السياسية والاقتصادية العربية 1991/1992" القاهرة، مركز الدراسات الحضارية 1992/1991، ص 125/128.

(4) حول انعاسات حرب الخليج على الأمن القومي العربي، انظر: عبد المنعم المشاط، "أثر حرب الخليج على مفهوم الامن القومي"، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، خريف / شتاء 1993. (ص 7-35).

(5) لمزيد من التفاصيل، ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي في ظل المتغيرات الدولية الجديدة، حسن نافعة، مصدر سابق، ص 159-163، الصراع العربي - الصهيوني وأبعاده العربية والدولية، وليد الخالدي، المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 105، نوفمبر 1987م.

(6) ينظر: نص خطابات الرئيس بوش إلى الأطراف العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 4، 1991م، ص 179-183.

بالإلغاء الكامل للقيود المفروضة على الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي<sup>(1)</sup>، وبإلغاء قرار اعتبار الصهيونية حركة عنصرية، وإعادة علاقاتها الدبلوماسية مع غالبية دول العالم، مما مكّن أمريكا من فرض رؤيتها للتسوية السلمية، فكان مؤتمر مدريد، وما تبعه من اتفاقيات مع م.ت.ف، واتفاقية وادي عربة مع الاردن، بالإضافة إلى إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية بين إسرائيل وعدة دول عربية.

وقد حاول الرئيس كلنتون في نهاية ولايته الثانية التوصل إلى اتفاقية سلام بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في كامب دافيد، تم جاء الرئيس جورج بوش الابن وألقى خطاباً في 24-2002 حول رؤيته للسلام في الشرق الأوسط، شكل أساساً لفكرة مشروع خريطة الطريق، حيث يدعو المشروع إلى الوصول إلى تسوية نهائية على أساس إقامة الدولة الفلسطينية وفق قرارات الشرعية الدولية<sup>(2)</sup>، واستمرت الجهود خلال فترة أوباما، إلا أنها باءت بالفشل بسبب التعنت الإسرائيلي والتحيز الأمريكي، تم جاء ترامب فتخلى عن كل التفاهات السابقة واعترف بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل، مما أوجد واقعاً متأزماً شجع اليمين الصهيوني على الإعلان عن ضم الضفة الغربية لإسرائيل، مما يعنى انتهاء العملية السلمية فعلياً.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول جذور اليهود في الاتحاد السوفيتي وقضية هجرتهم، ينظر: عبد الوهاب المسيري،

هجرة اليهود السوفيت، كتاب الأهالي، ع480، 1990

(2) المسار التائه للدولة الفلسطينية، محسن صالح، ص85

## المبحث الثاني: الحلول المطروحة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

كان إقبال الأنظمة العربية و م.ت.ف على المشاركة في عملية التسوية السلمية، ينطلق أساساً من خلفيتين: الأولى: حالة العجز العربي واختلال موازين القوى، بما يجعل مستحيلاً في المدى المنظور تحرير فلسطين بالوسائل العسكرية، والثانية: عامل الزمن، وشعور الأنظمة العربية أن الزمن لا يعمل لصالحها حيث يقوم الكيان الصهيوني ببناء الحقائق على الأرض، وقد كان يتنازع الجانب العربي والفلسطيني تياران أساسيان تجاه التسوية، الأول: هو تيار الدول العربية المعتدلة (مصر ودول الخليج) بالإضافة إلى م.ت.ف، وهو يدعم مسار التسوية واتفاقات أوسلو، والثاني: هو تيار دول الممانعة (سوريا والعراق وليبيا.. الخ) بالإضافة إلى المعارضة الفلسطينية الذي تقوده أساساً حركة حماس وعدد من فصائل المقاومة.

أما في الجانب الإسرائيلي الصهيوني فإن السياسة الإسرائيلية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، نابعة من الاستراتيجية الصهيونية القديمة، القائمة على أساس أن فلسطين هي أرض الميعاد، وأرض الأجداد، ولا يمكن التنازل عنها بأي حال من الأحوال<sup>(1)</sup>، ولذا فقد كان تعدد المشاريع والأفكار الإسرائيلية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، أمراً مقصوداً، لترك الانطباع عند المجتمع الدولي أن إسرائيل تمد يدها للسلام لإيجاد حل مناسب لهذه القضية<sup>(2)</sup>، حيث تركز الرغبة الإسرائيلية في التسوية السلمية على قضية جوهرية تؤرّق قاداته وهي التحول إلى كيان سياسي طبيعي في المنطقة، وتحويل النظرة إليه من كيان سرطاني وخطير يجب استئصاله، إلى ظاهرة صحية طبيعية؛ لأن الجانب الصهيوني يدرك تماماً أن لا مستقبل له في المنطقة دون ذلك، وأنه ما دامت حالة العداء موجودة وما دامت المعركة معركة أجيال متواصلة، فإن العرب والمسلمين سيملكون يوماً ما أدوات القوة، وبالتالي فإن هذا الكيان سيبقى مهدداً بالزوال لحظة تغير موازين القوى. والصهاينة ينقسمون إلى مدرستين تجاه التسوية السلمية، وشكل تحقيقها:

المدرسة الأولى: مدرسة حزب العمل، والتي تركز على الحفاظ على الطابع اليهودي لإسرائيل، وتسعى لتحقيق مخطتها الصهيوني من خلال الهيمنة الاقتصادية على المنطقة،

(1) انظر: غسان حمدان، التطبيع استراتيجية الاختراق الصهيوني، دار الأمان، بيروت، ط1، 1989.

(2) المشاريع والأفكار الصهيونية تجاه تسوية القضية الفلسطينية، ص315

وتحولها إلى كيان طبيعي من خلال إيجاد أوضاع سياسية وثقافية وإعلامية وأمنية تخدم مثل ذلك التصور.

المدرسة الثانية: مدرسة حزب الليكود، وهي تمجّد استخدام القوة، وتؤكد على فكرة الحدود التاريخية للكيان الإسرائيلي، وهي مستعدة للتعاطي مع العمل السياسي وفق ما يخدم المصلحة الإسرائيلية تكتيكياً. ولكنها لا تثق بأن العرب والمسلمين سيتحولون يوماً ما إلى أصدقاء، وهي ليست مطمئنة إلى فكرة التحول إلى كيان طبيعي، وإن كانت ترغب بذلك. كما أنها لا ترى في ظلّ الأوضاع وموازين القوى التي تميل إلى صالحها ما يجبرها على تقديم تنازلات للعرب. وترى أن الأفضل هو العمل الحثيث وبناء حقائق على الأرض يستحيل التنازل عنها، وخلال ذلك الزمن إما أن يستجيب العرب والفلسطينيون للتصور الليكودي للتسوية، أو أن يكون قد تم تهويد الأرض، أو تحقيق تهجير طوعي أو قسري للفلسطينيين... وبذلك يحلّون المشكلة من جذورها<sup>(1)</sup>.

وبرغم هذا الخلاف بين المدرستين إلا أن هناك قواسم مشتركة بين كافة الأطراف الصهيونية مثل: لا تنازل عن الأرض المحتلة سنة 1948، ورفض التنازل عن السيادة عن القدس الشرقية، وأن الدولة الفلسطينية إذا ما قامت في الضفة والقطاع فيجب أن تكون منزوعة من السلاح الثقيل، وأن تضمن الأمن الصهيوني<sup>(2)</sup>، وتتطلع إسرائيل لإنجاز تسوية تاريخية ونهائية مع الفلسطينيين، تحظى بتأييد عربي وإسلامي ودولي وترتكز على، الاعتراف الفلسطيني بإسرائيل دولةً قوميةً للشعب اليهودي، وأن تؤدي التسوية إلى إنهاء الصراع ووضع حد للمطالب المتبادلة، وحل قضية اللاجئين الفلسطينيين خارج تخوم دولة إسرائيل<sup>(3)</sup>، وبقاء الكتل الاستيطانية في الضفة تحت السيطرة الإسرائيلية، وعدم السماح بقيام دولة فلسطينية ذات سيادة<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) حبيب الياس، مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية، 08-10-2014- دنيا الوطن  
(2) انظر: محسن محمد صالح، مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية 1937 – 2001، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية (4)  
(3) غانية ملحيس، عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي- الطبعة الأولى: حزيران – 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات- البيرة، ص330  
(4) تقرير الزيتونة (2012): مستقبل الدولة الفلسطينية في ظل حل الدولتين. إعداد مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. نشر في موقع النبا. 2012/11/4.

## خيارات حل الصراع العربي الاسرائيلي

إزاء المواقف المختلفة لاطراف الصراع من قضايا الصراع ومفاهيمه والمشاكل العالقة، فإن هناك عدة خيارات مطروحة لحل القضية الفلسطينية، وتراوحت مشروعات التسوية للصراع العربي الصهيوني في توصيفها للحيز الجغرافي للدولة الفلسطينية بين مستويات عدة:

- فلسطين دولتان إحداهما للفلسطينيين وحيزها حدود 1967، وأخرى يهودية على باقي الأراضي..
- فلسطين دولتان إحداهما فلسطينية على حدود 1967 مع القبول بتغييرات يُتفق عليها بين الأطراف من خلال مفاوضات أراضٍ بين الفلسطينيين والإسرائيليين والدول العربية، وهو مرفوض عربياً.
- إقامة دولتين متجاورتين، فلسطين في مناطق "أ" و"ب" التي نصت عليها اتفاقيات أوسلو مع استثناء المنطقة "ج"، التي ستُضم إلى أراضي الدولة الإسرائيلية، وهو ما توافق عليه النخبة الإسرائيلية بأسس ومبادئ وشروط، قد تكون صعبة للجانب الفلسطيني.
- فلسطين دولة واحدة للشعبين الفلسطيني واليهودي: وهو ما تتبناه قوى يسارية في معظمها لكنها الأضعف من حيث موازين القوى وهو مرفوض من إسرائيل لأنه يمس يهودية الدولة.
- الاتحاد الكونفيدرالي "بتشكيل اتحاد كونفدرالي فلسطيني وآخر إسرائيلي بحكومة مشتركة وعاصمة موحدة في القدس وترفضه إسرائيل مثل الحل الأول.
- فلسطين دولة خارج حدود فلسطين وعلى حساب دول الجوار وتحديداً الأردن، وهو ما يروج له اليمين اليهودي المتطرف<sup>(1)</sup>.

ومما تقدم يتضح لنا إننا أمام خيارين للحل الأول: خيار الدولتين (بأشكاله المختلفة) المبني على أساس التقسيم الجغرافي لفلسطين، والحل الثاني: هو حل الدولة الواحدة بأشكالها المختلفة.

### أولاً: حل الدولتين الفرص والمعوقات

حل الدولتين مقترح يقوم على تسوية للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني على أساس التقسيم الإقليمي لمساحة فلسطين التاريخية بين دولتين، إسرائيل وفلسطين، ويقوم في صيغته

---

(1) وليد عبد الحى، الدولة الفلسطينية: الممكن والمحتمل والمأمول، الأربعاء، 16 مايو/أيار 2012 - مركز الجزيرة للدراسات

السياسية على أساس إقامة دولة فلسطينية في حدود عام 1967 والتي تشكل 22% من مساحة فلسطين التاريخية، على أساس الاعتراف المتبادل مع إسرائيل التي أقيمت عام 1948 على نحو 78% من مساحة فلسطين التاريخية. وعادة ما يتم ربط التسوية الواردة بإضافة جملة مهمة حول إيجاد حل عادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وترتبط هذه التسوية عادة بقراري الأمم المتحدة رقم 242 لعام 1967 و 338 لعام 1973<sup>(1)</sup>.

وقد بات واضحاً قدرة مقترح حل الدولتين على تلبية مطالب الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، مع اختلاف الدوافع والمبررات التي دفعت كل طرف للسعي لتحقيق هذا الحل، فأغلبية من الإسرائيليين (53%) والفلسطينيين (52%) تؤيد حل الدولتين<sup>(2)</sup>، فإسرائيل تتخوف من الهاجس الديمغرافي للعنصر العربي فيها، أما منظمة التحرير الفلسطينية فترتكز دوافعها بالحصول على موطن قدم في فلسطين "كتكتيك" لتحقيق الثوابت الفلسطينية على مراحل، وقد عجز هذا الطرح لمدة تزيد عن عشرين عاماً عن تقديم إجابات شافية لكلا الطرفين بخصوص ما اصطلح على تسميته (قضايا الوضع النهائي): اللاجئين، القدس، الحدود، السيادة، المياه، غور الأردن، المستوطنات، تبادل الأراضي إلى آخره<sup>(3)</sup>.

### **الموقف الفلسطيني من حل الدولتين**

كانت صيرورة حل الدولتين منذ عقد السبعينات مروراً بعقد الثمانينات المتمثلة بإقامة دولة فلسطينية مستقلة "على أي جزء محرر من تراب فلسطين كتكتيك لإستراتيجية الدولة الديمقراطية الواحدة"<sup>(4)</sup>، وكان خيار الدولة الفلسطينية مطروحاً دولياً منذ قرار التقسيم عام 1947، وفلسطينياً منذ إعلان الدولة عام 1988. وتكمن أهمية هذا الخيار بانطوائه على

---

(1) تقرير مركز بديل (2005): "حل الدولتين، حل الدولة الواحدة وحقوق اللاجئين الفلسطينيين". ص 3  
(2) المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية-1 آب/ أغسطس 2017- هذه هي نتائج أحدث استطلاع مشترك للرأي العام الفلسطيني-الإسرائيلي أجراه كل من المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام الله ومركز تامي شتايمتز لأبحاث السلام في جامعة تل ابيب بتمويل من الاتحاد الأوروبي ومكتب الممثلة الهولندية

(3) عدلي المنصور، نعم دونالد ترمب: لا لحل الدولتين، صحيفة رأى اليوم -2017-2-17-  
<http://raialyoum.com/?p=623693>

(4) تقرير الزيتونة (2012): "مستقبل الدولة الفلسطينية في ظل حل الدولتين". إعداد مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. نشر في موقع النبأ. 2012/11/4.

مساومة تاريخية كبرى تشمل تنازل الفلسطينيين عن 78% من أرض فلسطين التاريخية مقابل إقامة دولة فلسطينية على ما تبقى، ولكنها مساومة مطروحة من الطرف الفلسطيني، وليست مقبولة من إسرائيل التي تريد ضم أجزاء مهمة من الضفة الغربية بما يشمل القدس، وتصفية قضية اللاجئين<sup>(1)</sup>.

ولتحقيق مبدأ حل الدولتين سلكت منظمة التحرير الفلسطينية، عدة سبل، منها المفاوضات المباشرة مع إسرائيل وعندما وصلت المفاوضات لطريق مسدود قرر الفلسطينيون الذهاب للأمم المتحدة للحصول على عضوية لدولة فلسطين. ويعتبر خيار الدولتين حلاً مقبولاً حسب الشروط الفلسطينية لما حققه من تأييد عربي وعالمي وإجماع فلسطيني. وعلى الرغم من انعدام الحركة نحو تغيير جذري وإنجاز سياسي في ظل السياسة الإسرائيلية المتعنتة، سيبقى الطرف الفلسطيني متشبهاً بقرارات الشرعية الدولية مع تبني طرح الدولتين، رغم ما يحمله من عقبات تضعها إسرائيل تحول دون تحقيقه، في ابتزاز واضح يعكس موازين القوى وقدرتها على فرض الحلول<sup>(2)</sup>.

### *الموقف الإسرائيلي من حل الدولتين*

إن الخارطة السياسية الإسرائيلية من اليسار إلى الوسط مقتنعة بأشكال مختلفة بحل الدولتين، وحتى اليمين الإسرائيلي الأكثر تطرفاً لم يعد يستطيع التهرب من معادلة الدولتين<sup>(3)</sup>، ويعتقد الإسرائيليون أن حل الدولتين يقتضي بإعادة تقسيم إسرائيل/ فلسطين والقدس، حيث يوفر هذا السيناريو إمكانية لتكوين شعبين شرعيين، فلسطيني وإسرائيلي<sup>(4)</sup>، وما يمكن استنتاجه من كل ما تقدّم هو أن الإقرار بحل الدولتين يتوازى مع مطلب تكريس الدولة اليهودية. وبكلمات أخرى، المساومة على مناطق 1967 من أجل إغلاق ملف 1948، وبذا فإن

---

(1) هاني المصري، القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، ص 20  
(2) عايش أحمد قاسم، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والحلول المطروحة-دراسة إستشرافية، مركز التخطيط الفلسطيني.  
(3) أيمن عودة، بين "حل الدولتين" و"حل الدولة الواحدة"، دراسة منشورة على موقع الجبهة الديمقراطية للتغيير، 2009 والمساواة.

<http://www.aljabha.org/index.asp?i=46133>

(4) أوران يفتاحيل، الأثنوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين، ترجمة: سلافه حجاوي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله، 2012، ص 376:375.

حل الدولتين، وفق المقاس الإسرائيلي، يستند إلى فرضيتين رئيسيتين: الأولى: أن يسفر قيام الدولة الفلسطينية بمقتضى الشروط الإسرائيلية عن نهاية الصراع، والتسليم التام بنتائج نكبة 1948 وبوجود إسرائيل، الثانية: أن تلتزم الحركة الوطنية الفلسطينية إذا ما أتيحت لها الفرصة لإقامة دولة لنفسها، تحقيق هذا الهدف كحد أقصى<sup>(1)</sup>.

ويدل التوجه العام الإسرائيلي على استمرار المعارضة لقيام دولة فلسطينية رغم أن هذه النسبة المعارضة تتراجع من 79% عام 1987 إلى 52% عام 1996 وبلغ 29% عام 2010، بينما رفض 68% من الإسرائيليين عام 2012 وقف الاستيطان في الضفة الغربية، كما أن النسبة العظمى من الإسرائيليين يرفضون تعريف الدولة الفلسطينية على أنها تعني العودة إلى حدود 1967<sup>(2)</sup>.

وفي مجموعة دراسات عن مستقبل إسرائيل. كتب (سامي سموحة) بجامعة حيفا عام 1984 "إن العلاقة بالفلسطينيين في الضفة هي بلاشك محور لانقسام سياسي عميق يهدد سلامة الحكم في إسرائيل، وسبب الخلاف الرئيسي هو فكرة أرض إسرائيل الكاملة أو تقسيمها"، ورأى الكاتب أن فكرة الضم التي ينادي بها الليكود غير واقعية بسبب كثرة عدد السكان الفلسطينيين في الضفة وغزة ووعيمهم ونضالهم العنيد، يضاف إلى ذلك أن المشكلة الفلسطينية مشكلة دولية وليست داخلية، كما أن الضم سيعني دولة ذات قوميتين وسيكون الخيار بين إلغاء الصهيونية، أو تصعيد القمع، ولذلك طالب الكاتب بضرورة الانفصال عن فلسطيني المناطق، وإعادة تقسيم أرض إسرائيل وهو مبدأ قبله اليهود عام 1947؛ لأنه الحل الواقعي الوحيد الذي يمكن أن ينقذ الحكم من المصيبة الفلسطينية<sup>(3)</sup>.

وفي نفس مجموعة الدراسات الصهيونية التي كانت تحت عنوان (إسرائيل على عتبة القرن الواحد والعشرين) انضم جفرائيل بن دور من دائرة العلوم السياسية بجامعة حيفا، إلى نفس

---

(1) أنطوان شلحت، عن الصيرورة الراهنة للمشروع الصهيوني، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية-مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي- الطبعة الأولى: حزيران - 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات- البيرة، ص 173.

(2) وليد عبد الحى، الدولة الفلسطينية: الممكن والمحتمل والمأمول، الأربعاء، 16 مايو/ أيار 2012 - مركز الجزيرة للدراسات

(3) الكيان الصهيوني عام 2000، تأليف نخبة من السياسيين والباحثين الإسرائيليين، وكالة المنار للصحافة والنشر- نيقوسيا - قبرص، ط1، 1986 ص 60-61.

التوقع في ذلك الوقت المبكر (1984): "إما أن تلجأ إسرائيل إلى تصفية الاحتلال، وإما أن يقود هذا الاحتلال إلى تصفية إسرائيل"، ونفس الموقف اتخذته (ألوف هارثيفين) حين وصف قرار تحديد مستقبل الأراضي المحتلة بالقرار الحاسم الأكثر صعوبة الذي يواجه إسرائيل عام 2000 لذات الحثيات المشار إليها<sup>(1)</sup>، فالإستراتيجية الإسرائيلية أصبحت قائمة على أنه لا بدّ من قيام دولتين مسالمتين في فلسطين. ولا يمكن أن يتمّ تحقيق ذلك إلا بتقسيم جديد لفلسطين يقوم على مبدأ الفصل شبه الكامل بين الشعبين اليهودي والعربي<sup>(2)</sup>.

وبالرغم مما تقدم فإن هناك عوامل إيجاب وسلب بالنسبة لإسرائيل في إقامة دولة فلسطينية مستقلة، حيث تتمثل عوامل الإيجاب في رغبة إسرائيل في التخلّص من عبء الديمغرافيا الفلسطينية الصاعدة، ومن عبء الاحتلال، حيث برز حماس الصهيونيّ للدولتين لأسبابٍ ديمغرافية منذ العام 1980، حين أصدر أستاذان في الجامعة العبرية (دوف فريدلاندر وكالفن غولدشير) دراستهما، سگان إسرائيل، واستنتجا إنّ نسبة الولادات العالية بين العرب ستؤدي إلى تآكل الأغلبية اليهودية خلال سنواتٍ قليلة، وسيكون في العام 2010 عددُ سگان إسرائيل 10 ملايين لا يشكّل اليهود بينهم أكثر من 45%، وهذه الدراسة أسّست لحماس حزب العمل الإسرائيليّ لخيار الدولتين بهدف الحفاظ على الطابع اليهوديّ للدولة، بل استخدمها فزاعةً في وجه معارضي أوصلو.

يضاف الى ذلك رغبة إسرائيل في التخلّص من مسألة اللاجئين، عبر إحالتها على الدولة الفلسطينية الموعودة، وأيضا رغبة إسرائيل في الاندماج في المنطقة والإقليم، بإظهار نفسها دولة "طبيعية" بحدود واضحة، والاهم من ذلك خشية إسرائيل من تنامي الدعوات الإسرائيلية والفلسطينية وتلاقحها باتجاه القول باستحالة إقامة دولتين في فلسطين التاريخية، مع ما يعنيه ذلك من نهاية للمشروع الصهيونيّ ولفكرة "الدولة اليهودية".

اما عوامل السلب في الموقف الإسرائيليّ من إقامة دولة فلسطينية مستقلة، فهي العامل الديمغرافيّ حيث تخشى اسرائيل من سيطرة فلسطينية تمتدّ عبر الأردن إلى الضفة وغزة. يضاف إلى ذلك أكثر من مليون فلسطيني داخل فلسطين 48 نفسها، وهذا الضغط والحصار

(1) مجدى حسين، حزب كاديما عنوان انهيار مشروع إسرائيل الكبرى، - 18-2-2006-

<http://magdyhussien.blogspot.com/archive/2006/02/18/>

(2) نبيل خليفة، "الاستراتيجيون الإسرائيليون نحو حلول جذرية تبادل الأراضي والسكان والترانسفير"، مجلة الوسط السياسي، بيروت، 2005

الديمغرافي سيثكلان، خطراً كبيراً على يهوديتها ووجودها. كما إن إقامة دولة فلسطينية مستقلة ستشكل خسارة لاقتصاد إسرائيل المهيمن، وأيضاً التخلي عن "أرض الميعاد" في الضفة الغربية سيصيب التيارات الإيديولوجية في الحركة الصهيونية ويؤدي إلى انقسام فيها.

### *الموقف الدولي من حل الدولتين*

عرضت خارطة الطريق الموقف الأمريكي لإنهاء الصراع من خلال توصل الفريقين إلى اتفاق ينهي النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني عام 2005، عن طريق تسوية يتم التفاوض حولها على أساس قرارات مجلس الأمن 242، 338 و1397، التي تنهي الاحتلال الذي بدأ عام 1967، وتتضمن حلاً متفقاً عليه، عادلاً، ومنصفاً، وواقعياً لقضية اللاجئين، وحلاً تفاوضياً لوضع القدس يأخذ بعين الاعتبار الاهتمامات السياسية والدينية للجانبين، ويصون المصالح الدينية لليهود والمسيحيين والمسلمين على صعيد العالم، ويحقق رؤيا دولتين، إسرائيل، ودولة مستقلة وقابلة للحياة هي فلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن".

وجاء الموقف الأوروبي ليؤكد أن الاتحاد الأوروبي يعتبر البيانات الصادرة عنه في عامي 2009 و2010 والمتعلقة بعملية السلام في الشرق الأوسط، تمثل سياسة الاتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط والتي تؤكد مبدأ حل الدولتين كأساس لحل الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، وبإيجاز نستطيع القول: "أن مواقف المجتمع الدولي شكلت قوة داعمة باتجاه إنجاز حل الدولتين، ولكنه لم يشكل قوة ضاغطة تمتلك آليات تنفيذ بسبب التعنت الإسرائيلي"، إلا أن هذا الخيار مازال قائماً وفق ما عبر عنه المجتمع الدولي، ولكن جاء وصول ترامب للسلطة وقراره الأحادي بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل، ليشكل تنكراً للمواقف والوعود السابقة وخروجاً على الموقف الدولي، مما وضع العملية السلمية في مهبط الريح.

### *مواقف حل الدولتين*

إن قيام الدولة الفلسطينية ضمن حل الدولتين أصبح الآن مشروعاً دولياً، وهو المخرج الوحيد المطروح على أجندة العملية السياسية الدولية لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، وعلى الرغم من ذلك، يقف المجتمع الدولي عاجزاً أمام ما تقوم به إسرائيل من أعمال تخالف

---

(1) عبد الحي وليد، الدولة الفلسطينية الممكن والمأمول، موقع الجزيرة للدراسات.

<http://studies.aljazeera.net/reports.2012/10/26>

القانون الدولي وتَفَوُّص حل الدولتين<sup>(1)</sup>، في ظل غياب مرجعيات دولية تحتكم للقانون الدولي، وعدم وجود راعٍ نزيه لعملية السلام، إضافة إلى معيقات الانقسام الفلسطيني، ويبقى لموازين القوى التي تميل لصالح إسرائيل الكلمة الفصل في تحديد معالم الحل.

### المعيقات من الجانب الإسرائيلي

إن إسرائيل ترفض توقيع السلام، لأن الرؤية الصهيونية قامت على أساس شعب بلا أرض لأرض بلا شعب، لذلك فإنها لم تكن تعترف بوجود الشعب الفلسطيني؛ لأنه يمثل نقیضا لرؤيتها وروايتها الدينية والتاريخية، واعتبرت أن هؤلاء العرب طارئین على المكان، وغير متجذرين فيه، ويمكن استيعابهم في البلدان العربية، حيث توجد 22 دولة عربية بينما توجد إسرائيل واحدة<sup>(2)</sup>، كما إن هناك مخاوف إسرائيلية من إن استمرار الاحتلال مع النمو السكاني الفلسطيني في فلسطين التاريخية سيؤدي إلى وجود أغلبية فلسطينية في سنوات قليلة، قد تدفع الفلسطينيين إلى خيار الدولة الواحدة تنائية القومية<sup>(3)</sup>، ولكن هناك موقف يمثل اليمين ممثلاً بحزب (المفدال) الذي يفند الادعاءات حول الخطر الديموغرافي ويرفض الحل السياسي، ويدعو لتكثيف الاستيطان، ومضايقة الفلسطينيين حتى يضطروهم إلى الهجرة<sup>(4)</sup>.

### المعيقات من الجانب الفلسطيني

إن طرح حل الدولتين يعجز عن توفير إجابات شافية لمصير قطاعين مهمين من قطاعات الشعب الفلسطيني، وهما الفلسطينيون المواطنين داخل إسرائيل واللاجئين الفلسطينيين، والتي تتعلق قضيتهم ومصيرها بعام 1948 مباشرة، فحل الدولتين في أحسن حالة قادر على حل مشكلة الفلسطينيين من غير اللاجئين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، وستكون حتماً على حساب القضيتين الحقيقيتين<sup>(5)</sup>. كما إن طرح حل الدولتين قد يخلف العديد من

---

(1) نبيل قسيس، قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية، ص 129-

130

(2) المسار التائه للدولة الفلسطينية، ص 75

(3) المسار التائه للدولة الفلسطينية، ص 95

(4) عشرة أعوام على جدار الفصل، رندة حيدر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012 ص 14:13.

(5) حل الدولتين، حل الدولة الواحدة وحقوق اللاجئين الفلسطينيين"، مركز بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ملخص ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء التنسيقي السادس للائتلاف الفلسطيني لحق العودة، هولندا، نوفمبر تشرين ثاني، ص 4، 2005

القضايا دون حل، وإمكانية قيام دولة فلسطينية ضعيفة من المحتمل أن تظل معتمدة إلى حد كبير على إسرائيل<sup>(1)</sup>، ويشكل الفشل الفلسطيني في تحقيق مصالحه الداخلية، أحد المعوقات،<sup>(2)</sup> يضاف إلى ذلك أنه لا توجد لدى الفلسطينيين ثقة في نوايا إسرائيل الوفاء بالتزاماتها في اتفاقية دائمة<sup>(3)</sup>.

## مؤيدو حل الدولتين

بالرغم من ايمان البعض بأن حل الدولتين تراجع كثيراً إلى درجة الأفول، فإن كثيرون يعتقدون باهمية التمسك به، لأنه لم ينته كلياً، ومن المفيد الاستمرار في التمسك به للأسباب الآتية:

- لا يزال محل قبول من الغالبية الفلسطينية كما يظهر ذلك من خلال تمسك المنظمة به، وتأكيد حماس على تأييدها له.
- هناك إجماع دولي على هذا الخيار يظهر بتأييد الدول العربية وغالبية ساحقة من دول العالم، وتكريسه في الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة، وجميع الدول الكبرى.
- إقرار إسرائيل بمبدأ قيام دولة فلسطينية، وتأييد جزء من الإسرائيليين والأحزاب الصغيرة لقيام دولة فلسطينية حقيقية، لكنّ الاتجاهات المركزية توافق على دولة مؤقتة على أجزاء من الأرض المحتلة.
- وجود أكثر من أربعة ملايين فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وعدم قدرة إسرائيل على طردهم، وتمسكهم بوطنهم، واستعدادهم للنضال حتى تحقيق أهدافهم.
- حاجة الأردن إلى قيام دولة فلسطينية، واعتبار قيامها مصلحة وطنية عليا للأردن، كونها تساعد على الحفاظ عليه وعلى استقراره، وتمنع تنفيذ الخيارات الإسرائيلية، مثل إحياء الخيار الأردني على حساب الفلسطينيين، أو الوطن البديل على حساب الأردنيين.
- قيام الدولة الفلسطينية يزيل عبئاً كبيراً عن الدول العربية أمام شعوبها، ويعزز وجودها

(1) الأنتوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل، فلسطين، ص376، 375.

(2) عبد الحي وليد، الدولة الفلسطينية الممكن والمحتمل والمأمول" موقع الجزيرة للدراسات.

<http://studies.aljazeera.net/reports.2012/10/26>

(3) إعادة التفكير في حل الدولتين". قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، 34، 2009، ص62.

وشرعيتها، التي كانت دائماً مطعوناً بها لأسباب عدة، أهمها عدم قدرتها على نصر القضية الفلسطينية.

- قيام دولة فلسطينية، من وجهة النظر الاسرائيلية، يبعد خطر استمرار وجود دولة واحدة من البحر إلى النهر يصبح فيها الفلسطينيون بعد سنوات قليلة أغلبية السكان.
- اقتناع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والمجتمع الدولي بأن قيام دولة فلسطينية بات مصلحة أمريكية وأوروبية ودولية، لتحقيق الأمن<sup>(1)</sup>.

## معارضو حل الدولتين

يرى معارضو حل الدولتين أن فرصة وجود دولتين منفصلتين باتت صعبة التحقيق، نظراً للأسباب التالية:

- من وجهة نظر ديموغرافية، بات من الصعب حماية دولة ذات طابع يهودي، أو دولة ذات طابع قومي فلسطيني، بسبب وجود أقلية فلسطينية كبيرة العدد تعيش داخل حدود إسرائيل 1948، وبسبب زيادة عدد المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما ان السكان اليهود والفلسطينيين ينتشرون داخل أرض محدودة، ويشتركون في نظام بيئي واحد، يستلزم جهوداً موحدة لإدارته والتحكم فيه.
- بالنسبة للقدس المحتلة عام 1967، فقد أصدرت إسرائيل قراراً بضمها وسمتها العاصمة الأبدية لإسرائيل، وما يطرحه الإسرائيليون لحل قضية القدس، فهو إما ضم أحياء القدس العربية ومحيطها إلى الدولة الفلسطينية المقترحة مقابل ضم التجمعات الإسرائيلية في القدس الشرقية لإسرائيل، في حين يدعوا آخرون لضم القدس الكبرى كاملة إلى إسرائيل.
- إن أي دولة فلسطينية سيتم القبول بها لن تملك مقومات البقاء الذاتي من منظور عناصر القوة اللازمة والضرورية لقيام دولة كاملة السيادة على أراضيها، حيث يصير الإسرائيليون على السيطرة والرقابة على مصادر المياه، وعلى المجالين الجوي والكهرومغناطيسي، وعلى المياه الإقليمية، وعلى الميناء<sup>(2)</sup>. والمجتمع الفلسطيني يعتمد

(1) القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل الإستراتيجية، هاني المصري، ص 32-33

(2) حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، عمر عاشور، تعارض المفاهيم والحلول البديلة، ص 119

على الاقتصاد الإسرائيلي، وسيؤدي تطبيق حل الدولتين إلى تبعية الدولة الفلسطينية للدولة اليهودية سياسياً واقتصادياً<sup>(1)</sup>. وهذا يعني البحث عن حلول إقليمية يمكن للدولة الفلسطينية أن تقوم من خلالها<sup>(2)</sup>

### مأزق خيار حل الدولتين:

بعد مرور أكثر من قرن على استمرار الصراع الفلسطيني - الصهيوني، وعلى الرغم من حدوث تطورات خلال العقدين الأخيرين توجي باقتراب نهايته لقرب تسويته، يتوفر اجماع محلي وإقليمي ودولي غير مسبوق على ضرورة حل الصراع، وتوافق غير مسبوق أيضاً، على أن أساس هذا الحل يرتكز على مبدأ تقسيم فلسطين، بإقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل داخل الجغرافيا الفلسطينية، وموافقة الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي المعنيين مباشرة بالصراع، وتأييد مختلف الأطراف العربية والإسلامية والإقليمية والدولية، إلا أن هذا الإجماع النادر حول ضرورة قيام الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين، لا يزال غير كافٍ لقيام الدولة الفلسطينية، حيث تشير كل الدلائل إلى وصول مسار التسوية السياسية إلى طريق مسدود<sup>(3)</sup>.

وبغض النظر عن التفاصيل فإن إسرائيل، على الصعيد الداخلي، تواجه مشكلة كبيرة تتمثل بأنّ المسارات الحالية التي تقودها حكومتها المتطرفة المتمثلة بتعزيز الاستيطان وإقامة الجدار الفاصل وتقويض السلطة الفلسطينية، ستؤدي إلى انهيار عملية التسوية القائم على خيار الدولتين، الأمر الذي يفسح المجال لخيارين: إما الدولة العنصرية اليهودية، على أوسع رقعة من الأراضي وبأكبر عدد من الفلسطينيين المحرومين من الحقوق. أو الدولة الديمقراطية "ثنائية القومية" التي تعطي الحقوق لمواطنيها من الفلسطينيين، وكل من هذين الخيارين لا يتوافق مع فرضية إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية. ولذا فإن إسرائيل تبذل جهداً كبيراً لمواجهة هذا الكابوس الديمغرافي، عبر تحسين علاقاتها بالتجمعات اليهودية في العالم، واستصدار التشريعات التي تشجع على الهجرة والتي تسهّل على النازحين منها العودة إليها، ولكن مهما حاولت إسرائيل فإنها ستظل حائرة أمام عقدة الجغرافيا والديمغرافيا، والمشكلة أنّ

(1) "إسرائيل كديمقراطية للتعددية الثقافية". قضايا إسرائيلية، يونا، يوسي لمركز الفلسطيني للدراسات، مدار. رام الله. العدد 27، (2007)، ص 25.

(2) ناجي صادق شراب، مقارنة جديدة لحل الصراع العربي، "الإسرائيلي، صحيفة الخليج الإماراتية، الثلاثاء 15/يناير/ كانون الثاني 2013

(3) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص 324.

تخليها عن أحد الجانبين ينزع عنها مبرر وجودها، فهل تختار الأرض، أم تختار التخلي عن كونها دولة يهودية؟<sup>(1)</sup>.

وهنا قد تلجأ إسرائيل إلى التحول إلى إدارة الصراع بعد العجز عن حله بفرض شروطها، ومحاولة فرض الحل الإسرائيلي كأمر واقع لا يترتب عليه التزامات تعاقدية، عبر انسحاب أحادي لحدود جدار الفصل داخل الضفة الغربية إذا ما اضطرها ارتفاع كلفة احتلالها لذلك، ما قد ينجم عنه وضع مشابه لقطاع غزة، بمعنى انتهاء الوجود المادي للاحتلال الإسرائيلي في المناطق التي تنسحب منها أحادياً، ما يسمح بالتواصل الداخلي بينها، والتحرر كلياً من أعباء مسؤوليات الاحتلال، وتحميلها<sup>(2)</sup>، للسلطة الفلسطينية والعرب والمناحين، مع بقاء السيطرة الإسرائيلية الكاملة على القدس والمستوطنات، والمناطق الإستراتيجية، ومصادر المياه، والأغوار، والمنافذ مع العالم الخارجي، ومع تعميق الانفصال بين الضفة الغربية، والقدس، وقطاع غزة. وقد كانت بصيرة رابين الكبرى، كامنة في إدراكه أن الدولة اليهودية- الديمقراطية لا تملك خيار الاستمرار في الوضع القائم، ولذا فإنها تقف أمام خيارين: إما الخروج من وحل الاحتلال، وإما الغرق فيه<sup>(3)</sup>.

### حتمية فشل التقسيم ( دولتان متجاورتان )

تقول (فيرجينيا تيلي)، أستاذة العلوم السياسية في كلية هوبارت، إثر جولة واسعة لها حول العالم لبحث مستقبل القضية الفلسطينية: "تجربتي الأخيرة في القدس وبيت لحم وأوروبا وجنوب إفريقيا، وحوارات الإنترنت، أكدت لي أن موت حل الدولتين أصبح حقيقة مؤكدة أشبه بوجود فيل كبير في غرفة صغيرة". وهذا ما يتفق عليه ناشطو حقوق الإنسان، ومسؤولون الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والمنظمات اليهودية والشارع العربي. وفي المقابل، أصبح خيار الدولة الواحدة ثنائية القومية حتمياً بالنسبة لكل هؤلاء"<sup>(4)</sup>.

(1) عبدالله تركماني، معوقات السلام العربي، الإسرائيلي وأفاهه.

(2) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص331.

(3) عن الصيرورة الراهنة ل«المشروع الصهيوني» أنطوان شلحت، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية-مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي- الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات- البيرة، ص166

(4) فلسطين عودة خيار الدولة الواحدة - 14-يوليو/تموز موقع سويس انفو -

وهناك وقائع موضوعية على الأرض تؤكد أن مشروع الدولتين، الذي وجد تتويجه الكامل في إتفاقات أوسلو عام 1993 بين إسرائيل وحركة "فتح" وصل بالفعل، ليس فقط إلى طريق مسدود، بل تدحرج إلى هاوية سحيقة لن يستطيع الخروج منها سالمًا، بفعل رفض إسرائيل السماح ببروز دولة فلسطينية قابلة للحياة في الضفة وغزة. وهذا ما لحظته عشرات الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية والعربية والدولية التي أصدرت في 29 نوفمبر 2007 ما سمي "إعلان الدولة الواحدة" الداعي إلى إقامة دولة موحدة في فلسطين، تستند إلى المساواة وحقوق الإنسان والإعتراف بالروابط التاريخية لليهود والفلسطينيين في كل أراضي فلسطين".

ويسوق هؤلاء أسباب كثيرة تبرز فشل الدولتين مثل:

- 1- المنطقة ضيقة جداً لا تسع دولتين على الإطلاق، والدولتان ستقتاتلان؛ لأن أرض كل واحدة منهما هي أرض للأخرى حسب اعتقادهما وكل دويلة تشعر أنها مهددة من طرف الأخرى، ولن تستوعب كل منهما المهاجرين اليهود، واللاجئين الفلسطينيين، وهناك تداخل استيطاني بينهما.
- 2- إن هاتان الدولتان ليستا متجاورتين، بل متداخلتان وممزقتان من الناحية السكانية والجغرافية أيضاً، كما إن عمق إسرائيل عند قيام دولة أخرى في الضفة الغربية هو 14 كم فقط، وكل مدن الساحل تصبح تحت أي نيران الأسلحة من أي نقطة من حدود الضفة الغربية. كما إن المنطقة كلها الواقعة بين النهر والبحر لا تسع لدولتين إطلاقاً، فالضفة والقطاع لا يسعان اللاجئيين حتى الموجودين في لبنان وسوريا ناهيك عن اللاجئيين الآخرين في أنحاء العالم، وهناك مشكلة النازحين بالأمس القريب أين يذهبون؟ الضفة والقطاع ليسا أرض النازحين من المناطق الأخرى، وما سيجي بإسرائيل لا تتسع لهجرات جديدة<sup>(1)</sup>.
- 3- إن حلّ الدولتين غير واقعي وغير منطقي؛ لأنه لا يمكن له أن يعالج قضيتين أساسيتين وهما: قضية اللاجئيين وقضية فلسطيني الداخل، أي أنه لا يضمن حق العودة للاجئيين الفلسطينيين الذين طردوا من أراضيهم وديارهم، كما أن حلّ الدولتين لا يضمن الحقوق الجماعية لفلسطيني الداخل الذين يواجهون التمييز العنصري ويعاملون على أنهم مواطنين من الدرجة الخامسة أو السادسة<sup>(2)</sup>.

(1) معمر القذافي، إسرائيل - الكتاب الأبيض"، 2003

(2) أمينة رمضان طاهر زيد، نموذج الدولة الواحدة وائر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية - الإمكانية والتحديات، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2013 م ص 61

- 4- إن الطرفان يعتمدان على بعضهما في حياتهما، فالمصانع الإسرائيلية تعتمد على الفلسطينيين في تشغيلها، والسلع متبادلة بين الطرفين وكذلك الخدمات، وهنا يقول الصهيووني (مثير بعيل): في كل عام يمرّ تندمج الطائفتان أكثر فأكثر، فمن جهة يتم الاندماج عن طريق الاستيطان اليهودي في الضفة والقطاع، ومن جهة أخرى يتعمق الاندماج بالاتساع الضخم في حجم العمل العربي في جميع أنحاء إسرائيل، ومن غير المجدي تقسيم فلسطين إلى دولتين. فبالقسيم لن تكون هناك دولة اسمها إسرائيل، ولن تقام دولة اسمها فلسطين. فالذين يشجعون تقسيم فلسطين إلى دولتين إما أن يكونوا جاهلين بطبيعة المنطقة وديمغرافيتها وإما أنهم يريدون التخلص منها، فنكون قد وضعنا حجر الأساس لصراع جديد، وإذا قامت دولتان فإن الطرفين سيواصلان الصراع ضد بعضهما للعيش في أرض الأجداد بالنسبة للفلسطيني .. وأرض الميعاد بالنسبة لليهودي<sup>(1)</sup>.
- 5- يرى البعض أن مشروع الدولتين يعتمد فكراً معيناً هو فكر التقسيم، وليس هناك أي مشروع كولونيالي انتهى إلى تقسيم، فالمشاريع الكولونيالية انتهت إما بطرد الكولونيالي نفسه كما في الجزائر، أو بالقضاء على الشعب الأصلي كما في الأمريكيتين، أو في بعض أنحاء أميركا الجنوبية، أو باستيعاب الكولونيالي كجزء من المجتمع الجديد كما في جنوب أفريقيا. لذا فالتقسيم لن يحدث الا عندما يقبل الشعب الأصلي بشرعية المشروع الكولونيالي<sup>(2)</sup>.
- 6- إن الاستنتاج المرتكز إلى دروس التاريخ يؤكد أن تسوية صراع السكان الأصليين في فلسطين والمستوطنين اليهود، لن تكون استثناء، ما يعني تعذر حل الصراع على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين، فالدولة الفلسطينية المراد إقامتها إلى جانب إسرائيل، تصطدم تلقائياً بمرتكزات الهوية الصهيونية لإسرائيل من جهة، وبمرتكزات الهوية الوطنية الفلسطينية من جهة أخرى، ما يتعذر معه نجاح أي مقارنة مبنية على حل تفاوضي يرتكز على القسمة التي ينتج عنها إقامة دولة فلسطينية<sup>(3)</sup>.

(1) سميح خلف، الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين، 2017/9/30-سودانيز اون لاين-

<http://sudaneseonline.com/board/7/msg/>

(2) المشروع الصهيوني، والسيناريوهات المطروحة بشأن فرص التسوية السياسية للصراع، نديم روحانا، - المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وأفاق تغيير المسار الإستراتيجي، ط1: حزيران

- 2012-المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات- البيرة. ص251

(3) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص329

7- أن حل الدولة الفلسطينية، كما تتصورها إسرائيل وأصدقائها، لا يراد منها أن تحقق تطلعات الفلسطينيين، بل لتحل مأزق إسرائيل وهي تحاول جاهدة الإفلات من مناطق الاكتظاظ السكاني الفلسطيني بعد سنوات من الاستيطان المنفلت وغير الشرعي<sup>(1)</sup>.

---

(1) المأزق الفلسطيني الراهن: كيف وصلنا إلى هنا، وما العمل؟- مجلة الدراسات الفلسطينية، مج19، ع 74-75، ربيع/صيف 2008، ص 5

## المبحث الثالث: الحلول البديلة لحل الدولتين

استمر وضع الشرق الأوسط في حالة عدم الاستقرار وفي حلقة متواصلة من الحرب والعنف، فحصد هذا الصراع مئات الآلاف من العرب والإسرائيليين، ولا زال يحصد حتى الآن، وجرت محاولات عديدة وطرحت مبادرات وتداولات كثيرة لإنهاء الصراع على مدار العقود السابقة.، ولسوء الحظ ركزت عملية السلام، على تعاريف سياسية على خطوط وقف إطلاق النار، وليس على القضايا الحقيقية التي تتناول اهتمامات وتطلعات كل من المجتمع الإسرائيلي والفلسطيني<sup>(1)</sup>، ولذلك فقد فشل الإسرائيليون في أن يكون لهم وضع طبيعي والحصول على قبول لهم في منطقة الشرق الأوسط، وجرب الفلسطينيون حظهم بالتفاوض مع إسرائيل على برنامج الحد الأدنى وهو بناء دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على الأراضي المحتلة سنة 1967. ولكن إسرائيل قابلت هذا التنازل الفلسطيني بعجرفة وأرادت فرض شروط المنتصر في حروب خمسة، وهذا كله يدعو إلى التفكير الجدي في البدائل وشبكات الأمان في حال الفشل.

ولذلك تحتاج المبادرة المستقبلية إلى إطار يمكن من خلاله لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين من أن يتكيف كلٌّ مع الآخر ويتم التعاطي مع اهتمامات كلا المجتمعين، وهذا ما قاد إلى ضرورة التفكير في الحلول البديلة والمفضلة كحل الدولة الواحدة والتي يمكن ان تؤدي إلى سلام يلي مطالب كافة الأطراف، وسيؤدي إلى وحدة وكيان سياسي موحد نتيجة تداخل السكان وتشابك المصالح وتطلعات الشعبين في المستقبل، للاستفادة من الوقائع والإمكانيات التي يمكن أن تحمل مستقبلاً أفضل للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، ويكون حلاً أكثر واقعية ودواماً لهذا الصراع<sup>(2)</sup>.

وإذا كان البعض يرى إن الدعوات إلى دولة واحدة، أو دولة ثنائية القومية، تبدو سابقة لأوانها، وهي مخالفة للمزاج الوطني في الجانبين، وربما يكون هناك مجال لاختبار أشكال أخرى

---

(1) Palestine-Israel, An alternative configuration D. Nasser Abu Farha

(2) عمر عاشور، حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، تعارض المفاهيم- الحلول البديلة، مجلة قراءات إستراتيجية، ع6، مركز التخطيط الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، 2010 "ص 133

من العلاقة بين العرب واليهود، مبنية على نماذج متعددة للمشاركة، وعلى المساواة والتعايش، ولا سبب يدعو إلى استبعاد الإمكانيات المباشرة التي تتضمن مفاهيم فدرالية أو كونفدرالية كجزء من إعادة التفكير في تاريخنا المشترك، حيث لا مفر من تداخل مصير العرب واليهود في أرض فلسطين التاريخية<sup>(1)</sup>، فهناك يوجد مليون فلسطيني فيما سُبي بإسرائيل يحملون جنسية إسرائيلية ويشاركون في الحياة السياسية مع اليهود ويشكلون الأحزاب السياسية، وما تسمى بإسرائيل بعد عام 1948 ليست دولة لليهود فقط، هناك مسيحيون ويهود وكاثوليك وهناك مسلمون ودروز.. إلخ. فمثلما يعتبر الفلسطينيون بأن فلسطين هي الوطن القومي للفلسطينيين كذلك يعتبر الإسرائيليون بأن إسرائيل هي الوطن القومي للمجتمع الإسرائيلي، والفلسطينيون يعتبرون مدن الساحل عكا أو حيفا أو يافا .. إلخ مدنهم وأرض أجدادهم جيلاً بعد جيل، أما اليهود فيؤمنون بأن الضفة الغربية هي أرضهم المقدسة بل هي قلب الأمة اليهودية، وهم لا يسمونها الضفة الغربية بل يهودا والسامرة. فكيف يمكن ويجوز أن نحرم أناساً من أرض أجدادهم، وأناساً من أرضهم المقدسة بالنسبة لهم وهنا يقول أحد الباحثين الصهاينة ويدعى (ألوف هرابن): إن المشكل هو صراع شعبيين حول ملكيتهما لأرض واحدة. ويقول (حاييم وايزمان) في عبارته الشهيرة: "إن المشكله هي أن كلا الجانبين على حق"<sup>(2)</sup>.

وهكذا يبرز حل الدولة الواحدة الذي فرضته الضرورة التاريخية، حيث أدى فشل تلبية اهتمامات الجانبين لحالة من المأساة والفوضى التي تعامي الجانبين عن الاعتراف بها. وهذا الاقتراح يلي الاهتمامات والتطلعات لكل المجتمعين الفلسطيني والإسرائيلي، وبذلك يستطيعون أن ينهوا بشكل فعال عقود طويلة من الصراع. وسيعتمد حل الصراع على خلق قبول الواحد منهم للآخر، من خلال العلاقات الديمقراطية والاعتراف المتبادل. فقط في ظل مثل هذه الحالة الصحية من التفاعل يمكن أن يصبح الصراع قابلاً للحل"<sup>(3)</sup>.

إن هذا الحل يعطي الطرف الفلسطيني خياراً آخر، بديلاً يتمثل في المطالبة بدولة لشعبيين، أي دولة ثنائية القومية. وهذا البديل (الدولة الثنائية القومية) لا إرادي لأن عامل

---

(1) أحمد الخالدي، المأزق الفلسطيني الراهن: كيف وصلنا إلى هنا، وما العمل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج19، ع74-75، ربيع/صيف 2008

(2) سمح خلف، الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين، أمد للاعلام-30/09/2017

<https://www.amad.ps/ar/Details/193688>

(3) حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي - تعارض المفاهيم والحلول البديلة، ص180

الزمن في مصلحة هذا الحل البديل، لأنه يعني أن فرص إحداث فصل بين الشعبين تتضاءل يوماً بعد يوم. وسيأتي اليوم الذي سيفرض فيه هذا البديل نفسه بشكل إلزامي انطلاقاً من الواقع الدولي والإقليمي والمحلي، لأن هذا البديل هو الذي سيجيب بشكل ايجابي على جميع القضايا المطروحة في التفاوض<sup>(1)</sup>. وسنعرض هنا لثلاثة سيناريوهات لحل الدولة الواحدة: حل الدولة الواحدة بدون حقوق متساوية (نظام التمييز العنصري) وهو مرفوض فلسطينياً، وحل الاتحاد الكنفدرالي، تم حل الدولة الواحدة والحقوق المتساوية، وهو الحل المفضل فلسطينياً.

## البديل الأول: خيار الدولة الواحدة العنصرية

في المؤتمر الصحفي الذي جمعه برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو في بداية فبراير 2017 أطلق دونالد ترامب مفاجأة جديدة بإعلانه استعداداه للتخلي عن حل الدولتين للقضية الفلسطينية، مؤكداً أن لا مشكلة لديه بين هذا الخيار وبين حل دولة واحدة.. وأتم نتانياهو هذه التصريحات أمام ترامب، بالقول: "إن أصل تسمية الشعب اليهودي هو الضفة الغربية أو "يهودا" كما سماها، وهي تخصهم.

وعلى الرغم من عدم احتمال وجود توافق على حل الدولة ثنائية القومية من أية جماعة يهودية رئيسة على المدى القريب، نظراً لأنه يرقى إلى حد الخسارة الكبيرة للقوة- بمعنى نهاية السيادة اليهودية والانهيار الحاد للسيطرة اليهودية على الأرض والموارد<sup>(2)</sup>، ولكن معسكر اليمين الإسرائيلي يقف الآن بقوة وراء شعار الدولة الواحدة. ويرى فيه تنويجاً لشعار أرض إسرائيل الكاملة التي يعيش فيها اليهود والعرب تحت السيادة اليهودية، كما جاء في فكر فلاديمير جابوتنسكي أوائل القرن العشرين وهناك عدد من الدعوات التي أطلقها عدد كبير من الشخصيات الإسرائيلية التي تبنت فكرة "الدولة ثنائية القومية" العنصرية.

ومن أبرز دعاة الدولة الواحدة بالمفهوم العنصري موشي أرنس وزير الدفاع السابق، وأوري أليتسور الرئيس الأسبق لمجلس المستوطنات، وحنان بورات عضو الكنيست، ورؤوفين ريفلين الرئيس الاسرائيلي، ويتناوب هؤلاء على طرح تصوراتهم التي تتلخص بالآتي: ضم الضفة الغربية بالكامل، وفرض القانون الإسرائيلي عليها، وعدم الاعتراف بحقوق قومية للفلسطينيين في أرض إسرائيل، والاعتراف فقط بحقوق مدنية للأفراد كمنح الجنسية الإسرائيلية

(1) المصدر نفسه، ص136

(2) الأثنوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين أوروبن يفتاحيل، ص378

للفلسطينيين بشروط وتدرجاً، والفلسطيني المخلص الموالي للدولة ولقوانينها يمنح مواطنة كاملة، ومن يوافق على السيادة اليهودية ولا ينفذ واجباته يعطى إقامة دائمة، أما الذي يريد دولة عربية من خلال الإرهاب فيطرد من البلاد. يضاف إلى ذلك، الحفاظ على نسبة ثابتة بين اليهود والعرب (70% يهود و30% عرب). لذا فإن قطاع غزة مستبعد من هذه الدولة، كما أن عودة اللاجئين الفلسطينيين ممنوعة مقابل تشجيع مجيء اليهود إلى الدولة العتيدة بلا حدود.

وهكذا فإن الأحزاب الدينية، المدعومة بتيار قومي تتضح سياستها بالمرهنة على الأرض قبل السلام، وبالنسبة لهذا المعسكر فإن اليهودية التي يقيم عليها هذا المعسكر مفاهيمه السياسية تستمد وجودها من الإيمان بأن أرض التوراة الحقيقية موجودة شرقي الخط الأخضر لا غربيه<sup>(1)</sup>، فالمواقع التوراتية بمعظمها موجودة في الضفة الغربية، وبعضها أرض مملكة يهودا والتي تشمل بطبيعة الحال بلد الآباء خليل الرحمن وبالتحديد منطقة الحرم الإبراهيمي، والتخلي عن أرض التوراة يعني نكوصاً عن الفكرة الدينية القومية. ولذا يرفض هذا التيار فكرة الانسحاب من الضفة الغربية، ويقف بقوة وراء شعار الدولة الواحدة ويرى فيه تنويجاً لشعار أرض إسرائيل الكاملة التي يعيش فيها اليهود والعرب تحت السيادة اليهودية.

وعند توجيه اتهام لوزير الدفاع الإسرائيلي السابق (موشي أرنز) أنه يدفع اتجاه فكرة (دولة ثنائية القومية)، قال: إن إسرائيل باتت دولة ثنائية القومية، وفيها 20 في المائة أقلية، وهذه هي الحقيقة. وقالت صحيفة (هآرتس) إن هذا الرأي ليس مقصوداً على الهامش السياسي، وإنما تشارك فيه شخصيات بارزة في حزب الليكود الحاكم وفي المستوطنات. كما أن الرئيس الإسرائيلي (روبن ريفلين)، كان قد صرح، بأنه يفضل منح المواطنة للفلسطينيين سكان الضفة الغربية على تقسيم البلاد، بحسبه.

وكانت عضوة الكنيست النائبة (تسيبي حوطبيلي)، (الليكود) قد نظمت حملة في شهر مايو 2009 في الكنيست تحت شعار (البديل لحل الدولتين)، وطالبت علانية بمنح المواطنة للفلسطينيين بشكل تدريجي<sup>(2)</sup>. ويجاهر زعماء المستوطنين صباح مساء بضرورة ضم الضفة

(1) محمد حمزة غنايم، كتاب صهيونية بلا أقواس، ص 7

(2) تقرير القدس (2010): "شخصيات إسرائيلية تدعو إلى تبني فكرة الدولة "الثنائية القومية" موقع جريدة

القدس، تاريخ التصفح 2012/11/6

<http://www.alquds.com/news/article/view/id/189381/sort/views+asc/perPage/20/page/463>

وفرض حل الدولة الواحدة كحل أحادي الجانب. بل إن رئيس مستوطنة (دوغان) قال: لا تخشوا رام الله فعدد سكانها لا يتجاوز مائة ألف ساكن ويسهل جداً ضمها. وصرح مدير مكتب شارون قائلاً: إن الأخير حين انسحب من غزة في أغسطس 2005 كان يفكر في إغلاق جميع المعابر مع غزة وعدم الاتصال بالقطاع وفصله نهائياً<sup>(1)</sup>.

أما الوزير الإسرائيلي العنصري (نفتالي بينيت) الذي يتزعم الحزب اليميني (البيت اليهودي) فقال: "هناك دولتان للفلسطينيين، واحدة في غزة وثانية في الأردن ولا مكان لدولة ثالثة". ونشر بينيت، مقالاً في صحيفة نيويورك تايمز، دفن من خلاله مفهوم "حل الدولتين". وكطريقة للخروج من الصراع الإسرائيلي العربي. يقترح بينيت ضم أكثر من 61 % من الضفة الغربية (المنطقة "ج" حيث يعيش نحو 6 % فقط من الفلسطينيين)، وفوق كل ذلك، يقترح منحهم حقوق المواطنة في إسرائيل. وحتى نتايبها هو لا يذكر حل الدولتين إلا خجلاً وأمام بعض الضيوف الأجانب، ولا يوجد ولا أي وزير في حكومة نتايبها هو يوافق على حل الدولتين، والوزير (غلعاد إردان)، قال مشيراً إلى الضفة الغربية والقدس: "أرض إسرائيل لنا وتعود فقط للشعب اليهودي"، وقال الوزير الإسرائيلي (زئيف إلكين) إنه يوجد "إجماع في الحكومة على عدم الانسحاب إلى حدود عام 67، وعلينا فرض السيادة الإسرائيلية على الضفة بالتدريج أو دفعة واحدة.

وهكذا فإن ما تطرحه حكومة نتايبها هو وما طرحه ترامب كبديل لحل الدولتين، ليس سوى دولة أبرتهايد مع ضم وتهويد الضفة الغربية وبقانونين واحد لليهود وآخر للفلسطينيين، وفصل منهجي للسكان عن أرضهم، وتكريس لاحتلالهم، وهي دولة أبرتهايد شبيهة بالجنوب الأمريكي وجنوب أفريقيا قبل تحررها؛ دولة لا علاقة لها بالديمقراطيات المدنية التي لا تفرق بين مواطنيها على أساس العرق أو الدين أو الجنس.

وليس أدل على جدية هذا التوجه لدى الحكومة الاسرائيلية، هو أن هناك أكثر من 60 قانوناً أساسياً أقرها الكنيست الإسرائيلي تقوم على أساس تشريع سرقة الأرض، والتهجير، والتطهير العرقي، والسيطرة الحكومية على العلاقات الأسرية، بشكل يصب في مصلحة مجموعة عرقية أو دينية محددة. ويشير الواقع الذي تعيشه فلسطين بأكملها (مناطق 67 و48) إن هناك دولة واحدة فعلاً، وإن بنظامي حكم قد يبدوان مختلفين: نظام احتلال عسكري مباشر، في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، ونظام حكم عنصري مطبق في مناطق 48، ولذا لم يكن

(1) الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية- مهند عبد الحميد - كانون الثاني 2014

<http://palestine.assafir.com/Search.aspx?P=Authors&ID=397>

غريباً أن لجنة الأمم المتحدة الإجتماعية والإقتصادية لغرب آسيا نشرت تقريراً اهتمت فيه إسرائيل بخلق نظام أبرتهايد (فصل عنصري) يضطهد ويهيمن على الشعب الفلسطيني ككل<sup>(1)</sup>.

ولكن تطبيق خيار الدولة الواحدة العنصرية، سيجعل إسرائيل تواجه كابوس المثل الجنوب أفريقي، أي إقامة دولة كاملة العنصرية القانونية عبر ضم الفلسطينيين إلى دولة إسرائيل وشطب فكرة الدولة الفلسطينية، لكن من دون اعتبار الفلسطينيين مواطنين كاملي المواطنة، بل اعتبارهم مقيمين وليسوا مواطنين، أي لا يحق لهم الانتخاب ولا يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الإسرائيليون.

وهنا فإن اليمين الإسرائيلي تَعَلَّم من تجاربه، لدرجة أنه أصبح بغالبية عناصره واتجاهاته لا يريد ضم الأرض مع السكان، وإنما ضم أكبر مساحة ممكنة من الأرض مع أقل عدد ممكن من السكان، ومن يبقى خارج دولة إسرائيل سيعيش في الإمارات الفلسطينية غير المتحدة وفق خطة مردخاي كيدار، أو وفق خطة بتسلئيل سموتريتش، نائب رئيس الكنيست، التي تضع الفلسطينيين أمام احتمالات الهجرة الطوعية، أو العيش ضمن درجة ثانية في دولة إسرائيل "اليهودية"، أو مقاومة إسرائيل وعندها سيتكفل بهم الجيش (أي يبيدهم)، أو ضمن خطة حل القضية الفلسطينية على حساب الأردن والفلسطينيين ضمن خطة "الوطن البديل"، أو جعل الأردن يتقاسم السيطرة على الحكم الذاتي مع السلطة الفلسطينية، مع بقاء السيادة لإسرائيل من النهر إلى البحر كما يكرر دائماً نتنياهو، أو عبر توسيع "بانتوستان" غزة وإطلاق زوراً اسم "دولة" عليه على حساب سيناء وفق خطة غيوراً أيلاند، أو انتظار الحكومة للوقت المناسب لطرد الفلسطينيين كما جاء في حديث للمؤرخ العسكري مارتين فان كارفيلد<sup>(2)</sup>.

ورغم عنصرية وبشاعة هذا الحل ولا إنسانيته ومخالفته للوجهة العالمية وحقوق الإنسان، إلا أنّ هناك أصواتاً إسرائيلية تنادي به وتعارض تساوي المواطنة مع الإسرائيليين، وتقترح في المقابل منحهم ما تسميه إقامة كريمة عوضاً عن المواطنة. ولو تبنت إسرائيل هذا الحل فإنها لن تستطيع الصمود طويلاً، لأنه قائم على عنصرية فظة ومعلنة، وليست مخفية كما هو الحال الآن، وسيفتح آفاقاً لنضال عالمي من نوع جديد مؤيد للفلسطينيين<sup>(3)</sup>، شبيهاً

---

(1) الإسكوا أطلقت تقريراً حول ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني ومسألة الفصل العنصري 4-15-2017-مركز الأمم المتحدة للاعلام القاهرة-19761-<http://www.unic-eg.org>

(2) هاني المصري، حل السلطة والدولة الواحدة: خيار جديد أم مجرد تهديد؟، الثلاثاء 26 سبتمبر 2017، موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-D8%AD%-<http://pfpl.ps/ar/post/15923/>

(3) معوقات السلام العربي، الإسرائيلي وأفاقه، <http://hem.bredband.net/cdpps/s356.htm>

بالنضال الذي خاضه العالم ضد نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا.

## البديل الثاني: الكونفدرالية دولتان في وطن واحد

الكونفدرالية كما يرى البعض تشكل مفترق الطرق الذي سيؤدي في النهاية إلى سلام حقيقي ومستقر ويجعل التطور ممكناً أما باتجاه ترسيخ مفهوم الدولتين أو التطور إلى فكرة الدولة الواحدة وفق اختيار الشعبين الحر. ودولتان في وطن واحد هي كونفدرالية تكون فيها دولة فلسطينية كاملة السيادة على الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ بدون نقصان أو زيادة وبدون تبادل أراضي وبتواصل كامل وتجعل من حق السكن والتنقل بكامل الحقوق المدنية لمواطني كلتا الدولتين كل في الدولة الأخرى بشرط الاحتفاظ بجنسية دولته وممارسة الحقوق السياسية فيها، الإسرائيلي الذي يسكن الدولة الفلسطينية يحافظ على جنسيته الاسرائيلية ويمارس حقوقه السياسية في إسرائيل، والفلسطيني الذي يود الانتقال للسكن في إسرائيل يحتفظ بالجنسية الفلسطينية ويمارس حقوقه السياسية في دولته فلسطين، وهذا الوضع ينطبق على كل اللاجئين الفلسطينيين أينما وجدوا، والذين يملكون الحق في استعادة أرضهم وأماكنهم دون خلق مظالم أخرى جديدة

ولعل هذه الفكرة "كونفدرالية" قد جاءت وبشكل متطور عبر رؤية دولتين في وطن واحد والتي انبثقت عبر نقاش طويل ومستفيض بين مجموعة من الفلسطينيين والاسرائيليين، حيث كانت تشكل فهماً إبداعياً يستطيع ان يجد معادلة تنهي التعارض بين أهداف الشعبين وتحقق طموحهما وترسي قواعد سلام دائم وثابت وعادل نسبياً وهذه الرؤيا هي رؤية دولتين في وطن واحد، هي كونفدرالية تعزز ما هو مشترك وتفصل فيما يشكل خصوصية وتنتهي أسباب استمرار أو تجدد الصراع، وتضع معادلة إبداعية لتجنب التعارض في مصالح الشعبين، فكل شعب يحتفظ بخصوصيته ويمارس حقه في تقرير المصير عبر دولته السيادية الغير منقوصة، وتنتهي القلق المصيري لدهما. فالشعبين يحتاجان الى ثقة تسمح لهما بالوصول الى الحل السياسي، والثقة هنا تأتي في رؤية دولتين في وطن واحد عبر إجراءات لا تسمح بالمغامرة، وتزيل التخوفات المستقبلية<sup>(1)</sup>.

فرؤية دولتان في وطن واحد تشكل نموذجاً متطوراً يأخذ في الاعتبار خصوصية الواقع ويؤسس لكونفدرالية فلسطينية إسرائيلية، فبدلاً من الاستناد إلى ميزان القوى كأساس

(1) الكونفدرالية: دولتين في وطن واحد خيار الجمهور العادل والممكن، وكالة معا، نشر بتاريخ: 2017/08/04

للتفاوض تم الاستناد الى مجموعة عوامل أخذت مجتمعة: العدالة النسبية أولاً على اعتبار استحالة تحقيق العدالة المطلقة، تحقيق ربح إضافي لكلا الشعبين دون أن يخرج أي شعب مهزوماً من الصراع، بل على العكس يشبع كل شعب شعوره بالنصر والريح في ذات الوقت، كذلك فان هذه الرؤيا تدمج بشكل خلاق بين فكريتي الدولة الواحدة ودولتين لشعبين دون مخاوف من المستقبل ودون تحفظات.

إن دولتين في وطن واحد هي كونفدرالية تجعل من القدس الموحدة بشرق وغرب المدينة عاصمة موحدة تحت سيادة دولية بكلا شطري المدينة وفيها مجلس بلدي متساوي الأعضاء بين الفلسطينيين والإسرائيليين ومتساويين في الحقوق والصلاحيات ويتساوى أحياء المدينة في الخدمات والرفاهية. وهي كونفدرالية يحتفظ كل المواطنين بكامل الحقوق المدنية والسياسية وبمساواة ويرفع التمييز بينهم. كونفدرالية تتشارك فيها الدولتان الديمقراطية بلجان تطوير وأمن وحقوق انسان وبمساواة ولجنة عليا لحل أي نزاعات شخصية أو عامة، ويصبح فيها الأمن احتياج ومسئولية مشتركة عبر تنسيق فاعل وواضح<sup>(1)</sup>.

وفي الاستطلاع الأخير الذي أجرته بشكل مشترك كلا من جامعة تل أبيب، والمركز الفلسطيني للبحوث السياسية والاقتصادية<sup>(2)</sup>، تبين أن هناك أكثر من حقيقة جديدة و متميزة، حيث هناك نسبة تصل إلى الثلث من الفلسطينيين والربع من الإسرائيليين المستطلعة آراءهم (32% من الفلسطينيين، 26% من الإسرائيليين اليهود، 61% من فلسطيني إسرائيل) قد أيدت حلاً يقوم على إيجاد كونفدرالية بين الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية. وهذا الاستطلاع يعكس تنامي وعي شعبي لاهمية إيجاد حل سياسي متوازن وواقعي، وأهمية هذا تنبع من كونه يمثل توجهها شعبياً سيفرض نفسه على مستوى النخب السياسية<sup>(3)</sup>.

---

(1) الكونفدرالية: دولتين في وطن واحد خيار الجمهور العادل والممكن: عوني المشني وكالة معا-نشر بتاريخ: 2017/08/04

(2) المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية-1 آب/أغسطس 2017- هذه هي نتائج أحدث استطلاع مشترك للرأي العام الفلسطيني-الإسرائيلي أجراه كل من المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام الله ومركز تامي شتايمتز لأبحاث السلام في جامعة تل أبيب بتمويل من الاتحاد الأوروبي ومكتب الممثلة الهولندية في رام الله - إعداد الاستطلاع والإشراف عليه من قبل د. خليل الشقاقي ووليد لداووه من المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ود. داليا شايندلين و د.إفرايم لافي مدير مركز تامي شتايمتز لأبحاث السلام في جامعة تل أبيب.

(3) الكونفدرالية: دولتين في وطن واحد خيار الجمهور العادل والممكن، وكالة معا، نشر بتاريخ: 2017/08/04

## المبحث الرابع: الحلول المفضلة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي

### (حل الدولة الواحدة)

إن مسار حل القضية الفلسطينية ارتبط دائماً بفكرتين محورتين: حل الدولة الواحدة، وحل الدولتين. وفكرة الدولة الواحدة سبقت فكرة الدولتين القائمة على قرار التقسيم عام 1947، والبعض الذي ينطلق من ضرورة هجرة فكرة الدولتين، ينطلق من الوقائع المادية التي فرضتها إسرائيل على الأرض والتي لم تبق مكانة لدولة فلسطينية ذات سيادة، ومن هنا ينطلق منطلق الداعيين إلى تحويل النضال الوطني إلى نضال تحرري ديمقراطي تتحول فيه البلاد إلى وطن لملايين اليهود والعرب كمواطنين متساويين، أو إلى وطن لمجموعتين سكانيتين؛ الشعب الفلسطيني والمجتمع اليهودي الإسرائيلي<sup>(1)</sup>.

فبعد حالة الانسداد الواضحة أمام مبدأ حلّ الدولتين التي فرضتها الحالة الاستيطانية الكولونيالية بكل وقائعها الديمغرافية الجديدة، فإنه لم يبق أمام الفلسطينيين إلا العودة لهذا الخيار، وهو بحاجة إلى برامج وسياسات نضالية جديدة تعود وتركز على حالة الفصل العنصري والإقصائي والتطهيري الذي تمارسه إسرائيل كل يوم.

### حل الدولة الواحدة المفهوم والنشأة

رؤية الدولة ثنائية القومية على كامل أرض فلسطين التاريخية تقوم على تسوية الصراع على أساس إيجاد نظام سياسي واحد للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، ومن مفهوم سياسي لقيام نظام حكومي يشترك فيه شعبان في النظرة إلى الدعائم السياسية التي تكوّن الدولة، وتكون لكل جماعة من الجماعتين القوميتين هويتها المنفصلة التي تتمتع فيها بلغتها وثقافتها وتراثها الديني. ولا يعني وجود شعبين في دولة واحدة أن تكون تلك الدولة دولة ثنائية القومية بالضرورة، إذ يمكن أن تكون دولة ديمقراطية تتمتع الأقلية فيها بحقوقها السياسية في ظلّ

---

(1) عوض عبد الفتاح، مآزق التسوية وأفاق الدولة الواحدة -

حكم الأغلبية، كما يمكن أن تكون دولة عنصرية لا يتمتع الشعبان فيها بحقوق متساوية، ويعاني أبناء أحد الشعبين التمييز والانعزال<sup>(1)</sup>.

وأهم ما يميز نظام الدولة ثنائية القومية هو الحصول على نظام توافقي بين الجماعتين القوميتين يتجنب سيطرة الأغلبية على الأقلية لذا لا بد من وجود عناصر أساسية مثل تقسيم السلطة، ونظام تعدد الأحزاب، وحق الأقلية في الاعتراض، والمشاركة في السلطة التنفيذية<sup>(2)</sup>. أمّا في مجال التشريع، فيجب التوازن بين شعبي المجلس العائدين لكل قومية. بحيث يضمن التمثيل النسبي لكل منهما، إذ ربما يقوم اتحاد إقليمي أو غير إقليمي بينهما. هذا، ولا يوجد نمط توافقي واحد في الدول متعددة القوميات، فهناك أنماط متعددة من التوافقية بحسب تباين الأنظمة السياسية<sup>(3)</sup>.

### نظرة في تاريخ الأفكار طرح فكرة الدولة الواحدة

طرحت مشاريع دولة واحدة علمانية.. دولة واحدة لكل مواطنها يتساوى فيها الجميع: دولة ثنائية القومية... إلخ، على امتداد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بعضها استند إلى الحقوق التاريخية، والبعض الآخر استند إلى ميزان القوى والأطماع الكولونيالية، وبعضها جاء من باب ردة الفعل والمناورة الفاشلة على التعنت الإسرائيلي في المفاوضات<sup>(4)</sup>. وفكرة الدولة الديمقراطية العلمانية الواحدة ليست بالفكرة الجديدة، وإنما تعود إلى بداية الثلاثينات من القرن الماضي حتى صدور قرار التقسيم 181 عام 1947، علماً أن قرار التقسيم نفسه استبقى مشروع إقامة الدولة ثنائية القومية في صلبه بعد تحقيق حلّ الدولتين اللتين تربط بينهما وحدة اقتصادية وعلاقات تمهد للوصول إليه. وهناك العديد من مشاريع الدولة الفيدرالية أو الثنائية القومية لإقامة دولة واحدة طرحت في تلك الفترة وحتى حرب 1948 ويمكن اجمالها كالآتي:

---

(1) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين:- خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 10، ع37 (شتاء 1999)، ص 3.

(2) تقرير مركز بديل (2005): "حل الدولتين، حل الدولة الواحدة وحقوق اللاجئين الفلسطينيين" ص3.

(3) أرندن ليهارت، "الديمقراطية في المجتمع المتعدد"، ترجمة إيفلين أبو متري مسرة (بيروت - 31 - حريصا: مطبعة أنطون الياس الشمالي، 1984)، ص 23.

(4) مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية، كانون الثاني 2014 -

<http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=2730>

## أولاً: المشاريع البريطانية:

في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، طرح مشروع واكهوب، المندوب السامي البريطاني على فلسطين، بإقامة مجلس تشريعي لفلسطين يتكون من: أحد عشر عضواً من المسلمين وأربعة أعضاء من المسيحيين وسبعة أعضاء من اليهود، وذلك حسب سكان فلسطين في تلك الفترة وبعدها طرح مشروع نيوكومب: بتأسيس دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة، مع حرية الطوائف الواسعة، حرية البلديات الواسعة، لا مركزية. وفي 1939 طرح مشروع الكتاب الأبيض البريطاني بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات نظام اتحادي، مع مجلس استشاري من العرب واليهود، ومجلس تنفيذي من العرب واليهود<sup>(1)</sup>. وأخيراً عرضت بريطانيا في مؤتمر لندن 1946 "مشروع موريسون" ويتضمن حكومة مركزية مع تقسيم فلسطين لأربعة مناطق إدارية: منطقة يهودية، ومنطقة عربية، والقدس، والنقب بحيث تمنح المنطقتان العربية واليهودية استقلالاً ذاتياً.<sup>(2)</sup> وقد رُفضت هذه المشاريع لأسباب: مثل عدم الرضا عن مساحة المناطق والبلديات لأحد الطرفين أو خلاف حول مدة الانتداب البريطاني، أو أمور تتعلق بعدد أفراد الهجرة.. إلخ<sup>(3)</sup>.

## ثانياً: المشاريع الصهيونية وفكرة الدولة الواحدة:

يهودياً، كانت فكرة الدولة الفلسطينية اليهودية موجودة منذ عشرينات القرن الماضي، ولعل أول جماعة صهيونية دعت إلى الدولة ثنائية القومية هي جماعة بریت شالوم وزعيمها المفكر والكاتب (اليهودي أحاد هعام) حيث دعا إلى إقامة حكم يهودي عربي مشترك في فلسطين، ونادى

---

(1) بلغت المقاومة ذروتها عام 1938م، إلا أن الإضراب والثورة توقفا بفعل تدخل الزعماء العرب، مقابل وعود بريطانية بالتجاوب مع المطالب الفلسطينية. ومن هذه الوعود ما صدر عن الحكومة البريطانية في 17 أيار 1939م كوثيقة سميت في حينه بالكتاب الأبيض الثالث، نص المبدأ الأساسي فيها على "إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تشمل كل فلسطين الانتدابية غربي نهر الأردن، ويتمثل فيها جميع سكانها من عرب ويهود على قاعدة التمثيل النسبي. انظر: حجاوي، سلافة، "الكتاب الأبيض فصل في السياسات الفلسطينية"، مجلة رؤية، العدد السادس، شباط 2001 م

(2) الموسوعة الفلسطينية، ج4، ص52-54.

(3) إسراطين- دراسة حول رؤية الزعيم الليبي معمر القذافي لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، دنيا الوطن 2-2007-5.

بالصهيونية الثقافية بدلاً من الصهيونية الهرتزلية السياسية<sup>(1)</sup>. وكان الحاخام "بنيامين" من اتباع هذه الحركة الذين دعوا إلى دولة ذات قوميتين، وحذروا اليهود من أن عدم قبول دولة واحدة ذات قوميتين سوف لن يحقق السلام لليهود. وكان هناك الحل الكونفدرالي أو الفيدرالي، وهو الحل الذي طرحه أحد أبرز القادة الصهاينة (مثير عميت) الذي برر حله بالقول: إن الاعتبارات الاقتصادية والعسكرية والجغرافية والتاريخية هي التي تدعم مثل هذا الحل وهي متوفرة في فلسطين. أما مشكلة القدس فاقترح ان تحل من خلال جعلها عاصمة للاتحاد.

وفي 1921/9/11 قرر المؤتمر الثاني عشر للصهيونية الألمانية تبني فكرة إقامة دولة واحدة للطرفين. وقد اقترح الفيلسوف مارتن بوبر مشروع قرار يحث اليهود على رفض "طرق الهيمنة القومية التي كانوا هم أنفسهم قد عانوا منها"، ورفض أي رغبة في "قمع شعب آخر أو السيطرة عليه"، نظراً لأنه "في فلسطين ثمة متسع لنا ولسكانها الحاليين". وطالب مشروع القرار بإقامة "تحالف عادل مع الشعب العربي" من أجل تحويل المستقبل إلى "مكان معيشة في مجتمع سيزدهر، وسيجلب تقدمه لكل من الشعبين تنمية مستقلة لا يعيقها شيء"<sup>(2)</sup>.

ونشرت هارتس مقتطفاتٍ من يوميات يهودا ليف ماغنس، مؤسس الجامعة العبرية وأول رؤسائها، والذي اعترض على قيام إسرائيل، وحاول إقناع الإدارة الأمريكية بعدم الاعتراف بها. ومنذ وصوله إلى فلسطين سنة 1922 أيد فكرة "دولة ثنائية القومية" لليهود والعرب ذات حكومة تتألف من ممثلين "للشعبين"<sup>(3)</sup>. وعارض جميع أنواع القومية التي تستند إلى قوة عسكرية. واعتبرت جمعية "إيحد" التي أنشأها سوية مع أصدقائه بمثابة التيار اليساري في المعسكر الصهيوني في كل ما يتعلق بالعلاقات مع العرب. وتعرض أعضاؤها لهجمات من جانب جميع الأحزاب اليهودية، وجرى وصفهم بالانهزاميين وغير الوطنيين<sup>(4)</sup>.

---

(1) سعد محيو، فلسطين: عودة خيار "الدولة الواحدة"؟، 14 يوليو 2008-موقع سويس انفو-

<https://www.swissinfo.ch/ara/%D9%81%>

(2) لودفيك فاتزال حل الدولة الواحدة كما يقترح بينيت: نسخة إسرائيلي من الفصل العنصري — (ذا بالستين كرونيكل)، 12/11/2014 تر: عبد الرحمن الحسيني- جريدة الغد - 1/13/2018.

<http://www.alghad.com/prints/837728-%D8%AD%D9%84->

(3) حل الدولة الواحدة كما يقترح بينيت: نسخة إسرائيلي من الفصل العنصري، لودفيك فاتزال

(4) أنطوان شلحت، الدولة الثنائية القومية "كحل" ينقذ اليهود من أنفسهم!، مجلة قضايا إسرائيلية، ع 34 -

2009-ص118.

وعرض مشروع الدولة الواحدة في مؤتمر (أجدوت هاعفودا) الذي عقد في (عين حارود) في عام 1925م، بواسطة عدد من المفكرين اليهود من أبرزهم الكاتب (أرثر روبين) الذي طالب باندماج اليهود مع شعوب الشرق العربي من أجل خلق مجتمع ثقافي جديد، وكونوا جمعية ثقافية، كانت تدعو إلى هذا الحل والتي مارست عدداً من الأنشطة في مجال الدعوة إليه، وقد اتهم أعضاءها بخيانة الشعب اليهودي وأماله من قبل الصهاينة<sup>(1)</sup>، وتأسست في 1926 جمعية "بريت شالوم" بمبادرة شخصيات صهيونية كان في طبيعتها "أرثر روبين"، المنظر الرئيس لهذه الجماعة، واعتقد أنه لن يكون في وسع الصهيونية أن تصمد في فلسطين إذا لم تعمل في تجنيد أصدقاء متفهمين لها في العالم العربي. ووفقاً لما ورد في البيان التأسيسي للجماعة فقد كانت غايتها "شق الطريق أمام توصل العبريين والعرب إلى تفاهم لحياة مشتركة في أرض إسرائيل، على أساس المساواة الكاملة في الحقوق لقوميتين تتمتعان بحكم ذاتي واسع النطاق، وتبتعان طرق عمل مشتركة لمصلحة تطوّر البلد برتمته"<sup>(2)</sup> وهذه الحركة أدانت اعتماد الصهيونية على وعد بلفور، وعلى القوة الكولونيالية للاستيلاء على فلسطين، وطالبت بميثاق يقوم على المساواة الكاملة، وكان من مؤيديها البارزين ألبرت آينشتاين<sup>(3)</sup>.

من ناحية أخرى أكد روبين أن الصهيونية ستواجه كارثة إذا أخفقت في إيجاد قاسم مشترك مع العرب. وكان روبين والذين على غراره يعتقدون أن بالإمكان التوصل إلى اتفاق يهودي-عربي إذا ما اقترنت الجهود من أجل ذلك بشعار فحواه أن "أرض إسرائيل هي دولة القوميتين". ونفس النتيجة توصل إليها ألبرت آينشتاين: ففي رسالة له إلى رئيس تحرير صحيفة "فلسطين" المؤرخة في 1930/1/28، كتب آينشتاين: "إن شخصا مثلي لا يستطيع رؤية مستقبل فلسطين إلا على أساس التعاون السلمي بين الشعبين الذين يعيشان في هذه البلاد..." وفي إحدى رسائله إلى وايزمن أكد على ضرورة التوصل إلى تفاهم مع الفلسطينيين: "إذا لم نعثر على

---

(1) علي الدين هلال، مشروعات الدولة اليهودية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة، 1978، ص.26، ص.27.

(2) أنطوان شلحت، الدولة الثنائية القومية "كحل" ينقذ اليهود من أنفسهم!، مجلة قضايا إسرائيلية، ع 34 - 2009، ص115/عرض كتاب: من بریت شالوم (تحالف السلام) إلى إیحود (اتحاد): يهودا ليف ماغنيس والنضال من أجل دولة ثنائية القومية- يوسف هيلر- منشورات ماغنيس، الجامعة العبرية، القدس- 2003.

(3) لودفيك فاتزال، حل الدولة الواحدة كما يقترح بينيت: نسخة إسرائيل من الفصل

العنصري، -AD%D9%84-%D8%AD%837728-prints/www.alghad.com//

وسيلة للتعاون والتفاهم الصادق مع العرب، فإننا وبكل بساطة، نكون وكأننا لم نتعلم شيئاً من آلامنا التي استمرت أكثر من ألفي عام. وبذا نستحق المصير الذي ينتظرنا...". وكانت مع الفكرة التي تبناها عدد من المفكرين والمثقفين اليساريين اليهود، والداعية إلى إقامة دولة ثنائية القومية، دولة عربية يهودية واحدة<sup>(1)</sup>.

وفي عام 1935 أسس مارتن بابر في ألمانيا يهودا ماغنس في فلسطين منظمة لتعزيز التفاهم اليهودي - الفلسطيني في فلسطين، بهدف إقامة دولة ثنائية القومية يتمتع في إطارها الشعبان بحقوق متساوية، بغض النظر عن تعداد السكان، وضمت المنظمة آنذاك بضع مئات من المثقفين الأوروبيين، وحظيت بتأييد ألبرت أينشتاين، كما تحمّست لها أجنحة أقلية معتدلة في الحركة الصهيونية، مثل المابام وهاشومر هاتزير وكيدماه ميزراخا ورابطة التقارب اليهودي - العربي<sup>(2)</sup>،

وفي بداية الأربعينيات تكونت جمعيتان ثقافيتان صهيونيتان، دعت كلتاهما إلى نفس الفكرة، وهما (جماعة أهود)، (وجمعية الاتحاد للتعاون بين اليهود والعرب) حيث دعت إلى قيام دولة عربية يهودية على أساس المساواة وتكافؤ الفرص بين العرب واليهود، وطالبت بالبحث عن "طريق يتعاون العالم اليهودي من خلاله مع العالم العربي في شتى مضامير الحياة من أجل إحياء العالم السامي"، وكانت الطموحات السياسية الرئيسة لـ "إيچود" هي: إيجاد نظام في البلد على أساس منح حقوق سياسية متساوية للشعبيين<sup>(3)</sup>. كما أن المفكرة اليهودية اليسارية (حنا أرنت)، رفضت التطرف الذي لاحظته في الحركة الصهيونية، فكتبت في "كومينيري" عام 1948: "الحل الوحيد في فلسطين، هو دولة فدرالية واحدة تكون نواة لبني فدرالية أكبر في الشرق الأدنى. إن الهدف الحقيقي لليهود في فلسطين هو بناء وطن يهودي، وهذا الهدف لا يجب أن يضحي به أبداً لصالح سيادة مزيفة لدولة يهودية"<sup>(4)</sup>.

(1) عدنان عاكف، أينشتاين والدولة اليهودية، مجلة الثقافة الجديدة، ع351-350-

<http://www.althakafaaljadeda.com/350-351/16.htm>.

(2) سعد محيو، فلسطين: عودة خيار "الدولة الواحدة"؟- 14 يوليو 2008-موقع سويس انفو-.

<https://www.swissinfo.ch/ara/%D9%81%>

(3) أنطوان شلحت، الدولة الثنائية القومية" كحلّ "ينقذ اليهود من أنفسهم"، ص116.

(4) فلسطين: عودة خيار "الدولة الواحدة"؟-وكالة رويترز بتاريخ 4 يونيو 2008

<https://www.swissinfo.ch/ara/%D96711696>

وفي عام 1948 نادى حزب (هشومير هتسعين)<sup>(1)</sup>، الصهيوني بالفكرة الطائفية، وأكدت مذكرة قدمها الحزب إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية سنة 1946 على حق اليهود الشرعي في فلسطين، وطالبتُ بدولة ثنائية القومية، وعصرية وسط الاتحاد الفيدرالي العربي، وأشارت إلى أن الدولة لو شملت الأردن فسوف تستوعب كل القدرات الخلافة دون تشريد أي مواطن عربي، وسترفع مستوى معيشة المواطن العربي اليهودي في آن واحد<sup>(2)</sup>، والجدير بالذكر ان جماعة هشومير هتسعين طرحت فكرة دولة ثنائية القومية في ثلاثينيات القرن الماضي، وتضمنت الفكرة، وجود جماعتين قوميتين في فلسطين التاريخية، بحيث يشكل كلٌ منهما كيانا داخل دولة واحدة، إلا أن هذا الطرح أُسقط سريعاُ ورفض فلسطينياً وصهيونياً<sup>(3)</sup>، وقد أصبحت هذه الجماعة فيما بعد نواة حزب (المابام)، ودعت إلى إقامة دولة اشتراكية ثنائية القومية يكون فيها اليهود هم الأغلبية، وظل المابام يؤيد تلك الفكرة نظرياً حتى عام 1948<sup>(4)</sup>.

### المشاريع الصهيونية بعد حرب 1948

بعد قيام إسرائيل عام 1948، تبخر معظم الدعم بين اليهود لخيار الدولة الواحدة، خاصة بعد عمليات التهجير السكاني العربي التي نقّذتها الحركة الصهيونية، وبات شعار (يهودية الدولة) هو السائد، وهذا الوضع استمر حتى حرب 1967 التي أسفرت عن إنتعاش مشروع الدولة الواحدة مشطوباً منها العرب لدى العديد من التيارات اليمينية الصهيونية، وهذا ما عرف آنذاك بخيار (الترانسفير)، أي نقل عرب 48 - 67 إلى الأردن الذي اعتبر هو الدولة الفلسطينية، وبالرغم من ذلك كان هناك أصوات قليلة تنادي بفكرة الدولة الواحدة أمثال الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح)، وبعض المثقفين الإسرائيليين. ففي عام 1959 استطاع (يوري أفنيرى) من خلال الدفاع عن أفكاره في الوصول إلى تسوية للصراع العربي الإسرائيلي، والاعتراف بأن أرض إسرائيل هي موطن شعبين هما العرب والعبرانيون، ويجب إقامة دولتين

---

(1) حزب (هشومير هتسعين) الصهيوني كان من الأحزاب اليهودية القومية في فلسطين قبل عام 1948 ومعظم قاداته وأعضاءه من أوروبا الشرقية وعلى رأسهم) موردخاي نبتون (والذي أصدر كتابا عام 1941 جاء فيه: لا بد من دستور يطالب بإقامة طائفتين منظميتين تشمل إحداهما كل العرب والثانية اليهود.

(2) يسري شراب، كتاب 5 ثنائية القومية فلسطين المحتلة.

(3)عزمي بشارة، إسرائيل والخيار الاستراتيجي،.

<http://www.Palldf.net/forum.showthread.phppt=233242>

(4) علي الدين هلال، مشروعات الدولة اليهودية، ص26، 27.

متجاورتين يهودية وعربية في الضفة وغزة، على أن تنضم إليهما الأردن، ومن ثم تشكل الدول اتحاداً فيدرالياً مع دولة إسرائيل، وتصبح القدس عاصمة موحدة للاتحاد الفيدرالي مع حل عادل لمشكلة اللاجئين العرب واليهود<sup>(1)</sup>.

وقد عبر بعض الكتاب الإسرائيليين عن اهتمامهم بخيار دولة ثنائية القومية، معتبرين انه يمثل تصوراً عقلانياً على المدى البعيد. ويمثل هذا التيار الكاتب ميرون بنفستي النائب السابق لرئيس بلدية القدس<sup>(2)</sup>. ونشر (أريه شابيط) في هآرتس مطلع العام 2003 مقالاً استعرض فيه التغيرات في مواقف رمزيّن من رموز اليسار، هما ميرون بنفستي وحاييم هنغي، إذ يلتقيان في التأكيد على أنّ الحل ممكنٌ في إقامة دولة ديمقراطية واحدة للشعبين من النهر إلى البحر، حيث يرى بنفستي: إن هناك كثيرين بين العرب واليهود يحلمون بقيام دولة واحدة، غير مجزأة جغرافياً، أو إنسانياً، وتتسع لاتجاهات متعددة، ومنفتحة، ويسودها التعايش الودي والتماسك وبذلك تكون عوامل الالتقاء أقوى من عوامل الانعزال الغيتوي، فتصبح "فلسطين - إسرائيل" بلداً تسوده علاقات سياسية، ومساواة قومية لكل جماعة<sup>(3)</sup>.

ولعلّ أبرز المنظرين لهذا الحلّ هو (إيلان بابيه)، الذي صرّح في مناسبات مختلفة أنّ "الحلّ الوحيد للنزاع الفلسطينيّ - الإسرائيليّ هو إيجاد دولة واحدة، يشارك فيها اليهود والعربُ وآخرون". وأضاف أنّ "دولتين مستقلتين في أرض فلسطين لا يمكن أن تتعايشا". وطرح آليّةً لتحقيق خطّته، جوهرها "مقاطعة إسرائيل دولياً" على غرار ما حدث لنظام جنوب أفريقيا العنصريّ سابقاً<sup>(4)</sup>.

## الجانب الفلسطيني والعربي وحل الدولة الواحدة

خلافاً للشائع بأن فكرة الدولة الواحدة تبلورت لدى اليسار الصهيوني في بدايات القرن

(1) أمينة رمضان طاهر زيد، نموذج الدولة الواحدة واثّر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (الإمكانية والتحديات، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2013، ص 71.

(2) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين: خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟ مجلة الدراسات الفلسطينية مج 10، ع 37 شتاء 1999، ص 81

(3) مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 10، ع 37 (شتاء 1999)، ص 19.

(4) تتكرّر هذه الآراء في مقالات كثيرة لايلان بابيه، لتفاصيل أكثر عن رؤيته/ راجع:

<http://www.raialyoum.com/?p=510536>

العشرين، فقد طُرحت أصول فكرة الدولة الواحدة للمرة الأولى في شكل رسائل فلسطينية في نهاية العشرينيات من القرن الماضي، ثم تبنت بريطانيا الفكرة رسمياً، كما هو واضح في الكتاب الأبيض الصادر على أثر ثورة عام 1939.<sup>(1)</sup> وفي عام 1937 قدم الفلسطيني إنطون يعقوب إبراهيم الأعمى، اقتراحاً بإعلان دولة عربية يهودية واحدة في فلسطين باسم (إسرا نطين)، الذي تحول على يد القذافي لاحقاً إلى مصطلح (إسراطين).

يقول المؤرخ الفلسطيني عدنان مسلم الذي تحدث عن اقتراح الأعمى في كتابه (صفحات مطويات من تاريخ فلسطين في القرن العشرين) بأن "الاستقطاب السياسي الذي أدى إلى اندلاع الثورة العربية في عام 1936 حدا بلجنة بيل عام 1937؛ لأن توصي، "بأن تقسم فلسطين لثلاثة أقسام متميزة: عربية، ويهودية، وقطاع القدس تحت الانتداب، وعارض عرب فلسطين عموماً فكرة التقسيم، وأصرروا على إبقاء فلسطين مستقلة تضمن فيها حقوق الأقليات"<sup>(2)</sup>، وهنا قدم انطون الأعمى إلى عصبة الأمم ولجنة الانتداب ووزير المستعمرات في لندن في 1937، "فكرة طوباوية فريدة من نوعها لحل المأزق العربي اليهودي"، وأصدر كتيباً بعنوان (تقرير مستفيض عن أسباب عدم استقرار الحالة في فلسطين: مقترحات ومشروع حل)، رد فيه على تقرير لجنة بيل وقدم حلاً، يتضمن "تحويل المجتمعين العربي واليهودي إلى كيان علماني واحد يدعى (اسبرا نطين) أو (الأردن الموحد)"<sup>(3)</sup>.

كما وظهر مصطلح "دولة ديمقراطية وعلمانية" في الأدبيات السياسية الفلسطينية منذ أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، حين طالبت العضوية العربية في الحزب الشيوعي الفلسطيني بدولة ديمقراطية لجميع سكان فلسطين من دون تمييز، غير أن هذا الطرح لم يُفلح في نيل موافقة العضوية اليهودية في الحزب، مما أدى إلى تفكك الحزب سنة 1942، ثم ورثت (عصبة التحرر الوطني) التي شكلتها المجموعة العربية الخارجة من الحزب سنة 1943 فكرة "الدولة الديمقراطية" لمعالجة القضية الفلسطينية، ونادت بإنهاء الانتداب البريطاني وإقامة حكومة ديمقراطية فلسطينية مستقلة، وعاد الجناح اليهودي من الحزب وطرح سنة 1947 أمام لجنة

---

(1) محمود الحرتاني، يوتوبيا التعايش.. الدولة الواحدة في فلسطين: الحال والمآل.

(2) أسامة العيسة، القذافي ليس صاحب فكرة دولة إسراطين، 2008/4/2-موقع ايلاف-

<http://elaph.com/Web/AkhbarKhasa/2008/4/317868.htm>

(3) المصدر نفسه، 2008/4/2-موقع ايلاف-

<http://elaph.com/Web/AkhbarKhasa/2008/4/317868.htm>

التحقيق الدوليّة فكرته عن "الدولة الثنائيّة القوميّة"<sup>(1)</sup>. وفي 1948/9/23 أعلنت (الهيئة العربيّة العليا) عن قيام (حكومة عموم فلسطين) في محاولة إحياء الكيان السياسيّ الفلسطينيّ بعد حصولها على ثقة المؤتمر الوطنيّ (غزة) الذي دعا إلى ضمان استقلال فلسطين ضمن حدود الانتداب البريطانيّ، إلا أنّ هذه المحاولة كانت محكومةً بالفشل لانعدام حماس الأنظمة العربيّة للفكرة، ولعجز حكومة عموم فلسطين عن فرض سيطرتها على أرضٍ تتنازعها مطامع صهيونيّةٌ وعربيّة<sup>(2)</sup>.

وبالإضافة إلى هذه الأفكار الفلسطينية كانت هناك العديد من المقترحات العربيّة بشأن الدولة الواحدة مثل مقترحات الملك عبد الله الأول لإنشاء مملكة واحدة، وإدارات مختارة لليهود في المناطق التي يوجدون بها، وبرلمان واحد يمثل فيه اليهود بنسبة عددهم، مع مجلس وزراء مختلط، وفي 1937 أعلنت اللجنة العربيّة العليا رفضها لاقتراح تقسيم فلسطين الذي تقدمت به بريطانيا وقتذاك كعرض مقابل وقف الإضراب وإنهاء الثورة، وأصرت اللجنة على المطالبة (بإنشاء دولة فلسطينية واحدة مستقلة) توفر الحماية لجميع الحقوق المشروعة لليهود وغيرهم من الأقليات<sup>(3)</sup>، وفي عام 1940 اقترح عادل جبر، الذي كان عضواً في المجلس المحلي للقدس، إنشاء دولة ثنائيّة القوميّة في فلسطين تدخل في اتحاد فيدرالي مع شرق الأردن<sup>(4)</sup>، إلا أن معظم الشعب الفلسطيني وقيادته خلال تلك الفترة، رفضت كلياً هذا العرض. وفي عام 1942 طرح مشروع نوري السعيد لتكوين دولة واحدة، مع استقلال ذاتي لليهود داخل هذه الدولة.

## انفتاح العرب على فكرة التعايش في دوله واحدة

فيما بين 1934- 1936 أجرى بن جوريون لقاءات مع شخصيات سياسية وثقافية عربية بنية التعرف على مواقفها وإيصال رسائل لها<sup>(5)</sup>. وكان وسيطه د. مغنيس عميد الجامعة العبرية

---

(1) نعيم الأشهب، "حول شعار الدولة الديمقراطيّة أو الدولة ثنائيّة القوميّة"،

في: [www.aloufok.net/article.php?id\\_article=32](http://www.aloufok.net/article.php?id_article=32)

(2) حول شعار الدولة الديمقراطيّة أو الدولة ثنائيّة القوميّة.

في: [www.aloufok.net/article.php?id\\_article=32](http://www.aloufok.net/article.php?id_article=32)

(3) انظر: قبل الشتات، وليد الخالدي، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987 م. ص 193.

(4) محمود رياض، الفكر الإسرائيلي حدود الدولة، عادل معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، دار النهضة

للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 87.

(5) خليل حنا دتادرس، مذكرات دافيد بن جوريون، مكتبة جزيرة الورد ط1، 2013، ص 216.

بالقدس يومذاك، ولقد أبدى جميع من التقاهم الاستعداد لقبول الصهاينة المتواجدين في فلسطين كمواطنين في دولة ديمقراطية، وإن رفضوا جميعهم وعد بلفور والوطن القومي اليهودي، وطالبوا بإنهاء الانتداب وإقامة دولة ديمقراطية على أساس التمثيل النسبي<sup>(1)</sup>، وتشير المصادر الإسرائيلية إلى أن د. مغنيس نقل لبن جوريون في 1936 عرضاً، نسبه لأشخاص عرب جادين، يسمح بتواصل الهجرة لعشر سنوات، وبحيث ترتفع نسبة اليهود من 28% إلى 44%، ويكون لهم كامل حقوق المواطنة، بشرط أن تصدر الوكالة اليهودية بياناً بالتخلي عن فكرة الدولة اليهودية، أو أن تكون للصهاينة الأغلبية، إلا أن بن جوريون رفض العرض، الذي وصفه د. مغنيس بأنه أسخى ما يمكن أن يقدمه العرب، وبرر رفضه بقوله: "صحيح إن السلام عزيز عندي، إلا أن الهجرة والدولة أعز"، وأكد أنه على غير استعداد للتنازل عن 1% من الأهداف الصهيونية"<sup>(2)</sup>.

وإذا صحت الروايات السابقة، فإن فيها ما ينهض دليلاً واضحاً على انفتاح القيادة الوطنية الفلسطينية، واستعدادها للقبول بدولة ديمقراطية ثنائية القومية، وذلك في مقابل انغلاق وجمود القيادة الصهيونية وإصرارها على تنفيذ كامل برنامجها، وقد جاء رفض بن جوريون في زمن تصاعد الحملة النازية على يهود ألمانيا وأوروبا، وإغلاق كل من أمريكا وجميع الدول الأوروبية أبوابها أمام هجرة اليهود<sup>(3)</sup>، ونقل أكثر من مصدر عن بن جوريون أنه قال تعقيباً على محاولات التسوية: "لا تتعبوا أنفسكم ليس هناك حل، الأرض واحدة وطالب الأرض اثنان، ولا بد أن تكون لواحد منهما، ولا بد أن يكون هذا الواحد الشعب اليهودي، وعليه بكل وسيلة ممكنة: بالحرب أو بالسياسة أو حتى بالخديعة أن يحمل الطرف الآخر على التخلي عن مطلبه"<sup>(4)</sup>.

كما تواترت خلال العقود الأخير شهادات المؤرخين الصهاينة الجدد التي تؤكد أن القيادة

---

(1) الذين التقاهم بن جوريون يومذاك كل من: موسى العلي، عوني عبد الهادي، شكيب ارسلان، إحسان الجابري، رياض الصلح، جورج انطونيوس. فيما جرى الاتصال بجمال الحسيني بوساطة موسى العلي. شبتاي تيببت: بن جوريون والعرب، ترجمة غازي السعدي (عمان، دار الجليل 1987) ص 170 – 207.

(2) شبتاي تيببت: بن جوريون والعرب، ترجمة: غازي السعدي، عمان، دار الجليل 1987، ص 208.

(3) ناحوم غولدمان: مذكرات ناحوم غولدمان، ترجمة: دار الجليل، عمان، دار الجليل 1993 (ص 123 – 157).

(4) عوني فرسخ، مستجدات ومتغيرات الصراع العربي الصهيوني محاضرة في ندوة: الراهن العربي والمستقبل المنظور دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة – 2003/12/8.

الصهيونية هي من يتحمل المسؤولية التاريخية والأخلاقية عن تهجير الغالبية الساحقة من المواطنين العرب مما احتل سنة 1948، وأن أوامر شفوية صدرت عن بن جوريون وغيره من القادة بالتهجير تحت تهديد السلاح، فضلاً عن ارتكاب المجازر، يقول البروفسور إيفي شلايم: "لقد زعمت الدعاية الصهيونية دائماً أن إسرائيل سعت دائماً للسلام ولكنها لم تجد شريكاً، وأنا أقول إنه كانت هناك فرص عديدة للسلام مع العرب بعد 1948، ولكن التعتت الإسرائيلي لعب دوراً كبيراً في عدم الوصول إلى اتفاق"<sup>(1)</sup>.

### مشاريع الدولة الواحد بعد عام 1948

أن مشروع الدولة الواحدة غاب عملياً عن التداول منذ عام 1948، وبعد حزيران 1967، صاغ الماركسي الفلسطيني د. خليل البديري تصوّراً خلاصته أنّ فلسطين "عادت وتوحّدت"، ومن ثمّ فُتح الطريق أمام العودة إلى حلّ النزاع على أساس "دولة ديمقراطية لجميع سكّانها"<sup>(2)</sup>. ثم أعيد طرح المشروع من خلال حركة فتح وتحت شعار دولة ديمقراطية فلسطينية مستقلة واحدة تقوم على أساس علماني يتساوى فيها المسلمون والمسيحيون واليهود، لكن حركة فتح رهنّت مشروعها بتحرير فلسطين وعودة اللاجئين إلى ديارهم وقراهم ومدنهم التي هجروا منها بعد تصفية الكيان الصهيوني، إي أنه يوجد فرق بين الدولة الديمقراطية الفلسطينية، ومشروع الدولة الواحدة التي يطرح في الوقت الحاضر، فالأولى تتحقق من خلال الكفاح المسلح وتصفية الكيان الصهيوني، أما الثانية، فلم يحدد طريقة تحقيقها بعد<sup>(3)</sup>.

وظهر مؤخراً، اهتمام ملحوظ بين الفلسطينيين بهذا الخيار وبخاصة في إسرائيل والشتات؛ لأن هذا السيناريو يمتلك القدرة على تكوين شعب شرعي في إسرائيل/فلسطين، وتعود الفكرة إلى توصية الأمم المتحدة الخاصة بمسألة فلسطين، وكانت هناك أيضاً توصية أقلية، قضت بأن تقام في فلسطين دولة واحدة على أساس اتحاد (فيدرالية) يضم المجموعات القومية، وقد رفض العرب هذا المشروع، وبذلك مهدوا الطريق أمام تبني قرار التقسيم في العام 1947<sup>(4)</sup>.

(1) عومر كرمون، برفسور إسرائيلي: "إسرائيل قامت بتطهير عرقي في عام، 1948 م.

(2) "حول شعار الدولة الديمقراطية أو الدولة ثنائية القومية"،

في: [www.aloufok.net/article.php?id\\_article=32](http://www.aloufok.net/article.php?id_article=32)

(3) منير شفيق، التبرع بالحلول للقضية الفلسطينية - <http://www.Mawazeen.com/lindex.php?cid1>

(4) تأملات في مغزى وأبعاد مصطلح "يهودية" في تعبير "دولة يهودية وديمقراطية" قضايا إسرائيلية، غابيزون،

## نماذج لحل الدولة الواحدة:

فكرة دولة ثنائية القومية تحققت على أرض الواقع في ظل أنظمة رأسمالية حيناً، وفي ظل أنظمة اشتراكية حيناً آخر، كما أيدتها أحزاب يمينية ويسارية ودينية في الوقت نفسه، انطلاقاً من واقع قائم، فعلاً، في محاولة لحل إشكالية وجود قوميتين أو أكثر في بلد واحد<sup>(1)</sup>، وحل الدولة الواحدة هو حل قائم على النموذج الأوروبي، ولكن ليس على أساس (نموذج وستفاليا)، بل على أساس (نموذج الدولة الديمقراطية الليبرالية)، وهو النموذج المجرب سابقاً وبجاح في جنوب أفريقيا<sup>(2)</sup>، وهناك حالات تحررية من شأنها أن تكون نماذج يحتذى بها مثل النموذج السويسري والبلجيكي.

### النموذج السويسري

تقف التجربة السويسرية مثلاً متميزاً في ميدان حلّ مسألة تعدد القوميات، ففيها يتكلم السكان أكثر من لغة، إذ تتكلم أغلبية السكان اللغة الألمانية، فاللغة الفرنسية، ثم اللغة الإيطالية، كما يتوزعون من الناحية المذهبية إلى بروتستانت وكاثوليك.. والنظام الاتحادي هو المطبق في سويسرا، حيث ان النظام فيدرالي طوعي يقوم على تقسيم البلد إلى عدد من المقاطعات (كانتونات)، وتحكم كل مقاطعة نفسها ذاتياً، في حين أن دستور الاتحاد يضمن حق الانتساب لكل مقاطعة<sup>(3)</sup>، وهذا ساهم في القضاء على الخلافات اللغوية والعرقية وحولها إلى طاقة اجتماعية وحضارية، والدستور قائم على منح الأكثرية حقوقاً أكثر من الأقلية.

والتجربة السويسرية هي أهم وأغنى التجارب في الحكم الديمقراطي في تاريخنا المعاصر، إذ يمتد عمرها إلى عدة قرون خلت، وهي تعيش الآن في ظلّ دولة اتحادية وحكم قائم على الديمقراطية في مجتمع متنوع، وقد أصبح هذا التنوع مصدراً للتقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم مصدراً للثراء والخصب الحضاري بعد أن كان مصدر شرور وحروب أهلية وإقليمية. وغدت هذه التجربة مدرسة لجميع الشعوب والمجتمعات التعددية المتنوعة، تلك التي

---

روت، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، ع 31-32، 2008، ص78.

(1) بشارة، "عرب ال 48..."، مصدر سبق ذكره، ص 62.

(2) عدلي المنصور، نعم دونالد ترمب: لاجل الدولتين، صحيفة رأى اليوم - 2017-2-17 -

<http://raialyoun.com/?p=623693>

(3) أرنند ليهارت، "الديمقراطية في المجتمع المتعدد، ص 117.

تطمح إلى حل مشاكلها سلمياً، وعبر الحوار والمصالحة والتسامح. وقد استفادت شعوب عديدة من التجربة السويسرية لخبرتها في معالجة مشاكل التنوع الطائفي والديني؛ فالمجتمع السويسري يتألف وفق إحصائيات الثمانينات من القرن الماضي من أغلبية كاثوليكية تشكل 47%، وأقلية بروتستنتية تفوق 44%، وتتألف النسبة المتبقية من مذاهب وأديان أخرى<sup>(1)</sup>.

أما عند النظر إلى مدى مطابقة النموذج السويسري مع النموذج الفلسطيني – الإسرائيلي فإن العديد من الملاحظات تظهر مباشرة: فمن ناحية عدد الأقليات نجد أن النموذج السويسري يعد أكثر تمايزاً من النموذج الإسرائيلي الفلسطيني، سواء عرقياً أو لغوياً أو دينياً، إلا أن الإشكالية هنا في النموذج الفلسطيني ليست قائمة في الأساس على التمايز العرقي واللغوي بمقدار ما تقوم على الاحتلال أو بالمعنى الأدق على الإحلال. يضاف إلى ذلك إن مسيرة الأعوام السابقة ومحاولة اندماج الأقلية العربية في النظام السياسي الإسرائيلي، أظهرت العديد من المؤشرات السلبية؛ فقد لوحظ أن النظام السياسي الإسرائيلي اتخذ العديد من الإجراءات القانونية والسياسية التي تحول دون منح الاندماج فرصة، بل العكس هو الذي حصل<sup>(2)</sup>.

### النموذج البلجيكي

تاريخياً، كانت بلجيكا، هولندا ولوكسمبورغ تعرف باسم البلدان المنخفضة، وفي عام 1830، انفصلت بلجيكا عن هولندا، ودارت العديد من المعارك بين القوى الأوروبية على الأراضي البلجيكية، وبعد استقلالها، شاركت بلجيكا في الثورة الصناعية وخلال القرن 20، كانت تمتلك عدداً من المستعمرات في أفريقيا، وقد تميز النصف الثاني من القرن 20 بحدوث خلافات بين الفلمنكيين والفرنكوفونيين تغذيها الاختلافات في اللغة والتنمية الاقتصادية غير المتكافئة، وقد تسبب هذا العداء المستمر بإصلاحات بعيدة المدى، وتغيير نظام الدولة البلجيكية الوحدوي سابقاً، إلى الدولة الاتحادية.

وهكذا تم تطبيق نظام دولة ثنائية القومية في بلجيكا حيث فرض الواقع الإثني واللغوي تقسيم المملكة إلى جماعتين إثنتين: الأولى هي الفلامنك ويتحدثون الهولندية ونسبتهم حوالي

(1) علاء اللامي، تأملات في النموذج السويسري،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28234>

(2) عبد الحميد الكيالي، وآخرون، إسرائيل ومستقبلها حتى عام 2015م، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1، عمان، 2008م، ص 275.

59% من السكان، والجماعة الثانية هي جماعة الوالون المتكلمين بالفرنسية ونسبتهم حوالي 41 %، وهناك مجموعة صغيرة من المتحدثين بالألمانية، فكل إقليم ينطق بلغته الخاصة، وتعتبر العاصمة بروكسل مكاناً تستخدم فيه اللغتان الفرنسية والفلانكية؛ فبلجيكا مملكة دستورية قبلت الانفصال الإقليمي لحل مشكلتها الإقليمية واللغوية، وبناءً على هذا الانقسام تتكيف الأحزاب البلجيكية وفق تلك الثنائية، ففي كل حزب جناح للوالون وآخر للفلانك وثالث للبروكسلين<sup>(1)</sup>.

## أشكال الدولة الواحدة

لا يوجد شكل واحد يطرح الصورة التي سيكون عليها حل الدولة الواحدة، وطبيعة الشكل مهمة بالنسبة لحل الدولة الواحدة؛ لأنه يطرح تصورًا حول مفهوم المواطنة في الدولة الواحدة والأسس التي سيقوم عليها، وكذلك علاقة النظام السياسي بالأفراد، فهل ستقوم العلاقة على أسس المواطنة الفردية، أم سيجري التعامل مع أقليتين قوميتين تشتركان في نظام سياسي واحد، ولكل منهما خصوصيته الذاتية؟؟ وعند النظر إلى ما طرح من مشاريع، سنجد أن هناك ثلاثة مشاريع طرحت في إطار حل الدولة الواحدة.

### 1- الدولة ثنائية القومية:

لا يوجد تعريف متفق عليه لدولة ثنائية القومية، وقد توصل بعض الباحثين إلى تعريف مقبول لمفهوم دولة ثنائية القومية، ولعلّ أفضل تعريفاتها هو تعريف كمال الخالدي، الذي يرى أنّ (ثنائية القومية) مفهومٌ سياسيٌ لنظامٍ حكوميّ، يشترك فيه شعبان في النظرة إلى الدعائم الأساسية التي تكوّن الدولة، ولا يعتمد اشتراكهما في إدارة مؤسسات هذه الدولة على قوّة كلٍّ منهما، بل على النوايا الحسنة والتسامح<sup>(2)</sup>. فلكل جماعة هويتها المنفصلة ولغتها وثقافتها وتراثها الديني، والحصول على نظام توافقي بين الجماعتين القوميتين يتجنب سيطرة الأغلبية على الأقلية بتقسيم السلطة، وإيجاد نظام تعدد الأحزاب، وحق الأقلية في الاعتراض والمشاركة في السلطة التنفيذية، وما يخص التشريع فيجب التوازن بين شعبي المجلس لكل قومية وضمن التمثيل النسبي لكل منها. ولا يعني وجود شعبين أو جماعتين في دولة واحدة أن تكون تلك الدولة ثنائية

(1) أرندن ليهارت، "الديمقراطية في المجتمع المتعدد مصدر سابق، ص 117.

(2) كمال الخالدي الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى أين؟ منظور ثقافي، (بيروت: دار ابن رشد، 1998)،

القومية، إذ يمكن أن تكون دولة عنصرية ولا يتمتع فيها الشعبان بحقوق متساوية<sup>(1)</sup>.

## 2-الدولة الديمقراطية العلمانية:

يتضمن تعريف "الدولة الديمقراطية العلمانية" مستويين من المضامين: الأول يتعلق بوضع المواطنين الأفراد في هذه الدولة، والثاني يتعلق بوضع المكونات الدينية أو القومية فيها، وهذه الصيغة تحمل الكثير من التأويل، خصوصاً حيال ما سينشأ من تناقض بين حقوق المواطنين الدستورية وما تتطلبه منهم انتماءاتهم الدينية، ما سيعكس إشكالاتٍ وتعقيداتٍ عاشتها دولٌ عديدةٌ خاضت تجاربَ مشابهة<sup>(2)</sup>.

والمشترك، بين الدولة "الديمقراطية العلمانية"، والدولة "الثنائية القومية" هو الإصرارُ على التمسك بوحدة أرض فلسطين التاريخية، على أرضية العيش المشترك، أما الفارق المركزي فيتجسد في علاقة المواطنين بالدولة، بمعزلٍ عن انتماءهم إلى أية جماعة دينية أو عرقية، في حالة الدولة الديمقراطية العلمانية؛ أما علاقة المواطنين بالدولة في حالة "الثنائية القومية" فتستند إلى عضويتهم في إحدى القوميتين لا إلى حقّ المواطنة المطلق<sup>(3)</sup>.

## 3-دولة كل المواطنين:

هي رؤية اندماجية شمولية أحادية مبنية على خلق حالة متساوية بين الأفراد والمجموعات التي يتركب منها المجتمع، وتهدف إلى القيام بعملية صهر ثقافي واجتماعي متواصل، ضمن إطار سياسي مشترك، يؤدي إلى بناء وعي ثقافي وهوية اجتماعية وسياسية مشتركة لجميع أفراد المجتمع الذين ينعمون بالتساوي، ويحترموا التنوع والاختلاف، هذه الدولة هي دولة لجميع مواطنيها إنها

---

(1) كمال الخالدي فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين خيار سياسي مطروح، أم تطور تراكمي مقصود، موقع الأفق الاشتراكي.

(2) أحمد مصطفى جابر، الدولة الفلسطينية بين الحلم والممكن، الآداب، 27.03.17 - <http://al-adab.com/article/>

(3) أشار الزعيم الليبي الراحل (معمر القذافي) في كتابه الأبيض وفي كتاباته العديدة وأحاديثه حول القضية الفلسطينية بضرورة التوصل إلى حل نهائي للترازح العربي الإسرائيلي من أجل وقف دوامة التدمير والظلم، والبعد عن حلول التقسيم؛ لأن الفلسطينيين مقتنعون أن ما تسمى الآن بإسرائيل هي جزء من أراضيهم، ولن يفيد أي حل يبقى فيه أغلبية الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين؛ لأن حق العودة هو أحد الشروط الرئيسية المسبقة لتحقيق السلام، ورأى أن الحل الوحيد هو في دولة ديمقراطية واحدة في عموم فلسطين يحظى فيها الجميع بالمساواة دون تمييز ديني أو عرقي أو جنسي، تؤمن بالمواطنة المتساوية بين الجميع<sup>(3)</sup>.

دولة التساوي القانوني بين الأفراد الذين ينعمون بالحرية الكاملة في التآلف والاندماج في مجموعات مختلفة إرادية، ودور الدولة هو توفير الحماية القانونية لجميع أفراد المجتمع لإتاحة الفرصة أمامهم للتعاقد والحوار والجدل والاتفاق والاختلاف، فدولة المواطنين هي دولة إرادية طوعية لا حول لها ولا قوة إلا بإرادة شعوبها ومواطنيها أفراداً وجماعات<sup>(1)</sup>.

وقد روج لفكرة دولة لجميع مواطنيها كلا من د.عزمي بشارة، وإدوارد سعيد، وتبناها كثير من المفكرين والسياسيين والمثقفين. ويعد هذا الاقتراح من أكثر الحلول حداثة، لأنه يقوم على مبدأ أمن المواطنين الذين يستمدون حقوقهم من مواطنتهم في الدولة، أي إن المواطنة هي مصدر الحقوق وليس الانتماء إلى شعب أو هوية جماعية معينة، وهذا الحل فيه تحدٍ للصهيونية ويهودية الدولة لأنه يركز على بعد المواطنة أكثر من البعد الجماعي والقومي<sup>(2)</sup>.

ومن كل ما تقدم نخلص إلى أن هناك فرقاً أساسياً بين الدولة ثنائية القومية والدولة الديمقراطية العلمانية من حيث طبيعة العلاقة بين النظام السياسي والأفراد من جهة، وكذلك المساواة والأسس التي تقوم عليها من جهة أخرى، فالدولة ثنائية القومية تضمن الحفاظ على هوية الجماعة القومية، وترعى الحقوق الفردية وتصونها وتتيح المجال لتطوير هوية قومية مشتركة، وتؤسس لقيام دولة لمواطنيها على أساس التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي المشترك، أما الدولة الديمقراطية العلمانية أو (الدولة لمواطنيها) فهي تتأسس على الهوية المدنية للمواطنين الأفراد في الدولة أو الأمة؛ إذ إن الأفراد متساوون أمام القانون بصرف النظر عن قوميتهم أو دينهم<sup>(3)</sup>. ولذا يختلف مفهوم المساواة في دولة ثنائية القومية عنه في دولة لكل مواطنيها، بأن مفهوم المساواة في دولة ثنائية القومية يقوم على اعتراف كل جماعة قومية بالجماعة القومية الأخرى، والتسليم بشخصيتها القومية والثقافية، بغض النظر عن حجمها؛ وبهذا تكون المساواة مساواة بين قوميتين، لا مساواة بين مواطنين، أما المساواة في دولة لكل مواطنيها، فهي مساواة بين مواطنين يتساوون في الواجبات والحقوق<sup>(4)</sup>.

---

(1) أمينة رمضان زيد، نموذج الدولة الواحدة واثار ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (الإمكانية والتحديات)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 2013ص73

(2) حل الدولة الواحدة، أفاقه ومحدوديته، أمل جمال، : مجلة الآداب، 2009، ص11.

(3) نموذج الدولة الواحدة واثار ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (الإمكانية والتحديات)، ص75.

(4) ألبرت حوراني، "الفكر العربي في عصر النهضة"، دار النهار للنشر- بيروت، ط2، 1977، ص 335.

## الموقف الإسرائيلي من حل الدولة الواحدة

يبدو أن فكرة الدولتين تتراجع بشكل كبير، فاليسار الإسرائيلي يدعو بقوة إلى إنهاء الاحتلال ومنح سكان الضفة هويات زرقاء، و(أبراهام بورغ) يقول: "إن الحل الوحيد هو كنفدرالية بين فلسطين وإسرائيل يكون فيها برلمان عربي وبرلمان يهودي"، وهناك من يتحدث عن اسم جديد لإسرائيل وعلم جديد، مثل د. (أسعد غانم). أما بورغ فقال: "أن مشكلة العلم ليست معقدة وإن أي رسام مبدع يستطيع دمج العلمين بسهولة"<sup>(1)</sup>

أما البروفسور (شلومو أفنييري) فيقول: "إن النزاع الفلسطيني الإسرائيلي يختلف عن كل النزاعات التي شهدتها القرنان 19، 20 فهي نزاعات حدودية"، أما النزاع الفلسطيني الإسرائيلي فهو غير ذلك، إنه صراع بين حركتين كل واحدة منهما تعتبر نفس الأرض ملكاً لها أو جزءاً من وطنها، أي أن الفلسطينيين يعتبرون ما يسمى الآن بإسرائيل جزءاً من وطنهم حتى لو حصلوا على الضفة الغربية وغزة، وبالمقابل فإن اليهود يعتبرون الضفة الغربية هي السامرة ويهودا وهي جزء من وطنهم حتى لو قامت فيها دولة للفلسطينيين، ويقول: "إنها بالنسبة لليهود أرضهم التاريخية ذات التراث المجيد وأرض الخلاص"، وهي بالنسبة للعرب أرضهم التي حكموها كعرب ومسلمين منذ القرن السابع، والعرب يسمونها فلسطين، والحركة الصهيونية تسميها أرض إسرائيل، وفي مثل هذه الحالة: "إما أن تدمر إحدى الحركتين الأخرى، أو التوصل إلى حل وسط"، بقيام دولة واحدة للجميع بحيث يحس كل طرف أنه يعيش فوق كل الأرض المتنازع عليها، وغير محروم من أي جزء منها"<sup>(2)</sup>.

ويقترح الكاتب اليهودي (الفريد ليلينتال) في كتابه "الوجه الآخر من العملة" بعودة الإسرائيليين ذوي الأصل الأوروبي إلى أوروبا، ويبقى الإسرائيليون من أصل شرقي في فلسطين، مع عودة عرب فلسطين إليها ليعيشوا معاً في دولة واحدة جديدة، تكون نواة لوحدة سامية كبرى بين شعوب المنطقة، وفكرة الدولة السامية قالها الملك عبد الله في الأربعينيات، ودعا إليها يوري أفينييري ثم عزمي بشارة وآخرين بأسماء مختلفة<sup>(3)</sup>.

(1) ناصر اللحام، هل قررت إسرائيل ضم الضفة الغربية؟، وكالة معا، نشر بتاريخ: 2015/07/26.

(2) معمر القذافي، إسرائيل، الكتاب الأبيض"، 2003.

(3) أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل، بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ص 59.

## رفض إسرائيل لسيناريو الدولة الواحدة

أولاً: العامل الديموغرافي هو السبب الرئيسي الذي يجعل إسرائيل ترفض مجرد التفكير بهذا الخيار، فعدد السكان في فلسطين التاريخية سيتساوى مع عدد اليهود في العام 2014، وأن عدد الفلسطينيين سيتجاوز عدد اليهود في العام 2020، حيث ستصبح نسبة السكان اليهود حوالي 48.2%، أي نحو 6.2 مليون يهودي مقابل 7.2 مليون فلسطيني، هذا يعني أن الفلسطينيين سيشكلون أغلبية في أقل من عشرة أعوام.

ثانياً: مشروع الدولة الواحدة يتناقض مع مشروع الدولة اليهودية التي تسعى إسرائيل إلى انتزاع اعتراف فلسطيني ودولي له، ورفضها كان دائماً أقوى في الجانب الإسرائيلي، بيمينه ويساره؛ فهم يريدون دولة يهودية خالصة.<sup>(1)</sup>

ثالثاً: تجربة الإسرائيليين على مدار الصراع، هو الانفصال عن السكان الفلسطينيين، دون الانفصال عن الأرض، وإسرائيل تجد صعوبة في تقبل فلسطيني الداخل بنسبتهم الـ 25%، فكيف لها أن تتقبل غالبية فلسطينية ضمن حدود الدولة الواحدة؟

رابعاً: تنظر إسرائيل لحل الدولة الواحدة على أنه نوع من التهديد الفلسطيني لكي يقبل الإسرائيلي بخيار الدولتين، وليس ناتج عن استراتيجية فلسطينية لتبني هذا الخيار.

خامساً: حل الدولة الواحدة يشترط تفكيك إسرائيل، وتذويبها في كيان جديد بناء على المساواة بين المواطنين: فلسطينيين وإسرائيليين. ويشترط أيضاً عودة ملايين اللاجئين الفلسطينيين من الخارج، وليس هناك أدنى مؤشرات ولو مستقبلية لقبول أي من هذين الشرطين من قبل أي تيار أو حزب مؤثر في إسرائيل.<sup>(2)</sup>

## الجانب العربي والفلسطيني وفكرة الدولة الواحدة

بعد حرب عام 1967، كان هدف منظمة التحرير الفلسطينية، هو "تحرير التراب الفلسطيني كاملاً بقوة الكفاح المسلح، وإنّ دولة المستقبل في فلسطين المحرّرة هي الدولة الفلسطينية الديمقراطية، قبلها كان صلاح خلف حدّد في العام 1968 الهدف الإستراتيجيّ بأنّه

(1) محمود الحرناني، يوتوبيا التعايش.. الدولة الواحدة في فلسطين: الحال والمآل.

(2) نصير عاروري الوسيط الخادع، دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين، ط1، كامبردج بوك ريفيوز 2003.

“دعمُ إنشاء دولة ديمقراطيّة على امتداد فلسطين التاريخيّة، يعيش فيها العربُ واليهودُ في وفاق، وكمواطنين على قدرٍ كاملٍ من التساوي”<sup>(1)</sup>، ونادت كلا من الجبهتان الشعبيّة والديمقراطيّة لتحرير فلسطين بحل الدولة الديمقراطية الواحدة على كامل فلسطين الانتدابيّة، حيث حددت الجبهة الشعبيّة في (شباط 1969) أنّ “هدف حركة التحرر الفلسطينيّة هو إنشاء دولة وطنيّة ديمقراطيّة في فلسطين، يعيش فيها العربُ واليهودُ مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، وتشكّل جزءاً من الوجود العربيّ الديمقراطيّ التقدميّ المتعايش بسلام مع كلّ قوى التقدّم في العالم”<sup>(2)</sup>. أما حركة أبناء البلد التنظيم الناشئ داخل الخط الأخضر (1948) فقد تبنت عام 1977 مبدأ الدولة العلمانية الديمقراطية على أراضي فلسطين التاريخيّة كافة، وعرفت العلمانية على أساس فصل الدين عن الدولة<sup>(3)</sup>.

وقد بدأ الحديث رسمياً عن الدولة ثنائيّة القومية مباشرة بعد حرب أكتوبر 1973، ففي ديسمبر عام 1974 أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية أن الدولة ثنائيّة القومية هي الحل الممكن الوحيد للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، كما أن سيسل وجورج حوراني الأستاذين للعلوم السياسيّة في الجامعة التونسيّة، كتبا عن الموضوع في بداية السبعينات، إذ تحدّثا عن إمكانية ضم جميع المناطق المحتلة في الضفة الغربيّة وقطاع غزة إلى إسرائيل مع السكان، على أن يعطى السكان حق المواطنة في هذه الدولة وبتشكيل برلمان من جميع السكان فلسطينيين ويهود، وتشكيل حكومة موحدة يعتمدها هذا البرلمان الموحد<sup>(4)</sup>.

وعلى الرغم من عدم شعبيّة فكرة دولة ثنائيّة القومية في فلسطين، فإن هذا لم يخلُ دون صدور بعض التوجهات عن بعض الباحثين الفلسطينيين. فقد كان سري نسيبة من أوائل المبادرين لطرحها في المجال السياسي، إذ طرح سنة 1987، سيناريو افترض فيه أن إسرائيل لن تنسحب من الأراضي المحتلة، وأن على الفلسطينيين أن يطلبوا من إسرائيل أن تضم تلك

---

(1) صلاح خلف، فلسطينيّ بلا هويّة، عمّان: دار الجليل، ط2، 1996، ص221.

(3) أحمد جابر، الدولة الفلسطينيّة بين الحلم والممكن، 17- 3- 2017، موقع الآداب، <http://al-adab.com/article/%D8>

(4) أكرم عطا الله العبسي، هل تحولت فكرة الدولتين إلى خرافة، وكالة معا الإخبارية، <http://www.maannews.net.arab/print.aspx?P=2750278>.

(4) مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونياليّة، كانون الثاني 2014 - <http://palestine.assafir.com/Search.aspx?P=Authors&ID=397>.

الأراضي إليها، الأمر الذي يؤدي إلى أن يعيش الفلسطينيون في دولة ذات نظام عنصري، وعليهم أن يناضلوا لنيل حقوق متساوية مع الإسرائيليين. ويتوقع نسبة أن يشكّل العرب سنة 2020 أغلبية سكانية على اليهود، وبذلك يتمكنون من السيطرة على الكنيست ومؤسسات الحكومة، فيصبحون قادرين على تمرير قانون عودة اللاجئين الفلسطينيين إذا اختاروا ذلك<sup>(1)</sup>، وفي مثل هذه المرحلة تتحول "فلسطين- إسرائيل" إلى دولة ثنائية القومية بالمعنى الكامل للكلمة<sup>(2)</sup>. ثم تبلورت هذه الفكرة ونضجت بفضل الأطروحات الأكاديمية التي قدمها كل من أسعد غانم ونديم روحانا وكمال الخالدي وسعيد زيداني، ولكنها لم تأخذ شرعيتها وزخمها في النقاش الفلسطيني إلا بتبني عزمي بشارة وإدوارد سعيد لها<sup>(3)</sup>.

وظل توجه الدولة الواحدة سائداً، وإن بغموض، حتى اتفاقات أوسلو، لكن وبعد أن وصلت هذه الاتفاقات إلى طريق مسدود، بدأ العديد من الأطراف الفلسطينية بإخراج المشروع من خزانة التاريخ. على رأس هؤلاء كان المفكر الراحل إدوارد سعيد الذي كتب عام 1999: "بعد 50 عاماً من تاريخ إسرائيل، لم تقدّم الصهيونية الكلاسيكية أي حل للوجود الفلسطيني، ولذلك لا أرى أي طريق آخر سوى التحدث عن تشاطر الأرض التي جمعتنا معاً، في إطار ديمقراطي حقيقي يضمن الحقوق المتساوية لكل المواطنين". وذهب إلى أن اتفاق أوسلو، وما تمخض عنه من نتائج، لم يؤدي إلى حل للصراع القائم في فلسطين، كما يرى سعيد أن الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي أكثر ارتباطاً أحدهما بالآخر، على الرغم من إعلان كل منهما حاجته إلى دولته المنفصلة. "والتحدي هو إيجاد طريقة سلمية للتعايش كمواطنين متساوين في الأرض نفسها"<sup>(4)</sup>.

وفي رأي اشترك فيه الباحثان أسعد غانم وسارة أوزاتسكي لازار عبرا عن تصورهما لحل بديل لحل الدولتين يعيش فيه المجتمعان الفلسطيني واليهودي، ويشتركان في اقتسام السيادة على كامل

---

(1) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين- خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟ ص 8.

(2) المقابلة التي أجرتها سوزان هاتيس روليف مع د. سري نسبة في مجلة الشهرية للحركة العمالية الإسرائيلية، الصادرة باللغة الإنكليزية، أيار/ مايو 1987.

(3) ماجد كيالي، هل يشكل خيار الدولة ثنائية القومية بداية هجوم سياسي فلسطيني؟ موقع منتديات القضية الفلسطينية <http://www.palissua.com>

(4) إدوارد سعيد، "الانتفاضة ضد أوسلو"، "الحياة" (لندن)، 1/ 10 / 1996.

أرض فلسطين، وتكون القدس عاصمة للدولة المنشودة، وأن يمارسا حكما ذاتياً خاصاً بكل منهما يضمن شؤونهم الداخلية الثقافية واللغوية والدينية<sup>(1)</sup>. كما دعا زياد أبو عين، إلى دعم قيام دولة ديمقراطية علمانية واحدة في كل فلسطين التاريخية. ثم جاءت تصريحات أحمد قريع فأكد أن الفلسطينيين قد يتحولون للمطالبة بدولة ثنائية القومية على كل أراضي فلسطين التاريخية بدلا من مطالبهم بدولة فلسطينية بالضفة الغربية وقطاع غزة، وهدد إسرائيل بأنها إن لم تؤدِّ استحقاقاتها تجاه الشعب الفلسطيني فسوف يطالب ب(الدولة الواحدة)<sup>(2)</sup>.

### الموقف الفلسطيني من سيناريو (الدولة ثنائية القومية) بين الرفض والقبول

حتى تشرين الأول أكتوبر 2000، كانت معظم الرؤية الشعبية الفلسطينية تدور حول دولتين قوميتين منفصلتين، لكن ومنذ ذلك الوقت، أخذ حل الدولة الواحدة ثنائية القومية يكسب شعبية بين المثقفين الفلسطينيين، بسبب فشل عملية أوسلو<sup>(3)</sup>، وجاء الارتفاع الجديد بالمطالبة بحلّ (الدولة الواحدة ثنائية القومية) تعبيراً عن اليأس من إقامة دولة فلسطينية مستقلة في حدود أراضي ال67، نتيجة للنتائج الإسرائيلية بالأساس لحقوق الشعب الفلسطيني والاستيطان والجدار العازل، ونتيجة لحالة الانقسام الفلسطينية.

يُفترض أن تلبّي فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين حاجة الفلسطينيين إلى ممارسة حقوقهم السياسية، كجماعة وكأفراد، كما يفترض أن تحقق لهم حرية الوصول إلى أي بقعة في فلسطين كلها، ولن تستطيع إسرائيل أن تمارس التمييز ضدهم في الضفة الغربية وقطاع غزة<sup>(4)</sup>. وبالرغم من كل ما تقدم يرفض البعض هذا الحل؛ لأنهم يرون أن محاولة تحويل هدف النضال الفلسطيني، نحو هدف الدولة الديمقراطية، أو الثنائية القومية، هي كمحاولة

---

(1) أمينة رمضان طاهر، نموذج الدولة الواحدة واثار ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (الإمكانية والتحديات، ص 71.

(2) أيمن عودة، بين "حل الدولتين" و "حل الدولة الواحدة". "دراسة منشورة على موقع الجبهة الديمقراطية للتغيير والمساواة، 2009.

(3) لويس غرينبيرغ، الاتحاد الإسرائيلي الفلسطيني، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار. العدد 34، 2009، ص 41.

(4) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين: خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟، ص 80.

التصفيق بيد واحدة<sup>(1)</sup>. وهناك من يرى إن أطروحة دولة ثنائية القومية ضارة ومخرية للنضال الوطني الفلسطيني ضد الصهيونية؛ لأن نسبة المؤيدين له من الإسرائيليين، تافهة للغاية وهامشية تماماً، كما تتأسس الأطروحة ضمن ما تتأسس على قبولنا عرباً وفلسطين بشعرية الهجرة اليهودية المنظمة واستيطان أراضي الفلسطينيين مقابل الأمل أو السعي لقبول الغزاة المستوطنين الاعتراف ببعض حقوق الفلسطينيين في بلادهم وأرضهم. وتقوم صيغة أو أطروحة ثنائية القومية على أفكار خاطئة وغير مقبولة مبدئياً وشديدة الخطورة على نضال شعوبنا وعقيدة هذا النضال، وتتعامل مع المشروع الصهيوني كوجود يهودي طبيعي بين سكان البلاد الأصليين، أو هجرة عادية غير منظمة وغير محمية من الاستعمار والمنظمات الصهيونية العالمية<sup>(2)</sup>.

والكلّ يجمع أنّه رغم كلّ المعوقات فإن إقامة دولة فلسطينية على حدود 1967 تتطلب جهداً أقلّ من المعركة طويلة الأمد، والتي لا يضمن نتائجها أحد، لأنها تتطلب استراتيجية فلسطينية جديدة، تقوم بتحويل النضال الفلسطيني من أجل دولتين إلى السعي إلى دولة واحدة، وتتطلب الخطوة الأولى في هذه الخطة تفكيك السلطة الفلسطينية، أو إحداث تغيير في وجهة القيادة الفلسطينية. ويجب أن ينتهي دور السلطة الفلسطينية كفاصل بين قوة الاحتلال والناس، والذي أفضى إلى توفير حماية لإسرائيل من مواجهة التزاماتها القانونية كقوة احتلال<sup>(3)</sup>، وفعلاً فقد ظهرت مؤخراً تصريحات تدعو لحل السلطة الفلسطينية، كتعبير عن درجة الإحباط واليأس من انعدام التقدم على جهة الحل السياسي<sup>(4)</sup>، ولكن تقف الثوابت الفلسطينية عقبة كبيرة بوجه فكرة الدولة الواحدة، فكيف يمكن أن يقبل الفلسطينيون بغير العودة كاملة إلى بيوتهم؟ وفي التحليل النهائي فإن حل الدولة الواحدة رغم جاذبيته وإنسانيته، سينتظر طويلاً قبل أن يُترجم إلى أفعال على الأرض<sup>(5)</sup>.

(1) نعيم الأشهب، حول شعار الدولة الديمقراطية أو الدولة ثنائية القومية، القدس 2007/6/18.

(2) عيذاروس القصير، حول الحل الاستراتيجي للقضية الفلسطينية-الدولة ثنائية القومية، إصدار، اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيوني، <http://www.misrians.com/articles?843>.

(3) Karmi, Ghada (2012): "Palestinians need a one-state solution". Guardian. Reading date:5/11/2012.

(4) تقرير معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (مارس) (2011): "حل السلطة الوطنية: المبررات-التبعات، المحاذير مع تركيز على الأبعاد الاقتصادية. 28- نوفمبر تشرين الثاني. ص5، ص7.

(5) محمود الحرثاني، يوتوبيا التعايش.. الدولة الواحدة في فلسطين: الحال والمآل، مركز الجزيرة للدراسات في يوليو/تموز 2014 ضمن سلسلة أوراق الجزيرة

## موقف التنظيمات الفلسطينية من حل الدولة الواحدة

عبر مسئولون كبار من جماعات الخط الوطني الإسلامي في المجتمع الفلسطيني وخصوصاً داخل حماس عن رغبتهم في العيش في دولة واحدة تضم المسلمين واليهود والمسيحيين<sup>(1)</sup>، ولكن بالطبع من منظور إسلامي، ففلسطين بالنسبة لها هي وقف لا يصح التفريط بها أو بجزء منها، لأن التفريط في أي جزء من فلسطين، هو تفريط في جزء من الدين "والدولة الواحدة تعني سيادة الإسلام على كل الأرض الفلسطينية، و"في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث، في أمن وأمان، وعلى أتباع الديانات الأخرى الكف عن منازعة الإسلام في السيادة على هذه المنطقة"<sup>(2)</sup>. أما حركة الجهاد الإسلامي، فتنحى المنحى ذاته، فجاء في مقدمة ميثاقها: "أن فلسطين من النهر إلى البحر أرض إسلامية عربية يحرم شرعاً التفريط بأي شبر فيها، والوجود الإسرائيلي في فلسطين وجود باطل ويحرم شرعاً الاعتراف به". ومن هنا فإن القوى الفلسطينية الوحيدة المرشحة لدعم مشروع الدولة ثنائية القومية هي حركة "فتح" والمنظمات العلمانية واليسارية، لكن سيكون على هذه القوى خوض معارك مريرة لفرض خيارها<sup>(3)</sup>

## حل الدولة الواحدة الدوافع والمبررات

يعزو الدكتور محمود الحرنائي دوافع من تبني فكرة الدولة الواحدة من الفلسطينيين عبر الزمن إلى تنوع خلفيات مناصريها، إذ منهم من يُلهمه البعد الإنساني الذي يتجلى بوضوح في أدبيات أنصار الدولة الواحدة، ومنهم من يؤمن بالمشروع وجدواه من الناحية التاريخية، ومنهم

---

(1) في مقابلة أجراها الصحفي روجر جاس، من نيويورك مع الشيخ أحمد ياسين، قال "كل فلسطين محتلة، ويوجد كيان للحركة الصهيونية على أرض فلسطين الذي يجسد الأبارتيد، نحن نريد مكان يستوعب الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود دون تمييز. وأضاف: أوافق على حدود دولة عام 1967 كمرحلة من النضال ولكن ليس كحل نهائي، لأنه لا يزال لنا الحق في أرضنا... فحل على أساس 22% من الأرض الفلسطينية و 78% للإسرائيليين ليس حلاً عادلاً، وحتى إسرائيل لا تزال لا تعترف بحق الفلسطينيين في 22% من وطننا. وكان تعليقه الأخير على هذا الوضع هو "أفضل رؤية لي بالنسبة لفلسطين هي أرض للمسيحيين واليهود والمسلمين دولة يكون فيها لكل فرد حقوق متساوية. انظر: عمر عاشور- ص 138.

(2) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين: خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟، ص 146

(3) سعد محيو، فلسطين: عودة خيار "الدولة الواحدة"؟- 14 يوليو 2008-موقع سويس انفو-

<https://www.swissinfo.ch/ara/%D9%81%>

من يعتنق الفكرة لما يرى فيها من قدرة على إحراج إسرائيل على الساحة الدولية، ومنهم من ينحاز للفكرة بدافع اليأس من كل الحلول. فحل الدولة الواحدة تاريخياً يتم الاحتفاء به فلسطينياً كلما فشل حل آخر، أو عقب هزيمة يُمني بها الجانب الفلسطيني والعربي، فقد تم طرحه في العشرينيات بعد وعد بلفور، ولجأت إليه حركة فتح بعد هزيمة عام 1967، والآن يُستخرج من قيده بعد سلسلة من الفشل المتواصل منذ أوصلو، وكأن معظم المنادين به يقولون: إنه حل اليأس لا حل الأمل، وإن كان عدد لا بأس به منهم يبشرون به من باب الأمل والنظر إلى المستقبل بنوع من الفأل<sup>(1)</sup>.

### لماذا دولة واحدة؟

إننا عندما نعالج فكرة دولية ثنائية القومية في فلسطين، لا نطرح فكرة ندافع عنها، أو نحاول إثبات صحتها، في حين يحاول طرف آخر دحضها وإثبات زيفها، وإنما ننطلق في طرح الفكرة من واقع قائم، فعلاً، على أرض فلسطين، بشرياً وجغرافياً. فالهוד الإسرائيليون موجودون، فعلاً، على أرض فلسطين، والعرب الفلسطينيون موجودون، فعلاً، على أرضها أيضاً<sup>(2)</sup>، ولذا لا بد إيجاد تصور للخروج من المأزق الذي وصلت إليه العلاقات بين الجماعتين القوميتين الموجودتين على أرض فلسطين.

فالفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة يواجهون خياراً بين أن يعيشوا في منطقة معزولة (بنتوستان)، وبين أن يحولوا سلطة الحكم الذاتي المحدود إلى جزء مكون في نظام دولة ثنائية القومية، حيث يمكن أن يعيش فيها المجتمع المحلي العربي الفلسطيني والمجتمع اليهودي الإسرائيلي جنباً إلى جنب، مع احتفاظ كل منهما بهويته القومية، ولذا يحتاج الفلسطينيون إلى إعادة توجيه نضالهم في هذا الاتجاه<sup>(3)</sup> لأن إقامة دولة ثنائية القومية واحدة، هو الحل الأمثل لإنهاء الصراع. ولا خيار آخر للشعب الفلسطيني سوى الدولة الواحدة، فهي الحل الوحيد أمام التوغل الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية<sup>(4)</sup>.

---

(1) محمود الحرتاني، يوتوبيا التعايش، الدولة الواحدة في فلسطين: الحال والمآل..

(2) "عرب ال 48..."، ص 62.

(3) كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين: خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟

مجلة الدراسات الفلسطينية مجلد 10، عدد 37، ص 19

(4) أحمد أشرف، كاتب فلسطيني يطرح "دولة علمانية" بديلاً لحل الدولتين، الأربعاء، 13 مايو 2015 - 20:38

وهناك مدخلين لدراسة مقترح حل الدولة الواحدة: الأول: يتمثل في أن مساحة فلسطين لا تتسع لقيام دوليتين قابلتين للحياة، بسبب ادعاء كل شعب بحقوقه التاريخية والدينية وإن فلسطين ملكاً له وحده، وهذا ما يمنع قدرة كلا الفريقين من التنازل للآخر ولو عن جزء من الأرض، أما المدخل الثاني: فهو الذي يتمثل في العقبات التي تركها حلّ الدولتين، وعقد بعض القضايا أكثر مما كانت عليه قبل تطبيق اتفاق أوسلو، وبالذات فيما يتصل بقضايا الحل النهائي. ويمكن اجمال دوافع ومبررات طرح حل الدولة الواحدة في الآتي:

1- الدوافع والمبررات الثقافية والنفسية: تشكل هذه الدوافع أهمية كبرى بالنسبة للطرفين، حيث كلاهما ينظر إلى فلسطين على أنها أرضه التاريخية والدينية ولا يمكنه أن يتنازل عن أي جزء منها ومن هنا فإن نموذج حل الدولة الواحدة، يجعل كل طرف يشعر أنه لم يتنازل عن حقه في أرضه، فالفلسطينيون سيشعروا أنهم ما زالوا يمتلكون كل فلسطين وكذلك الإسرائيليون سيشعروا أنهم ما زالوا يمتلكون كل إسرائيل.

2- إشكالية الأمن: يشكل موضوع الأمن والخوف الدائم لكلا الطرفين، عائقاً للوصول إلى حل للصراع، ولكن في ظل الدولة الواحدة سيختفي هذا العائق، وستحل كثير من العقبات النفسية التي تقف عائقاً أمام أي حل فلن يعود هناك أي خوف من الآخر كون الدولة ستكون ملكاً للجميع وليس لطرف واحد.

3- صعوبة تقسيم فلسطين: حسب -الباحث الإسرائيلي العميد أريه شليف، فإن من غير الممكن تقسيم فلسطين إلى دولتين، ويبرر ذلك بحقائق لا يمكن تجاهلها، منها أن الضفة الغربية عرضها 50 كم جواً، ومنطقة جبلية تشرف على السهل الساحلي الذي يبلغ عرضه من 14 إلى 20 كم فقط، ويقوم في هذه المنطقة 67% من سكان إسرائيل، وبها 80% من صناعاتها، وهذا يعني أن إقامة دولة فلسطينية بالضفة الغربية يهدد أمن إسرائيل، بسبب عدم وجود عمق استراتيجي أمام أي حرب يمكن أن تواجهها إسرائيل.

4- الدوافع والمبررات الاقتصادية: في دراسة لأحمد قطامش حول الدولة الواحدة الديمقراطية أشار إلى أنه ليس ثمة إمكانية لفصل المجتمع الفلسطيني عن المجتمع اليهودي، فالتشابك واسع على صعيد اقتصادي وخدماتي بين المجتمع الفلسطيني في الـ 48 والبالغ 1.3 مليون، والمجتمع اليهودي البالغ 5.5 مليون، أما القدس التي جرى توسيعها من 3% إلى 17% من مساحة الضفة الغربية فتم سلخها عن الضفة وربطها بالسوق الإسرائيلية، علاوة على جدار

الفصل العنصري ومصادرة الأغوار بنسبة 40% من مساحة الضفة، كما أن معظم شبكات المياه والكهرباء والشوارع الرئيسية في الضفة إنما هي شبكات مشتركة بين الفلسطينيين والمستوطنين إضافة إلى 80% من مياه الضفة قامت سلطات الاحتلال بمصادرتها، أما التيار الكهربائي في غزة وبعض مدن الضفة الغربية فمعظمه ملك الشركة القطرية الإسرائيلية<sup>(1)</sup>.

## أهم ميزات حل الدولة ثنائية القومية

أولاً: إن (حل الدولة الواحدة) الديمقراطية العلمانية هو الحل الذي بإمكانه وضع قواعد أساسية ثابتة، يمكنها احتواء الصراع في المستقبل، والاستجابة لحق الفلسطينيين في العودة والتعويض وهو حق أقرته جميع الشرائع الدولية، وايضا الاستجابة لمتطلبات اليهود حيث ستظل أراضي فلسطين مفتوحة للهجرة والاستيطان لمن اختار طوعاً وبدون إكراه فلسطين مهجراً لهم. فحل الدولة الواحدة يضمن للفلسطينيين العودة إلى أي مكان من فلسطين ويحيي رابطتهم بأرضهم التي ولدوا عليها أو ولد عليها آبائهم. ويتيح المجال لعودة الفلسطينيين واليهود إلى أراضيهم التي طردوا منها، وإلى منازلهم ومحللاتهم، وتعويضهم عن خسائرهم في الممتلكات والأرواح<sup>(2)</sup>.

ثانياً: وجود مصلحة مبدئية يهودية في دولة واحدة لكل مواطنها على المدين المتوسط والبعيد، إذ يقول إيلان بابيه: "إن وجود جيب يهودي ما بعد كولونيالي في ظل استمرار الصراع وسط محيط معادٍ، سيسقط بقوة السيف، والأفضل أن تتحوّل إسرائيل بإرادتها إلى دولة متساوية خشية من الثأر والنهيات غير السعيدة. وهذا يضمن اليهود شرعية البقاء، والطرف الوحيد والحصري الذي يملك تطبيع الوجود اليهودي في فلسطين هو السكان الأصليون (الشعب الفلسطيني). هذا التطبيع إذا ما حدث ينقل الوجود اليهودي من حالة العدوان والكولونيالية ومن حالة الغيتو والأسوار المغلقة إلى حالة التعايش السلمي الحقيقي مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية"<sup>(3)</sup>، فدولة يهودية على حدة عرضة للخطر العربي والإسلامي، أما دولة مختلطة من المسلمين واليهود والعرب والإسرائيليين فلن تهاجم إسلامياً ولا عربياً.

(1) أحمد قطامش، مقارنة حول الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين، يوأف بار، حركة أبناء البلد- سلسلة أبحاث العودة (2)/ ط1، 2008، ص78 منشورات موقع أبحاث العودة www.ajras.org.

(2) محمود المختار الشنقيطي، لا ننفذوا مستقبل إسرائيل، الجزيرة نت، 2011-9-26

(3) مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية، كانون الثاني 2014،

http://palestine.assafir.com/Search.aspx?P=Authors&ID=397

ثالثاً: يقول الواقع أنه لا الشعب الفلسطيني ولا الشعب الإسرائيلي يستطيع أن يخفي الواحد منهما الآخر ويطمسه، والمخرج الإنساني الوحيد والممكن هو إقامة دولة واحدة يتساوى فيها الجميع، يتشارك الطرفان بشكل متساوٍ في المكان وفي إدارته، هذا المخرج يستدعي نقل النضال من مستوى المفاوضات إلى مستوى الواقع، والتحالف بين الفلسطينيين والإسرائيليين ممن يتشاركون في التوجهات بغية تحقيق الغاية المشتركة.

رابعاً: إن حل الدولة ثنائية القومية، هو الحل العادل والقابل للحياة والبعيد عن العنصرية؛ لأن منطق الدولتين فاشل عملياً وإنسانياً وحقوقياً لأسباب كثيرة، أقلها التداخل الجغرافي والديموغرافي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كما أن منطق الدولتين سيظل يحمل عنصرية التفوق الإسرائيلي والتحكم في الجوار الفلسطيني<sup>(1)</sup>. وبالرغم من أن حل الدولة الواحدة لن يحقق العدل المطلق بطبيعة الحال، لكنه حل استراتيجي حكيم، يرفع بعض الظلم بأقل ثمن ممكن، ويفتح الباب لاندمال جرح تاريخي يضغط على الضمير العربي والمسلم منذ قرن. فالتقاسم الديموغرافي لفلسطين خير من التقسيم الجغرافي لها<sup>(2)</sup>.

خامساً: حلّ الدولة الواحدة ينهي تجزئة الشعب الفلسطيني والقطيعة السياسية والثقافية بين مكوناته، ويؤدي إلى إعادة اللحمة بين الخارج والداخل، بما في ذلك أبناء الشعب في مناطق 1948، فإذا كان حلّ الدولتين عاجزاً عن حل مشكلة اللاجئين، وهناك استحالة لحل مشاكل الفلسطينيين في مناطق 1948 في الإطار الإسرائيلي المغرق في عنصريته، فإن حل الدولة المتساوية يقدم إجابات نظرية لتلك المشكلات.

سادساً: حل الدولة الواحدة يعني رفض مشروع الدولة الدينية اليهودية وتجاوزها، ويقطع الصلة مع المشروع الكولونيالي الصهيوني الذي أطلق عملية تأسيس فلسطين بصورة كلية كدولة يهودية ليس فيها متسع لغير اليهود، وتحصيل حاصل فإن حل الدولة الواحدة ينطوي على تجاوز أيديولوجية المشروع الصهيوني. كما يتجاوز حل الدولة المتساوية قانون حق العودة لطرف واحد من قطبي الصراع، بما يعنيه هذا التجاوز من وضع حد لعملية إقصاء الشعب الفلسطيني واستثنائه من المكان والزمان، على صعيد الفكر والممارسة.

---

(1) نصير عاروري، الوسيط الخادع دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين، ط1، 2003، كامبردج بوك ريفيوز.

(2) لا تنقدوا مستقبل إسرائيل، محمد ولد المختار الشنقيطي، الجزيرة نت، 26-9-2011.

سابعاً: يضع حل الدولة المتساوية نهاية لما يُسمى بالخطر الديمغرافي، فالمساواة في الحقوق والواجبات لا تستدعي مساواة في الأعداد، المساواة تنطوي على احترام متبادل واحترام الخصوصية الثقافية والدينية بصرف النظر عن أكتية وأقلية، وتضع نهاية لمشاريع التطهير العرقي الصامت التي تطبق في القدس والنقب، وكذلك مشاريع الترانسفير بالتضييق والخنق.

ثامناً: أن حل الدولة الواحدة سيجعل الوجود البشري الصهيوني غير ذي خطر، وسيضعه على طريق الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، كما اندمج فيها اليهود في سالف الأيام، كما أنه سيفجّر هجرة يهودية معاكسة من فلسطين، فالعديد من الإسرائيليين الذين يحمل العديد منهم جنسية مزدوجة سيفضلون الهجرة إلى الغرب، وفي ذلك فرز مفيد بين اليهودي ذي الجذور الشرقية والآخر الآتي من وراء البحار<sup>(1)</sup>، كما أنه يجردّ الصهاينة من قوتهم العسكرية المسلحة على رقاب أمتنا منذ ستين عاماً.

حادي عشر: حل الدولة الواحدة قادر على تجاوز كافة عقبات ما يسمى (بقضايا الحل النهائي)، فحل قضية اللاجئين ممكن مبدئياً عبر حل الدولة الواحدة المتساوية، وغير ممكن في إطار حل الدولتين، ويمكن في سياقه إذابة مختلف عناصر الصراع الأخرى، بما في ذلك القدس، قضية الفلسطينيين في الداخل، قضايا الحدود، قضايا المستوطنين، قضية تعريف الدولة كدولة مشتركة لشعبين، إنهاء الاحتلال، المصالحة التاريخية، وهذا من شأنه إنهاء الصراع المزمع بين الشعب الفلسطيني والإسرائيلي.

## العقبات والتحديات التي تواجه نموذج الدولة الواحدة

بالرغم من ان هناك أصوات كثيرة على الجانبين، أصبحت تتبنى هذا الحل، ولكن البعض يرفضه لأنه لا يعدو أن يكون خطاباً محدوداً عند بعض المثقفين، وينتقده البعض الآخر كونه طوباوياً في طبيعته. وعلى أي حال فإن هذا الحل تقف أمامه الكثير من العقبات والتحديات يمكن إجمالها بالآتي:

1- المشكلة الديمغرافية: إن الهاجس الديمغرافي يشكل عقدة المشاكل لدى الإسرائيليين ومستقبلهم، وذلك نتيجة للقلق من استمرار الهجرة المعاكسة للخارج، ففي بحث أجراه معهد بحوث القدس، جاء فيه أن إسرائيل سوف تفقد الأغلبية اليهودية عام 2035، وهناك بروفيسور إسرائيلي

(1) المصدر نفسه

يقول إن عدد العرب في الضفة الغربية 2.5 مليون وعددهم في غزة 1.8 مليون وعددهم داخل الخط الأخضر 1.8 مليون وأن المجموع هو 6 مليون ومئة ألف في حين أن عدد اليهود 6 مليون ونصف، أي أنه بعد عشر سنوات سيكون اليهود أقلية<sup>(1)</sup>.

2- كما إن ما يقلق إسرائيل إضافة إلى مشكلة الديموغرافيا هو الهجرة اليهودية إلى دول أخرى، إذ إن من بين 750 ألف إلى مليون يهودي من حملة الجنسية الإسرائيلية يقيمون بشكل دائم خارج إسرائيل، ووفقا للإحصائيات الإسرائيلية فإن 22 ألف يهاجرون من إسرائيل سنويا، ويعود إليها سنويا أقل من 11 ألف، وتبين أن نحو 2.5 مليون إسرائيلي يحملون جنسيات مزدوجة، وجوازات سفر الدول التي هاجروا منها<sup>(2)</sup>.

3- الخوف من تدمير إسرائيل: تزعم الإستراتيجية الإسرائيلية العليا، بأن حل الدولة الواحدة سيعمل على تدمير إسرائيل. وهناك شبه إجماع إسرائيلي باعتبار شعار تصفية الدولة الصهيونية هو بإقامة الدولة الديمقراطية العلمانية التي يتساوى فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون<sup>(3)</sup>. ولذا فإن الطرح النظري الديمقراطي لدولة مشتركة قد يؤدي ليس إلى تكوين شعب شرعي، وإنما إلى جولات إضافية من العنف المجتمعي<sup>(4)</sup>.

4- التحديات الاقتصادية: تعتبر العوامل الاقتصادية عائقا يقف أمام حل الدولة الواحدة، بسبب الرفاهية والفروق الاقتصادية والاجتماعية في مستويات الحياة بين المجتمعين الإسرائيلي والفلسطيني. فالإسرائيليين شعبًا وأفرادًا ينظرون إلى كل حل سياسي يفقدهم السيطرة على ثرواتهم المالية ونظامهم الاقتصادي على أنه سلب مباشر للامتيازات التي حظوا بها على مدار السنين<sup>(5)</sup>. وحل الدولة الواحدة يعني للإسرائيليين تقاسم الموارد الاقتصادية ومشاطرة الدخل القومي بينهم وبين الفلسطينيين، وكلها عوامل تتناقض مع العقلية الإسرائيلية العنصرية المهيمنة<sup>(6)</sup>.

---

(1) ناصر اللحام، هل قررت اسرائيل ضم الضفة الغربية؟ نشر بتاريخ: 2015/07/26 / وكالة معا.

(2) نموذج الدولة الواحدة واثر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية) الإمكانيات والتحديات، أمينة رمضان طاهر ص 90-91.

(3) منير شفيق، من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 72

(4) حل الدولة الواحدة آفاقه ومحدوديته، أمل جمال، مجلة الآداب، 260،

<http://www.adabmag.com/node/>

(5) أمل جمال، الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين التاريخية، مجلة الآداب، ص 15، 2009/12/11.

(6) أمل جمال، حل الدولة الواحدة آفاقه ومحدوديته، مجلة الآداب، 260،

<http://www.adabmag.com/node/>

## 5-تزايد نفوذ الأحزاب الدينية وإشكالية التحولات اليمينية والسياسية داخل إسرائيل:

تعيش إسرائيل وبالذات منذ عام 1977 جملة من التحولات الدرامية التي قلبت المجتمع والحياة في إسرائيل رأساً على عقب، ويقف على رأس هذه التحولات التوجه نحو اليمين، وتسارع موجات التدين السياسي، والذي بات يقولب الأهداف الدينية في شكل مطالب سياسية، مثل تزايد نفوذ الأحزاب الدينية، تراجع المبادئ الديمقراطية، مما سيؤدي الى تنامي دور القوى غير الديمقراطية داخل الطبقة السياسية وسيطرة القوى اليمينية على النظام السياسي في إسرائيل، وانحسار القوى الليبرالية اليسارية.<sup>(1)</sup>

كما إن تنامي الأحزاب الدينية وانزياحها نحو اليمين المتطرف، وتبنيها مشروع إسرائيل الكبرى من العوائق الأساسية والتحديات التي تقف أمام كل الحلول. فاليهود الأرثوذكس من الأشكناز والسفارديم صاروا يتخلون شيئاً فشيئاً عن سلوكهم المسالم ليصبحوا أكثر قسوة وعدوانية اتجاه الفلسطينيين والدول العربية، لذا فالقدسية التي تتمتع بها الأرض في نظرهم تمنع بالمطلق من أي تنازل عن<sup>(2)</sup>، أي جزء من الأرض الفلسطينية.

## 6-يهودية الدولة ومطلب الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية للشعب اليهودي:

ان شرط الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية، يحول دون تطبيق مفهوم الدولة القومية، وبالتالي لا يمكن الحديث عن دولة لمواطنيها، سواء كانت دولة ثنائية لقومية او دولة لكل مواطنيها، كما أن الحديث عن الدولة اليهودية يلغي فكرة الشعب الواحد والروابط الواحدة والتاريخ الواحد، وتعني عملياً التنازل عن حق اللاجئين في العودة إلى دولتهم التي هجروا منها، علاوة على عدم الاعتراف بحق المواطنة، كذلك فإن الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية يلغي النموذجين، فالفلسطينيون لا يستطيعون أن يتجاهلوا حق العودة، وفي نفس الوقت لا يمكن بناء أي حل اندماجي إلا على فكرة المواطنة<sup>(3)</sup>.

(1) رائف، زريق،: الدولة اليهودية مرة أخرى. مجلة الدراسات الفلسطينية، 84، خريف 2010، ص 104.

(2) نموذج الدولة الواحدة واثار ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية) الإمكانية والتحديات، أمينة رمضان طاهر ص94.

(3) أنطوان شلحت، في معنى الدولة اليهودية، مجموعة من الباحثين إعداد وتحرير هنيدي غانم، إصدار مركز مدار رام الله 2011ص142، 141.

## معوقات سيناريو الدولة الواحدة (ثنائية القومية)

حل الدولة المتساوية هو حل افتراضي يستند إلى قواعد سياسية وقانونية وأخلاقية وإرادة من طرفين (رؤية مشتركة). وهو يتطلب بناء حامل سياسي واجتماعي وثقافي مشترك، يتوج بعقد سياسي اجتماعي وبدستور ودولة. وهناك ما هو أقل من نموذج الدولة المتساوية، كالدولة ثنائية القومية، لكنها تستدعي أيضاً استعداداً متبادلاً للتخلي عن الهيمنة وإحلال الشراكة عوضاً عنها، وعلاقات من الثقة المتبادلة، ولذا يواجه سيناريو الدولة الواحدة ثنائية القومية عقبات جسيمة قد تؤدي إلى عدم قيامها، للأسباب التالية:<sup>(1)</sup>

• العمليات الأثنوقراطية (أي سيطرة مجموعة عرقية واحدة بشكل غير ديمقراطي) مع هيمنة كولونيالية إسرائيلية معززة بفكر تعصبي قومي وديني عنصري، ومدعومة بنظام الهيمنة العالمي بالاستناد لمصالح مشتركة هنا وفي عموم المنطقة، والتي نسفت عملية تشكيل الشعب، بواسطة احتلال طويل الأمد، واستيطان المناطق المحتلة، وعبر تمكين الشتات اليهودي في جميع المجالات السياسية الرئيسة.<sup>(2)</sup>

• يرى أسعد غانم<sup>(3)</sup>، أن "حلّ الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين التاريخية هو حلّ غير واقعي؛ لأنه لا يأخذ في عين الاعتبار قوّة الانتماء القومي للطرفين." حيث أنه لا شيء اسمه "الشعب الإسرائيلي" لدى المشرّعين والساسّة الصهيونية أنفسهم، الذين يتحدثون عن الشعب اليهودي "في فلسطين وخارجها"، متجنّبين إدراج "الجنسيّة الإسرائيليّة" في بطاقة الهوية الإسرائيليّة تفادياً لحصر الوجود اليهودي باليهود الموجودين في فلسطين فقط وتفادياً لشمّل فلسطيني 48 بهذه الجنسيّة.<sup>(4)</sup>

---

(1) أرون يفتاينيل، الأثنوقراطية، سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين ترجمة سلافه حجاوي، ص373-380.

(2) أمل جمال، حل الدولة الواحدة آفاقه ومحدوديته، مجلة الآداب 260.

. <http://www.adabmag.com/node/>

(3) أسعد غانم، "دولة فلسطينية وإسرائيلية ثنائية القومية: نحو حلّ اتحاديّ للمسألة الفلسطينية، الإسرائيلية، في: مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 41، شتاء 2000.

(4) إسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف عام، ترجمة: صالح علي سوداح (بيروت: بيسان للدراسات والنشر، 1995)، ص15.

• الإرث المؤلم من التطهير العرقي والعنف والإرهاب الإسرائيلي والرفض العربي، إضافة إلى اصطفااف طبقي- أثني واستقطاب سياسي أثني، يعمل كله ضد تقوية فكرة الشعب كأساس لمجتمع مدني فاعل وشامل لجميع السكان. والدولة ثنائية القومية هي دولة قائمة على التعايش السلمي بين مواطنيها، وهذا يعني تحول الفكر الإثني اليهودي إلى فكر ديمقراطي يقبل بالمساواة والعدالة، وهذا ما لم تثبته سنوات الصراع، فلقد ذهبت إسرائيل إلى أبعد الحدود في إلحاق الظلم والأذى بالشعب العربي الفلسطيني، غرس في العقلية الإسرائيلية عقدة الخوف من انتقام فلسطيني في المستقبل.

• إن فكرة الدولة الواحدة الحرة قد تكون جذابة من ناحية المبدأ، ولكنها قد تكون خطيرة أيضاً إذا نفذت، فإذا تذكرنا تاريخ الصراع وذاكرته وعدم كفاءة المؤسسات الديمقراطية لاحتوائه، فسوف يقوم القوميون المتطرفون بعرقلة ذلك بسهولة، باستخدام العنف وتحريض المشاعر القبلية للخوف من الآخر، ولقد فشلت الفكرة عندما كان الفكر السائد سواء فكراً يسارياً واشتراكياً وملتفتحاً، فهل للفكرة نصيب من النجاح اليوم في ظل فكر ديني توراتي يسيطر على المؤسسة الرسمية الإسرائيلية ويعم إسرائيل التي تسعى لتكون دولة يهودية خالصة، وفي ظل فكر ديني يتزايد انتشاراً عند الفلسطينيين وفي العالم العربي<sup>(1)</sup>.

• إنَّ دولة ديمقراطية واحدة سوف تعرض على السباق الديموغرافي، وتعزز المخاوف المتبادلة، وبدلاً من فتح أفق سياسي لبرنامج جديد وقضايا مشتركة، فإنها ستعمل على مأسسة التحريض القومي. فالمؤسسات الديمقراطية ليست ضماناً للاستقرار السياسي، وقد تكون الديمقراطية واحدة من مصادر الصراع، بحيث تشجع السباق الديموغرافي والنزاعات حول الهجرة. ودولة ديمقراطية واحدة دون إضافات مؤسسية سياسية يتوقع أن تعزز تسييس الديانة واستقطاب الاتجاهات القومية الإثنية الأكثر تطرفاً<sup>(2)</sup>.

• إن ما أفرزته سنوات الصراع الدائر في فلسطين، من تغيرات جغرافية ديموغرافية وسياسية، أدت إلى وجود مساحة كبيرة من العداوة والكراهية بين الشعبين اليهودي والفلسطيني، يحول دون الوصول لدمج الشعبين في دولة واحدة، وتحول دون أي شراكة،

---

(1) إبراهيم أبراش ما وراء عودة الحديث عن دولة ثنائية القومية في فلسطين". موقع الحوار المتمدن، ع 3876، 2012، تاريخ التصفح 2012/11/5.

(2) عايش أحمد قاسم، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والحلول المطروحة، دراسة إستشرافية.

وذلك لعنصرية المجتمع الإسرائيلي وانغلاقه على ذاته، ولرفضه تحقيق المساواة بين كافة المواطنين.<sup>(1)</sup>

• افتقاد حل الدولة الواحد أساساً قانونياً في الهيئات الدولية التي تلتزم حل الدولتين. وخطورة طرح الفكرة اليوم تكمن في تجاوز كل قرارات الشرعية الدولية والعربية، والتأسيس لشرعية ومرجعية جديدة لا نعتقد أن الوضع الدولي والعربي مستعد وقادر على تأسيسها<sup>(2)</sup>. لذا فإن الانسحاب من حل الدولتين مع الافتقاد للحد الأدنى من مقومات الدولة الواحدة أو ثنائية القومية، ستستخدمه إسرائيل في فرض الدولة اليهودية الواحدة «نظام ابارتهايد، أو حل إقليمي بمشاركة دول عربية. ويؤدي ذلك إلى فقدان الشعب الفلسطيني لآليات إشراك النظام الدولي في مناهضة وعزل دولة الاحتلال»<sup>(3)</sup>.

• يرى البعض أن هناك مخاطرة لحل الدولة الواحدة، فقد سعى الفلسطينيون منذ أكثر من أربعين عاماً لتحقيق حل الدولتين، حشدوا له القدر الكبير من الدعم العربي والعالمي ولقي ترحيباً أممياً واسعاً، وعندما شعر الفلسطينيون بتعثر هذا الحل عادوا دون استراتيجية واضحة لطرح الدولة الواحدة، وليس من الحكمة وضع القضية "خارج الشرعية الدولية"، وتحييد المجتمع الدولي. ولتبيد الإنجازات المتحققة على ضآلتها<sup>(4)</sup>، فهذا التذبذب في الطرح يشكك في مصداقية الشعب الفلسطيني ونواياه في البحث عن حلول وقدرته على إقامة دولته المستقلة<sup>(5)</sup>.

• يقوم حل الدولتين على النموذج الأوروبي للدولة القومية، ويقوم حل الدولة الواحدة على نموذج الديمقراطية الليبرالية الأوروبية. ولا يعكس أي من النموذجين الواقع السياسي والثقافي والعسكري في إسرائيل/ فلسطين، ولا يقدم أي منهما انتقالاً فعالاً من الحكم الثنائي

---

(1) المصدر نفسه

(2) أمل جمال، حل الدولة الواحدة آفاقه ومحدوديته <http://www.adabmag.com/node/>

(3) مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية، كانون الثاني 2014،

<http://palestine.assafir.com/Search.aspx?P=Authors&ID=397>

(4) تيسير محيسن، هل يشكل بديل "الدولة ثنائية القومية" خياراً واقعياً؟، مؤتمر منتدى غزة الخامس للدراسات والسياسات والإستراتيجية، "المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، البحث عن خيارات". مركز التخطيط الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، المنعقد في غزة بتاريخ 2012/11/7.

(5) عودة، 2009، موقع الكتروني.

العسكري الديمقراطي الحالي، حيث الانتقال الى واحد من النموذجين يبدو بعيد الاحتمال، وأقرب إلى خلق التوتر، وغير قادر على احتوائه بعد التنفيذ<sup>(1)</sup>، كما أن حل الدولة الواحدة فشل في معظم الدول متعددة وثنائية القوميات (الاتحاد السوفياتي، يوغسلافيا، قبرص، أكراد العراق، السودان).

وبإيجاز، نستطيع القول أنه في حالة فشل كل خيارات التسوية ليس أمام الفلسطينيين إلا التثبيت بأرضهم ولكن فرض وضع الدولة ثنائية القومية يحتاج لنضال لا يقل عن النضال من أجل الدولة المستقلة، وهذا يتطلب وجود استراتيجية فلسطينية واحدة لهذا الهدف؛ لأن حل الدولة الواحدة قد يؤمن إعادة توحيد وتجمع الشعب الفلسطيني في أرضه، ويحمل في طياته حل قضية اللاجئين الفلسطينيين، المستندة إلى القانون الدولي في العودة، ومعولاً على التفوق الديموغرافي المحتمل، الذي سيحسم الأغلبية للصالح الفلسطيني.

### الفرضيات التي يمكن من خلالها تحقيق حل الدولة الواحدة

كل ما تقدم لا يعني أن شعار الدولة الديمقراطية أو الثنائية القومية، لن يتحول إلى إمكانية واقعية في الأفق البعيد، بعد أن يغدو للشعب الفلسطيني دولته المستقلة والمزدهرة، حيث أن هذه الامكانية رهينة المستقبل وليست قطعاً من قضايا الساعة. وإذا أخذنا بنظرية الفرضيات، فإن هذا الشعار، إن كان له أن يتحقق اليوم، فمن خلال أحد الفرضيات التالية:

**الفرضية الأولى:** وقوع تحول راديكالي عاصف في المجتمع الإسرائيلي يخرج من عالم الصهيونية ونفوذها، ومن الواضح إن حدوث مثل هذا التحول، في الأفق المرئي للعين، يبدو شبيهاً بالمعجزة<sup>(2)</sup>، ولذا يستبعد كاتب يهودي بريطاني إحلال السلام في المنطقة على الأقل في الوقت الحالي بسبب العقيدة الصهيونية التي يرى فيها خطورة حتى على مستقبل اسرائيل والديانة اليهودية، حيث يرى (جون روز) أن الصهيونية هي المشكلة وإزالتها هي الشرط الأساسي للسلام في الشرق الأوسط<sup>(3)</sup>.

---

(1) "الاتحاد الإسرائيلي الفلسطيني 1.2.7 دول، رؤية المستقبل" قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار 2009، العدد 34، ص 45:41.

(2) محمد ولد المختار الشنقيطي، لا تنقدوا مستقبل إسرائيل، الجزيرة نت، 26-9-2011.

(3) جون روز، أساطير الصهيونية تهدد السلام ومستقبل اليهودية، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، "مكتبة الشروق الدولية" في القاهرة- ط 1 2004 التاريخ: 26-08-2006 / سعد القرش، الأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية، رويترز، في: موقع اللابن.

الفرضية الثانية: أن يجري فرض هذا الشعار كبديل للصهيونية بالقوة، سواء من خلال زيادة تأثير الحركات والمنظمات اليهودية المعادية للصهيونية، كالحركات الدينية مثل شاس وغيرها، أو من خلال زيادة نفوذ حركة المؤرخين الجدد وتيار ما بعد الصهيونية؛ لأن السلام الحقيقي، العادل والشامل والدائم، يتطلب هزيمة الصهيونية إذا أردنا للشعبين الفلسطيني واليهودي أن يعيشوا مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات في مجتمع عصري تسوده الحرية. فإسرائيل، وفقاً للحتميات الجغرافية والديمغرافية، لن تستطيع أن تظل جسماً غريباً في المنطقة إلى الأبد، ومن ثم فالمستقبل هو لدولة ديمقراطية تتساوى فيها حقوق كل مواطنيها<sup>(1)</sup>.

الفرضية الثالثة: تقضي بأن يأتي خيار الدولة الديمقراطية أو الثنائية القومية كتحويل حاصل - كما يقال - حيث تغدو الضفة الغربية تحديداً جزءاً من إسرائيل، حينها يتحول نضال سكانها - دون شعارات مسبقة - من هدف الاستقلال إلى هدف المساواة المدنية والقومية، في إطار ذات الدولة، ويلتحم هذا النضال، في هذه الحالة مع نضال الأقلية القومية العربية داخل إسرائيل اليوم<sup>(2)</sup>.

الفرضية الرابعة: إحدى الاحتمالات هو اضمحلال درجة الكثافة الحدودية لدول المستقبل، في ظل منظومة دولية آخذة حدودها التقليدية بالذوبان، وليس مستبعداً بالتالي في يوم من الأيام، بعد خمسين عاماً أو أقل، أن نجد أنفسنا في فلسطين وإسرائيل، وبسبب وجود الأرضية الموضوعية للتشابك، مضطرين للتفكير في إيجاد معادلة سياسية ما نجسد فيها إحدى تجليات فكرة "إسرائيلين" التي نادى بها العقيد القذافي، وذلك في مساحة جغرافية / اقتصادية متواصلة ولكن محدودة هي الوطن، يقطنها أكثر من عشرين مليون نسمة، يهوداً وعرباً، متوزعين بالأغلب بالتوالي على عدد محدود من المناطق العمرانية الممتدة، والتي تكاد تكون أطرافها متصلة، روابط بعضها ببعض متعددة النوع والكثافة، يتداخل إحداها بالآخر، من بنى تحتي إنشائي إلى آخر معلوماتي، ومن لغوي أو عائلي أو ديني إلى آخر مالي أو تجاري، بحيث قد يصبح مجدياً حينئذ إعادة التفكير بتنظيم البنى السياسي الفوقي، مهما كان شكله وقتئذ، من خلال إنشاء كونفدرالية، بمعنى ما من المعاني المتجددة لهذا المصطلح، بين الأقاليم السكنية، في نسق سياسي يمكن من التفاعل المدني ما بين الناصرة ونابلس في الوقت ذاته الذي يتم به

(1) عبدالله التركماني، معوقات السلام العربي - الإسرائيلي وأفاقه، تونس في 2004/9/24.

(2) لا تنقدوا مستقبل إسرائيل، محمد ولد المختار الشنقيطي، الجزيرة نت، 2011-9-26.

التفاعل المشابه والموازي بين الناصرة العليا وكريات شمونه مثلاً، وذلك في ظل منظومة الدويلات المتعددة في الوطن الواحد، ذات العاصمة الواحدة<sup>(1)</sup>.

الفرضية الخامسة: يمكن أن يتم فرض هذا الحل من خلال مواجهة الطرفين باتفاق نهائي كامل وغير قابل للتفاوض، يفرضه المجتمع الدولي وفي مقدمته أمريكا. ويتوقف السعي نحو صفقة شاملة مفروضة في النهاية علي الاقتناع بإمكان صياغة رزمة من الحلول المقبولة من الطرفين، تضمن لهما مصالحهما الأساسية من دون اختراق الخطوط الحمر لديهما، أي المطالب غير الخاضعة للتفاوض<sup>(2)</sup>.

وفي تقرير أعدته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حول مستقبل إسرائيل يقول إن هذه الدولة لن تستمر بشكلها الحالي أكثر من 20 سنة، ويطلب الولايات المتحدة بالتكيف مع هذه الحقيقة. ويضيف التقرير "أن هنالك اتجاهاً شديداً في الولايات المتحدة وفي العالم بأسره للانتقال من حل الدولتين إلى حل الدولة الواحدة، باعتباره الحل الأمثل القادر على الصمود، ويستند إلى أسس ديمقراطية ويسمح بعودة لاجئي 1948 و1967، ويستعرض التقرير أسباب الانهيار الذي لم يكن متوقعاً لحكم الأقلية البيضاء في إفريقيا الجنوبية، والانهيار المفاجئ للإمبراطورية السوفييتية، ويقول إن نهاية "إسرائيل" ستكون شبيهة بالسيناريو الذي انهار فيه هذان النظامان<sup>(3)</sup>.

الفرضية السادسة: أن كثير من مثقفي العالم، سواء أكانت ليبرالية أم يسارية أم مستقلة، تبدو فكرة المحافظة على إسرائيل دولة يهودية حصراً ومعرفة بالدين اليهودي فكرة مقبولة، وهو المقت نفسه الذي يمتنونه لفكرة الدولة الدينية، ويرى هؤلاء وأولئك أن فكرة وجود إسرائيل بمسوغات دينية لا تستحق كل الجهد والدماء والأموال الباهظة التي تدفعها شعوب وجماعات هنا وهناك. فالمحصلة النهائية هي إسناد دولة قائمة على مبادئ عنصرية وعلى حساب شعب آخر، الأمر الذي لا يمكن أن يستمر إلى الأبد<sup>(4)</sup>.

---

(1) سيناريوهات وحلول القضية الفلسطينية في ظل التحولات الدولية والإقليمية- محاضرة في معهد أبو لغد للدراسات الدولية - في 2003/6/1.

(2) عبدالله التركماني، معوقات السلام العربي - الإسرائيلي وأفاقه، تونس في 2004/9/24.

(3) صالح الخريبي مستقبل "إسرائيل" - صحيفة الخليج الإماراتية - 2009-3-17

(4) عبدالله تركماني، معوقات السلام العربي الإسرائيلي وأفاقه، تونس 2004/9/24، محاضرة قدمت في إطار دورة "معهد العلاقات الدولية.

فالعالم صار لا يقبل نظام فصل عنصري، وصراعاً محكوماً بغطرسة القوة ومفتوحاً إلى ما لا نهاية، فقد سقط نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وتوصل المتصارعون في إيرلندا إلى حل، وكذلك الحال في منطقة البلقان والسودان. ولا يمكن بقاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على حاله دون حل يقبل به قطباً الصراع. ولا يمكن فرض حل زائف لا يرضى به الشعب الفلسطيني. وفي الوقت عينه، فإن فرض نظام فصل عنصري بقوة السلاح، سيقود إلى عزلة وعقوبات واستقطاب عالمي يؤدي إلى هزيمته في نهاية المطاف. كل هذا يدفع الأمور باتجاه حل يلي مصالح المجموعتين الفلسطينية والإسرائيلية.<sup>(1)</sup>

**الفرضية السابعة:** هناك دراسة صادرة عن جامعة حيفا، أنجزها د. أرنون سوفير تقول: هناك ظاهرة كونية متمثلة بازدياد حجم المدن الكبرى وتعاضلها ديمغرافياً واقتصادياً على حساب الأطراف. ويشير هنا إلى خصوصية الحالة في إسرائيل وخطورتها لكون سكان مركزها، أي تل أبيب ومحيطها من اليهود، بينما يتركز فلسطينيو الداخل في أطرافها. فإسرائيل تتقلص يوماً بعد يوم، وتنحصر في منطقة تل أبيب، وانطواء اليهود في لب الدولة يعني تهديداً مباشراً لها، وتعريضاً للمشروع الصهيوني برمته لفوضى رهيبة. وإذا استمرت هذه الحال، ستطبق إسرائيل ببيدها قرار التقسيم لعام 1947، وستختزل وجودها في شريط ساحلي يمتد من حيفا إلى عسقلان، ولن تقوى حينئذ على الحياة زمناً طويلاً. وهناك احتمالات كبيرة أن تتشكل قوى فلسطينية عبر شقي الخط الأخضر، تعمل سوية لإقامة دولة فلسطينية كبيرة<sup>(2)</sup>، تضم العرب واليهود.

**الفرضية الثامنة:** إن العامل الأهم الذي يمكن له أن يسهم في تحقيق الدولة الواحدة هو وقف الدعم الدولي الذي يتمتع به المشروع الصهيوني خصوصاً من أمريكا وأوروبا ودول أخرى مثل الصين واليابان وكندا، حيث تعد أوروبا المصدر الأكبر لإسرائيل، وهي السوق الثاني لمنتجاتها بعد الولايات المتحدة، بالإضافة إلى الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري للمشروع الإسرائيلي؛ لأن إسرائيل تستغل دعم العالم لها وبخاصة أمريكا وأوروبا، لذا تضع حواجز أمام أي مشروع سياسي لا ترضى عنه، هذا الدعم الأوروبي والأمريكي عامل مهم في دعم حل الدولة الواحدة الذي يقوم على الدمج وتحويله إلى مشروع فكري واقعي مقبول لدى كافة الأطراف لتطبيقه في المستقبل.<sup>(3)</sup>

(1) مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية، كانون الثاني 2014 -

<http://palestine.assafir.com/Search.aspx?P=Authors&ID=397>

(2) بلال الحسن، ثلاث وثائق تعلن: مستقبل "إسرائيل" في خطر، صحيفة الشرق الأوسط- 29/06/2008 .

(3) رائف، زريق: الدولة اليهودية مرة أخرى، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 84، خريف 2010، ص 103.

## الفصل الثامن

### مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية (اليهود العرب نموذجاً)

إن المستقبل ليس قدرًا محتومًا على الإنسان الانصياع له والخضوع إليه دونما تساؤل، وإنما هو ثمرة لما تفعله الإرادة... وفي ضوء نوعية أثرها، غني عن القول أن الإرادة هي التي تفضي إلى اقتران المستقبل بهذه الصورة أو تلك. ولنتذكر أن المنشود في المستقبل لا يتحقق إلا إذا أخذنا بأسبابه في الحاضر عبر أداة عنوانها الكبير هو التخطيط الاستراتيجي<sup>(1)</sup>. فهذا التخطيط هو الذي يفضي إلى تطويع المستقبل ابتداءً من الحاضر، أما المستقبل فهو "الزمن الذي يأتي بعد الحاضر"<sup>(2)</sup>.

وإذا كان حاضرننا هو ما نعيشه الآن والذي لا مجال أمامنا إلا القبول به كما هو.. إلا أن مستقبلنا هو الزمن الذي يأتي بعد حاضرننا، والذي نستطيع توقعه وتلمس بداياته وشكله؛ لأنه ببساطة يأتي تطبيقاً لما نخطه للمستقبل، وكما بينا سابقاً فإن من بين المتغيرات العديدة المتعلقة بتفسير الصراع العربي الإسرائيلي وتحديد ماهيته ومستقبله، ثلاثة محددات تتسم بدرجة من العمومية والتجريد تسمح باستيعاب المتغيرات المختلفة التي تتحكم في الصراع، أولها: التناقض بين ما سمي بالكيف الإسرائيلي غير القابل للتطور الكمي، والكم العربي القابل للتطور الكيفي، والمحدد الثاني: هو الطابع التحولي، أو المتغير للمرحلة التاريخية التي يمر بها الأطراف المباشرون للصراع، أي إسرائيل والدولة العربية<sup>(3)</sup>، أما المحدد الثالث: فهو انتماء الأطراف المباشرين للصراع إلى القوى التابعة أو الهامشية في العالم<sup>(4)</sup>، وهنا نجد أنفسنا أمام ثلاث محددات (دولية واقليمية وداخلية) سترسم صورة المستقبل الإسرائيلي في ظل التسوية السلمية.

---

(1) مازن إسماعيل الرمضاني في المفهوم، انظر مثلاً التخطيط الاستراتيجي والأمن القومي، مجلة الهدهد، العدد15، 2002.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 1 سنة 1989 ص 153.

(3) عبد العزيز عبد الغني صقر، مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني، (8/11/2007).

(4) أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية - ط 1 1987- ص 217.

ولتكتمل صورة المستقبل الإسرائيلي فإننا سنقوم بالتركيز على احد عناصر المحدد الداخلي للمستقبل الإسرائيلي، وهو اليهود الشرقيون او العرب، انطلاقاً من وزنهم العددي في المجتمع الإسرائيلي وتأثيرهم، والاهم تجربتهم في العيش المشترك مع العرب، وثقافتهم وتراثهم العربي الذي لازالوا يعتزون فيه .. وأثر التسوية السلمية عليهم وإمكانية مساهمتهم في اندماج إسرائيل في المنطقة .

## المبحث الأول: مستقبل النظام الدولي

بالرغم مما تقدم يرى العديد من المنظرين للعلاقات الدولية، أن دراسة الظواهر الدولية أصبحت في مأزق بفعل التغيرات السريعة التي يعرفها الواقع الدولي، والتي لا يواكبها تطور مهم على مستوى الأدوات المفاهيمية والنظرية التي لا تزال في معظمها أسيرة التوقع المعرفي والرؤية الأحادية التبسيطية. وبالتالي فإن منح دينامية لتحليل الوقائع الدولية، ينبغي الخروج مما يسميه جيمس روزنو "بالسجون المفاهيمية" نحو فضاءات مفاهيمية متفتحة على مختلف العلوم الإنسانية والمتغيرات الدولية، لأن المفاهيم التقليدية للعلاقات الدولية قد تصبح مفاهيم عائقة لفهم التحولات السياسية في العالم المعاصر، فأداة واحدة لم تعد كافية لوصف التعقيد المتزايد لعالم تتضاعف مشاكله وتوتراته وتنخفض إمكانيات فهمه وإدراكه<sup>(1)</sup>، ودون الدخول في تفاصيل التطورات المعاصرة للعلاقات الدولية، فإن هناك مجموعة من المؤشرات على المستوى الاستراتيجي بعيد المدى، سترسم مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية، ويمكن تلخيصها في الآتي:

### أ- مكانة الدولة (فكرة المساواة وتعارضها مع فكرة الشعب المختار):

يتفق منظرو العلاقات الدولية على أن مزاحمة عدد من الفاعلين الجدد للدولة في وظيفتها، شكّل أحد أبرز تطورات العلاقات الدولية المعاصرة، حيث أن العلاقات المعاصرة تستند لمبدأ المساواة بين الجماعات السياسية المتنوعة، وهو ما يتجسد في منظومة حقوق الإنسان، لكنه لا يتسق مع فكرة الشعب المختار، ويتعزز هذا الخلل بأن كافة العقائد والأديان والأيدولوجيات منفتحة لانضمام الآخرين لها خلافاً للدين اليهودي الذي يُعد دِينًا مغلقًا، ويتعزز ذلك بالدعوة ليهودية الدولة، وهو أمر مفارق لتوجهات المنظومة القيمية الإنسانية، فجميع التيارات الفكرية والأيدولوجيات والأديان منفتحة لعضوية أي فرد من أي مكان، مما يعني التحول التدريجي في المنظومات العقائدية والأيدولوجية نحو "أفق عالمي"، بينما الأمر في اليهودية خلاف ذلك، فهي نظام اجتماعي مغلق، يمنع الفكر الصهيوني، بفعل انغلاق قاعدته

---

(1) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى انسنة الحضارة وثقافة السلام، ص

المجتمعية، من القدرة على المساهمة الاستراتيجية في رؤية عالمية تتجاوز الزمان والمكان إلا إذا تخلى عن ركائزه، لكنه في المقابل سيفنى إن تخلى عنها<sup>(1)</sup>.

### ب- العلمنة (الانفتاح والانغلاق) الصراع بين ثقافة الجينئو والانفتاح

إن القرن الحالي هو عصر التفجر المعرفي المتسارع والمعلوماتية والتقانة والاتصالات السريعة، وهو عصر العنف والمخدرات وانحسار القيم الإنسانية لصالح الاجتياح المادي، وهو أيضاً عصر العولمة وما تحمله من تحديات في مجال ثورة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، وفي هذا الصدد يذكر بيل جيتس مالك ماكروسوفت في كتابه "طريق المستقبل" أن الثورة الحقيقية للمعرفة لم تبدأ بعد<sup>(2)</sup>، وبالتأكيد فإن هذا التطور المعرفي وما يحمله من سهولة الحصول على المعلومة وتداولها وضرورة الانفتاح على الآخرين سيضيق الخناق على الفكر الصهيوني الانعزالي المتطرف، وسيدعم التوجهات المنفتحة للمعادين للصهيونية في اسرائيل والعالم. فاليئة العالمية تزداد انفتاحاً، بينما التيار المنغلق يتنامى في المجتمع الصهيوني، وهو ما يمهد لتصادم لاحق بين الجانبين، وتبدو ملامح ذلك في التشخيص الذي قدّمه أمنون روبنشتاين للوضع داخل إسرائيل، بالقول: "إن هناك غروباً للفكر البراجماتي والواقعي ونمو ظاهرة المسيحانية الدينية الجديدة، والهروب إلى أحضان الأرثوذكسية القديمة وظاهرة الأنا النفعية، وتزايد رجال الورع الذاتي حاملي شعار "العالم كله ضدنا"<sup>(3)</sup>.

ج- يشهد العالم الحديث في ظل الموجة الثالثة أو "عهد القطيع والقبيل الإلكتروني" بلغة "فريدمان" تحولات غير مسبوقه تنذر بإحداث تأثير كبير في منظومات القيم والعلاقات والثقافات.. وعلى الرغم من التطور المذهل الذي يشهده قطاع الاتصالات فقد لاحظ الباحثون بمرارة أنه كلما زادت وسائل الاتصالات كلما قل التواصل! وكلما زادت الآليات الكفيلة بتقريب المتباعدين كلما تقوقع أبناء الحضارة على أنفسهم، وباتوا أقل إحساساً لحرارة مشاعر ومشاعل الغير، وأكثر اعتداداً واعتزازاً بذواتهم وبشكل دوغمائي.

وتبدو الصورة التي يمكن تقديمها لعالم اليوم متنافرة في جزئياتها، بل ومتعارضة في بعض منها! ففي الوجه الأول نعيش في عالم متلاحم متشابك المصالح والوسائل والغايات، بشكل جعل

(1) وليد عبد العي، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني - الأحد، 26 فبراير، 2012 - مركز الجزيرة للدراسات.

(2) العرب وتحديات المستقبل، (مجموعة باحثين)، منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق - 2002 ص160.

(3) وليد عبد العي، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني.

الكثيرين يناون بأنفسهم عن الارتباط بكيانات قطرية ضيقة، وينعون الدولة الوطنية التي باتت في منظور الاجتماعيين كبيرة جداً عند مواجهة المشاكل الصغرى، وصغيرة جداً حين مواجهة المشاكل الكبرى! وفي الجانب الآخر من الصورة، شهد العالم تزايداً مقرفاً لتيارات العنف والكراهية وتنامياً متسارعاً للأقليات الفكرية والطائفية وتفتيتاً للأغلبية إلى مجموعات ولوبيات متناحرة<sup>(1)</sup> وكل ذلك سيعمل على بروز اتجاه لدى اليهود يسعى الى الاندماج في حاضنة الشرق، انطلاقاً من روابط القرب الديني والعرقى.

د- التكتلات الإقليمية: يشكّل بناء التكتلات الإقليمية -كمرحلة وسطى بين الدولة وبين العولمة- توجهاً تؤكده المؤشرات الكمية، وهو ما يطرح على إسرائيل مشكلة تحديد الإطار الإقليمي الذي يمكن لها أن تحقق من خلاله رؤيتها الاستراتيجية القائمة على البقاء والوجود، وهنا ستجد نفسها أمام خيارين:

1. أن تندمج في كتلة إقليمية بالمعنى التقليدي، وليس أمامها في هذه الحالة إلا المنطقة العربية أو أوروبا، لكن لكل منها مآزقها، فالاندماج أو التكامل في المنطقة العربية يعترضه إرث تاريخي مشحون بأوزار الصورة اليهودية في الذهن العربي. أما الاندماج أو التكامل مع أوروبا سيجعل من إسرائيل طرفاً تابعاً في عملية صنع القرار، ما يعني تكييف المفهوم الأمني الإسرائيلي لمفهوم أوروبي لا يقوم على قلق "الوجود والبقاء".

2. أن تندمج في كتلة لا يقوم على أساس "إقليمي"، أي تكتل "عبر إقليمي" على غرار تكتل البريكس مثلاً، وهو أمر لا يبدو متاحاً في الظروف الراهنة. كما أن توفره يُشترط فيه -في المنظور الإسرائيلي- تكييف توجهاته مع التوجه الأمني الصهيوني<sup>(2)</sup>.

هـ- تحديات القرن الواحد والعشرون: يرى المتخصصين بالدراسات المستقبلية، أن مستقبل العالم إذا استمرت الأوضاع الحالية على ما هي عليه سيكون اشدّ ازدحاماً بالسكان، إذ سيصل إلى عشرة مليارات عام 2030، وإلى 30 ملياراً في نهاية القرن الحالي، وسيكون أقل استقراراً من الناحية البيئية وأكثر تعرضاً للاضطرابات ولاهيار الأوضاع الصحية، وازدياد الفقر

---

(1) الحسين ولد مدو، حوار الحضارات والثقافات: رؤية في حوار الحضارات وصراع الأمم، 2004 في اخبار انواكشوط-<http://essaha.info/node/3100>.

(2) وليد عبد العي، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني-

<http://studies.aljazeera.net/ar/issues/2012/02/201222612293205557.html>

واستمرار التباين بين الدول الغنية والفقيرة، وتدهور الأرض المزروعة وتزايد حدة أزمات المياه، وازدياد تغير تركيب الغلاف الجوي مما يؤدي إلى تغير المناخ، وازدياد تعرض بعض الحيوانات والنباتات إلى الانقراض.<sup>(1)</sup> وكل هذه التغيرات سيكون لها تأثير كبير على مستقبل اسرائيل.

و- الفجوة بين اسرائيل والعالم: انطوى النظام الدولي على متغيرين أساسيين، هما: القوة معبراً عنها اقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً وسياسياً من ناحية، والمعنى (تقديم رسالة فكرية للعالم) من ناحية ثانية، ويبدو أن التفكير الاستراتيجي الصهيوني نجح في البعد الأول (القوة) وفشل تمامًا في الثاني (المعنى) نظرًا لعمق ثقافة الجيتو، وأية محاولة فكرية صهيونية لبناء المعنى العالمي سيجعلها شيئاً آخر غير الصهيونية (وقد سعت حركة الهسكله -التنوير- في القرن الثامن عشر للتقريب بين الثقافة اليهودية وثقافات الشعوب الأخرى إلا أنها فشلت بسبب معارضة قوية لها من داخل مجتمعها. كما ان المفكرين اليهود مثل ماركس وسينوزا وفرويد، لم يكونوا يهوداً بقدر كونهم أوروبيين غربيين، ويهوديتهم لم تكن فاعلة في تشكيل إسهاماتهم الفكرية والإبداعية. وأنهم نتاج حركة الأنوار الأوروبية لا التوراة. وكانوا علمانيين، وإيمانهم باستقلالية العلم أقوى من أي انتماء إثني يهودي<sup>(2)</sup>، ولعل نتائج كافة استطلاعات الرأي العام تشير إلى تآكل الصورة الإيجابية لإسرائيل في الذهن العالمي (فشل المعنى). وهو ما يعني أن الفجوة بين إسرائيل والعالم قد تتسع ما لم يتسق العقل الصهيوني مع تيارات التطور الإنساني، وهو أمر لا تحققه الدبابات والقنب الحديدية، بل يحققه تقديم "المعنى"<sup>(3)</sup>.

### ظهور نظام متعدد القطبية وبدء افول القوة الامريكية

إن غرور القوة الأمريكي، وسيطرة تيار المحافظين الجدد بتزوعهم "الإمبراطوري" على القرار السياسي في البيت الأبيض كانت له انعكاساته شديدة الوطأة على النظم الإقليمية وعلى منظومة العلاقات الدولية، لكن الأهم هو آثاره شديدة السوء على الولايات المتحدة نفسها التي

---

(1) العرب وتحديات المستقبل- (مجموعة باحثين)- من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق - 2002 ص160.

(2) عبد العزيز بن عبد الله الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية "معلمة الصحراء"، الرباط، 1976م. ص:121. نقلًا عن الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، ص:159.

(3) وليد عبد العي، التحديات الإستراتيجية للفكر الصهيوني-.

تورطت في حربين هائلتين في أفغانستان عام 2002، وفي العراق عام 2003، كانت لهما انعكاساتهما شديدة التأثير على مجمل القدرة الأمريكية، في الوقت الذي كانت فيه القوى الدولية الأخرى تتقدم وتنافس وتصد في منظومة توازن القوى الاقتصادي والعسكري، وأخذت مقولة "أفول القوة الأمريكية" تفرض نفسها على أدبيات الفكر السياسي العالمي<sup>(1)</sup>.

والواضح أن مشروع الإمبراطورية الأمريكية الذي حاولت واشنطن فرضه عقب سقوط الاتحاد السوفيتي وانهار نظام القطبية الثنائية العالمية عام 1991، دخل في مرحلة الانحدار التاريخي التي سبق أن عرفتها إمبراطوريات أخرى سابقة، بتراجع القوة الأمريكية أو اتجاهها إلى الأفول نتيجة الحروب الاستنزافية التي تورطت فيها خلال القرن الحالي. والتقرير الذي أعدته 16 وكالة مخابرات أمريكية بعنوان "الاتجاهات العالمية 2030 أقر بهذه الحقيقة عندما أشار إلى أنه مع الصعود السريع لدول أخرى، انتهت لحظة الأحادية القطبية، وبدأ "الباكس أمريكا" (السلام الأمريكي) الذي ساد منذ العام 1945 ينحسر بسرعة<sup>(2)</sup>.

وفي عددها الصادر في 20/10/2005 نشرت مجلة هارفارد كريمسون نص محاضرة لأشهر المؤرخين في العالم، إيريك هوبسبوم قال فيها: "بأن مشروع الإمبراطورية الأمريكية سينتهي إلى الفشل الحتمي"<sup>(3)</sup> وكان ريتشارد هاس، رئيس قسم التخطيط السابق بوزارة الخارجية الأمريكية في مقدمة المبشرين بأفول الإمبراطورية الأمريكية. ففي عدد يونيو 2008 من مجلة "فورين أفيرز" نشر هاس دراسة بعنوان: "ما بعد الهيمنة الأمريكية: اللاقطبية العالمية"، وفيها أقر بأن الولايات المتحدة لم تعد القطب العالمي الأوحده في العالم، وأن عالم الأحادية القطبية الذي استطاعت الولايات المتحدة أن تفرضه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي لم يعد له الآن وجود". وقد أدت هذه التطورات إلى ظهور قوى إقليمية ودولية جديدة، ستتحول إلى أقطاب حقيقية، وأن ظهور "نظام عالمي متعدد الأقطاب" أضحي قريبًا بفعل عوامل كثيرة أغلبها اقتصادي أولًا وسياسي ثانيًا. فالاقتصاد العالمي يشهد تطورات وتحولات شديدة الأهمية تؤكد هذا الاستنتاج. فقد استطاعت الصين منذ 2010 أن تتجاوز اليابان لتصبح ثاني أكبر اقتصاد

---

(1) أمريكا تحاول احتواء ردود الفعل ضد وثيقة البنتاجون"، جريدة الاتحاد (الإماراتية)، 14/3/1992.

(2) محمد السعيد إدريس، "الثورات العربية ومستقبل العلاقة بين النظام العربي والنظام الإقليمي"، التقرير الإستراتيجي العربي، مؤسسة الأهرام، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية- القاهرة، 2011-2012.

(3) عبد الحي زلوم، هل زوال إسرائيل حتمية تاريخية؟، القدس العربي-31-8-2015.

في العالم، وأسهمت بنحو 15% من الناتج المحلي العالمي في عام 2012 مقابل 18.7% للولايات المتحدة.<sup>(1)</sup> وخلال عامي 2011، 2012 يمكن رصد استمرار التراجع النسبي لعناصر القوة الاقتصادية بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي، عدا المانيا، مما اتاح الفرصة للقوى الصاعدة كالصين لتحسين نسبي في عناصر قوتها الاستراتيجية الشاملة.<sup>(2)</sup>

وربما يكون تراجع سطوة الولايات المتحدة وظهور "نظام لا قطبي" فرصة أمام النظام العربي لتنوع علاقاته وارتباطاته السياسية والاقتصادية، وربما يكون التوجه الأمريكي نحو الشرق الأقصى على حساب الارتباطات الأمريكية بالشرق الأوسط فرصة أمام النظام العربي للتخلص، من روابط التبعية للولايات المتحدة وهيمنتها.<sup>(3)</sup> ويرى د. حسن نافعة أنه سيتشكل في المستقبل نظام عالمي جديد تلعب فيه الأمم المتحدة دور أكبر في حل المشكلات الدولية. حيث ان حركة النظام العالمي اتجهت من نظام متعدد الأقطاب إلى نظام القطب الواحد، ولكن هيمنة دولة واحدة لا يمكن إلا أن تكون مؤقتة، وسيتحول النظام الحالي إلى نظام متعدد الأقطاب، وربما تفرز العولمة نظاماً كونياً غير مسبوق في خصائصه، ومن المأمول أن تتحول المنظمات الحكومية العالمية إلى أداة لتغيير النظام الدولي، ودفعه للانتقال المتدرج من حالة الطبيعة إلى حالة التجمع، من خلال عقد اجتماعي دولي تبرمه الحكومات ويلتزم به الجميع.<sup>(4)</sup>

كما سيتغير المشهد السياسي في العالم بشكل كبير بحلول عام 2030، فعدد الدول العظمى سيزداد، وستنضم إلى الولايات المتحدة كل من روسيا والصين وألمانيا والهند واليابان. وسلطة الدول ستزداد توزيعاً من خلال المنظمات والمؤسسات غير الحكومية، وستراكم الدول القومية الكبرى قوتها، فدخلت إلى قائمة العشر دول الأكثر إنفاقاً على الدفاع العام 2015،

---

(1) المتغيرات السياسية الدولية وأثرها على الوطن العربي "في: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، ص 55، 56.  
(2) أحمد يوسف، نفين سعد حال الأمة العربية 2011-2012 معضلات التغيير وآفاقه، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ط1 2012- ص 7.

(3) محمد السعيد إدريس، مستقبل النظام العربي: بين التطورات الجديدة في هيكلية النظام العالمي وتداعيات الثورات العربية، المركز العربي للبحوث والدراسات- الأحد 13، 18/يناير/ 2015 - <http://www.acrseg.org/36543>

(4) التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين- 10-12 أبريل 2000-جامعة دمشق. تنظيم المؤتمر السنوي الرابع للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية. والمؤتمر السنوي الأول لمركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية بجامعة دمشق، وبالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية- ورقة د.حسن نافعة -تحولات السياسة العالمية واتجاهات تطورها المستقبلية» تغطية محمد دكير.

الولايات المتحدة والصين وروسيا والهند واليابان وألمانيا، وهي ذات الدول التي ستهيمن على الكوكب بعد عقد ونصف<sup>(1)</sup>، وأعلن مركز "بيو" الأمريكي للأبحاث أن الإسلام سيصبح الدين الأكثر شعبية في العالم بحلول نهاية القرن، إذ سيتجاوز المسلمين عدد المسيحيين. وقد بلغ عدد المسلمين في عام 2010 قرابة 1.6 مليار شخص (23% نسبة المسلمين لـ 31% مسيحيين) من مجموع سكان العالم. وإذا استمر التطور الديموغرافي الحالي، فإن عدد المسلمين سيتجاوز عدد المسيحيين، وستصبح الهند البلد الذي يضم أكبر عدد من المسلمين في العالم بحلول عام 2050، بعدد أكثر من 300 مليون مسلم<sup>(2)</sup>.

### مستقبل الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط

بداية يمكن رصد بعض المتغيرات على الساحة الدولية مثل: استمرار التحيز الأمريكي لـ (إسرائيل)، والتعاطف الدولي مع الطرف العربي وبخاصة من جانب القوى الجديدة كالصين واليابان وغرب أوروبا، باستثناء بريطانيا فضلاً عن دول العالم الثالث<sup>(3)</sup>. وتمثل العلاقات الأمريكية الإسرائيلية نمطاً متطوراً من التحالف الإستراتيجي المعتمد على أسس دينية وأخلاقية. وبالرغم من وجود بعض الأصوات الأمريكية الداخلية المنادية بالتخلص من عبء تبني السياسة الخارجية الأمريكية للمصالح الإسرائيلية في المنطقة، إلا أنه لا يتوقع أن تؤتي ثمارها الآن؛ بل في المستقبل، وضمن سياق دولي وإقليمي معين.

أما علاقات الاتحاد الأوروبي بإسرائيل فلن تشهد تغييراً جوهرياً، إذ سيواصل الاتحاد الأوروبي دوره في تقديم المساعدات غير العسكرية للشعب الفلسطيني، وسيواصل العمل أيضاً وفق الإطار العام المحدد من قبل الولايات المتحدة، فيما يتوقع تطور علاقات إسرائيل مع روسيا والصين والهند في الفترة القادمة. في المقابل، فإن إسرائيل ستتعامل مع قرارات المنظمة الدولية على نحو انتقائي، من منطلق إدراكها بعجز المنظمة عن اتخاذ أي شيء ضدها، أو إصدار عقوبة بحقها في ظل وجود الفيتو الأمريكي<sup>(4)</sup>.

(1) محمد الطاهر العصر الأمريكي يقترب من مغيبه، 2016/22/14 في expert.ru .

(2) الإسلام سيصبح الدين الأكثر انتشاراً بحلول نهاية هذا القرن-وكالة معا- بتاريخ: 2017/03/01.

(3) عبد العزيز عبد الغني صقر مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني : (2007/11/8).

(4) ندوة "حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015م"-مركز دراسات الشرق الأوسط - عمان يومي 27

28 أغسطس 2007.

ونعتقد أن المحدد الدولي المتمثل بالدعم والعلاقة المميزة مع أمريكا، سيظل هو أهم محدد لمستقبل إسرائيل خلال فترة الدراسة، حيث ستظل الولايات المتحدة الأمريكية تحمي وتدعم الكيان الصهيوني بكل إمكانياتها. بمعنى أنها لن تسمح بهزيمة إسرائيل ونهايتها، وستدافع عنها كما تدافع عن نفسها، ومع ذلك يمكن أن تظهر قيادة أمريكية تضغط على إسرائيل للقبول بحلول دبلوماسية تتوج باتفاقيات سلام تضع حلاً للقضية الفلسطينية، وحدا لحالة العداء بين الدول العربية وإسرائيل، وفي كل الأحوال يجب أن لا تنسى في أية لحظة بأن إسرائيل هي مشروع ديني بروتستانتي لن تسمح الدول البروتستانتية بزواله أو ضعفه، وهكذا ستستمر العلاقة الوثيقة الأمريكية الإسرائيلية لمصلحة إسرائيل، وتشكل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي الحد الأدنى المقبول أميركياً لترتيب أوضاع المنطقة، وهذا يعني عضوية إسرائيلية جزئية تتحول لاحقاً إلى كاملة) في الشرق الأوسط، ويكتمل التصور الأميركي لمستقبل المنطقة بتحويلها إلى كتلة كاملة تتبع لحلف الأطلسي استراتيجياً، أو بإقامة حلف مع ضمان عضوية إسرائيل فيه، بما يؤمن المصالح الأمريكية في المنطقة.

## المبحث الثاني: المسارات المستقبلية للصراع في ظل التغيرات العربية

من وجهة النظر العربية لم يشهد الوطن العربي من قبل مثل هذه الدرجة من الانقسام، وعدم وضوح الرؤية، حيث أن الظروف القائمة اليوم تلقي بظلال سلبية على تفكير الناشطين والقادة في الأمة، والقراءة المتأنية تشير إلى مجموعة كبيرة من التحولات السلبية التي تمت خلال السنوات الماضية ضد مصالح الأمة، كان من أهمها أحداث سبتمبر وتداعياتها، واحتلال أفغانستان والعراق، وحصول الانقسام الفلسطيني وحروب إسرائيل المتكررة على غزة، وأحداث ما سمي زورا بالربيع العربي، وزيادة التدخل الأميركي بشؤون المنطقة، وانتشار فكر التيارات الإسلامية المتعصبة الإرهابية الممولة من أمريكا وإسرائيل ودول الخليج، وكل ذلك يؤكد أن المنطقة والنظام الدولي وطبيعة الصراع ومخرجاته ستشهد تحولات كبيرة وستفرز أحد نموذجين للتعامل مع إسرائيل: الأول: وهو الواضح حيث لا يمثل الصراع أولوية مطروحة له، وأن قضايا الداخل ستفرض نمط التعامل، ومن المتوقع استمرار ذلك لسنوات طويلة إلى حين تهدأ، والثاني: حيث يعطي الأطراف العربية وتنظيمات المقاومة الفلسطينية فرصه لتغيير حدود الصراع والخروج به من دائرة الثبات والتعايش والإدارة إلى مسار مواجهة غير منضبطة يحددها التحالف، مما يدفع المنطقة لاختبارات جديدة منها شكل المواجهة التسوية الجديدة<sup>(1)</sup>.

### سيناريوهات المستقبل العربي بين التشاؤم والتفاؤل

كثيرة جداً هي الكتابات العربية التي تناولت الزمن العربي: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ويفيد التأمل النقدي في مضامينها أنها انطلقت من رؤيتين متناقضتين: الأولى تشاؤمية والثانية تفاؤلية. والثالثة تجمع بين التشاؤم والتفاؤل. وبناء على ذلك فإن مشاهد المستقبل العربي تشير إلى ثلاث سيناريوهات هي:

### أولاً: سيناريو بقاء الوضع القائم

يرى أن تزامن استمرار ثمة معطيات عربية سلبية مع ثمة تحولات عربية إيجابية، ستجعل

---

(1) طارق فهمي، مسارات جديدة لاستشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، المركز العربي للبحوث والدراسات - الأحد 28/يونيو/2015.

المستقبل العربي مقترنا بصورة تجمع بين مضامين مشهدي الاستمرارية والتغيير<sup>(1)</sup>، وهو يفترض استمرارية الزمن العربي الرديء على ما هو عليه مفككاً عاجزاً، وبالتالي مهمشاً، باعتباره أفضل الممكن في ظل المعطيات الراهنة، وتعتمد هذه الرؤية الى ربط ذلك بانتفاء إرادة الحد من تأثير المتغيرات السلبية، الداخلية والخارجية معاً، فمثلاً يقول سمير أمين: "إن الوطن العربي دخل القرن الحادي والعشرين في وضع أسوأ مما كان وهو يدخل القرن العشرين، بمعنى أنه صار أقل استعداداً للتعامل مع معطيات القرن الجديد"<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: سيناريو المزيد من التدهور في العلاقات العربية العربية

أن امتداد عموم المعطيات الداخلية والخارجية السلبية التي يقترن بها الواقع العربي الراهن، سيفضي، في العموم، إلى أن يكون المستقبل استمراراً لهذا الواقع، وتذهب هذه الرؤية إلى تبني ما يفيد أن مستقبل الوطن العربي سيكون محصلة لصراع بين متغيرات تفضي إلى "خروج العرب من التاريخ"<sup>(3)</sup>، وبين متغيرات من نوع آخر تحفز قوى النهوض العربي باتجاه جدوى تحقيق أهداف المشروع الحضاري النهضوي العربي<sup>(4)</sup>. وهذا السيناريو المحتمل وغير المرغوب يقوم على عدة أسس منها، التدهور المستمر في عناصر القوة العربية، مع تنامي قوة الأطراف الإقليمية، وغياب الرؤية العربية المشتركة والإرادة للتعامل مع الواقع القائم وتغييره، واستمرار الضغوط الدولية خاصة الأمريكية على العلاقات العربية العربية بما يعوق تطورها. ولكن تواجه هذا السيناريو عدة محددات قد تعوق تحقيقه منها.

إن ازدياد حدة الأخطار التي تهدد الوجود العربي سيمثل دافعا إلى التحرك نحو مقاومة هذه الأخطار، وتنامي الضغط الشعبي العربي الراض للانهيار والتدهور، كما أن القوى الدولية والإقليمية لن تسمح بوصول حالة الضعف العربي إلى مستوى يؤدي لتهديد الاستقرار في

---

(1) مازن الرمضان مستقبل العرب في عام 2020المجلة-العربية للجالية العربية في نيوزيلاند-

422604924464462https://www.facebook.com/notes/

(2) نقلاً عن محمد الشاذلي، موت المثقف وتنوع الثقافة، في الملف العربي الأوربي، دار الحداثة بيروت 1985، ص18.

(3) انظر: فوزي منصور، خروج العرب من التاريخ، ترجمة ظريف عبد الله وكمال السيد، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1993.

(4) انظر: عبد العزيز الدوري واخرون، نحو مشروع حضاري نهضوي عربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.

المنطقة ويؤثر على مصالحها الاستراتيجية<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: سيناريو الصحة العربية المأمولة

يرى أن اقتران الواقع العربي خلال الزمان الممتد بثمة تحولات إيجابية، كمية وكيفية، على الصعيد الداخلي، سيدفع الى صورة مستقبلية تتناقض صورة سيناريو التدهور. ويعتمد هذا السيناريو على عدة أسس أهمها: أن التدهور في الأوضاع العربية قد وصل إلى درجة لا يمكن أن تستمر وإلا كان معنى الاستمرار زوال الكيان العربي من الوجود، حيث أن الأخطار والتحديات التي تواجه العرب أصبحت تهددها بالتقسيم أو بالتفتيت، وهو ما يمثل تهديداً مباشراً لمصالح النخب العربية الحاكمة التي ستتجه لحماية مصالحها والدفاع عنها بتقوية التفاعلات العربية، وإزالة معوقاتهما<sup>(2)</sup>.

“فالأمة العربية ليست ضعيفة ولم تكن في كل تاريخها ضعيفة”: لأنها تحتضن قدرات كامنة تفيد بإمكانية تحولها كفيفاً من النقيض الى النقيض، وأن هذه القدرات هي التي تجعل الأمل في أن يستعيد الوطن العربي دوره الحضاري متأججاً. فالعرب يفترون ولكنهم يعودون إلى الالتقاء، وبالرغم من توافر الأسس الموضوعية والروحية والتاريخية لتحقيق هذا السيناريو المأمول إلا هناك محددات تواجه إمكانية تحقيقه مثل: تأخر الوصول إلى مرحلة بناء الثقة بين الدول العربية وعدم تحقيق المصالحة العربية، كما أن الثغرات القائمة في العلاقات العربية العربية تتيح الفرصة لأطراف إقليمية ودولية للنفوذ والتأثير السلبي على مجرى تطورها<sup>(3)</sup>.

وإذا كان مستقبل العالم العربي يتأرجح بين هذه الرؤى، فإنه يجب أن نضع في اعتبارنا بعض الحقائق:

1- إن المنطقة العربية منطقة حيوية تعاقبت عليها على مر التاريخ قوى دولية عظمى دون أن تنجح بالاستقرار فيها، وهي تمتلك كل مقومات النهوض الذاتي، فبالإضافة لخصوصية

---

(1) أعد معهد الاتحاد الأوروبي للدراسات الأمنية ثلاث سيناريوهات محتملة لمستقبل العالم العربي، وهي عدم استقرار العالم العربي، والانفجار الداخلي في العالم العربي، ونهوض العالم العربي. مستقبل العرب: ثلاثة سيناريوهات لعام 2025-إعداد: معهد الاتحاد الأوروبي للدراسات الأمنية (تقرير رقم 22 – فبراير 2015) تحرير: فلورانس جوب، وألكسندرا لابان.

(2) العرب ومرحلة ما بعد التسوية المطروحة للصراع العربي الإسرائيلي، ص 199: ص 211.

(3) محمد سعد أبو عامود، العلاقات العربية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين: الظواهر، الاشكاليات، المستقبل، مجلة السياسة الدولية، ع139، يناير 2000.

موقعها وثراء مواردها تشكل هذه المنطقة مركز إشاع حضاري فريد أثرى البشرية، وما يزال، فهي مهد للديانات السماوية الثلاث التي يؤمن بها أكثر من 60% من سكان العالم، وشكلت - قبل أن تغزوها القوى الاستعمارية الغربية - نموذجاً وائداً للتعايش والتسامح والتفاعل بين مختلف الديانات والأعراق، وتسكنها شعوب متجانسة فتيّة التركيب ذات تاريخ عريق وثقافة وحضارة ولغة مشتركة، وإيمان راسخ بوحدة المصير<sup>(1)</sup>.

2- في نطاق تحليله لمسار حركة التاريخ يرى ارنولدي توينبي أن للأحداث التاريخية جانين مادي وروحي، وأن المبدأ الأساسي لحركة التاريخ هو مبدأ التحدي/ الاستجابة، فالأمم عادة ما تواجه العديد من التحديات، والأمم الحية هي التي تتولد لديها الرغبة في المقاومة وصولاً إلى بلورة الاستجابة الملائمة للتحدي الذي تواجهه، وعندما تنجح في ذلك تتوالى التحديات والاستجابات الناجحة فترتقى، وقوام الارتقاء الحقيقي وفقاً له هو التسامي، ويعنى به التغلب على الحواجز المادية، ويرى أن هذه العملية تعمل على إطلاق طاقات المجتمع من عقابها لتستجيب للتحديات<sup>(2)</sup>.

3- إن في تاريخ الشعوب كما هو في قصة الأفراد، تعترى النفس البشرية حالة من التمزق والحزن الباطن فإذا بالوجود وقد تكون بصورة سوداء، وإذا بالمستقبل لا يعكس إلا نوعاً من القتامة وإذا بنوع من اليأس يتغلغل في الذات الإنسانية فيجعل منها قطعة مهلهلة تستطيع أي جرثومة ضعيفة إن تنهل منها وتقضى على كيانها، والشعوب القوية كالشخصيات الخلاقة هي وحدها التي تعرف كيف تقف على أقدامها من تلك اللحظات صامدة متحدية؛ إنها تعلم أن الحياة صعود ونزول، نجاح وإخفاق، سعادة وشقاء، أنها مراحل وفصول وكل ليل لا بد وأن يعقبه نهار وكل ظلام لا بد وأن ينتهي بطلوع الشمس<sup>(3)</sup>.

4- بالرغم من إن مجمل التطورات العالمية وبخاصة في مجالات الاتصال والتكنولوجيا، ستسهم في المزيد من تجزئة وتبعية الوطن العربي واضعافه في مواجهة إسرائيل. إلا أن التنسيق الوظيفي أو الأقليمي سيسهم في التخفيف من تلك الآثار السلبية للبيئة الدولية والإقليمية على الوطن العربي. ولكن في حال اتحدت الدول العربية فسيغنى بالنسبة إلى

---

(1) غانية ملحيس، المشروع الوطني التَّحْرُريّ الفلسطينيّ المأمول (1)، مقالات- الثلاثاء، 17 أيار (مايو)، 2016.  
(2) فؤاد محمد شبل، دراسة للتاريخ لارنولدي توينبي، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 8: ص 13، انظر: زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظرية التحدي والاستجابة الحضارة الإسلامية أنموذجاً، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق 2011.

(3) مستقبل إسرائيل- حامد ربيع - دراسة غير منشوره.

القوى الخارجية وجود قوة كبرى في المنطقة تعيد حسابات القوى العظمى، وتطرح عليها ضرورة السعي إلى إقامة علاقات ودية معها. ومن هذا المنطلق فإن العلاقة العضوية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ستصبح لأول مرة قابلة للتحدي الحقيقي من جانب دولة الوحدة العربية<sup>(1)</sup>.

- 5- هناك مسلمة أساسية وهي أنه لولا التفكك والاهتراء في الجبهة العربية والإسلامية لما جرؤ الصليبيون ولا الصهاينة علي الإقامة والاستقرار في هذه المنطقة لفترة طويلة، وهل يعقل عاقل أن أي غزوة تستطيع - مهما بلغت من القوة - الاستقرار والاستمرار وسط بحر بشري عربي إسلامي، إلا إذا كان هذا المجتمع البشري قد بلغت وحدته وقوته من الوهن درجة تجعله مطمعا للغزاة. وإذا أراد العرب الخروج من مأزقهم الصعب الراهن، عليهم حتمية امتلاك مقومات القوة الشاملة<sup>(2)</sup>. ونحن نملك في جعبتنا الكثير من الخيارات الاستراتيجية التي تمكننا من تغيير طبيعة الصّراع العربي الإسرائيلي وإمسك زمام المبادرة، أقله لنبدأ من قناعة مفادها أنه بإمكاننا أن نبادر وأنّ لدينا الكثير من الخيارات والإمكانيات ولكن تنقصنا الإرادة والرؤية. من هنا فإنه كما يقول د. اسماعيل صبري عبد الله: ان العرب إما أن يهضوا معاً، وإما أن تتخبط جهودهم جميعاً بدرجات متفاوتة، وتتشتت جموعهم، وتتجزأ أقطارهم، أو تختفي من المسرح الدولي<sup>(3)</sup>.
- 6- إن المخرجات السلبية لتجربة الماضي وثقل معطيات الحاضر أدت، ومنذ فترة ليست قصيرة، الى تراكم حالات اليأس والإحباط وانتشارهما داخل الوطن العربي وبمحصلة جعلت المواطن العربي يرى في الحديث عن المستقبل، وكأنه حديثاً لا يعنيه أو على الأقل يتعلق بأمور لا طاقة له بها ولا قدرة له عليها، فلا شيء يربط في ذهنه بين الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك يبدو المستقبل (له) وكأنه عالم آخر<sup>(4)</sup>.

---

(1) أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية - ط 1 1987- ص222.

(2) محمد جابر الأنصاري، "لا مخرج للعرب إلا بامتلاك مقومات القوة"، صحيفة الحياة، بيروت، 18-1-2008.

(3) التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين- 10-12 أبريل 2000-جامعة دمشق. تنظيم المؤتمر السنوي الرابع للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية، والمؤتمر السنوي الأول لمركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية بجامعة دمشق، وبالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية- تغطية محمد دكبر

(4) انظر، د. سعد الدين ابراهيم وآخرون، صور المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1989، ص9.

7- إن النظام العربي سيكون أكثر تعرضاً للاختراق من النظام العالمي وأكثر استعداداً للتأثر بالتحويلات. فرغم قدراته الاقتصادية وموقعه الاستراتيجي، فإنه أكثر ارتباطاً بالنظام العالمي من منظور مصالح النظام العالمي، بسبب ثروة الطاقة الهائلة التي تجعله نظاماً معمولاً<sup>(1)</sup>، ولذا فإن مستقبل النظام الإقليمي العربي وأمنه، ودوره العالمي مرتبط بقدرته على استغلال طاقاته البشرية وموارده الاقتصادية وموقعه الاستراتيجي الذي يجعله يلعب دوراً فعالاً في النظام الدولي، ومن هنا يجب أن تستفيد المنظومة العربية من الصراع الذي بدأ يظهر بين الولايات المتحدة والصين وروسيا الاتحادية، فلقد أكد بريجنسكي أن المستفيد الأكبر من الغرق الأمريكي في الحرب على الإرهاب كل من روسيا والصين الشعبية. فالولايات المتحدة متورطة في أكثر من بقعة على نطاق العالم وليست مستعدة للتورط في القلب<sup>(2)</sup>.

8- اجتازت الأمة العربية امتحانات وجودها الأولى، وصارت الأحداث العظمى التي كان مقدراً لها اجتثاثها من جذورها، مجرد أحداث ثانوية على الرغم من أهوالها الفظيعة، أي أن وجود الأمة العربية ومآلها صار خارج دائرة التأثير، ولم تعد الأحداث مهما عظمت وجلجت وألمت وأذهلت، تطال هذا الوجود وذاك المآل، إن قضايا الاحتلال والاستيطان، والتجزئة السياسية وما ترتب عليها من تجزئة جغرافية، مضافاً إليها قضايا التخلف المادي، قد انحدرت جميعها، على أهميتها الكبرى، إلى مستوى التفاصيل التي قد تطيل أمد عذاب الأمة لكنها لا تنال من أسس وجودها المستقر زمنياً وجغرافياً عبر جميع العصور. إنه الوجود الذي يؤهلها، من دون أدنى شك، لإسهام رئيسي في صياغة مستقبل العالم، ولم لا والأمة العربية هي التي أعطت أمم المتوسط دياناتها وعقائدها وفلسفاتها<sup>(3)</sup>.

---

(1) مستقبل النظام العربي: بين التطورات الجديدة في هيكليّة النظام العالمي وتداعيات الثورات العربية د. محمد السعيد إدريس- المركز العربي للبحوث والدراسات- الأحد 13، 18/يناير/2015 -

<http://www.acrseg.org/36543>

(2) وثائق المؤامرة ومخططات التقسيم- مختار شعيب- دار روابط للنشر وتقنية المعلومات ودار الشقري للنشر، 2018، ص 265

(3) ماذا عن اليهود في المستقبل؟، نصر شمالي، موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، السبت  
<http://www.baath-2011/1/1>

## المبحث الثالث: الآثار المتوقعة للتسوية السلمية على محددات الوجود

### الإسرائيلي

ما هو مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية التي طرحنا عدة سيناريوهات لها وكيف تبدو إسرائيل في عام 2040؟ هل ستقيم في سلام وأمن في شرق أوسط ديموقراطي ومتطور، أم إنها ستظل دولة حصن، نشأت وستظل معزولة من قبل أغلب دول العالم؟ وهل سيكون مجتمعها منشطاً، متشققاً وعنيفاً، أم ستسود علاقات أكثر رومانسية بين اليهود والعرب، وبين المتدينين والعلمانيين؟ وإلى أين تتطور العلاقات؟ هل ستتجه إلى مزيد من التدهور والمواجهة، أم أنه ستنشأ اتجاهات عكسية. وهناك من يتحدثون عن احتمال آخر أكثر تشاؤماً، وهو ألا تصل إسرائيل أبداً إلى عام 2030<sup>(1)</sup>.

وبرغم تعدد الإجابات على سؤال مستقبل إسرائيل، فإن غولدا مئير كانت الأكثر تفانلاً بين قادة إسرائيل حين قالت: "إني أؤمن بأننا سوف نحصل على السلام مع جيراننا، لكنني على ثقة من أن أحد لن يصنع السلام مع إسرائيل الضعيفة، فلو لم تكن إسرائيل قوية، فلن يكون هناك سلام"، أما رؤيتي لمستقبلنا؟ فهي أن نكون دولة يهودية تستمر جماهير اليهود من كل انحاء العالم في الاستيطان والبناء فيها، أن تكون إسرائيل مرتبطة بجهد تعاوني مشترك مع جيرانها وان تظل ديمقراطية مزدهرة ومجتمعاً يركز بقوة على العدل والمساواة.<sup>(2)</sup>

وكأي دراسة مستقبلية فإنه يمكن الارتكاز إلى عدد من المتغيرات التي يمكن من خلالها معرفة الاثر المتوقع للتسوية السلمية على إسرائيل مثل: التركيب الديمغرافي، قوة الاتجاهات العلمانية داخل (إسرائيل) وفي الحركة الصهيونية، وعمليات الهجرة المضادة إلى خارج (إسرائيل)، واختلال الكم لصالح العرب، والانحلال الاجتماعي والأوضاع الاقتصادية والعنصرية في (إسرائيل)<sup>(3)</sup>.

(1) أحمد حماد، الرؤية الإسرائيلية لمستقبل الشرق الأوسط 2030، ندوة بمركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس 8 مارس، 2014.

(2) الحسيني الحسيني معدي، اعترافات جولدا مائير، دار الخلود للتراث ط1 2013- ص300.

(3) عبد العزيز عبد الغني صقر مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني، (2007/11/8).

## الوضع الاستراتيجي المستقبلي لإسرائيل

أولت إسرائيل قضية الأمن أولوية قصوى في أية ترتيبات تنتج عن اتفاقيات سلام مع الدول العربية، والمثال الواضح على ذلك هي الترتيبات التي وقعت مع مصر بعد الانسحاب من سيناء، ولهذا فإنه ليس من المتوقع أن يتغير نمط التفكير الإسرائيلي في حالة توقيع أية اتفاقيات مستقبلية مع الدول العربية، ويشير العسكريون الإسرائيليون إلى أن عمق الدولة الاستراتيجية هو 40 كيلو متراً، وهو عمق لا يسمح بأي انسحاب إسرائيلي لحدود عام 1967، غير أن قطاعاً آخر من الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي مسكون بمسألتين، هما: مواجهة أنساق سياسية ما دون الدولة (التنظيمات الفلسطينية وحزب الله) من ناحية، ومشاعية التكنولوجيا التي قد تصل بتطورها إلى أيدي تنظيمات قادرة على ابتزاز قوى دولية من ناحية ثانية، وذلك يعني أن المأزق الإسرائيلي يتمثل في أن الانسحاب يُفقد الدولة عمقها الاستراتيجي، وعدم الانسحاب يزيد من المساحة المتاحة أمام التنظيمات المسلحة لممارسة نشاطها<sup>(1)</sup>.

لذا لن يحدث تحول أساسي في المستقبل لمنظومة الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي، إذ ستحاول إسرائيل إعادة إنتاج منظومة الردع العسكري من جديد، بالاعتماد على إعادة بناء التفوق العسكري المرهون بالردع النووي وتعزيزه، حيث وصلت إسرائيل مثلها، مثل كثير من البلدان العربية إلى الحد الكمي الأقصى لنمو قوتها العسكرية عددياً مما يعني أن النمو سيتجه طوال الفترة المقبلة إلى زيادة قدرة وكفاءة هذا الحجم بما يعنيه من زيادة في خفة الحركة، والدقة وقوة النيران والمدى<sup>(2)</sup>، وتخفيض حجم القوات البرية العاملة بنسبة 10%، وتطوير القدرات القتالية وأسلحة الردع، للتعامل مع مقتضيات "ميدان القتال المستقبلي"، من خلال الحفاظ على الجيش الإسرائيلي كأقوى جيش في المنطقة بحيث يستطيع تحقيق النصر على أي دولة أو تحالف مستقبلاً، وإبطال مفعول التهديد الصاروخي العربي عن طريق الصواريخ حيثس (السد) المضادة للصواريخ، وتحديث الرادع النووي الإسرائيلي بما يمكن إسرائيل من إدخال وسائل إيصال نووي منيعة مثل غواصات دولفين، كما ستستند إسرائيل في أي حرب تخوضها في المستقبل على سلاح الجو، الذي ازداد إلى حد أن وصف بعض المحللين الإسرائيليين الجيش

(1) وليد عبد الحى، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني، الأحد، 26 فبراير، 2012 - مركز الجزيرة للدراسات  
-<http://studies.aljazeera.net/ar/issues/2012/02/201222612293205557.html>.

(2) أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية - ط1 1987-  
ص222.

الإسرائيلي بأنه سوف يكون عبارة عن جيش طائر، واستمرت إسرائيل في برنامج الفضاء الخاص بها بالتعاون مع الولايات المتحدة وخصوصاً برنامج حرب النجوم وبرنامج الدفاع الصاروخي<sup>(1)</sup>.

ويشكل السلاح النووي الأداة الأقوى والأعظم للدردع بيد إسرائيل وهي أداة مرتبطة عضوياً بنظرية الأمن الإسرائيلية، التي تطورت بعد التسعينات، فأصبح من أبرز معالمها الإيمان بأنه لا يمكن للسلام في الشرق الأوسط ان يبني على قاعدة توازن تسليحي، بل يجب أن يبني على ميزان للردع ذي طبيعة خاصة، وذلك بأن تنفرد إسرائيل بإمتلاك السلاح النووي لتردع به من يريد تدميرها، ويستند انصار حياة إسرائيل السلاح النووي واحتكاره على حجة رئيسية قوامها قلق إسرائيل من الفارق الكمي، البشري والسلاحي التقليدي بينها وبين الدول العربية. وثمة حاجة ثانية تتذرع بها إسرائيل، مفادها أن الاعتماد على الولايات المتحدة في حماية أمنها اعتماداً مطلقاً، قد يخضع لبعض المتغيرات، وإسرائيل لا تثق بأية ضمانات دولية<sup>(2)</sup>، ولذا فإن الاعتماد على الذات هو الملاذ الأخير، فالقدرة التي تضيفها وسيلة ردع قوية ستقنع العالم العربي بأن إسرائيل غير قابلة للتدمير، وبالتالي تصبح التسوية السياسية أمراً لا مفر منه<sup>(3)</sup>.

### المستقبل الديمغرافي

إن أهم العوامل التي ستلعب دوراً محورياً في مستقبل إسرائيل هو العامل الديمغرافي، حيث ستبقى إسرائيل نقطة في بحر المنطقة العربية، مهما استوعبت من مهاجرين ولو وصل الأمر إلى استيعاب كافة يهود العالم، فإنها لن تستطيع مجاراة الكم البشري العربي المحيط بها والذي يتمتع بالتجانس والتآلف من ناحية اللغة والدين والعادات والتقاليد والانتماء، وبالتالي فإن اليهود مهما بلغ عددهم وعدتهم لن يستطيعوا التغلب على المجموع العربي أو ترويضه، إلا إذا قبلوا أن يتحولوا إلى جزء من النسيج الحضاري للمنطقة بالاندماج في حضارتها المنفتحة والخضوع لقوانينها الحاكمة.

(1) أحمد ثابت، جوانب الصراع العربي الإسرائيلي ومجالاته، الجزيرة نت- 3-10-2004.

(2) وليد عبد العي، التحديات الإستراتيجية للفكر الصهيوني، الأحد، 26 فبراير، 2012 - مركز الجزيرة للدراسات- <http://studies.aljazeera.net/ar/issues/2012/02/201222612293205557.html>.

(3) محمد محمود السيد محمد، سياسات التسليح في إسرائيل ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، 29 سبتمبر

ورغم أن إسرائيل تتطلع إلى السلام الشامل المستند على اتفاقيات معها ومع جيرانها ووجود علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع الدول العربية، إلا أنها أخفقت بإقناع يهود العالم بالهجرة إليها، وهنا يرى الكاتب الإسرائيلي يحسك درور أن إسرائيل إذا ما أرادت أن تحافظ على تفوقها الأمني وقوتها الوطنية فلا بد أن تكون قوية ديمغرافياً. وأن نجاح السلام ونجاح إسرائيل في إبرام اتفاقيات سلام مع الفلسطينيين سيرسخ الشعب اليهودي في إسرائيل، لا بل سيزيد من إقبال اليهود في الهجرة إلى إسرائيل<sup>(1)</sup>.

وبنظرة مستقبلية إلى الواقع السكاني فإنه مما لا شك فيه، أن نسبة الزيادة السكانية ستكون لصالح العرب داخل فلسطين، فعلى سبيل المثال يولد اليوم نحو 150 ألف طفل فلسطيني في السنة داخل فلسطين التاريخية، في حين لا يولد سوى 90 ألف طفل إسرائيلي، وبذلك فإن عدد الولادات الفلسطينية تزيد مرة ونصف المرة عن الولادات الإسرائيلية، وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن معدل الهجرة اليهودية، بدأ في الانخفاض، وأن معدل الهجرة العكسية بدأ يأخذ أرقاماً قياسية في السنوات الأخيرة، ولذا فأن مستقبل الميزان الديمغرافي داخل إسرائيل يميل جزئياً لصالح العرب، فعدد اليهود في إسرائيل سيصل في العام 2020 إلى 6.3 مليون شخص مقابل 2.1 مليون عربي، أي بنسبة 75% إلى 25% على التوالي<sup>(2)</sup>.

كما أن هناك ما يسمى «ظاهرة موت الشعب اليهودي»، أي تناقص أعداد أعضاء الجماعات اليهودية في العالم نتيجة لعدم الزواج والإنجاب، ومع تراجع نسبة الخصوبة بين أعضاء الجماعة اليهودية وتزايد معدلات الاندماج، فإنه حينما تحتفل الولايات المتحدة بعيدها المثوي الثالث (2076) لن يتجاوز عدد اليهود المليون. ومن القضايا الأساسية والخطيرة التي يواجهها الأمريكيون اليهود، والتي تساعد على تناقص عدد اليهود، قضية الزواج المختلط<sup>(3)</sup>، ونحن عندنا مثل الممالك الصليبية، ما قضى عليها هو أن الهجرة من الغرب توقفت؛ لأن الجيوب الاستيطانية تحتاج دائماً إلى هجرة ومادة قتالية، وبتراجعها تواجه أزمة<sup>(4)</sup>، والمتوقع في

---

(1) يحسك درور، رسالة للقائد (اليهودي الصهيوني الإسرائيلي)، المجلس الصهيوني، إسرائيل- ط1/2005، عرض/مؤسسة المستقبل للدراسات والإعلام- الجزيرة نت.

(2) جمال البابا، الهاجس الديمغرافي في إسرائيل "مخاوف حقيقية أم أطماع سياسية"، مركز التخطيط الفلسطيني- <http://www.oppc.pna.net/mag/mag1516/p2-15-16.htm>

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية "الموجة"، ج1، ص 489-490.

(4) بلا حدود، لقاء مع المسيري، أحمد منصور، مستقبل إسرائيل وأرهاصات نهايتها- <http://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds/2008/6/1>.

ظل التسوية السلمية تراجع الهجرة اليهودية، بسبب محدودية الأرض وقلة الموارد، ولكن ستزداد زيارات اليهود إلى إسرائيل لزيارة الأماكن المقدسة اليهودية. وتدعي أوساط أكاديمية إسرائيلية، إن استمرار التزايد الديمغرافي لبعض الشرائح السكانية، سوف يؤدي إلى غياب الهدوء الاجتماعي والأمن الشخصي، ووضع كهذا لن يكون مقبولاً لليهود الغربيين، مما قد يدفعهم إلى فحص إمكانية الهجرة لدول الغرب التي تتمتع بحياة ذات جودة عالية.

### قراءه جديدة للخارطة الديمغرافية في اسرائيل (دولة شرقية)

كان اليهود الشرقيون يشكلون في أواسط القرن التاسع عشر الأغلبية الساحقة من يهود فلسطين، لكن بعد تدفق الهجرة اليهودية الصهيونية من دول أوروبا تقلصت نسبتهم فأصبحوا أقلية (أقل من 10%) قبل سنة 1948، ولكن التحول في الاتجاه الآخر تم بعد قيام إسرائيل حيث شهدت الأراضي الفلسطينية هجرةً يهوديةً جماعيةً من البلاد العربية وإيران، إذ هاجر نحو (267) ألف يهودي شرقي خلال عام واحد، استطاعوا أن يشكّلوا نسبة 20% من سكان فلسطين المحتلة عام 1950م، وازداد عددهم بصورة سريعة، وشكّلوا في أوائل السبعينيات نحو نصف سكان إسرائيل اليهود<sup>(1)</sup>.

وبذلك يمكن أن تكون للخارطة الديمغرافية في إسرائيل قراءة بديلة، فاغلب سكان إسرائيل هم من العالم الثالث، أو على الأقل أصولهم من هناك، حيث يشكل الفلسطينيون عشرين في المائة من السكان، بينما يشكل الشرقيون خمسين في المائة أخرى من السكان. وهم أغلبية نسبية متنامية لارتفاع معدلات المواليد لديهم مقارنة بالأسكناز، خمسهم تقريبا من أصول إفريقية، غالبيتهم العظمى (83.9%) من أصولٍ عربيّة. أما اليهود القادمون من دول غرب آسيا فيشكلون حوالي 15 %، أكثر من نصفهم (58.8%) من أصولٍ عربيّة. وحسب هذه القراءة يكون أصل 70 % من السكان في اسرائيل من العالم الثالث (وتقريبا 90 % إذا أضفنا إليهم أهل الضفة الغربية وغزة)، بهذا المعنى تصبح الهيمنة الاشكنازية على إسرائيل عبارة عن سيطرة اقلية عديدة لها مصلحة في طمس "شرقية" الدولة<sup>(2)</sup>.

---

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، اليهود الشرقيون (السفارد) والنظام السياسي الإسرائيلي - موقع صيد الفوائد- (20/129).

(2) غانية ملحيس هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات ؟؟ 14-8-2016، موقع المجموعه 194-  
<http://group194.net/article/74683>

وبمراجعة الإحصاءات<sup>(1)</sup> ثبت أن التضخم الحقيقي في المجتمع الإسرائيلي يتم لحساب المواطن ذي الأصل العربي سواء كان يهوديًا أو غير يهودي بحيث يمكن القول بأنه بعد 25 عاما فإن الشريحة التي تستمد أصولها من مصادر عربية لن تمثل أقل من 80% من المجتمع الكلي، وهي تميل إلى التجاذب مع المنطقة العربية يستوى في هذا اليهودي العربي والعربي غير اليهودي، كما أن تدعيم العنصرية الصهيونية لا يمكن أن يكون إلا تدعيمًا لتقارب خفي بين اليهودي العربي والعربي غير اليهودي.

ولو أطلقنا النظرة المستقبلية لكان علينا أن نعترف بأنه يجب أن ندخل في الاعتبار احتمال زوال التفرقة بين اليهودي الشرقي واليهودي الغربي عندما يتم تجانس أساسه وحدة الميلاد على الأرض الفلسطينية ووحدة الانتماء إلى الدولة الإسرائيلية وانقطاع التفرقة بين الأصل العربي والأصل الشرقي، ولكن حتى في تلك اللحظة فإن السيادة الكمية لن تكون إلا لصالح العنصر الشرقي، فإذا أضفنا إلى ذلك أن التواجد المكاني أي عنصر الإقليم والمناخ السياسي لا بد أن يحدث إثارة فإن ذلك لن يكون له سوى نتيجة واحدة: سيطرة مفهوم الانتماء الإقليمي الشرق أوسطي، وهذا يعنى تقلص مفهوم الصهيونية<sup>(2)</sup>.

## مستقبل الاقتصاد الإسرائيلي

إن مستقبل الاقتصاد الإسرائيلي في العقود المقبلة سيتحدد بناء على مؤشرات أساسية، أولها: يتمثل في العلاقة الاقتصادية الحيوية والمتنامية مع الولايات المتحدة والتي أضحت من التشعب والقوة بحيث يصعب وضعها ضمن السياق المعتاد للعلاقات الدولية، والمؤشر الثاني: هو مستقبل صناعة السلاح التي أخذت تحتل موقعاً قيادياً فريداً في الاقتصاد الإسرائيلي. أما

---

(1) في بداية عام 2015، بلغ تعداد الشعب اليهودي في العالم نحو 14,3 مليون نسمة، وفق تعريف اقترته محكمة العدل العليا في إسرائيل لمن يعتبر يهودياً، من بين هؤلاء، 6,3 مليون يهودي يعيشون في إسرائيل ونحو 8 مليون يعيشون في الشتات: 5,7 مليون منهم في الولايات المتحدة، و2,3 مليون في بقية الدول. ويتوقع سيناريو متفائل للشعب اليهودي أن يتكاثر المجتمع اليهودي في إسرائيل إلى 8,5 مليون حتى العام 2030 و12,5 مليون في العام 2050. مع إضافة 2,5 مليون عربي في العام 2030 و3,5 مليون في 2050، ويتوقع أن يرتفع التعداد السكاني لليهود المتزمتين (الحريديم) بالتدريج ليشكلوا ثلث اليهود أجمعين - وكذلك نسبة الفلسطينيين العرب في إسرائيل ولكن بدرجة أقل. - راجع: الشعب اليهودي في 2050: توقعان مختلفان تماما - البروفيسور سيرجيو ديلا بيرغولا - يورونيوز 30/09/2015

(2) مستقبل إسرائيل، حامد ربيع.

المؤشر الثالث: لمستقبل الاقتصاد الإسرائيلي فهو المتعلق بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي الذي يكتسب في بلد مثل إسرائيل \_ فقير في موارده، سمة المورد الاقتصادي الأكثر أهمية، ومن المؤكد أنّ الشرق الأوسط، بعد السلام التعاقدية، سوف يشهد صراعاً جديداً حول التفوق التكنولوجي بدلاً من السعي للتفوق العسكري، حيث أنّ التكنولوجيا ستكون الطريق للسيطرة والقيام بدور مؤثر في المرحلة المقبلة. وفي كتابه (الشرق الأوسط الجديد) جعل شمعون بيريز كل المستقبل للدول الحضارية المنتجة، وقال إنه لا مكان للفقراء ولا للمتخلفين، والمستقبل لمن يواكب التصنيع وبناء حضارة الإنسان ولن يحسن استخدام الزراعة ويطورها تطويراً علمياً مع الاستفادة بالمياه رغم قلتها<sup>(1)</sup>.

وأخيراً فإن مستقبل الاقتصاد الإسرائيلي سيرتبط بوضوح بقدرة إسرائيل على كسر الحواجز التي تفصل بينها وبين الاقتصاد الإقليمي وتوسيع الثغرات التي فتحها في جدار العزلة حولها<sup>(2)</sup>، حيث المؤشرات الحالية تدل على توجه إسرائيل نحو توسيع علاقاتها مع الدول العربية بهدف تحقيق أقصى المكاسب بالدفع تجاه التطبيع العلي قبل السلام، مع التركيز على دول الخليج باعتبارها هدفاً اقتصادياً إسرائيلياً قديماً للاستفادة من أسواقها في تعظيم شأن الصناعة الإسرائيلية<sup>(3)</sup>، لذا فإن "المبادرة العربية للسلام والشراكة الأورومتوسطية، ومشروع الشرق الأوسط الكبير والجديد، تشكل المداخل الرئيسية والمتزامنة للبدء في مشروع تطوير الاقتصاد الإسرائيلي، في سعيه للانطلاق نحو موقع قيادة على المستوى الإقليمي يؤهله ليكون في مصاف الكبار من دول العالم، مما يوفر عوامل تأمين وجود إسرائيل كياناً طبيعياً في المنطقة"<sup>(4)</sup>.

فإسرائيل تسعى للتعاون الاقتصادي لأسباب كثيرة منها فتح أسواق الدول العربية أمام منتجاتها للتغلب على ضيق حجم السوق بها، كما ترغب في تحقيق التفوق الاقتصادي بما يضمن لها استمرار القوة العسكرية بإمكانيات ذاتية بعيداً عن المعونات الخارجية، حيث أن

---

(1) شمعون بيريز.. ومستقبل "إسرائيل" - حوارات أجراها روبرت ليتل، ترجمة محمد نجار، تقديم ناجح المعموري عبد الله خلف- صحيفة الوطن الكويتية -2،3،5 كانون الثاني (يناير) 2003.

(2) أسامة الغزالي حرب، مركز مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، دراسات الوحدة العربية - ط1 1987- ص219.

(3) ندوة " حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015م"-مركز دراسات الشرق الأوسط.

(4) رائد نعيرات، أفاق دور إسرائيل الإقليمي والدولي ندوة " حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى العام 2015م"-مركز دراسات الشرق الأوسط.

تحقيق السلام سيساهم في تطور الوضع الاقتصادي للجانبين، العربي والإسرائيلي، وسينعكس على الناتج الاجمالي للطرفين، حيث ستحقق إسرائيل قيمة أرباح من السلام في العشر سنوات القادمة 123 مليار دولار حتى عام 2024، وسيأتي ذلك من خلال زيادة الاستثمارات والتجارة والسياحة وتقليص للمصروفات الأمنية<sup>(1)</sup>.

فالنظام الشرق أوسطي الذي اقترحه بيرس ودعمته أمريكا، يكمن في جوهره التطبيع العربي الكامل مع إسرائيل، بدءاً من فتح الحدود أمام انتقال الأشخاص والسلع والخدمات حتى اندماج إسرائيل عضوياً في نسيج إقليمي جديد لا قومي، وتمثل فيه إسرائيل الموقع القيادي، والفكرة الحاكمة لكل مشروع الشرق الأوسط الجديد هي تلك بالضبط، أن يحل الاقتصاد محل السياسة<sup>(2)</sup>، وينظر منظرو الصهيونية والعولمة إلى المنطقة العربية، ويعملون من أجل اندماجها بالعولمة حيث تذوب الخصوصيات الحضارية على النحو الذي بشر به شمعون بيريز في كتابه الشرق الأوسط الجديد<sup>(3)</sup>، لذا فأن رفض إسرائيل لإقامة حدود بين دولتين منفصلتين على أرض فلسطين لتبقي الضفة الغربية وغزة في حال إتمام اتفاق السلام مع الدول المجاورة الجسد الرئيسي لتمرير المزيد من الصادرات الإسرائيلية الرئيسية، وعمدت إسرائيل إلى جعل المناطق المحتلة مصدراً للأيدي العاملة الرخيصة، وسوقاً استهلاكياً لمنتجاتها، في حين فرضت قيوداً على مختلف أوجه النشاط الاقتصادي<sup>(4)</sup>.

وبالنسبة لقضية المياه فإن تقسيم مياه الأنهار التي تجري في الأراضي السورية واللبنانية والأردنية سوف تكون أهم القضايا الساخنة في الفترة القادمة؛ لأن الدولة العبرية تسعى لتوقيع اتفاقيات سلام شامل مع سوريا ولبنان بالوصول إلى اتفاق يسمح لها بالحصول على نصيب كبير من المياه العربية، والتي تحتاج إليها إسرائيل من أجل نجاح خططها التنموية والبشرية والإنتاجية صناعياً وزراعياً<sup>(5)</sup>.

---

(1) الفلسطينيون والإسرائيليون سيجنون المليارات عند التوصل للسلام- 2015/06/08 - بيت لحم - معا.

(2) أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل - بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ص 158.

(3) عبد العزيز الخطابي، مستقبل الشرق الأوسط في ظل النظام العالمي الجديد، دنيا الوطن-

<http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/354794.html>

(4) نصر عبد الكريم، السيناريوهات الاقتصادية المتوقعة والخيارات المتاحة للسلطة الوطنية الفلسطينية، ص 287-المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية.

(5) بعد أن أصبح غولاً - الاقتصاد الإسرائيلي يتفوق على اقتصاد العرب- 14 أكتوبر اليمنية - العدد رقم : (13993) , الموافق 15 يناير 2008.

## مستقبل التركيبة السياسية والاجتماعية

إن عوامل التفجير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الكيان الصهيوني تتزايد في حالتي السلم والحرب، وجميع الأبحاث الميدانية التي نشرت من داخل الجامعات العبرية متفق على هذا الخصوص، على أن المجتمع الإسرائيلي يعاني من تفسخ اجتماعي وسياسي لا حدود له وهو يزداد بنسب واضحة مع استمرار عامل الزمن، هذا التفسخ سوف يتضخم مع حالة السلم، حيث ستفقد كثير من الأحزاب مبررات وجودها، وستكون مضطرة على تغيير ايدولوجيتها للتأقلم مع الواقع الجديد، فقد كان للخطاب السياسي العربي الرسمي المعتدل، وعملية السلام والاتفاقات التي انبثقت عنها من كامب ديفيد عام 1978 وحتى واي ريفر عام 1998- كان لها إسهامها في دفع التناقضات العرقية والدينية الكامنة في المجتمع إلى سطحه، فاتفاقات السلام اعطت الاسرائيليين شعوراً بالأمان وشجعتهم على الاسترخاء، ووجد منظروا الصهيونية من استغلال عقدة الخوف من العرب الذين "يسعون لتدمير دولة اسرائيل ورمي اليهود في البحر"<sup>(1)</sup>.

والتفسخ السياسي واضح من متابعة تطور الحياة السياسية. فالتشققات الدائمة في كافة الأحزاب ثم التنقلات من حزب إلى حزب تبعاً للأهواء الشخصية واستغلال المواقف لصالح الكبرياء الذاتي هو تعبير عن اختلال أصاب الجسد السياسي. أين إسرائيل في بداية الخمسينيات؟ أين القيادات العظمى كبن جوريون وجولدا مائير وهي التي تخضع اليوم لاحتمالات القيادة من شخصيات ممسوخة لا تعبر عن أي وزن كاريزماتي بالمعنى الحقيقي؟ هذا ناهيك عن الفساد والرشوة التي وصلت لرأس الهرم الحاكم في اسرائيل، وهذا يعني إن عصر الريادة قد اختفي من إسرائيل إلى غير رجعة<sup>(2)</sup>، والمستقبل يشير إلى زيادة في الانقسام الحزبي وغياب القيادات الكبرى، وزيادة دور الأحزاب الطائفية، وبالذات ذات الأصول الشرقية التي ستجد مصلحتها في الاندماج والتقارب من المحيط العربي، من أجل ضمان المستقبل.

## مستقبل التعدد الاثني للكيان الصهيوني

يعد التركيب البشري للكيان الصهيوني أحد المؤثرات الداخلية على دولة الاحتلال،

(1) ممدوح نوفل، شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب، في 15/6/1999.

(2) حامد ربيع، مستقبل إسرائيل.

”وتوضح دراسة ”إسرائيل من الداخل” العديد من الظواهر والمؤشرات، منها: شدة التفاعلات الجارية بين الطوائف بثقافتها المتباينة، إلى حد الحديث عن إمكانية نشوب ”حرب أهلية يهودية“: ”دينية” و”ثقافية“، حيث يعيش المجتمع أزمة هوية متنامية، وكفي أنه ما زال حائراً أمام سؤال: من هو اليهودي؟ وتبدو العلاقة بين مكوناته، علاقة صراع، سواء في حالة العلاقات العربية - اليهودية أم العلاقات بين المتدينين والعلمانيين، أم العلاقات بين اليهود الشرقيين والغربيين. فكلها صراعات ممتدة، تتضمن أبعاداً طبقية وثقافية - حضارية تضرب بجذورها في أسس البنيان الإسرائيلي، يضاف إلى ذلك أنه مجتمع يعيش تناقضاً متنامياً بين ظاهرتين بارزتين: تقدم متسارع في مجال العلوم والتقانة والاقتصاد، وتخلف متسارع في مستوى الفكر والحياة الاجتماعية الغارقة في الأساطير<sup>(1)</sup>.

وأية نظرة موضوعية فاحصة لتركيبية المجتمع الإسرائيلي تكشف أن انقساماته الدينية والعرقية ليست حديثة وإنما كانت كامنة تحت السطح منذ تأسيس دولة إسرائيل، وأن نجاح حكومات إسرائيل المتعاقبة ومفكروا الحركة الصهيونية في خلق انتماء وولاء موحد لدولة إسرائيل بين اليهود، لا يكفي لتغطية فشلهم في صهر انتماءاتهم العرقية والطائفية في بوتقة واحدة صلبة، ناهيك عن فشلهم في أسرلة عرب إسرائيل الذي ظلوا ينظرون لها دولة اغتصاب سلبت أرضهم وهجرت شعبيهم. وقد علق ”عيزا وايزمن“ على هذا الوضع بقوله: ”بعد خمسين عام على قيام إسرائيل ظل الشرقي شرقي والغربي غربي“<sup>(2)</sup>.

وبدلاً من أن يعمل إنشاء إسرائيل على تخليص اليهود من سمات المنفي السلبية، وتوفير الحياة الفاضلة لهم، بدت الدولة اليهودية ساحة صراع بين هذه المكونات ذات الخلفيات المتباينة، بحيث يتجلى أن المكان الطبيعي لكل هذه المكونات ليس إسرائيل، ولكن الأماكن الأصلية التي شُتلت منها. فاليهود المغاربة، مثلاً، ما زالوا مغاربة، والإثيوبيون ما زالوا إثيوبيين، والروس ما زالوا روساً، والأمريكيون والأوروبيون، وغيرهم. وهكذا، وبدرجات متفاوتة. ولذا تخشى إسرائيل من انفجار بركان التآلف الاجتماعي الهش في داخلها، فاليهود الإسرائيليين كل منهم ينكرو وجود الآخر ويتهمة بالخروج عن العقيدة الصحيحة<sup>(3)</sup>.

(1) نحو استراتيجية وخطة للصراع العربي-الصهيوني، مجدي حماد، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 31.

(2) ممدوح نوفل، شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب، 15/6/1999.

(3) علي حسين، إسرائيل من الداخل.. خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل- مركز الدراسات السياسية=

وفي ظل التسوية السلمية سنجد أن هذه العلاقات الصراعية الجديدة ستفاعل مع الواقع الجديد الذي سيفرض نفسه، وستكون مخرجات هذا التفاعل أما بزوال هذه الصراعات من خلال اندماجها في ثقافة شرقية. وأما بهجرة ورحيل الجماعات التي لن تستطيع مجاراة هذا التحول، وعلى كل الأحوال ستعزز مكانة الشرقيين في إسرائيل سواء عرب أم يهود حيث ستحدث تغيرات كبيرة لصالح اليهود الشرقيين الذين سوف يتمكنون من الاندماج بالمنطقة والاستفادة من الفرص التي سيتيحها السلام.

### تعزز مكانة فلسطينيو 48

بالرغم من أن العرب أو الفلسطينيين في إسرائيل، هم العنصر الطبيعي الوحيد في دولة شاذة اجتماعياً وحضارياً، فإنهم يبدون شاذين في هذا النسق الاستعماري الذي تمثله إسرائيل بحكم كونهم أقلية ذات طبيعة خاصة معادية، ونتيجة لهذا الوضع، أصبح عليهم إما أن يعلنوا رفضهم للدولة التي قامت على أنقاض مجتمعهم، ويتعرضون من ثم للنفي والقتل والمزيد من الإهمال والإذلال، وإما أن يعترفوا بهذه الدولة وكونهم جزءاً منها حتى ينالوا قسطاً من مواردها، بما يحفظ حياتهم، وبقاءهم في أرضهم. وقد اختار معظم أبناء الأقلية الفلسطينية في دولة الاحتلال أن يعترفوا بالدولة، وأن يخضعوا لقوانينها المفروضة، حتى يثبتوا أنهم لا يقلون ولاء لها من اليهود، وتثار في هذا الشأن مشكلات عديدة لعل أهمها مسألة تجنيدهم في الجيش كمعيار لولائهم للدولة، وهو ما يعني دخولهم في مواجهة مع إخوانهم من الفلسطينيين والعرب خارج إسرائيل.

ولكن في ظل التسوية السلمية فإن خدمتهم في الجيش لن تكون لها اية حساسية، وبالتالي سيتمكنون من المطالبة بكل قوة بحقوقهم كاملة وهذا سيدعم تجدرهم في الأرض وتأثيرهم في مستقبل إسرائيل، كما سيتمكن عرب 48 من الحصول على حقوقهم بسبب الدعم الذي سيلقوه من إخوانهم العرب الذين سيتمكنون من ممارسة الضغوط على إسرائيل بطريقة أكبر في ظل التسوية السلمية، كما أن سياسات القمع وهدم البيوت لن تستطيع إسرائيل القيام بها، في ظل وجود حدود مفتوحة وعلاقات متعددة مع العرب، وسيكون الحاق أذى بـ عرب 48 تهديداً خطيراً لها، وسينعكس سلباً على العلاقة مع اليهود حكومة وشعباً.

---

= بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية، اليوم- 4 يناير 2003 العدد 10795، ص 3 - <http://www.alyaum.com/article/1055400>

## التسوية السلمية وأثرها على ركائز المشروع الصهيوني

استعراضنا في السابق مبادئ الحركة الصهيونية كما أقرتها المؤتمرات الصهيونية، بدءاً من المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 في بازل، وتعرفنا على مدى تحقق هذه المبادئ على الأرض، ومدى النجاح والفشل، مدى التناقض الذي وقعت فيه النظرية الصهيونية، والمحاولات العديدة من مفكري الصهيونية لترقيع هذه المبادئ وتوقعاتهم للمستقبل والآن سنعرض لهذه المبادئ وما ستكون عليه في المستقبل في ظل التسوية السلمية:

### المبدأ الأول: القومية

فشل اليهود في تحقيق الفكرة القومية، حيث ان غالبيتهم تعيش خارج اسرائيل، كما أنّ اليهودية ديانة وليست قوميةً أو عرقاً، وأنها ديانة تبشيرية كغيرها من الديانات التوحيدية<sup>(1)</sup>. وفي ظل التسوية السلمية ستتعزز النظريات العلمية التي تؤكد حقيقة ان اليهود لا يمكن تصنيفهم تحت عرق موحد، بل أن الفكرة العرقية ستكون منبوذة، وهنا يتساءل الكاتب اليهودي "إسحق دويتشر": هل سنقبل الآن أن تكون الروابط العرقية هي الذي يصنع المتحد اليهودي؟ ألا يكون ذلك انتصاراً لهتلر وفلسفته الساقطة<sup>(2)</sup>؟ وبالنسبة للغة العبرية فإنه بالرغم من نجاح الحركة الصهيونية بإحيائها فقد بقيت لغة ضعيفةً، واليهود يتكلم كل منهم بلغة الدولة الأم التي هاجر منها مع أبناء أصله ويورثونها لأبنائهم، ومن المتوقع في ظل التسوية السلمية زيادة أهمية اللغة العربية، وازدهار اللغة العبرية الخاصة بالسفارديم، لاشتمالها على ألفاظ عربية كثيرة، وستزدهر الدراسات اللغوية التي ستحاول التقريب بين اللغتين العربية والعبرية باعتبارهما من اصل سامي.

### المبدأ الثاني: الحاجة لأرض "إسرائيل"

إن النجاحات التي حققتها الانتفاضة والمقاومة والحرب ضد إسرائيل تسببت في تراجع الفكر الصهيوني عن التوسع والعدوان الشامل، ودفعته للانكفاء على بناء جدران لا تمثل بعده الأيديولوجي، والانسحاب من قطاع غزة، وذلك لحماية كيانه ومجمعه، في ظل تراجع قدرته على الاحتفاظ بالأراضي المحتلة. وفي ظل التسوية السلمية سواء في حل الدولة الواحدة أو حل

(1) أنور محمود زناتي، يهود البلاد العربية، خيرية قاسمية، مركز دراسات الوحدة العربية - 2015 - ص 173.

(2) إسحق دويتشر، من هو اليهودي، ت: نجاة قصاب حسن. دار العروبة - سورية 1967.

الدولتين سيختفي مبدأ الحاجة إلى الأرض؛ لأن إسرائيل ستكون قد تحددت حدودها نهائياً، ولكن سيكون هناك صراع آخر على توزيع الأراضي الحكومية على المواطنين، وطريقة الاستفادة منها. وقراءه متأنية للواقع الجديد كقيلة بإبراز أن الثمن المطلوب سداده من إسرائيل انما يتمثل من الناحية العملية في التنازل عن أحد الأركان الرئيسية للصهيونية وهي فكرة أرض الميعاد.<sup>(1)</sup>

### المبدأ الثالث: رفض المنافي

هناك مبالغة في تقدير دور سبي بابل في تفرغ فلسطين من اليهود، فأغلب يهود فلسطين لم يغادروها مع السبي، ولم يكن دور الفرس في إعادتهم بعد السبي، سوى دوراً رمزياً اقتصر على إرساليات تحاول إعادة بناء الهيكل، وتجنيد الأموال لذلك<sup>(2)</sup>، ولذلك تفضل إسرائيل ومؤيدوها أن ننسى حقيقة معارضة معظم اليهود العميقة، قبل صعود النازيين، لمستقبل يصبحون فيه حبيسي فلسطين<sup>(3)</sup>، ولذا قرّرت الصهيونية أن مصيبة الذوبان في المجتمعات الكبيرة وحدث الأزمات التي عصفت باليهود سببها وجودهم في المنفى. والحل الوحيد هو خروج كامل من المنفى. ولكن وبعد مرور 70 سنة من قيام دولة إسرائيل ما زال ثلثا يهود العالم يعيشون خارج "إسرائيل"<sup>(4)</sup>. فمن بين الأربعة ملايين يهودي الذين غادروا أوروبا بين عام 1880 و1920، ذهب 100.000 فقط إلى فلسطين. ولذا قال الروائي الإسرائيلي إيه. بي. يوشع: "لو أن الحزب الصهيوني ترشح في انتخابات في بواكير القرن العشرين، فإنه ما كان سيحصل على أكثر من 6 أو 7% من أصوات الشعب اليهودي"<sup>(5)</sup>.

وفي ظل التسوية السلمية من المرجح أن تتحول إسرائيل كوطن روحي لليهود في العالم

---

(1) الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991-1013- هاني الكعير- جامعة الشرق الاوسط- 2012-2013-ص106.

(2) جبريل محمد، استعراض كتاب: أبراهام ليئون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، مجلة قضايا اسرائيلية-عدد 29-56 يناير 2015 ص114.

(3) جوناثان كوك عندما كان اليهود يرون إسرائيل وطناً معادياً للسامية، (ذا بالستين كرونيكل) - ترجمة: علاء الدين أبو زينة.

(4) عبدالوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل، الناشر: مؤسسة دار المعارف - القاهرة 2002 -عرض مصطفى عبد القادر.

(4) جوناثان كوك، عندما كان اليهود يرون إسرائيل وطناً معادياً للسامية.

بالطريقة التي دعا إليها المفكر اليهودي أحاد هاعام، مؤسس الصهيونية الروحية، كما ستزداد الهجرة المعاكسة لليهود الغربيون بالذات اللذين لا يستطيعوا التأقلم والاندماج في المنطقة، لذا فإنّ الهجرة من إسرائيل ينبغي أن تكون نقطة الارتكاز الأساسية لهزيمة الصهيونية، وهناك أمثلة على ذلك الطرح، حيث قام العديد من اليهود الإسرائيليين بهذه الخطوة المهمة لإنهاء وضعهم الظالم بوصفهم مستوطنين استعماريين.<sup>(1)</sup>

## المبدأ الرابع: العلمانية

إن التوزيع الإثني والعرقي للمجموعات السكانية الذي تمثله الأحزاب في إسرائيل تجعل من الممكن قراءة ومعرفة اتجاهات المستقبل في إسرائيل، ويبدو وفقاً للمعطيات أنها تتجه نحو دولة يمينية ثيوقراطية يحكمها الحاخامات ورجال الدين مما سيؤدي إلى حدوث تغييرات هامة في بنية الدولة وشكلها ومنظومة علاقتها. فنمو قوة الأحزاب الدينية وصعود شاس بقوة مؤثر على ازدياد حرارة الصراع الديني العلماني، وبات البعض يعتبره التناقض الداخلي الأخطر على مستقبل إسرائيل. ووضعت الأحزاب العلمانية وبخاصة ميرتس وشينوي، بشكل مكشوف، محاربة شاس مع الأحزاب الدينية الأخرى على رأس جدول أعمالها.<sup>(2)</sup>

وهذا الوضع ربما لن يستمر كما هو عليه الآن حيث سيواجه كلا الطرفين العلمانيين والمتدينين مأزق نتيجة للتسوية السلمية وتداعياتها. فالمتدينون سينخفض تأثيرهم نتيجة للتسوية التي ستعمل على لجم كثير من طموحاتهم واستفزازاتهم التي ستمس المسلمين والمسيحيين، وبذا لن يستطيعوا المغالاة في تدينهم وتطرفهم، لأنهم يجب أن يحترموا المحيط الذي يعيشون فيه. أما العلمانيون فإنهم وللحفاظ على الهوية وخشية الذوبان في البحر العربي المحيط فسيقومون بالمحافظة على مظاهر الالتزام الديني، وهذا يعنى اننا سنحصل على تركيبة جديدة من المتدينين والعلمانيين.

## المبدأ الخامس: الرغبة الذاتية والنشاط الذاتي

رفعت الصهيونية شعاراً أن تحقيق أهدافها لن يقوم به إلا الشعب اليهودي نفسه، ورغم بذل اليهود جهوداً ذاتية كبيرة إلا أنها فشلت في تحقيق هذا المبدأ كلياً فدولة إسرائيل لولا

(1) صدام العرب اليهود بالصهيونية، (قومش) ص33.

(2) ممدوح نوفل شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب، 15 / 6 / 1999.

المساعدات الخارجية من الولايات المتحدة وغيرها لما استطاعت الاستمرار الآن، وكل محاولات الاستقلال بالاعتماد على الذات فقط باءت وستبوء بالفشل. وفي ظل التسوية السلمية يمكن تحقيق هذا الشعار، فقط في ظل الدولة الواحدة، حيث تتحول إسرائيل إلى دولة طبيعة تعتمد على نفسها ومواردها المختلفة، لأن زوال التهديد سيقلص حجم الإنفاق العسكري، وستعزز مصادر الدخل القومي الأخرى أما في ظل حل الدولتين فستظل اسرائيل بحاجة للدعم بكافة أشكاله من دول عظمى، ولن تستطيع التخلي عن الإنفاق العسكري الضخم لتأمين الحدود.

### المبدأ السادس: الثقافة المشتركة وبناء شخصية اليهودي الجديد

فشلت الحركة الصهيونية في تحقيق ما سمي بـ "فرن الخلط" أي أن تذوب كل ثقافات المجتمعات الام، التي هاجر اليهود منها، في ثقافة واحدة هي الثقافة الصهيونية، وذلك للتمايزات الواضحة بين المهاجرين وخصوصاً بين الشرقيين والغربيين.<sup>(1)</sup> والفشل في هذا المجال يمثل فشلاً في تحقيق الصهيونية، فالحلم الصهيوني كان يطمح في تجمع إقليمي لليهود في فلسطين كشعب واحد - وليس لتجميع إقليمي لقبائل مختلفة، لا تلبث عند وصولها أن تتصارع مع بعضها البعض".<sup>(2)</sup> والمجتمع الإسرائيلي اليهودي اليوم عرضة لحالة كنتنونات ثقافية وسياسية، الأمر الذي سيزيد من حدة نزوع المجتمع نحو المركزية الإثنية والانغلاق الثقافي والسياسي والتخلي عن الالتزام بأي نوع من الخير العام أو عن أي مؤشر مشترك<sup>(3)</sup>.

وبالتأكيد فان هذا الوضع سيزداد في ظل التسوية السلمية، وستتجه الأمور إلى تشكيل هوية وثقافة جديدة تكون قريبه من هوية وثقافة المحيط الجغرافي، أي تشكيل هوية شرقية. ففي ظل الدولة ثنائية القومية سيكون عدد العرب مساوياً تقريباً لعدد اليهود، يضاف إلى ذلك أن اليهود أنفسهم ينقسمون إلى شرقيون وغربيون، وبالتالي ستكون الدولة الجديدة بها أكثر من 85% من العرب أو من أصول ذو ثقافة عربية. أما في حالة الدولة اليهودية فإن الغلبة ستكون للمكون الشرقي ايضاً المكون من عرب 48، واليهود العرب. وفي كل الأحوال لن تستطيع اسرائيل

(1) جلال رمانة، المشروع الصهيوني ... هل بات في خط؟، -المنتدى السياسي الإسلامي/ سجن هدرم الصهيوني.

(2) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل... محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(3) إيلان زئيف، جدلية الوطن والمنفى، ترجمة سلمان ناطور- الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

مدار، رام الله- ط1 2006- عرض/أحمد فياض.

التملص من انتمائها الجغرافي حيث سيصب كل ذلك في اتجاه بروز هوية شرقية اسرائيلية، ستجذب إليها مع الوقت باقي شرائح المجتمع الاسرائيلي.

## ازدهار التيارات المضادة للصهيونية

إن انهيار أو تزعزع ركائز الايديولوجية الصهيونية سيؤدي بالتأكيد الى بروز فكر جديد في اسرائيل ليحل محل الفكر الصهيوني الجامد والمتعصب الذي تبنى تأسى اسرائيل وخاض باسمها حروب عدة ضد الامه العربية والشعب الفلسطيني طوال العقود الماضية، وسيبرز هذا الفكر ويتعزز بسبب عدم مقدرة الفكر العنصري الصهيوني من تحقيق أهدافه بسبب انكشاف أكاذيبه التي روجها منذ تأسيس الصهيونية. فاختراع "قضية اللاجئين" اليهود من الدول العربية، وقبل ذلك اختراع ما يسمى "الشعب اليهودي" أو "شعب الله المختار" أو "الأمة" أو "القومية اليهودية"، واختراع "أرض الميعاد" ورزمة الأساطير والخرافات المؤسسة للكيان الصهيوني، هو دليل إفلاس الفكر السياسي "الإسرائيلي".<sup>(1)</sup>

ولذا فإن الفكر الجديد الذي سيرز ويتعزز في المستقبل سيكون نتاجاً لأفكار وتيارات عدة انتشرت في صفوف المفكرين اليهود قديماً وحديثاً مثل حركة مندلسون وتيار المؤرخون الجدد وتيار ما بعد الصهيونية والصهيونية الروحية وغيرها من التيارات والحركات التي عارضت الأفكار الصهيونية منذ البداية أو بعد انكشاف عنصريتها ولا انسانياتها. كما إن سياسة التمييز العنصري التي تمارسها الصهيونية في اسرائيل، قد أدت بالنتيجة إلى تحول بعض اليهود أنفسهم عن الصهيونية، ومن هؤلاء الكاتب "الفرد ليلنتال وإسرائيل شاحاك و نعوم تشومسكي" الذين بينوا من خلال مؤلفاتهم العديدة، الوجه العنصري للصهيونية.<sup>(2)</sup>

ففي القرن السابع عشر انتقد "اسبينوزا" العهد اليهودي المحافظ المادي الأحادي الطرف، المجاني غير المشروط ونادى بعهد آخر أخلاقي تبادلي مشروط نقلاً للديكارتية من المسيحية إلى اليهودية. ونقل "موسى مندلسون" الكانطية والفلسفة النقدية إلى اليهودية. بل أن بعض التيارات اليهودية المعاصرة مثل الظاهراتية الاشتراكية عند "بوبر" أو الوجودية اليهودية عند "روزنفيغ" تدعو إلى التحرر عن طريق تحرير الوجدان والذات والإنسان وليس عن طريق

(1) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل... محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(2) قضايا عالمية معاصرة، ماجد شددود، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتاب، جامعة دمشق 1989-1990،

الكيان الصهيوني<sup>(1)</sup>، وهكذا أدت حركة التنوير الأوروبية إلى انقسام اليهود إلى اتجاهات ثلاث: الأول: دعا إلى اندماجهم في المجتمع الأوروبي مع إمكانية تنصرهم، والثاني: ترافقت دعوته للاندماج مع المحافظة على التراث اليهودي الخاص، وعرف هذا الاتجاه بالإصلاحي أو التنويري والذي سعى إلى المواءمة بين أسلوب حياة وطقوس المسيحيين واليهود. والثالث: عبرت عنه الحركة الصهيونية ودعوتها لرحيل اليهود جميعاً إلى فلسطين.

### حركة التنوير اليهودية (ماندلسون)

بالعودة إلى حركات التنوير اليهودية فإننا نجد أن رائدها هو الفيلسوف مندلسون (1729-1786) الذي يأتي في مقدمة الذين يبرز عندهم المكوّن اليهودي، حيث عاصر وتأثر بالفيلسوف الألماني كانط، وعمل على تقريب المسافات وتخفيف حدة العداء بين المسيحية واليهودية، وحمل هموم اليهود في أوروبا ودعاهم للاندماج، وتبنى الفكر الليبرالي التنويري، ودعا إلى علمنة الحياة الثقافية والسياسية الأوروبية بفصل الدين عن الدولة، إلا أنه حصر العقلانية في أسس الدين اليهودي<sup>(2)</sup>، ودعا إلى اعتبار اليهودية ديانة توحيدية لا ترتبط بالقومية اليهودية ولا بأرض الميعاد، واعتبر اليهودية ديانة كونية (مفتوحة) لهداية الناس جميعاً. وبالتالي فإن إله اليهودي هو إله البشر جميعاً. ولذا دعا إلى دمج اليهود بمجتمعات ظهراهم وتحريرهم من سطوة الحاخامات وفصل الدين عن ما يسمى القومية اليهودية<sup>(3)</sup> والانتصار لنبذ فكرة الشعب المختار<sup>(4)</sup>

وتعتبر حركة ماندلسون حركة البعث بالنسبة لليهودية المعاصرة. بل إنها هي المؤسسة للتيار النقدي اليهودي وللمحاولات اليهودية لإخضاع المسلمات للعقل، وبذلك يمكن القول بأن حركة المؤرخين الجدد، هي تجليات لحركة ماندلسون التجديدية التي ضمنت لليهودية إمكانية التعايش مع العالم، بالتوفيق بين اليهودية والمسيحية، وذلك عن طريق التشديد على النقاط

(1) حسن حنفي الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي عدد 486 مايو 1999.

(2) سعد البازعي المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي - المغرب - ط 1 2007 - كتاب "المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية": سطوة المحددات الإثنية- الأربعاء 26 كانون الأول (ديسمبر) 2007، بقلم مروان عبد الرزاق.

(3) نادية سعد الدين مازق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، مجلة "المستقبل العربي"، العدد 424، يونيو 2014- مركز دراسات الوحدة العربية ص 26.

(4) يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظير جاهل) بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995 (ص 60 - 65).

المشتركة بينهما، لتقليص الجفاء بين اتباع الديانتين. ولم يكن التحديث ليكتمل بدون تبسيط الطقوس والعبادات اليهودية. وهكذا نشأت معابد يهودية حديثة تخالف طقوس المعابد الأرثوذكسية في نواح عديدة. ولكن لم يقدر لأفكاره النجاح الكامل بسبب اليهود الرافضين للدمج وقوانين فرضتها الدول نفسها، وهو ما سمح بظهور حركات مضادة، مثل اليهودية المحافظة واليهودية الأرثوذكسية<sup>(1)</sup>.

## المؤرخون الجدد

في بداية القرن التاسع عشر، بدأت الدراسة العلمية للتاريخ اليهودي، واتجهت بحوثه لدراسة العهد القديم، مع المتابعة النقدية للتفسيرات التي أعطيت له، فأدت الى تكوين "الموقف الجديد من التلمود". وبحسب هذا المنهج لم يعد من المقبول اعتبار الاسفار الخمسة (من أول العهد القديم) من الوحي، فقد بددت هذه الدراسات صفة الوحي عن العهد القديم وجعلت من التلمود كتاباً وضعياً، بعد أن كان يفوق الكتاب المقدس في أهميته لجهة التشريع. وهذا جعل المؤرخون اليهود الجدد يؤكدون على أن محتويات الكتاب المقدس والتلمود ملوثة بجملة خرافات يجب أن لا تترك لتدنيس عقول الناس، وتلازم ذلك مع تقديم قراءات تاريخية لا تتماشى مع الرواية الإسرائيلية المهيمنة، وشكل الخطاب ما بعد صهيوني، صفة قوية إلى الفكر السياسي الإسرائيلي المهيمن، مشعلاً حرباً فكرية ضروساً بين أقطاب متعددة من التيارات الفكرية الصهيونية، أدت الى زعزعة الركائز الأساسية للفكر الصهيوني المركزي.<sup>(2)</sup>

## ما بعد الصهيونية

في مؤشر على أزمة الصهيونية برز تعبير ما بعد الصهيونية وهو تعبير عن مدى عمق أزمة الأيديولوجية الصهيونية. وقد صاحب ظاهرة ما بعد الصهيونية ظاهرة المؤرخين الجدد الذين جعلوا همهم تقويض الأساطير الصهيونية.<sup>(3)</sup> وتيار ما بعد الصهيونية هو تيار فكري وأكاديمي

(1) الأيديولوجية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة العدد ٦٠، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢، ص ١١٧ - ١١٨.

(2) أمل جمال، الفكر الصهيوني في متاهات التجديد - جدلية التناقضات الداخلية وانعكاساتها العملية، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، 2016.

(3) عبد الوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل، الناشر: مؤسسة دار المعارف - القاهرة 2002 - عرض مصطفى عبد القادر.

يعتبر أن الصهيونية ماتت مع قيام مشروعها إسرائيل، ويعتبر قيامها جريمة أخلاقية وسياسية وقانونية، لأنها قامت على خرائب الشعب الفلسطيني. وهذا التيار يطالب بتصحيح الوضع بقيام دولة المواطنين أو دولة ثنائية القومية.

وهناك عدة مؤشرات شاهدة على تطور لمكونات ما بعد-الصهيونية في المجتمع الإسرائيلي، تتضمن تدهور الأحزاب الأيديولوجية وركود دور الأحزاب في السياسة، بروز دور سياسات-الهوية والأحزاب الطائفية، وانتشار المزاج الديمقراطي الغربي في إسرائيل، وتغلغل نمط حياة العصر الجديد، وتهديم الروح الصهيونية على يد قسم من المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتي السابق، وتنوع من رفض الثقافة الإسرائيلية، والعودة المثالية إلى يهودية الشتات (شعبية جديدة للغة البيدش والموسيقى العربية والعودة إلى الأسماء اليهودية التي عُبرنت في الماضي، ورحلات الجذور المقودة "بالحنين القومي إلى بولندا والمغرب")<sup>(1)</sup>.

وما بعد-الصهيونية هي تسليط للضوء على الهويات المتنوعة التي قُمعت تحت راية القومية. فالصهيونية بمثابة حالة غريبة، أما ما بعد-الصهيونية فيُنظر إليها كميل شرقي - توحد بشكل مثالي كلاً من العرب-الفلسطينيين واليهود ذوي الهويات الشرقية كما هو لدى يهودا شنهاف "تفاهم يهودي-عربي"<sup>(2)</sup> وفي المنظور ما بعد-الأيديولوجي، تُعتبر ما بعد الصهيونية عملية من التطبيع الثقافي، التي أنتت بشكل طبيعي بعد إنجاز أو تحقيق نجاحات في الأهداف النهائية للصهيونية، حيث اعتبرت الصهيونية هنا بمثابة سقالة البناء التي تُحال جانباً في أعقاب اكتمال المبنى. ومن هنا فإن التحول العميق الذي تشهده إسرائيل باتجاه لا صهيوني يمكن أن تذوب فيه إسرائيل بالفعل في محيطها - ليس العربي بالضرورة - ولكن العالمي، والذي يُعتبر التمسك بالصهيونية فيه ضرباً من الاستكبار عن الواقع.

## ازدهار الصهيونية الثقافية الروحانية

الصهيونية الروحية هي عبارة عن حركة صهيونية ثقافية رأت ان حل قضية اليهود، يكون من خلال التركيز على زرع المبادئ الأخلاقية والتركيز على نشر الثقافة والتراث اليهودي بين يهود العالم. حيث كان الأديب اليهودي أحاد هاعام منظرها الاول وأشهر دعائها، ورأى أن إقامة دولة

(1) أوري رام، دراسات ما بعد الصهيونية في إسرائيل: دائرة علم الاجتماع والإنسان، جامعة بن جوريون-نشرة "كنعان" الإلكترونية. السنة التاسعة. العدد 1812.

(2) المصدر نفسه

يهودية في فلسطين أمر صعب للغاية، ولهذا يجب التركيز أكثر على الناحية الثقافية والروحانية لليهود وتوحيدهم على هذا الأساس، ولذا قام بتأسيس حركة أبناء موسى التي عملت على نشر الثقافة اليهودية وقام بتأسيس صحف عبرية، واهتم باللغة العبرية ونشرها كلغة ثقافية لليهود. وانتقد أحاد هعام حركة محبي صهيون الذين ينحصر همهم في رؤية تلك المستوطنات القليلة والمهزلة، وكذلك أيضاً ينتقد الصهيونية العملية التي تعتمد على المعونات والصدقات ولم تهتم بالثقافة. ولهذا دعا أحاد هعام إلى إحياء الإنسان اليهودي وإلى تحسين قيمه التي لحق بها خلل نظرًا لوجوده في الشتات وفق تعبيره. وبرأيه، لا يمكن تحقيق يقظة قومية إلا بوجود مركز روحي للشعب اليهودي على "أرضه التاريخية" المشتركة لكل اليهود".<sup>(1)</sup>

ويمكن حصر الفروقات بين تيار الصهيونية الطلائعية العلمية وطروحاتها الاستعمارية الاستيطانية الاستعلائية وتيار الصهيونية الروحانية الثقافية في أن التيار الأول نهج طريقاً يؤدي إلى: دولة ذات أغلبية سكانية يهودية تعتمد سياسة إجماع سكاني، وتنتهج سياسة تمييز وقمع ضد مواطنيها العرب، دولة تعمل على إقامة جدار حديدي يحول دون أي إمكانية للتعايش والتفاهم، وتعتمد سياسة السيطرة والهيمنة على مقدرات العرب ومستقبلهم. دولة تضيء على العرب صورة شيطان رجيم وتقاوم أية إمكانية للتعاون والاعتراف بالآخر. أما التيار الثاني فدعا إلى التعايش والتفاهم واحترام الآخر ومنحه كافة حقوقه، وقد تطور تصور هذا التيار إلى الدعوة إلى عدم إقامة دولة يهودية، بل الدعوة إلى دولة ثنائية القومية يعيش تحت كنفها كلا الشعبين الفلسطيني واليهودي.<sup>(2)</sup>

## مارتن بوبر

يرى بوبر وهو فيلسوف يهودي نمساوي المولد، اشتهر بفلسفة الحوار، وقد انضم إلى المنظمة الصهيونية عند تأسيسها عام 1898 وعمل رئيساً لتحرير جريدة دي فيلت الناطقة بلسان الحركة الصهيونية. وبعد فترة قصيرة من التعاون مع هرتزل، اختلف الاثنان بسبب اختلاف منطلقاتهما الفلسفية حيث يرى بوبر أن العامل الوحيد الذي يبرر الصهيونية هو في

(1) المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، فلسطين، رام الله. موسوعة المصطلحات- احاد هعام- <http://www.madarcenter.org>

(2) فلسطين: ضحية وجلا دون - زهير عبد المجيد الفاموم- شمس للنشر والاعلام - الطبعة الثانية 2012 - ص586-385.

قيادتها عملية تجديد اليهودية من داخل إطار "الأمة العضوية" التي تتولى تفسير "الرابطة الانسانية" مع العرب ممن يعيشون على أرض اسرائيل. فالإنسانية ينبغي وضعها فوق الدولة، وعلى المرء أن لا ينسب القداسة إلى سياسات القوة. فالذات الإنسانية لا تصبح ذاتاً إنسانية إلا بعلاقتها وصلتها بالجموع البشرية. فأنا اعترف بك، وأنت، تالياً، تعترف بي. وعن هذه التبادلية تبدأ شراكة ما بالتشكل. فـ "مدينة الله" البورية ليس مقصوداً بها ثيوقراطية رجال دين، بل جماعة مبدئة تحكمها علاقات تبادل مطلق. فثيوقراطية رجال الدين، عنده، أبشع تجليات "مدينة الانسان"، وهي قطعاً لا تنتمي إلى "مدينة الله". وكان بوبر، شديد الدفاع عن "دولة ثنائية القومية، وكان استثنائياً بين أولئك الذين آمنوا بمثل هذه الدولة، وصولاً إلى إبداء استعداده للحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين في انتظار التوصل إلى ترتيب ما مع العرب.<sup>(1)</sup>

### زوال الصهيونية العنصرية

تعتمد الحركة الصهيونية لضمان بقائها واستمرار كيانها المصطنع (إسرائيل) على أساسها العنصري، القائم على الانغلاق العنصري، والتفوق العنصري، والتمييز العنصري، والدافع للانغلاق العنصري لدى اليهود يرجع إلى عامل مهم، هو اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، وكل ما عداهم من البشر أدنى منهم درجات، مما حدا بهم إلى العزلة عن غير اليهود.<sup>(2)</sup> تم جاءت الحركة الصهيونية واستخدمت الدين اليهودي لخدمة اهدافها ومنع اندماج اليهود في حياة المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، اعتقاداً منهم بأن الديانة اليهودية لا يمكن أن تزدهر إلا في الدولة اليهودية وأن قيام الدولة اليهودية هو المكان المناسب لممارسة الدين اليهودي<sup>(3)</sup> وذلك بهدف الوصول إلى أن إسرائيل هي الممثلة الشرعية ليهود العالم كلهم، وأن الحركة الصهيونية هي وسيلة لتقوية هذا الارتباط، واستغلاله.<sup>(4)</sup>

وإذا كان بدء عملية التسوية مع الفلسطينيين، أدي إلي طرح تساؤلات حول انتهاء دور

(1) صهاينة لا صهاينة: مارتن بوبر... الحسيدي - حازم صاغية 1998/7/8 جريدة الحياة- رقم العدد: 12909 الباب/ الصفحة: 16.

(2) ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، كلية العلوم السياسية- مجلة جامعة دمشق/ مج 19، ع2، 2003، اص368.

(3) روجيه غارودي، قضية إسرائيل، دراسة في الصهيونية السياسية، ترجمة نزيه الشوفي، المنارة، بيروت (1997 )، ص 70-73.

(4) ميشيل شيحة جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، 397 ص 395.

الحركة الصهيونية أو ما اصطلح علي تسميته بـ "ما بعد الصهيونية"<sup>(1)</sup>، فإن المستقبل يقول لنا أن الصهيونية بوصفها قوة فاعلة ومؤثرة هي عرضة للزوال باعتبارهما بقايا المتحجرات العرقية. حينذاك سيفهم العبرانيون بعد اندماج من هو مستعد وقادر على الاندماج في العالم العربي وثقافته العريقة بأن اليهودية في غضون الألفي سنة الأخيرة هي جزء من تاريخ التيه الإسرائيلي. وإن الصهيونية هي سراب سيناء وما وراءها فلسطين. ففي بداية ونهاية العهدين القديم والجديد وبوابة الانتماء الحقيقي لأصول المنطقة الثقافية التي شكل العرب قاعدتها وأساسها، إذ ليس للعبري التائه بالمعنى الثقافي والتاريخي، سوى العربي المقلوب والمهمة تقوم في أن يقف على قدميه كإنسان طبيعي<sup>(2)</sup>. فهماية الصهيونية تظهر كترامن محتمل مع اعتناق ونهضة اليهودية واستجابتها لرسالتها الأممية على طريق الرفض الذاتي والخلق أو الولادة الجديدة<sup>(3)</sup>.

وإذا كان بروز اليهود في الحضارة الغربية الحديثة، وتفاعلهم معها، لم يتم إلا بعد أن تمت علّمتهم وتخلوا عن أية هوية دينية يهودية، فإن ذلك كان على عكس النجاح الذي حققوه في إطار الحضارة العربية الإسلامية، إذ حققوه باعتبارهم يهوداً ذوي هوية دينية مستقلة<sup>(4)</sup> ومن المتوقع في ظل التسوية السلمية ان يشهد الفكر اليهودي نهضه جديده ستؤدى الى ضمور الفكر الصهيوني العنصري المتعصب، وعودة افكار عصر التنوير والانفتاح على الآخر. وتعكس رواية 'اليهودي الحالي' للشاعر والروائي اليميني علي المقري نموذجاً جديداً للشخصية اليهودية في الرواية العربية. هنا يحمل البطل سالم صفات بشرية لم نعتدها كثيراً في الرواية العربية التي تناولت اليهودي. سالم ليس شخصاً عدوانياً أو بخيلاً أو جشعاً أو غادراً أو لئيماً أو واشياً أو ناقضاً للعهود والمواثيق كما تظهر الصور النمطية عن اليهود في الأدب العربي الحديث. بالعكس، بطل 'اليهودي الحالي' جميل ومنفتح وغير متمسك بديانته وبريء إلى حدٍ كبير. طبعاً

---

(1) من بين أبرز الدراسات التي تناولت هذه القضية بجميع أبعادها الدراسة التي أعدها "ليئة كوهين" بعنوان "الصهيونية: معالم واتجاهات" وذلك ضمن مشروع استشراف مستقبل إسرائيل لعام 2020، ترجمه مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت 2005، وقد جاءت الدراسة في المجلد السادس ص 395 - ص 415.

(2) حسيب شحادة، أبراهام بورغ والانتصار على هتلر، الحوار المتمدن، العدد: 1954 - 2007-6-22 .

(3) إيلان زئيف جدلية الوطن والمنفى، ترجمة: سلمان ناطور- الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، رام الله- ط1 2006- عرض/أحمد فياض.

(4) عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية "معلمة الصحراء" الرباط، 1976م. ص:121.

هذا الرسم المغاير لبطل الرواية ليس ساذجاً، إذ لا تغفل الرواية الصراع التاريخي القائم ما بين المسلمين واليهود منذ نشوء الإسلام وبالعكس<sup>(1)</sup>.

---

(1) ناظم السيد، اليهودي الحالي' لليمني علي المقري- دار الساقي: التأريخ للهامش الذي أغفله التاريخ، القدس العربي، 2010/27/2.

## المبحث الرابع: واقع اليهود العرب في إسرائيل

مصطلح اليهود العرب يشير إلى يهود الوطن العربي أو اليهود المنحدرين من أصول عربية، حيث عاشوا في البلاد العربية كسكانٍ أصليين وليس كرعايا دولة، وتحدثوا العربية بطلاقة شأنهم شأن مسلمي العرب ومسيحيهم، وكانت علاقتهم طيبة مع باقي السكان، وانخرطوا في المجتمع وكان منهم الأغنياء والفقراء، وخرج منهم العمال والحرفيون والفنيون، وشاركوا في مختلف مجالات العمل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وحققوا نجاحاً واسعاً وجمعوا ثروات ضخمة، وكان منهم أعضاء في المجالس النيابية والمجامع اللغوية.

ويرى يهودا شنهاف أن اليهود القادمين من الدول العربية ورثوا عاداتهم وتقاليدهم من الحضارة العربية والإسلامية، فكتبوا أدبا باللغة العربية، ومنهم من حفظ القرآن، والشعر العربي، ومنهم من حمل أسماء عربية خالصة، وظلت ثقافتهم عربية حتى في أبسط تجلياتها<sup>(1)</sup> ويعتبر توظيف شنهاف لمصطلح اليهود العرب عن اعتراض أساسي إزاء ما كرسه الخطاب الصهيوني وما يزال من تضاد بين العرب واليهود عموماً،<sup>(2)</sup> وأحياناً، استُخدم مصطلح "اليهود العرب" لبيان أن الهوية اليهودية هي مسألة دين وليست انتماء عرقياً أو جنسية، لذا يختلف الصهاينة مع هذا الطرح، ولكن بعض نشطاء مزراحي (الشرقيون) يعرفون أنفسهم بأنهم من فئة العرب اليهود حتى وإن لم يولدوا في بلدان عربية؛ مع ملاحظة أن الكثير منهم قاموا بتبني هذه الهوية مثل سامي شالوم شطريت ونعيم جلعادي وإيلا شوحط<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين العرب خلال الحقبة الماضية بالدراسات التي تتعلق بإسرائيل واليهودية والصهيونية العالمية، إلا أنهم لم يوجهوا اهتمامهم نحو دراسة الطوائف اليهودية التي تعيش بين ظهرانيهم لمعرفة السبل التي سلكتها الصهيونية للتسلل بين صفوفهم وتجنيدهم<sup>(4)</sup>، فرغم كثرة المصادر التي تناولت أحوال اليهود العرب عشية النكبة وقيام إسرائيل،

(1) خيرية قاسمية يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015- ص 173.

(2) يهودا شنهاف، اليهود العرب قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية: ترجمة: ياسين السيد-الأحد، 03 تموز/يوليو 2016- مدار" رام الله: <http://www.madarcenter.org>.

(3) خيرية قاسمية يهود البلاد العربية، ص 173.

(4) سهام نصار اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950، بين المصرية واليهودية، العربي للنشر والتوزيع- ص 9.

إلا أن الملاحظ أنها تعاني من جملة من المشكلات مجتمعة أو مفردة، أبرزها أحادية الاتجاه، سواء في ذهابها إلى تبني وجهة النظر العربية القومية، المعادية للصهيونية، وتلك التي مالت للدمج بين اليهود والصهيونية على نحو تعميمي، أو الأخذ بوجهة نظر محسوبة على الاتجاه الصهيوني، أو الاقتصار على مذكرات وشهادات كتبها يهود عرب تركوا بلدانهم إلى فلسطين قبل النكبة، والتعامل معها كمسلمات دون تمحيص أو تفنيد رغم أنها تأتي متناقضة، كما إن الكثير من هذه الأبحاث تعامل مع الوجود اليهودي في البلدان العربية بشكل فصلهم عن محيطهم وبيئة وجودهم الطبيعية، فعزلت حراكهم وتوجهاتهم ومصائرهم عن الخلفية المادية والواقعية لوجودهم، سواء باعتبارهم عنصرًا غريبًا أجنبيًا في البيئات العربية، والتعامل معهم كوجود ديني بحت بمعزل عن الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذا الوجود<sup>(1)</sup>.

### تجربة اقتلاع اليهود العرب من أوطانهم

معلوم إن الفكرة الصهيونية لم تحصل على القبول لدى غالبية اليهود العرب، حيث جاءت هجرتهم إلى فلسطين تحت ضغط الحوادث الإرهابية التي نفذتها الصهيونية كما حدث في العراق ومصر، أو نتيجة لتأمر بعض الحكام والمسؤولين العرب مع المستعمر الأجنبي، ومن المعروف أن سياسة استيعاب اليهود الشرقيين عند بداية هجرتهم إلى الكيان الصهيوني أثرت كثيرًا في وضعهم المستقبلي، إذ عاش غالبيتهم في معابر أو في مستوطنات حدودية أو في منازل الفلسطينيين المهاجرين، وتم إقصاؤهم عن المراكز الثقافية والعلمية والاقتصادية والعسكرية ومراكز صنع القرار؛ ومن ثم أصبحت النخبة الأشكنازية هي المسيطرة على مجمل الحياة في الكيان الصهيوني<sup>(2)</sup>، وقد أخضع اليهود الشرقيون بمن فيهم يهود الدول العربية إلى عملية يمكن تسميتها عملية "محو للذاكرة" من أجل تسهيل دمجهم في مجتمعهم الجديد. وكان هؤلاء عقب وصولهم إلى "إسرائيل" ينقلون إلى مخيمات مؤقتة حيث تبدأ عملية "تأهيلهم القسري". وكل ما قدمته لهم الحكومة الإسرائيلية هو إلحاقهم بما يسعى أعمال الطوارئ، وهي أعمال شاقة مهينة، مثل العمل في خدمات الطرق من تعبيد ورصف، وتقطيع الأخشاب والصخور،

---

(1) أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ نظرة مكثفة على تاريخ اليهود الشرقيين في المنطقة العربية، ورد فعلهم تجاه الحركة الصهيونية- 1 أيلول 2014، مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية - برنامج دراسات إسرائيل ص 3-4.

(2) غانية ملحيس، هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات؟؟، مقالات - الأحد، 14 آب، 2016

وغيرها من الأعمال الجسدية الشاقة المرهقة، التي لا تمكنهم من العيش حياة كريمة<sup>(1)</sup>، فالدولة التي خضعت لسيطرة الأشكناز، استغلّت نقاط ضعف السفادريم وقامت بتجميعهم في الضواحي ووجهتهم نحو العمل الإنتاجي وحالت في البداية دون تعلّم أولادهم في المدارس الثانوية. ثم بعد ذلك وجّهتهم نحو مسار تعليمي متدنٍ ولم تثق بقدراتهم وكفاءاتهم، فضلاً عن احتقارها لثقافتهم<sup>(2)</sup>.

ففي إسرائيل ذاتها، وبعد أن أصبح الفلسطينيون لاجئين بين ليلة وضحاها، عاش المقتلوعون اليهود -العرب صدمتهم الخاصة بهم والتي كانت، بمعنى ما بمثابة صورة نيجاتييف لتجربة الاقتلاع والدمار التي حلت بالفلسطينيين، إذ أصبحوا بضربة واحدة لاجئين ضعاف يعوزهم كل شيء، بعد أن فقدوا أراضيهم وبيوتهم ونمط حياتهم، وبعد أن غدا كل ما كان يمت بصلة لماضيهم محتقراً، وأصبح يعتمد على منظومة جديدة تحمل مفاهيم معادية لكل ما يمثله الشرقيون، في هذا الواقع الجديد غدا عليهم الانصياع لإملاءات موظفين متغطرسين اعتبروهم "غبار بشر"، وكدسوهم داخل خيام اقيمت على عجل. الكثيرون منهم جُردوا من اسمائهم العربية "غير القابلة للفظ" وأعطوا أسماء يهودية أو عبرية، وأكرهوا على تعلم كيفية اللفظ السليم لأسمائهم العبرية، حسب اللفظ الأشكنازي.

فالشرقيون كانوا يهتمون بالتخلف والبدائية واللاعقلانية، والكسل والإحباط، لذلك فهم هامشيون، ومساهماتهم الاجتماعية والثقافية تناقض السمة "الأوروبية" لدولة إسرائيل، وعلى مدى السنين دعمت كتابات وخطب الصهاينة الأوروبيين الفكرة المشكوك في صحتها تاريخياً بأن "يهود الشرق" كانوا قبل تجمعهم في الكيان بصورة ما "خارج التاريخ، وحياتهم في الدول العربية تعتبر شاذة وغير سوية، وأنه ينظر إلى هجرتهم إلى إسرائيل كما لو كانت هي الحل المحتوم لهذا الشذوذ<sup>(3)</sup>، ولذا فقد عانى اليهود العرب ظروفاً مأساوية عند مجيئهم، وتم التعامل معهم كمواطنين من الدرجة الثانية، بسبب جذورهم الشرقية. قسم منهم خجل من الكشف عن جذوره العربية حتى لا يتعرض لتعامل مهين، مع ان عدداً منهم كانوا ميسوري

(1) مأمون كيوان يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مدلون وغرباء وليسوا لاجئين،

<http://www.wahdaislamya.org/issues/131/mkiwan.htm>

(2) أنور محمود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية، ص 184.

(3) يهودا شنهاف اليهود العرب قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية:

<http://www.madarcenter.org/>

الحال قبل قدومهم، لكنهم خسروا مكانتهم واحترامهم في اسرائيل، وبشكل خاص الذين قدموا من العراق والمغرب. فهؤلاء كانوا تجارًا ناجحين، اضافة الى كونهم مثقفين من الدرجة الاولى، بكل ما يتعلق باللغة العربية، ثقافتها وحضارتها<sup>(1)</sup>.

وهكذا بدأت عملية سحق وتدمير كبرياء عريق وثقة بالنفس ونتاج يهود الشرق الجماعي، كان هذا أشبه بالتجربة الأفرو أمريكية من لحظة اختطاف الأفارقة من أفريقيا وتحميلهم على السفن التي قادتهم إلى امريكا كعبيد، لقد اختفت تحت ظاهر الانتقال الطوعي للشرقيين الذي صُوّر كعودة من المنفى، منظومة متطورة من الاكراه، فقد أكره اليهود الشرقيون الذين جاءوا الى اسرائيل على قمع انتمائهم وحنينهم الى الفضاء الجغرافي الذي جاءوا منه، ولأن الكثيرين منهم فقدوا جنسيتهم السابقة، فإن ظروف الحياة القاسية والاعتماد على المؤسسة الإسرائيلية جعلت الهجرة من إسرائيل شبه مستحيلة. وهذه العناصر مجتمعة لا تسمح لنا أن نتحدث عن الشرقيين ك" قادمين" أو حتى كمهاجرين، إنما كمن وقعوا في فخ ظرفي اسفرن واقعهم الجديد في اسرائيل واصطنع لهم هوية جديدة، هوية الشرقيين. وهكذا لم تكن موجات الهجرة الجماعية لليهود السفارديين إلى أرض الميعاد، كما يحلو لهم أن يصفوها، إلا عملية انتحار جماعي لأبناء هذه الطوائف، فقدوا خلالها كل نفيس وغال، عندما تحطمت آمالهم وأحلامهم على صخرة الواقع الإسرائيلي المرير.

### عملية ادماجهم في المجتمع الاسرائيلي

تنسب أغلب الدراسات الاجتماعية للمشكلة العرقية في اسرائيل، المكانة المتدنية للسفردي والمزراحي، ليس إلى التكوين الطبقي والعرقى للمجتمع الصهيوني، ولكن إلى أصول السفردي في المجتمعات قبل الحديثة. لذا فقد واجهت سياسة الاستيعاب ودمج المجموعات المهاجرة صعوبات كثيرة في دمج اليهود الشرقيين. ولغرض تجاوز القضية دأبت الدولة العبرية على (الثقيف) بمعنى إكساب الثقافة الإسرائيلية لأبناء الطبقات الفقيرة من الأصل الشرقي، وهذا يعني تبني ثقافة إسرائيلية موحدة تركز على المبنى الاجتماعي والتعليم الغربي<sup>(2)</sup>.

وقد رأت الحركة الصهيونية أن التخلص من ثقافة اليهودي الشرقي وأسرلته أمر ضروري

(1) العراقيون والمغاربة محاربون أشاوس للدفاع عن الجذور- الناصرة: ابتهاج زبيدات- /04,06/10.

(2) ناصر أبو عون، اليهود الشرقيون (السفارديم)- الصراع الثقافي وأثاره المستقبلية، نيسان 29، 2003.

لعملية اندماجه في المجتمع الإسرائيلي. واستهدفت هذه العملية اجتثاث شرقية هذا اليهودي. ويوجي الخطاب السائد لدى صناع السياسة والباحثين الصهيينة بأن اليهود الأفارقة والآسيويين يأتون من مجتمعات بدائية ومتخلفة وسابقة للحديثة وبالتالي تحتاج إلى التحديث. فيهود المزراحي، في خطاب التحديث الصهيوني، متأخرين ليس فقط اقتصاديا ولكن أيضا ثقافيا، ويفترض هذا المعنى أن التاريخ الحديث السفرادي يبدأ مع مجيئهم إلى الكيان، وبدقة أكثر مع عمليات "البساط السحري لعللي بابا" ويوجي اقتباس هذه الأسماء من "ألف ليلة وليلة" بالسذاجة التكنولوجية المفترضة لدى السفرادي الذين بدت لهم الطائرات الحديثة كبسط سحرية تنقلهم إلى أرض الميعاد<sup>(1)</sup>.

وقد طلب من السفارديم التأقلم في المجتمع (الاشكنازي) القائم الذي استوعبهم، والتخلص من أسلوب حياتهم وعاداتهم التقليدية السلبية ومن النماذج الحضارية المتخلفة. ويزعم الخطاب الصهيوني أنه أنقذ اليهود السفرادي من الحكم الظالم لآسريهم العرب وأخرجهم من أحوال بدائية من الفقر والخرافة وأدخلهم برفق في مجتمع غربي حديث يتسم بالتسامح والديمقراطية والقيم الإنسانية، وهي قيم لم يعرفوها من قبل، ولذا فقد عنت كل من العودة إلى التاريخ والعودة إلى الأرض، محور تاريخ ووجود من يسكنون في هذه الأرض، علاوة على ذلك، تطلب هذا التوجه إزاحة اليهود من تواريخهم المحلية المتعددة التي عاشوها في المنفى، من أجل جمعهم في رواية واحدة مشتركة، منفصلة ومتميزة عن غيرها<sup>(2)</sup>.

وهكذا تميز اللقاء بين الصهيونية وبين اليهود الشرقيين منذ بدايته بتداخل المنطقين القومي والكولونيالي فيه. ومن أجل شمل اليهود العرب في "المشروع القومي" كان على هؤلاء المرور في سيرة إلغاء لعروبته، وكان عليهم التعرض لعملية "تطهير اليهودي العربي من عروبته"<sup>(3)</sup>. بأحاديث عن العصرية والتقدم والتحديث. لكن الذي هدّد القومية الصهيونية لم يكن "تخلّف" أو "تقاليد" اليهود الشرقيين وإنما عروبته المشدّد عليها من قبلهم هم أنفسهم.

---

(1) إيللا شوحات، إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني، ترجمة: علي عبد العزيز- نقلا المركز الفلسطيني للإعلام.

(2) أمنون راز، المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في "العودة إلى التاريخ" كفكرة صهيونية، كركوت سكين-ترجمة رجا زعبي-قضايا إسرائيلية العدد 54 - أغسطس 2014 - ص 77.

(3) يهودا شنهاف، "اليهود العرب - قومية، دين وإثنية"" - إصدار: "عام عوفيد" (تل أبيب) 2003 - تلخيص: المشهد الإسرائيلي - التاريخ: 2004/5/7م.

فإنّ الماضي العربي ليهود الشرق هدّد بأن يمسّ وحدة صف الأمة الإسرائيلية المتجانسة ظاهرياً وأن يموّه الخط الفاصل الضروري (سياسياً) بين اليهود والعرب<sup>(1)</sup>.

ويمكننا القول إن الصهيونية فشلت في جعل إسرائيل بوتقة واحدة تنصهر فيها جميع الاثنيات والهويات اليهودية لتصبح هوية يهودية واحدة؛ حيث يعاني المجتمع الإسرائيلي من أزمة هوية، فلا يوجد في إسرائيل اتفاق حول إجابة السؤال التالي: من هو اليهودي؟<sup>(2)</sup> ويرى نزيه بريك أن الذي أثر سلباً في عدم قدرة اليهود الشرقيين على الاندماج هو أن انضمامهم واستيعابهم داخل المجتمع الصهيوني كان يرافقه الإنكار والاحتقار لقيمهم الثقافية والاجتماعية، مشيراً إلى أن مكانة اليهود الشرقيين في السلم الاجتماعي تعكس استمرار التباين والتفرقة، وهذا ما أدى إلى تفاقم الشعور بالاضطهاد والمهانة والإحباط والغربة.<sup>(3)</sup>

### أوضاع اليهود العرب داخل الكيان الصهيوني

يشكل اليهود العرب أكثر من ثلثي اليهود في إسرائيل، ولكن اليهود الغربيين (الشكناز)، يستأثرون بالنفوذ السياسي والاقتصادي والفرص في المجتمع والدولة، برغم أنهم ليسوا في الحقيقة إسرائيليين، ولكنهم ينتمون إلى شعب الخزر الذي اعتنق اليهودية في القرن التاسع الميلادي<sup>(4)</sup>، ويرجع تقسيم اليهود إلى "اشكنازيين" و"سفارديين" إلى الأصل الذي جاءوا منه. فاشكناز هي الكلمة العبرية لألمانية والاشكنازي هو اليهودي الذي انحدر من أصل ألماني. ثم توسع استعمالها وأخذ يعني اليهودي الذي أصله من أوروبا شمالها أو شرقها أو وسطها، أما سفاراد فتعني بالعبرية إسبانية وكانت سفارادي تطلق في الأصل على اليهود الذين انحدروا من الجاليات اليهودية التي طردت من إسبانية والبرتغال بأعداد كبيرة إثر محاكم التفتيش فيها.<sup>(5)</sup>

---

(1) رواية اليهود الشرقيين/ أنطوان شلح سامي شالوم شطريت "النضال الشرقي في إسرائيل، 1948-2003". إصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله، تشرين الثاني/ نوفمبر 2005. الترجمة إلى العربية: سعيد عيّاش.

(2) فهد العتيبي، في سيكولوجيا المجتمع الإسرائيلي: اليهود الغربيون والشرقيون استشرقا داخل استشرقا، جريدة الجزيرة السعودية - <http://www.al-jazirah.com/2007/20071025/ar9.htm>.

(3) قضايا إسرائيلية، انعكاس الفكر الصهيوني على وضع الفئات الإثنية في إسرائيل، نزيه بريك (السنة 3، العدد 9) شتاء 2003، ص 75.

(4) اليهود العرب بقلم إبراهيم غرابية- 2007-9-22.

(5) هلدا شعبان صايغ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل، دراسات فلسطينية 85 عام 1971، ص 17-18.

ورغم ارتفاع نسبة اليهود العرب في المجتمع الصهيوني فإن أوضاعهم في تدهور مستمر نظرا لتحكم الأشكناز في مختلف شرايين الكيان المصطنع، مما جعل 20% فقط من المجتمع الصهيوني تستولي على نسبة 60% من الدخل القومي، و95% من العاطلين عن العمل هم من اليهود الشرقيين. وينظر الأشكناز إلى اليهود العرب على أنهم همج وفلاّحون أو عمّال بسطاء من غير ذوي الثقافة، أتوا من مجتمعات بدائية ومتخلفة<sup>(1)</sup> ومساهماتهم الاجتماعية والثقافية تناقض السمة الأوروبية. والأشكناز يرون في اليهود الشرقيين تهديداً لمشروع الرجل الأبيض، ويخافون منهم وينظرون إليهم على أنهم يمثلون جزءاً من طبوغرافيا الشرق الأوسط ولغته وثقافته وتاريخه. وهم بذلك لا يجب أن يكونوا جزءاً من دولة إسرائيل التي ينظر إليها على أنها دولة غربية.<sup>(2)</sup>

### أشكال التمييز ضد اليهود العرب

هناك شرخ في المجتمع الإسرائيلي بين اليهود الشرقيين والأشكناز<sup>(3)</sup>، وثمة معطيات كثيرة تشهد على حالة التمييز والتمييز التي يتعرض لها الشرقيون في المجتمع الإسرائيلي، فقد كانت ردود الفعل لدى الأشكنازيم، ومنذ وصول السفارديم تعكس نظرة الاستعلاء والازدراء تجاه السفارديم، وإن الأشكنازيم كمباردين لفكرة إقامة الدولة اليهودية وحاملين لها، فرضوا ادعاءهم بأن لهم الحق بمطالبة السفارديم بالتأقلم في المجتمع (الأشكنازي) القائم الذي استوعبهم، بما معناه التخلص من أسلوب حياتهم وعاداتهم التقليدية "السلبية" ومن النماذج الحضارية المتخلفة. والقمع الهائل، الذي يتعرض له المزراحييم والمزراحيات، يتجلى في كلّ الحقول: في التربية، والإسكان، وتوزيع الأراضي، وسوق العمل، والتمثيل السياسي، والتمثيل الثقافي.<sup>(4)</sup>

(1) إيلا شوحات، إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني

<<http://palestine-info.com/arabic/shoonalkaian/internal/shohat.htm>>.

(2) فهد العتيبي، سيكولوجيا المجتمع الإسرائيلي: اليهود الغربيون والشرقيون استشرقا داخل استشرقا -

<http://www.aljazeera.com/2007/20071025/ar9.htm>

(3) توجد في إسرائيل شروط وسياقات اجتماعية تسمح للانقسامات الاجتماعية بالتطور إلى مستوى التصدع الاجتماعي. للمزيد عنها، انظر: عبد القادر عبد العالي، التصدعات الاجتماعية وتأثيرها في النظام الحزبي

الإسرائيلي، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٨٩) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠.

(4) أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواد أيلول 2014- المركز العربي للدراسات الاجتماعية - مدى الكرمل ص3.

1- التمييز الاقتصادي: تبين المعطيات أن السفارديم يتمركزون في المراتب السفلى من الهرم المهني، بينما الإشكنازيم يحتلون المراتب العليا. وعلى الرغم من أساطير المساواة فإن النمو الاقتصادي السريع للكيان الصهيوني في الخمسينيات والستينيات قد تم على أساس من توزيع المزايا بأسلوب غير منصف بحق اليهود الشرقيين، مفترضاً أن الأشكينازي، الذين وصفوا أنفسهم "بملح الأرض"، يستحقون ظروفًا أفضل وامتيازات خاصة، بينما وضع النظام الفردي في قاع لا مستقبل له.

وقد ترك اليهود الغربيون الحكم قبل نحو 20 عامًا، واستولوا على الشركات الخاصة المهمة، وأعطوا اليهود الشرقيين (من أمثال رامي ليفي) أن يبيع السلع الغذائية وصناعة الاحذية، فيما اليهود الغربيون أخذوا البورصة وشركات الدواء والصناعات الثقيلة وسمحوا للشرقيين والروس أن يعملوا سجانين في مصلحة السجون ونواطير على أبراج الحراسة في معسكرات الجيش. فاسرائيل تمزق نفسها الآن بين الهوية والمال. ولا عجب أن معظم الوزراء ورؤساء الوزراء يجري التحقيق معهم بتهمة الفساد، فكبرى الشركات التي يملكها اليهود الأشكنازيم تقوم برشوة الوزراء والمدراء السفارديم لخدمة مصالحهم<sup>(1)</sup>.

2- التمييز في السكن: كانت مسألة إسكان المهاجرين اليهود من أصعب الأمور التي واجهتها إسرائيل عقب قيامها، وتظهر الفجوة في مجال السكن، في مؤشرات عدة ففي سنة 1992 كانت الكثافة السكانية لدى مواليد آسيا وأفريقيا 1.11 فرد للغرفة في مقابل 0.91 لدى مواليد أوروبا وأمريكا، والأحياء الفقيرة في المدن تعتبر بؤراً لسخط أبناء الطوائف الشرقية؛ لأنها تقع بالقرب من الضواحي الغنية والجميلة التي تستوعب المهاجرين الغربيين الجدد. والمهاجرين الجدد القادمين من الغرب يحصلون على مساكن حكومية فور وصولهم، في حين أن يهود المغرب مثلاً ما زالوا يعيشون في الأحياء الفقيرة منذ سنوات. وفي ظروف السكن المريحة فقد كانت نسبتها تساوي 52.7% لدى الغربيين مقابل: 35.3% من الشرقيين<sup>(2)</sup> والمدن والأحياء الفقيرة ما زال سكانها من السفارد وهي تعاني من البطالة. فنسبة البطالة في مدينة يوروحام في النقب (سفارد) حوالي 12.5% أي حوالي أربعة أضعاف نظيرتها في تل أبيب (إشكناز) وهي 3.5%.

(1) ناصر اللحام، الأشكنازيم والسفارديم.. الخلفاء والخلفاء، وكالة معا- 2017/10/24.

(2) أودي أيب وآخرون، اليهود الشرقيون في إسرائيل، الطبعة الأولى: 2003 -مركز دراسات الوحدة العربية عرض/ إبراهيم غرابية- في الجزيرة نت.

3- التمييز في التعليم: واجه أبناء المهاجرين من اليهود الشرقيين صعوبات كبيرة في الاندماج مع المنهج التعليمي الإسرائيلي الذي يعتمد الطرق والمعايير الأوروبية. وفيما يتعلق بنسبة الطلاب الشرقيين إلى الغربيين وعددهم فتؤكد الأرقام حجم الفارق الهائل لصالح الغربيين، وكل المعطيات تشير إلى استمرارية الفجوة، بل ربما إلى استحالة تجاوزها، لأنها محصلة تباين طبقي وتمييز متأصل.<sup>(1)</sup> ويبلغ عدد الطلاب في الجامعات من السفارد 25% فقط من المجموع العام، ونسبة من يحمل شهادة الدكتوراه من السفارد هي 18% مقابل 82% للإشكناز.<sup>(2)</sup> وعلى الصعيد الثقافي فأن من النادر أن تُمنح جائزة إسرائيل في فروع المعرفة لأي سفاردي، ففي عام 1997 مُنحت الجوائز لـ 15 شخصاً ليس بينهم سفاردي واحد.<sup>(3)</sup>

4- التمييز في العمل: تظهر وثائق نشرت في الثمانينيات أن التفرقة كانت سياسة محسوبة ميزت المهاجرين الأوروبيين عمداً، مما أدى إلى خلق أوضاع شاذة عمل فيها يهود سفاردي متعلمون كعمال، بينما احتل يهود أشكينازي أقل تعلمًا مناصب إدارية عالية. كما أن النظام التعليمي المؤسس على التفرقة، يؤدي إلى تقسيم العمل على أسس عنصرية من خلال نظام يقوم بتوجيه التلامذة الأشكينازي نحو المناصب الإدارية المهمة، بينما يوجه التلامذة المزراحي نحو الوظائف اليدوية ذات المكانة الأقل.<sup>(4)</sup> وفي دراسة نشرها د. شلومو سيرسكي يقول: "في إسرائيل توزيع العمل على أساس طبقي، فالبرجوازية الإسرائيلية أشكنازية، بينما البروليتاريا اليهودية في إسرائيل شرقية. فإسرائيل تعيش انقسامًا عميقاً يأخذ مساقات مختلفة، وهي في جوهرها ربما كانت أكثر دول العالم بعداً عن المساواة وتماهياً في آليات التمييز العنصري بين سكانها<sup>(5)</sup>، والأرقام الصادرة عن تقرير العنصرية الخاص بعام 2013 تؤكد ارتفاع نسبة العنصرية داخل إسرائيل، هي الأعلى منذ نشأة الكيان<sup>(6)</sup>."

(1) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل... محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/131/mkiwan.htm>

(2) موسوعة المسيري- اليهود الشرقيون (السفارد) والنظام السياسي الإسرائيلي.

(3) أودي أديب وآخرون، اليهود الشرقيون في إسرائيل، ط1، 2003 -مركز دراسات الوحدة العربية عرض/ إبراهيم غرابية- في الجزيرة نت.

(4) ميشيل شيحة، جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، مجلة جامعة دمشق، مج 19، ع 2، 2003، ص 415

(5) احمد مصطفى جابر، اليهود الشرقيون في اسرائيل جدل الضحية والجلاد: دراسات استراتيجية 92.

(6) تقرير العنصرية ٢٠١٣ - موقع الائتلاف المناهضة العنصرية في إسرائيل - ٢١ مارس انظر

<<http://www.fightracism.org/ar/Article.asp?aid=397>>

5- التمييز في الدخل: إن راتب اليهودي الشرقي أقل 20% من راتب اليهودي الغربي حسب تقرير بنك إسرائيل في عام 1969<sup>(1)</sup> وفي عام 2012 تبين أن متوسط الدخل الشهري لدى الأجيرين المدنيين الأشكناز، مواليد إسرائيل، أكثر ب 42% من متوسط الدخل العام لدى الأجيرين اليهود الشرقيين<sup>(2)</sup>، وفي العام 1965 كان دخل الأسرة من السفارديم الجيل الأول يساوي 72% من دخل الأسرة الأشكنازية من الجيل نفسه، وارتفع العام 1977 ليساوي 81%<sup>(3)</sup>.

6- التمييز الاجتماعي: تعمدت الدولة تشتيت المهاجرين الشرقيين، واستخدمتهم يداً عاملة رخيصة في قطاع الزراعة والصناعة، حيث كانوا يقومون بالأعمال الدنيا وينالون أجوراً أدنى وعانوا على مر سنوات طويلة تهميشاً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً وتخلّفاً وتردياً اقتصادياً<sup>(4)</sup>، وكل هذا قاد إلى تقليل تمثيل اليهود الشرقيين في مراكز القوى، ويُعتقد أن الاضطهاد الذي مورس على الشرقيين، أسقط شعار وأسطورة "الشعب الواحد". وغدا الحديث عن المساواة وتكافؤ الفرص، خداع وليس له أية مصداقية على أرض الواقع، حيث أن للزواج في المجتمع الإسرائيلي طابعاً إثنيّاً متجانساً. ففي حين كانت نسبة الزواج المختلط بين الأشكنازيم والسفارديم عام (1955) 11.8%، فقد وصلت عام (1985) إلى 23%. وتشير الدراسات إلى ارتفاع درجة الاختلاط بين المهاجرين اليهود الذين ينتمون إلى نفس البلد، وانخفاضها بين اليهود الذين ينتمون إلى بلاد مختلفة<sup>(5)</sup>.

ومن كل ما تقدم يخطئ من يعتقد بأن المجتمع الإسرائيلي يمثل وحدة متماسكة ومتناغمة من الداخل؛ حيث يعاني هذا المجتمع من الكثير من الانقسامات سواء على مستوى اللغة أو الأثنيات أو الدين، واليهود الشرقيون ليسوا مجموعة متجانسة، ولذلك فإن استجابتهم وردود أفعالهم تجاه

---

(1) اليهود العرب في إسرائيل... كذبة الديمقراطية منقول عن صحيفة عكاظ السعودية -www.safsaf.org- 20/06/2006 عرب 48.

(2) الاتفاق الاقتصادي الإسرائيلي - الفلسطيني، ومعانيه الاقتصادية: بروتوكول باريس، ٣٩ (أفرام لافي) في الاقتصاد) نشرة أسبوعية مترجمة عن الصحف الإسرائيلية، مؤسسة في - القدس (٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣).

(3) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين..

<http://www.wahdaislamyia.org/issues/131/mkiwan.htm>

(4) اليهود الشرقيون والمكان - إيرز صفدية وأورن يفتاحيل (العدد ٤) خريف ٢٠٠١، ص ٤٥ - قضايا إسرائيلية، مركز مدار، رام الله.

(5) يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مذلون وغرباء وليسوا لاجئين- بقلم: مأمون كيوان -مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الحادية عشر. العدد 130. (ذو القعدة. ذو الحجة 1433 هـ) تشرين أول. أكتوبر. 2012 م. - تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان.

السياسات الأشكنازية المهيمنة كانت متفاوتة، فاليهود العراقيون والمصريون والسوريون كانوا أكثر ميلاً للاندماج في المجتمع الإسرائيلي، وكان المغاربة واليمنيون يميلون أكثر إلى التمسك بهويتهم الطائفية<sup>(1)</sup>، وكل ما تقدم يؤكد أن موقف اليهود الشرقيين في ظل التسوية السلمية، سيكون إيجابياً، وسيعمل على تحول إسرائيل إلى دولة شرقية مندمجة مع محيطها العربي.

## الاحتجاج الشرقي في إسرائيل

لم يستمر مشروع التحديث الصهيوني دون مقاومة من اليهود المزراحي، وظهر السفارد في الحياة السياسية الإسرائيلية في الخمسينيات حين قاموا بالمظاهرات والاحتجاجات ذات الطابع السلمي، ولكنها في السبعينيات اتسمت بشيء من العنف، ففي المعسكرات المؤقتة في الخمسينيات قامت مظاهرات "الخبز والوظائف، وفي حيفا وقعت انتفاضة "وادي صليب" المشهورة عام 1959، بين اليهود المغاربة والشرطة الإسرائيلية استمرت أربعة أيام وامتدت إلى عدة مدن إسرائيلية. واندلعت حركة تمرد كبيرة أخرى في السبعينيات وتكونت حركة الفهود السود في 1971 كجماعة سياسية قامت بتنظيم عدد من المظاهرات للمطالبة بتحسين أوضاع اليهود الشرقيين قبل أن تسعى لدخول الكنيست بالتحالف مع بعض الأحزاب منذ 1973<sup>(2)</sup>، وقد انتهت هذه الحركة عندما بدأ المجتمع الصهيوني في الرد على بعض مطالبهم، وتكمن أهميتها في أنها لفتت الأنظار إلى مخاطر الفجوة الطائفية في الكيان الصهيوني، حيث جاء أول منشور صدر عن الفهود السود في 2/3/1971: "كفي بطالة، كفي لنوم عشرة في كل غرفة، كفي أن نرى بيوتاً تبنى للمهاجرين الجدد"<sup>(3)</sup>.

وبالرغم من هذه الاحتجاجات إلا أن إسرائيل لا تزال محكومة بـ"وجهة النظر الحديدية" التي أرساها موشيه ديان منذ أواخر الستينيات والتي لا يمكن بمقتضاها رفع الراية الاجتماعية طالما كانت الراية الأمنية مرفوعة. والنتيجة المطلوب استخلاصها هي أن الاحتجاج الاجتماعي في إسرائيل، هو واحد من النضالات المؤجلة. وإن "كل إنسان عاقل يدرك أنه في اليوم الذي ينتهي فيه الاحتلال والقمع ضد الفلسطينيين ستنفجر الأسئلة الاجتماعية والمدنية في إسرائيل"<sup>(4)</sup>.

---

(1) اليهود الشرقيون في إسرائيل- المؤلف: أودي أديب وآخرون- الطبعة: الأولى 2003- الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية عرض/ إبراهيم غرابية- الجزيرة نت.

(2) صعود اليهود الشرقيين في المشهد الإسرائيلي- بيسان عدوان- صحيفة الوطن السعودية 2006/1/24.

(3) مأمون كيوان، يهود الدول العربية في إسرائيل.. محتلون مدلون وغرباء وليسوا لاجئين.

(4) رواية اليهود الشرقيين/ أنطوان شلح سامي شالوم شطريت "النضال الشرقي في إسرائيل، 1948- 2003"=

دفع البعض إلى التأكيد على ضرورة قيام الحرب دائماً، لذلك يعتقد الإسرائيليون أن النزاع الاسرائيلي العربي يمكن أن تكون له وظيفة توحيدية لكونه نزاعاً يمس الوجود<sup>(1)</sup>

والصراع بين اليهود الغربيين وبين اليهود الشرقيين، أخذ مؤخراً منحى حاداً، يؤثر ويقرر في تكوين إسرائيل ذاتها، فاليهود الشرقيين واليهود العرب ويهود فلسطين، تعرّضوا للإهانة والاحتلال من جانب الحركة الصهيونية الغربية التي استخدمتهم واعتدت على عاداتهم وتقاليدهم ودينهم ومصالحهم الاقتصادية إلى أبعد حد، وما يحدث اليوم في إسرائيل، صحوة متأخرة لليهود الشرقيين، لكنها محتومة، ولن يستطيع أحد منع هذا التناقض من الظهور، إذ أن الإعلام الإسرائيلي ومؤسسات الجيش والكنيسة لم تستطع جميعها أن تواصل تخدير اليهود الشرقيين إلى الأبد، وكتاب (1967: البلاد بدلت وجهها) للمؤرخ توم سيغف يبحث الحياة في إسرائيل قبيل حرب 1967 والتمييز الذي واجهه السفارديم لصالح الأشكينا، وكيف تسلسل الخوف للأوساط الرسمية من احتمال مغادرة السفارديم إسرائيل بحثاً عن مكان جديد يعيشون فيه بمساواة<sup>(2)</sup>.

### الاتجاهات السياسية لليهود الشرقيين

شهدت إسرائيل منذ تأسيسها ثلاث مراحل سياسية حسب نتائج الانتخابات، فقد سيطر حزب العمل على الحياة السياسية منذ قيام دولة إسرائيل حتى العام 1977، ثم انتقلت السلطة إلى حزب الليكود، وظلت الحياة السياسية حتى العام 1996 تقودها كتلتان كبيرتان بقيادة الليكود والعمل، وتميزت المرحلة الثالثة بعدم وجود أحزاب كبرى، ما يدل على انقسام سياسي حاد في المجتمع الإسرائيلي، بينت عودة الإسرائيليين بقوة لجذورهم الدينية والعرقية والطائفية، وأظهرت إسرائيل كمجتمع فسيفسائي يتكون من مجموعات غير متجانسة لم تتخلى عن انتمائها السابق، حيث لم يعد بمقدور الحزبين الكبارين معا تشكيل حكومة وحدة وطنية

---

= إصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله، تشرين الثاني/ نوفمبر 2005. الترجمة إلى العربية سعيد عياش.

(1) اليهود العرب في اسرائيل... كذبة الديمقراطية منقول عن صحيفة عكاظ السعودية- [www.safsaf.org](http://www.safsaf.org) 20/06/2006 عرب48

(2) 1967 البلاد بدلت وجهها- توم سيغف، جريدة البيان، 19/4/2006، عرض ومناقشة: مركز جنين للدراسات الاستراتيجية.

تحظى بأغلبية الكنيست دون الاستعانة بالأحزاب الصغيرة، وهنا بدأت هيمنة السياسة الطائفية في إسرائيل، وبرزت الأحزاب الطائفية مثل شاس، وبدأ الشرقيون يحتلون مناصب مهمة ويشاركون في السلطة ويؤثرون في الأحزاب<sup>(1)</sup>.

وحيث أقيم حزب الليكود وحمل على عاتقه صراع الطبقات الضعيفة والعمال الشرقيين مع المشاكل اليومية، قام بسهولة بجرف أصوات الشرقيين، الذين أحسوا لأول مرة أن هنالك أدنا صاغية لأمانيتهم، وتمثيلاً ملائماً لهم في الكنيست، حيث كان التصويت لليكود قبل أي شيء اعتراضاً على كل سنوات السيطرة الأشكنازية وإقصائها. فقد تجاهل حزب العمل ونكّل واستهتر بأبناء الجاليات الشرقية<sup>(2)</sup>. ولهذا فإن مناحيم بيغن زعيم الليكود وفي سعيه للفوز بالانتخابات، جند نفسه مدافعاً عن اليهود المظلومين المفلدين الذين ينظر إليهم اخوانهم باحتقار، وعرف حيروت نفسه على أنه حزب الفقراء المفلدين<sup>(3)</sup>، وكان انتخاب السفارد لحزب الليكود وإيصاله إلى السلطة لأول مرة أحد أشكال الاحتجاج المهمة، لأن حزب العمل هو حزب الإشكناز بامتياز. وقد وصل الاحتجاج ذروته في الثمانينيات وهي الفترة التي تأسس فيها حزب شاس، حيث تصاعدت قوته الانتخابية وحصل على 10 مقاعد في انتخابات عام 1996<sup>(4)</sup>.

### نشأة "شاس" نجاحات متتالية في زمن قياسي

ظهرت حركة "شاس" في عام 1984، نتيجة للانشقاق عن حزب "أغودات إسرائيل" الديني المتطرف، حيث لم يكن المحرك المباشر لذلك الانشقاق سياسياً أو دينياً بحتاً، بقدر ما جاء تعبيراً عن الشعور بالغبين والإجحاف الاجتماعي الكبير الواقع على طوائف اليهود الشرقيين الذين حرموا من تبوؤ أية مواقع مؤثرة في الهيئات والمراكز القيادية الفاعلة، في الأحزاب الاسرائيلية، أو في مؤسسات وأجهزة الحكم والتي خضعت كلها لهيمنة واستحواذ النخبة الأشكنازية. ولم يكن خافياً أن "شاس"، تمثل حركة سياسية اجتماعية، حسمت مسألة هويتها كممثل لليهود الشرقيين، حيث ان هذا الحزب ليس حزباً سياسياً فحسب، ولكنه أيضاً إطار

(1) صعود اليهود الشرقيين في المشهد الإسرائيلي- بيسان عدوان- صحيفة الوطن السعودية 2006/1/24.

(2) لماذا اليهود العرب أكثر كرهًا للعرب؟-هداس هروش سبتمبر 2014، <http://www.al-masdar.net>.

(3) مذكرات مناحيم بيغن-اريك سيلفر- اعداد الحسيني الحسيني معدي - دار الخلود للتراث ط1 2013-ص264.

(4) موسوعة المسيري- اليهود الشرقيون (السفارد) والنظام السياسي الإسرائيلي.

ثقافي تقليدي يعبر عن الشعور بالاغتراب، والغضب والاحتجاج على أجهزة الدولة الإسرائيلية التي تخلت عنهم<sup>(1)</sup>.

وقد ظهرت هذه الحركة تحت التأثير الروحي للحاخام "عوفاديا يوسف"، الذي رفع شعار "إعادة الفخار والمجد والقوة للهوية الشرقية"، وقرر إقامة قائمة خاصة باليهود الشرقيين، وفازت (شاس) بأربعة مقاعد في الانتخابات شغلها يهود عرب، وانضمت (شاس) إلى الحكومة وحصلت على وزارة الداخلية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت شاس عنصرًا مهمًا في السياسة الصهيونية تعلن رفضها لسيطرة النخبة الأشكنازية، ساعيةً إلى بعث الهوية الثقافية الإثنية لليهود الشرقيين من خلال مكافحة التمييز العنصري في المجتمع الصهيوني ضدّهم.

وما من شك في أن شاس يشكل ظاهرة خاصة في المجتمع الإسرائيلي، فهو حزب يعادي اليهودية الإصلاحية، ويسعى إلى سيطرة الحاخامات المتزمتين على الحياة السياسية في إسرائيل. أعضاؤه في معظمهم يهود عرب فقراء، قدموا من شمال إفريقيا ينظر لهم أغلبية اليهود الغربيين باحتقار ويعتبروهم متخلفين حضاريا وثقافيا. لا يشاركون باقي المجتمع الإسرائيلي مفاهيمهم القومية ويعتبرون أنفسهم إقلية وسط المجتمع العلماني، ولا يشعرون بعقدة التفوق العرقي على العرب بقدر ما يشعرون بتمييز عرقي تجاههم، وقد اشتد العدا بين شاس والعلمانيين، وصار يشكل معضلة لهم. وزاد القلق منه في أوساط العلمانيين، ورجال القضاء والقانون إذ يبدي شاس عداً مباشراً وصريحاً للنظام الديمقراطي في إسرائيل، ويبدي استهتاراً علنيًا بنظام القضاء في إسرائيل. ولا يعترف بدولة القانون، ويدعو إلى اعتماد قوانين الشريعة اليهودية وأحكام رجال الدين بدلا من القوانين الوضعية، ويصفه بعض العلمانيين دولة داخل الدولة أكثر منها حركة سياسية<sup>(2)</sup>.

ومما لا شك فيه أن عزوف "شاس" عن الانشغال في قضايا السياسة الخارجية وتركيزها على القضايا الاجتماعية، المتعلقة بتحسين ظروف معيشة طوائف اليهود الشرقيين، من خلال سعيها الدائم لزيادة وتخصيص الميزانيات لصالح الطوائف الشرقية، وإقامة مشروعات خيرية، ومؤسسات تعليم وثقافة مجانية تهتم بتدشنة الشبيبة المنحدرة من أصول شرقية، قد ساعد

(1) أودي أديب وآخرون اليهود الشرقيون في إسرائيل- المؤلف، ط1، 2003-مركز دراسات الوحدة العربية عرض/ إبراهيم غرايبة- في الجزيرة نت.

(2)مدوح نوفل، شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب.

الحركة كثيراً في ما أبدته من مرونة واستعداد دائمين للدخول في تحالفات وائتلافات حكومية ذات برامج سياسية متناقضة، طالما ضمن ذلك تلبية مطالب "شاس" المتعلقة بالبعد الاجتماعي وتوفير المخصصات المالية التي تحتاجها<sup>(1)</sup>، ونتيجة للدور الذي تؤديه حركة "شاس". ارتسمت في أذهان الكثير من اليهود الشرقيين بكونها بديلاً لحزبي "الليكود" و"المفدال"، وأصبحت عملياً صمّام تنفيس النضال الشرقي، من جهة بقدر ما أصبحت إسفنجة امتصاص الاحتجاج الاجتماعي<sup>(2)</sup>.

### تهميش ثقافة اليهود العرب لدفعهم للتخلي عن شريقتهم

حاولت المؤسسة الصهيونية منذ لقاءها الأول مع يهود فلسطينيين، أن تقضي على هويتها الشرقية، بتمهيش تاريخهم في المناهج الدراسية وبتجاهل وسائل الإعلام الإنتاج الثقافي للمزراحي ونشاطاتهم. فقد صور الخطاب الصهيوني، حسب إدوارد سعيد، ثقافة السفدي قبل الصهيونية باعتبارها ساكنة وسلبية، مثل أرض فلسطين البور، ترقد منتظرة التدفق المخصب للحيوية الأوروبية، وبينما مثل الآباء المؤسسين الصهيونية فلسطين كأرض خالية تنتظر تغيير العمل اليهودي لها، صوروا اليهود العرب كأنيّة سلبية تنتظر روح الصهيونية الباعثة لتشكّلها<sup>(3)</sup>.

وفي كتابه اليهود العرب قراءة ما بعد كولونيالية يكشف يهودا شنهاف أن المندوبين الصهيونيين سعوا لتعزيز البعد الديني بين اليهود العرب من أجل "تطهيرهم" من عربيتهم، ما أسس لنتائج عكسية في فترة الدولة، حيث أدت المحاولات الرامية إلى بناء هوية إسرائيلية لليهود العرب من خلال قمع هويتهم العربية، إلى التمسك أكثر فأكثر بهذه الهوية<sup>(4)</sup>، يقول شنهاف: إن جدته كانت متدينة لكن ثقافتها ولغتها عربية، ولم تنكر ثقافتها حتى مماتها، ولكن الصهيونية العلمانية شجعت وسعت إلى إسباغ السمة الدينية على اليهود العرب، قبل وصولهم إلى إسرائيل، لكنّ الصورة تبدّلت بعد أن حطّوا رحالهم في إسرائيل، إذ سعت إلى اقتلاع أيّ

(1) شاس - حزب لكل حكومة المحرر: سعيد عياش التاريخ: ذاكرة "المشهد" 2004/24/10.

(2) رواية اليهود الشرقيين/ أنطوان شلح سامي شالوم شطريت "النضال الشرقي في إسرائيل، 1948-2003". إصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله، تشرين الثاني/ نوفمبر 2005. الترجمة إلى العربية: سعيد عياش.

(3) إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني

(4) يهودا شنهاف اليهود العرب قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإنسية: -

روح دينية واستقامة قبلية وعبق شرقي يكتنفهم مقابل علمنتهم، وحاولت المؤسسة الاشكنازية أن تهمش ثقافة الشرقيين العرب، والتعامل مع الهوية الشرقية كهوية نقيضة للاشكنازية.<sup>(1)</sup>

ومن الواضح أن اليهودي السفردى يمثل كيانا مشكلا أمام الهيمنة الصهيونية. ويهدد "الاختلاف" الشرقي للمزراحي حلم الصهيوني الأوروبي بصنع امتداد لأوروبا "في" وليس "من" الشرق الأوسط، وكان الاختلاف الثقافي السفردى يمثل مشكلة خاصة للصهيونية العلمانية التي بنت زعمها بتمثيل شعب يهودي واحد ليس فقط على خلفية دينية مشتركة ولكن أيضاً على قومية مشتركة. ومثلت الروابط التاريخية والثقافية القوية بين السفردى والعالم العربي، وهي أقوى في بعض الجوانب من روابطهم بالأشكنازي، تهديدا لمفهوم أمة متجانسة.<sup>(2)</sup>

وفي مواجهة خشية تعدي الشرق على الغرب، حاولت المؤسسة الصهيونية قمع الهوية الشرقية لليهودي السفردى كجزء من جهد يرمي إلى وضع حدود واضحة للهوية، لليهود كغربيين، والعرب كشرقيين. وبصورة دائمة وصمت صفة العربية والشرقية كشر يتعين اجتثائه، مما خلق موقفاً يحث اليهود العرب لأول مرة في التاريخ على رؤية ترادف بين اليهودية والعنصرية، وتضاد بين اليهودية والعربية. وقد دفعوا للاختيار بين هوية عربية مضادة للصهيونية وهوية يهودية موالية للصهيونية. وإذ ميزت دولة الكيان الصهيوني الشرق "الشرير" (العربي المسلم) من الشرق "الخير" (العربي اليهودي)، فقد تعهدت بأن تخلص اليهود العرب من "خطيتهم الأولى"، وهي الانتماء للشرق.<sup>(3)</sup>

وقد نشأت وترسخت قواعد تفكير لدى القادة الأشكناز للمشروع الصهيوني قوامها أن على المهاجرين القادمين من البلدان العربية والإسلامية التخلي عن خصوصياتهم الثقافية من أجل المساهمة في بناء الهوية الجديدة، التي ارتأت أن تكون ذات صبغة غربية خالصة. من هنا فإن القيادة الأشكنازية فرضت ظروف الاندماج وشروطه على الشرقيين. وجعلته أكثر صعوبة، ولم تتعامل مع السفاديم كما لو كانوا جزءاً من الأمة<sup>(4)</sup>، واخضعوا إلى عملية محو للذاكرة من أجل

---

(1) يهودا شنهاف "اليهود العرب - قومية، دين وإثنية" - إصدار: "عام عوفيد" (تل أبيب) 2003 - تلخيص: المشهد الإسرائيلي - التاريخ: 2004/5/7.

(2) إيللا شوحات إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني،

(3) المصدر نفسه.

(4) ليف جرينبرغ، اليسار الإشكنازي: فحص ما بعد الوفاة، (ربيع 2004)، ص 26، قضايا إسرائيلية، السنة 4، العدد 14.

تسهيل دمجهم في مجتمعهم الجديد، وصار المدافعون عن الميول الغربية للهوية الإسرائيلية المخترعة يتفجّعون خوفاً من خطر تشرّق وتمشّق المجتمع الإسرائيلي.

فالخطاب الصهيوني الذي تربي على أحضان مركزية أوروبا، يصفي ويغربل تاريخ شعوب آسيا وأفريقيا، واليهود من ضمنهم، ويتركهم بلا أي تعبير ثقافي ومسلوبي الحضارة، وفي تلك الحالات النادرة التي يلتفت فيها النقاش الأدبي إلى كتّاب شرقيين وإلى ابداعاتهم يتم التستر على عربيّتهم. حتى مفكري العصر الذهبي في اسبانيا مثل الرامبام ويهودا هليفي وابن جبيرول فلا تتم دراستهم إلا في سياق الفقه اليهودي. أما انتماؤهم لثقافة وأدب إسبانيا العربية وعلاقتهم التاريخية والفلسفية بالإسلام فيتم تهميشها، ويتضح التحريم المفروض على عربية تاريخ السفردى وثقافتهم، في الهجمات الأكاديمية والإعلامية الصهيونية ضد المثقفين المزراحي الذين يرفضون تعريف أنفسهم بأنهم مجرد صهيانية، والذين يجراؤون بتأكيد عربيّتهم علناً<sup>(1)</sup>.

وفي نواح كثيرة كانت الصهيونية خدعة ثقافية ضخمة مورست ضد السفرديم، ومذبحة ثقافية ذات أبعاد شاسعة، لكي يتم خلال جيل أو اثنين محو حضارة شرقية تمتد جذورها آلاف السنين وتتمتع بالوحدة حتى في تنوعها، وكان هناك ارتباط حميم بين العملية التاريخية لتجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم وأراضيهم وحقوقهم القومية والسياسية، والعملية التي أدت إلى تجريد اليهود العرب من ممتلكاتهم وأراضيهم في البلدان العربية<sup>(2)</sup>.

## القادة الصهيانية والخوف من اليهود الشرقيين

يمكن أن نعثر في الخطابات والكتابات على شهادات تكشف الكيفية التي نشر فيها زعماء الصهيونية فكرة أن اليهود الشرقيين قبل جمعهم في إسرائيل كانوا، بشكل من الأشكال، خارج التاريخ. فرئيس الوزراء دافيد بن جوريون وصف المهاجرين من البلاد العربية والإسلامية بأنهم "عديمو الثقافة" وتعوزهم حتى "معرفة الالف باء"، و"بدون أية تربية يهودية او انسانية".

---

(1) إيللا شوحات، إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني- الكاتب اليهودي - ترجمة: علي عبد العزيز- قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة- المركز الفلسطيني للإعلام- <<http://palestine.info.com/arabic/shoonalkaian/internal/shohat.htm>>.

(2) إن اليهود السفردى وقد وقعوا في شرك موقف لا خروج منه، قد منعوا من تغذية ذكريات الانتماء ولو جزئياً إلى البلاد التي هاجروا منها. فالفكرة السائدة عن "شعب واحد" أعيد توحيده على أرضه العريقة تمنع كلية أي ذكريات عاطفية عن الحياة السابقة لدولة الكيان الصهيوني.

ووصف اليهود المغاربة في إحدى لجان الكنيست بأنهم "همجيين" وقارن يهود الشرق بالسود الذين أخذوا إلى أمريكا كعبيد. وكان بن جوريون يشكك من حين لآخر بالقدرة الروحية ليهود البلاد الشرقية وبصلاحية يهوديتهم. ففي مقالة بعنوان "مجد اسرائيل" نُشرت في الحولية الحكومية، نأح رئيس الحكومة في حينه على أن "الروح القدس فارقت يهود الشرق"، بينما مَجد يهود أوروبا؛ لأنهم وقفوا خلال مئات السنين الأخيرة على رأس الشعب من ناحية كمية ومن ناحية نوعية. وأضاف: "لا نريد أن يصبح الإسرائيليون عربًا. من واجبنا أن نقاتل ضد روح الشرق التي تفسد الأفراد والمجتمعات، وأن نحافظ على القيم اليهودية الحقيقية كما تبلورت في الشتات"<sup>(1)</sup>.

وقد عزز القادة الاسرائيليون، على مر الأعوام، هذه الآراء المسبقة ضد العرب وضد يهود الشرق، وأضافوا عليها شرعية مؤسسية. فوصفتهم غولدا مئير بأنهم قادمون من "زمن آخر" ليس متطورا، فقالت: أن يهود السفردى قد أتوا من زمن آخر أقل تقدماً .. هل سنستطيع أن نرفع هؤلاء المهاجرين إلى مستوى حضاري مناسب؟<sup>(2)</sup> أما أبا ايان، وزير خارجية إسرائيل الأسبق، فيقول: بعيداً عن القول إن المهاجرين اليهود الشرقيين يشكلون جسراً للتعامل مع العالم المتحدث باللغة العربية، سيبقى من واجبنا حقن هؤلاء اليهود بالروح الغربية بدل أن نسمح لهم بجرنا إلى شرقية غير اعتيادية<sup>(3)</sup>، وفي سنة 1964 نشر كلمان كتسنلسون كتابه الذي يتسم بالعنصرية الصريحة "الثورة الاشكنازية" واعرّض فيه على الاستيعاب الخطر لأعداد كبيرة من اليهود السفارديين في إسرائيل، وادعى أن يهود الشرق يعانون من انحطاط جوهري جيني غير قابل للعلاج، وعبر عن خشيته من تلوّث العرق الاشكنازي عن طريق الزواج المختلط.

وكتب الصحفي اريي جليلوم في مقال عام 1949 عن اليهود السفردى في فترة الهجرة الجماعية: نحن نتعامل مع أشخاص وصلت بدائيتهم إلى القمة. وبصفة عامة فإنهم ليسوا إلا

---

(1) رندة حيدر، اليهود العرب في إسرائيل، الجزيرة نت

. <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/2f520825-c299-4ef8-8a7c-25a14a88d09f>

(2) مقتبسة في كتاب سامي سموحة (إسرائيل: التعددية والصراع، ص 88 – 89 (Berkeley: University of California Press. 1978)

ويعرب أبا إيان عن قلق مماثل: "أن أحد أكبر المخاوف التي تصيبنا هي خشية أن تجبر غلبة المهاجرين من الأصول الشرقية" إسرائيل على مساواة مستواها الثقافي مع مستوى العالم المجاور لها " في كتاب سموحة ص 44.

(3) الأبارتيد الصهيوني، حمد سعيد الموعد من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق 2001.

أفضل قليلا من المستوى العام للعرب والزنج والبربر، وينقصهم الجذور الممتدة في اليهودية لأنهم خاضعون كلية لتأثير الغرائز البدائية والمتوحشة. فمثلا الأفارقة تجد في لعب الورق من أجل المال والسكر والدعارة. ويعاني معظمهم من أمراض عيون وأمراض جلدية وتناسلية خطيرة، علاوة على السطو والسرقة، أما عن الكسل المزمن وكراهية العمل فلا نجاة من هذا العنصر المناوئ للمجتمع<sup>(1)</sup>، ولذا فإن نسيم رجوان الذي كتب باستمرار في الأربعينيات لصحيفة iraq times الإنجليزية فلم يتردد في حكمه على تلك الجهات الرسمية التي سعت إلى شطب الهوية اليهودية العربية واستهانت باليهود العرب: إنها المؤسسة السياسية-الثقافية (الصهيونية) الحاكمة، التي ينحدر قادتها وروادها الثقافيون، من قرى وغيتوات روسيا، وهم الذين تقنّعوا بقناع الغربيين الأصليين- هذه المؤسسة أخضعت المهاجرين الشرقيين إلى عملية منظّمة من التطهير الثقافي التي أجبرتهم على التنازل عن ثقافتهم، ولغتهم وطريقتهم في الحياة. هكذا أفلحت إسرائيل في تفويت ما كان فرصة نادرة للاندماج في المنطقة بشكل يرحّب بها الجيران العرب - بدلاً من الانغلاق على النفس ككيان غريب في قلب المنطقة التي تأسّست فيها.<sup>(2)</sup>

### عداء اليهود الشرقيين للعرب

عاش اليهود الشرقيون مع العرب قرونا طويلة، وكانوا جزءاً من الثقافة العربية والإسلامية، ولم يكن لهم تجربة ذات معنى مع الكارثة التي حلت باليهود الأشكناز في أوروبا، ولكن اليهود الشرقيين أكثر عداء للعرب الفلسطينيين، وكثيراً ما أثار الاستغراب واقع حديث اليهود الشرقيين، كأفراد، عن اندماجهم في الدول العربية التي كانوا يعيشون فيها والانطباع الشائع عنهم، كجماعات، بكراهيتهم لتلك الدول وللمجتمعات العربية. وقد تجلّى ذلك في أغلب الأحيان بحنين اليهود العراقيين والمصريين إلى بلاد الرافدين ووادي النيل وتقديس اليهود المغاربة للسلطان محمد الخامس، واعتزاز يهود اليمن بتراثهم العظيم. ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء اليهود، في الغالب، من إظهار العداء للعرب واصطفافهم حول القوى الأشدّ يمينية في إسرائيل والتي ترفض السلام.<sup>(3)</sup>

(1) صحيفة هآرتس يوم 22 أبريل 1949.

(2) رؤوبين سني اليهود العرب-اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91، وقد ترجم هذه المقالة عن الإنكليزية ماجد الخطيب، وراجعها ونقحها رؤوبين سني نفسه.

(3) حلي موسى، اليهود الشرقيون وعدوى الانغلاق الأشكنازي/ التاريخ 2005/10/19.

ودأب العديد من الباحثين الإسرائيليين على الإشارة إلى أن هذا التناقض ينبع في الأساس من اختلاف مستوى الحديث في كل منهما. وفي دراسة أعدتها د. أوفيرا سليكتار تقول إن اليهود الشرقيين من الطبقات الفقيرة هم الذين يتبنون مواقف صخرية وعدائية ضد العرب، ويظهرون رفضاً لمساعي السلام. وأسباب ذلك كثيرة منها ما له خلفية نفسية. ويرى "أوري أفنيري" أن المهاجرين اليهود من الدول العربية كانوا يلقون معاملة حسنة قبل هجرتهم، ولا سبب لديهم ليكرهوا العرب، لكن عنصرية الشرقيين إزاء العرب هي نتيجة مباشرة لعنصرية الأشكناز إزاء الشرقيين أنفسهم.<sup>(1)</sup> فعندما حضر هؤلاء قيل لهم إن الحضارة الأوروبية هي الأرقى، وإنهم جاؤوا من دول متخلفة وبدائية تفتقر إلى أي حضارة، وحينما قرر أن يصير صهيونياً، حاكي من كان يعتبره جلاده وتقمّصه.<sup>(2)</sup> وككل جمهور مضطهد ومحتقر تبنى هذا الجمهور بدون أن يدري، قيم المضطهد، وأخذ يحقر نفسه ويخجل من طريقة لفظه وتراثه وحضارته وموسيقاه، فقد كان من السهل نقل الكراهية والاحتقار للعرب.

وهناك من يعيد عدائية الشرقيين للعرب إلى ميل للعنف لدى أبناء هذه الطائفة نتيجة شعورهم بالاضطهاد والغبن والإحباط<sup>(3)</sup>، وإلى رغبة الصفوة الأشكنازية المسيطرة المحافظة على هيمنتها السياسية والثقافية عن طريق الحفاظ على الكراهية بينهم وبين الفلسطينيين، حيث يجذب اليهود الشرقيون للمواقف اليمينية، لأنها تمكنهم من أن يُعطوا لأنفسهم مكانة اجتماعية أعلى من عرب إسرائيل، وهم يخشون من أنه إذا انتهى الاحتلال، فسيتم إرغامهم على العودة للأعمال اليدوية، التي يقوم بها العرب اليوم. وهذا الانتقال المُمنهج للشرق كان لا بدّ من أن ينعكس سلبيًا على صورة الذات لدى اليهود العرب والشرقيين؛ إذ يسمع هؤلاء دائماً أن الفضل في قيام إسرائيل يعود إلى يهود أوروبا، وأن اليهود الشرقيين والعرب جاؤوا ضيوفاً، "يحملون التخلف في حقائبهم"، كما وصفتهم غولدا مئير. كلُّ ذلك يُدخل في وعيمهم الشعور بالدونية، ويجعلهم كارهين لذاتهم الشرقية<sup>(4)</sup>.

---

(1) عبد الله أحمد صبري، السفارديم.. تدني اجتماعي وتطرف سياسي، القدس اون لاين- 10-10-2006.  
(2) عروبة أيوب عثمان، يا ليتني في باب صنعا | موسيقى الشرق في إسرائيل، أكتوبر/تشرين الأول 11، 2017-  
موقع معارف- <http://ma3azef.com/>  
(3) رندة حيدر، اليهود العرب في إسرائيل- الجزيرة نت  
(4) <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/2f520825-c299-4ef8-8a7c->25a14a88d09f>  
(4) عفيف فراج اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية..

وترى البروفيسورة مينا روزين إن القادة الأوائل لليهود الشرقيين وبعدهم حركة شاس تبنوا، بخلاف الوقائع، رؤية أشكنازية للواقع. وتشير إلى أنه، رغم خلو الواقع اليهودي الشرقي، في دول الخلافة العثمانية، من مبررات الانغلاق ونفسية المحاصر التي عاشها اليهود الأشكناز في أوروبا الغربية، فإن الشرقيين أصيبوا بالعدوى من الأشكناز. فالكثير من الشرقيين اليهود الذين نشأوا وترعرعوا في كنف العرب باتوا يعلنون صبح مساء أنهم يعرفون العرب وأنه لا يمكن التعايش معهم. وهذا ما يثير حفيظة الباحثة الأشكنازية التي ترى أن تاريخ هؤلاء الشرقيين تحديداً يشهد بعكس ما يقولون<sup>(1)</sup>. كما تنامت لديهم حاجة ورغبة في الاندماج في المجتمع الإسرائيلي الجديد الذي تكوّن مع إقامة الدولة الجديدة بواسطة التعبير عن الكراهية للعرب، فسعوا بلا وعي منهم، إلى أن يظهروا أنفسهم كمختلفين، وأن يحولوا أنفسهم إلى جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن المجتمع اليهودي<sup>(2)</sup>.

وتحاول الصهيونية تصوير اليهود الشرقيين كمتعصبين يصوتون للأحزاب الدينية واليمينية وأنهم أي الأشكناز رواد حركات السلام، وهذا يمثل زيفاً<sup>(3)</sup> وقد ظهرت جهات مثقفة شرقية في إسرائيل حاولت بكل السبل تغيير هذه الصورة وإثبات أن الشرقيين لا يقلون ميلاً للتصالح مع العرب عن الأشكناز ولكن كل تلك المحاولات باءت بفشل ذريع، حيث ان الصراع العربي الإسرائيلي، جعل العروبة في إسرائيل هي الآخر، وقد انعكس هذا على اليهود الشرقيين الذين كانت ثقافتهم الأصلية متماهية مع العالم العربي (الآخر)<sup>(4)</sup>.

يضاف إلى ما تقدم ان الكثير من اليهود عاشوا في الدول العربية، تعلموا أن يخافوا العرب. فبعد إقامة إسرائيل، تحولت المضايقات إلى أعمال همجية حقيقية، وطُرد الكثير منهم، وفُروا إلى إسرائيل، وقد تركوا أملاكهم خلفهم، وبقي ذكر الهمجية والملاحقة محفوراً في ذاكرتهم، وصورة العربي كعنيف، كاره لليهود وعدو لهم. وفي وسط المجتمع اليهودي الذي حاول أن يشفي من صدمة الهولوكوست، بدا أن معاناة اليهود الشرقيين قد اعتبرت هامشية مقارنة بمعاناة يهود أوروبا الذي عانوا من الهمجية اللاسامية. وربما لهذا السبب كان من المهم التأكيد على

(1) أودي أديب وآخرون، اليهود الشرقيون في إسرائيل.

(2) لماذا اليهود العرب أكثر كرهًا للعرب؟ -هداس هروش سبتمبر 2014، <http://www.al-masdar.net>.

(3) ايله شوحاك، تأملات سيدة يهودية عربية- جورج ساره- ذكريات ممنوعة- ترجمة اسماعيل ديج- 2005/11/7م.

(4) اليهود الشرقيون في إسرائيل :-أودي أديب وآخرون..

معاناتهم، وتخليد ذكرى الخوف والكرهية بين العرب واليهود بالتوازي مع ذكر الهولوكوست<sup>(1)</sup>.

## تأكيد الهوية اليهودية العربية في إسرائيل

أفرز النقاش العام في "إسرائيل" حول هوية اليهود القادمون من الدول العربية، علي الصعيد الثقافي حركة القوس الشرقي، وعلي الصعيد السياسي أفرز أحزاب، وحركات احتجاج سياسي، وعلي الصعيد الفني أفلام روائية ووثائقية تسجل معاناة هذه الشريحة الاجتماعية<sup>(2)</sup> وعلى أية حال فإن مجرد ذكر حركات الثمانينات "الشرق من أجل السلام" و"الجمية الشرقية" في الكيان الصهيوني و"وجهات نظر يهودية عربية" و"المنظمة العالمية ليهود الدول الإسلامية" - يؤكد التداخل في نسيج الشرق تاريخياً ومستقبلياً. ويشكل اليهود السفرديم مع الفلسطينيين داخل الكيان نفسه الأغلبية في دولة أمامها جدول أعمال صارم مضاد للشرق أوسطية<sup>(3)</sup>.

وقد تنقل قسم من مثقفي اليهود الشرقيين من دائرة الصراخ والاحتجاج الشواري الذي مثلته حركة الفهود السود في الستينيات إلى اللعب في ملعب الأشكناز. فعلى الصعيد الثقافي شهدت السبعينيات انتقال الإعلام الإسرائيلي من النخبوية الأشكنازية إلى الانفتاح على الشرقيين. وصارت أغانيهم وتراثهم الثقافي أمراً مقبولاً في الإذاعة والتلفزيون ليس بوصفها مادة للأرشيف وإنما بكونها تعبيراً واقعياً عن حياة هؤلاء الناس. وترافق ذلك مع احتلال شرقيين لمناصب سياسية ووظيفية أهم ونشوء أحزاب متحررة من الوصاية الأشكنازية. وفي هذه الأجواء برزت حركة "كيدما" الشرقية التي رأت أن الرد على استهانة المؤسسة الأشكنازية بالتراث الشرقي لليهود يتمثل في ترسيخ الاعتزاز بهذا التراث. وعمدت هذه الحركة إلى إقامة مدارس ونواد لتعزير الإيمان بأن التراث الشرقي يضاها بل يتفوق في العديد من الجوانب الروحية على التراث الغربي المادي.

وكل من يدرس هوية أولئك المثقفين الإسرائيليين الذين يتبنون مؤخرًا الهوية اليهودية-العربية، ويجوز لنا أن نطلق عليهم اسم: اليهود العرب الجدد، سيرى أن فكرة بلورة هذه الهوية، وأحياناً خلقها من العدم، نشأت من خلال استبعاد أحد أهم مكونات تلك الهوية على

(1) لماذا اليهود العرب أكثر كرهًا للعرب؟ -هداس هروش سبتمبر 2014، موقع في <http://www.al-masdar.net>

(2) يهودا شنهاف - "اليهود العرب.

(3) إيللا شوحات، إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني- الكاتب اليهودي

<<http://palestine-info.com/arabic/shoonalkaian/internal/shohat.htm>>

مرّ الأجيال، أعني اللغة العربيّة. إن نشاط الهوية اليهودية-العربية الجدد ليس لهم أي صلة مباشرة بالثقافة العربية بل لا يتقن معظمهم العربية الفصحى وليس بوسعه التعرف مباشرة على الكنوز الحضارية العربية. فعلى سبيل المثال، ينحدر الشاعر سامي شالوم شيتريت (المولود عام 1960) من أصول عربية مغربية لكنه يعجز عن التعبير عن ذاته بالعربية. وهو لا يجد أية غضادة في القول علانية: "أنا يهودي-عربي!"<sup>(1)</sup>

ففي السابق تبنت الغالبية العظمى من يهود البلاد العربية، اللغة العربية كلغة لهم. ولكن الآن فليس هناك، مثلاً، ولو كاتب يهودي واحد وُلد بعد 1948 ويكتب بالعربية. ونتائج البحث الأخير الذي كشف عن هبوط حاد في نسبة من يتقن اللغة العربية بين الأجيال الجديدة من اليهود الشرقيين واصبحت اللغة العربية بين الإسرائيليين حكراً على رجال المخابرات. ومحو اللغة العربية من ذاكرة وعقول الشرقيين والذي هو جزء من عملية مسح هويتهم الشرقية العربية، كذلك فإن عملية التخلي عن الهوية الثقافية العربية والتي تترافق مع تطوير مواقف سياسية متطرفة حيال العرب هي الثمن الذي يدفعه اليهود الشرقيون لدخول النادي الإسرائيلي<sup>(2)</sup>، وهكذا يتلاشى تدريجياً تراث حضاري نشأ قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام، أو بالأحرى هكذا يتم، أمام أعيننا، الإجهاز بشكل منظّم على هذا التراث الحضاري الرائع في حين يقف الجميع مكتوفي الأيدي<sup>(3)</sup>.

ويرى شالوم شطريت أن في مقدرته تشخيص إنجازين رئيسيين ينطويان على قدر من الأهمية لـ"حركة النضال الشرقي" هما: أولاً نجاح هذا النضال في إجبار الدولة الإسرائيلية على الاعتراف بسياسة اللامساواة المنتهجة من جانبها، حيال اليهود. والإنجاز الثاني هو تحقيق الشرعية للنضال الشرقي ذاته وللحركات الشرقية<sup>(4)</sup> غير أن النقلة النوعية الأهم على الصعيد

---

(1) رؤوبين سني، اليهود العرب، اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91.

(2) سليمان أبو إرشيد، اليهود الشرقيون ولعنة المنشأ واللغة، 2015/12/07 - موقع عرب 48.

<https://www.arab48.com/>

(3) رؤوبين سني، اليهود العرب\*-اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91.

(4) رواية اليهود الشرقيين/ أنطوان شلح سامي شالوم شطريت "النضال الشرقي في إسرائيل، 1948-2003". إصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، رام الله، تشرين الثاني/ نوفمبر 2005. الترجمة إلى العربية: سعيد عياش.

الفكري للنخب الشرقية في إسرائيل تمثلت بتشكيل "القوس الديمقراطي الشرقي" عام 1996 بقيادة الأكاديمي العراقي يهودا شناف، وهي تدعو إلى الاعتراف بالهوية العربية اليهودية وإلى رفع الظلم الواقع على الفلسطينيين في إسرائيل. وقد اعتبر هذا التيار نفسه حركة اجتماعية تعمل لتغيير المجتمع الإسرائيلي بشكل شامل على أسس ديمقراطية، من أجل مجتمع عادل ومتضامن متعدد الثقافات، وقالت الحركة عن نفسها إنها شرقية الغايات كونية القيم ومنفتحة على الجميع.<sup>(1)</sup>

### فشل بوثقة الصهر

جعلت الاستشراقية المتجسدة بوضوح في الفهم الصهيوني للتاريخ، مطلب النبذ والطمس الثقافي واضحاً على وجه التحديد عندما تعلق الأمر باليهود الذين هاجروا من الدول العربية، والذين جرى إقصاء تاريخهم من مفاهيم المجتمع الإسرائيلي لأجل الاندماج في التاريخ اليهودي أو "التاريخ الحقيقي" وجرت مطالبته بالإصلاح والتخلي عن ثقافتهم العربية المشرقية، وتقبل قيم ثقافة النخبة الأشكنازية المهيمنة... وإلخ.<sup>(2)</sup>

فإسرائيل أرادت أن يتحول أولئك الذين نشأوا في بيئة عربية شرقية، إلى يهود إشكناز بطبعة أوروبية. سنوات طويلة حاولت فعل ذلك ضمن ما يعرف في إسرائيل «كور هتوخ»، معناه بالعربية وعاء صهر المعدن والمقصود به بناء شخصية يهودية إسرائيلية جديدة على النمط الأشكنازي. في البداية قامت بتغيير اسمائهم إلى أسماء عبرية وتعليمهم اللغة العبرية، ومن ثم حاولت تغيير نمط لباسهم وأسلوب حياتهم وسلوكياتهم، وطمست الفنون التي أتقنوها، وحرمتهم من كل ما يذكرهم بتاريخهم وحضارتهم وتقاليدهم وعاداتهم. لم تنجح المحاولات خاصة مع الكبار في السن، ولا حتى مع الجيل الثاني، لكنها نجحت مع الجيل الثالث. فهؤلاء الذين ولدوا ونشأوا في إسرائيل اندمجوا بالكامل مع بيئتهم التي لا يعرفون غيرها، وأصبحوا اسرئيليين جدداً يتنكرون لأصولهم. ولكن حتى هؤلاء لم يندثر الأثر العربي في لغتهم وكلامهم وطعامهم واهتماماتهم.<sup>(3)</sup>

(1) حلي موسى، اليهود الشرقيون وعدوى الانغلاق الأشكنازي.

(2) أمنون راز كركوت سكين، المنفى، التاريخ، وقومنة الذاكرة اليهودية: تأملات في "العودة إلى التاريخ" كفكرة صهيونية، ص 91.

(3) العراقيون والمغاربة محاربون أشاوس للدفاع عن الجذور- الناصرة: ابتهاج زبيدات- /04,06/10.

وفي تقرير نشره موقع صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، القى الضوء على حكايات وقصص بعض اليهود العرب في المنفى وخاصة العراقيين منهم الذين لم يستطيعوا التخلي عن هويتهم وواجهوا صعوبة في الاندماج مع المجتمع الإسرائيلي. وألقت "هآرتس" في تقريرها الضوء أيضاً، على قصة التوأمين "هرتزل وبلفور حكاك" اللذين غادرا العراق في عامهما الثاني، وتحديثاً إلى مشروع "أصوات السفارديم" عن صعوبات الهجرة والاندماج في المجتمع الإسرائيلي حيث يسكنان في شقتيها الصغيرة بالقدس بأحد الأحياء اليهودية المتطرفة.

يقول الأخوان حكاك "حين جئنا، طلب منا أن نخلع عنّا عراقيتنا. وصفت الكتب المدرسية القرى في أوروبا، ويهود الحالوتسم الأوائل، بينما خلت من أوصاف اليهود الشرقيين.. لكننا لم نقدر على خلع هويتنا، حتى مع وصولنا إلى إسرائيل في سن صغيرة جداً. فالهوية ليست شيئاً قابلاً للقص واللصق". ويروي بلفور قصيدة له تتحدث عن هجرة جده إلى أرض إسرائيل. ومنفاه النفسي فيها، في أرض لم ينتم إليها منذ طفولته، فيقول:

جدي ملك حزين

جاء إلى الدنيا في ثياب مطرزة من حرير

وحين أرسلوه إلى منفاه

تمزقت الثياب، وتبعثرت الجلالة

وينهي بلفور حديثه قائلاً "الهوية مزيجٌ من المكان والزمان، إن اتصلت بالمكان فقط، تكون هويتك أفقية مسطحة، إن أراد شخص معرفة هويته، فسيجد الإجابة في محور الزمن الذي سبقه". ويختتم التقرير، بالقول "شيوخ اليهود العراقيين يموتون، وذكرياتهم تهمت.<sup>(1)</sup>

## الموسيقى الشرقية والحفاظ على الهوية اليهودية الشرقية

إذا كانت الهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب تتكون من اللغة، والتراث والعادات والأدب والموسيقى والفن، فإن ما يحدث للغناء في إسرائيل يدل على أنه لا توجد هناك ثقافة اسرائيلية موحدة، الأمر الذي يعكس فشل الصهاينة في بلورة ثقافة عبرية أصيلة فشلاً ذريعاً. ويعتبر أستاذ علم الاجتماع باروخ كيلمبرغ تعدد الثقافات الاثنية في إسرائيل كما يعكسها الغناء

(1) يهود عراقيون يحكون قصصهم في المنفى-50105-jimare= http://www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?jimarad NRT/.

لا يمثل تعددية ثقافية بقدر ما يعني زيف ادعاء الصهيونية بوجود شيء اسمه قومية يهودية. في حين ترى إيلان شوحاط أن استمرار الشروخ الثقافية بين الأقليات الأثنية في الدولة العبرية قد تهدد وجود الدولة وقدرتها على درء الاخطار من الخارج<sup>(1)</sup>.

وعادةً ما تعبر الموسيقى عن مكنون إثني وثقافي بعينه، بل إنها لطلما اعتبرت ساحةً للتفريغ الإثني وشرعنته من واقع الصدام مع ثقافات أخرى في مجتمعات ذات فسيفساء اجتماعية وإثنية متنوّعة، ويمكن اعتبار الموسيقى المزراحية تأجيلاً حثيثاً لهوية اليهود الشرقيين الذين وفدوا إلى "إسرائيل"، والذين وجدوا فيها صبغة هوياتية شعبية تميّزهم عن نظرائهم الأشكناز، خاصةً بعدما امتثلت الصهيونية لنفي الثقافة الشتاتية والمنفوية لليهود، وشكّلت اليهودي الجديد "الإسرائيلي"، الذي لم يكن ليكون شخصاً من أصول عربية أو شرق أوسطية.

فدوماً ما تسعى "إسرائيل" إلى غسل نفسها ممّا تعتبره "وصمة" وجودها في منطقة الشرق الأوسط، فإن كانت الجغرافيا مسألة يصعب تغييرها، إلا أنه يمكن التحايل عليها وتخفيف أثرها عبر التنصّل من أي لمحة ثقافية تمت بصلّة لثقافة الشرق الأوسط أو قمع صوتها، وهو ما يفسّر النّفس الفوقي الإسرائيلي إزاء الموسيقى المزراحية لسنوات طويلة. لذلك، كان على الموسيقى الشرقية أن تشقّ طريقها من الأسفل إلى الأعلى كي تصبح معروفة، على عكس أنواع الموسيقى الأخرى، حيث اعتبرت الموسيقى الشرقية تهديداً لطموحهم، فخوّلت الثقافة المهيمنة نفسها لتشدّيب وتهذيب الشرقيين كي يحدثوا قطعاً مع ماضهم وتراثهم وذكرياتهم بلا رجعة<sup>(2)</sup>.

وهنا يمكن القول بأن خطة «أشكرتة» اليهود الشرقيين قد فشلت، وبالذات لدى العراقيين والمغاربة، فهم أكثر من حافظ على الارتباط بجذورهم وحضارتهم العربية وحتى مطبخهم المميز، أصولهم العربية ما زالت تعيش في قلوبهم وعقولهم. واضطرت السلطات إلى الاعتراف الرسمي بهم وبأعيادهم وبعاداتهم، بل إن المسؤولين الحكوميين في إسرائيل باتوا يناقشونهم ويشاركونهم مناسباتهم الفلكلورية. أحد هذه الاحتفالات التي يحجّ إليها أولئك الزعماء ما يعرف بعيد الميمونة. فهذا عيد فلكلوري يتم الاحتفال به مع انتهاء عيد الفصح اليهودي، ويتم تقديم أشهى

---

(1) لماذا يغني ديفيد ليفي لفريد الأطرش؟ - المطربون الإسرائيليون يضعون كلمات عبرية ملائمة لأغاني عربية شائعة ضماناً للنجاح، الساحة الغنائية الإسرائيلية.. تمرد على العبرية صالح النعامي 2001/11/07- اسلام اون لاين غزة.

(2) يا ليتني في باب صنعا | موسيقى الشرق في إسرائيل-عروبة أيوب عثمان- أكتوبر/تشرين الأول 11، 2017- موقع معازف- -http://ma3azef.com/.

الأطباق المغربية مثل: الكسكس والعهد والملوح وغيرها. وفيه تقام حلقات الرقص والغناء العربي. وتسلبت الكاميرات عدساتها على القادة الإسرائيليين الأشكناز، وهم يعتمرون الطرابيش ويهزون خصورهم. أما العراقيون فيقيمون احتفالات فنية، عدة مرات في السنة، تسمع خلالها أغاني عمالقة الطرب العربي مثل ناظم الغزالي وأم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش وأسماهان وليلى مراد وحتى فيروز.<sup>(1)</sup>

يقول إسحق أبو العزملحن للموسيقى العربية، من أصل عراقي قدم إلى إسرائيل في العام 1948: أن القادمين من اليمن هم أول من نجح في الاندماج بالمجتمع الإسرائيلي، خاصة النساء منهم، وبالذات في مجال الفن والغناء. وقد برزت أسماء لمغنيات لامعات من أصل يمني. ولكن هذا الاندماج لم يمنع هؤلاء المغنيات من مواصلة الانتماء الشرقي فإن لم يكن ذلك في كلمات الأغاني، فإنه يبرز في اللهجة وحتى في الشكل والهيئة. وتمتلى القريحة الشعبية اليمنية بأغان تعبر، على نحو تلقائي، عن قيمة الوطن، فلا تزال صنعا حاضرة في أغاني اليهود اليمنيين في "إسرائيل" حتى يومنا هذا. ومن بين تلك الأغاني:

يا ليتني في باب صنعا داخلي      واشل محبوبي يسلي خاطري.<sup>(2)</sup>

وبالرغم من خوف النخب الصهيونية من الهوية العربية، إلا أن استقرار المشروع الصهيوني وتوسعه خاصة بعد النكسة، ولاحقاً باتفاقية السلام العربية الإسرائيلية، منح النخب الإسرائيلية شعوراً بالأمان، ولطف من حساسيتها الأيديولوجية تجاه التأثيرات الشرقية، وعزز من ثقفتها في قدرتها على احتواء موسيقى وثقافة التشريق، عبر إذابتها ثم تسليعها وترويجها، بدلاً من منعها ومحاصرتها كما في السابق<sup>(3)</sup>، كما اندمج اليهود العراقيون والمصريون والمغاربة مع الوقت وبلغوا درجات من الثقافة والغنى، وهناك أدباء من أصل عراقي، يعتبرون اليوم من أفضل أدباء إسرائيل، ويوجد قسم آخر حافظ على أصله البغدادي. ويخبرنا إسحق أبو العز أن الجيل الأول منهم حرص على تعليم أبنائه العربية، واسماعهم الاغاني الشرقية، والغناء العراقي الفلكلوري حتى أن عدداً منهم اتخذ من الغناء حرفة<sup>(4)</sup>.

(1) العراقيون والمغاربة محاربون أشاوس للدفاع عن الجذور- الناصرة: ابتهاج زبيدات- /06/10/2017

(2) محمد شعبان. ١٦. ٩. ٢٠١٦، (رغم هجرتهم الجماعية إلى إسرائيل، يهود اليمن يحيون تراثهم الغنائي)، رصيف ٢٢.

(3) عروبة أيوب عثمان، يا ليتني في باب صنعا | موسيقى الشرق في إسرائيل، أكتوبر/تشرين الأول 11، 2017- موقع معازف- <http://ma3azef.com/>.

(4) العراقيون والمغاربة محاربون أشاوس للدفاع عن الجذور- الناصرة: ابتهاج زبيدات- /06/10/2017

ولعل البرنامج الفني "رَبَّح مانتا" الذي يبث في القناة "الإسرائيلية" الثالثة ويحييه اليهود الشرقيون خصوصاً المغاربة مؤشراً واضحاً على التعلق بالجزور، حيث يرتدون اللباس العربي ويغنون بشكل جماعي الأغاني العربية ويحيون تراث البلاد التي وفدوا منها. ولذا تحاول إسرائيل تصنيع هوية موسيقية متوسطة لغنائها تكون بوتقة لصهر الفسيفساء الموسيقية الإسرائيلية المتضاربة، ومصطلح موسيقى المتوسط الذي تم صمّمه لهذه الموسيقى المنبوذة، من أجل تخفيف وطأة نسبتهما إلى الشرق. فخيلاً لإسرائيل، من وجهة نظر هذا المشروع، أن تكون متوسطة الهوية من أن تذوب في الثقافة العربية، غير المرغوب فيها إسرائيلياً، والتي تُعد ثقافة 'العدو' رغم أنها ثقافة جزء كبير من الإسرائيليين لانحدارهم من أصول عربية. فالصهيونية تعتبر نفسها نقيض العروبة ولم تدخر جهداً في محاربة الهوية العربية سواء في إسرائيل أو داخل أقطار العالم العربي.<sup>(1)</sup>

ويفسر الموج بهار السبب في فشل محاولة انتزاع اليهودي العربي من جذوره بقوله: إن السبب وراء ذلك هو رغبة اليهود العرب في العودة إلى جذورهم الثقافية، ففي الخمسينات والستينات، كان من الضروري أن تتخلص من جريمة الجزور العربية حتى نندمج في المجتمع الإسرائيلي المعادي للعرب. أما اليوم وبعد استقرارنا وصعودنا للسلم الاجتماعي صار من السهل إضفاء الشرعية على الموسيقى والتراث العربي وإعادة إحيائه وممارسته.<sup>(2)</sup> ويوجد كثير من الفرق الشبابية لليهود الشرقيين التي لا زالت تحتفظ بموسيقاها الشرقية، لكن مع كلماتٍ عبرية.

## سوق الكرمل والاغنية العربية

ما أن تطأ قدمك سوق "هكرمل"، أكبر الأسواق الشعبية في مدينة «تل أبيب»، فإن أكثر ما يلفت نظرك هو مكبرات الصوت التي تصدح بأغان لمطربين ومطربات عرب في جنبات السوق، فأصحاب المحال التجارية في هذا السوق هم من اليهود الشرقيين، كما أن الأغلبية الساحقة من الذين يرتادونه أيضاً من ذوي الأصول الشرقية. فإلى جانب أنهم بطبعهم يستمعون للغناء

(1) الفوزي سعد الله- قسبة الجزائر، الماضي، الحاضر والخاطر- صدر سنة 2008م عن 'دار المعرفة' في مدينة الجزائر.

(2) إسرائيل من الداخل: يهود عرب يؤدون الصلاة على أنغام أم كلثوم وعبد الوهاب والشيخ زكريا أحمد، ١٠-٦-٢٠٠٩، المصري (اليوم).

العربي، فإن أصحاب المحال التجارية يحرصون على إسماع الأغاني العربية كصورة من صور التنافس بينهم لجذب المشترين. ففي القسمين الغربي والشمالي، حيث أن معظم أصحاب المحال التجارية من اليهود الذين هاجروا من العراق، فإنك تسمع أغاني المطربين العراقيين القدامى: ناظم الغزالي وصالح الكويتي وبشرية غالي وحسين سابي وغيرهم. وفي الناحية الجنوبية حيث يوجد اليهود المصريون فانك تسمع بشكل خاص أغاني أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ. وفي المحطة المركزية في مدينة، تل أبيب التي تبعد نصف كيلومتر إلى الشمال من السوق يوجد عدد كبير من المحال التي تباع أشرطة الأغاني العربية من اقطار عربية عديدة.<sup>(1)</sup>

وعادةً ما يُصوّر الباحثون الإسرائيليون فترة التسعينيات على أنها الفترة الذهبية لبدء صعود الأغنية الشرقية حيث اطلقت اليهودية المغربية، زهافا بن التي لُقبت بـ "أم كلثوم إسرائيل" ألبومًا يحمل عنوان زهافا بن تغني بالعربي عام 1996، والذي ضمّ أغاني لفيروز وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ ووردة ووديع الصافي وفريد الأطرش وعمرو دياب ونجوى كرم، وصوّر ذلك على أنه يهدف لتجسير المسافة بين إسرائيل والشرق الأوسط في فترة التسوية في التسعينيات.<sup>(2)</sup>

ويمكننا تصور الأمر بصورة أكثر عندما نعلم أن أغنية البحارة الساحرة «يا ماريا يا مسوسحة القبطان والبحرية»، تنشد على مسرح أوبرالي في تل أبيب، ويغنيها فنان يهودي، وبلغة عربية سليمة مائة بالمائة؟ أجل وليس «يا ماريا» فحسب، بل أيضا «أسمر ملك روجي» و«جننتيني يا بت يا بيضة» و«البحر بيضحك ليه وأنا نازلة أدلع» و«يا تمر حنا روايح الجنة» وغيرها. فكل هذه الأغاني التي نرددها أرجاء الوطن العربي هي أغان شعبية، تعود الى الملحن اليهودي المصري داود حسني الذي توفي في العام 1937، وكانت مصر ولا تزال تعتبره واحداً من عمالقتها الموسيقيين، وتقوم بإحياء ذكراه كل عام. ابنه عبد البديع داود حسني المعروف باسمه العبري يتسحاق هليفي، ويقيم في الجانب الغربي من مدينة القدس. يعتبر احد اليهود الشرقيين القلائل في اسرائيل، الذي ما زال يتقن اللغة العربية وآدابها وقواعدها ويعتز لكونه مصرياً من

---

(1) لماذا يغني ديفيد ليفي لفريد الأطرش؟ - المطربون الاسرائيليون يضعون كلمات عبرية ملائمة لأغاني عربية شائعة ضمنا للنجاح، الساحة الغنائية الإسرائيلية.. تمرد على العبرية صالح النعامي 2001/11/07- اسلام اون لاين غزة.

(2) يا ليتني في باب صنعا | موسيقى الشرق في إسرائيل.

اصل مصري.<sup>(1)</sup>

فاليهود الشرقيون وبعد أكثر من نصف قرن على مغادرتهم الدول العربية ما زالوا يحافظون على الاستماع للأغاني العربية، وقد نقلوا هذا الميل الثقافي لأبنائهم، وأحفادهم، فإحياء حفلات الزواج عند هؤلاء اليهود تتم على أنغام الموسيقى العربية، وهناك مطربون شرقيون متخصصون في إحياء هذه الحفلات. ومن المفارقات أن قناة التلفزة الاسرائيلية الثانية عرضت مقطع من حفل زفاف ابنة وزير الخارجية الاسرائيلي الاسبق ديفيد ليفي، المغربي الاصل، وهو يراقص ابنته مردداً خلف المطرب الذي كان يحيي الحفل كلمات أغنية فريد الأطرش «جميل جمال، مالوش مثال». ومن الملاحظات ذات المغزى أن جمعيات يهودية تعنى ببعث الثقافة الشرقية في الدولة العبرية أقامت فرقاً موسيقية تعنى بغناء الشعر العبري الذي نظم إبان وجود اليهود في الاندلس. وهناك فرق يطلق عليها الفرق الاندلسية، تتغنى بالموشحات الاندلسية التي نظمها الشعراء العرب في تلك الفترة. ويقوم أثرياء ورجال أعمال يهود من اصول شرقية بتمويل عمل هذه الفرق.<sup>(2)</sup>

ومما تقدم يمكننا القول إنّ هناك خلقاً لليهودي العربي الجديد عبر الموسيقى العربية: جيل شرقي جديد يصنع هوية من لا شيء، جيل استفاق على ثقافة إسرائيلية، ولم يع أبداً لغته العربية الأم، بل ينطقها بركاكة واضحة. بيد أن الرجوع لتلك اللغة في الغناء يمكن اعتباره تعبيراً سياسياً وبحثاً دؤوباً عن الهوية الأصلية بعدما حوّلتهم "الدولة" إلى مسخ، وحاولوا الذوبان في الهوية الإسرائيلية لنزع الاعتراف بهم.<sup>(3)</sup>

---

(1) العراقيون والمغاربة محاربون أشاوس للدفاع عن الجذور- الناصرة: ابتهاج زبيدات- 04,06/10  
(2) لماذا يغني ديفيد ليفي لفريد الأطرش؟ - المطربون الإسرائيليون يضعون كلمات عبرية ملائمة لأغاني عربية شائعة ضمانا للنجاح، الساحة الغنائية الإسرائيلية.. تمرد على العبرية صالح النعامي/2001/11/07- اسلام اون لاين غزة.

(3) هنيذة غانم، نحو ترسيخ إسرائيل يهودية يمينية استيطانية، وتوجّه لفرض الحل الأحادي، ملخص تنفيذي، تقرير مدار الاستراتيجي، رام الله مدار، 2016، ص ١٣ . ٢٦



## الفصل التاسع

### مستقبل إسرائيل في ظل حل عربي للمسألة اليهودية

إن ما اصطلح على تسميته بالمسألة اليهودية، مسألة قديمة قدم اليهود، بسبب ما جبلوا عليه من عناد ومخالفه للرسل والانبياء، ونحن لا نريد الدخول في مناقشة دينية بقدر ما نريد توضيح المشكلة والحلول التي طرحت لها، للاستفادة من ذلك في طرح حل عملي لهذه المشكلة التي شغلت العالم منذ القدم وحتى الآن، وربما تكون أول مشكلة واجهت اليهود هي علاقتهم بمضيفهم في مصر، والتي انتهت إلى خروجهم منها، ودخولهم الديموي لأرض فلسطين، ثم بعدها ما تعرضوا له من سبي على يد الأشوريين والبابليين، حتى جاء قورش الفارسي وحررهم وأعادهم إلى فلسطين فبنوا الهيكل بعد هدمه، ولكنهم تعرضوا مره أخرى للاضطهاد على يد الرومان، فأرسل الله لهم سيدنا عيسى "عليه السلام" ليعيدهم إلى الطريق المستقيم فتأمروا عليه، وبعدها هدم الرومان الهيكل مره أخرى وشردوا اليهود في بقاع الأرض.

ثم جاءت رسالة الإسلام محاولة إعادة الاعتبار لهم، حيث دعاهم الرسول ﷺ للدخول في الدين الجديد، فرفضوا وتأمروا عليه إلا من رحم ربي، وبعدها عاشوا في ظل الدولة الإسلامية كأهل ذمة بدون أية مضايقات، فانتشروا في كافة بقاع العالم الإسلامي، حيث عاشوا في أمن وسلام خلال فترات الحكم الإسلامي، ولم يتعرضوا للاضطهاد والمضايقة كما حدث معهم في أوروبا بل وصل العديد منهم إلى مناصب عليا في الدولة الإسلامية وأسهموا في تطورها وازدهارها وكانت لهم الملائد الأمين من بطش الأوربيين قديماً وحتى وقت قريب، وظلت فلسطين مفتوحة أمامهم للإقامة بها ولزيارتها حتى الهجمة الصهيونية، التي بدأ معها الصراع العربي الإسرائيلي المستمر حتى الآن، وذهب ضحيته آلاف القتلى والجرحى. وإذا كان الحال كذلك فلا بد لنا من البحث عن الخلل الذي حدث لهذه العلاقة، وهو بالتأكيد كان بسبب الهجمة الصليبية الصهيونية الحديثة في عصرنا الحاضر، والتي كان من نتائجها إقامة إسرائيل على أنقاض الشعب الفلسطيني، مما يعنى أننا يجب أن نبدأ بالبحث عن جذور المشكلة التي أوجدت الصراع العربي الإسرائيلي والظروف التي ظهرت بها الحركة الصهيونية التي تبنت إقامة إسرائيل كحل لمشكلة اضطهاد اليهود في أوروبا، نتيجة لظهور ما يسمى بالمسألة اليهودية، عسى أن يساهم ذلك في وضع حل عربي للمسألة اليهودية يمكن أن يرسم ملامح مستقبل إسرائيل بمواصفات مفضلة للطرف العربي.

## المبحث الأول: جذور المسألة اليهودية

واجه اليهود عبر التاريخ الطويل للبشرية أنواعاً متعددة من الاضطهادات والمظالم، لأسباب مختلفة، يعزبها بعض المؤرخين إلى أسباب ذاتية تتعلق باليهود أنفسهم، أو بسبب وظائفهم الاقتصادية، كما يعزبها البعض الآخر إلى أسباب خارجة عن إرادة اليهود بسبب الأغبيار الذين يحملون عقيدة مخالفة لهم، أو لأسباب اقتصادية أو سياسية<sup>(1)</sup>.

### اضطهاد اليهود في أوروبا وظهور المسألة اليهودية

يحدثنا التاريخ الموثق أن حياة اليهود في أوروبا كانت خطأ أساسياً واحداً من الاضطهاد والقتل والتعذيب والنفور منهم وسلب ونهب أموالهم. كان نبلاء أوروبا يقترضون من اليهود لسد حاجات عيشهم الباذخ، وكان الملوك يفيدون من الضرائب المفروضة على اليهود، فإذا عجز المقترضون عن الوفاء بديونهم، لجأوا إلى الحيلة، وافتعلوا الحوادث، لسلب أموال اليهود والقضاء عليهم، وكان اليهود من جانبهم يتعاملون بالرأ الفاحش، فكانوا يغالون في فوائد القروض<sup>(2)</sup>.

ويرى البعض إن السبب وراء ظهور المسألة اليهودية في الغرب هو الصراع الاقتصادي بين البرجوازية اليهودية وبين البرجوازية الأوروبية، مما دفع الكثير من الكتاب إلى تصوير اليهودي بأنه جشع ومراب، مثل تصوير شكسبير لوضعية اليهودي وعدوانيته في "تاجر البندقية"، أو من تصوير تشارلز ديكنز في "أوليفر تويست"، أو تصوير مارلو لجشع اليهودي في "يهودي مالطا"، ويعلق الكاتب اليهودي "دويتشر" على ظاهرة العدا لليهود بقوله: "إنني أعتقد أن الذي مكن اليهود من البقاء كطائفة منفصلة هو أنهم مثلوا اقتصاد السوق بين ظهري شعب يعيش في اقتصاد طبيعي"<sup>(3)</sup>.

(1) رفيق شاكرا النتشة، من كتاب الاستعمار وفلسطين (إسرائيل مشروع استعماري)، دار الجليل- عمان، ط1، 1984.

(2) شريف راشد الصدي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017- ص151.

(3) الصهيونية والعنصرية: منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ج2، ص49.

ولكن الحق يقال، أن السبب في تأكيد حصر نشاط اليهود في الأعمال الربوية، إنما يعود إلى المجتمعات الأوروبية المسيحية، التي حظرت عليهم، ممارسة غير هذا النشاط أو امتلاك العقارات، غير أن بعض الرهونات العقارية والأراضي، كانت تؤوّل إلى اليهود وفاءً لديون، وهو ما لم تكن لترضى به الكنيسة الكاثوليكية، فكانت تدخل طرفاً مباشراً في الاستعداد عليهم، وحدث بعد خطبة البابا "أوريان" الثاني في "كليمونت" بفرنسا عام 1095 م، وهو تاريخ بدأ الحملات الصليبية، أن بدأت أولاً الحملة المعروفة بالشعبية، فزحفت حملة الجياع بقيادة الداعي المزيف فكان أن بدأت بنهب وقتل اليهود أولاً، وذلك قبل بلوغ غايتها بنهب المسلمين<sup>(1)</sup>.

وفي عصور هيمنة الكنيسة الكاثوليكية كان اليهود يعيشون في بيئة معادية تزدريهم باعتبارهم قتلة المسيح، فنشأت صورة نمطية في المخيلة الشعبية الأوروبية عن اليهودي بوصفه مصاص دماء أجنبي خبيث. وساهم هذا المناخ المعادي لليهود في تكريس عزلة الجماعات اليهودية شعورياً عن مجتمعاتها، والتجمع في أحياء خاصة بها، لا هم جزء من المجتمع متساوون مع باقي أفرادها في الحقوق والواجبات، ولا هم خارج المجتمع، لا هم وطنيون ولا هم غرباء. ولم يكن الجيتو التاريخي مجرد رد فعلٍ رهابي بإزاء مجتمع عدائي، ولكنه أيضاً تعبيرٌ عميقٌ عن قناعةٍ زائفةٍ بالتفرد المستعلي على الأغيا" كحاصلٍ نهائيٍّ للأحداث العزريّة.. تلك التي بددت المحتوى الإنساني لرسالة التوراة في نقائها الأول<sup>(2)</sup>، وهذا ساهم في الحيلولة دون اندماجهم في مجتمعاتهم.

وفي إنجلترا عام 1257 اجتاحت الثورة المدن الصناعية والتجارية التي سيطر عليها اليهود، فنهبت بيوت اليهود ودمرت وأحرقت حجج الملكية والكمبيالات، وكانت ثورة من لا يملكون ضد من يملكون<sup>(3)</sup>، وفي عام 1290م، قام الشعب بكامله عليهم، فأخْرِجوا من إنجلترا، مُجَردين من أموالهم ورهوناتهم، وظل الحال كذلك إلى أن بدأت محاولات إرجاعهم على يد "كرومويل" عام 1655 م. وفي أسبانيا طُرد 300.000 يهودي عام 1492م على يد "فرديناند" و"إيزابيل"، وعندما أذن لهم ملك البرتغال بالإقامة المؤقتة لقاء المال، ما لبث أن انقلب عليهم، فأصدر أمراً بالقبض على كل أطفال اليهود دون الرابعة عشر عاماً ليتم تنصيرهم. وفي فرنسا أمر "لويس"

(1) المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص151.

(2) شريف راشد الصدي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017- ص251.

(3) عبد المنعم الحفني، عالم بلا يهود، دار الرشاد، القاهرة، ط2 1992، ص11.

التاسع بإلغاء ثلث ديون المسيحيين لهم، كما أمر بحرق جميع كتبهم المقدسة، وفي عام 1321م هاج عليهم الشعب، وأعملوا فيهم المذابح، وفي بعض الأقاليم أحرق الفرنسيون كل من كان فيها من اليهود، وفي "شيفون" حفروا حفرة عميقة ألقوا فيها 160 رجلاً وامرأةً من اليهود وأحرقوهم<sup>(1)</sup>.

وفي العصور الحديثة، نشأت المسألة اليهودية في الدول القومية الكبرى. فحركة التطهير العرقي من اليهود تمت في روسيا فيما عرف باسم "البورغوم"، وتعرضوا للتعذيب والطرده والقتل، كما حدث عقب مقتل "ألكسندر" الثاني، فاضطروا إلى الهجرة الكثيفة إلى غرب أوروبا والأمريكيتين، وفي فرنسا بعد حادثة الضابط "داريفوس"، وفي ألمانيا أبان الحكم النازي، كما نشأت المسألة اليهودية في المجتمعات التي تعاني من أزمة هوية مثل مجتمعات أوروبا الشرقية، لذلك خرج كثير من دعاة الصهيونية من تلك الاضغاع<sup>(2)</sup>.

وهكذا شكل اليهود منذ البدايات الأولى للتاريخ البشري، مشكلة دائمة في كل المجتمعات التي حلوا فيها، والتوراة حافله بالقصص التي تظهرهم كمشكلة لغيرهم من الشعوب القديمة: المصريين، والكنعانيين، والفلسطينيين، والعماليق، والمؤابيين، والبابليين، والفرس، والرومان، وبعض التاريخ الروماني والمسيحي.. حكايات حولهم كمشكلة سرعان ما تنتقل لعرب الجزيرة، وسرعان ما يظهرون أنفسهم كمشكلة للمسلمين، ويدور التاريخ دورة سريعة وتنتقل المشكلة لأوروبا، وتبرز في ألمانيا بالذات، ثم يدور التاريخ دورة لا تكاد تذكر، ولكنها تكفي ليظهروا على المسرح من جديد، كمشكلة ولكن في منطقة الشرق الأوسط<sup>(3)</sup>.

### سبب العدا لليهود ومعاداة السامية

لا مراء في تعرُّض اليهود عبر التاريخ لحملت إيداء متتاليةٍ. ولا شك أن بعض ذلك كان له دوافعه كرد فعلٍ لسلوكيات اليهود أنفسهم في المجتمعات التي احتضنتهم؛ بينما البعض الآخر ليس له من مبررٍ، ولكن يعود كليةً إلى سلوك الآخرين العدواني تجاه اليهود<sup>(4)</sup>. ولم تجد المشكلة

(1) المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص152.

(2) حسن حنفي، الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي، ع486، مايو 1999- من أعمال ندوة "الصهيونية بعد مئة عام" المنعقدة بين 25 و 28 تشرين الثاني بدعوة من "المؤتمر الدائم المناهضة الغزو الثقافي الصهيوني".

(3) عبدالمنعم الحفني، عالم بلا يهود، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992، ص6.

(4) شريف راشد الصديفي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص133.

حلاً واحداً مستداماً لها، بل تعثرت الحلول لأسباب عديدة، حتى جاء الرومان فمنعوا اليهود من دخول اورشليم (القدس) منذ عام 154 ميلادية<sup>(1)</sup>، ومن بعدها صارت الدياسبورا هي الوطن المتضخم والمركب الأهم في الثقافة اليهودية، في حين لم يكن أحد يمنع اليهودي خلال الألفي سنة الماضية من العيش فيما يسميه الوطن التاريخي (فلسطين)<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من أن اليهود تعرضوا عبر تاريخهم للاضطهاد، إلا أن ذلك ليس عائداً فقط إلى اللاسامية والعنصرية، بل إنهم يتحملون قسطاً من المسؤولية في ذلك؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم "شعب الله المختار" المثالي أخلاقياً والمنزه عن ارتكاب أي أخطاء أو ذنوب، والتوراة والتلمود، تمتلئ بكرهية الشعوب غير اليهودية والدعوة لإبادتهم وإخضاعهم وإذلالهم واعتبارهم حيوانات على هيئة بشر لخدمة اليهود.<sup>(3)</sup> بقول الحاخام ابراهام كوك (1865 1935): "إن الفرق بين الروح اليهودية وأرواح غير اليهود، أكبر وأعمق من الفرق بين الروح البشرية وأرواح الهائم". ويقول الحاخام ميناخيم منديل: "إن جسم الشخص اليهودي ذو نوعية مختلفة تماماً عن أجسام جميع أفراد أمم العالم"<sup>(4)</sup>...

كما أن عدم القدرة والاستعداد على الانفتاح الحقيقي والاندماج الثقافي بالأمم وحضاراتها أدى إلى إنتاج نفسية الترقب الخائف وشعور الاتهام العدائي تجاه الآخرين، مما أدى إلى تكوين عناصر الحقد والغل، التي تتفجر مع كل إمكانية لتجسيدها، وفي حالة صعوبة أو استحالة تجسيدها العملي، فأنها عادة ما تتخذ صيغة الاستهزاء والسخرية بمقدسات الآخرين وقيمهم<sup>(5)</sup>.

وتصبح التعاليم التوراتية والتلمودية شخصية اليهودي بالأناية وحب الحياة المادية وجرده من الأخلاق والقيم الإنسانية والروحية. لذلك عندما قررت الكنيسة تحريم الربا في

---

(1) إبراهيم الدقاق، الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي - مراجعه نقدية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية- ط1 2013- ص107.

(2) إيلان زئيف، جدلية الوطن والمنفى، ترجمة سلمان ناظر، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، رام الله- ط1 2006- عرض/أحمد فياض.

(3) غازي حسين، التعاون بين الصهيونية والنازية لحل المسألة اليهودية بإقامة اسرائيل في فلسطين، سودانيز اون لاين- 10-2-2018.

(4) جويل كوفيل، التغلب على الصهيونية: إقامة دولة ديمقراطية واحدة في إسرائيل فلسطين. ترجمة عمر عدس- الناشر: داربلوتوبرس في لندن 2007.

(5) ميثم الجنابي، الصورة والمعنى في الصراع العربي - اليهودي، مجلة المؤتمر عدد 1174 - 14-آب-2006.  
[http://www.inciraq.com/Al-Mutamar/2006/1101\\_1200/1174/060814\\_1174\\_5.htm](http://www.inciraq.com/Al-Mutamar/2006/1101_1200/1174/060814_1174_5.htm)

أوروبا احتكر اليهود التعاطي به، وظهرت شخصيتهم الجشعة والمستغلة على حقيقتها، مما أدى إلى إشعال نيران الحقد والكراهية لهم، وظهور ما عرف باللاسامية في نهاية القرن التاسع عشر رداً على تصرفات وممارسات يهود أوروبا الشرقية وهجرتهم المتواصلة إلى ألمانيا وامتهانهم التجارة والربا والصيرفة والعمل في البورصة وسيطرتهم على المصارف.<sup>(1)</sup>

وهكذا، فإن معاداة السامية كانت بدوافع عنصرية في بعض الأحيان، وكانت في أحيان أخرى، بسبب ممارسات غير طبيعية لليهود أنفسهم، ويتبدى هذا الأمر جلياً في العصر الهلنستي الذي اتسم بالتفاعل والتلاقح الفكري والحضاري بين الشعوب، فكان طبيعياً أن يتعرضوا لتأديب السلوقيين وصولاً إلى العصر الروماني حيث سيتم تدمير هيكلهم وتشتتهم في المحيط التاريخي الحيوي.<sup>(2)</sup>

### نشوء مصطلح اللاسامية

الساميون هم من ينتسبون لسام بن نوح، وعادة لفظة السامية تنطبق وفقاً لعلماء اللغة على القبائل التي سكنت في شبه الجزيرة العربية، وفي بلاد الرافدين وفي المنطقة السورية، ومصطلح العدا للسامية ظهر في ألمانيا مع نهاية القرن التاسع عشر وشاع استعماله في مرحلة لاحقة للدلالة على كره اليهود، استناداً إلى فكرة التمييز بين البشر على أساس العرق. وهذا التعبير هو تعبير مضلل جرى استعماله في غير المعنى الموضوع له أصلاً. وكان أول من استعمله هو العالم الألماني "شلوترز" وزميله "ايكهورن" عام 1781، وذلك لأن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية هي في الغالب ضمن ذرية سام بن نوح<sup>(3)</sup>، ولذا يفضل مكسيم رودنسون استخدام تعبير جوديوفوبيا للتدليل على شعور العدا تجاه اليهود وحدهم، ويميز بين نوعين من الجوديوفوبيا جاء تعبيرها الأول بدوافع دينية ويمكن فهمه في إطار الصراع التاريخي بين الديانتين اليهودية والمسيحية، أما تعبيرها المعاصر المستند إلى أساس من التمييز العرقي فحديث النشأة نسبياً<sup>(4)</sup>.

---

(1) غازي حسين، التعاون بين الصهيونية والنازية لحل المسألة اليهودية بإقامة إسرائيل في فلسطين، سودانيز اون لاين- 2018-2-10.

(2) بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، دار الرائي للدراسات والترجمة - دمشق 2004

(3) عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مكتبة الشباب. القاهرة 1988 ص 29.

(4) مأمون كيوان، الحل العربي لـ "المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج: 2010/04/11.

والعداء للسامية هي فكرة حديثة نسبياً، اخترعها اليهود الأوروبيون. ووفقاً للمؤرخ برنارد لازار في كتابه المعنون بـ "اللاسامية، تاريخها وأسبابها"<sup>(1)</sup>. كما أدى تعثر التحديث في شرق أوروبا، إلى دفع مئات الألوف للهجرة إلى أوروبا الغربية مما أثر على الاقتصاد، حيث سكن اليهود في مناطق حدودية متنازع عليها مما أضعف ولائهم القومي<sup>(2)</sup> وفي عهد فريدريك الكبير قامت حركة فكرية ضد زواج اليهود من المانيات وزواج الألمان من يهوديات، وتزعم هذه الحركة جوته. وايد الشعب الحركة لأنه أدرك منذ زمن بعيد أن اليهود عنصر غريب تغلغل في كيان الأمة دون أن يتخلى عن طابعة المميز وتقاليد<sup>(3)</sup>.

وبدأت المسألة اليهودية (أو اللاسامية) بالظهور في برلين عقب تأسيس "عصبة اللاساميين" عام 1880، وفي نفس السنة كتب الاستاذ الجامعي تريتشكيه: "اليهود عنصر غريب في ألمانيا لا يريد ولا يستطيع أن يندمج"، وأصدر الفيلسوف الألماني يوجين ديرينغ عام 1886 كتاباً قال فيه «إن العنصر اليهودي هو أسوأ عناصر العرق السامي، هدفه التسلط على العالم واستعباد الشعوب الأخرى، واستنتج الفيلسوف الألماني شوبنهاور «أن اليهود أساتذة كبار في فن الكذب. وقدّم اللاساميون في عام 1881 عريضة إلى المستشار بسمارك تحمل (300) ألف توقيع تطالب الحكومة الألمانية بمنع اليهود من دخول ألمانيا. وانعقد في عام 1882 المؤتمر العام للاساميين في ألمانيا والنمسا وهنغاريا.

ويرى المسيحي أن المسألة اليهودية ظهرت عندما فشلت المسيحية الغربية في صياغة رؤية محددة تجاه الأقليات بشكل عام والجماعات اليهودية خصوصاً، فالكاثوليكية تبنت أن اليهود قتلة المسيح أمّا البروتستانت فقالوا أنّ اليهود أداة للخلاص بعد عودتهم لفلسطين. حيث تبنا العقيدة الألفية. واستنتج البريطاني هوستون تشامبرلين في كتابه "أسس القرن العشرين" أنّ تاريخ ألمانيا عبارة عن صراع بين الآريين والساميين، تزامن ذلك مع ظهور كتاب برتوكولات حكماء صهيون الذي يدعي واضعوه بوجود زعامة يهودية عالمية تدير العالم<sup>(4)</sup>.

(1) فايزرشيد، اليهود ليسوا ساميين، - 2015/02/24 - جريدة الخليج-

<http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/4099a081>.

(2) عبد الوهاب المسيحي، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 2003)، ص: 69-86.

(3) عبد المنعم الحنفي، عالم بلا يهود، دار الرشاد، ط1، القاهرة 1992، ص: 64.

(4) صبري جرس، تاريخ الصهيونية (1862-1948)، (قبرص: مركز ابحاث "م.ت.ف"، 1981)، ص: 45-47.

وتمكنت الحركة اللسامية في ألمانيا من تنظيم نفسها عام 1923، حيث أخذت البطالة وأزمة السكن تتعاظم في المدن الألمانية وارتفع التضخم، وثبتت للشرطة في برلين أن الكثير من اليهود يمارسون التجارة غير الشرعية. وراجت تجارة السوق السوداء والربا والنصب والاحتيال والتخريب. وهكذا قادت تصرفات يهود أوروبا الشرقية إلى إذكاء نيران معاداة اليهود (اللاسامية). وقامت بنفس الوقت علاقات وثيقة جداً بين الصهاينة واللاسامين. وأدت تلك الأفكار والحركات إلى بلورة الأسس النظرية لللاسامية وللعنصرية الألمانية وعنصرية الصهيونية<sup>(1)</sup>.

### التعاون بين الصهيونية واللاسامية

لم تلق فرية في التاريخ نجاحاً كهذه الفرية، ونجح اليهود في خداع العالم بهذه الفرية، وإخفاء عنصريتهم. والعجيب في أمر هذا السلاح هو أن "الذين استغلوه ورفعوه سيفاً مسلطاً فوق رؤوس البشر، ويحاربون كل من يقف في طريق أهدافهم هم من يهود الخزر الذين ولا ينتمون للجنس السامي بصلبة"<sup>(2)</sup> وقد استغل المفكرون الصهاينة هذا المفهوم أبشع استغلال! حاول ليو بنسكر تصويرها على هواه: "اليهود غريبون عن كل الشعوب التي يعيشون بينها، إنهم مطاردون في كل مكان، انسجامهم مع الشعوب يستحيل تحقيقه.. الخ". ثم جاء من بعده هرتزل ليوظف هذا المفهوم من أجل خدمة الهدف الذي رسمت الحركة الصهيونية تفاعلاته وهو: إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين!<sup>(3)</sup>، وأكد زعماء الصهيونية «إن اللسامية ليست العدو الأساسي للصهيونية وإنما الاندماج في الشعوب الأخرى هو العدو الأساسي لها»<sup>(4)</sup>. ويذكر هرتزل في مذكراته: "أنه يؤمن كلية بأن معاداة السامية تعتبر حركة بالغة الفائدة بالنسبة لتطوير الذاتية اليهودية"<sup>(5)</sup>.

ويري صبري جريس أن آراء اللساميين قد التقت مع الأفكار الصهيونية، حيث نجد أن أبرز أفكار اللساميين كالتالي<sup>(6)</sup>: اليهود (دين وقومية وعرق)، لا يمكن أن يتعايش اليهود مع

(1) غازي حسين، التعاون بين الصهيونية والنازية لحل المسألة اليهودية بإقامة إسرائيل في فلسطين.

(2) عبدالله التل، خطر اليهودية العالمية، مطابع دار القلم، القاهرة، ص 173.

(3) فايز رشيد، اليهود ليسوا ساميين، 2015/02/24- جريدة الخليج-

<http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/4099a081>.

(4) غازي حسين، التعاون بين الصهيونية والنازية لحل المسألة اليهودية بإقامة إسرائيل في فلسطين.

(5) يفجيني يفسييف: الفاشية في ظل النجمة السداسية. دار الثقافة الجديدة. القاهرة ص 39، 40.

(6) صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج 1، م.ت.ف، مركز الأبحاث- بيروت 1981م، ص: 50.

الأوروبيين، ويجب عزل اليهود، ويجب إقامة دولة لليهود في الشرق حيث أصولهم. ومن ثم كان الحل الصهيوني المقترح للمسألة اليهودية جزءاً لا يتجزأ من العملية الاستعمارية الغربية، حيث اتفق الاقتراح الصهيوني مع الصيغة الاستعمارية الأوروبية بواسطة تحويل تيار المهاجرين اليهود من إنجلترا إلى أفريقيا وآسيا<sup>(1)</sup>. واستغلّت مذهبية الهولوكوست الجامدة القائلة بكراهية الأعداء الأبدية لليهود، لتبرير ضرورة وجود دولة يهودية، باعتبارها الملجأ الوحيد أمام التفجير التالي للإسامية الإجرامية<sup>(2)</sup>. وهذا يعني أن وظيفة العداة للإسامية تنحصر في إنتاج المسألة اليهودية وإعادة إنتاجها، وتدعيماً للفكرة الصهيونية، لذا نجد المفكر اليهودي البريطاني لوسيان وولف يعتبر العداة للإسامية حليف طبيعي ومتناغم مع الصهيونية والمبرر الأقوى لوجودها. أما المسيحي فيربط بين الصهيونية ومعاداة اليهود برباط وثيق ويجد أنهما وجهان للعملة نفسها، وأن المعادي لليهودي يود أن يخلص نفسه من اليهود بالقائم في فلسطين!<sup>(3)</sup>

### حلول غربية للمسألة اليهودية

تمتع يهود غرب أوروبا بفرصة كبيرة للاندماج في مجتمعاتهم بسبب ظهور المذهب البروتستانتي المتصالح إلى حد ما مع اليهود، وكذلك نشأة وتطور حركة التحديث والرأسمالية الحديثة، الأمر الذي خفف من حدة التوترات الطبقية، كما أن شيوع الفكر الليبرالي ومبادئ المساواة والقومية الحديثة بعد الثورة الفرنسية ساهم في صهر مكونات المجتمعات الغربية في قوالب قومية متجاوزة للفروق الطبقية والدينية<sup>(4)</sup>، وبالرغم من ذلك برزت المسألة اليهودية، كمسألة متعددة الأوجه، حيث التقت دعوة للإسامية مع رغبة قيادات يهودية في بناء الكيان اليهودي الخاص، وهنا جرت محاولات يهودية للبحث عن طريق لتحقيق كيانيتهم الخاصة خارج المجتمعات التي يعيشون فيها، مقتفيه آثار حركات ونزعات قومية أوروبية وليدة<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الوهاب المسيري، الايدلوجية، ص43.

(2) نورمان فنكلنشتاين، صناعة الهولوكوست، دار الآداب بيروت 2001، ص58.

(3) مأمون كيوان، الحل العربي لـ "المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج: 2010/04/11- د. عبد الوهاب المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1990.

(4) أحمد محرم، المسألة اليهودية في أوروبا: جذور الصهيونية كحركة معادية لليهود الحلقة الأولى، 2017/3/23.

(5) جبريل محمد، استعراض كتاب: أبراهام لينون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، مجلة قضايا اسرائيلية، ع 29-56 يناير 2015، ص112.

وقد أثرت "المسألة اليهودية" في الفكر الغربي وحده، قبل ظهور الفكر الصهيوني، فتعرضت إليها معظم التيارات الفكرية مثل الليبرالية كما قال "برونو باور" في كتابه "المسألة اليهودية" عام 1843، أو الماركسية كما فعل "ماركس" في المسألة اليهودية عام 1843، والوجودية كما كتب "سارتر"<sup>(1)</sup> "تأملات في المسألة اليهودية" عام 1954. وأيضاً من الذين كتبوا حول المسألة اليهودية: سيجموند فرويد، مارتن بوبر، ويل ديورانت، تشمبر لين<sup>(2)</sup>، فيودور دوستوفسكي<sup>(3)</sup>، فمنهم من رأى الحل في تخلي اليهودي عن ديانته واعتناق المسيحية وأديان الشعوب التي يحيون بينها، وآخرون رأوا أن الاندماج في المجتمعات القائمة هو الحل، وغيرهم رأوا أن المشكلة لها جوانب اقتصادية واجتماعية ونفسية وطبقية.

كما كانت هناك أيضاً مدارس يهودية دينية تناولت المشكلة ولكنها اختلفت في تصوراتها حول حلها، فهناك مدرسة تدعو إلى انتظار المسيح ليخلصهم مما هم فيه من ظلم واضطهاد، وأخرى تتبنى مقولة الاندماج والذوبان في المجتمعات الأوروبية، وثالثة تنادي بالهجرة من المجتمعات المفعمة بمشاعر العداء للسامية إلى مجتمعات لا تسود فيها تلك المشاعر، ورابعة تدعو الجماعات اليهودية إلى الانخراط في الحركات الثورية باعتبار أن الثورة على الوضع القائم هي طريق النجاة، وخامسة تعتبر أن حل المسألة اليهودية لا يكون إلا عن طريق الدعوة القومية (وهي المدرسة الصهيونية)<sup>(4)</sup>.

---

(1). جعل "سارتر" السبب الرئيسي للمسألة اليهودية هو رؤية الآخرين لليهودي، ومن ثم فتححر اليهودي ليس من داخله بل من خارجة فهو الضحية وليس الجلاد، والسبب الرئيسي للمسألة اليهودية هو باختصار المعاداة للسامية، واليهودية ليست سوى موقف صنعة العالم لليهود من خلال معاملتهم باعتبارهم يهوداً؛ وليس لليهود أي ذنب في ذلك إطلاقاً، واعتبر أن الصهيونية تمثل الموقف الوجودي الجديد المضاد والحقيقي؛ الذي من خلاله يرد اليهود على موقف التهميش والقهر التاريخي - من جانب العالم. وهكذا فإن فيلسوف الحرية اتخذ قراراً تعميمياً بدعم حرية يهود أوروبا والعالم، على حساب حرية العربي الفلسطيني، ودعم الصهيونية، ووصفها فلسفياً، باعتبارها ممارسة لحرية اليهود، وتطور وعميم بذاتهم، وقد ربط سارتر في مغالطة سياسية ومنطقية واضحة بين اضطهاد اليهود في أوروبا، والحل المتمثل في الصهيونية واحتلال فلسطين، وربط كذلك بين الهولوكست وعقدة الذنب الأوروبية، وأخذ الأمر لأبعد من ذلك بحيث أصبح رفض الصهيونية، باعتبارها حركة عنصرية واستعمارية يساوي معاداة السامية.

(2) الموسوعة الفلسطينية: الجزء الثالث (مادة العنصرية والصهيونية) ص348.

(3) راجع: المسألة اليهودية شهادة دوستوفسكي عن اليهود الروس. مجلة أدب ونقد، ع69. مايو 1991. القاهرة. ص11.

(4) راجع. كارل ماركس: حول المسألة اليهودية. ترجمة ومراجعة: حمزة برقواوي. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق 1989.

## 1- حل الثورة الفرنسية:

من المؤشرات التاريخية ذات الدلالة، أن الثورة الفرنسية (1789) أصدرت بعد عامين فقط من قيامها، قانونا لتحرير اليهود ومنحهم حقوقا مساوية لغيرهم من المواطنين، حيث كفل دستور عام 1791 حرية كل فرد في ممارسة العبادة التي ينتسب إليها، كحق من حقوق الإنسان، وجاء في إعلان حقوق الإنسان 1791، المادة العاشرة: لا ينبغي أن يضايق أي إنسان بسبب قناعاته، بما فيها الدينية.

وجاء في المادة التاسعة: لقد تلقى جميع الناس الحق الحتمي من الطبيعة في الصلاة لله القدير متبعين وحي ضميرهم، ولا يمكن أن يرغم أحد بحكم القانون أن يقرب أي عبادة أو إله، أو يمارسها أو يساندها خلافا لرغبته، وبذلك فإن الأفكار التي بشرت الثورة الفرنسية بها يمكن اعتبارها "أول محاولة جدية لحل المسألة اليهودية" من خلال إلغاء التمييز ضدهم وعلمنة السياسة وتقليص دور الكنيسة وفكرة المواطنة والدمج واحترام الحقوق الدينية والشخصية والمدنية<sup>(1)</sup>، ولكن الجماعات اليهودية عارضت قانون مساواة اليهود بالمواطنين الفرنسيين، لأنها كانت ترى أن المساواة في أوروبا تقود إلى اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية، الأمر الذي يلغي خصوصيتهم وتميزهم.<sup>(2)</sup>

## 2- التيار الليبرالي:

حاول المفكر الألماني "برونو باور في كتابه "المسألة اليهودية براونشفايغ 1843" تحرير اليهود في ألمانيا عن طريق الدولة الألمانية الليبرالية، وخاطب اليهود قائلا: لا يمكنكم أن تتحرروا سياسياً دون أن تتحرروا جذرياً من اليهودية، فلا بقاء للخاص من دون العام، ولا تحرر للجزء إلا بتحرر الكل، فليس ثمة من هو متحرر سياسياً في ألمانيا، نحن أنفسنا لسنا أحراراً، فكيف نستطيع تحريركم؟ أنتم اليهود أنانيون حين تطالبون لأنفسكم بانعتاق خاص، عليكم أن تعملوا كألمان من أجل انعتاق ألمانيا السياسي، وكبشر من أجل الانعتاق البشري.<sup>(3)</sup>

(1) جوزيف سماحة، سلام عابر: نحو حل عربي ل"المسألة اليهودية" بيروت: دار النهار للنشر، 1993- ص 23.

(2) ندوة سياسية في الناصرة 'حول عرب إسرائيل"، صحيفة "الاتحاد" (حيفا)، 17/3/1986.

(3) قدرة يهود ومسيحيي اليوم على التحرر، رونو باو، "واحد وعشرون ملزمة من سويسرا"، الناشر: جورج

هيرفيه، زيورخ وفينترتور 1843، ص 6 - 7.

### 3-الحل الماركسي:

تصدى ماركس للمسألة اليهودية في أطروحته: "حول المسألة اليهودية"، التي كتبها عام 1843، وناقش فيها أفكار برونو باور في "المسألة اليهودية"، وبين أن تحرر اليهود يتم من خلال تحرر المجتمع من الرأسمالية، ويرى أن المشكلة لا تكمن في الديانة اليهودية بقدر ما تتبلور في التجارة الربوية لليهود في العالم، ومن ثم إذا أردنا حل هذه المسألة فإنه ينبغي تقليص هذه النوعية من المتاجرة الربوية، وباختصار شديد وكما يقرر ماركس: ألغوا هذه المتاجرة، وقوضوا سيطرة المال على المجتمعات، تحل المسألة اليهودية. ويرى ماركس أن حل المسألة اليهودية يتحقق عندما يكون اليهودي قد كف عن أن يكون يهودياً، حين لا يدع قانونه يعيقه عن أداء واجباته إزاء الدولة وشركائه في المواطنة، أي أن يذهب يوم السبت إلى مجلس النواب ويشارك في المناقشات<sup>(1)</sup>.

وقد أراد "ماركس" أن يحقق تحرير اليهود ولكن عن طريق تحرير المضطهدين في العالم كله، عن طريق القضاء على البرجوازية المستغلة وتوحيد جميع المضطهدين، وقد كان تأسيس حزب البوند يعد علامة على اندماج الحركة اليهودية في التيار التقدمي في أوروبا الشرقية، وشكل بدوره اندماجاً وظيفياً، ولكنه استند إلى الخصوصية اليهودية، ولذلك رأى فيه لينين عملاً عنصرياً، ورجعياً، وأكد بنقده لحركة البوند، على ما طرحه ماركس من أن الحل النهائي لمشكلة العمال اليهود في روسيا يكون بالاندماج في الطبقة العاملة الروسية<sup>(2)</sup>.

### 4-ابراهيم ليون والمسألة اليهودية:

نقد ليون النظريات التي بررت استمرار المسألة اليهودية تاريخياً، والتي نظرت إلى الشتات اليهودي كسبب لاستمرار المسألة اليهودية، وفند الزعم القائل إن اليهود شتتوا عندما سقطت القدس عام 70، عبر إثباته أن الشتات اليهودي كان قبل ذلك بقرون وأنه لم يكن وليد العنف أو القهر، بل كان وليد النشاط الاقتصادي التجاري لهم، وبين أن اليهود في مختلف بقاع العالم غير فلسطين في تلك الفترة كانوا يشكلون 75% من اليهود، ولم يكن لهم اهتمام كبير بالمملكة اليهودية في فلسطين<sup>(3)</sup>.

---

(1) حول المسألة اليهودية- كارل ماركس في خريف عام 1843. نشرت لأول مرة في شهر فبراير عام 1844 في Deutsch-Französische Jahrbucher الحولية الألمانية الفرنسية بباريس- ترجمة د. نائلة الصالحي- التحويل الرقمي: وجدي حمدي- يوليو 2004.

(2) رياض محرم المسألة اليهودية بين الماركسية والإسلام، - <http://www.civicegypt.org/?p=23144>.

(3) أبراهام ليون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة وتقديم عماد نوهض، ط1، عن دار الطليعة ببيروت عام 1970- ص11.

ويرى ليون أنه ومع صعود الرأسمالية، سرت اتجاهات متناقضة بين اليهود في أوروبا، فمنهم من سعى للاندماج باستغلال ما فتحته الثورة الفرنسية من آفاق لعلمنة المجتمع، ومنهم من رأى في اشتداد النزعة القومية، مدعاة لبعث المسألة اليهودية، ويطرح ليئون حلاً للمسألة اليهودية خارج الحلّ الصهيوني، الذي سيصطدم بحركة قومية عربية رافضة له، وأن الحل الحقيقي يكمن في انصهار اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأنه لا يمكن لفلسطين واستيطانها وإقامة الدولة اليهودية عليها أن تكون سوى نوع من تسكين الألم لا علاجه<sup>(1)</sup>.

## 5- الحل المسيحي الصهيوني:

وجد الصهاينة غير اليهود، الذين ينتشرون في البلاد التي اعتنقت البروتستانتية، أن إيمانهم الديني يفرض عليهم إيجاد حل للمسألة اليهودية يتماشى مع نبوءات العهد القديم والجديد، مما دفعهم لإيجاد حلول مختلفة لذلك، بدأت منذ القرن السادس عشر وتوجت بوعد بلفور ودعم الحل الصهيوني الذي يحل المسألة على حساب العرب، ويرضي في الوقت ذاته أحلام اليهود اللاهوتية، وينسجم مع مخططات الأوروبيين في السيطرة على المنطقة العربية لقيمتها الحضارية والجيوسياسية والاقتصادية<sup>(2)</sup>.

## 6- الحل الصهيوني:

في القرن 19 ساد ميدان الفكر السياسي الأوروبي اتجاهان رئيسان كان لهما تأثير كبير على بلورة الأفكار اليهودية الصهيونية: اتجاه يدعو إلى المساواة والأخوة الإنسانية بين الشعوب، وخلق عالم أفضل يعيش فيه البشر عائلة واحدة، أما الاتجاه الآخر: فقد دعا إلى نقاء العرق والعنصر والتميز بين الشعوب. وقد سارت في الاتجاه الأول المدرسة الليبرالية التي اجتذبت الأسر اليهودية المتنفذة وغالبية الطبقة المتوسطة اليهودية، وأيضاً المدرسة الاشتراكية التي اجتذبت غالبية الطبقة اليهودية الفقيرة، بينما أثرت أقلية من اليهود الانجراف وراء الاتجاه الآخر الذي رفض فكرة المساواة والتقدم وأمن بالعنصرية وتمايز الأعراق<sup>(3)</sup>.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت فكرة الفرار خارج أوروبا كلها تراود عددًا

(1) جبريل محمد، استعراض كتاب: أبراهام ليئون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ص 115-116.

(2) راجع كتاباتنا المتعددة حول هذا الموضوع: الصليبيون الجدد.

(3) الموسوعة الفلسطينية: مصدر سابق، ص 348.

من أعضاء الجماعات اليهودية، وكانت فلسطين بطبيعة الحال محط آمال اليهود المؤمنين بالحل الصهيوني، ومن ناحية أخرى، انزعجت العناصر اليهودية البرجوازية المندمجة في مجتمعات غرب أوروبا، بشدة إزاء توافد موجات هجرة ضخمة من يهود شرق أوروبا، تستفز المجتمعات الغربية بتخلفها الحضاري والاجتماعي، وتعيد للجماعات اليهودية في غرب أوروبا هواجس انبعاث المناخ المعادي لليهود ولذا تبني زعماء اليهود في غرب أوروبا ووسطها الحل الصهيوني للتخلص من الفئاض البشري اليهودي القادم من الشرق وغير المرغوب فيه<sup>(1)</sup>.

ووسط هذا الخضم الفكري والمد القومي والحقدي على اليهود، ظهرت المنظمة الرئيسية للصهيونية اليهودية، حيث طرحت الصهيونية نفسها بوصفها حلاً شاملاً للمسألة اليهودية أينما وجدت، ولكنها جوهت بمعارضة شديدة من يهود كثيرين<sup>(2)</sup>، وقد ارتكزت الحركة الصهيونية في دعوتها على عنصرين أساسيين هما: عدم الاندماج واللاسامية (الاضطهاد)، حيث اعتبرت الحركة الصهيونية الاندماج خيانة، وذكر المؤرخ الصهيوني "سيمون دوبنوف" عام 1906: "إن الاندماج خيانة عامة لراية الشعب اليهودي ومثله..". ويضيف الصهيوني "يعقوب كلاتكن" عام 1921 بقوله: "نحن لسنا يهوداً من ألمانيا أو إيرلندا.. وإنما يهود فحسب، نحن ببساطة غرباء، شعب أجنبي بين طهرانيكم، إذ يفصل بيننا برزخ واسع إلى حد أنه لا يمكن إقامة أي جسر عليه للعبور، إن روحكم غريبة، وأساطيركم وحكاياتكم وعاداتكم وعرفكم وتقاليديكم وتراثكم القومي، ومقدساتكم الدينية والوطنية وأحاديكم وعطلاتكم، كلها غريبة علينا ومن يدعو أرض الغربية وطن الأجداد خائن للشعب اليهودي"<sup>(3)</sup>.

وهكذا نشأ الفكر القومي اليهودي على هذا المنوال، وتحولت الصهيونية من نزعة روحية تقاوم الذوبان في باقي القوميات الى صهيونية سياسية ترى حل المسألة اليهودية على النموذج الأوروبي<sup>(4)</sup>، وترفض فكرة الدمج، ونظرت للمشكلة اليهودية على أنها تتجاوز حدود الزمان والمكان وهي لا ترتبط بنظام اجتماعي أو اقتصادي أو مجتمع ما بعينه، بل ترتبط بوجود اليهود

(1) أحمد محرم، المسألة اليهودية في أوروبا: جذور الصهيونية كحركة معادية لليهود.

(2) نادية سعد الدين، مازق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، مجلة "المستقبل العربي"، ع 424، يونيو 2014- مركز دراسات الوحدة العربية / 27.

(3) محمد أحمد رمضان، العلاقة الخاصة الشاذة بين النازية والصهيونية. مجلة الكاتب. العدد 153، القاهرة، ديسمبر 1973. ص 91، 92.

(4) حسن حنفي، الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي عدد 486 مايو 1999م.

أنفسهم في عالم لا ينتمون إليه، ولا يستطيعون أن يذوبوا فيه، ومن هنا فليس هناك حل سوى العودة إلى أرض صهيون أرض الميعاد، وإقامة دولتهم النقية هناك<sup>(1)</sup>.

وهكذا قامت إسرائيل لتستوعب يهود العالم وتحل المسألة اليهودية، وقد أدى قيامها إلى خلق المسألة الفلسطينية. فالعالم اليوم لم يعد يعرف يهوداً مضطهدين، ولكن هناك يهوداً وحركة صهيونية عنصرية، وعرباً فلسطينيين مضطهدين وشعباً مشرداً وأراض محتلة<sup>(2)</sup>. وهنا تكشف أن المفهوم الصهيوني للحل النهائي للمشكلة اليهودية، جاء على حساب شعب آخر، يتوافق تماماً مع المفهوم النازي لحل المسألة اليهودية، وهو القضاء على العنصر البشري غير المرغوب فيه وتصفيته نهائياً، وهذا الحل أدى إلى اندلاع الصراع العربي الصهيوني<sup>(3)</sup>، وأعاد إنتاج المسألة اليهودية في شروط جديدة، عندما ضخم من مغبة الاندماج حدّ الفناء لمصلحة الانفصال والهجرة الى أرض الميعاد، إذ وضع اليهود ولأول مرة منذ تشردهم التاريخي في موقع الجلاء، حيث كانت لحظة إنشاء الكيان الإسرائيلي هي لحظة شطب شعب آخر<sup>(4)</sup>.

## 7-الحل النازي:

قامت النازية على أساس فكرة تفوق العرق الآري على بقية الأعراق بالنقاء والذكاء، والمحافظة على الانغلاق العنصري وممارسة الإرهاب والعنصرية والحروب العدوانية تجاه الشعوب الأخرى، والحل النازي الذي أطلق عليه اسم الحل النهائي للمسألة اليهودية، شكل محاولة مجنونة للحل تمثلت في الإبادة الجسدية الكاملة لليهود<sup>(5)</sup>، فقد كان واضحاً من خلال كتاب "كفاحي" لهتلر حجم العداة والصراع بين الجنس الآري والجنس اليهودي، ولذلك تم وضع خطة ألمانية أبان الحرب العالمية الثانية دعت إلى الترحيل القسري المنظم لليهود إلى معسكرات الأعمال الشاقة بهدف القضاء عليهم وإبادتهم. والحل النازي للمسألة اليهودية مهد الطريق أمام الحركة الصهيونية للاستفادة من المحرقة اليهودية، في تبرير إيجاد وطن لليهود في فلسطين<sup>(6)</sup>.

(1) نادية سعد الدين، مأزق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، ص ٢٧.

(2) عالم بلا يهود - مصدر سابق ص 7.

(3) مأمون كيوان، الحل العربي لـ "المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج: 2010/04/11.

(4) المصدر نفسه، وأنظر: عبد الوهاب المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1990.

(5) جوزيف سماحة، سلام عابر: نحو حل عربي لـ "المسألة اليهودية"، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٣ - ص 107.

(6) جويل كوفيل، التغلب على الصهيونية: إقامة دولة ديمقراطية واحدة في إسرائيل فلسطين، تر: عمر عدس- الناشر: دار بلوتو برس في لندن 2007.

## إخفاق الغرب في حل المسألة اليهودية

لم يسبق لأوروبا طوال تاريخها أن اهتمت لحل للمسألة اليهودية العتيبة إلا وكان كارثياً، تمثل في غيتو العصر الوسيط أو أواخره، وفي المذابح والتصفيات وأعمال الإبادة العرقية، أو في أفضل الحالات في الإدماج على قاعدة المواطنة، والذي فشل بدوره لأنه أراد أن يحوّل فئة سمّتها التمايز كمجموعة دينية، إلى أفراد، ويندرج في منطق الكارثة تلك، الاستيطان اليهودي في فلسطين، الذي لم يفعل غير استبدال ضحية بضحية، أو إيجاد ضحية مستجدة (الشعب الفلسطيني) للضحية التاريخية (اليهود)، بأن حوّل هذه الأخيرة إلى جلاّد في أكبر مظلمة شهدتها العصر الحديث، فأعاد بذلك إنتاج الكارثة، في التعاطي مع «المسألة اليهودية»، ولكن على حساب الفلسطينيين هذه المرة.<sup>(1)</sup> فشعور أوروبا بالذنب والندم على ما اقترفته لاساميتها من مجازر وحشية بحق اليهود، جعلتها تقدم الدعم المكثف لإسرائيل. وانطلاقاً من عقدة اضطهاد اليهود، وتحت تأثير هذه العقدة، يعتبر الغرب الأوروبي أن قيام إسرائيل، قد شكّل حلاً نهائياً للمسألة اليهودية<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن الغرب الأوروبي، لم يهتد في معالجة تلك المسألة إلى حلّ، ينهي مشكلة، بل اكتفى بالتحلل منها وإخراجها من حيزها التاريخي التقليدي (أي القاري الأوروبي) ونقلها إلى حيز آخر، هو ذلك الشرق أوسطي، ولا سيما الفلسطيني، أي بجعل «المسألة اليهودية» تلك مشكلة لسواه، كأنه لا يمكن للغرب أن يبذل لليهود تعويضاً أو تكفيراً، إلا على حساب سواه، وكأنه لا يسع اليهود أن يكونوا غربيين ناجزي الغربية، إلا خارجه<sup>(3)</sup>.

## العرب والمسلمين والمسألة اليهودية

بالرغم من أن معطيات تاريخية كثيرة تشير إلى أن المجتمعات العربية الإسلامية لم تشهد مسألة يهودية، وأن اليهود في تلك المجتمعات لم يعانون من أي اضطهاد، إلا أن د. عبد المنعم الحفني يرى أن تاريخنا الإسلامي شهد مسألة يهودية حيث عانى منهم الرسول كثيراً، ونزلت فيهم وعنهم سور كثيرة، وأذوا المسلمين كثيراً، وأثاروا فتنة كبرى، وأشاعوا في ديننا ما يسميه رجال

(1) صالح بشير، إخفاق الغرب في حل المسألة اليهودية، -17-06-2008.

(2) توفيق المدني، وعد بلفور أو حل المسألة اليهودية أوروبياً، عرب 48

(3) صالح بشير، إخفاق الغرب في حل المسألة اليهودية، -17-06-2008.

الفقه بالإسرائيليات<sup>(1)</sup>، ولذلك فقد حل الرسول المسألة اليهودية، بأن أوجد، ما يسمى بأهل الذمة، وسمح لهم بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيهم، وفق ما يأخذ عليهم من شروط، وقضى الرسول ﷺ على المسألة اليهودية: بأن قضى على فردية اليهود التي كانوا يتباهون بها على العرب، بأن جعلهم رعايا في الدولة العربية الإسلامية، وتمتعوا فيها بالحرية مقابل أداء الجزية والخراج، ولأول مره يحكم رؤساء اليهود في شئونهم، وسمى رئيسهم رأس الجالوت، وكان البستاني هو أول رأس جالوت تولى شئون اليهود في العصر الإسلامي، وكان موضع تقدير من عمر بن الخطاب<sup>(2)</sup>.

من هنا فإن دراسة قضية اليهود في البيئة الإسلامية، بحاجة إلى إضاءة وتوضيح للكشف عن ملاساتها موضوعياً وهذا يتطلب التحرُّز بالفرز على مستويين، فأما أولهما: فهو التفرقة بين وضعية اليهود نظرياً في المصادر الإسلامية الرئيسية (القرآن والسنة الصحيحة)، وبين الممارسات العملية التي قد تقارب الأصل وقد تتباعد عنه. وأما ثانيهما: فهو التفرقة بين ممارسات النظم الحاكمة - التي إن عدلت شملت الجميع: يهود ونصارى ومسلمين، وإن حادت قد يطول جورها الجميع، وقد يختص طائفة منهم<sup>(3)</sup>.

ويمكن القول إنه تمت وفي حالات قليلة عملية تشكل ملامح مسألة يهودية في المجتمعات العربية لم تتطور إلى مستوى المسألة اليهودية التي برزت بقوة في المجتمعات الأوروبية، حيث بدأت المسألة اليهودية التي تحولت إلى حركة صهيونية، قضية مرتبطة بأوضاع اليهود في أوروبا ولم يكن للمجتمعات الإسلامية والعربية من رابط بها، ولعل فشل المجتمعات الأوروبية في دمجهم كمواطنين، واستمرار اضطهادهم حتى القرن التاسع عشر، أظهرت قصور الحضارة الغربية وجعلت فلسفة الأنوار موضع تساؤل وقتها<sup>(4)</sup>.

(1) عبد المنعم الحنفي، عالم بلا يهود، دار الرشاد. الطبعة الأولى. القاهرة 1992 ص5.

(2) المصدر نفسه، ص40.

(3) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017- ص133.

(4) محمود حداد، يهود العراق ومصر: هجرة أقرب إلى التهجير،- ٢٧ أغسطس/ آب ٢٠١٥ -

<http://www.alhayat.com/Articles/10810774>

## العرب والمسلمين والعداء للسامية

المشكلة الرئيسية في التاريخ الصهيوني تكمن في استعارته أوصافاً من سياق محدد وإسقاطها على سياق آخر، ما جعله يروي التاريخ اليهودي في العالم العربي الإسلامي بالمفاهيم التي تتسم بها السردية العليا للتاريخ اليهودي في العالم الأوروبي المسيحي، وتبرز هذه الاستعارة الإشكالية في مخزون المفردات المستعملة، فقد جرى على سبيل المثال إسقاط مصطلحات مثل "مذبحة" و"غيتو" ومعاداة السامية والناجمة عن، وتعكس، خصوصية التجربة اليهودية في المجتمع المسيحي، على التجربة اليهودية في المجتمع المسلم، هذا بالرغم من أن ما يعرف في الغرب بالعداء للسامية لم ينشأ في العالم العربي في يوم من الأيام، والعرب لم يكونوا قط معادين لليهود<sup>(1)</sup>، ومن يحاولون إلصاق تهمة "العداء للسامية" بالعرب! ناسين أو متناسين الحقائق التاريخية، التي تؤكد أن العرب هم أصل السامية ولا يمكن لشعب أن يكون عدواً لنفسه!<sup>(2)</sup>، وأن عقيدة معاداة السامية، كأيديولوجيا عداء، هي نتاج الغرب المسيحي ترعرعت في كنفه وفي أحضان الكنيسة بالذات، ولا يمكن مقارنة عقيدة معاداة اليهود كهود وبتّ الكراهية ضدّهم في الكنيسة الكاثوليكية تاريخياً بالتعبيرات والكلام ضد اليهود الذي يصدر عن بعض العرب والمسلمين، أفراداً وتنظيمات، حتى لو نحت التعبيرات نحو السوقية والبذاءة.

فمصطلح اللاسامية، هو اصطلاح أوروبي لم تعرفه البلاد العربية، وترافق مع ولادة الصهيونية السياسية في أواخر القرن التاسع عشر<sup>(3)</sup>، والعرب والمسلمين لم ينتجوا عقيدة أو أيديولوجيا عداء ضد اليهود عبر التاريخ، رغم كراهية ضد اليهود صدرت عن حاكم هنا أو عن فرد هناك. والمعاداة العربية لليهود هي سياسية وليست عنصرية/ عرقية (كما في الغرب)، كما يشهد بذلك المؤرخ الصهيوني، برنارد لويس في كتابه "ساميون ومعادون للسامية"، حيث لاحظ أن التعبير المعادي لليهود ترافق مع مراحل الحروب العربية الإسرائيلية.

وهناك كتاب لمؤرخ صهيوني، روبرت ساتلوف، اعتبر فيه أن هناك أكثر من حالة قام فيها عرب ومسلمون بحماية اليهود. وبقاء اليهود في البلدان العربية حتى القرن العشرين دليل على أن العلاقة معهم لم تكن يوماً مثل حالة اليهود في الدول الأوروبية. لذا يقول المستشرق

(1) الفريد ليلينثال، هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص 294-295.

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة الصهيونية و"إسرائيل"، المجلد الثاني: دار الشروق، القاهرة 1999.

(3) كامليا أبوجيل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، ط 1-1999 دار معد-ص 5.

ماكسيم رودنسون إن الأقليات اليهودية في البلدان الإسلامية تعرضت لتمييز لا لاضطهاد إلا نادراً<sup>(1)</sup>، والتاريخ يثبت بما لا يقبل مجالاً للشك، أن اليهود عاشوا في المجتمعات العربية مثل كل الطوائف والمذاهب والأعراق والإثنيات الأخرى وعلى قدم المساواة. وإن العصر الذهبي لليهود كان في الأندلس إبان الحكم العربي- الإسلامي لها.<sup>(2)</sup>

ومن هنا فإنه ليس هناك من مبرر إطلاقاً، للاعتداء على أي قطر من أقطار العالم الإسلامي، (بسبب اضطهاد اليهود)، أو (بسبب اللاسامية)، أو (بسبب المسألة اليهودية) التي لم يكن قد وقع عليهم بسببها أي أذى في العالم الإسلامي، فلم يكن هناك اضطهاد، ولا مذابح، بفضل سماحة الإسلام والمسلمين، ولم يكن هناك لا سامية في العالم العربي والإسلامي؛ لأن العرب هم أساس العرق السامي، والذين اخترعوا اللاسامية ومارسوها، وأوجدوا المشكلة اليهودية، كانوا غربيين: الجرمان واللاسامية توجد في أمريكا وفي بريطانيا، كما توجد في كثير من البلدان الغربية، ولكنها لم توجد في البلدان العربية قط.<sup>(3)</sup>

ولكن من المؤسف أن بعض المسلمين اليوم تبنوا عدداً من صفات وخواص معاداة السامية الأوروبية بعد أن تأسّلت كراهية اليهود هذه، أي اتخذت طابعاً إسلامياً مدعوماً بخليط من نصوص معادية لليهود من المصادر الإسلامية. تلك النصوص التي لم يكن من أهمية لها ولا تأثير على معاملة المسلمين لليهود في القرون السابقة، ولكن بعد ظهور الصهيونية وإسرائيل كان متوقعاً أن يعمم موقف العداء هذا على أي فهم متوازن لماضي الإسلام الحقيقي ومواقفه وسياسته المتسامحة المتساهلة تجاه اليهود والأقليات غير المسلمة الأخرى.<sup>(4)</sup> ويبدو أن الدعاية المناهضة لليهودية تتضمن ثلاثة عناصر رئيسية، أولها: وجهات النظر المعادية لليهود والمستاقاة من مصادر إسلامية تراثية، تم آراء وصور معادية للسامية واتهامات ذات أصول مسيحية وأوروبية، حيث تبنت معاداة السامية العربية كافة الأساطير الأوروبية المعادية

---

(1) أسعد أبو خليل، المسألة اليهودية: نحن والمحركة، السبت 29 أيار 2010- الاخبار

<https://www.al-akhbar.com/Opinion/113089>.

(2) فايز رشيد، اليهود ليسوا ساميين، 2015/02/24- جريدة الخليج.-

<http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/4099a081>

(3) الفريد ليلينثال، هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص 314.

(4) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، ترجمة كامل الزيايدي. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة

فرانكفورت الألمانية تسايونونغ بتاريخ 25.10.2003 -- موقع قنطره

[.http://www.qantara.de/webcom/show\\_softlink.php?wc\\_c=339](http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339)

للسامية، والأمثلة الأكثر وضوحاً على هذا هي قصة الدم وبروتوكولات حكماء صهيون والاتهام بأن اليهود هم من قتلوا المسيح، بالرغم من أن هذا الاعتقاد يتنافى مع ما ورد في القرآن بأن المسيح لم يصلب أو يقتل<sup>(1)</sup>.

ومنذ ظهور ما تسمى الأصولية الإسلامية عام 1979، تفتت الأبعاد الإسلامية لمعاداة السامية في العالم العربي والإسلامي، وهناك أصوات في الأصولية الإسلامية تتعامل مع المسألة اليهودية بكراهية محضة وابتدال شنيع، ومن دون أي لبس، حيث هؤلاء يستعينون بعبارة القردة والخنازير<sup>(2)</sup>، أو أحفاد القردة والخنازير، ولم تبد أن هذه الإهانة وهذا السب مقصور في خطب الجمعة فحسب، وإنما أيضاً في المقالات السياسية. وقد تم استيقاق هذا النعت وهذا الوصم من بعض الآيات القرآنية التي تبين أن ثمة بعض اليهود قد سخط الله عليهم فمسخهم وحولهم إلى قردة وخنازير عقاباً لهم على واقعة يوم السبت.

وثمة اتهام آخر شائع وهو مناهض لليهود، وهو أن اليهود تأمروا على النبي محمد، وأن ثمة امرأة يهودية أرادت أن تضع السم للنبي محمد ﷺ. وهناك فكرة أخرى أكثر شيوعاً وهي بشارة الحجر والشجر بحسب ما ورد في الحديث النبوي، لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر، يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورأي فاقته، والدلالة أو الرسالة الجوهرية من هذا الحديث تكمن في ضرورة تطهير العالم من اليهود قبل قيام الساعة.

## الحل العربي للمسألة اليهودية

لم تَفِ المقارباتُ السائدة، الدينية والقومية والماركسيّة، بشروطِ الفهم لإدراك الحقيقة التاريخية للمشكلة اليهودية، وكان مبعث الارتباك هو النسق الفكري لدى اليهود أنفسهم؛ حيث أنه بدون دراسة عميقة للتاريخ اليهودي، من الصعب فهم المسألة اليهودية الحالية<sup>(3)</sup>، فقد

---

(1) ميناخ ميلسون، العرب ومعاداة السامية الإسلامية -محاضرة ألقاها رئيس مركز ميمري، افتتاح مؤتمر المنتدى العالمي لمكافحة معاداة السامية"، والذي عقد في القدس بتاريخ 24 فبراير 2008- ترجمة محمود علي- مركز ميمري لدراسات أبحاث الشرق الأوسط 27 مايو 2008-

<http://vb.alfaris.cc/archive/index.php/t-38493.html>

(2) أسعد أبو خليل، المسألة اليهودية: نحن والمحركة، السبت 29 أيار 2010- الاخبار.

<https://www.al-akhbar.com/Opinion/113089>

(3) أبراهام لينون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة وتقديم عماد نويهض -طبعته الأولى عن دار الطليعة ببيروت عام 1970 - ص8.

تمخّضت كارثة الأسر البابليّ عن نصوصٍ تضمّ أخلاطاً من مبادئ التنزيل والمواد الفولكلورية وما استُخِدت من تعاليم تحضُّ على التحوصل والاستعلاء على جميع الأغيار، وقد أُتِحت لهم فرصة الخلاص مراراً، عبر القرون الممتدة، ولكنَّ الشَّعبَ (الصلبَ الرقبة) ظلَّ على عناده، فصَدَقَتْ عليهم النُّبوءات التي بين أيديهم، ولم تجد الشعوب من حل لمشكلتهم إلا الحرب والقتال<sup>(1)</sup>، وبالرغم من ذلك، فلا يزال واجب الإنسانية قائماً نحو استدراك ما فاتها باستيعابهم ورفع ما حاقَّ بهم، وردِّ مظالمهم وأطْرهم على الحقِّ، في أنٍ معاً. ولن يتحقق ذلك إلا من خلال حلولٍ يتوقَّر لها الشمول والخيال المبدع<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من ان المسألة اليهودية لم تظهر في الشرق - في آسيا وإفريقيا أو في أميركا اللاتينية - رغم وجود عدد كبير من اليهود في هذه المنطقة، بل ظهرت في قارة أوروبا، وبذلك، كانت المسألة اليهودية مسألة أوروبية في الأساس<sup>(3)</sup>، إلا أن المهمة التاريخية الحضارية الكبرى المطروحة على الأمة العربية، والتي لا بد أن تنجزها حركة قومية عربية متجددة في سياق حل معضلة الأمة العربية أولاً؛ وتقديم مشروع حل عربي للقضية الإسرائيلية، ولا يمكن لهذا الحل إلا أن يكون حلاً نهائياً للمسألة اليهودية؛ لأنه يضمن الخروج مرة وإلى الأبد من اللعنة التي طارت اليهود طويلاً ومن محاولة الحل الاستعماري الصهيوني لتوظيفها<sup>(4)</sup>.

وربما يبدو للبعض إن الكلام عن "حل عربي للمسألة اليهودية" هو أقرب إلى الصورة الشعرية منه إلى أن يكون مشروعاً تاريخياً قابلاً للتفعيل، ولكن هذه الصورة الشعرية، تستمد مصداقيتها من رغبات نبيلة في ربط النهضة العربية بقدرتها على الاضطلاع بحل بالمسألة اليهودية. فإزاء تقديم الغرب حلول عديدة لإنهاء الصراع العربي الصهيوني بجديّة عالية، ظهرت في الأوساط السياسية والفكرية العربية والفلسطينية، وفي مراحل مختلفة، ملامح جنينية لحل عربي للمسألة اليهودية، وللقضية الفلسطينية. واكتست تلك الملامح شكل طروحات فكرية وسياسية وأهداف ينبغي تحقيقها من شاكلة: بناء الدولة الديمقراطية في فلسطين، وإعادة اليهود العرب إلى بلدانهم العربية الأصلية، أو الدعوة إلى الوحدة السامية وغيرها من الدعوات التي لم يكتب لها النجاح لأسباب كثيرة أهمها أن الغرب (بريطانيا وأمريكا) هو الذي أوجد

(1) عبد المنعم الحفني: عالم بلا يهود. دارالرشاد. الطبعة الأولى. القاهرة 1992. ص.6.

(2) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى) - E-Kutub Ltd, May 25, 2017- 274 pages

(3) جبريل محمد، استعراض كتاب: أبراهام لينون المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ص.112.

(4) جوزيف سماحة، سلام عابر، نحو حل عربي ل المسألة اليهودية، دار النهار للنشر بيروت 1993.

المشكلة، وليس له مصلحه في إيجاد حل لها لا يتفق مع رؤياه الدينية العدمية التي تؤمن بأن الحل الوحيد القابل للتحقق يجب أن يمر من خلال معركة رهيبه هي هرمجيدون لتكون مقدمة لعودة المسيح إلى الأرض ليحكم العالم من مقره بالقدس، ويبدأ العصر الالفى السعيد.

من هنا فإن تحديد الخطوط الأولى لمشروع حل عربي للمسألة اليهودية، حلا حضاريًا إنسانيًا، يشكل وسيلة حاسمة لحل الصراع العربي الصهيوني، فهذا الصراع من حيث جوهره العميق نتاج لحل إمبريالي صهيوني للمسألة اليهودية على حساب الأمة العربية، ولذا في إيجاد حل عربي للمسألة اليهودية يعتبر تحديًا كبيرًا يشكل أساس التحديات التي تواجهها الأمة العربية منذ قرن ونيف من الزمن<sup>(1)</sup>، وحتى لا يطول انتظار العرب بلوغ عملية السلام محطتها النهائية، بينما قطارها خرج علي القضبان، فهل من تفكير مختلف، وتصور آخر، واستراتيجية واقعية لإدارة العرب لصراع عملية السلام؟<sup>(2)</sup>، وهنا يبرز سيناريو آخر لحل الصراع من خلال ما يتطلب من العرب من ضرورة وجود فكر عربي إسلامي موحد يرتكز على مبادئ وقيم في التعامل مع هذا الصراع، منها الإيمان بالقيم الإنسانية العليا والالتزام بها والتمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني كافة<sup>(3)</sup>.

## الصراع العربي الاسرائيلي وقراءه جديدة للعلاقات (التعايش)

شهدت حالة التعايش بين العرب المسلمون والأقليات اليهودية حالة جذر ومد في المناطق الخاضعة للحكومات الإسلامية الثيوقراطية، وشهدت مناطق عديدة في العالم هذا التعايش لما يقارب ألفاً ونصفاً من الأعوام، ومن هنا فإننا بحاجة إلى أن نعيد قراءة مشهد الصراع في الشرق الأوسط، ولنحول نظرنا إلى تركيبة التعايش بين اليهود والمجتمعات العربية والإسلامية خلال الثلاثة عشر قرناً السابقة لإنشاء دولة إسرائيل، وحين تتمكن من ذلك سنكون قادرين على الوصول إلى طرف الخيط الذي سيقودنا بين كل الإرباكات والتعقيدات الحالية، ليقدم لنا

(1) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط - الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع - ط1 1996- ص7.

(2) عبدالله تركماني، - معوقات السلام العربي - الإسرائيلي وآفاقه، تونس 2004/9/24- محاضرة قدمت في إطار دورة " معهد العلاقات الدولية / جمعية الدراسات الدولية " للعام الدراسي 2004 - 2005 من 6 إلى 24 سبتمبر/أيلول بتونس تحت عنوان " في سبيل عالم جديد لإرساء السلام : استراتيجيات جديدة.

(3) هاني الكعبر، الفكر السياسي الصهيوني واثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991- 1013- جامعة الشرق الأوسط- 2012-2013- ص110.

مساراً مسبقاً لتضييق الهوة الفاصلة بين المسلمين واليهود<sup>(1)</sup>.

فقد انتج النزاع العربي اليهودي حول فلسطين قضية سياسية جديدة أثرت على تاريخ اليهودية في القرون الوسطى في العالم الإسلامي، حيث استغل كلا الجانبين الصراع وعدل قراءة خرافة التعايش الطوباوي بين الديانتين لخدمة أغراضه السياسية. فقد لوح العرب وكذلك مؤيدي القومية العربية براية التناغم والتآلف والتوافق العربي-اليهودي في الماضي وألقوا باللوم على الصهيونية المعاصرة لعداوتها للعرب، وبالمثل، استبدل عدد من الكُتّاب الصهيونية نظرية العصر الذهبي بما أدعوه النظرية المضادة-الاضطهاد الإسلامي أو الفهم البكائي الحزين للتاريخ العربي اليهودي<sup>(2)</sup>. وهكذا تطرح دراسة التجربة التاريخية لوضعية اليهود العرب أطروحتين هما:

1- أطروحة رفض التعايش: يعتبر كثيرون أن اليهود والعرب لن يتمكنوا أبداً من التعايش، ويرون أن ثمة تقاليد عريقة من العداوة بين الشعبين<sup>(3)</sup>، فالحياة اليهودية في الإسلام بدايةً بالنبي محمد ﷺ تميزت بالصعوبة والمشقة والاضطهاد، تماثل المرارة المعاناة الفظيعة التي شهدتها الحياة اليهودية في العالم المسيحي. وهذا يتضمن أن معاداة السامية عند العرب ليست أمراً جديداً ولكنه مرض مزمن قديم، وليس من المحتمل أن يذهب أو يزول حتى لو قامت إسرائيل بتنازلات سياسية كبيرة من أجل سلام الأمة الفلسطينية الناشئة<sup>(4)</sup>. وهناك عدد من اليهود من البلاد العربية الذين يعيشون الآن في إسرائيل استبدلوا ذاكرة القبول الإسلامي لليهود وفترة الانسجام الكبير في الماضي ببغض ومقت شديد ضد الإسلام في الوقت الحاضر<sup>(5)</sup>، وتوجد العديد من

---

(1) في خريف عام 2002م، قام معهد الدراسات السامية وكل من شركة كارنجي وقسم الدراسات الشرقية في جامعة برينستون برعاية ندوة بحضور 250 مشاركاً من أجل تقييم حالة العلاقات العربية الإسلامية-اليهودية في اليمن ومن ثم التوصل إلى تقييم العلاقات العربية الإسلامية على العموم مع اليهود سواء في القرون الماضية أو العصر الحاضر، حيث أطلق على المسلمين اليمنيين أنهم "أكثر المسلمين تديناً" كما أطلق على اليهود اليمنيين أنهم "أكثر اليهود تديناً". انظر: اليهودية والإسلام في اليمن، دراسة للتفاعل التاريخي والثقافي- بقلم/ أفرام أيزاك محفوفة لمركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث\* المسار اليمني.

(2) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي - ترجمة كامل الزيايدي.

(3) أليس ثمة تاريخ مليء بالحقد بين اليهود والعرب؟ جريدة SOCIALIST WORKER، ع 2133، 10 يناير 2009.

(4) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي - ترجمة كامل الزيايدي.

(5) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، تر: كامل الزيايد، نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايونونغ بتاريخ 25.10.2003، موقع قنطره

[http://www.qantara.de/webcom/show\\_softlink.php?wc\\_c=339](http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339)

الدراسات الصهيونية التي تطفح بسيل من التحاليل المرتكزة على أطروحة معاناة اليهود العرب وحالة النذل والهوان التي كانوا يرزحون في ظلها والحاجة المستعجلة للمخلص والذي قدم في مرحلة أولى في شخص الاستعمار ثم في مرحلة ثانية في شخص الكيان الصهيوني وكانت النتيجة في الأولى ولاؤهم وخدمتهم للاستعمار، وفي الثانية هجرتهم الشديدة والمكثفة إلى إسرائيل.

2- أطروحة التعايش: في مقابل هذه الكتابات السابقة كانت هناك كتابات محتشمة تتحدث عن التعايش بغرض الحد من الهجرة إلى فلسطين، إلا أنها بقيت دون صدى، ومنذ السبعينات نجد حركة البحث دائبة لتقزيم وتهميش المعطيات المضادة لأطروحة التعايش والتسامح، وفي المقابل النفخ في الأحداث والمحطات ذات الخلفية التسامحية، حيث ترى تلك الكتابات أن جذور العداء الراهن حديثة جداً، وتعود إلى حركة الاستيطان الصهيوني التي استولت على فلسطين، فقبل ذلك كانت بكل عاصمة عربية جماعة يهودية تعيش إلى جانب جيرانها المسلمين والمسيحيين. وكان لليهود دور في حياة مدن مثل القدس والقاهرة ودمشق وبيروت والرباط وبغداد ومدن عربية أخرى. وقد عاشت جماعات يهودية جنباً لجنب مع باقي المسلمين دون مشاكل تذكر<sup>(1)</sup>.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من الأطروحتين هي: إن الأطروحة الأولى: خضعت للتوظيف السياسي لصالح دمج اليهودية العربية في المشروع الاستعماري للغرب وبعده في المشروع الصهيوني. أما الأطروحة الثانية: فهي توظف سياسياً لصالح مشروع التسوية ليكون النموذج التاريخي للعلاقات اليهودية العربية خلفية لعملية التسوية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى توظف هذه الأطروحة لمصلحة تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية، حيث يقدم مفهوم التعايش كقاعدة فكرية للتأصيل التاريخي والاجتماعي لبرامج التطبيع<sup>(2)</sup>.

وعلى أية حال فإننا باستقراء وقائع تاريخ اليهود في المجتمعات الإسلامية، سنجد مناطق شديدة القتامة، وأخرى شبه معتمة، وثالثة تبعث على الارتياح. وأياً ما كان الأمر، فإن التاريخ يشهد أن اليهود لم ينعموا بحرية قط، ولا بفرص متكافئة للحياة، قدر ما حظوا به وهم بين المسلمين، في تعايش اجتماعي بعيداً عن إملاءات السلطة<sup>(3)</sup>، وبغض النظر عن محاولات

(1) جريدة العمال SOCIALIST WORKER، عدد 2133، 10 يناير 2009.

(2) مصطفى الخلفي، يهود المغرب والتعايش اليهودي العربي- الجزيرة نت.

(3) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017-

التوظيف السابقة، إلا أن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن اليهود العرب ينتمون إلى الحضارة والمجتمع بل والأصل الشرقي، وأي كانت الغاية من الأطروحتين، فإنه لا يمكن لأى إنسان منصف أن ينكر حقيقة تمتع اليهود في العالم العربي بكافة الحقوق، حيث عاشوا في أمن وسلام، وهنا فإنه من الغريب العجيب أن يقف اليهود من العرب هذا الموقف العدائي الوحشي وهم الذين نعموا في ظل الدولة العربية الإسلامية بالسلام والرخاء، بينما كانوا يتعرضون في أوروبا لضروب الاضطهاد وكانوا يعتبرون في "قتلة الرب" و"جلادي المسيح" وكانوا مكتئلين في جماعات مغلقة على ذاتها، وبسبب هذه العزلة عانوا ألوأناً من الزرابة والاضطهاد وكثيراً ما أخذوا بجريرة آثار لم يرتكبونها<sup>(1)</sup>.

وقد كتب اليهودي "شاهين مكاريوس" صاحب "تاريخ الإسرائيليين" عن تفرُّد المسلمين بحسن معاملة اليهود: "إن المسلمين عاملوهم بالحسنى واللطف.. ولم يصادف اليهود في أوروبا وغيرها من حسن المعاملة ما لقوه من المسلمين". وكتب اليهودي "مكسيم رودنسون": عامل الإسلام اليهودية بتسامحٍ يفوق التسامح الذي لاقاه هذا الدين من جانب المسيحية. وكتيارٍ أيديولوجي، اعترف بحقه بالبقاء بالرغم من الهزيمة التي لحقت به.. وبقى المسيحيون واليهود، بالرغم من أخطائهم، معتبرين أتباع إيمانٍ صحيحٍ صالحٍ لهم، ولم يحاول العرب المسلمون، فرض الإسلام على سكان البلد التي احتلوها، وفيما بعد، أدت بعض العوامل الاجتماعية - على أثر ثورة العباسيين، التي أزال امتياز العرق العربي - إلى تحول اليهود والمسيحيين تدريجياً نحو العقيدة السائدة "الإسلام" دون أن يمنع ذلك بقاء أقلياتٍ قوية مشدودة إلى إيمانها القديم حتى يومنا هذا.<sup>(2)</sup>

ومن خلال ما تقدم فإننا لا نهدف الى رسم صورة مثالية للعلاقات اليهودية الإسلامية، إنما نسعى إلى صياغة سردية تاريخية متعددة الأطراف، يقول المؤرخون الضد صهيونيين أنه لمن الحق أن الدعاية الصهيونية بالغت في عرض الجوانب السلبية لوضع اليهود في البلاد الإسلامية، وصحيح، بدون أي شك أيضاً، إن وضع هؤلاء اليهود خلال أكثر من الف وثلاثمائة سنة كان أفضل مما كان عليه الوضع في البلاد المسيحية، غير أن الحقيقة ذاتها تبقى قائمة وهي أن وضع الذمي الذي ساد على اليهود وعلى المسيحيين كأقليات يتم "التسامح" معهم

(1) محمود السمرة، فلسطين الفكر والكلمة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974 م، ص 255.

(2) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017-

و"حمايتهم"، كان في جوهره غير مساواتي، بيد أن هذا الوضع لم يكن خاصاً بالأقلية اليهودية، ويمكن في الواقع، كما يشير المؤرخ مكسيم رودنسون، تفسيره بالشرط الاجتماعي والتاريخي لتلك الحقبة وكذلك فإن ذلك الوضع لم يكن نتاجاً لاسامية مرضية كتلك التي احتكرتها أوروبا المسيحية<sup>(1)</sup>.

وهنا لا بد من الاعتراف بوجود اضطرابٍ في تحديد وضعية اليهود في المنظومة الإسلامية على المستويين النظري والعملي، فاليهود لهم وضعيةٌ خاصةٌ مميزةٌ لا يشمل غيرهم ممن لا يدين بالإسلام، فهم أحرارٌ متكافئون والمسلمون، عدا بعض الالتزامات. وأهل الكتاب عموماً محل دعوةٍ مفتوحةٍ دائماً للإسلام الذي يراهم أقرب للحق من غيرهم، بما يفترض أن يتوفر فيهم من أساسيات الإيمان، ولعل ذلك كان مبعث حل الزواج منهم وحل طعامهم، أي مخالطتهم. فإذا كان ذلك هو شأنهم، فالطريق إلى قلوبهم وعقولهم لا يكون بالمنافرة ولكن بالجذب، ولا بالتحقير ولكن بالتوقير، ولا بإشعارهم بالظلم ولكن بشمولهم بالعدل، وذلك لبُّ الدعوة<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن الاضطراب في العلاقة مع اليهود ناشئٌ عن مخالفة النصوص الصحيحة بحشو وإضافات وممارساتٍ موضوعةٍ، مما نتج عنها أخطر الآثار نتيجة ترسيخها في الوجدان العام، بما أظهرها وكأنها المرجعية الصحيحة في المسألة. وبالرغم من ذلك فقد شارك اليهود المسلمين حياتهم، ونعموا في مجتمعاتهم بما لم ينعموا به قط في أي مجتمعٍ آخر، بل حظى اليهود بمراكز لم يستطع كثيرٌ من المسلمين بلوغها، وإذا كان هناك بعض الاضطهاد الذي لاقاه اليهود في فتراتٍ متقطعةٍ<sup>(3)</sup> فمرد ذلك إلى أن بعض الأنظمة الحاكمة لمجتمعات المسلمين، كانت في الأغلب الأعم من التاريخ الإسلامي أنظمة استبدادية. قسمت المجتمع إلى قسمين: طبقةٍ حاكمةٍ ذات حقوقٍ مطلقةٍ، و"رعيةٍ" ليس لها من الأمر شيء، فكان الاستبداد يشمل الجميع مسلمين وغيرهم<sup>(4)</sup>.

ولكن إذا انتهى يوماً ما الصراع بين العرب واليهود بصورة تامة، عندئذ سيُصبح ممكناً رؤية الماضي مرة أخرى ليس، بالطبع، كتعايش طوباوي بين الدينين ولكن كزمن عاش فيه

(1) المصدر السابق ص34

(2) المصدر نفسه- ص148.

(3) المصدر نفسه، ص149.

(4) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص150.

اليهود مغروسين في مجتمع إسلامي في تعايش خلاق مشتركين في أمور كثيرة ومنتحرين إلى درجة كبيرة من البغضاء ومعاداة السامية التي عانى منها إخوانهم في الأراضي المسيحية، ولهذا يجب أن تبذل الجهود في كل أنحاء العالم سواء في الشرق الأوسط أو أوروبا أو أميركا من أجل تشجيع فهم أكثر توازناً للعلاقات اليهودية الإسلامية في القرون الوسطى وذلك بدعوة المسلمين واليهود من أجل استكشاف الثقافة المشتركة في الماضي<sup>(1)</sup>.

## اكتشاف الهوية اليهودية-العربية

يبدو تصوّر الهوية اليهودية-العربية المشتركة متعذر اليوم بحكم الوضع السياسي القائم في الشرق الأوسط، بيد أنها كانت حقيقة واقعة قبل الحرب العالمية الثانية، وشهود هذه الهوية اليهودية-العربية الممتزجة هم اليهود الناطقون باللغة العربية وشعراؤها، أمثال الكاتب اليهودي العراقي الأصل رؤوبين سني الذي يعرض تجربته مع هويته المزدوجة العربية اليهودية فيقول: أبصر والدي النور ببغداد وأجبر على الهجرة إلى إسرائيل عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين، وبعد ذلك بسنتين وُلِدْتُ في حيفا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وكأني يهودي إسرائيلي المولد تلقى تعليمه في إطار النظام التعليمي الإسرائيلي-الصهيوني، لَقِنْتُ بأن الهويتين العربية واليهودية نقيضان لا يلتقيان. وفي محاولتي كطفل التكيّف مع المعايير الصهيونية-الإشكينازية الغربية السائدة، كنت، وأنا طفل، أشعر بالخجل من عروبة والديّ، فقد حظرت عليهما الكلام بالعربية في الأماكن العامّة، أو الاستماع إلى الموسيقى العربية داخل بيتهما. أما بالنسبة إليهما فلم أكن سوى عميل جهاز القمع الصهيوني.

لقد كانت تويتي تدريجية وبطيئة للغاية، أما في أبحاثي الأكاديمية فكنت منهمكاً في تحقيق نصوص الزهّاد والصوفيّين القدامى ضمن دراستي في الجامعة العبرية، ولم تكن ثقافة اليهود العرب في العصر الحديث في أي حال من الأحوال ضمن موضوعاتي المفضّلة، ويذكر الكاتب كيف بدأ يهتم بعد ذلك بالأدباء والشعراء اليهود العرب، أمثال الشاعر أنور شأؤل، مراد ميخائيل، شالوم درويش، داود صيماح، يعقوب بلبول، وكذلك سمير نقاش، الذي مات وهو مفتقر إلى الوسائل الأساسية اللائقة بأسباب العيش الكريم مما حدا به، قبل موته، أن يعبّر

---

(1) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، تر: كامل الزباد، نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر الكمانية تسايونونغ بتاريخ 25.10.2003، موقع قنطره

[http://www.qantara.de/webcom/show\\_softlink.php?wc\\_c=339](http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339)

عن عزلته في المجتمع الإسرائيلي بقوله: لا أعتبر نفسي كائنًا حيًّا في هذا البلد، ليس ككاتب، ولا كمواطن أو حتى كإنسان. لا أشعر بأنني أنتهي إلى مكان ما منذ انتزعت جذوري من الأرض (في بغداد)<sup>(1)</sup>.

وكتب اليهودي العراقي نعيم قطان معبرًا عن هويته العربية يقول: "في باريس كنت عربيًّا، يهوديًّا شرقيًّا، سفارديًّا. عندما أتعرَّب بكلمة عبرية أفتش عن مقابلها العربي كي أفهمها. العبرية هي لغة سامية. كنت أقول لنفسي ذلك في رامات غان ويهود بولونيا وروسيا الذين لم يستطيعوا لفظ القاف والطاء والعين كما يجب أن يفعلوا. هؤلاء غيَّبوا وشوَّهوا لفظ العبرية، الذلَّ بلغ مداه، عندما نحن الذين نؤلف الأصل والمرجع نشدَّ إلى قطار التقدِّم الوهبي. كنت إذن شرقيًّا، يهوديًّا عربيًّا، أو يهوديًّا سفارديًّا. ما أهمية التسمية إذا كانت الحقيقة المعاشة في المجتمع الحاضر (في إسرائيل) تكنس الحدود والخطوط التي رسمها التاريخ؟ مهما كانت أمجادنا نحن العراقيين، أو المراكشيين، أو المصريين، أو الأتراك، أو الفرس، أو التونسيين، أو البخاريين، أو الكردستانيين، فنحن متخلفون (في نظرهم) وثقافتنا غير المكتوبة غالباً تعوم بصعوبة متحوِّلة إلى فولكلور.

كمهودي بين المسلمين لم يحاول أحد أبداً أن يحوِّلي عن ديني. لم يكن عليّ لأكون يهوديًّا أن أنكر الإسلام، ليست لديّ عادة الدفاع عن ديني أو إنكار دين جيراني. أن أعيش بين المسلمين لا يهدد اعتقادي ولا يحكم عليّ بالامتصاص وبالاختفاء. لذلك لم تظهر عندي الحجج لأعبر عن نفسي ولأدافع عنها. إن يهوديًّا من بغداد، أو من حلب، لا يستطيع أن يشعر بالغرابة (مثل اليهودي الأوربي)، لسنا لا مهاجرين ولا غرباء لقد عشنا على أرضنا منذ قرون. كنا فيها عندما ظهر الإسلام، وعندما غرَّبت المنطقة لم نقاوم التعريب أبداً، بل إننا ساهمنا به. استطاع ابن ميمون إعادة صياغة العقيدة اليهودية بالعربية.

كنا نحن أيضاً بناة الإمبراطورية العربية القديمة؛ لأنه اعترف لنا باستقلالنا الذاتي، وشملنا مخطط الأغلبية المنتصرة، لقد كنا في وطننا منذ قرن شعر يهود بغداد أن بلد أجدادهم تضيق بهم رحلوا إلى طهران، ومانشستر، وكلكتوتا، ونيويورك وسنغافورة، أسسوا في

---

(1) رؤوبين سني، اليهود العرب-اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91، وقد ترجم هذه المقالة عن الإنكليزية ماجد الخطيب، وراجعها ونقحها رؤوبين سني نفسه.

كل مكان جماعة، وشادوا كنساً، وتكلموا بالعربية. عادوا إلى بغداد ليتزوجوا ويروا الأهل والأقارب، لم يكونوا في المنفى في أي مكان ذهبوا إليه. كانت بغداد وطناً، ونقطة انطلاق. أي مكان ذهبوا إليه لم يعتبر (دياسبورا) تدفع إلى الحلم بالعودة والتخطيط لها. بالنسبة إلينا ليس ثمة حاجة للعودة إلى فلسطين. لقد كنا فيها دائماً بالجوار الفيزيائي، وبالزمن. شهدنا مجد الإمبراطوريات وانحطاطها شاركنا فيها. كنا شركاء في الإمبراطورية الإسلامية. وطردها من إسبانيا مع أولئك الذين يتغنون بمجد محمد<sup>(1)</sup>.

أما اليهودي العراقي إسحق بارموشيه في كتابه "الخروج من العراق" فيقول: "كنا نتذكر بحزن شديد أن حكام العراق، الرجعيين، كانوا يصفوننا بأننا يهود. وقد تركنا العراق بصفتنا يهوداً، ووصلنا إسرائيل لمستقبل بصفتنا عراقيين! كان المشهد مأساوياً ومضحكاً في الوقت نفسه، قد ساعدنا حكام العراق على تأكيد وتثبيت يهوديتنا (يقصد "إسرائيليتنا) وها هم أبناء دياناتنا يساعدوننا على تأكيد وتثبيت عراقيتنا، كان الشعور العام مؤلماً ومثيراً للحزن في آن واحد. إن الأنبياء اليهود، المعروفة قبورهم، يثوون في أرض العراق. وقد حافظنا عليهم، نحن والعرب، كما يحافظ الإنسان على بؤبؤ عينه، إن العرب في الديار المقدسة كانوا أحسن الحراس وأكثرهم أمانة لقبور أجدادنا وأجدادهم معاً، في الخليل وغير الخليل. وإن تاريخنا وتاريخهم في هذه الديار يرتبط ارتباطاً عضوياً، ولذلك، اكتشفنا أن المستقبل هو للارتباط وليس للانفصال، وأن عوامل القرب هنا وهناك كانت، وظلت، وسوف تبقى، أقوى من عوامل البعد". ونحن بدورنا نقول أن المستقبل هو للارتباط وليس للانفصال، وأن عوامل القرب أقوى من عوامل البعد، إنما في ظروف وشروط أخرى مختلفة، هي قادمة من دون ريب.<sup>(2)</sup>

---

(1) نعيم قطان . مجلة الأزمنة الحديثة (فرنسية) . عدد خاص حمل عنوان "إسرائيل الثانية" . المقال بعنوان: "الصمت المبهين، ع 394 . عام 1979.

(2) نصر شمالي، ماذا عن اليهود في المستقبل؟- السبت 2011/1/2 - موقع حزب البعث العربي الاشتراكي

[http://www.baath-party.org/old/index.php?option=com\\_content&view=article&id=1512:1512&catid=68&Itemid=122&lang=ar](http://www.baath-party.org/old/index.php?option=com_content&view=article&id=1512:1512&catid=68&Itemid=122&lang=ar).

## المبحث الثاني: الصهيونية والانقلاب على ألف سنة من التاريخ

كيف انقلب الصهاينة على ألف سنة من العلاقات الطيبة بينهم وبين العرب المسلمين واستبدلوها بحربٍ ضدَّهم على الصعد كافة، وتحالفوا مع غرب كان طارداً لهم، وكيف تحوّلت اليهودية إلى إيديولوجيا تننكر لأصولها الثقافية وتعادي العرب والمسلمين الذين يتجانسون معهم ثقافياً وعرقياً؟ ولماذا تحوّل اليهود، الذين عاشوا في الغرب الأوروبي حالة الشرقي السامي المغترب، إلى حلفاء لهذا الغرب الذي استبعدهم واضطهدهم، ضدَّ شرق عربي- إسلامي وفّر لهم، على مدى ألف سنة، مرفأ الأمان والسلامة من الغرب الطارد لهم؟ ومن المفارقات الدالة أن أولى المذابح الكبرى التي تعرّض لها اليهود في الغرب كانت على يد الحملة الصليبية الأولى، المتّجهة إلى الشرق الإسلامي في العام 1096 تحت شعار: "لنقتل الكفار المقيمين بيننا وفي بيتنا أولاً"<sup>(1)</sup>.

إن المعاملة الطيبة، التي لا مثيل لها في أي بلد آخر، التي لاقاها اليهود في العالم الإسلامي لم تتغير إلا بعد نشوء الصهيونية التي ابتكرها ورعاها المستعمرون غير اليهود أولاً ثم حفنة من عملائهم اليهود الصهاينة بعد ذلك كحل لمشكلة اليهود في أوروبا وتحقيقاً لنبوءات تورانية. فهذا العداء لم نبتكره نحن لسنا الذين اخترعنا هذا العداء، اليهود عاشوا بين المسلمين قرون عديدة حتى حينما اضطهدتهم ولفظتهم أوروبا لم يجدوا صدراً حنوناً وكهفاً يؤوون ويعيشون فيه آمنين مطمئنين إلا دار الإسلام. أوطان المسلمين هي التي وسعتهم. ولكن عندما احتل اليهود أرض فلسطين وشردوا أهلها وفعلوا ما فعلوا فهم الذين بدؤوا بالعداء ولم نبدأ نحن بالعداء.<sup>(2)</sup>

ففي بداية الإسلام اعتقد المسلمون واليهود بذات الرب، عبوده متخذين الوجهة ذاتها أثناء تأدية الصلاة، لقد التقى اليهود والمسلمون بمعتقدات وعادات كثيرة أخرى نحو الأيمان بالرب الواحد الأحد، الإيمان بزول الوحي الايمان بالنبوة وبالحياء بعد الموت والطهور وقوانين تحريم الأطعمة، وكذلك الاشتراك في مناسبات معينة.<sup>(3)</sup> ويستطيع المرء أن يتكلم عن تراث يهودي

---

(1) عفيف فراج، اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية، دار الآداب - حوار مع عفيف فراج أجره سليمان بختي، عن النهار، السبت 29 كانون الأول 2001.

(2) يوسف الطويل، مواجهة الصهيونية المسيحية، ص 207.

(3) اليهودية والإسلام، اتجاهات للحوار والمشاركة والتعارف المتبادل- ورقة نقاشية مترجمة من العبرية عن الإنجليزية أعدها طاقم التخطيط الإسلامي- اليهودي في "أكاديمية بين الديانات إلياهو" كخلفية للمؤتمر العالمي الأول للائمة والحاخامات المنعقد من أجل السلام

- <http://elijah-interfaith.org/pdf/ConceptpaperArabic.pdf>.

إسلامي مشترك كان موجوداً منذ بداية الإسلام وحتى عصرنا الحاضر، إلا أنه خلال السنوات المائة الأخيرة، جرى إسكات التراث اليهودي المسلم. ولا يعود ذلك كما قد ينزع البعض؛ لأن يفترض، للنزاع العربي اليهودي، وإنما لظهور وسيطرة الطرح الأوروبي المهيمن والتأكيد على التراث "اليهودي المسيحي" داخله<sup>(1)</sup>.

ولا ريب أن ظهور الحركة الصهيونية في أوساط اليهود في أوروبا وبدء الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلق الشرخ الذي ازداد توسعا بين العرب واليهود وقاد إلى الخلط الحالي، فقد وجدت الصهيونية ترجمة لها في الهجرة إلى فلسطين مع سيطرة بريطانيا وفرنسا على الدول العربية إثر الحرب العالمية الأولى، وجاء وعد بلفور ليصب الزيت على نار هذا العداء خاصة أنه ترافق مع مؤامرة تقسيم المنطقة وفق اتفاق سايكس بيكو<sup>(2)</sup>.

وعندما قامت إسرائيل، وبسبب من طبيعتها الاستيطانية العنصرية الغيبية، فإنها لم تستطع إجراء مصالحة تاريخية مع أصحاب هذه المنطقة، وظلت تعتدي عليهم وتحتل المزيد من أرضهم؛ إضافة إلى أنها لم ترض القيام بإيجاد تسوية للتصالح مع تاريخ المنطقة وثقافتها، وظلت تعتبر قيامها حقا مطلقا، بتبريرات سياسية وعنصرية. وهكذا رفضت إسرائيل الاندراج في التاريخ الثقافي للمنطقة، برغم أنها مهد الديانة اليهودية، مفضلة اعتبار نفسها امتدادا للغرب، وجزءاً من حضارته!<sup>(3)</sup> مستبعده التقليد الثقافي اليهودي-الإسلامي من مناهجها التربوية وإعلامها، وتعمّق، في المقابل، التقليد "اليهودي-المسيحي"، لتحوّله إلى سلاح عقائدي مضادّ للعرب والمسلمين.<sup>(4)</sup> وهكذا حول الصراع الراهن على فلسطين أصدقاء الأمس إلى أعداء اليوم، وأعداء الأمس إلى أصدقاء، ولعبت فلسطين دور المحوّل الكيمائي لعلاقات صهاينة العصر بالغرب والشرق.

والسؤال المطروح الآن هو: هل يستطيع العرب المسلمون أن يتعايشوا مع الدولة اليهودية الموجودة في قلب العالم الإسلامي، ليس ككيان مستقل عنهم بل تعايشا قويا كذاك الموجود بين

---

(1) الحاخام نفتلي روثنبرغ التراث اليهودي الإسلامي وأهميته المعاصرة، -الحوار اليوم، 2011/13/08.  
في: <http://www.commongroundnews.org/article.php?id=27810&lan=ar&sp=1>

(2) حلبي موسى، اليهودية والعروبة  
-<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3D269F0A-E1C7-4777-9DE7->

(3) ماجد الكيالي، هل ستبقى إسرائيل حتى عام 2048 ؟.

(4) عفيف فراج، اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية..

المجتمعات الإسلامية؟ وأخذ الدروس والعبر من التاريخ القديم -تلك الدروس التي تظهر الأخوة السامية. إن الدوافع هي وحدها القادرة على إيجاد النتائج الإيجابية، فهل تستطيع الدروس القديمة أن تعد الشعبين -اليهودي والمسلم- ليعيشوا حتمية الجوار؟ وهل يمكن لمتغيرات سياسية أن تخفف من حدة هذا العداء كالوصول إلى حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط، لأن العيش في تسامح محفور في الذاكرة التاريخية<sup>(1)</sup>. واحتمالات حدوث ذلك ليست وهما فالأفكار تغير عقول البشر، فلنأمل بأن أفكاراً أفضل قد تأتي بمستقبل أفضل.<sup>(2)</sup>

## عوامل اندماج إسرائيل في المنطقة

إن الحوار مع اتباع الديانة اليهودية انطلاقاً مما ورد في ديننا الإسلامي وانطلاقاً من حقائق التاريخ المشترك، سيساهم بالتأكيد في إعادة بعض اليهود إلى الصواب ويعرفهم بحقيقة وضعهم المستقبلي في ظل الحضارة العربية في حال تحقيق السلام. فكلما ازدادت ثقة كل من اليهود والمسلمين بأنفسهم وشعروا بالسلام مع تراثهم، كلما أمكننا أن نأمل بالوصول إلى مرحلة متقدمة من الحوار. بهذه الطريقة يمكننا أن نأمل ببناء بنية هيكلية عامة واسعة تستطيع أن تصبح في يوم من الأيام أساساً لسلام مستدام،<sup>(3)</sup> حيث من المتوقع في ظل التسوية السلمية أن يشهد المجتمع الإسرائيلي تغيرات كبيرة ستصب كلها في صالح اندماج اليهود في المنطقة العربية وتحولهم إلى جزء من الشرق بعاداته وتقاليده وقيمه حيث ستلعب عوامل كثيرة للوصول إلى هذه النتيجة، ويمكن دراسة ذلك من خلال عدة مؤشرات:

### 1-العامل الديمغرافي والتحول إلى دولة شرقية:

على الرغم من أن الحركة الصهيونية نبتة غربية أوروبية لم يكن لها علاقة بيهود البلدان العربية أيديولوجياً ولا سياسياً، إلا أنه لا بدّ من التوقف عند حقيقة أن نحو 10% فقط من

---

(1) مارك كوهين، في ظل الصليب والهلال: اليهود في العصور الوسطى- مراجعة بيآته هنريشس - ترجمة عبد اللطيف شعيب - دار نشر بيك، ميونيخ مارس/أذار 2005 - حقوق الطبع قنطرة 2005 - الأحد 06

فبراير. 2005

(2) اليهودية والإسلام في اليمن، دراسة للتفاعل التاريخي والثقافي- بقلم/ أفرام أيزاك محفوظة لمركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث\* المسار اليمني.

(3) التراث اليهودي الإسلامي وأهميته المعاصرة- بقلم الحاخام نفتلي روثنبرغ-الحوار اليوم، 2011/13/08.

في: <http://www.commongroundnews.org/article.php?id=27810&lan=ar&sp=1>

سكان إسرائيل كانوا مهاجرين من البلاد العربية في البداية، إلا أن نسبة اليهود الشرقيين، عرباً وغير عرب، ارتفعت الآن إلى نحو 60%، أي أنهم يمثلون غالبية السكان. وهذه نسبة دالة على أمور عدّة منها أن إسرائيل فشلت في أن تكون وطن معظم يهود أوروبا وهو الأمر الذي كان حافز الحركة الصهيونية الأولى، كما أن ارتفاع نسبة اليهود الشرقيين بعد 1948 يدل على أن إسرائيل لم تعد على المستوى الديموغرافي على الأقل، دولة عربية بل شرقية. وهذا التحول في تشكيلتها يعكس نفسه اليوم على الكثير من توجهاتها وأحزابها وانقساماتها السياسية، فهي مستمرة في معاداة محيطها وإن كانت قد أخذت تشبه هذا المحيط في بعض الوجوه.

فيهود البلاد العربية يشكلون اليوم نسبة كبرى بين اليهود في إسرائيل، وإذا أضيف إليهم العرب الفلسطينيون - «الإسرائيليون» فإنه يمكن القول إن الغالبية الكبرى من الإسرائيليين هم عرب، أو إن إسرائيل دولة عربية، وإن كان ذلك بطبيعة الحال لا يغير شيئاً في الواقع القائم واتجاهاته وصراعاته، لكن ذلك لا يمنع أن تكون مسألة اليهود العرب محتملة إيجابية أو مفيدة في تسوية الصراع العربي الإسرائيلي.<sup>(1)</sup> حيث تملك هاتان المجموعتان الكثير من القواسم المشتركة، بالرغم من أنهما لم يأتلفا أبداً بعضهما مع بعض في العقود الأخيرة و"ما زالوا حتى الآن مجبرين على الوقوف كل على جهته من حافة الخندق الذي يتسع باستمرار، على الرغم من الإمكانيات الهائلة لبناء الجسور وتعويم الهويات".<sup>(2)</sup>

## 2- مستقبل التضامن بين الفلسطينيين واليهود العرب:

إذا كان اليهود العرب يشكلون مسألة عربية معقدة، فإنهم يمثلون أيضاً حالة إسرائيلية ويهودية معقدة، فقد كانوا وما زالوا يخضعون لسياسات تمييز وتهميش من اليهود الأوروبيين المهيمنين على دولة إسرائيل والحركة الصهيونية، بل إن مفكرين ومثقفين من اليهود العرب يعتبرون أنفسهم ضحايا للصهيونية والسياسات الإسرائيلية مثلهم مثل الفلسطينيين، فالحركة الصهيونية نجحت في اقتلاع يهود الشرق ورمتهم إلى كذبة إسرائيل، وطردت الفلسطينيين وطاردتهم وقتلتهم حتى المنافي، فالشبه كبير بين ما فعله المستوطنون الأوائل في أميركا وما يفعله

---

(1) إبراهيم غرابية، مسألة اليهود العرب عربياً وإسرائيلياً، جريدة الحياة-النسخة: الورقية - دولي السبت، ٢٣ يوليو/ تموز ٢٠١٦.

(2) خالد دياب كتاب "أعداء حميمون" للكاتب المصري-البلجيكي، ترجمة: يوسف حجازي- حقوق النشر: فنطرة 2015-عرض- سوزانا طربوش موقع فنطرة.

الصهيانية في فلسطين. اليهود العرب كانوا في بلدانهم يهوداً، وهم الآن في إسرائيل عرب وقد تعرض بعضهم للضرب والإهانة بسبب لون البشرة ولهجة اللغة، أما أرض الميعاد فقد ابتعدت عن الجميع بسبب كارثة الاقتلاع المشترك للفلسطينيين واليهود العرب.<sup>(1)</sup>

ويرى عدد من المثقفين اليهود الشرقيين أن طائفهم هي ضحية للصهيونية مثلما كان الفلسطينيون والعرب ضحاياها، حيث تقول البروفسورة إيله شوحاك أن للصهيونية ضحايا عرب ويهود. فنحن أي يهود العراق وسوانا من الشرقيين اقتلعنا بمؤامرة دنيئة بين المراكز الإمبريالية والصهيونية وحكام المنطقة آنذاك بهدف السيطرة على أموالنا وأملاكنا، فما جرى كان كارثة للطرفين الفلسطينيين واليهود. ولذا نشرت الباحثة في ميدان حقوق الإنسان يفات بتون، مقالاً، تقترح فيه تعاوناً مشتركاً بين الفلسطينيين العرب في إسرائيل واليهود العرب، أساسه المطالبة بالعدالة ضد التمييز الذي يعانيه الجانبان، عنوانه الحلم وبنائه التعاون المزרחي العربي لمقاومة التمييز<sup>(2)</sup>، وكل ما تقدم وحسب ما ترى إيلي شوحاك، من شأنه أن يخلق نوعاً من التضامن بين مختلف الفئات التي تضررت من الصهيونية، حيث يمكن أن تؤدي معاناة كل من العرب الفلسطينيين واليهود العرب وإدراكهم أنهم في موقع الضحية وموقع الاضطهاد إلى تبلور إدراك وإعٍ للمشاركة الكفاحية، مما سيشكل أرضية خصبة للتعاون المشترك مع اليهود العرب<sup>(3)</sup>؟

### 3-العامل الاقتصادي

إن الظروف الاقتصادية تجعل مستقبل إسرائيل يتوقف على تسليها إلى الاقتصاد الإقليمي. فإسرائيل دولة فقيرة وإذا أزدت لنفسها البقاء والازدهار لا بد وأن تتعامل بأسلوب معين مع منطقة الشرق الأوسط، من خلال الاندماج فيه، حيث يسود الأصل العربي، حيث أن هناك تقارب حقيقي عنصرى واجتماعى وثقافى بين اليهود الشرقيين والعرب، ولذلك لم يكن غريباً أن تعلق صحيفة "إسرائيل" التي كانت تصدر في مصر في بداية القرن الماضي، آمالاً كبيراً على اليهود السفارديم في تحقيق التفاهم مع العرب، واعتبرتهم همزة الوصل والجسر الذى

---

(1) جورج ساره، تأملات سيدة يهودية عربية، ذكريات ممنوعه- إيله شوحاك- ترجمة اسماعيل دبح- 2005/11/7م.

(2) إبراهيم غرابية، مسألة اليهود العرب عربياً وإسرائيلياً.

(3) أنور محمود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية-ص183.

سيلتقي عليه العرب واليهود، وحاولت الصحف اليهودية أن تقنع العرب بأن إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ووجود المهاجرين اليهود بينهم سوف يسهم في تقدمهم. واعتمدت في ذلك على ترديد النغمة التي رددتها الدعاية الصهيونية، وهي أن المال والعقل اليهودي سيكون لهما دور كبير في انهاض العرب وتقدمهم، وهنا يبدو أن بعض اليهود كانوا ساذجين إلى حد كبير فقد ظنوا أنهم سيأتون ويجلبون البركة للعرب، ولم يتصوروا حدوث أي صدام معهم. لقد اعتقدوا بأنهم سيجلبون معهم التنوير والحياة العصرية والتعليم والصحة<sup>(1)</sup>.

فصحيفة اسرائيل تقول أن الوطن القومي هو خير ما خرجت به العناية السرمدية للعرب ليكون وسيلة فعالة في أنهاضهم؛ لأن اليهود يعودون وقلوبهم مفعمة بالرغبة والتعاون مع العرب<sup>(2)</sup>. ولذا فإن صحيفة الشمس اليهودية التي كانت تصدر في مصر بداية القرن الماضي، رأت ان الأمر الطبيعي هو أن يتفاهم العرب ويتعاونوا مع اليهود؛ لأنه أمر تقتضيه مصلحة الطرفين ومصصلحة الشرق عامه، فهذه النهضة التي سرت في أنحاء فلسطين لم ترض بعض الجهات الأجنبية لأنها قد تنافس تجارتها وفي الإمكان أن تعم الشرق كله، ولهذا سارعت هذه الجهات إلى بذور الشقاق والخلاف بين العرب وابناء عمومهم. ولذا فقد حاولت الصحف اليهودية، أن توضح للعرب أن التفاهم والتعاون أصبحا رغبة عالمية تنشدها كافة الأمم<sup>(3)</sup>.

#### 4-العامل الثقافي

ينبه المؤرخ (رابوبور) إلى "أنه بعد فتح فلسطين على يد المسلمين تحسن وضع اليهود على نحو ملموس وزاد نشاطهم الثقافي، ومع عهد الخلفاء المسلمين استطاعت أكاديمية طبريا أن تنتقل إلى القدس لتصبح مركز إشعاع ثقافي فجرى فيها تثبيت النصوص العبرانية للعهد القديم، وفي فلسطين تم آنذاك تأليف أجمل تراويل الصلوات الدينية اليهودية<sup>(4)</sup>. وقد أفاضت صحيفة الشمس اليهودية، في الحديث عن الصلات التي تربط بين العرب واليهود فذكرت: إن هناك صلات لغوية وأدبية وعلمية واجتماعية وفلسفية، ومن أمثلة ذلك: التشابه في أسماء

---

(1) شمعون بيريز.. ومستقبل "إسرائيل"- حوارات أجراها روبرت ليتل، ترجمة محمد نجار تقديم ناجح المعموري- صحيفة الوطن الكويتية -5،3،2 يناير 2003.

(2) سهام نصار، اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، تقديم خليل صابات- العربي للنشر والتوزيع- ص 127.

(3) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية ص 127.

(4) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسائل السماوية، تر: قصي اتاسي- ميشيل واكيم - ص 126.

الأيام ودلالة الحروف في اللغتين على الأعداد، بالإضافة إلى أن التشابه في اللغة كبير إلى حد يمكن معه القول بأن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية<sup>(1)</sup> التي هي لهجه من لهجات الآرامية متفرعة عن اللغة الأم، وهي العربية<sup>(2)</sup>. والتراث العبراني جميعه لا معنى له خارج تراث أفراسيا، وقد وضع الدكتور فاضل عبدالواحد كتاباً بعنوان من ألواح سومر إلى التوراة، بين فيه كيف أن اليهود، قد اقتبسوا الأساطير السومرية ليجعلوا منها أصلاً توراتياً<sup>(3)</sup>.

واليهود العرب لم يكونوا يشعرون بتناقض بين هويتهم العربية وديانتهم اليهودية، وقد نشر كثير من المثقفين اليهود كتباً ودراسات كثيرة باللغة العربية، وساهموا بفاعلية في الثقافة والفنون العربية وفي الموسيقى والشعر والمسرح والسينما والصحافة، وكان قادة صهاينة في الأريينات قد عبروا عن قلقهم من أن اليهود العرب يحملون الثقافة العربية وليست لديهم ثقافة خاصة بهم كما يهود أوروبا<sup>(4)</sup>. وهناك كاتب أمريكي يرى أن اليهود فرع أصيل من الدوحه السامية، وانهم عرب اقحاح في الجنس، وأنه إذا انقطعت عنهم الرعاية الأجنبية حل الصفاء وتعاونوا والعرب على النهوض بالشرق الذي فيه مجال واسع لليهودي الذي يريد أن يحيا حياة شرقية عربية، وأنه إذا ما تعاون اليهود والعرب في فلسطين وسائر انحاء الشرق، فلا يستبعد أن تتجدد عصور الاندلس، التي تجلت فيها بصورة رائعة فائدة التعاون بين افراد الجنس السامي<sup>(5)</sup>.

لذا فإنه بوسع اليهود العرب في إسرائيل والأراضي الإسلامية والعربية أن يستفيدوا من ثقافتهم العربية اليهودية الماضية كقاطرة لتحويل إسرائيل الأوروبية المعاصرة إلى مجتمع من اليهود والمسلمين، يستطيعون أن يخلقوا فيه حواراً جدياً، تاريخياً، وذو معنى، يركز على مقاربتهم التعددية في علم الأنساب. لذا فقد أصبحت استعادة عناصر الثقافة العربية اليهودية الماضية أداة أساسية لتحويل إسرائيل إلى بلد يستطيع ترويض نفسه لقبول مصيره الجغرافي،

(1) اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية ص 126.

(2) إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبه - ط.2، 1988، ص 44.

(3) وليد الزيري السومرية هي أصل كل لغات المنطقة واليهود جزء من الأمة العربية!، القدس العربي 2009/10/2.

(4) إبراهيم غرابية مسألة اليهود العرب عربياً وإسرائيلياً، جريدة الحياة-النسخة: الورقية - دولي السبت، ٢٣ يوليو/ تموز ٢٠١٦.

(5) سهام نصار، اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، تقديم خليل صابات- العربي للنشر والتوزيع- ص 126.

أي وجود عالم عربي كبير يعيش فيه عدد كبير من العرب وبينهم الكثير من اليهود السفارديم المتجذرين في ثقافتهم العربية الماضية.<sup>(1)</sup>

## 5- العامل الديني

الإسلام يعتبر اليهودية ديانة سماوية لها مكانتها واحترامها، جاء الإسلام ليسير على خطاها ويكملها ويقوم ما انحرف منها على نهج أنبياء الله ورسله، من أبو الأنبياء إبراهيم وحتى سيدنا عيسى عليهم السلام، لذلك نحن كمسلمين نجل ونقدر الأنبياء جميعاً ولا نفرق بين أحداً منهم، حيث يعتبر الباحثون في علم الأديان، إن الرسائل الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام هي، في الواقع، متصلة بعضها ببعض الآخر: زمنياً وتاريخياً وتسلسلياً، وجغرافياً ومنطقياً وإقليمياً، عقيدة ومبادئ وتعاليم. فهي تلتقي في كثير من الشؤون والمجالات، والمبادئ والتعاليم. ويؤكد معظم الباحثين أنها حلقات ثلاث في عقد واحد فريد لا يستطيع الباحث الجدي أن يلج عالم المسيحية والإسلام، دون الانطلاق - ولو بإيجاز - من الدين اليهودي لأن الولوج إلى دائرة الكتاب المقدس من جهة، والقرآن المجيد من جهة أخرى لا يمكن أن يكون متكاملًا، متينًا وعميقًا، إذا لم يتطرق الباحث فيه إلى التوحيد الإبراهيمي الذي بدأ - زمنياً وتاريخياً - مع خليل الرحمن إبراهيم المطيع لله ومع ابنه إسماعيل وإسحق ثم مع حفيده يعقوب والأسباط أبناء يعقوب. ذلك أن عقد التوحيد الفريد القيم: بدأ حلقة، حلقة، ودرة، درة إلى أن انتهى برسالة القرآن ودعوة محمد، الرسول العربي.<sup>(2)</sup>

لذا لا بد من إنعاش وتوحيد الحقائق التي تحتوي على بذور التطور المستقبلي، من خلال توضيح التشابه الديني والأخلاقي المدهش بين الإسلام واليهودية، وبالفعل فلا توجد ديانتان أقرب من بعضهما مثل الإسلام واليهودية. فكلتاهما تنحدر بالفعل من إبراهيم، أبينا الطبيعي والروحي المشترك. واليهود أقرب إلى المسلمين من ناحية العقيدة ومن ناحية الشريعة أكثر من المسيحيين لأن اليهود لا يؤلهون.. وهم من ناحية الشريعة في كثير من الأشياء يتفقون مع المسلمين. النصراني لا يذبحون اليهود يذبحون، النصراني لا يختنون أبناءهم اليهود يختنون، النصراني لا يحرمون الخنزير

(1) ديفيد رابيا، إسرائيل تواجه رحلتها المشرقية التاريخية، - <http://arabic.tharwaproject.com/> أيلول 2004.

(2) غسان سليم سالم، محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، دار الطليعة - بيروت - ط1، 2004، ص76.

اليهود يحرمون الخنزير.. النصارى لا يحرمون التماثيل ومعابدهم وكنائسهم مليئة بالتماثيل اليهود يحرمون التماثيل، أشياء كثيرة يتفق فيها اليهود مع المسلمين<sup>(1)</sup>. إن العلم بهذا الارتباط مجهول في معظمه بين اليهود والمسلمين وقد وقع ضحية العداوة في العصور الحديثة

## 6- الجغرافيا السكانية: اندماج اليهود مع الفلسطينيين

أقيمت إسرائيل على جزء من أراضي فلسطين التاريخية بعد طرد جزء كبير من سكانها الفلسطينيين، وبعد أكثر من سبعين سنة حدث تغيير على الجغرافيا الفلسطينية، حيث أصبحت إسرائيل تسيطر على أكثر من 78% من أرض فلسطين، مما أدى إلى حشر السكان الفلسطينيين في منطقة ضيقة في الضفة وغزة وأراضي 48، ولكن المؤشر المهم في هذا المجال أن مجموع تعداد الفلسطينيين في أرض فلسطين التاريخية أصبح يعادل أو يزيد عن عدد اليهود، وهذا يعني أن عامل الجغرافيا السكانية سيبقى محددًا مهمًا لهوية الأرض وتاريخها وانتمائها ومستقبلها. يضاف إلى ذلك أنه "في كلِّ عامٍ يمرّ تندمج الطائفتان (الفلسطينيين واليهود) أكثر فأكثر بعضهما ببعض. فمن جهة يتم الاندماج عن طريق الاستيطان اليهودي. ومن جهة أخرى يتعمق الاندماج بالاتساع الضخم في حجم العمل العربي في جميع أنحاء إسرائيل"<sup>(2)</sup>.

## 7- العلاقات التاريخية

إن العلاقات التاريخية الطويلة والغنية والمفيدة في كثير من الأحيان بين اليهود والمسلمين في كثير من البلدان والزاهرة بالعطايا الهائلة للإنسانية التي أثمرها تفاعل المسلمين واليهود في تقدم المعرفة والثقافة. وحقاً فالتاريخ بينهما معقد، ولم يصل إلى مستوى اللجنة الأرضية التي تخيل بعضنا وجودها في العصر الذهبي لا سيما في العصر الأندلسي، وحتى في الفترات التي تعد أقل مجداً وتنويراً فيما بين الديانتين، فهي على الأغلب أقل خطراً بكثير مما جرى في التاريخ اليهودي المسيحي<sup>(3)</sup>.

---

(1) الشيخ يوسف القرضاوي، علاقة المسلمين باليهود. برنامج الشريعة والحياة – تقديم خديجة بنت قنه - الأربعاء 17 يناير 2007 قناة الجزيرة.

(2) القذافي.. من الكتاب الأخضر إلى الكتاب الأبيض- موقع قنطره - جونتر أورت- ترجمة: يوسف حجازي مراجعة: هشام العدم <https://ar.qantara.de/content>

(3) ذرية إبراهيم، روبن فايرستون وبمشاركة آخرين- ترجم للعربية: عبدالغني بن إبراهيم – ص 17 للجنة اليهودية الأمريكية- فبراير سنة 2005.

وتشهد مرجعيات تاريخية يهودية كبرى، مثل س.و. بارون، ويشهد مؤرخون يهود، مثل برنارد لويس، وفلاسفة، مثل برتراند راسل، على أن "دار الإسلام" كانت ملجأ اليهود الهاربين من الاضطهاد الأوروبي، وكتبوا عن الإسلام ونبهوا في مؤلفات كانت الأكثر موضوعية، وتعدُّ الأولى التي صحَّحت صورة المسلمين في الغرب. وكان أحد أهداف أولئك المؤرِّخين اليهود إطلاع الغرب المسيحي على النموذج الإسلامي في التعايش بين الجماعات الدينية المختلفة. ويذكر لويس أن يهود أوروبا نظروا إلى دول الشرق الإسلامي نظرة الأوروبين الشرقيين إلى شقيقهم الروسي الكبير، الذي كانوا يأملون منه المساعدة والحماية؛ وتماهى اليهود مع عرب إسبانيا لاعتقادهم بأنهم ساميون وشرقيون مثلهم. وجاءت مطامع الحركة الصهيونية في فلسطين شرخاً طويلاً في هذا التقليد الثقافي الذي كتبه من وُصفوا بـ"يهود الإسلام".<sup>(1)</sup>

## 8- الهجرة العكسية واعادة يهود للدول العربية

بعكس مزاعم وأكاذيب الحركة الصهيونية فإن اليهود العرب لم يكونوا معرّضين للخطر الذي تعرض له يهود أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية على أيدي النظام النازي، ومع ذلك فقد بذل مؤسسو دولة إسرائيل جهوداً كبيرة في المبالغة في وصف الأخطار التي تترىص بيهود العالم لدفع هؤلاء إلى الهجرة.<sup>(2)</sup> وهناك خطاب تصحيحي لمؤرخين يهود يرى أن إسرائيل كانت المستفيد الأكبر من تلك الهجرة، وأنهم أُجبروا على الهجرة عقب التضييق عليهم مع تصاعد الصراع العربي-الفلسطيني.

ولكن بعد انكشاف الخدعة والتضليل، والمؤامرة الصهيونية ضد اليهود العرب، يمكن ان تشكل الدعوات الفلسطينية والعربية لعودة أو إعادة اليهود العرب إلى بلدانهم مدخلاً طبيعياً لحل الصراع العربي- الصهيوني. لذا فإن إن مواجهة الحركة الصهيونية تكمن في تبني الأقطار العربية، مجتمعة ومنفردة، سياسة حكيمة تجاه هؤلاء اليهود، تتيح لهم العودة بأمان إلى أوطانهم العربية، أو على الأقل تتيح تسهيلات معينة لمن يريد الانتقال عبر البلدان العربية إلى أي بلدان

(1) عفيف فراج، اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية- دار الآداب - حوار مع عفيف فراج- أجرى الحوار: سليمان بختي.

(2) رؤوبين سني، اليهود العرب- اللغة والشعر والهوية المتفردة، عن مجلة فكر وفن العربية الصادرة عن معهد غوته، الإصدار 91، وقد ترجم هذه المقالة عن الإنجليزية ماجد الخطيب، وراجعها ونقحها رؤوبين سنير نفسه.

يختارونها<sup>(1)</sup>، وقد تم الترويج لإعادة اليهود للدول العربية التي هاجروا منها، وتمثلت الشروط اللازمة لإنجاح الفكرة في: تحسين أحوال اليهود العرب المقيمين في البلدان العربية وإتاحة المجال لكل يهودي عربي غادر أرض وطنه أن يعود إلى هذا الوطن، أو على الأقل تجديد روابطهم القديمة بها، حيث يعتبر ذلك خطوة كبيرة ممكنة يمكن العمل عليها لتفكيك إسرائيل وتصفيتها<sup>(2)</sup> واندماجها في المنطقة العربية التي لا ترفض ولم ترفض هجرة أفراد من قوميات أخرى إليها شريطة ألا تشكل خطراً على شخصيتها ووجودها. فإذا رغب بعضهم البقاء فعلمهم أن يندمجوا في كيانها وحمل ثقافتها والدفاع عنها. وقد حدث في تاريخ الأمة العربية عبر العصور أن دخلت في صفوفها عناصر من قوميات أخرى واستعربت لغة وعقلا ودما وممارسة، ولكن هذا التاريخ كذلك شهد أيضاً الشعوبية والاستيطان الأجنبي .

- 
- (1) حول هذه التساؤلات، انظر: نزيه قورة، المشروع الصهيوني في مواجهة أزمته الداخلية (دمشق : مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠، ص ٦٠ و ٨٧.
- (2) نقد خطاب التحزب اليهودي: عن الصهيونية والمشروع الاستيطاني في، (هشام البستاني) الآداب، العدد ١٢، فلسطين ٢٠٠٨.

## المبحث الثالث: مشاريع عربية لحل المسألة اليهودية

من المفارقات أنه إذا كنا (العرب) عاجزين عن توفير أي حل مناسب لأغلب مشاكلنا العربية، فإن أطرافاً دولية عديدة تتوسم فينا ربما لجذورنا السامية - قدرات لا ندرکها فترشحنا لحل ميراث المشكلة اليهودية في العالم وعبر التاريخ، رغم أنا لم نكن طرفاً في خلقها وتتحمل أوروبا وزرها<sup>(1)</sup>، وهنا يبرز سؤال وجيه وهو، كيف يمكن لشعب أن يحل مسألة لا يمتلك هو أصلاً آليات اشتغالها ولا وطأة تاريخها؟ ناهيك عن أنها فرضت عليه فرضاً بحيث يقتصر دوره تاريخياً على تلقي نتائجها. أضف إلى ذلك أن الحل المنشود لا ولن يملك العرب وحدهم قرار البتّ فيه. فهناك أهمية الدور الغربي الهائل في تحديد مسار الحل، وخاصةً دور اليهود أنفسهم وطبيعة نظرتهم إلى إسرائيل من حيث هي دولة اليهود في العالم<sup>(2)</sup>.

والمشروع العربي لحل المسألة اليهودية هو مشروعٌ سياسي، يتم النضال تحت رايته بكافة الوسائل الممكنة وأساسها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. ولكن مما يؤسف له أن تاريخ البشرية يزودنا بالخبرة الكفيلة بالقطع بأن الظالمين دوماً لا يتخلون طوعاً عن ظلمهم. ونجاح هذا المشروع يُدرک بتحقيق نضالٍ إنساني مشترك من أجله؛ لیتم إنهاء عهد الظلم للفلسطينيين والشعوب المحيطة، ولاستدراك خطأ الإنسانية التاريخي الأكبر بعدم القدرة على تمثّل اليهود؛ حتى وإن كان ذلك يعود في جزءٍ كبيرٍ منه إلى عقلية ونفسية التحوصل اليهودي أو الرغبة الدفينة في التثبّت بـ "الجيتو"، والتي قادت في النهاية إلى الكيان العنصري الحالي: إسرائيل<sup>(3)</sup>.

وترى د.غانية ملحيس، انه يتوجب على الطرف الفلسطيني السعي بكل قوة لفتح آفاق امام البدائل. فوقائع التاريخ تدل على أن الطرف المظلوم هو الوحيد المؤهل لفتح الآفاق أمام

---

(1) مصطفى عبد العزيز مرسي، العرب في مفترق طرق (بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق اوسطي)، دار الشروق- 1995- ص180.

(2) حسن الشامي، عابر نحو حل عربي: المسألة اليهودية بيان ضد العدمية السياسية والثقافية - الوسط - 1994/3/7 - باريس رقم العدد: 110 الصفحة: 56 - 57.

(3) شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات "إي-كتب"- لندن، أيار - مايو، 2017- ص251.

البدائل الممكنة التي تقود إلى الحلول الجذرية، كونه صاحب الحق والوحيد الذي يمنح الشرعية للحلول، لأن قوته تكمن في مقدرته على تعظيم خسائر الطرف المعتدي أكثر من جني الأرباح، ما يجعل حاجته للبحث عن البدائل الممكنة للحلول أكثر إلحاحاً، بسبب الواقع القائم المغرق في الجنوح نحو الهاوية. ولذا يجب على العرب والفلسطينيين طرح تصور جديد أو مشروع لحل الصراع يكون قادراً على مواجهه التحدي الصهيوني بكل ابعاده الحالية والمستقبلية، لاستعادة نهج المواجهة مع الحركة الصهيونية. وهذا المشروع لا يعني على الإطلاق تكرار الدخول فلسطينياً في نفق الخيار الأوحده، بل استخدام كافة الأساليب والوسائل النَّضاليَّة المشروعة.<sup>(1)</sup>

### سلام عابر.. نحو حل عربي للمسألة اليهودية

هناك أطروحة قدمها الصحافي اللبناني الراحل جوزيف سماحة في كتابه الشهير (سلام عابر.. نحو حل عربي للمسألة اليهودية)، وتمثلت في اعتقاده أنه ليست هناك بالمعنى الدقيق للكلمة مشكلة فلسطينية مطروحة في وجه العرب، والقضية الفلسطينية ليست قضية العرب الأولى أو المركزية، إذ إن القضية المركزية للعرب هي التدرج نحو الوحدة. والقضية الفعلية التي تواجههم ليست القضية الفلسطينية بل القضية الإسرائيلية<sup>(2)</sup>، وهنا يرسم الكاتب، طموحاً عالمياً كبيراً للعرب: ليس حل القضية الفلسطينية، وإنما حل القضية الإسرائيلية، وبوسائل لا يعقل أن تكون محض عسكرية.

يقول جوزيف سماحة، في لحظة تاريخية فُرض خلالها على العرب أن يمثلوا للقرار الدولي - الإقليمي (الأميركي الإسرائيلي تحديداً) بقبول السلام بحسب الرؤية الإسرائيلية لعملية إنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي الطويل. ويدرك سماحة مسبقاً، أن هذا السلام الذي عرفه العرب مؤخراً، لن يكون إلاّ عابراً، لذا، نراه يعمل على إيجاد هذا الحل العربي للمسألة اليهودية. فهل آن الأوان، بالنسبة إلى العرب، في حال كانوا مقتنعين بضرورة الحصول على سلام عادل وشامل لهم، أو على الأقل تحسين شروط هذا السلام الموجود حالياً، بما يتلاءم مع طموحاتهم، كي "يفكروا" و"يعملوا" من أجل هذا الحل؟ وهل صحيح أنه يمكن لهم- بعد كل هذه السنوات الطويلة من

(1) غانية ملحيس، المشروع الوطني التَّخَرُّبي الفلسطيني المأمول، السفير العربي- 2016-5-12

<http://arabi.assafir.com/Article/4939>.

(2) سلام عابر، نحو حل عربي ل المسألة اليهودية دار النهار للنشر بيروت 1993.

الهزائم والانكسارات والصراعات الداخلية والقمع والإرهاب والتسلّح الموجّه إلى الداخل، وتصفيّة الحسابات فيما بينهم - أن يؤسسوا لمثل هذا الحل؟

وهنا يبدو أن ما يطرحه جوزيف سماحة بشكل البديل العقلاني، المشتمل على الجوانب الثقافية والفكرية والسياسية، للوعي الدقيق لموازين القوى، إذ يمكن للعرب أن يقدموا مثل هذا الحل المطلوب، إذا نجحوا في قراءة تاريخهم الذي يمكن ان يحررهم من أوهام الحل العسكري لإبادة الإسرائيليين، مع أهمية وضرورة التنبّه فعلياً وجدياً للعامل النووي الإسرائيلي؛ وفشل الطروحات الإسلامية بسبب تمسّكها بالحل العسكري، وعجز التيارات السياسية المتنوعة الوطني الليبرالي وغير الليبرالي، والشيعوي، والقومي بمدارسه المختلطة، وفشل الرهان على القطب المناهض للولايات المتحدة الأمريكية.<sup>(1)</sup>

لقد فشل العرب في طرح رؤيتهم الواقعية لسلام حقيقي وشامل، وأيضاً، عجزوا عن إدارة الصراع مع إسرائيل كما يجب. فالنقد الذاتي يبقى الطريق الأسلم والأفضل لتغيير المسار العربي المهترئ والمستسلم. فالأخطاء العربية، على مستوياتها كافة، في رحلة الدم والموت والخراب، التي عرفها مسلسل الحروب والهزائم، لا بد من مراجعتها انطلاقاً من قناعه بضرورة "النقد الذاتي"، بعد كل هزيمة. فالإقرار بالهزيمة يتحول إلى نقطة انطلاق في عملية البحث عن موقع حقيقي للعرب. إنه وقت للمواساة، ووقت للعناد والاستنهاض؛ أي أنه وقت للعمل الجاد، عبر الاستفادة من دروس الماضي. إزاء ذلك، لا يتجاهل سماحة "أهمية إعادة صياغة مشروع النهضة العربية في اتجاه يتيح التحرر من إفسار السلام والتقدم نحو الديمقراطية في آن معاً."<sup>(2)</sup>

سلام عابر دعوة صريحة إلى مشروع نهضة عربية جديدة، عبر الحركة القومية المتجددة، التي يراها سماحة الأقدر على تعيين مصدر التناقضات، وعلى تقديم رؤية مطابقة لوضع المنطقة والعالم، وعلى حشد أوسع جبهة ممكنة لإطلاق دورة جديدة من محاولات النهوض العربي. يقول سماحة: إنها، في آن معاً، صادرة عن هموم العرب، ومعانقة لتعقيدات الوضع الدولي الجديد، كما هي فعلاً. وهناك مقولة للمفكر الصهيوني "اليساري"، مارتن بوبر، ترى أن تحقيق الهدف الإنساني للصهيونية لن يكتمل من غير إيجاد حل وطني للشعب الفلسطيني. ويتساءل سماحة عن نتيجة قلب هذه المقولة: ماذا لو تعامل العرب مع الإسرائيليين عبر عقلية مختلفة، شرطها

(1) جوزيف سماحة، سلام عابر: نحو حل عربي ل "المسألة اليهودية"، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٣ - ص 76.

(2) المصدر نفسه، ص ١٤٩ - <http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>

الوحيد أن تتخلص من هذا الحجم الهائل من التهورات وارتكاب الأخطاء، والسعي جدياً لاستكشاف آفاق المستقبل، "للوصول إلى حد من القوة والمعافة والديمقراطية، يصبح ممكناً، معه، تقديم اقتراح دمج للإسرائيليين، بصفتهم أفراداً يعيشون في المنطقة وليس بصفتهم دولة"<sup>(1)</sup>، وهكذا يمكن أن يتجسد الحل العربي للمسألة اليهودية في سياق عملية سياسية تاريخية تهدف إلى إزالة العقبات من طريق نهضة الأمة العربية، بالاستناد إلى مشروع حضاري يشكل رداً على الطروحات الصهيونية الزائفة، ويلغي الدور الذي يقوم به الكيان الصهيوني في المنطقة العربية وصولاً إلى تفكيك هذا الكيان المفبرك.

هذا هو جوهر الحل العربي للمسألة اليهودية أنه حل في حال توافر مقوماته وشروطه الموضوعية الكامنة أصلاً في قدرة الأمة العربية على تجاوز حالة الهزيمة الراهنة وسيجذب بالضرورة اليهود نحو المشاركة في بناء المجتمع العربي الجديد، إذ سيجدون أن المساهمة في تحقيق وحدة الأمة العربية وتطورها هو المدخل لخلاصهم النهائي من النكبات التي جرّتها عليهم الحركة الصهيونية وقادة الكيان الصهيوني. وخلاف ذلك، أي التسوية الراهنة للصراع العربي الصهيوني، فهي في جوهرها شكل جديد للصراع وليست نهاية له.<sup>(2)</sup>

### المسألة اليهودية (رؤية أخرى)

يعرض د. شريف راشد الصديفي رؤية جديدة لحل المسألة اليهودية، تهدف إلى فض الاشتباك الحادث، ولكن بلا تفريط في أي من الحقوق. ويرى الصديفي أن الفحص الدقيق لأطروحات التيارات المتعددة الرئيسة: القومية - الإسلامية - الماركسية - الليبرالية العامة، ثبت إخفاقها في بلورة مشروع سياسي لا أحادي النظرة، ومستوعب لكافة أبعاد المشكلة، وبحيث يكون قابلاً للتبني من قبل أوسع القطاعات اهتماماً بحل المشكل.<sup>(3)</sup>

وبعد أن يعرض د. الصديفي مطالب كافة الأطراف، يخلص إلى نتيجة مؤداها أن الدالة الجامعة التي تحقق المطالب جميعاً دون تعارض، هي الدالة التي تُمثل مشروع الحل الذي يحقق: دولة واحدة تشمل: مصر + فلسطين + لبنان + سوريا + الأردن + العراق، قابلة لانضمام غيرها من الدول. وهذه الدولة الواحدة يمكنها استيعاب جميع فلسطيني ويهود الأرض الراغبين

(1) المصدر نفسه، ص 141-143.

(2) مأمون كيوان، الحل العربي لـ "المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج: 2010/04/11.

(3) شريف راشد الصديفي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص 244.

في العيش بها، وتكون القدس عاصمة موحدة للدولة الجديدة. ويكون النظام الديمقراطي أساساً لهذه الدولة وبضمانات دولية، بما يبيح كافة الحريات للجميع، بما في ذلك إنشاء أحزاب يهودية وإسلامية وغيرها بغير حرج؛ كما يبيح ممارسة العبادة للجميع.<sup>(1)</sup>

ويرى د. الصديقي إن هذا المشروع يعنى تحديداً إفراغ المشروع الصهيوني من مضامينه العنصرية والسياسية الاستغلالية، مع إقرار مشروعية الخيار الديني، فلا مانع شرعياً من إقامة اليهود كنيسة لهم داخل القدس، ولتقيس ذلك على كنائس وأبنية النصارى القائمة بالفعل، وذلك شريطة عدم المساس بالمساجد القائمة. ولذا فليس هناك مبررٌ منطقي لرفض اليهود للمشروع، لأنه يحقق لهم حريتهم كاملة، ويلبي أشواقهم نحو المكان المقدس، ويضمن لهم ألا يُفتات عليهم؛ بل إنه بدلاً من اللهاث وراء مجرد التطبيع، فإنه يعرض الاندماج الكامل.<sup>(2)</sup>

### المشروع النهضوي التحرري الفلسطيني

تعرض د. غانية ملحيس رؤيتها لحل الصراع العربي الإسرائيلي من خلال ما تسميه "المشروع التحرري الفلسطيني النقيض للمشروع الصهيوني"، حيث يعي هذا المشروع أهمية التدرج في تحرير الوطن وهزيمة الكيان الصهيوني العنصري، الذي تم إنشاؤه، أيضاً، بالتدرج، وبحيث يجد كل فلسطيني على اختلاف عقيدته الدينية وانتمائه السياسي وجنسه ومكان عيشه فرصة واعدة ومصالحةً شخصية في الإسهام الفاعل بتحقيقه ويجد فيه اليهودي الإسرائيلي، أيضاً، عند تحرره من الفكر الاستعماري الصهيوني العنصري، مصلحة أنية ومستقبلية، بديلة عن تلك التي يعده بها قاداته "بالبقاء على حد السيف إلى الأبد" تمكنه من التقاط فرصة ممكنة للعيش الحر الآمن الكريم وتشارك الوطن الواحد مع أصحابه الأصليين في إطار من المساواة التامة أمام القانون.

والمشروع النهضوي التحرري الفلسطيني النقيض للمشروع الصهيوني يعي تماماً عدم جواز الخلط بين الكيان الاستعماري الصهيوني العنصري الذي يتوجب تكثيف النضال ضده لهزيمته وإنهائه، وبين الوقائع الإنسانية المستجدة الناجمة عن الغزوة الاستعمارية الغربية لبلادنا. وينطلق المشروع من إدراكه بأن غالبية يهود إسرائيل، مثل الشعب الفلسطيني، ضحايا للمشروع الاستعماري الاستيطاني الغربي الصهيوني، سبق اقتلاع معظمهم بالقوة من أوطانهم

(1) المصدر نفسه، ص 246.

(2) المصدر نفسه، ص 248، 249.

الأوروبية الأصليّة بالتواطؤ بين النازية والفاشية والحركة الصهيونيّة. ثم التواطؤ لاحقا مع أنظمة الحكم العربية من أجل افتعال الأزمات مع مواطنيها اليهود لاقتلاعهم من النسيج المجتمعي العربي وتهجيرهم إلى فلسطين.

كما أن المشروع التحرري الفلسطيني يدعو إلى التمييز بين عدم مشروعية الكيان الصهيوني الذي يتوجب مواصلة النضال لإنهائه، وبين متطلبات التعامل السياسي والإنساني مع الحقائق الديموغرافية الناجمة عنه، فلا يسعى المشروع الفلسطيني، إلى تصفية الوجود اليهودي في فلسطين عبر الإبادة والتطهير، وإنما يتعامل معهم كبشر.. وعليه فإنه يُتوقع أن يتجنّب المشروع الفلسطيني الوقوع في الفخ ذاته بتجنيد الضحايا لخوض صراع تناحري أبدي فيما بينهم.

وعلى الرّغم من وعيه التام بما ألحقه الاستيطان اليهودي بالشعب الفلسطيني من مأس وويلات، إلا أنه يبدي الاستعداد الكامل لتجاوز الماضي المرير من أجل بناء مستقبل واعد، ويظنّ، لذلك، جاهزيّة استثنائية للتعامل الإنساني الخلاق الذي يليق بالمشاريع التّهضوية التّحررية، ولحل نهائي للصراع الوجودي القائم حالياً، ويدعو من أجل ذلك، إلى إعادة النّظر فلسطينياً في فكرة الدّولة القوميّة باعتبارها شكلاً وحيداً لتحقيق الحريّة والعودة وتقرير المصير للشعب الفلسطيني، ويطالب بالاستعاضة عنها بمفهوم الدّولة الوطنيّة، التي تتيح للفلسطينيين العودة إلى أرضهم وممارسة حقوقهم التاريخيّة الثابتة والعيش الآمن بحريّة في وطنهم وممارسة حقّهم في تقرير المصير، وتعترف، أيضاً، بحقوق المواطنة المكتسبة لليهود إسرائيل حصرًا (وليس عموم اليهود) في فلسطين، عند تخليهم عن عقيدتهم الصهيونية الاستعمارية العنصرية، والقبول بالعيش المشترك في دولة ديموقراطية عمادها المواطنة التي تكفل للجميع حقوقاً (أصيلةً ومكتسبةً) متساوية في العيش الآمن الحر الكريم وتقرير المصير. ويلتزم جميع مواطنيها ببناء دولة مدنيّة حديثة وعصريّة تحترم التّنوع والتعدديّة دون تمييز عرقيّ أو قوميّ أو إثنيّ أو دينيّ أو طائفيّ أو مذهبيّ أو في اللون، أو النوع الاجتماعي إلخ. ويضمن تساوي حقّ جميع أفراد المجتمع بالمشاركة في الحياة السياسيّة، وفي إدارة الشّأن العام، ويوفر بيئة قانونيّة تنمويّة محفزة للنّمو والتّقدم والرّخاء الفردي والمجتمعي، ويكفل العدالة المجتمعيّة، ويؤمن فرص وآليات تحقيقها، ويضمن سيادة القانون واستقلال القضاء<sup>(1)</sup>.

(1) غانية ملحيس المشروع التحرري الفلسطيني النقيض للمشروع الصهيوني ليس بديلا اعترافيا لدولة فلسطينيّة على حدود العام 1967- - الأربعاء، 29 يونيو 2016

## العودة إلى التوحيد الإبراهيمي

دائماً تطرح 'المسألة اليهودية' الشائكة، علينا، قضايا شائكة، تتعلق بالسردية التاريخية التوحيدية، ومساراتها اللاحقة، على اعتبارها (التوحيدية الإبراهيمية) الظاهرة التي شكلت سمات هذه المنطقة، حضارياً وتاريخياً. ولذا فإن هذه الظاهرة، تبدو أكثر حضوراً وفاعلية باطراد، بينما هي تستعاد وتتجدد، وتتنزه، فتبدو الأكثر توفراً على الحلول الكبرى، حتى لأكثر المشكلات تعقيداً، والمسألة اليهودية بمقدمتها.<sup>(1)</sup>

فكما وضحنا فإن المسألة اليهودية نشأت بسبب بقاء اليهود واليهودية ضمن حيز الاثنية المتحجرة (قومياً ونفسياً)، مما أدى إلى استفحال تقاليد الغلو الظاهري والباطني، إذ لا نعثر في التوراة على دعوة للعدل والاعتدال. على العكس أنها مليئة بالغلو في المواقف والقيم والأحكام. فتطرفها الباطني ينبع من ثلوث الإله القومي وفكرة الشعب المختار والنفس الغضبية، أي كل ما يؤدي إلى إنتاج عناصر التقوقع الذاتي. أما انعكاسه الظاهري فيتجلى عادة في سلوك العداء والانتقام التي بلورها العهد القديم في شخصية اليهودي. وهو ما يفسر بقاء اليهودية (كدين واثنية) منغلقة على ذاتها، أي غير مستعدة وغير مقبولة في نفس الوقت للانفتاح على الآخرين والاندماج الثقافي بهم.<sup>(2)</sup>

فالخير كما يرى الكتبة في الانعزال والتقوقع / الغيتو، والشر في الاختلاط والاندماج، الذي يعني العبودية للغير والذل والقهر والضياع. والعودة إلى يهوه إلى حضن العشيبة، يعني الخلاص والحرية وإمكانية تحقيق المشروع الاستعماري<sup>(3)</sup>. هكذا أصبح الخلاص اليهودي ليس مبنياً على أساس تطهير النفس، باعتباره تجسيدا للتاريخ الحق والعدل المجرد، بل على أساس تطهير المكان من الآخرين. وهو تقليد ميز اليهودية بروح الغضب. فحيثما يكون اليهودي يكون الغضب القوة المحركة للعلاقات. وهو السبب الذي يفسر تعرضهم المتكرر للتطهير الخارجي من سرجون (721 ق.م.) إلى تيتوس (70 م.) مروراً بنبوخذ نصر (587 ق. م.). وانتهاء بالانتقامات الشعبية والحكومية المتكررة في جميع البلدان التي عاشوا فيها (باستثناء العالم الإسلامي)<sup>(4)</sup>.

(1) عبد الأمير الركابي، المسألة اليهودية: البنية الحضارية الإبراهيمية العراقية، أحرار العراق - الفرات الإخباري <http://www.alforat.info/index.php?page=article&id=5097>.

(2) ميثم الجنابي الصورة والمعنى في الصراع العربي - اليهودي، - مجلة المؤتمر عدد 1174 - 14-آب-2006.

[http://www.inciraq.com/Al-Mutamar/2006/1101\\_1200/1174/060814\\_1174\\_5.htm](http://www.inciraq.com/Al-Mutamar/2006/1101_1200/1174/060814_1174_5.htm)

(3) جميل خرطبيل الشخصيات الأسطورية في العهد القديم وثلوث عزرا، فلسطين.

(4) ميثم الجنابي، الصورة والمعنى في الصراع العربي - اليهودي.

والدارس لتاريخ فلسطين سيلحظ مبلغ التضاد والتعاكس بين النفسية المشرقية الحضارية المنفتحة وبين نفسية المؤسسة الكهنوتية التوراتية التي خطت التوراة في أسفارها الخمسة الأولى بما يعطي انطباعاً غير مألوف ومضاد لنفسية المشرق العربي وذهنيته بحيث يمكننا إيجاز ذلك بالقول أننا أمام صراع بين نفسية منفتحة وحضارية مقابل عالم ظلامي، مغلق، متحجر وحاقد كُله الأخبار في توراتهم من أجل أن يبقى المجموع العبراني دون تفاعل مع محيطه وبالتالي الذوبان فيه. أيضاً، لا يمكن فهم عقيدة التوراة عبر (يهوه) الإله الخاص لشعب مختار في أرض مختارة له، إلا من منظور عنصري أُلصقته نفسية الأخبار باليههم / الذي جاء مماثلاً لما يعتلج في خافيتهم/ لا شعورهم الجمعي. وعليه بتنا نفهم أن هذا التحجر والانغلاق والعنصرية الذي سعت المؤسسة الكهنوتية التوراتية إلى تكريسه لدى المجموع العبراني، كان من نتائجه تعرض العبرانيين عبر تاريخهم إلى النبذ والتأديب من قبل شعوب الأرض، فهو نتيجة لا سبب. وعلى هذا نفهم لماذا أدّبهم المصريون في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد حين كانوا عبارة عن قبائل مرتحلة تعيش على السلب والنهب والارتزاق في أطراف بلاد كنعان . ثم تعرضهم لتأديب الكنعانيين والفلسطينيين والآراميين والآشوريين والبابليين<sup>(1)</sup>.

ومهما فعلنا، فإن المسألة اليهودية، تظل تذكر بقوة حضور المنظور التوراتي، ولا يبدو أن هنالك حل متوقع لهذه القضية خارج هذا الإطار. وهنا لن نجد اليهود خلاصهم الا في العودة إلى الأصل، أي إلى التوحيد الإبراهيمية، وليس إلى اليهودية الصهيونية. وهذا تماماً ما يتفق مع صفاء التوحيد الإبراهيمي، فاليهودية هي اختراع لاحق. والأصل العبراني هو الأصل المفقود، أي التوحيدية الحنفية الأولى. أما اليهودية، فهي التحريف اللاحق كما مورس، أو كما أنتج في ظروف المنفي، وما بين الأصل 'أرض الرافدين'، وساحل الشام ومصر، ومع امتدادات الزمن، وضنك المنفي والتهيه، وتواتر السبي، كان لا بد أن تتحور الفكرة الأصل، وتصاب بكل ما يمكن تصوره من التحريفات، بعد أن انقطعت عن البنية التي أنتجتها، هذا بينما تضع الصهيونية أمامنا نمطاً من أنماط تلك التحريفات، كما قررها العصر الرأسمالي العالمي الصاعد. فانعكاسات مُثل، ومفاهيم هذا النمط المستجد، زاد من تحريف الأساس التوحيدي، وأبعد اليهودية عن أصلها، ومغزى تاريخها كثيراً جداً.<sup>(2)</sup>

(1) بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، دار الرائي للدراسات والترجمة – دمشق 2004.

(2) عبد الأمير الركابي، المسألة اليهودية: والبنية الحضارية 'الإبراهيمية' العراقية.

## المبحث الرابع: عودة الابن الضال واحتواء الهجمة الصهيونية

إن العرب يمكن أن ينظروا بإشفاق إلى مصير اليهود الغامض، تدفعهم إلى ذلك معرفتهم الكافية بالظروف والقوى التي رمت بهم في بلادنا كمرتزقة ماجورين، وجعلت من العرب الضحايا دماً وأرضاً وثروة. لقد عينتهم قتلة وعينتنا مقتولين، بل عينتهم "درعاً بشرياً" في الحقيقة. وإذن، فنحن ضحايا، وهم ضحايا إنما بصورة مقلوبة! ونحن نعرف حجم مأزق اليهود عموماً، ومبلغ تعقیده، ونذكر مقدار ومعنى هيمنة الصهيونية غير اليهودية واليهودية عليهم. إن الخطر الحقيقي يأتيهم منها وليس منا.<sup>(1)</sup> فمع ظهور الحركة الصهيونية بدأت مرحلة جديدة، تمثلت في الحالة الإسرائيلية وما تحويه من تربية مضادة تظهر إحدى تجلياتها المثيرة للتناقض في السعي لبناء بيت، واستباحة وطن الآخر، وظلم واقتلاع وتشريد شعب من أرضه، لتكوين دولة يهودية غربية تنأى عن الاندماج في الشرق الأوسط، ولذا فإن نهاية الصهيونية تظهر كترامن محتمل مع انعتاق ونهضة اليهودية واستجابتها لرسالتها الأممية على طريق الرفض الذاتي (نفي الذات) والخلق أو الولادة الجديدة.<sup>(2)</sup>

ويبدو الخلاص اليهودي اليوم مرهون بالعودة إلى الجذور، لا إلى أرض مفترضة، لم تكن أصلاً غير 'بديل عن ضائع'، وكل هذا يعني أن قراءة مختلفة، ومغايرة للتوراة، صارت واجبة. فاليهودية أما أن تعود إلى مصدرها، أو تستمر في ممارسة عودة مزورة، ومحرفة، تكرر مساوئ المنفي، وتستفيد من تحول الغرب إلى يهودي دينه رأس المال. والتوحيديون عليهم أن يفكروا بالثورة، ويعودون إلى حنفيتهم الأولى، إلا أن هذا الفصل التوراتي الراهن، لن يكون ممكناً، إذا لم تكن الرواية، أو السردية التوراتية، متجهة الآن. إلى ما يمكن أن ندعوه، 'عودة الإبراهيمية إلى أرضها وهنا لا تقع المهمة على عاتق اليهود بالدرجة الأولى، فالإبراهيمية الأولى، هي 'الوطنية العربية' المطرودة، وغير المتحققة، وهذه تبدو اليوم، القاعدة الحيوية لثورة تاريخية، لا حل للأوضاع التي يغرق العرب في دوامتها، من دون تفجرها، وبالتحديد تحولها إلى قاعدة إنقاذ ودفع نحو المستقبل.<sup>(3)</sup>

---

(3) نصر شمالي، ماذا عن اليهود في المستقبل؟- السبت 2011/1/2، موقع حزب البعث العربي الاشتراكي.  
(2) إيلان زئيف، جدلية الوطن والمنفى -ترجمة: سلمان ناطور- الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، رام الله- ط1 2006- عرض/أحمد فياض.  
(3) عبد الامير الركابي، المسألة اليهودية: والبنية الحضارية 'الإبراهيمية' العراقية.

إن إبراهيم الذي نتوق إليه هو الذي سيكون الجسر بين البشرية والقداسة الذي يوضح المثال لما يعنيه إن تكون مؤمناً مخلصاً، ولكنه أيضاً الذي يسلمنا بركة الله على الأرض، وهذا إبراهيم ينقل نعمة الله عبر أولاده، عبر إسماعيل، عبر إسحق ... هذا إبراهيم يؤمن إن أولاده ما زالوا يطلبون وجه الله، ما زالوا في حاجة للراحة من شيء أعظم منهم، ما زالوا يتشبثون ببعض الوميض الذي للبشرية، ما زالوا يحلمون بلحظة عندما يقفون جنباً إلى جنب، أحدهما بجانب الآخر، ويصلون من أجل أبيهم المفقود، ومن أجل التركة وميراث السلام بين الأمم الذي كان أول أمر شرعي من السماء.<sup>(1)</sup>

### ضرورة تصحيح المفاهيم

يغرق كثير من المؤرخين عند مواجهتهم لادعاءات اليهود المعاصرين بحقهم في فلسطين في الانشغال بعلوم الآثار، وذكر الشعوب التي استوطنت أو حكمت أو مرت على فلسطين وكم حكم كل منها هذه الأرض ليخرجوا في النهاية بنتيجة مؤداها ضالة الفترة والمساحة التي حكم فيها اليهود عبر التاريخ مقارنة بالعرب والمسلمين، ورغم أن هذا الجانب مفيد في رد ادعاءات اليهود من النواحي التاريخية والعقلية، إلا أن كثيراً من هؤلاء الكتاب والمؤرخين يقعون في خطأين كبيرين حسبما يظهر لنا: الأول: اعتبار تراث الأنبياء الذين أرسلوا لبني إسرائيل أو قادوهم تراثاً خاصاً باليهود فقط، وهذا ما يريده اليهود!<sup>(2)</sup>

الثاني: الإساءة إلى سيرة عدد من أنبياء بني إسرائيل باستخدام الاستدلالات المستندة إلى توراة اليهود المحرفة نفسها، وهم عندما يستخدمونها فإنما يقصدون الإشارة إلى "السلوك المشين" لبني إسرائيل وقادتهم عندما حلوا في فلسطين، ليضعفوا من قيمة دولتهم وبيئنا انحطاط مستواهم الحضاري، ويدخل أصحاب هذا المنهج في الاستدلال بما ذكرته الإسرائيليات من اتهام للأنبياء بالغش والكذب والزنى واغتصاب الحقوق وقتل الأبرياء، في محاولات لإثبات قسوة ومكرو لؤم اليهود وتشويه صورة حكمهم ودولتهم في ذلك الزمان.<sup>(3)</sup>

(1) الخليل إبراهيم: رحلة إلى جوهر الديانات الثلاث، بروس فيلر، ترجمة نشأت باخوم، مراجعة وتقديم احمد هويدي - ط1 2016 المركز القومي للترجمة- عدد 2219.

(2) محسن صالح، الطريق إلى القدس- دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت 2014 ط5- - ص13

(3) محسن صالح، الطريق إلى القدس- دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت 2014 ط5- ص14

وهكذا يشغل المسلمون المعاصرون أنفسهم كثيراً بقضايا تستهلك فكرهم، وتستنزف طاقتهم الروحية، وتستفرغ جهدهم في التهافت على ادعاء أدلة، يحاولون بها إثبات ما لا يلزم إثباته، ولا يفيد شيئاً حال ثبوته.. بل هم، في الواقع، يذهبون بمسلكهم ذاك إلى عكس ما يدعوههم إليه إسلامهم ... ومثال ذلك إصرارهم على أن هيكل سليمان لم يكن يوماً بأي من مواقع مسجد قبة الصخرة أو المسجد الأقصى الحاليين أو باحتمالهما. متناسين أن هذا المكان المبارك هو محل البركة منذ القدم، ومن الطبيعي أن يبني "داود" و"سليمان" عليهما السلام فيه هيكل أي معبداً (مسجداً) لله، فهما نبيان كريمان من أنبياء الله، ونحن المسلمين أولى بهما وبمعبيدهما<sup>(1)</sup> ومن هنا فلا يجوز إنكار المتأخرين أنه ها هنا، في هذه البقعة المباركة، تَعَبَد لله قوِّمٌ قبلنا، منهم الأنبياء، "كداود" و"سليمان". كما ويدفع العداة للصهيانية إلى اتخاذ الكثير من المسلمين مواقف تتسم بالشطط، وربما المخالفة لصحيح الدين، ويحسبون بذلك أنهم إنما يحسنون صنعا، مثل وصف "يوشع بن نون" بأنه سَفاح حتى وصف النبي "داود" (عليه السلام) بالخيانة، معتمداً على مرويات التوراة الزائفة عن الخصومة بينه وبين "طالوت"<sup>(2)</sup>

يضاف إلى ذلك أمر مهم جداً وهو أن بعض الذين تصدوا للبحث في تاريخ بني اسرائيل قد أتوا على كل شيء في تاريخ اليهود نفيًا والغاء، ... حيث تعرضت التوراة لنقد قاس من قبل عديد من الباحثين، وقد تراوح هذا النقد من ابداء ملاحظات مهمة حول مصداقية وقائع جاءت في التوراة أو القيمة الحقيقية لبعض الأسفار، الى النفي الكامل لقدسية التوراة وصدق الديانة اليهودية. وتأتي خطورة الرؤية الاخيرة من انها لا تصطدم مع العقيدة اليهودية وحدها .. إذ إن النفي المطلق لليهودية إنما يصطدم تماماً بالمسيحية والاسلام على السواء .. وعلى ذلك فإن نفي التوراة إنما يعني ضمناً نفي الانجيل والقرآن معا<sup>(3)</sup>.

وهنا يجب أن ننبه إلى أن القرآن الكريم كفانا مؤونة التعرف على أخلاق اليهود وفسادهم وإفسادهم، غير أن أنبياءهم وصالحهم أمر آخر، فالأنبياء خير البشر، ولا ينبغي الإساءة إليهم والانجرار خلف الروايات الإسرائيلية المحرفة، التي لا تسيء للأنبياء فقط وإنما لله تبارك وتعالى. لقد حرف اليهود التوراة، وساروا على نهج التوراة المحرفة في أخلاقهم وفسادهم وإفسادهم محتجين بما نسبوه إلى أنبيائهم كذباً وزوراً، ومن الواجب على المؤرخين وخصوصاً المسلمين ألا

(1) المصدر نفسه، ص 161، 158.

(2) المصدر نفسه - ص 166.

(3) أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل - بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ص 47.

يندفعوا في استقراءهم لتاريخ فلسطين إلى اتهام أنبياء الله بما افتراه عليهم اليهود وذلك في سبيل إثبات حق الأقوام الأخرى في فلسطين<sup>(1)</sup>.

وهناك قطاعًا آخر من الأطروحات التي لا تصدر عن إسلام، ولكنها تزعم العداة للصهيونية، فإذا بها - في التحليل النهائي - تصب نتائجها في مصلحة الصهيونية مع ادعائها اتباع المناهج العلمية، مثال أطروحة "كمال الصليبي": التوراة جاءت من جزيرة العرب؛ فهو يزعم أن بنى إسرائيل ما وجدوا أصلاً في فلسطين، ولكن في غرب جزيرة العرب بامتداد منطقة عسير من الحجاز إلى اليمن، وأن جميع الأحداث التاريخية لليهود وقعت في تلك المنطقة. وبذلك فإن "الصليبي" يُقر بالصحة المطلقة لتاريخية التوراة، بينما ينكر جغرافيتها، فيحيلها إلى جزيرة العرب! وهذه الأطروحة فوق عدم علميتها، فإنها أيضاً لا تشي بالبراءة؛ فهل المطلوب أن يمد الصهيينة مطالبهم لتشمل أيضاً الحجاز واليمن؟!<sup>(2)</sup>

وهناك أطروحة "فراس السواح"، وهذه على عكس "الصليبي"، تثبت الجغرافيا، بينما تنكر التاريخ؛ فلا وجود عنده إلا لسوريا وكنعان، وأما الحديث عن الآباء: "إبراهيم" و"إسحاق" و"يعقوب" فهو حديثٌ أسطوري، وأما أبناء الأسباط وبنى إسرائيل و"موسى" و"يوشع" وغرق "فرعون" والتهيه بسيناء ودخول فلسطين... فهي خلطٌ بين خيالٍ مريضٍ وتزييفٍ متعمدٍ أدى إلى خزعبلاتٍ مثلها مثل القول بمملكة "داوود" أو مملكة "سليمان"، فهي لم تحدث قط، بل مستحيلة الحدوث، ولا تعدو كونها ضرباً من الخرف تماماً كحكايات "عفاريت سليمان" وقماقمه التي تُسلى الأطفال أو بها يُخوفون.

ولعل أهون ما يُعلق به على هذه "النظرية" أنها تثبت من حيث يغفل حقا أصيل للصهيانية في هذه الأرض، لما قرر لهم مواطنَةٌ أصيلة فيما باعتبارهم كنعانيين أُصلاء. والخطورة الشديدة التي تنطوى عليها تلك النماذج، أنها تعمل على تشكيل وجدانٍ جمعي ازدواجي وحافلٍ بالمتناقضات، ومناقضٍ لصحيح الدين، بما يؤدي إلى حالةٍ من الالتباس الشديد، الذي يبغُد بالقضية عن تشخيصها الصحيح، وبالتالي عدم القدرة على معالجتها.<sup>(3)</sup>

(1) تاريخ فلسطين قبل الإسلام -وقفات مع تاريخ صراع الحق والباطل على أرض فلسطين.

(2) شريف راشد الصديفي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص 171.

(3) شريف راشد الصديفي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص 171.

## الوجود اليهودي في فلسطين...؟!

لعبت النخب العربية دورا في حشر الوعي العربي العام ضمن ثقافة ضيقة، منغلقة، معلولة، أفرزت قوالب فكرية جامدة، وحرمت أي فكرة جديدة من شروطها الجدلية. فهل كان حق اليهود في أرض فلسطين أقل من حق العرب؟ وما هي الأسس التاريخية التي تدعم ترجيح حق على آخر؟ فالوقائع التاريخية المدونة في كتب التاريخ اليونانية والرومانية، والتي تطرق إليها المؤرخون العرب بلا تفاصيل واسعة وكأخبار متداولة في الجزيرة العربية، وثبتها أهم ثلاثة مؤرخين في القرن العشرين (توينبي، شبنغلر، ديورانت) بعد تحليل دقيق وموضوعي، جميعها تؤكد الوجود التاريخي والحضاري والثقافي الكثيف لليهود في أرض فلسطين وبقيّة دول الشرق الأوسط، قبل وبعد الفتح الإسلامي.<sup>(1)</sup>

ولذا حرصت الصحافة اليهودية في بداية القرن الماضي، خلال دعوتها الى التعاون بين العرب واليهود على التأكيد على ما وصفته بأنه حقوق اليهود التاريخية في فلسطين حتى يكف العرب عن مناوئتهم، والمطالبة بإخراجهم من البلاد. وفي هذا الصدد أشارت صحيفة الشمس اليهودية إلى أن حق اليهود في فلسطين لا يبدأ من وعد بلفور وإنما يعود الى عهد موعلة في القدم، حيث ان اعتقاد اليهود أن فلسطين أرض الميعاد شيء يتغلل في نفوسهم، والتاريخ يحمل لنا زيارتهم بالآلاف للأراضي المقدسة ليكون يومهم ويأملون الخير في مستقبلهم حيث يجمعهم الله في أرض الميعاد.<sup>(2)</sup>

وفي كتابه "إسراطين" يعرج القذافي على العهد القديم ليُبرهن على أنّ شعوبًا كثيرة ومختلفة استوطنت فلسطين تاريخيًا. لذا "فمن الناحية التاريخية لا أحد له الحق في أن يؤكد أنها أرضه هو. فذلك مجرد ادعاء. ولا يوجد ما يعطي الحق لطرفٍ في جزءٍ من فلسطين، وأن ليس له الحق في الأجزاء الأخرى". لذا يطالب بـ "عدم الإصغاء لأصوات الحرس القديم، وعقلية الحرب العالمية الثانية، بل يجب سماع صوت الشباب.. جيل العولمة .. جيل المستقبل. إنّ العقلية القديمة هي التي سببت المأساة الحاضرة"<sup>(3)</sup>.

(1) عارف علوان - هل حق اليهود في فلسطين أقل من حق العرب؟-

<http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=117643&r=0> .

(2) سهام نصار، اليهود المصريين صحفهم ومجلاتهم 1877-1950 - بين المصرية واليهودية، ص 126.

(3) القذافي.. من الكتاب الأخضر إلى الكتاب الأبيض- موقع قنطره - جونتر أورت- ترجمة: يوسف حجازي

مراجعة: هشام العدم <https://ar.qantara.de/content/العدم>.

## السعي الى إزالة أسباب العداء:

إن إحدى الضرورات القصوى - لتحقيق مشروعنا الإنساني الأكبر - تتمثل في استفراغ الجهد البحثي- من جميع الأطراف - لتقطير المضامين الأكثر تجلياً لجوهر الدين الدافع إلى تطهر النفوس وتسامها بالعدب على السعي إلى رفع أسباب العداء وتحقيق العدل بين البشر.. لا السعي إلى نفي الآخر واستئصال شأفته. هذا النفاذ المباشر إلى الجوهر يعنى بالدرجة الأولى الاستبراء من الداء الذي أصاب اليهود والنصارى، كما أصابنا بذات الدرجة، ونعني به الانحباس الطوعي المذهل للعقول في الشروح، وشرح الشروح، ثم تحكيم أقوال الرجال في الحق، بينما الحق أبلج وأدوم، حيث أدى ذلك إلى حالة هلمية من الانسياح المعرفي، والتبعثر الوجداني، ثم الشطط النفسي، مما أدى في النهاية إلى هذا المشهد الأقرب إلى العبثية الذي نعانيه اليوم<sup>(1)</sup>.

لقد قرر الميثاق الوطني الفلسطيني منذ البداية على أن حل المسألة اليهودية والفلسطينية إنما يتم في إطار دولة ديموقراطية متعددة الثقافات والملل، يتساوى فيها المواطنون في الحقوق والواجبات. وهو ليس حلماً طوباوياً بعيد المنال أو تكتيكا سياسياً لتصفية الكيان اليهودي، بل هو النموذج الأندلسي القديم الذي عاش فيه المسلمون واليهود والنصارى في طليطلة وغرناطة واشبيلية وقرطبة. وكان هو العصر الذهبي للحضارة اليهودية حيث نشأت علومهم العقلية في الرياضيات والطبيعات بفضل وجودهم في الحضارة العربية يكتبون بالعربية أو بالعربية بحروب عبرية ويعيشون بين المسلمين. بل أن اليهود كانوا يذهبون إلى القضاء الإسلامي لأنه أكثر عدلاً من القضاء اليهودي. وما حدث في الاندلس حدث أيضاً في مصر وتونس والعراق واليمن، فقد جمع اليهود بين العروبة والثقافة الإسلامية أسوة بالمسلمين والنصارى وكان منهم الأطباء والحكماء والعلماء في بلاط الخلفاء، كان ابن ميمون طبيب السلطان الكامل. ووصل "حسداي بن شيروط" إلى منصب وزير التجارة. وراسل "حسداي" ابن باجه. وظهر "حيوي البلخي" داعياً ومصيحاً لليهودية قبل "اسبينوزا". وتكونت فرقة "القرائين" على نموذج المتكلمين المسلمين في مقابل "الربانيين" بل أن من كبار فلاسفة التنوير اليهودي في العصر الحديث هم من تلامذة المسلمين مثل "اسبينوزا"<sup>(2)</sup>.

ولكن الذي يمنع اليهود الآن أن يصبحوا ذوي نزعة عامة مندمجة هو رد الفعل على

(1) شريف راشد الصدي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، ص 251.

(2) حسن حنفي، الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي عدد 486 مايو 1999

التنوير الأوروبي، ونموذج القوميات والتغريب، حيث أصبح اليهودي غربياً عن تراثه. يتبنى القيم الغربية تاركا قيمه الموروثة، يستمد هويته من الأرض والعرق، ويتصور أمنه في الحدود الجغرافية الآمنة، في العلم والنشيد والعلاقات الدولية والقوة. مأساة اليهودية الآن مأساتان: التغريب، ونموذج الدولة القومية الدينية الطائفية العرقية النازية، لذلك حدث الصدام بينها وبين النازية الألمانية، هذه هي الصهيونية وليست اليهودية. ولا فرق بين الصهيونية العلمانية والصهيونية الدينية إلا في المنبع وليس في المصب، في الوسيلة وليس في الغاية. وكلاهما صهيونية سياسية تريد العودة إلى جبل صهيون لتأسيس الكيان الصهيوني. أما التيارات اليهودية الأخرى فما تزال أقرب إلى اليهودية منها إلى الصهيونية مثل اليهودية الإصلاحية التي تريد كيانا سياسيا دون صهيونية. واليهودية الأرثوذكسية التي ترفض الكيان السياسي.<sup>(1)</sup>

وبصرف النظر عن النتائج النهائية للمعركة الجارية في إسرائيل بين العلمانيين والمتدينين، والاشكناز والسفرديم فالمصالح العربية العليا تفرض، في هذه المرحلة، شن هجوم سلام منظم على المجتمع الإسرائيلي، هدفه أضعاف القوى الصهيونية المتطرفة، والتفاهم مع القوى الإسرائيلية المؤيدة للسلام مع العرب، والمؤمنة بالتعايش مع الفلسطينيين على أرض فلسطين. وبإمكان القوى الشعبية والمنظمات الأهلية وأعضاء المجلس التشريعي والكتاب والمثقفين ورجال الأعمال العرب والفلسطينيين لعب دور رئيسي في الهجوم، وتوطيد العلاقة مع قادتها وكوادرها وتشجيعهم على مساندة الحقوق الفلسطينية والعربية في إطار صنع السلام والتعايش بين الشعبين.<sup>(2)</sup>

فالدولة الصهيونية بصورتها الحالية، ليست هي الحل الديمقراطي التاريخي للمسألة اليهودية، بل أن إقامة دولة علمانية واحدة على أرض فلسطين التاريخية، تكون وطناً لليهود والعرب الفلسطينيين معاً، بعد التخلص من عقد الصهيونية، التي انتقت من الكتاب المقدس والتلمود شذرات بنت عليها تصورها لاستثنائية اليهود وتميزهم عن سائر الجنس البشري<sup>(3)</sup> وقيام الكيان الصهيوني لم يحل المسألة اليهودية، ولم يساعد على جعل اليهود أكثر قبولا لجيرانهم؟ ولم يحصل اليهود على الامان المطلوب، بل عاشوا في غيتو كبير بدلا من الغيتو

(1) المصدر نفسه

(2) ممدوح نوفل، شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب.

(3) توفيق المديني، حل المسألة اليهودية وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية نشر في الوسط

التونسية يوم 09 - 10 - 2009.

الصغير. يعيشون على معاداة السامية، وبقدر ما تقوى النزعة المعادية للسامية تقوى الصهيونية وتجد مبرراً لوجودها. وبدلاً من حل المسألة اليهودية نشأت المسألة الفلسطينية: اخراج شعب من أرضه ونهب ثرواته، احضار يهود العالم من الدياسبورا الى "العاليا"، وابعاد عرب فلسطين من "العاليا" الى "الدياسبورا".<sup>(1)</sup>

وإذا كان اليهود يدعون لأنفسهم حق العودة إلى فلسطين بعد أكثر من ألفي عام من تركها! فلماذا يحرمون أبناء فلسطين من حق العودة إلى أرضهم بعد أشهر فقط أو سنوات من "تركها"<sup>(2)</sup>. ولهذا يجب عودة اللاجئين الفلسطينيين والنازحين أينما كانوا وحيثما رغبوا، لأنه غير جائز جلب يهود لم يكونوا من سكان فلسطين. لا هم .. ولا أجدادهم ومنع فلسطينيين التجأوا ونزحوا من فلسطين بعد عام 1948 م .

### الحل العادل وحل الدولة الواحدة

كان الجانب العربي يرى أن الدولة الواحدة أو الدولتين هو أمر خارج التاريخ وخارج الاخلاق. فليس من مبادئ الحياة ولا منطق الأشياء أن يأتي الغاصبون فيمكنوا لأنفسهم، ثم يبدأوا عروضاً بالتنازل عن بعض المغتصبات نظير قبول الاغلب منها، ثم توالي الاقدار أفعالها فيكون رفض المستضعفين لمنطق الاغتصاب مقدمة لمزيد من السطو في جانب والضعف في جانب، حتى تبدو العروض الأولى للمغتصبين فرصاً عظيمة لفاتت لضيق الرؤية وتهافت الرأي.<sup>(3)</sup>

وهكذا كان لدى الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي يوجد من يرى أن الحل هكذا غير عادل، وأن الحل لا يكون إلا بالسيطرة على كل الأرض من نهر الأردن إلى البحر المتوسط لكي تقوم دولة فلسطينية أو تعطي الشرعية للدولة الإسرائيلية. لكن لا الفلسطينيون يقولون أين سوف يذهب الإسرائيليون، ولا الإسرائيليون يقولون ماذا سوف يحدث للفلسطينيين في نهاية المطاف. كل ذلك فتح الباب لفكرة الدولة الواحدة التي تضم الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي.<sup>(4)</sup>

وفكرة (الدولة ثنائية القومية)، أو (ثلاثية الدين)، لا تنطلق من فكرة العدالة والحل

(1) حسن حنفي، الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي عدد 486 مابو 1999.

(2) محسن محمد صالح دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، 2003- فجر، كوالالمبور.

(3) أحمد المسلماني ما بعد إسرائيل - بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ص146.

(4) عبد المنعم سعيد الدولة الفلسطينية . الإسرائيلية الواحدة، جريدة الشرق الاوسط- رقم العدد 14295، 17

يناير 2018 م.

العادل، بل تنطلق من فكرة الاعتراف بالأمر الواقع اليهودي.<sup>(1)</sup> وهنا يجب أن ندرك تعذر إمكانية إعادة عجلة التاريخ للوراء، وأن تحقيق العدالة المطلقة لا يقدر عليها سوى الخالق وحده، وأنها لم تتحقق على الأرض منذ بدء الخليقة وربما لن تتحقق حتى قيام الساعة. والتوصل لاتفاقات سلام لا يعني التوصل إلى حل عادل لجميع مشاكل المنطقة، وأن العدالة النسبية ممكنة التحقق فقط. ولذا تصبح كلمة "الحل العادل والدائم" التي تُطرح عادة في كل مشاريع التسوية، مصطلحاً عبثياً يفقد دلالاته الحقيقية.<sup>(2)</sup>

ولكن ومنعاً لسفك المزيد من الدماء البريئة، ومنعاً لتحوّل التدهور الحاصل في لبنان والعراق وغازة والضفة الغربية إلى غرق كامل يمتد ليشمل جميع الدول والمجتمعات العربية، المطلوب من العرب الآن إعادة النظر في مسألة العلاقة مع إسرائيل وتقديم رؤى جديدة وشجاعة لمصير المنطقة وسكانها، تعترف فيها علناً بحقوق دينية لليهود على ضوء الحقائق التاريخية وليس استناداً إلى الكتابات الغاضبة الغوغائية التي أفرزتها وأدلجتها فترة الصراع، ونتيجة مبدأ عدم الاعتراف بالآخر.

فاليهود يرون أن تعرضهم للترحيل والإبادة على مدى التاريخ، وكذلك اعتبارهم أن العداء لليهود (معاداة السامية) مرض متأصل في التاريخ البشري وغير قابل للشفاء، لا يترك حلاً سوي إعطاء اليهود وطناً ليعيشوا فيه بعيداً عن خطر الإبادة والترحيل. في مقابل ذلك يحاج العرب بأنهم لم يساهموا تاريخياً في مأساة اليهود، وبالتالي فإنهم لن يدفعوا ثمن أخطاء غيرهم وأن على الغرب الذي أقام المجازر لليهود في القرن العشرين أن يبحث لهم عن حل لا يأتي على حساب العرب والشعب الفلسطيني.<sup>(3)</sup>

فالفلسطينيين يقولون: لماذا نحن بالذات يجب علينا أن ندفع ثمن اضطهاد اليهود في أوروبا؟! إذ أن الفلسطينيين لم يضطهدوا اليهود. واليهود يقولون: إننا لم نطرد الفلسطينيين، ويقولون: إن العرب من غير الفلسطينيين هم الذين شتوا الحرب علينا عام 1948م. وهكذا كان لقاء الإسرائيليين والفلسطينيين هو لقاء شعبيين عاشا مآسي قاسية ومؤلمة مع التجاهل من

---

(1) عز الدين المناصرة، مشروع الدولة الواحدة (ثنائية القومية).

(2) غانية ملحيس، هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات؟؟ - مقالات - الأحد، 14 آب (أغسطس)، 2016.

(3) سعيد عكاشة الصراع العربي الإسرائيلي: السلام المستحيل، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية - 2015/10/23 <http://acpss.ahram.org.eg/Review.aspx?Serial=10254>

قبل الآخرين. فمتى سمع العالم أن شعباً ما فتح أبواب بلاده في وجه شعب آخر، وقلص بمحض إرادته أراضيه لتمكين شعب آخر من إقامة كيان خاص به؟! (1)

وإذا كان الروائي الإسرائيلي سامى ميخائيل قد حرص في روايته "حمائم في ميدان ترافلجر"، أن يضع طرفي الصراع كضحية للقدر التاريخي الذي ساقهما إلى هذا المصير، حيث يرى أن الصراع لم يكن صراع بين حق وباطل ولكنه صراع بين حق وحق، فكلا الطرفين لهما حق العيش على هذه الأرض. (2) فإننا نرد عليه بالقول: ما ذنب الفلسطينيين إذا كان الإسرائيليون قد انفصلوا عن أممهم بعددهم القليل، ومنها أمتهم العربية، بناء على روايات ملفقة وأحلام خرقاء، وأقاموا في بلادنا وضِعاً لا مستقبل له بتاتاً؟ كيف نستطيع أن نخدعهم؟! إن ما كتبه كوستلر ليس أكثر من عينة. لقد أقاموا وضِعاً لا أساس له. والوضع الذي لا أساس له سوف يتحول أكثر فأكثر إلى مأزق لا حل له. إنهم يعرفون جيداً أنها مجرد الظروف الدولية لا أكثر ولا أقل.. ترى مأزقهم وتستثمره، وتسمح لهم بإطلاق كل هذا القدر من الترهات والبراء. ولكن هذه الظروف الدولية الشاذة لن تستمر إلى الأبد، ولسوف يصحح التاريخ مساره، فيأخذ كل طرف حجمه الحقيقي وقدره الحقيقي. (3)

ومن هنا فإن قبول العرب لحل الدولة الواحدة لا يجب أن يكون نتيجة للحائط المسدود وتعثر المفاوضات للوصول إلى دولتين، بل ينبغي طرحه كحل نهائي قادر على الاستجابة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمشكلة عالمية اسمها القضية اليهودية. الفلسطينيون خاصة والعرب كافة عليهم أن يرتضوا طوعاً أن يكونوا جزء من الحل، وليس جزء من المشكلة، وأن يصمموا عن وعي وإدراك التصدي لخطر الأبارتهيد اليهودي الصهيوني الزاحف.

وحل الدولة الواحدة بحاجة إلى نضال رسمي وشعبي فلسطيني وعربي تعززه إرادة حرة ومستقلة من قبل أنظمة عربية استمدت شرعيتها من شعوبها وتفهم أوروبي وأمريكي رؤيوي، استشرافي، مساعد وضامن، وهذا يتطلب استراتيجية فلسطينية وعربية للوصول الى هذا

---

(1) سميح خلف- المقاومة هي الوسيلة للحل الديمقراطي والدولة الواحدة على الأرض الفلسطينية (دراسة تحليلية)، دنيا الوطن 2008/2/26

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/124329.html> .

(2) عمر عبد العلى علام، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، ص 138- دار العلوم للنشر والتوزيع - ط1 2007.

(3) ماذا عن اليهود في المستقبل؟- السبت 2011/1/2 -نصر شمالي- موقع حزب البعث العربي الاشتراكي.

الهدف يقع على رأس اولوياتها عمليه تموضع حضاري تتضمن عمليه سياسيه شامله عربيه ودوليه لتاهيل الدول والشعوب العربيه، لاحتلال موقع ضمن خارطة الحضارات في العالم لتحقيق التنميه والقضاء على الارهاب والتطرف، وتفكيك النزاعات، وجعل السلم العالمي أمراً ممكناً.

ولذا يجب على الجامعة العربيه أن تؤكد بأنه من الضروري النظر إلى مبادرة السلام العربيه على أنها المرجعيه الوحيدة لسلام عربي - إسرائيلي شامل وبأنه سيتم ضمان أمن إسرائيل القومي بإرادة جماعيه وأن أية اتفاقيه يقبلها الطرفان ستكون نهائيه ودائمه. ويجب على الشعبين العربي والإسرائيلي أن يدركا يوماً ما حتمية التعايش السلمي. فلو كان هناك أية فائده من إطالة عمر هذا الصراع، فقد عمّر أكثر من فائدته، ولا يستطيع أي من الطرفين تحسين موقفه بصرف النظر عن مدّة استمرار الصراع بينهما. لا بالعكس، كلّما طال استمرار الصراع تقلّص العائد الناتج عنه.<sup>(1)</sup>

فمن الخير للأطراف العربيه أن تتدبر الأمر، وأن تسعى إلى التحكم في تغييرات وإردة لا محالة، قبل أن تعرضها هذه التغييرات لعواقب يتعذر التكهن بخطورتها. فآليات المستقبل تتقرر الآن، ومن هنا الأهمية الكبرى في مناهضة أوجه الخلل قبل فوات الآوان، أي قبل أن تستقر لها قواعد وعرف وممارسات، ولن يتم ذلك ما لم تحدث مصارحة ثم مصالحة عربية/عربيه حقيقيه تتدارك مخاطرطي صفحه قد تكون الأخيرة في كتاب وحدتهم وتضامنهم، بل ومصيرهم لأجل غير مسمى، وتجعلهم طرفاً مفعولاً به في عالم في دور التكوين تغيرت قواعده ومبادئه ومفاهيمه ومعادلاته. وأن الآوان للتوقف عن التغني بأمجاد الماضي الذي يستحيل استحضاره، والتطلع الى مستقبل موعود دون أن نعمل بهمه، بينما يبني الآخرون مستقبلهم فوق أرضنا.<sup>(2)</sup>

ورغم المآسي المحزنة التي نشأت عن الصراع العربي الإسرائيلي، فإننا يجب أن نكون على استعداد للتعايش مع جيراننا من اليهود وغيرهم، وتتناسى جراحنا وألمانا وتضحياتنا من اجل مستقبل أفضل لمنطقتنا وشعبنا، ونفتح صفحه جديده للعيش في سلام وامن واستقرار. إلا

---

(1) مبادرة السلام العربيه: الآن أو أبداً- April 28, 2010-

<http://alonben-meir.com/writing/arab-peace-initiative-now-or-never-ar/?lang=ar>

(2) يوسي ميلمان، الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، تر: مالك البديري- الأهلية للنشر والتوزيع- عمان ص182.

أنا نجد أنفسنا نردد قول القائل بانه: وسط هذا الركاب من تعقيد العلاقات والمشاعر والنيات، علينا الا نخطئ ما نريده من الآخرين، ونريده من أنفسنا. نحن نريد من إسرائيل والإسرائيليين أن يجتهدوا للتحويل إلى دولة طبيعية ومجتمع طبيعي، حتى يمكن لنا بالفعل أن نذهب بعيدا في العلاقات الطبيعية معهم. اما نحن فان القضية المحورية بالنسبة لنا سوف تظل هي الإخلاص للسلام كهدف استراتيجي، نسعى إليه ونصر عليه كشرط لا غنى عنه لتحقيق رخاء وتقدم شعوبنا بعد طول عناء، أيا كانت مكاسبه الأخرى التي يمكن أن تستفيد بها إسرائيل أو غير إسرائيل<sup>(1)</sup>.

لذا فإن "التموضع الحضاري" يملك العديد من الآليات والميكانزمات اللازمة والفعالة للوصول إلى "الحل النهائي" ليس من وجهة نظر "نازية" بل الحل النهائي من وجهة نظر عربية: حل سلمي دائم وتاريخي بأن واحد. وهذا "التموضع الحضاري" الجديد يطرح نفسه ويقوه الآن "كأداة" فعالة للحل، لأنه يعبر عن تغيير نوعي في الصراع، ووضعه في حجمه الحقيقي وسياقه الحضاري، أمام الخارطة الحضارية الجديدة المتوخاة والمنشودة والناشئة عن هذا التموضع، فهدفها الواجب الوصول اليه يتمثل في ضرورة تحرير بيت المقدس والارض العربية من الصهيونية والوصول إلى الحل الانساني والحضاري لأطراف الصراع العربي الصهيوني، أي لعرب فلسطين واليهود على حد سواء. فعلى اليهود نبد الصهيونية العنصرية وقبولهم العيش في دائرة الحضارة العربية الإسلامية<sup>(2)</sup>. لأنه لو لم تنشأ الصهيونية لكان بالإمكان أن تكون فلسطين وطناً جامعاً ومشتركاً بين اليهود والعرب. ولذا لا بد من بذ السبل الممكنة للمواءمة المثلى لإنتراع الدين اليهودي من برائن الصهيونية، لفتح نافذة الفرص أمام الشعب الفلسطيني ويهود إسرائيل لكسر الدائرة المغلقة للصراع الوجودي، وللاستشراف السبل الممكنة للمواءمة المثلى بين مصالحهم، وربما محاكاة تجربة جنوب إفريقيا، والتأسيس لمستقبل مغاير تجد فيه إجيالهما القادمة فرصة للعيش الآمن الحر والكرام وتقرير المصير في الوطن الواحد المتشرك<sup>(3)</sup>.

من هنا فإن حلّ قضية الشعب الفلسطيني، وحلّ قضية الشعب اليهودي، تكمن في قيام دولة تقوم على أسس إنسانية وتتخلص من مطالب الصهيونية، التي تتحمل المسؤولية المباشرة عن كل الحروب، بسبب المبادئ التي تؤمن بها وتطبقها في فلسطين، حيث يسيطر عليها هاجس

(1) أسامة الغزالي حرب، قبل تطبيع العلاقات مطلوب تطبيع الدولة الإسرائيلية، الأهرام 1995/3/8 ص8.

(2) هاني الكعبي، الفكر السياسي الصهيوني واثرة على الصراع العربي الاسرائيلي في مرحلة السلام

(3) غانية ملحيس، المشروع الوطني التَّحَرُّري الفلسطيني المأمول (1)، مقالات- الثلاثاء، 17 أيار (مايو)، 2016

الحفاظ على يهودية دولتها بأي ثمن، هذا في حين أن السبيل الوحيد لحل الصراع العربي الإسرائيلي، هو قيام دولة واحدة تضم كلاً من الفلسطينيين واليهود، ويمكن تحقيقها عبر أمور منها: مبادئ للتعايش بين الفلسطينيين واليهود، في دولة تضم الطرفين.<sup>(1)</sup>

## الحل العربي والنموذج الأندلسي

هناك نظرة شائعة ومألوفة مفادها أن الديانتين اليهودية والإسلامية واقعتان في صراع مرير يتعذر الخروج منه. هذه النظرة تلحق الضرر والأذى بالديانتين وأتباعهما وبالذور الذي تؤديانه، فضلاً عن ذلك، فإن الوشائج والصلات واللقاءات المتبادلة وكذلك الإثراءات المتبادلة تدحض هذه الفكرة، وتثبت بطلانها كما يستدل من رواية التاريخ. لكن هذه العلاقة والعرف التقليديين أصبحا في طي النسيان. ونتيجة لذلك وفي أغلب الأحيان لا ينتبه اليهود والمسلمون إلى القيم الدينية والثراء الروحي المتبادل. وعدم إدراك هذه الحقيقة يؤدي إلى فقدان المشروعية، وهذا من جانبه يؤدي إلى ضياع الاحترام والتقدير الذي ينتج عنه الحقد والعداء والعنف، أن ما نهدف إليه هو التذكير وإحياء الصلة التاريخية الغنية بالتبادلية ومحاولة إظهار منابع التراث اليهودي الإسلامي المشترك كمرجع للسلام بين الطوائف الدينية وكإلهام خلقي للبشرية.<sup>(2)</sup>

ومما لا ريب فيه، أن الأندلس العربية تحتل موقعاً متميزاً في العطاء الحضاري الإنساني والعالمي، وأن دولة الإسلام في الأندلس قد أرست دعائم حضارة باذخة، تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها، فأثمرت مجتمعاً حياً، متفاعلاً، مبدعاً تحققت للإنسان فيه، كإنسان كرامته، وكفلت له حريته وحقوقه، وثمرت سعيه وعطاؤه، ولعل أبرز جوانب هذه الحضارة قيمة وإشراقاً، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية تجاه النصارى واليهود الذين كانوا يشكلون شريحة هامة من شرائح المجتمع الأندلسي.<sup>(3)</sup>

(1) جوبل كوفيل، التغلب على الصهيونية: إقامة دولة ديمقراطية واحدة في إسرائيل فلسطين- ترجمة عمر عدس- الناشر: دار بلوتوبرس في لندن 2007.

(2) اليهودية والإسلام \_ اتجاهات للحوار والمشاركة والتعارف المتبادل- مصدر سابق  
.http://elijah-interfaith.org/pdf/Conceptpaper-Arabic.pdf-

(3) محمد سيف، الأندلس العربية إسلام الحضارة وثقافة التسامح- يوليو 2015،. الإسلام بوفلاقة.

وشكّلت الفسحة الأندلسية حيّزاً إنسانياً ممتازاً للحوار والتفاعل بين الأديان السماوية الثلاثة، وأكثر منها فقد شهدت هذه الفسحة العصر الذهبي للثقافة العبرية التي اتخذت شعراؤها وأدباؤها وعلمائها ومفكروها العربية أداة تعبير وتواصل وتفكير دونوا بها خير ما جادت به قرائحهم. بل إنّ كثيرا من النصارى والمهود والصقالبة احتلّوا مراكز سامية في الحكم وتبوأوا مراتب ممتازة في الحياة العامة، فكان منهم الوزراء والشعراء والشاعرات والأطباء والموسيقيون. وقد بدأ الأندلسيون في الأعين منصفين بأمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار والتفاعل مع العناصر الأخرى لدرجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء<sup>(1)</sup>.

ولكن هذه الصلة التاريخية العميقة التي نشأت بين اليهودية والاسلام ثوارث عن الأنظار من جراء المواجهات السياسية التي أُلقت بظلالها في القرن الأخير على وجهات النظر المتبادلة لليهود والإسلام. ففي الفترة الأخيرة عرضت التوترات الشديدة بين إسرائيل وجاراتها الدول العربية كتوترات بين الديانات. وهذا العرض يعد سلبياً على العلاقة بين الديانات، ويساعد على توغل العداء والعنف ولا يعمل على دفع السلام والتعايش. وإذا ما رغبتنا في ألا يعمق الدين هذا الصراع فعليه أن يلعب دوراً فاعلاً في خلق وبناء البديل أي خلق وبناء علاقات ايجابية بين الجاليتين. وهنا يجب ان ننبه الى إن معرفة المشترك بين الديانتين لا تقتضي غض الطرف أو تجاهل الفوارق الهامة بين الديانتين ولا تتجاهل كذلك الواقع الصعب عبر التاريخ المشترك. رغم كل ذلك فعلينا إلا نجعل الفوارق أو الذكريات المؤلمة تقرر جدول أعمالنا أو تحدد الشكل الذي تعرض فيه الديانتين، وأن التقاليد والقيم المشتركة لأقوى بحيث تتمكن من بناء وتصميم الوشيجة المستقبلية بين اليهودية والإسلام.<sup>(2)</sup>

ويقدم كتاب الباحثة الكوبية د. ماريا مينوكال "الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح"، شهادة حية عن التسامح، والتعايش، والحوار الحضاري النبيل الذي ساد الحضارة الأندلسية، ويقدم نماذج من الحوار والتسامح بين الأديان الثلاثة التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاوز القيم الثقافية المتنافرة والمنتمية لشعوب وجماعات إثنية متباينة. ويؤكد الكتاب على أن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما

(1) سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، عدد مزدوج 31/32، صيف، خريف 2005م، القاهرة، مصر، ص: 53 وما بعدها.

(2) اليهودية والاسلام \_ اتجاهات للحوار والمشاركة والتعارف المتبادل-

. <http://elijah-interfaith.org/pdf/Conceptpaper-Arabic.pdf>

قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني<sup>(1)</sup>. وتطرقت الكاتبة إلى العلاقات والوشائج التي نشأت بين الأندلسيين، فأبرزت تلك العلاقات الدينية التي قلما نلقي لها نظيراً، إذ أن العشيرة اليهودية انبثقت من رمادها وخرجت من تلك الحياة الفظيعة التي كانت أغرقت فيها من قبل الحكم القوطي، حتى أضحي وزير الشؤون الخارجية يهودياً، يعمل جنباً إلى جنب مع الخليفة المسلم<sup>(2)</sup>.

## لابد من انتصار حضارة الانفتاح

المعلوم أن المجتمعات الإنسانية لا يمكن لها أن تحقق تقدماً ومنجزاً حضارياً، إن لم تكن تمتلك أرضية للاستقرار أولاً وللتفاعل ثانياً، وتمدنا علوم الاجتماع الإنساني بأن تراكم المنجز لا يمكن أن يتم إلا بتبلور معالم الاستقرار والتفاعل الاجتماعي – الديمغرافي ثم تفاعل البيئة الاجتماعية مع البيئة الطبيعية والمحيط الحيوي، وعلى هذا نفهم أن ثمة تضاداً يفرض نفسه، بين عالم أصيل ومنفتح وإنساني تجاه عالم مؤقت وطارئ لا يتحقق معنى وجوده إلا بتحطيم العالم الأول<sup>(3)</sup>.

قد يكون ذا معنى ودلالة ما ورد في نص سوري سابق لنص التوراة في معرض الصراع بين قبايل وهابيل إذ لم ينته الصراع بمقتل هابيل وانما بالمصالحة. أما في النص التوراتي الذي كتب بعد زمن متأخر جداً من رواية النص السوري فطبقة الأحيار المسيطرين الذين قطعوا صلتهم بالتقاليد السامية ترفض التمثل والاندماج لتبحث عن العزلة القبلية عن طريق تصفية الآخرين (وهذا واضح في سفر يوشع). ولا شك أن النص السومري أقرب إلى الواقع التاريخي من النص التوراتي، ذلك أن دخول البدوما بين النهرين والديار الشامية لم يكن عن طريق الحرب والفتح، بل كان دخولاً بطيئاً مسالماً عن طريق الهجرة المحدودة والتسلل المسالم. وكانت وسيلة هذا الدخول الأولى هي المصاهرة، لا سفك الدماء كما تصورها مؤلف الخيط من سفر التكوين<sup>(4)</sup>.

---

(1) ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ترجمة: عبد الحميد جحفة ومصطفى جباري، منشورات دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 01، 2006م، ص: 6 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ص: 60.

(3) بشار خليف- دراسات في حضارة المشرق العربي القديم—المقدمة- مركز الإنماء الحضاري - حلب - سورية 2003.

(4) إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبه - ط: 2، 1988، ص: 18.

فعلى امتداد الهلال الخصيب لم يصدم الغزاة القادمون من وسط اسيا بالحدود والجيوش فحسب، وإنما واجهتهم حضارة تدافع عن (الحضارة) – فالحضارة لا يمكن ولا يكفي أن تدافع عنها بقوة السلاح – وهؤلاء الغزاة الوافدون من سهوب آسيا على الرغم من تغلبيهم بقوة السلاح قد احتوتهم ثقافة المغلوبين فتمثل الغزاة حضارة هؤلاء: هكذا كان شأن (الكاشيين) الذين بعد أن اندمجوا في هذه البقعة وحضارتها أسسوا مملكة في بلاد ما بين النهرين دامت من 1595 الى 1155 ق.م . وعلى نقىض ذلك رفض (الغوطيون) 2120-2250 ق.م الوافدون من سهوب آسيا التمثل والاندماج ولم تدم سيادتهم إلا قرناً واحداً. وهذا مثال الثين (1230-1650 ق.م) الذين لم تدم سيطرتهم على سورية إلا بعد اندماجهم وأنصارهم، شأنهم شأن الكاشيين. أما المثال ذو الدلالة الاوضح فينطبق على تدمر، مركز التمازج والإشعاع في الثقافة والفنون للمنطقة كلها ... إذ هضمت المؤثرات البارثية والهلمينية وصبتها في صيغة فن شرقي<sup>(1)</sup>.

إن إسرائيل باعتمادها لسلاح حق القوة، تدمر كل إمكانية للتموضع والانغراس في المنطقة، وهي منطقة مندمجة حضارياً ومجتمعياً وذات إمكانات اقتصادية هائلة ترفضها أصلاً؛ لأنها قامت على أساس (حق القوة) وستظل ترفضها طالما تمسكت بممارساتها العدوانية التي تدفن أي أمل في السلام الحقيقي القائم على أساس (قوة الحق) التي ستضمن لأصحاب الأرض أرضهم وحريةهم. أما شارون وأمثاله فهم بعنادهم وقمعهم وبِعجزهم عن فهم محيطهم العربي وعناصر قوته، فإنهم يقربون دولتهم العنصرية الطائفية ليس من السلام الحقيقي والاندماج في المنطقة، بل من مصير (الزوال)<sup>(2)</sup>، وهنا نتساءل مع نجيب محفوظ: "هل تستطيع إسرائيل ان تصبح دولة شرق اوسطيه تنتهي لمحيطها الجغرافي وتتعايش وتتكيف مع حقائقه، أم أنها ستظل أشبه بالقلعة المنعزلة كالقلاع الصليبية التي قامت في نفس المكان في العصور الغابرة، ثم ما لبثت ان غالبتها حقائق المنطقة التي زرعت فيها<sup>(3)</sup>، وهل يسعى القادة الإسرائيليون لدمج المجتمع الإسرائيلي في النسيج الثقافي التاريخي للشرق الأوسط وتحويله الى مجتمع مدني طبيعي سلامي، والإجابة على هذه الأسئلة وغيرها متوقفة على رؤية القادة

(1) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم -ص16-17.

(2) علاء اللامي، بين حق القوة وقوة الحق، مستقبل إسرائيل سيواجه مخلفات تركها سياسات شارون، جريدة (الزمان) عدد 1227 تاريخ 2002 - 6 - 6.

(3) حوار أجراه محمد سلماوي مع نجيب محفوظ – ملحق الاهرام بتاريخ 1995/3/17

الإسرائيليين للمستقبل. فاستمرار الإصرار الإسرائيلي على التعامل مع العرب من منطلق القوة وحده سيفتح الباب من جديد أمام تجدد الصراع والسباق على التسلح في المنطقة مستقبلاً، مما يحمله ذلك من تدمير ذاتي لفرص التعايش بين شعوب المنطقة وتقدمها في ظل السلام والأمن للجميع<sup>(1)</sup>.

لقد كانت إسرائيل جسم غريب في الكيان التاريخي العربي، كدولة، ولكنها لم تكن كذلك كشعب، فقبل 48 لم يكن يوجد مجتمع عربي، مدينة، أو قرية، لم يكن يحتوي على حارة لليهود، لقد عاشوا بيننا كما عشنا، مارسوا نفس الأعمال، بل اعتدوا بأنسابهم فيما بين عائلاتهم وأسرهم كما كنا نفعل، إسرائيل ذوّبت هذه التفاصيل الإنسانية؛ لأنها نشأت باسم الرب 'جيفه'، إسرائيل آلة قتل، هي ليست مجتمعاً إنسانياً يمكنه أن يحيا بمنطق التاريخ، بمنطق الحياة. يوماً ما سوف يكون الصهاينة أكثر من يندم على مغامرة هذا الكيان اللقيط، في الحقيقة سوف نشفق عليهم أكثر مما يفعلون بأنفسهم، هذا منطق التاريخ، ولا حلّ أمامهم إلا العودة إلى التاريخ، اليهود جزء تاريخي من الأمة العربية. والحل الوحيد ليعيشوا، هو أن يقيموا دولة واحدة ثنائية الحزب، لا ثنائية القومية، لأن العرب واليهود هما جزءان من تاريخ واحد يبدأ من سومر. شاءوا أم أبوا، لا وضع بديل يمكن للتاريخ أن يتوطّن فيه مهما كان منطق المصلحة السياسية هو الغالب<sup>(2)</sup>.

## فلسطين ودورها الحضاري

تاريخياً تميز الشرق خلال القرون الوسطى بتغاير وتنوع العناصر الأثنية بصورة أكبر من الغرب، شكّل العرب والإيرانيون والأتراك والبربر واليهود والمسيحيون والزرادشتيون وآخرون المشهد الاجتماعي، وكونوا فسيفساء منحت المجتمع صبغة إنسانية غنية وملمساً ثقافياً متنوعاً. بالإضافة إلى ذلك اتصفت المجموعة الذمية بوجود تغاير وتنوع في تركيبها، حيث يوجد دينان أو أحياناً ثلاثة أديان مختلفة تتعايش في نفس المكان<sup>(3)</sup>، وأهم خاصية في حركة الاجتماع

---

(1) مصطفى عبد العزيز مرسي العرب في مفترق طرق (بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق الاوسطي)، دار الشروق- 1995، ص181.

(2) وليد الزبيبي، السومرية هي أصل كل لغات المنطقة واليهود جزء من الأمة العربية، القدس العربي 02/10/2009- ما قبل اللغة.. الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية) للباحث والمفكر العربي عبد المنعم المحجوب..

(3) مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي - ترجمة كامل الزيايدي- مصدر سابق

المشركي كانت تتأسس على فعل التمازج والتفاعل الديمغرافي بين الأرومات الاجتماعية المختلفة بما يشكل في النهاية محصلة تعبر عن كل هذا في نشوء شخصية مجتمعية منفتحة وأصبيلة بنفس الوقت. والذي يبدو أن من شدّد عن هذه القاعدة كان التجمع العبراني الذي رفض قاداته ومؤسسته الكهنوتية تفاعله مع محيطه الطبيعي أثناء طروءه على بلاد كنعان<sup>(1)</sup>.

إن بعث المستقبل الحق يشترط العثور ثانية على الأبعاد الإنسانية التي تفتحت في الحضارات والثقافات غير الغربية، أي أن الحوار بين الحضارات يمكن وحده من بعث مشروع كوني لإبداع المستقبل<sup>(2)</sup>، فقد كانت فلسطين ملتقى الطرق بين القارات الثلاث: آسيا وأفريقية وأوروبا البحر المتوسط كما كانت بؤرة إشعاع استفادت من الحوار بين الحضارات ومن تمازج الثقافات الرفيعة عبر آلاف السنين فأنجزت (مشروعاً) أصيلاً وهب العالم واحدة من أروع الانجازات الروحية بدءاً من حضارة كنعان الأولى التي بدأت اكتشافات رأس شمراً عام 1929 واكتشافات ابيلا عام 1972، التي توضح لنا غنى تلك الحضارة قبل أن يظهر الأنبياء العبريون وقبل أن يبشر السيد المسيح بمملكة الله وقبل ظهور الإسلام الذي استوعب كافة الرسالات السماوية السابقة وطوعها لبناء مجتمع متعاون منفتح<sup>(3)</sup>.

إن هذه الأفكار تهدف إلى الخروج من ازمة تاريخية عميقة الجذور نحو فضاء حل حضاري إنساني يكفل للأمة العربية النهوض من حالة السبات القصري الراهنة، ويؤهلها لتوظيف طاقاتها الهائلة المهدورة عبثاً في عملية بناء وحدتها والمساهمة بقسطها في إيجاد عالم متحضر يكون بدوره نتاجاً لفكر إنساني يضع حلولاً ناجعةً لازمات البشرية تستند إلى وعى واقعي صحيح غير زائف لتلك الأزمات والصراعات مهما اختلفت حدتها<sup>(4)</sup>.

فالتاريخ الإنساني هو بالدرجة الأولى انفتاح نحو المستقبل، وإن وعد الله يوجه التاريخ الإنساني كله نحو المستقبل<sup>(5)</sup>. وبحثنا التاريخي لا معنى له إلا حين يسهم في إيجاد الحل اللازم

(1) بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، دار الرائي للدراسات والترجمة - دمشق 2004.

(2) روجيه جارودي حوار الحضارات، عادل العوا - ص 288 - منشورات عويدات - سلسلة زدني علما.

(3) فلسطين ارض الرسالات السماوية - روجيه جارودي - ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - طبعة 1991-ص24.

(4) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع - ط1، 1996-ص7.

(5) روجيه جارودي، حوار الحضارات، ص 288

عبر مزيد من الفحص والتأمل في تاريخ فلسطين، مهد الرسائل السماوية. فلسطين لا يمكن النظر إليها على أنها (طريق للعبور) فحسب، فلقد كانت حيناً ما ضحية للصراع والمراهنة على السيادة والغلبة بين مملكتين كبيرتين، وحيناً آخر كانت مجالاً تلتقى فيه ثقافات المملكتين لتغتنى بها ... وحيناً ثالثاً كانت عامل توازن بين هذه القوى فاستطاعت بذلك التأكيد على استقلاليتها وشخصيتها الثقافية.<sup>(1)</sup>

وليس للتاريخ معنى إنساني حق إلا حين يأخذ بيدنا لاستشراف المستقبل ويدفع بنا إلى تصور مشروع سياسي يستمد معناه الإنساني من نظريته إلى التاريخ في صيرورته، وإن حاولتنا التي نقوم بها لتحديد تاريخ فلسطين على أنها مهد للرسالات السماوية تقودنا إلى طرح مشكلة أوسع يجب أن نتناولها بمزيد من الاهتمام والأمل، فمصير كوكبنا اليوم مرتبط بحل هذه المشكلة: هل نختار نموذج المجتمعات (المغلقة) التي تلد في المستقبل دولاً متجاهة تقوم على توازن الرعب النووي؟ أم نختار نموذج المجتمعات المنفتحة لنصل إلى (عالم) حضاري، عالم الحوار والاعتماد المتبادلين. وهكذا تكون حياة أطفالنا القادمة رهناً بهذا الخيار ... فهل ندع عالم التسلط والقهر يدمر نفسه؟ أم نعمل على بناء عالم متجانس متناغم؟<sup>(2)</sup>

---

(1) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسائل السماوية، ترجمة: قصي اتاسي، ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - طبعة 1991-ص24.

(2) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسائل السماوية، ص20-21.



## نتائج الدراسة

1- الدراسة ألقى الضوء على أهمية الدراسات المستقبلية في حياتنا المعاصرة وكيف أصبحت أداة مهمة لتحقيق طموحات الدول وتطلعاتها في التقدم والتطور، واتضح لنا كيف أن إسرائيل تولي هذه الدراسات أهمية خاصة، في حين غابت الدراسات المستقبلية الجادة في الدول العربية.

2- الدراسة ألقى الضوء على الاستعمار الاستيطاني في العالم، وأشكاله، وخصائصه، والمآلات التي انتهت إليها، حيث اتضح لنا أن الاستعمار الاستيطاني العبري القديم لفلسطين كان التجربة الأم التي استفادت منها التجارب الأخرى، وقد حاولنا عقد مقارنة بين التجارب الاستيطانية الأخرى في العالم وبين التجربة الصهيونية الحديثة. حيث أبرزت الدراسة فريدة التجربة الاستيطانية الصهيونية في العديد من الأوجه، وبالذات من ناحية ارتباط اليهود تاريخياً ودينياً بفلسطين والمنطقة العربية.

3- الدراسة ألقى الضوء على فرضيات النهاية الإسرائيلية المتباينة، والتي تنطلق من خلفيات شديدة التعارض، وتنقسم إلى تيار مستقبلي وتيار ديني وتيار عروبي، وبيننا كيف أن التيار الديني هو النشط الآن وهو يحاول رسم مستقبل إسرائيل انطلاقاً من رؤى دينية صراعية لا ترى إلا ضرورة حسمه عبر معركة رهيبه في آخر الزمان، هرمجيدون لدى المسيحيون واليهود، والملحمه الكبرى لدى المسلمون.

4- في محاولة الدراسة رسم معالم المستقبل الإسرائيلي عرضت الدراسة لماضي المستقبل الإسرائيلي، من خلال إلقاء الضوء على تاريخ اليهود في البلاد العربية وعلاقتهم بفلسطين والمنطقة وأسباب هجرتهم إلى فلسطين حيث اتضح الآتي:

- أن اليهود هم جزء أصيل من المنطقة العربية عاشوا فيها منذ القدم، واستقروا في فلسطين، وأقاموا دوله لهم فيها لفترة قصيرة من الزمن، ولكنهم تعرضوا للسبي والطرده منها على يد الأشوريين والبابليين والرومان
- انتشر اليهود وسكنوا في كافة أنحاء المنطقة العربية من المغرب وحتى الجزيرة العربية، وكانوا جزء من التركيبة السكانية للمنطقة بعاداتها وتقاليدها، وظلت

علاقتهم بفلسطين علاقه دينية.

• بالرغم مما شهدته العلاقة بين المسلمين واليهود من صراع في بداية الدعوة الإسلامية بسبب تأمر بعض اليهود، إلا أن الأسس التي وضعها الإسلام للعلاقة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى أدت إلى استقرار وضع اليهود في البلاد الإسلامية ووصولهم على حقوقهم كاملة، ووصولهم لأرفع المناصب في الحكومات الإسلامية قديمًا وحديثًا وبالذات في العصر الذهبي في الأندلس.

• يهود البلاد العربية لم تكن لهم أي علاقة بالحركة الصهيونية ومخططاتها، حيث أن عملية تهجيرهم إلى فلسطين تمت بمؤامره بين الاستعمار والصهيونية، وبتعاون من بعض الحكومات العربية، التي افتعلت حوادث إرهابية لإجبارهم على الهجرة.

1- قامت الدراسة بإلقاء الضوء على محددات المستقبل الإسرائيلي في الوضع الابتدائي (داخليًا وإقليميًا ودوليًا)، حيث أبرزت نقاط الضعف والقوة في الوضع الداخلي الإسرائيلي، وبالمقابل ألفت الضوء على الواقع العربي والفلسطيني.

2- أبرزت الدراسة أن ميزان القوى الحالي بين الدول العربية وإسرائيل يميل لصالح إسرائيل بسبب تفوقها على الدول العربية في كثير من المجالات وبالذات التقنية المتطورة، والأهم حيازتها للإسلاح النووي التي تعتبر سلاح مهم لردع الدول العربية من التفكير في الحرب، وبالتالي تكون التسوية السلمية هي الطريق العقلاني المتاح أمام العرب .

3- خلصت الدراسة إلى أن العامل الدولي هو المحدد الأهم للمستقبل الإسرائيلي بسبب ارتباط الدعم الأمريكي لإسرائيل بالعقيدة الدينية التي يؤمن بها اتباع التيار المسيحي الصهيوني أو اليمين المتطرف والذين يسيطرون على الحكم منذ فتره طويله، وكان لهم الدور الأبرز في إنشاء إسرائيل ودعمها بكل الوسائل، ولذلك فإن العامل الدولي سيكون ضامنا للمستقبل الإسرائيلي خلال فترة الدراسة على الأقل.

4- استعرضت الدراسة مشاريع التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي منذ بدئه وحتى الآن، حيث اتضح تراجع سقف المطالب العربية مع الزمن من تحرير فلسطين بالكامل إلى الرضى بدولة على حدود 67 والتي ترفضه إسرائيل بسبب اختلال ميزان القوى لصالحها نتيجة تدهور الوضع العربي والفلسطيني.

5- بالرغم من أن غالبية دول العالم تؤيد حل الدولتين حسب قرارات الشرعية الدولية الذي يضمن عودة اللاجئين، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشريف، إلا أن إسرائيل ترفض هذا الحل وتماطل وتحاول فرض واقع على الأرض، مستغلة الضعف العربي والدعم الأمريكي حتى وصلنا إلى مرحلة ترامب الذي إلغى عملياً كل أمل بالتوصل إلى حل الدولتين، وبالذات بعد اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل.

6- نتيجة لأسباب كثيرة ترى الدراسة أن الحل المفضل لحل الصراع يجب أن يكون من خلال حل الدولة الواحدة، سواء، ثنائية القومية أو دولة لكل مواطنيها؛ لأن هذا الحل هو الوحيد الكفيل بالإجابة على كافة المطالب الملحة للجانبين من قضايا اللاجئين والقدس والحدود.. الخ ويضمن لكلا من اليهود والفلسطينيين، عيش كريم في فلسطين في ظل دولة ديمقراطية حرة تكفل حقوق جميع مواطنيها.

7- تطرح الدراسة عدة سيناريوهات للمستقبل الإسرائيلي في ظل التسوية السلمية، منها سيناريو متفائل يتم فيه التوصل إلى حل للصراع العربي الإسرائيلي سواء من خلال حل الدولة الواحدة أو حل الدولتين، حيث سيكون الحل السلمي للصراع مقدمه إلى ذوبان إسرائيل في المنطقة العربية بسبب وجود غالبية من اليهود العرب فيها وأيضاً غلبة الطابع الشرقي عليها، حيث ستجد إسرائيل نفسها، في ظل السلام ومن خلال العلاقات الاقتصادية والزيارات والبيئة المحيطة، مضطرة إلى الاندماج في أجواء المنطقة والتأقلم مع ثقافتها، وبالذات ان الوجود الفلسطيني في فلسطين التاريخية أصبح الآن يفوق الوجود اليهودي.

8- ترى الدراسة أن اليهود الشرقيين سيكون لهم دور مهم في تحديد مستقبل إسرائيل واندماجها في المنطقة بسبب تراثهم الماضي وعاداتهم وتقاليدهم التي لا زالوا يحافظون عليها حتى الآن، وهذا سيعمل على تحول إسرائيل إلى دولة شرق أوسطية أو دولة عربية بسبب أن غالبية مواطنيها عرب أو من أصول عربية.

9- وضحت الدراسة أن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين العرب واليهود يمكن أن تقدم لنا نموذج للعلاقات الطيبة والتعايش الذي كان بين العرب واليهود، والذي يمكن أن يتكرر مره ثانية إذا تم هزيمة الفكر الصهيوني المتطرف والعنصري، وتبني أفكار عصر التنوير اليهودي وفكر الصهيونية الروحية وإطروحات

المؤرخون الجدد وما بعد الصهيونية.

10- عرضت الدراسة للمسألة اليهودية، نشأتها وأسبابها، والحلول الأوربية العديدة التي طُرحت لحلها عبر الزمن، حيث فشلت كافة هذا الحلول، ولكن الحل الصهيوني الذي فرض على فلسطين خلق مسألة فلسطينية لازالت تؤرق ضمير العالم.

11- الدراسة تطرح حلاً عربيًا بديلاً للحل الصهيوني يقوم على استيعاب اليهود في المنطقة كجزء منها، مع الاعتراف بالواقع الحاصل في فلسطين، على أن يتم حل الصراع من خلال دولة واحدة تحفظ لليهود ولل فلسطينيين حقوقهم، وذلك سيؤدي إلى حل كافة قضايا الصراع العالقة، ويفتح المجال لاندماج اليهود في المنطقة وثقافتها، مما سيعيد إلى الأذهان العصور الذهبية للتعايش العربي اليهودي في الأندلس.

## التوصيات

- 1- يوصي الباحث بإجراء مزيد من الدراسات حول مستقبل إسرائيل تركيز على قضايا محددة لها دور في تحديد المستقبل الإسرائيلي، (التعدد الاثنى - عرب إسرائيل او فلسطينيو 48- اليهود الروس- اليهود العرب - الوضع الاقتصادي- مستقبل العلاقة مع أمريكا .. الخ) ودراسة هذه العوامل بعمق والتغيرات التي ستحدث عليها خلال فترة محدد (يجب ألا تزيد عن ثلاثون سنة) مما سيمكننا من تحديد الاتجاهات العامة التي يتجه إليه المستقبل الإسرائيلي.
- 2- الاهتمام بدراسة الأديان السماوية ورؤيتها للمستقبل الإسرائيلي، والتركيز على الرؤى المشتركة، والعمل على تمحيص وتدقيق هذه الرؤى لاستخلاص وفرز الغث والسمين من بينها، وذلك للوصول إلى رؤية واضحة لكل ما يقال وينشر عن أخبار آخر الزمان، والمهدي المنتظر، وهرمجيدون، والعصر الألفي السعيد، تكون بعيدة عن المبالغات والخرافات المنتشرة بين أتباع الديانات السماوية الثلاث والتي يمكن أن تقود العالم إلى كارثة وحرب عالمية نتيجة الإيمان بتلك الأخبار والرؤى على أنها خطة الهية أو نبوءة، وذلك لتنبيه الناس والمعنيين بخطورة هذه الرؤى العدمية على مستقبل المنطقة والعالم.
- 3- لابد من اجراء مزيد من الدراسات عن ميزان القوى الكلي بين العرب وإسرائيل وحلفائها، حتى تتضح لنا صورة أية خطوة مستقبلية تجاه السلم أو الحرب بعيداً عن العاطفة والمبالغة، وهنا يجب أن تضع أية دراسة بحسبانها أننا لا نواجه الجيش الإسرائيلي لوحده، بل مضاف إليه القوة الامريكية والبريطانية بالذات، والتي ستدخل فعلياً أي صراع عربي إسرائيلي في الوقت المناسب، لمنع أية هزيمة لإسرائيل، وربما ستدخل المعركة في لحظة ما اعتقاداً منها بأنها جيش المسيح الذي سينقذ اليهود من جيوش بأجوج ومأجوج المسيح الدجال في آخر الزمان. وهذا يعني حرب عالمية طاحنة ستدمر المنطقة.
- 4- يوصي الباحث بإجراء دراسات متعمقة حول تاريخ اليهود في المنطقة العربية وعلاقتهم بالمنطقة وأصولهم، بعيداً عن الدراسات الغير موضوعية التي انتشرت في ظل

الصراع الحالي؛ لأن ذلك مهم لرسم الخطط للاستفادة من وضعية اليهود العرب والشرقيون في هزيمة الصهيونية والصهيونية المسيحية وفكرهما العدمي، وهذا يمهد الطريق لاندماج اليهود في المنطقة.

5- يوصي الباحث بإجراء دراسة اقتصادية مستقبلية، تفترض قيام سلام كامل بين العرب وإسرائيل، لمعرفة كيف سيكون انعكاس ذلك على المنطقة العربية، وهل سيسهم ذلك فعلا في ازدهار اقتصادي للمنطقة، بعد سنوات طويلة من الحرب والدمار، وكيف سينعكس ذلك على الجانبين ودور ذلك في اخراج اليهود من ثقافة الجيثو واندماجهم في المنطقة.

6- بالرغم من أن المتطرفين في إسرائيل وبعض الدول العربية يمثلون الأغلبية، ويمتلكون إمكانيات ضخمة في كافة المجالات، إلا أن ذلك لا يعنى انعدام إمكانية التأثير على المشهد الديني الإسلامي واليهودي. فهناك كثير من المسلمون المعتدلون اللذين على استعداد للتعاطي مع حلول عادلة للصراع، ولديهم استعداد لقبول الآخر، ونفس الأمر ينطبق على اليهود والمسيحيين الصهائنة، وهنا من المهم دراسة كيفية تعزيز العلاقات بين هذه الأطراف، وتحييد والتقليل من الفكر المتطرف.

7- على الجانب الإسرائيلي واليهودي هناك يهود يرفضون الصهيونية ويرفضون السياسة الإسرائيلية، وهم على استعداد للتعايش بسلام إذا وجدوا تقبل واحترام من الطرف العربي، ولذا فإنه يتوجب على الأطراف العربية والإسلامية العمل على اختراق هذا المشهد بوعي ودقة، حيث يمكن أن يكون أسلوب الحوار والتفاهم مجدياً ويحقق أهداف كبيره.

8- يوصي الباحث بضرورة العمل على استقطاب الطوائف اليهودية المختلفة في العالم من أجل تحقيق حل عادل للصراع، والتعاون معهم لاختراق التحالف الصهيوني مع المسيحية الصهيونية وكشفه، وكشف نواياه العدمية التدميرية لطرفي الصراع، وهنا لابد من أن يشترك المسلمون والمسيحيون في مثل هذه الجهود للحد من خطورة الأصولية المسيحية.

9- يوصي الباحث القيادات والنخب العربية، بضرورة إعادة صياغة استراتيجياتهم ومنطلقاتهم الفكرية، لتتناسب مع مستقبل تكون فيه إسرائيل جزء مندمج في المنطقة العربية، وهنا يبرز حل الدولة الواحدة كحل مثالي يرضي جميع الأطراف ويحل كافة قضايا الوضع النهائي كقضية القدس واللاجئين والحدود .. الخ.

10- الجماعات اليهودية في العالم المعارضة للفكر الصهيوني كانوا يشكلون الغالبية، عند تأسيس الحركة الصهيونية، وكان موقفهم معادي للصهيونية، ولكن بعد تأسيس إسرائيل وانتصارها على العرب وظروف الصراع العربي الإسرائيلي خفت صوت هذه الجماعات وغدت أقلية غير مؤثرة، ولذا لا بد من استعادة دور هذه الجماعات، وتعظيم تأثيرها على إسرائيل من خلال حملات مكثفة تبرز الجرائم الإسرائيلية والظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، بما يتناقض مع مبادئ الدين اليهودي ومبادئ العدالة الدولية وحقوق الإنسان.

11- يوصي الباحث بضرورة، إيلاء اليهود العرب اهتمام خاص من الشعوب والحكومات العربية، وإعادة الاعتبار لهم وفتح باب العودة لمن يرغب منهم العودة إلى بلادهم الأصلية وإحياء روابطهم القديمة مع البلاد التي هاجروا منها، لتمكينهم من لعب دور رئيس في التوصل إلى سلام عادل والعمل على اندماج إسرائيل في المنطقة

12- ضرورة التأكيد على أن اليهودية كأولى الديانات السماوية هي في الأساس ديانة شرقية، نشأت في الشرق الذي كان مسرح لبعث أنبيائها ورسلمها، الذين هم أنبياء ورسلم يحترمهم ويقدمهم المسلمون بالرغم من الاختلافات العقيدية بين الإسلام واليهودية.

13- يوصي الباحث بضرورة مراجعة كافة الأدبيات العربية والأجنبية التي كتبت حول مستقبل إسرائيل، والصراع العربي الإسرائيلي، والتي ترسخت بسببها كثير من المسلمات والمفاهيم الفكرية الملتبسة، التي بحاجة إلى إعادة تأصيل ومراجعة نقدية موضوعية، مثل الحديث عن معركة هرمجيدون، والملحمة الكبرى، وظهور الدجال، وأحاديث الشجر والحجر.. الخ، وموقف الإسلام من اليهود، والعلاقات العربية الإسلامية مع اليهود.

14- يجب ألا يتخوف القادة السياسيون في التجمعات العربية الفلسطينية في إسرائيل، أو في منطقة السلطة الفلسطينية، من ظاهرة، "الفلستنة"، ومن ترسيخ الانتماء العربي الذي يبرز الشخصية العربية الفلسطينية، من خلال العمل لإيجاد قاعدة من التنظيمات الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية غير الحكومية، على الرغم من الحواجز التي تقيمها السلطات الإسرائيلية، والتشكيك في ولاء المواطنين العرب في إسرائيل للدولة.

15- إن التفاعل بين الفلسطينيين في هذين النطاقين يشكل قاعدة راسخة في المستقبل، من أجل بناء كيان ذي هوية قومية عربية على كامل التراب الفلسطيني، ويجب أن يبدأ التعاون والتنسيق بين التنظيمات المتشابهة وظيفياً، مثل جمعيات الدفاع عن حقوق

الإنسان، والجمعيات الثقافية، والنقابات واتحادات الأدباء والكتّاب... إلخ. وبكلمة أعم، بناء شراكة فعلية على أرض الواقع في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين التجمعات الفلسطينية فيما يعرف اليوم بإسرائيل، ومنطقة السلطة الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

16- لابد من توظيف نتائج المراجعة النقدية للوضع الفلسطيني الراهن، بما يمكننا من فهم تطورات القضية الفلسطينية، باعتبارها نتاجاً لتفاعل مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية، وبما يساعدنا على الإسراع في مغادرة موقع المفعول به العاجز عن التأثير، الذي طال مكوناتنا فيه تحت ذريعة اختلال موازين القوى، والتوقف عن تخويف الذات بالتهويل الذي يؤسس للخنوع والاستسلام، والامتناع، أيضاً، عن الاستهانة والتهوين الذي يمهد للمغامرة ومواصلة القفز بين بدائل لا وجود لها<sup>(2)</sup>.

17- عدم الاستهانة بما تحقق من إنجازات وطنية عبر مسيرة النضال الفلسطيني الطويل، إذ يجب ألا تعمينا قتامة اللحظة الراهنة عما حققناه من إنجازات مهمة في مواجهة الحركة الصهيونية، تحققت بفضل تضحيات شهدائنا وجرحانا وأسرانا ومعاناة شعبنا المناضل الصابر ودعم الشعوب العربية وأحرار العالم.

18- البدء بعملية إصلاح فلسطيني حقيقي شامل، لا يقتصر على النظام السياسي والاقتصادي على الرغم من أولويته، بل يمتد ليشمل منظومة القيم التي أصابها التشوه بسبب فقدان البوصلة<sup>(3)</sup>.

19- تبني الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعاً تحريراً حضارياً نهضوياً نقيضاً للفكر العنصري الصهيوني، يستند إلى فكر إنساني تقدمي يؤمن بتساوي حق الجميع في الحياة والحرية والعدالة والعيش الكريم وتقرير المصير، ويعتمد التنوع والتعددية في إطار المساواة التامة، وي طرح مقاربة واقعية لحل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، تنطلق من التجارب الدولية الناجحة في حل الصراعات، وأساسها تساوي الحقوق الإنسانية في الحياة والحرية وتقرير المصير.

(1) بشارة، "عرب ال 48..."، ص 62

(2) غانية ملحيس، عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار، ص 334.

(3) عناصر الرؤية الإستراتيجية لتغيير المسار- غانية ملحيس- ص 335-المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية-

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

### المعاجم

- 1- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان- بيروت، 1977.
- 2- علي بن الحسن الهنّافي، كراع النمل، المنجد، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، 1988.
- 3- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1405هـ.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط1، 1997.

### كتب بالعربية

- 1- أبراهام ليثون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة: عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 1970.
- 2- إبراهيم سعد الدين وآخرون، العرب والتحديات الاقتصادية العالمية، مؤسسة عبدالحميد شومان، 1999.
- 3- إبراهيم سعد الدين، وآخرون، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1982.
- 4- إبراهيم العيسوي، محاضرات في الدراسات المستقبلية، معهد التخطيط القومي، القاهرة- مصر، 2002.
- 5- أحمد شلي، مقارنة الأديان والاستشراق، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة- مصر، 1987.
- 6- أحمد صدقي الدجاني، ماذا بعد حرب رمضان؟ فلسطين والوطن العربي في عالم الغد، 1974.

- 7- أحمد لطفي عبدالسلام، الانحياز الأمريكي لإسرائيل دافعة التاريخية والاجتماعية والسياسية، مكتبة النافذة، ط1، 2005.
- 8- أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل - بداية التوراة ونهاية الصهيونية، ميريت للنشر، القاهرة- مصر، ط1، 2003.
- 9- أحمد يوسف، نفين سعد، حال الأمة العربية، معضلات التغيير وأفاقها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2012.
- 10- إدورد كورنيش، المستقبلية، تر: محمود فلاح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا.
- 11- أرنون ليهارت، الديمقراطية في المجتمع المتعدد، ترجمة: إيفلين أبو ميري مسرة، مطبعة أنطون إلياس الشمالي، بيروت- لبنان، 1984.
- 12- أسامة عبدالرحمن، المأزق العربي الراهن هل إلى خلاص من سبيل؟، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- لبنان، 1999.
- 13- أسامة الغزالي حرب، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1987.
- 14- إسرائيل ولنفتون، تاريخ اليهود في بلاد العرب الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة النافذ، ط1.
- 15- إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة، ط2، 1988.
- 16- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، مطبعة الأكاديمية، القاهرة- مصر، طبعة خاصة.
- 17- إسماعيل ياغي، موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية
- 18- ألفريد ليلينتال، هكذا يضيع الشرق الأوسط، دار العلم للملايين، 1957.
- 19- أودي أديب، وآخرون، اليهود الشرقيون في إسرائيل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.
- 20- إيلان زئيف، جدلية الوطن والمنفى، ترجمة: سلمان ناطور، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، رام الله، ط1، 2006.
- 21- بشار خليف، دراسات في حضارة المشرق العربي القديم، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا، 2003.

- 22- بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، دار الرائي للدراسات والترجمة، دمشق- سوريا، 2004.
- 23- بيان الحوت، فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة، (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917)، دار الاستقلال، بيروت- لبنان 1991.
- 24- تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين، ريغان الرجل والرئيس، من سميث هيدريك، الدار العربية للموسوعات، ط1.
- 25- تأليف نخبة من السياسيين والباحثين الإسرائيليين، الكيان الصهيوني عام 2000، وكالة المنار للصحافة والنشر، قبرص، 1986.
- 26- تحقيق وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت- لبنان، 1973.
- 27- توماس تومسون، أسفار العهد القديم في التاريخ- اختلاف الماضي، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، 2000.
- 28- ثناء العاصي، نحو علم لدراسات المستقبل، دار الفكر العربي، 2006.
- 29- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم حنفي، مطبعة الدار المصرية- القاهرة، ط1، 1964.
- 30- جان بول سارتر، تأملات في المسألة اليهودية، ترجمة: حاتم الجوهري، دار روافد للنشر والتوزيع.
- 31- الجنرال جواد رفعت أتلخان، الإسلام وبنو إسرائيل، ترجمة: يوسف زليشاه، الرياض، 1404هـ.
- 32- جروم بندي وآخرون، مفاتيح القرن الحادي والعشرين، تر: حمادي الساحل، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بين الحكمة- تونس، 2003.
- 33- جورج جبور، وعد بلفور لم يكن منصفًا، مطابع الإدارة السياسية، دمشق- سوريا، ط3، 2009.
- 34- جوزيف سماحة، سلام عابر: نحو حل عربي ل" المسألة اليهودية"، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان، 1993.

- 35- جويل كوفيل، التغلب على الصهيونية: إقامة دولة ديمقراطية واحدة في إسرائي فلسطين، ترجمة: عمر عدس، دار بلوتوبرس، لندن، 2007.
- 36- جيمس آر. شيرمان، التخطيط أوّل خطوات النجاح، ترجمة: محمد طه علي، إبراهيم بن حمد القعيد، سلسلة: التطوير الإداري، دار المعرفة للتنمية البشرية، مؤسسة الريان ط1، 2010.
- 37- الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدارار.
- 38- حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1896-1909)، الدار الجامعية، بيروت-لبنان، ط3.
- 39- الحسيني الحسيني معدي، اعترافات جولدا مائير، دار الخلود للتراث، ط1.
- 40- الحسيني الحسيني معدي، مذكرات مناحيم بيغن- إريك سيلفر، دار الخلود للتراث، ط1، 2013.
- 41- حمد سعيد الموعد، الأبارتيد الصهيوني، منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق-سوريا.
- 42- خيرية قاسمية، يهود البلاد الغربية، تقديم: أنور محمود زتاني، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015.
- 43- خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (1980-1981)، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت 1873.
- 44- ابن سهل ، ديوان الأحكام الكبرى النوازل والأعلام، رشيد بن حمد النعيمي، شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض- السعودية، 1417هـ.
- 45- رفيق شاكر المنتشة، الإسلام وفلسطين، محاضرة فلسطين المحتلة، ط2، 1981.
- 46- روجيه جارودي، حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوا، منشورات عوايدات، سلسلة زدني علمًا.
- 47- روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسائل السماوية، ترجمة: قصي أتاسي، ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1991.
- 48- رونو باو، قدرة يهود ومسيحي اليوم على التحرر، واحد وعشرون ملزمة من سويسرا، الناشر: جورج هيرفيه، زيورخ وفينترتور، 1843.
- 49- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبدالله عبدالعزيز، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985، عالم المعرفة.

- 50- روبن فايزستون، وآخرون، ذرية إبراهيم، ترجمة: عبد الغني بن إبراهيم، اللجنة اليهودية الأمريكية، 2005.
- 51- ريموند شايندلين، اليهود في أسبانيا المسلمة (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، ترجمة: مريم عبد الباقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط2، 1999.
- 52- سامي سموحة، إسرائيل التعددية والصراع، Berkeley: University of California Press, 1978
- 53- سعد الدين إبراهيم وآخرون، صور المستقبل العربي، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989.
- 54- سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ج1، ط5، 1993.
- 55- سهيل التلغلي، الصهيونية تحرف الأناجيل، مكتبة المجد، مصر، 1999.
- 56- سيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، سجل العرب، ط1، 1982.
- 57- شريف راشد الصديقي، المسألة اليهودية (رؤية أخرى)، إصدارات إي- كتب، لندن، 2017.
- 58- صالح بيجي الشاعر، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، مكتبة مدبولي، القاهرة 2006.
- 59- ضياء الدين زاهر، مقدمة في دراسات المستقبلية: "مفاهيم- أساليب- تطبيقات"، مركز الكتاب للنشر- القاهرة، 2004.
- 60- طارق عامر، الدراسات المستقبلية، دار اليازوري العلمية، 2008.
- 61- أبو طاهر السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1405هـ.
- 62- عبدالله التل، خطر اليهودية العالمية، مطابع دار القلم، القاهرة- مصر،
- 63- عبد الحكيم ذا النون، تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية، دار الكتاب العربي دمشق- بيروت، ط1، 1984.
- 64- عبد الحجي وليد، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، المركز العالمي للدراسات السياسية، جامعة اليرموك -الأردن.
- 65- عبدالرضا الطعان، تاريخ الفكر السياسي الحديث، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد.
- 66- عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء، الرباط، 1976.

- 67- عبدالعزيز الدوري، وآخرون، نحو مشروع حضاري نهضوي عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 2001.
- 68- عبدالمالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، 1983.
- 69- عبد المنعم الحنفي، عالم بلا يهود، دارالرشاد، القاهرة- مصر، ط1، 1992.
- 70- عبد المنعم محمد حسين حسانين، إشكالية التعليم في العالم العربي والإسلام، دار ناشري/ للنشر الإلكتروني، 2015.
- 71- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، بيروت- لبنان، ط1، 1983.
- 72- عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 2003.
- 73- عبد الوهاب المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، 1990.
- 74- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،
- 75- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود وإسرائيل، دار الشروق- القاهرة، 1999.
- 76- عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، 2008.
- 77- علاء الدين أبو بكر بن أحمد الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط2، 1986.
- 78- علي بن القادر السقاف، صفات الله عو وجل الواردة في الكتاب والسنة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، 1994.
- 79- غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، أيلول 2003.
- 80- علي الدين هلال، مشروعات الدولة اليهودية،
- 81- عزالدين عمرو موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلام، دار الشروق، بيروت-لبنان، 1983.
- 82- فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العهد الأيوبي، دارالاعتصام، القاهرة- مصر، ط1، 1977.
- 83- فهد خليل زايد، الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر،

- 84- فليب حتي وإدوارد، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت- لبنان، ط3، 1961.
- 85- فوزي منصور، خروج العرب من التاريخ، ترجمة: ظريف عبدالله، وكمال السيد، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 1993.
- 86- فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1990.
- 87- قاسم عبده قاسم، رؤية إسرائيل للحروب الصليبية، دار الموقف العربي، القاهرة- مصر، 1983.
- 88- قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، 1963.
- 89- كارل ماركس، حول المسألة اليهودية، ترجمة: حمزة برقواوي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 1989.
- 90- كلايد برستوفتزر، الدولة المارقة- الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: فاضل جتكر، شركة الحوار الثقافي، ط1، 2003.
- 91- كامل الأسطل، مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب دراسة حول المشابهة التاريخية بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية، دار الموقف العربي، القاهرة- مصر، 1980.
- 92- مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط- الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1996.
- 93- مارك كوهين، في ظل الصليب والهلال: اليهود في العصور الوسطى، ترجمة: عبداللطيف شعث، دار نشر بيك، ميونيخ مارس، 2005. حقوق الطبع قنطرة 2005.
- 94- ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ترجمة: عبد الحميد جحفة ومصطفى جباري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2006.
- 95- مايكل بيرر، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين)، ترجمة: أحمد الجمل، وزياد منى، قدمس للنشر، دمشق- سوريا، ط1، 2003.
- 96- مايكل كوربت، جوليا كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: عصام فايز، ناهد وصفي، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002.
- 97- مجدي حماد، النظام السياسي الاستيطاني في إسرائيل وجنوب إفريقيا، دار الوحدة، بيروت- لبنان، 1981.

- 98- مجموعة باحثين، العرب وتحديات المستقبل، منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق- سوريا، 2002.
- 99- محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع- الجزائر، 2007م.
- 100- محمد إبراهيم منصور، الدراسات المستقبلية، ماهيتها، وأهمية توطئها عربياً.
- 101- محمد بن أحمد حسن النعيري، أسس دراسة المستقبل في المنظور الإسلامي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2009.
- 102- محمد أحمد مبيض، ثقافة السلام عند رسول الإسلام، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- 103- محمد بريش، مفهوم وموضوع مصطلح المستقبلية. مجلة المستقبل العربي، ع44.
- 104- محمد دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم، والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين، دار الكلمة للنشر، بيروت-لبنان، 1979.
- 105- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
- 106- محمد سمرة، فلسطين الفكر والكلمة، الدار المتحدة للنشر، بيروت- لبنان، 1974.
- 107- محمد الشاذلي، موت المثقف وتنوع الثقافة في الملف العربي الأوروبي، دار الحداثة، بيروت- لبنان، 1985.
- 108- محمد النيرب، المدخل في التاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، دار الثقافة الجديدة، ط1، 1997.
- 109- مختار شعيب، وثائق المؤامرة ومخططات التقسيم، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات، ودار الشقري للنشر، 2018.
- 110- محمد عبدالمنعم الشيعي، السياسة الخارجية المصرية تجاه أسلة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط، المكتب العربي للمعارف، 2014.
- 111- محمود عبدالسلام علي، مجالات الخدمات الإعلامية، المعتر للنشر والتوزيع، 2017.
- 112- محسن محمد صالح، مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية 1937- 2001، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1.
- 113- محسن صالح، الطريق الى القدس- دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت 2014

- 114- معمر القذافي، إسراطين- الكتاب الأبيض، 2003.
- 115- مصطفى عبدالعزيز مرسي، العرب في مفترق طريق ( بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق أوسطي)، دار الشروق، 1995.
- 116- منير العكش، حق التضحية بالآخر (أمريكا والأبادة الجماعية)، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2002.
- 117- موريس ا.، حياة لوثر زعيم الإصلاح، ترجمة: القس باقي صدقه، دار الثقافة المسيحية، القاهرة- مصر، ط2، 1977.
- 118- ميشال جودي، قيس الهمامي، الاستشراف المستقبلي: المشاكل والمناهج، كراس ليبسور، 2007.
- 119- كامليا أبوجبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، دار معد، ط1، 1999.
- 120- نبيل قسيس، قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية،
- 121- نزيه قورة، المشروع الصهيوني في مواجهة أزمته الداخلية، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق- سوريا، 1990.
- 122- نورمان فنكلنشتاين، صناعة الهولوكوست، دار الآداب، بيروت- لبنان، 2001.
- 123- نورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي.
- 124- هاني بن عبدالله بن محمد الجبير، من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية، مجلة البيان، كتاب 108، سنة 1429هـ.
- 125- هاني الكعبير، الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991-2013، جامعة الشرق الأوسط، 2012-2013.
- 126- هاني المصري، القضية الفلسطينية قراءة في الخيارات والبدائل،
- 127- والتر. مكدوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية أمريكية في مواجهة العالم منذ 1776، ترجمة: رضا الهلال، دار الشروق، ط1، 2001.
- 128- وحيد الدين خان، عقيدة السلام، العبيكان للنشر، الرياض- السعودية، ط1، 2011.
- 129- وليد عبدالحى، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، دون دار نشر، دون تاريخ.
- 130- يفجيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة- مصر.

- 131- يحسكل درور، رسالة للقائد (اليهودي الصهيوني الإسرائيلي)، المجلس الصهيوني-إسرائيل، ط1، 2005، عرض مؤسسة المستقبل للدراسات والإعلام في الجزيرة نت.
- 132- يسري شراب، ثنائية القومية فلسطين المحتلة.
- 133- يوسف الحسن، اندماج: دراسة في العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، دارالمستقبل العربي، القاهرة- مصر، 1986.
- 134- يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط3، 2000.
- 135- يوسف العاصي الطويل، أمريكا تاريخ من الغزو والإرهاب، مكتبة حسن العصرية، لبنان-بيروت 2014.
- 136- يوسف العاصي الطويل، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وآثره على القضية الفلسطينية، مكتبة حسن العصرية، لبنان-بيروت 2014.
- 137- يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجدور- الممارسة- سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر، ط2، 2010.
- 138- يوسف العاصي الطويل، حملة بوش الصليبية على العالم الإسلامي، صوت القلم العربي، مصر، ط2، 2010.
- 139- يوسف العاصي الطويل، الصليبيون الجدد (الحملة الثامنة)، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1997.

### كتب أجنبية:

Nasser Abu Farha, Palestine- Israel, An Alternative Configuration

### مجلات، ودوريات:

- 1- أحمد الخالدي، المأزق الفلسطيني الراهن، كيف وصلنا إلى هنا؟، وما العمل؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 19، ع74-75/2008.
- 2- أحمد صدقي الدجاني، الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، فصلية المستقبلية، المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية، بيروت- لبنان، ع2، 2001.

- 3- أحمد صدقي الدجاني، دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، مجلة مسلم المعاصر، ع62، يناير/1992، لبنان.
- 4- أحمد محمد خلف، مجلة اللقاء للبحوث والدراسات، الجامعة الأهلية- عمان، مجلد4، ع2، 1996
- 5- أدمير زكيتش البوسنوي، الطريق إلى اكتشاف المستقبل، مجلة المستقبلية، ع1، 1429-1430هـ.
- 6- أمين عويسي، الاستشراف الاقتصادي من الاقتصاد الإسلامي (اعجاز اقتصادي في القرآن)، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، الجزائر، ع22، مارس 2014.
- 7- أنور محود زناتي، كتب وقراءات يهود البلاد العربية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع433، مارس/2015.
- 8- أنطوان شلح سامي، راوية اليهود الشرقيين،/ سامي شطرين، النضال الشرقي في إسرائيل 1948-2003، ترجمة: سعيد عياش، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، رام الله- فلسطين، نوفمبر/2005.
- 9- أنطوان شلحت، الدولة الثنائية القومية كحل ينقذ اليهود من أنفسهم، مجلة قضايا إسرائيلية، ع34، 2009.
- 10- أوران يفتاحيل، الاثنوقراطية سياسات الأرض والهوية في إسرائيل، ترجمة سلافة حجاوي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، رام الله- فلسطين، 2012.
- 11- أوري بار، ليس بالقوة وحدها، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) 2014/10/20.
- 12- أيمن عودة، بين حل الدولتين وحل الدولة الواحدة، دراسة منشورة على موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- 13- جبريل محمد، استعراض كتاب "أبراهام ليئون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، مجلة قضايا إسرائيلية، ع56- 29/يناير/ 2015.
- 14- جوزيف سماحة، سلام عابر: نحو حل عربي ل" المسألة اليهودية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد6، ع21، 1995
- 15- حسن الحنفي، الكيان الصهيوني والمسألة اليهودية، مجلة العربي، ع486، 1999.

- 16- حمزة الصمادي، استراتيجية دفاع نشط ودبلوماسية هجوم احتياطي، مجلة النشرة الاستراتيجية، المجلد 1، ع8.
- 17- دون مؤلف، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 10، ع 37، شتاء 1
- 18- دون مؤلف، أمريكا تحاول احتواء ردود الفعل ضد وثيقة البنتاجون، جريدة الاتحاد الإماراتية، 1992/3/14.
- 19- دون مؤلف، مستقبل إسرائيل في 15 بنداً، ترجمة: محمد زيادة، مجلة نتييف الإسرائيلية، 2005/5/9.
- 20- دون مؤلف، المسألة اليهودية ، شهادة دوستوفسكي عن اليهود الروس، مجلة أدب ونقد، القاهرة- مصر، ع69، مايو 1991.
- 21- رايح عبدالناصر جندي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، مجلة العلوم السياسية والقانون، ع1، إصدارات المركز الديمقراطي العربي- جامعة باتنه الجزائر.
- 22- رندة حيدر، عشرة أعوام على جدار الفصل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012.
- 23- روبين سني، اليهود العرب –اللغة الشعر والهوية المتفردة، ترجمة: ماجد الخطيب، مجلة فكروفن العربية، معهد غوته، ع91.
- 24- زبير سلطان قدوري، السلام في المشروع الصهيوني (مصر نموذجاً)، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق، 2001.
- 25- زياد عبدالكريم نجم، توينبي ونظرية التحدي والاستجابة الحضارية الإسلامية أنموذجاً، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- 26- سعيد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، القاهرة- مصر، عدد مزدوج 31\_32، 2005.
- 27- سعيد عكاشة، الصراع العربي الإسرائيلي: السلام المستحيل، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2015/10/23.
- 28- عصام رفعت، آفاق العالم العربي الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، مجلة الملف العربي الأوروبي، ع87، تشرين الثاني/ 1999.

- 29- علاء عبدالحفيظ محمد ، مستقبل القضية الفلسطينية ومتطلبات نجاح دولة فلسطين، قضايا مستقبلية، ع7، فبراير، 2008.
- 30- عمر أحمد عاشور، حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، تعارض المفاهيم والحلول البديلة، مجلة قراءات استراتيجية، ع6، مركز التخطيط الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، 2010.
- 31- عواطف عبد الرحمن، الدراسات المستقبلية الإشكاليات والآفاق، مجلة عالم الفكر، مج8، ع4، 1988
- 32- غيورا أيلاند، إعادة التفكير في حل الدولتين قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، ع34، 2009.
- 33- فؤاد زكريا، العقل العربي والتوجيه المستقبلي، مجلة الحداثة اللبنانية الفصلية، دار الحياة، 25/مايو/2009.
- 34- فؤاد محمد شبل، دراسة للتاريخ لارنولد تويني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة- مصر.
- 35- فوزي عبدالقادر الفيشاوي، المستقبلية رؤية عملية للزمن الآتي، مجلة دراسات المستقبلية، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط- مصر، 1999.
- 36- كارل ماركس، حول المسألة اليهودية، خريف عام 1843، نشرت لأول مرة في شهر فبراير عام 1844 في Deutsch- Franzosische JahrbucherK، الحولية الألمانية الفرنسية بباريس، ترجمة نائلة الصالحي، التحويل الرقمي: وجدي حمدي، يوليو 2004.
- 37- كمال الخالدي، فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين، خيار سياسي مطروح أم تطور تراكمي مقصود؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد10، ع37، 1999.
- 38- مازن رمضان، مستقبل العرب في عام 2020، المجلة العربية للجالية العربية في نيوزيلاند، [www.facebook.com](http://www.facebook.com)
- 39- محمد أحمد رمضان، العلاقة الخاصة الشاذة بين النازية والصهيونية، مجلة الكاتب، القاهرة، ع153، ديسمبر 1973.
- 40- محمد جمال باروت، في حركة المستقبليات الجارية، ع1847، السنة السادسة، 2005/10/20.

- 41- محمد سعد أبو عامود، العلاقات العربية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، الظواهر، الاشكاليات، المستقبل، مجلة السياسة الدولية، ع139، يناير 2000.
- 42- محمد عيسى صالحية، مجلة العربي، مايو 2000.
- 43- محمد فوزي الجبر، الفكر العربي المعاصر وإشكالية علم المستقبل، مجلة الفكر السياسي، ع7، 2002.
- 44- ميثم الجاني، الصورة والمعنى في الصراع العربي- اليهودي، مجلة المؤتمر، ع1174، 14/آب/2006.
- 45- ليف جرينبرغ، إيسار الإشكنازي، فحص ما بعد الوفاة، مجلة قضايا إسرائيلية، ع14، السنة 4.
- 46- نادية سعد الدين، مأزق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع424، يونيو 2014.
- 47- نبيل خليفة، الاستراتيجيون الإسرائيليون نحو حلول جذرية تبادل الأراضي والسكان والترانسفير، مجلة الوسط السياسي، بيروت-لبنان، 2005.
- 48- نعيم قطان، الصمت الميمن، مجلة الأزمنة الحديثة (فرنسية)، عدد خاص حمل عنوان "إسرائيل الثانية"، ع394، 1979.
- 49- نظام بركات، مستقبل التسوية السياسية في ظل التغيرات الجارية في إسرائيل، مجلة دراسات شرق أوسطية، ع73.
- 50- هاني عبد المنعم، خلاف كتاب الهلال، المستقبلية والمجتمع المصري، ع424، 1986.
- 51- وليد عبد الحجي، الدراسات المستقبلية النشأة والتطور والأهمية، مجلة التسامح.
- 52- يونا يوسي، إسرائيل كديمقراطية للتعددية الثقافية، قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات، مدار، رام الله فلسطين، ع27، 2007.
- 53- يهودا شنهاف، اليهود العرب قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية، ترجمة: ياسين السيد، مدار- رام الله- فلسطين، 3/تموز/2016.

## رسائل علمية:

- 1- أمنية رمضان طاهرزید، نموذج الدولة الواحدة وأثر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية- الإمكانات والتحديات، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس- فلسطين، 2013.
- 2- صبري جرس، تاريخ الصهيونية (1862-1948)، مركز أبحاث "م.ت.ف" 1981.
- 3- عدي صدام حسين، مستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، رسالة دكتوراه، جامعة صدام حسين
- 4- السيد علي بن السيد علي، الصراع العربي الإسرائيلي بين محاولات التسوية وإمكانات السلام، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1996.
- 5- هبة جمال الدين، دور مراكز الفكر في عملية صنع السياسة العامة (دراسة حالة إسرائيل)، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة- مصر، 2014.

## مقالات:

- 1- أحمد صدقي الدجاني، رؤية عربية لعلم دراسة المستقبل، الأهرام، 19/4/1994.
- 2- أحمد عبدالمعطي حجازي، مصيرنا... ومصيرهم، الأهرام، ع42898، 19/مايو/2004.
- 3- أحمد محرم، المسألة اليهودية في أوروبا: جذور الصهيونية كحركة معادية لليهود، الحلقة الأولى، 2017/3/23.
- 4- أسعد أبو خليل، المسألة اليهودية: نحن والمحركة، الأخبار، أيار 2010، [www.alakbar.ae](http://www.alakbar.ae).
- 5- إلاء شوحات، إشكالية يهود آسيا وأفريقيا في الكيان الصهيوني، ترجمة: علي عبدالعزيز، قسم الترجمة جامعة القاهرة، المركز الفلسطيني للإعلام، [www.palestine-info.com](http://www.palestine-info.com)
- 6- أيله شوحاك، تأملات سيده يهودية عربية -جورج سارة- ذكريات ممنوعة، ترجمة إسماعيل دبح، 2005/11/7.
- 7- بلال الحسن، ثلاث وثائق تعلن: مستقبل إسرائيل في خطر، صحيفة الشرق الأوسط، 2008/6/29.
- 8- توفيق المدني، وعد بلفور أو حل المسألة اليهودية أوروبيًا، عرب 84.

- 9- جمال البابا، الهاجس الديمغرافي في إسرائيل "مخاوف حقيقية أم أطماع سياسية، مركز التخطيط الفلسطيني، [www.oppc.pna.net](http://www.oppc.pna.net)
- 10- جميل خرطبيل، الشخصيات الأسطورية في العهد القديم وثالوث عزرا، فلسطين.
- 11- ج.ه.جانسن، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، مركز الأبحاث، لبنان-بيروت، 1972.
- 12- جان سارتر، فيلسوف الحرية المعادي لحقوق الفلسطينيين، جريدة الخليج، 2016/2/23.
- 13- حامد ربيع، مستقبل إسرائيل، دراسة غير منشورة.
- 14- حلبي موسى، اليهود الشرقيون وعدوى الانغلاق الإشكنازي، 2005/19/10.
- 15- دون مؤلف، أيس ثمة تاريخ مليء بالحقق بين اليهود والعرب؟ جريدة Socialist Worker، ع2133، 10/يناير/2009.
- 16- دون مؤلف، الفلسطينيون والإسرائيليون سيجنون المليارات عند التوصل للسلام، معا/ بيت لحم فلسطين، 2015/6/8.
- 17- دون مؤلف، بعد أن أصبح غولاً- الاقتصاد الإسرائيلي يتفوق على اقتصاد العرب، 14 أكتوبر اليمينة، العدد: 13993، 15 يناير/ 2008.
- 18- دون مؤلف، الإسلام سيصبح الدين الأكثر انتشاراً بحلول نهاية القرن، وكالة معا، 2017/3/1.
- 19- رضا محمد حرب، أساطير في ثوب ديني وتحالف استراتيجي، جريدة الخليج، ع8674.
- 20- رندة حيدر، اليهود العرب في إسرائيل، الجزيرة نت، [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- 21- روبرت ليتل، شمعون بيريز ومستقبل إسرائيل، ترجمة: محمد نجار، تقديم: ناحج المعموري عبدالله خلف، صحيفة الوطن الكويتية، كانون الثاني، 2003.
- 22- زهير الأسدي، نحو دراسات مستقبلية إسلامية، بحث في علوم المستقبل، [www.15mum.net](http://www.15mum.net).
- 23- سرకిز أبو زيد، إسرائيل تقترب من نهايتها، 2008/5/4، نقلاً عن: صحيفة هاعولام هزي، 1983.
- 24- سعيد عياش، ذاكرة المشهد حزب لكل حكومة، 2004/10/24.
- 25- سميح خلف، الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين، أمد للإعلام، [www.amad.ps](http://www.amad.ps)
- 26- صالح بشير، إخفاق الغرب في حل المسألة اليهودية، 2008/6/17.
- 27- صحيفة هاريتس ، 22/أبريل/1949.

- 28- عايش أحمد قاسم، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والحلول المطروحة- دراسة استشرافية، مركز التخطيط الفلسطيني.
- 29- عبد الأمير الركابي، المسألة اليهودية: البنية الحضارية الإبراهيمية العراقية، أحرار العراق، الفرات الأخباري، [www.alforat.info](http://www.alforat.info)
- 30- عبدالله أحمد صبري، السفارديم.. تدني اجتماعي وتطرف سياسي، القدس أون لاين، 2006/10/10.
- 31- عبدالباسط عبدالمعطي، استشراف وصياغة مستقبل مصر 2025- التفكير في مستقبل مصر.. تساؤلات للحوار، مجلس الوزراء- مركز اتخاذ القرار/ مركز الدراسات المستقبلية 4-7 يونيو 2005.
- 32- عبدالرحمن الجبران، الدراسات المستقبلية والتنمية ومكافحة الفساد، صحيفة الوطن الكويتية، 2014/12/1.
- 33- عبد الحي زلوم، هل زوال إسرائيل حتمية تاريخية؟، القدس العربي، 2015/8/31.
- 34- عبد العزيز الخطابي، مستقبل الشرق الأوسط في ظل النظام العالمي الجديد، دنيا الوطن، [puplpit.alwatanvoic.com](http://puplpit.alwatanvoic.com).
- 35- عبد العزيز عبد الغني صقر، مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والنطق الديني، 2007/11/8.
- 36- عبد العليم محمد، الفرص ولمعوقات: عملية التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي، المركز العربي للبحوث والدراسات، 1/مارس/2015، [www.acrseg.org](http://www.acrseg.org)
- 37- عبد المنعم المحجوب، ما قبل اللغة.. الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية.
- 38- عروبة عثمان، ياليتني في باب صنعاء، موسيقى الشرق في إسرائيل، 11/ أكتوبر 2017، موقع معازف، [www.ma3azef.com](http://www.ma3azef.com)
- 39- عزمي بشارة، إسرائيل والخيار الاستراتيجي، [www.palldf.net](http://www.palldf.net)
- 40- علاء اللامي، بين حق العودة وقوة الحق، مستقبل إسرائيل سيواجه مخلفات تركها سياسات شارون، جريدة الزمان، ع 1227، 2002/6/6.
- 41- عفيف فراج، اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية، حوار أجره: سليمان بختي، دار الآداب.

- 42- عوني المنشي، الكونفدرالية: دولتين في وطن واحد خيار الجمهور العادل والممكن، وكالة معا، 2017/8/4.
- 43- غانية ملحيس، المشروع الوطني التحرري الفلسطيني المأمول (1)، مقالات، 17/ آيار/ 2016.
- 44- غانية ملحيس، المشروع التحرري الفلسطيني النقيض للمشروع الصهيوني ليس بديلاً اعتراضياً لدولة فلسطين على حدود العام 1967، 19/ يونيو/2016.
- 45- سليمان أبو إرشيد، اليهود الشرقيون ولعنة المنشأة واللغة، 2015/12/7، موقع عرب: [www.arab48.com](http://www.arab48.com)
- 46- صبري جريس، تاريخ الصهيونية، م.ت.ف.، مركز الأبحاث، بيروت-لبنان، 1981.
- 47- صالح محمد النعامي، عمر بن الخطاب يفض مضاجع الصهاينة من قبره، 2009/10/22، [www.naamy.net](http://www.naamy.net)
- 48- فايز رشيد، اليهود ليسوا ساميين، جريدة الخليج، 2015/2/24، [www.alkhaleej.ae](http://www.alkhaleej.ae)
- 49- فيصل عبد إبراهيم كروان، مفهوم إسرائيل للسلام في: التوسع الإسرائيلي عرض وتحليل مشروع السلام الإسرائيلي، (يونيو 1967- أكتوبر 1973)، مؤسسة الأهرام/ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.
- 50- مارك كوهين، تعايش الأديان في الماضي، ترجمة: كامل الزيايدي، صحيفة فرانكفورتر تسایتونغ، 2003/10/20، موقع قنطرة، [www.qantare.de](http://www.qantare.de)
- 51- مأمون كيوان، الحل العربي ل"المسألة اليهودية": تفكيك الغيتو الصهيوني، جريدة الخليج، 2010/4/11.
- 52- محمد جابر الأنصاري، لا مخرج للعرب إلا بامتلاك مقومات القوة، صحيفة الحياة، بيروت-لبنان، 2008/1/18.
- 53- محمد جلال إدريس، يهود العراق والتعايش العربي اليهودي- تاريخ الأقلية اليهودية العراقية، الجزيرة نت.
- 54- محمد السعيد إدريس، الثورات العربية ومستقبل العلاقة بين النظام العربي والنظام الإقليمي، التقرير الاستراتيجي العربي، مؤسسة الأهرام، مركز الأهرام للدراسات والاستراتيجية- القاهرة 2012/2/11.

- 55- محمد السعيد إدريس، مستقبل النظام العربي بين التطورات الجديدة في هيكلية النظام العالمي وتداعيات الثورات العربية، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2015/1/18. منشور على الموقع، [www.acrseg.org](http://www.acrseg.org)
- 56- محمد سلماوي، حوار مع نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/3/17.
- 57- محمد الطاهر، العصر الأمريكي يقترب من مغيبه، 2016/11/14.
- 58- محمد محمود السيد محمد، سياسات التسليح في إسرائيل ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، 29/سبتمبر/2010.
- 59- محمود الحرثاني، يوتوبيا التعايش الدولة الواحدة في فلسطين، الحل والمآل.
- 60- مجدي حسين، حزب كاديما عنوان انهيار مشروع إسرائيل الكبرى، 2006/2/18، [www.magdyhussien.blogapirit.com](http://www.magdyhussien.blogapirit.com)
- 61- مصطفى الخلفي، يهود المغرب والتعايش العربي، الجزيرة نت.
- 62- ممدوح نوفل، شاس واليهود الشرقيين قوة مهمة لصنع السلام مع العرب، 1999/6/15.
- 63- مهند عبد الحميد، الدولة الواحدة ما بعد الكولونيالية، كانون الثاني، 2014، [www.palastine.assafir.com](http://www.palastine.assafir.com)
- 64- هاني المصري، حل السلطة والدولة الواحدة: خيار جديد أم مجرد تهديد؟، موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، 26/سبتمبر/2017.
- 65- ناجي شراب، مقاربة جديدة لحل الصراع العربي الإسرائيلي، صحيفة الخليج الإماراتية، 2013/1/15.
- 66- نصر شمالي، ماذا عن اليهود في المستقبل، موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، 2011/1/1، [www.baath.com](http://www.baath.com)
- 67- نعيم الأشهب، حول شعار الدولة الديمقراطية أو الدولة ثنائية القومية، [www.aloufok.net](http://www.aloufok.net)
- 68- هداس هروش، لماذا اليهود العرب أكثر كرها للعرب؟، سبتمبر، [www.al-masdar.net](http://www.al-masdar.net)
- 69- وليد خدوري، النفط العربي على مشارف القرن العشرين.
- 70- وليد الزريبي، السومرية هي أصل كل لغات النمطقة والهوج جزء من الأمة العربي، القدس العربي، 2009/1/2.
- 71- وليد عبدالحج، الدولة الفلسطينية الممكن والمحتمل والمأمول، مركز الجزيرة للدراسات، 16/مايو/2012.

- 72- وليد عبد العي، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني، مركز الجزيرة للدراسات، 2012/2/26.
- 73- يهودا شنهاف، اليهود العرب- قومية دين إثنية، إصدار عام عوفيد، تل أبيب، 2003.
- 74- يوسف الحسن، الأصولية المسيحية أصولها ونشأتها ودورها في صنع القرار الأمريكي، الخليج الإماراتية، ع8673، 9/ آذار/ 2003.

## مؤتمرات:

- 1- إبراهيم العيسوي، الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية 2000.
- 2- إبراهيم العيسوي، سيناريوهات، أوراق مصر 2020، منتدى العالم الثالث، يوليو 1998.
- 3- أحمد حماد، الرؤية الإسرائيلية لمستقبل الشرق الأوسط، ندوة بمركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة- مصر، 8/ مارس/ 2014.
- 4- إسماعيل سراج الدين، تقرير المجتمع المدني في منتصف عقد ثقافة السلام "أهمية السلام في حياتنا"، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 2006.
- 5- إسماعيل صبري عبدالله، مصر 2020: دراسة مستقبلية، مشروع مصر 2020، منتدى العالم الثالث- القاهرة- مصر.
- 6- إسماعيل ياغي، موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية 1882-1914، بحث مقدم إلى مؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين).
- 7- الإسكو، تقرير حول ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني ومسألة الفصل العنصري، مركز الأمم المتحدة للإعلام - القاهرة، 15/3/2017.
- 8- أنطون شلحت، عن الصبرورة الراهنة للمشروع الصهيوني، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية- مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، مسارات ، البيرة- فلسطين، ط1، 2012.
- 9- تقرير مركز بديل (2005): حل الدولتين، حل الدولة الواحدة وحقوق اللاجئين الفلسطينيين.
- 10- حسن نافعة، (تحولات السياسة العالمية واتجاهات تطورها المستقبلية)، التحولات العالمية ومستقبل الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، المؤتمر السنوي الأول لمركز

- الدراسات والبحوث الاستراتيجية، جامعة دمشق بالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تغطية محمد بكير، 10-12/أبريل/2000.
- 11- دون مؤلف، حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى عام 2015، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان 27-28/8/2007.
- 12- رائد نعيرات، آفاق دور إسرائيل الإقليمي والدولي، ندوة حاضر إسرائيل اليوم ومستقبلها حتى عام 2015، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 27-28/8/2007.
- 13- سعيد حافظ، استشراف وصياغة مستقبل مصر عام 2025، ورقة أولية، ملحق 10، مجلس الوزراء، مركز اتخاذ القرار، مركز الدراسات المستقبلية، 4-7/يونيو/2005.
- 14- طاقم التخطيط الإسلامي- اليهود، اليهود والإسلام- اتجاهات الحوار والمشاركة والتعارف المتبادل، ورقة نقاشية مترجمة من العربية إلى الإنجليزية، المؤتمر العالمي الأول للأئمة والحاخامات المنعقد من أجل السلام، أكاديمية بين الديانات إياهو.
- 15- عبدالله تركماني، معوقات السلام العربي-الإسرائيلي وأفاقه، محاضرة في إطار دورة "معهد العلاقات الدولية جمعية الدراسات الدولية للعام الدراسي 2004-2005، تحت عنوان: في سبيل عالم جديد لإرسال السلام: استراتيجيات جديدة.
- 16- عمر عبدالرازق عبدالله، المستقبلات وتحديات العالم العربي بين المفاهيم والممارسة، الملتقى العلمي "الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 10/2/2013.
- 17- غانية ملحيس، عناصر الرؤية الاستراتيجية لتغيير المسار، المؤتمر السنوي الأول، القضية الفلسطينية، مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي، ط 1، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، مسارات، البيرة، 2012.
- 18- مجدي بن محمد الهادي فارج، الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الملتقى العلمي "الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 10/2/2013.
- 19- مركز البديل، حل الدولتين حل الدولة الواحدة وحقوق اللاجئين الفلسطينيين، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ملخص ورقة مقدمة للقاء التنسيقي السادس للائتلاف الفلسطيني لحق العودة، هولندا، نوفمبر/2006.

- 20- منحيم ميلسون، العرب ومعاداة السامية الإسلامية، مؤتمر المنتدى العالمي لمكافحة معاداة السامية، القدس 24/فبراير/ 2008، ترجمة محمود علي، مركز ميمري لدراسات أبحاث الشرق الأوسط.
- 21- الميثاق التأسيسي لليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، أطلع عليه 2016/11/11.
- 22- ندوة سياسية في الناصرة حول عرب إسرائيل، صحيفة الاتحاد، حيفا، 17/3/1986.
- 23- نديم روحانا، المشروع الصهيوني، والسيناريوهات المطروحة بشأن فرض التسوية السياسية للصراع، المؤتمر السنوي الأول القضية الفلسطينية مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، مسارات البيرة، فلسطين، ط1.
- 24- نصر عبدالكريم، السيناريوهات الاقتصادية المتوقعة والخيارات المتاحة للسلطة الوطنية الفلسطينية، المؤتمر السنوي الأول، القضية الفلسطينية.

### مواقع إلكترونية، وحوارت تلفزيونية:

- 1- أدمير زكيتش البوسنوي، الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، موقع الخطباء  
www.khutabaa.com
- 2- تامر بدر، قادة لا تنسى الأمير المجاهد عبدالقادر الجزائري، سير الأعلام من مواقع قصة الإسلام، 2014/3/12.
- 3- خالد سعيد عبدالقادر، علم المستقبليات، موقع الشيخ عبدالله حامد العلي، www.h-alali.org
- 4- حسام السعداوي، المستقبليات الغربية، وزيف عالميتها المزعومة، موقع التجديد العربي،  
www.arabrewal.net، 2005/3/4
- 5- جونت أورت، القذافي.. من الكتاب الأخضر إلى الكتاب الأبيض، ترجمة: يوسف حجازي،  
ar.qantara.de
- 6- دون مؤلف، ما السيناريو غير الفني، موقع مقاتل من الصحراء، www.moqatel.com

- 7- رياض محرم، المسألة اليهودية... بين الماركسية والإسلام، [www.civicegypt.org](http://www.civicegypt.org)
- 8- عبداللطيف أبو هاشم، أوجه التشابه بين صليبي الأمس ويهود اليوم، دنيا الوطن – فلسطين، [pulpit.alwatanvoice.com](http://pulpit.alwatanvoice.com)
- 9- عبدالوهاب المسيري، مستقبل إسرائيل وإرهاصات نهايتها، برنامج بلا حدود، تقديم: أحمد منصور، [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- 10- عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، اليهود الشرقيون (السفارد) والنظام السياسي الإسرائيلي، موقع صيد الفوائد.
- 11- غازي حسين، التعاون بين الصهيونية والنازية لحل المسألة اليهودية بإقامة إسرائيل في فلسطين، سودانيز أون لاين، 2018/2/10.
- 12- غانية ملحيس، هل بات التفكير الفلسطيني المغاير من المحرمات؟، موقع المجموعة، [www.group1994.net](http://www.group1994.net)، 2016/8/14
- 13- فلسطين عودة خيار الدولة الواحدة، 14/يوليو/ موقع سويس أنفو - [www.swissinfo.ch](http://www.swissinfo.ch)
- 14- محمود حداد، يهود العراق ومصر: هجرة أقرب إلى التهجير، 27/أغسطس/ 2015، [www.alhayat.com](http://www.alhayat.com)
- 15- معوقات السلام العربي- الإسرائيلي وآفاقه، [www.hem.bbroadband.net](http://www.hem.bbroadband.net)
- 16- موقع الباحث [www.baheth.info](http://www.baheth.info)
- 17- موقع الجمل، أمريكا الهرمجدونية ومستقبل إسرائيل، الجمل: قسم الدراسات والترجمة، [www.aljaml.com](http://www.aljaml.com)، 2007/10/11
- 18- الموقع الرسمي لمنظمة الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية (wfsf) على الرابط [www.wfsf.org](http://www.wfsf.org)
- 19- الموقع الرسمي لنادي روما [www.clbofome.org](http://www.clbofome.org)
- 20- الموقع الرسمي لمنظمة (issf) على الانترنت [www.issf.org](http://www.issf.org)
- 21- موقع جريدة القدس، تقرير القدس (2010): شخصيات إسرائيلية تدعو إلى تبني فكرة

الدولة "الثنائية القومية"، [www.alquds.com](http://www.alquds.com)

22- كمال الأسطل الموقع الشخصي، [www.k-astal.com](http://www.k-astal.com)

23- وكيبديا، الموسوعة الحرة، سيناريو (تخطيط).

24- يوسف القرضاوي، علاقة المسلمين باليهود، تقديم: خديجة بن قنة، برنامج الحياة والشريعة، 17 يناير 2007، قناة الجزيرة.

25- اليهود والإسلام-اتجاهات للحوار والمشاركة والتعارف المتبادل، [www.elijah-interfaith.org](http://www.elijah-interfaith.org)

## فهرس المحتويات

5.....	إهداء
6.....	شكر وتقدير
7.....	ملخص
8.....	ABSTRACT
9.....	المقدمة
13.....	الفصل الأول: المنهجية المستقبلية
15.....	المبحث الأول: الدراسات المستقبلية النشأة والتطور
16.....	نشأة علوم المستقبل
19.....	أولاً: المرحلة الأولى / علاقات ذات صبغة دينية:
19.....	ثانياً: المرحلة الثانية / مرحلة التخطيط:
20.....	ثالثاً: المرحلة الثالثة / المستقبل الثوري:
21.....	اليوتوبيا والخيال العلمي وعلم المستقبل
22.....	أهمية علم المستقبلات
23.....	الدول واهتمامها بالدراسات المستقبلية:
26.....	المبحث الثاني: منهجية استشراف المستقبل
27.....	تسميات الدراسات المستقبلية
27.....	أهداف الدراسات المستقبلية
28.....	مبادئ الدراسات المستقبلية
29.....	الموضوعات التي تهتم بها الدراسات المستقبلية
29.....	شكوك حول علوم المستقبل
31.....	التعقيد في الدراسات الدولية (عصر السياسة ما بعد الدولية)
32.....	حاجة الدول النامية إلى استشراف المستقبل
34.....	المبحث الثالث: مناهج الدراسات المستقبلية
34.....	تقنيات الدراسة المستقبلية
35.....	منهج السيناريوهات الاستشرافية
35.....	منهج التخطيط الاستراتيجي والتخطيط طويل الأجل
36.....	منهج القضايا المحددة
36.....	منهج السيناريوهات الاستشرافية

37.....	أهمية وضع السيناريو .....
38.....	خصائص السيناريوهات الجيدة .....
38.....	أنماط السيناريوهات.....
40.....	أنواع السيناريوهات .....
40.....	أهداف السيناريو .....
41.....	بناء السيناريو المستقبلي .....
42.....	خطوات بناء السيناريو .....
44.....	<b>المبحث الرابع: العالم المعاصر وعلوم المستقبل.....</b>
45.....	المدرسة الأمريكية .....
46.....	المدرسة الفرنسية.....
47.....	الاتحاد السوفيتي .....
47.....	الجهود الدولية .....
48.....	إسرائيل والمستقبلات .....
49.....	الإسلام والمستقبلات.....
52.....	العرب والمستقبلات .....
55.....	العرب وصناعة المستقبل .....
57.....	ندرة عربية في المراكز المستقبلية.....
61.....	<b>الفصل الثاني: تجارب الاستعمار الاستيطاني في الإطار العالمي .....</b>
62.....	مقارنة بين التجارب الاستيطانية الغربية والمشروع الصهيوني.....
64.....	<b>المبحث الأول: النموذج الأول: انتصار حاسم لأصحاب البلاد الأصليين.....</b>
64.....	أولاً: المشابهة التاريخية بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية.....
70.....	سبب اهتمام العلماء الصهيونية بالحركة الصليبية .....
73.....	التحذير من مصير ممالك الفرنجة.....
74.....	عوامل زوال الغزوة الصليبية.....
75.....	إسرائيل وتجربة الحروب الصليبية (حروب الفرنجة).....
77.....	ثانياً: مقارنة بين الاستيطان الأوروبي في المغرب العربي والاستيطان الصهيوني في فلسطين:.....
82.....	<b>المبحث الثاني: النموذج الثاني: انتصار حاسم للمستوطنين على السكان الأصليين (أمريكا الشمالية) .....</b>
82.....	تجربة الاستعمار الاستيطاني العبري لفلسطين.....
83.....	الاستعمار الاستيطاني البروتستانتي في أمريكا الشمالية .....
84.....	1-المهاجرون الجدد وثقافة العهد القديم (التوراة):.....
86.....	2-التبرير الديني للنهب والسلب والإبادة: .....
91.....	<b>المبحث الثالث: النموذج الثالث: توافق سكان البلاد الأصليين والمستوطنين على العيش المشترك.....</b>

91.....	أولاً: مقارنة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا .....
93.....	الدين ودوره في تسوية الاستعمار الاستيطاني البروتستانتي في جنوب أفريقيا .....
94.....	عوامل استمرارية النظام العنصري في جنوب أفريقيا .....
96.....	ثانياً: الاستعمار الاستيطاني الكاثوليكي في أمريكا اللاتينية.....
98.....	المبحث الرابع: تجربة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين.....
101.....	خصائص الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.....
104.....	الظاهرة الصهيونية واليهودية تفردتها وحدود التفرد.....
109.....	<b>الفصل الثالث: مآلات الاستعمار الاستيطاني .. ومستقبل إسرائيل</b> .....
110.....	المبحث الأول: نهاية إسرائيل واستمرار لعبة الأمم.....
113.....	الطبيعة الدينية لإسرائيل وصعوبة التنبؤ بمستقبلها.....
116.....	إسرائيل - نظريات النهاية.....
116.....	أولاً: التيار المستقبلي.....
117.....	ثانياً: التيار العروبي.....
119.....	المبحث الثاني: الأديان السماوية وموقفها من إسرائيل .. قيامها ونهايتها.....
119.....	أولاً: الأرثوذكس واليهود.....
122.....	الكنيسة الكاثوليك ومستقبل إسرائيل.....
124.....	موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية وإسرائيل.....
127.....	البروتستانت ومستقبل اليهود وإسرائيل.....
130.....	الصهيونية المسيحية ومستقبل إسرائيل.....
132.....	ثانياً: اليهود ومستقبل إسرائيل.....
132.....	الحركة الصهيونية ومستقبل اليهود.....
133.....	سبب رفض اليهود للعودة الى فلسطين.....
134.....	اليهود والمسيح المنتظر.....
136.....	هرتسل ومؤتمر بازل.....
138.....	اليهود التوراتيون.....
139.....	ثالثاً: الإسلاميون ومستقبل إسرائيل.....
140.....	ظهور المسيح الدجال.....
142.....	النبوءة الرقمية بفناء إسرائيل.....
144.....	المبحث الثالث: إسرائيل وسيناريوهات النهاية حسب رؤية المفكرين الإسرائيليين واليهود.....
145.....	1-سيناريو جاك أتالي:.....
146.....	2 - سيناريو يوسي بيلين:.....
147.....	3- خيار شمشون وماساداه:.....

147	آراء إسرائيليين (سامه وعسكريين) حول مستقبل إسرائيل
148	1- إبراهيم بورغ .. فساد وعدم عدالة:
149	2-دانييل فايبس:
151	3- ديفيد بن جوريون:
151	4-البروفسور أمنون روبنشتاين:
153	نهاية إسرائيل في الوجدان اليهودي الصهيوني
157	خطوات لتأجيل النهاية
<b>161</b>	<b>الفصل الرابع: الصراع العربي الإسرائيلي .. وبناء سيناريو المستقبل الإسرائيلي .....</b>
163	المبحث الأول: تاريخ اليهود في فلسطين والبلاد العربية
164	إقامة مملكة إسرائيل
165	السبي البابلي
166	العصر الروماني
167	تاريخ اليهود في البلاد العربية
<b>170</b>	<b>المبحث الثاني: أحوال اليهود عبر مراحل التاريخ العربي/الإسلامي .....</b>
171	اليهود في ظل الدولة الإسلامية
173	اليهود في ظل حضارة الأندلس
176	اليهود في ظل الدولة العثمانية
178	منع هجرة اليهود إلى فلسطين
179	تقييم لحياة اليهود في ظل الحكم الإسلامي
181	يهود الدول العربية
<b>182</b>	<b>المبحث الثالث: تاريخ اليهود في البلاد العربية</b>
182	تاريخ يهود العراق والتعايش العربي اليهودي
184	ربيع بغداد
187	يهود اليمن بين الجذور والتاريخ
189	يهود سوريا
190	اليهود في فلسطين
192	اليهود في مصر
194	يهود مصر في العصر الحديث
195	يهود المغرب العربي
197	تاريخ اليهود القديم في ليبيا
197	يهود المغرب
<b>200</b>	<b>المبحث الرابع: اليهود العرب والفكرة الصهيونية</b>

202	أسباب هجرة اليهود العرب إلى فلسطين
205	إجبار يهود الدول العربية على الهجرة
207	يهود العراق والصهيونية
208	تهجير يهود العراق إلى فلسطين
210	تفجيرات بغداد
213	هجرة يهود اليمن إلى فلسطين
215	يهود فلسطين والصهيونية
216	اليهود في سورية
217	يهود مصر والصهيونية
220	يهود ليبيا والصهيونية
222	اليهود في تونس
223	اليهود في الجزائر
223	يهود المغرب والصهيونية والاستعمار
224	هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل في فترة محمد الخامس
226	يهود المغرب في إسرائيل
229	<b>الفصل الخامس: الوضع الابتدائي للواقع الإسرائيلي والواقع العربي والدولي</b>
231	<b>المبحث الأول: الواقع الصهيوني الإسرائيلي: الوضع الابتدائي:</b>
231	محددات الوجود والقوى المحركة
231	النظام السياسي الإسرائيلي
233	القوى السياسية الإسرائيلية
234	الاقتصاد الإسرائيلي
236	الواقع الاجتماعي في إسرائيل
237	التركيب الإثني والطائفي في المجتمع الإسرائيلي
239	انقسام اليهود إلى أشكناز وسفراديم (غربيون أو شرقيون)
243	الواقع السكاني الديموغرافي
246	الصراع الإثني والثقافي والطبقي
247	الخريطة الدينية في إسرائيل
249	الواقع العلمي والتكنولوجي
250	واقع القوة العسكرية والأمن القومي الإسرائيلي
251	مراحل تطور مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي
252	القدرات النووية الإسرائيلية
253	إسرائيل والواقع العربي والإقليمي

254.....	المبحث الثاني: المبادئ الصهيونية بين النظرية والتطبيق
254.....	المبدأ الأول: القومية
256.....	المبدأ الثاني: الحاجة لأرض "إسرائيل"
257.....	المبدأ الثالث: رفض المنافي
258.....	المبدأ الرابع: العلمانية
259.....	المبدأ الخامس: الرغبة الذاتية والنشاط الذاتي
259.....	المبدأ السادس: الثقافة المشتركة وبناء شخصية اليهودي الجديد (بوتقة الصهر)
260.....	المبدأ السابع: الطلائعية
260.....	المبدأ الثامن: المثالية الصهيونية
260.....	تيار ما بعد الصهيونية
261.....	واقع إسرائيل وأهم المشكلات التي تواجهها
261.....	انهيار الإجماع الصهيوني
262.....	نضوب الهجرة ودولة اليهود
264.....	انحدار القيم اليهودية وضعف القيادة
264.....	بركان التآلف الهش
266.....	المبحث الثالث: الواقع العربي الفلسطيني
267.....	الواقع السياسي وعجز الكيانات القطرية
269.....	الثورات العربية و النظام العربي
270.....	الواقع الاقتصادي العربي
272.....	الأمن الغذائي العربي
274.....	التحدي الأخلاقي والاجتماعي
274.....	الأقليات والأبعاد الاجتماعية للأمن القومي العربي
275.....	القصور عن مواكبة عصر العلم والتقانة
276.....	الواقع العربي الراهن من خلال تقارير التنمية البشرية
278.....	الواقع الفلسطيني
281.....	المبحث الرابع: إسرائيل وطبيعة التطور الدولي
283.....	النظام الدولي الجديد والوقوع والقوى المحركة
286.....	التغيرات في النظام العالمي وأثرها على النظام العربي
287.....	الاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم العربي
289.....	الموقف الأمريكي من الصراع العربي - الإسرائيلي
293.....	الفصل السادس: توازن القوى وسيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي
294.....	المبحث الأول: الصراع العربي الإسرائيلي طبيعته وخصائصه ومداخله

296	1-صراعات استراتيجية سياسية:
296	2-صراعات اجتماعية ممتدة:
297	طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي وماهيته
298	مقاربة الظاهرة الصهيونية في ضوء تجارب الصراع القومي
299	دروس من تجارب الصراع القومي
301	مقاربة الظاهرة الصهيونية في ضوء تجارب الحروب الدينية
301	العلاقة بين الاسلام والمسيحية
302	العلاقة بين الديانة اليهودية وكل من الإسلام والمسيحية
302	العلاقة بين المسيحية واليهودية
305	الإسلام واليهود
307	<b>المبحث الثاني: خصائص وأبعاد الصراع العربي الإسرائيلي</b>
307	أولاً: الطبيعة الهيكلية للصراع العربي الإسرائيلي
308	ثانيًا: تعدد مستويات الصراع العربي الإسرائيلي
308	ثالثًا: تزايد البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي
308	رابعًا: الحركة الذاتية المستقلة للصراع العربي الإسرائيلي
309	خامسًا: التناقض بين حركة الصراع وبين مناهج تسويته
309	سادسًا:
309	أطراف الصراع العربي-الإسرائيلي
311	الأطراف الغربية في الصراع العربي-الإسرائيلي
313	أبعاد الصراع العربي الإسرائيلي
313	1-البعد الاقتصادي:
314	2-البعد العلمي التكنولوجي:
315	3-البعد المائي في الصراع ومخاطر النهب الإسرائيلي للمياه العربية:
316	4-الأبعاد الثقافية الحضارية للصراع:
317	5-البعد العسكري للصراع:
317	6-البعد النووي للصراع ومخاطر الاحتكار النووي الإسرائيلي
319	<b>المبحث الثالث: موازين القوة الشاملة بين العرب وإسرائيل</b>
321	التوازن العسكري في الصراع العربي الإسرائيلي
323	التوازن الاقتصادي بين العرب وإسرائيل
324	التوازن في مجال البحث العلمي
326	ميزان القوى الشاملة العربي والإسرائيلية
329	أثر ميزان القوى على احتمالات السلام والحرب

331	جدلية المقاومة التسوية، دروس الخبرة العملية.....
335	المبحث الرابع: مسارات الصراع ومآلاته .....
337	الصراع العربي الإسرائيلي وسيناريوهات المستقبل.....
338	الحلول المتصورة للصراع العربي الإسرائيلي.....
340	احتمالات المستقبل في ضوء مستجدات ومتغيرات الصراع.....
344	سيناريوهات التسوية السلمية للصراع العربي الاسرائيلي.....
346	السيناريو الأول: استمرار الأوضاع القائمة واتجاهاتها العامة.....
346	السيناريو الثاني: تدهور الوضع العربي (وضع الهيمنة الإسرائيلية الأمريكية)- الدولة المؤقتة .....
347	السيناريو الثالث: سيناريوهات تنجم عن إجراءات أحادية.....
348	السيناريو الرابع: تقدم المشروع العربي على حساب المشروع الصهيوني (تقدم عملية التسوية).....
348	وصف السيناريو.....
350	الخيارات والبدائل المفضّلة للفلسطينيين.....
350	سيناريوهات التسوية السلمية والسيناريو المفضل.....
350	أولاً: خيار التقسيم الجغرافي لفلسطين (دولتين).....
351	ثانياً: خيار الامتصاص (دولة واحدة).....
353	الفصل السابع: مشاريع التسوية السلمية لحل الصراع العربي الإسرائيلي .....
355	المبحث الأول: مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية – نظرة تاريخية.....
355	مشاريع التسوية السلمية خلال مرحلة الانتداب البريطاني 1922-1947.....
356	أولاً: مشروع تقسيم فلسطين حسب قرار الأمم المتحدة 181 لسنة 1947.....
358	ثانياً: المشاريع والأفكار في الفترة ما بين 1947-1967.....
359	ثالثاً: المشاريع والأفكار الإسرائيلية خلال المرحلة الواقعة ما بين 1967 – 1973.....
365	المبحث الثاني: الحلول المطروحة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي .....
367	خيارات حل الصراع العربي الاسرائيلي.....
367	أولاً: حل الدولتين الفرص والمعوقات.....
373	المعيقات من الجانب الإسرائيلي.....
373	المعيقات من الجانب الفلسطيني.....
374	مؤيدو حل الدولتين.....
375	معارضو حل الدولتين.....
377	حتمية فشل التقسيم ( دولتان متجاورتان ).....
381	المبحث الثالث: الحلول البديلة لحل الدولتين.....
383	البديل الأول: خيار الدولة الواحدة العنصرية.....
387	البديل الثاني: الكونفدرالية دولتان في وطن واحد.....

389.....	المبحث الرابع: الحلول المفضلة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي (حل الدولة الواحدة)
389.....	حل الدولة الواحدة المفهوم والنشأة
390.....	نظرة في تاريخ الأفكار طرح فكرة الدولة الواحدة
391.....	أولاً: المشاريع البريطانية:
391.....	ثانياً: المشاريع الصهيونية وفكرة الدولة الواحدة:
395.....	المشاريع الصهيونية بعد حرب 1948
396.....	الجانب الفلسطيني والعربي وحل الدولة الواحدة
398.....	انفتاح العرب على فكرة التعايش في دوله واحدة
400.....	مشاريع الدولة الواحد بعد عام 1948
401.....	نماذج لحل الدولة الواحدة:
403.....	أشكال الدولة الواحدة
403.....	1-الدولة ثنائية القومية:
404.....	2-الدولة الديمقراطية العلمانية:
404.....	3-دولة كل المواطنين:
406.....	الموقف الإسرائيلي من حل الدولة الواحدة
407.....	رفض إسرائيل لسيناريو الدولة الواحدة
407.....	الجانب العربي والفلسطيني وفكرة الدولة الواحدة
410.....	الموقف الفلسطيني من سيناريو (الدولة ثنائية القومية) بين الرفض والقبول
412.....	موقف التنظيمات الفلسطينية من حل الدولة الواحدة
412.....	حل الدولة الواحدة الدوافع والمبررات
413.....	لماذا دولة واحدة؟
415.....	أهم ميزات حل الدولة ثنائية القومية
417.....	العقبات والتحديات التي تواجه نموذج الدولة الواحدة
420.....	معوقات سيناريو الدولة الواحدة (ثنائية القومية)
423.....	الفرضيات التي يمكن من خلالها تحقيق حل الدولة الواحدة
427.....	الفصل الثامن: مستقبل إسرائيل في ظل التسوية السلمية (اليهود العرب نموذجاً)
429.....	المبحث الأول: مستقبل النظام الدولي
432.....	ظهور نظام متعدد القطبية وبدء افول القوة الأمريكية
435.....	مستقبل الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط
437.....	المبحث الثاني: المسارات المستقبلية للصراع في ظل التغيرات العربية
437.....	سيناريوهات المستقبل العربي بين التشاؤم والتفاؤل
437.....	أولاً: سيناريو بقاء الوضع القائم

438	.....	ثانيًا: سيناريو المزيد من التدهور في العلاقات العربية العربية.
439	.....	ثالثًا: سيناريو الصحوة العربية المأمولة.
443	.....	المبحث الثالث: الآثار المتوقعة للتسوية السلمية على محددات الوجود الإسرائيلي.
444	.....	الوضع الاستراتيجي المستقبلي لإسرائيل.
445	.....	المستقبل الديمغرافي.
447	.....	قراءه جديدة للخارطة الديمغرافية في اسرائيل (دولة شرقية).
448	.....	مستقبل الاقتصاد الإسرائيلي.
451	.....	مستقبل التركيبة السياسية والاجتماعية.
451	.....	مستقبل التعدد الاثني للكيان الصهيوني.
453	.....	تعزز مكانة فلسطينيو 48.
454	.....	التسوية السلمية وأثرها على ركائز المشروع الصهيوني.
454	.....	المبدأ الأول: القومية.
454	.....	المبدأ الثاني: الحاجة لأرض "إسرائيل".
455	.....	المبدأ الثالث: رفض المنافي.
456	.....	المبدأ الرابع: العلمانية.
456	.....	المبدأ الخامس: الرغبة الذاتية والنشاط الذاتي.
457	.....	المبدأ السادس: الثقافة المشتركة وبناء شخصية اليهودي الجديد.
458	.....	ازدهار التيارات المضادة للصهيونية.
459	.....	حركة التنوير اليهودية (ماندلسون).
460	.....	المؤرخون الجدد.
460	.....	ما بعد الصهيونية.
461	.....	ازدهار الصهيونية الثقافية الروحانية.
462	.....	مارتن بوبر.
463	.....	زوال الصهيونية العنصرية.
466	.....	المبحث الرابع: واقع اليهود العرب في إسرائيل.
467	.....	تجربة اقتلاع اليهود العرب من أوطانهم.
469	.....	عملية ادماجهم في المجتمع الإسرائيلي.
471	.....	أوضاع اليهود العرب داخل الكيان الصهيوني.
472	.....	أشكال التمييز ضد اليهود العرب.
476	.....	الاحتجاج الشرقي في إسرائيل.
477	.....	الاتجاهات السياسية لليهود الشرقيين.
478	.....	نشأة "شاس" نجاحات متتالية في زمن قياسي.

480	.....تهميش ثقافة اليهود العرب لدفعهم للتخلي عن شرفيتهم
482	.....القادة الصهيانة والخوف من اليهود الشرقيون
484	.....عداء اليهود الشرقيون للعرب
487	.....تأكيد الهوية اليهودية العربية في إسرائيل
489	.....فشل بوثقة الصهر
490	.....الموسيقى الشرقية والحفاظ على الهوية اليهودية الشرقية
493	.....سوق الكرمل والاغنية العربية
<b>497</b>	<b>.....الفصل التاسع: مستقبل إسرائيل في ظل حل عربي للمسألة اليهودية</b>
<b>498</b>	<b>.....المبحث الأول: جذور المسألة اليهودية</b>
498	.....اضطهاد اليهود في أوروبا وظهور المسألة اليهودية
500	.....سبب العداء لليهود ومعاداة السامية
502	.....نشوء مصطلح اللاسامية
504	.....التعاون بين الصهيونية واللاسامية
505	.....حلول غربية للمسألة اليهودية
507	.....1-حل الثورة الفرنسية:
507	.....2-التيار الليبرالي:
508	.....3-الحل الماركسي:
508	.....4-ابراهيم ليون والمسألة اليهودية:
509	.....5-الحل المسيحي الصهيوني:
509	.....6-الحل الصهيوني:
511	.....7-الحل النازي:
512	.....إخفاق الغرب في حل المسألة اليهودية
512	.....العرب والمسلمين والمسألة اليهودية
514	.....العرب والمسلمين والعداء للسامية
516	.....الحل العربي للمسألة اليهودية
518	.....الصراع العربي الاسرائيلي وقراءه جديدة للعلاقات (التعايش)
523	.....اكتشاف الهوية اليهودية-العربية
<b>526</b>	<b>.....المبحث الثاني: الصهيونية والانقلاب على ألف سنة من التاريخ</b>
528	.....عوامل اندماج إسرائيل في المنطقة
528	.....1-العامل الديمغرافي والتحول الى دولة شرقية:
529	.....2-مستقبل التضامن بين الفلسطينيين واليهود العرب:
530	.....3-العامل الاقتصادي

531	4-العامل الثقافي.....
533	5-العامل الديني.....
534	6- الجغرافيا السكانية: اندماج اليهود مع الفلسطينيين.....
534	7-العلاقات التاريخية.....
535	8- الهجرة العكسية واعادة يهود للدول العربية.....
537	المبحث الثالث: مشاريع عربية لحل المسألة اليهودية.....
538	سلام عابر.. نحو حل عربي للمسألة اليهودية.....
540	المسألة اليهودية (رؤية أخرى).....
541	المشروع النهضوي التحرري الفلسطيني.....
543	العودة إلى التوحيد الإبراهيمي.....
545	المبحث الرابع: عودة الابن الضال واحتواء الهجمة الصهيونية.....
546	ضرورة تصحيح المفاهيم.....
549	الوجود اليهودي في فلسطين...؟!.....
550	السعي الى إزالة أسباب العداة:.....
552	الحل العادل وحل الدولة الواحدة.....
557	الحل العربي والنموذج الأندلسي.....
559	لابد من انتصار حضارة الانفتاح.....
561	فلسطين ودورها الحضاري.....
565	نتائج الدراسة.....
569	التوصيات.....
573	المصادر والمراجع.....
597	فهرس المحتويات.....